آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره

« دراسة ونقد »

د. عمر بن إبراهيم رضوان

دار طيبة للنشر والتوزيع
الرياض - شارع عسير - ص. ب: ٣٩١٦٦

آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره

« دراسة ونقد »

د. عمر بن إبراهيم رضوان

هذا الكتاب كان بحثا للدكتور
لنيل درجة الدكتوراه من جامعة
الامام محمد بن سعود الاسلامية

بإشراف
د. مصطفى مسلم

الجزء الأول

دار طيبة للنشر والتوزيع
الرياض ـ شارع عسير ـ ص. ب : ٧٦١٢
تليفون : ٤٣٥٩٧٤٠ / ٤٣٥٤٩٣٧

الطبعة الأولى

١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م

دار طيبة

الرياض ـ شارع عسير ـ ص.ب. ٧٦١٢

المملكة العربية السعودية

آراءُ المستشرقين

حولَ القرآنِ الكريمِ وتفسيرهِ

بسم الله الرحمن الرحيم

المقـدمـــة

الحمد لله رب العالمين ، الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون.

قال الله تعالى: **﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون﴾** .

كان الإسلام على مر الحقب والأزمان الماضية مشعل الهداية للمسلمين وأساسا لتقدمهم العلمي والحضاري وفي كل المجالات فأقاموا به دولة ، وأشادوا على أسسه حضارة أثرت على غيرهم من المجتمعات الإنسانية.

ونظرا لقوة الإسلام الذاتية ، وملاءمته لفطرة الإنسان ، دخلت كثير من الشعوب فيه ، وبسطت الدولة الإسلامية نفوذها على كثير من الأقطار ، مما جعل الغرب يفكر جديا في مواجهة هذا الدين بكافة الوسائل فشن حروبا شعواء على ديار الإسلام عرفت في التاريخ بالحروب الصليبية فلما فشلوا في الوصول إلى غاياتهم انصرفوا إلى وسيلة أخرى ، وهي التشكيك في الإسلام العظيم حيلة الضعيف العاجز أمام القوي المنتصر ، وذلك ليحولوا بين الإسلام وبين شعوبهم وبينه وبين اعتزاز أهله به وتمسكهم به وعملهم بهداياته .

وكان من أضخم المؤسسات التي تبنت حرب الإسلام بهذا السبيل التبشير والاستشراق المؤسستان المكملتان لبعضهما في الأهداف والغايات والقريبتان في الوسائل .

وبما أن دراستي عن الاستشراق فسيكون حديثي مقتصراً عليه فالاستشراق

مؤسسة علمية في جوهرها وحقيقة أمرها وجدت لحرب الإسلام والكيد له.

كيف لا ، والاستشراق حركة ولدت في أحضان التبشير ، وشبت ورضعت وترعرت من الاستعمار ، وأخيراً لبست مسوح رهبان العلم.

ولا أحد ينكر أن الاستشراق نجح في مهمته نجاحاً كبيرا ، وحقق كثيرا من أهدافه التي كان لها أعظم الأثر على العالمين العربي والإسلامي من جهة والغربي من جهة أخرى .

ففي المجتمعات العربية والإسلامية سبب الاستشراق ردة فكرية عن الإسلام ونجح المستشرقون في إيجاد طبقة من المسلمين مخدوعة بأفكارهم وآرائهم ، وذلك باستقطاب الآلاف من شباب المسلمين للجامعات الغربية طمعا في الألقاب العلمية ، فرجع هؤلاء الطلاب متأثرين بثقافة الغرب ومناهجه وأساليب تفكيره.

كما كتب الغرب آلاف الكتب ، وعشرات الآلاف من الأبحاث والمقالات والتي ما زال كثير من أساتذتنا ومفكرينا يعتمدون عليها ، ذاكرين ذلك صراحة في بعض الأحيان ، وكاتمين لها في معظم أوقاتهم .

هذا بمجموعه أدى لإيجاد ردة فكرية في عالمنا الإسلامي كما ذكرت وحال دون تطبيق شريعة الإسلام وأحكامها في المجتمعات الإسلامية .

أما تأثيره على العالم الغربي فهو الحيلولة بين الغربيين وبين الإسلام العظيم ، وذلك بتشويه صورة الإسلام في نظر الغربيين الذين لا يعرفونه إلا عن طريق مؤلفات المستشرقين وكلامهم عنه.

فلما كانت الحركة الاستشراقية لها مثل هذا الأثر على المجتمعين العربي الإسلامي من جهة ، والغربي من جهة أخرى ؛ ولما كنت في مرحلة اختيار الموضوع لرسالة الدكتوراة ؛ صممت أن تكون أطروحتي حول هذا الموضوع ، ووفقت في ذلك ولله الحمد وسجلت رسالتي وهي بعنوان (آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره دراسة ونقدا) . ولكني واجهت مشاكل عدة للنجاح بمهمتي .

كان من أعظمها : قلة المراجع في الدول العربية لهذا البحث ، وصعوبة الوقوف على أفكار المستشرقين باتجاه الإسلام ؛ وذلك لأنها مكتوبة بعدة لغات عالمية ولقلة المترجم منها ، وعظم النفقات للحصول والوقوف عليها . ولكنني تغلبت عليها ولله الحمد فسافرت إلى بريطانيا وأحضرت عدة مراجع هامة لبحثي ، وقمت بترجمة بعضها كاملة وأجزاء من بعضها حسب الحاجة كان على رأسها مقدمتا القرآن الكريم لريتشارد بل ، ومونتجمري واط وهما من الإنجليزية ، ومقدمة القرآن الكريم لريجي بلاشير ، وهو من الفرنسية ، وأجزاء من كتاب (تاريخ القرآن الكريم) لتيودور نولديكه ، وهي من الألمانية وغيرها من الكتب .

وبعد الإحاطة بما ورد في هذه الكتب وغيرها ؛ كانت خطتي في البحث على الوجه التالي : التمهيد وتحته ستة مباحث وبابان وتحت كل باب عدة فصول فيما يلي التفصيل :

تناولت في المبحث الأول منه تعريف الاستشراق ، ونشأته ، وتناولت في المبحث الثاني دوافع المستشرقين وأهدافهم . أما المبحث الثالث فتناولت فيه وسائل المستشرقين ، وأما المبحث الرابع فخصصته لعلاقة اليهود بالحركة الاستشراقية ، ثم تناولت في المبحث الخامس طوائف المستشرقين ، أما المبحث السادس فجعلته لمناهج المستشرقين وميزان البحث عندهم .

ومن خلال دراستي لنقاط هذا الباب التمهيدي توصلت إلى ما يلي من الملاحظات :

١ - لاحظت أن أبحاث المستشرقين والمبشرين تكاتفت على تشويه الإسلام والتحيز ضده .

٢ - لاحظت أن كثيرا من الشخصيات الاستشراقية كانت ذات مسوح كنسية تخصصت بالشرقيات عامة ، وبالإسلاميات خاصة ، بالإضافة إلى اللاهوت المسيحي ، فاستحوذ عليهم التنصير الكنسي والاستشراق المعرفي .

٣ - لاحظت الأثر الكبير للفكر النصراني عامة والكاثوليكي خاصة في

فكر المستشرقين وكتاباتهم .

٤ - لاحظت أن التحصيل الكنسي يسبق التحصيل الاستشراقي ، ولم نسمع أن مستشرقاً علمانياً مثلاً أتم تحصيله الاستشراقي ثم عاد إلى الكنيسة للتعلم .

٥ - من الناحية التحصيلية فإنه لا يسهل أن نجد شخصيات استشراقية استطاعت بتفوق قدراتها أن تجمع المعارف الغزيرة في علوم شتى وبلغات عدة .

٦ - لاحظت أن تأثير الكنيسة على المستشرقين كان أشد وأقوى من العمل الاستشراقي المعرفي عندهم حتى إن طابع البحث عندهم غلبت عليه الروح التنصيرية سواء كانْ في الموضوعات أو في الطريقة .

٧ - أن المستشرق المنصّر لا يمكن أن يتحرر من بصمات المعارف والبواعث الكهنوتية في دراساته مهما حاول أن يعلن خلافهما أو مهما تظاهر بالمنهجية[1] .

٨ - كما لاحظت وضوح البصمات اليهودية في أبحاث المستشرقين اليهود كمحاولة جعل اليهودية مصدر الإسلام ، وصاحبة الفضل عليه .

٩ - وكذلك لاحظت عدم النزاهة ، والتجرد ، والدقة لكثير من المستشرقين في أبحاثهم ، لذا جاءت أبحاثهم فجة ، مليئة بالأخطاء .

أما الباب الأول فقد خصصته لعرض بعض كتابات المستشرقين وهو بعنوان (المستشرقون وكتاباتهم حول القرآن الكريم) وهو يحتوي على فصلين وملحق .

الفصل الأول : مستشرقون أفردوا مؤلفات حول القرآن الكريم :

تناولت مؤلفاتهم (ثلاثة عشر) مؤلفا . وقد أفردت كل مؤلف منها بمبحث عرفت فيه بالمؤلف وبكتابه وبأبرز القضايا التي تناولها كتابه .

---

(١) في الغزو الفكري صـ ١٦٠ - ١٦١ .

الفصل الثاني : مستشرقون كتبوا حول القرآن الكريم من خلال مؤلفاتهم تناولت من مؤلفاتهم (سبعة) مؤلفات .

وقد خصصت كل واحد منها بمبحث عرفت فيه بالمؤلف وبما كتبه حول القرآن في كتابه بإيجاز .

ثم ختمت هذا الباب بملحق لأسماء مجموعة من كتب المستشرقين حول القرآن الكريم سردا وذلك إتماما للفائدة .

أما الباب الثاني : فقد خصصته لآراء المستشرقين حول القرآن الكريم ومناقشتها ، حيث استخلصت أقوال المستشرقين وشبهاتهم حوله وحول علومه ، فحصرتها ووزعتها على الفصول السبعة التالية :

الفصل الأول :

شبهات المستشرقين حول مصادر القرآن الكريم .

وفي هذا الفصل بينت أن المستشرقين يعتبرون مصدر القرآن بشريا لفقه محمد - ﷺ - من عدة مصادر وهي :

١ - الوسط الوثني الذي بدأت فيه دعوة الإسلام . وذلك للتشابه بين هدايات القرآن والوسط الجاهلي في بعض القضايا كالعقائد ، والأخلاق وبعض العبادات وبعض العادات كالزواج والطلاق وغير ذلك . زاعمين أن محمدا تلقاها بمعلم أو قرأها بنفسه من مراجعها .

٢ - الحنفاء حيث اعتبر المستشرقون الحنفية المصدر الثاني من مصادر القرآن للتوافق والتشابه بين بعض أحكام القرآن وبين ما كان يدعو إليه الحنفاء من ترك عبادة الأصنام ، والوعد بالجنة للموحدين والوعيد بالنار للمكذبين إلى غير ذلك .

٣ - الصابئة والزرادشتية والهندية القديمة :

اعتبر المستشرقون هذه المذاهب كذلك مصدرا من مصادر القرآن للتوافق

بينها وبين بعض الآداب التي دعا إليها القرآن كبعض العبادات والأخلاق إلى غير ذلك .

٤ - اليهودية والنصرانية المحرفة .

اعتبر المستشرقون هاتين الديانتين عمدة مصادر القرآن الكريم ؛ وذلك لنقاط التشابه بين الإسلام وبين هاتين الديانتين كالدعوة للتوحيد وبعض العبادات والأخلاق إلى غير ذلك .

وقد وقفت مع هذه المصادر طويلا مبينا شبهاتهم فيها رادا عليها ، مبينا الحقيقة الثابتة في أن القرآن تنزيل من رب العالمين وحده دون سواه . وما محمد - ﷺ - في ذلك إلا مبلغ فحسب . وأن أي تشابه بين هدايات القرآن وبين هذه المذاهب والأديان إما لوحدة المصدر من حيث كونها منزلة من الله سبحانه أو لتأثرها بهذا المصدر لا غير .

الفصل الثاني :

شبهاتهم حول نص القرآن الكريم .

حيث حصرت الشبهات التي أثارها المستشرقون حول ظاهرة الوحي الإلهي والتي عدوها واحدة من الظواهر التالية :

فمنهم : من عدّها وحيا نفسيّا أو إلهاما سمعيا .

ومنهم : من عدها نتيجة انفعالات عاطفية طاغية على نفس محمد - ﷺ - نتج عنها هذا القرآن .

ومنهم: من زعم أنها تعود لأسباب طبيعية عادية كباعثة التنويم الذاتي .

ومنهم : من زعم أنها كانت نتيجة تجربة ذهنية فكرية تحصل نتيجة طول تأمل وتفكر .

ومنهم : من زعم أنها حالة كالحالة التي تعتري الكهنة والمنجمين .

ومنهم : من زعم أنها حالة من حالات الصرع والهستريا .

وقد رددت على هذه الافتراءات والتخبطات عند هؤلاء المستشرقين مطولا مبيّنا سذاجتها وتفاهتها ومقررا الحق في هذا الأمر أن ظاهرة الوحي في تلقي محمد - ﷺ - القرآن : ربانية المنشأ ، ملائكية النقل ، بشرية التلقي **﴿إن هو إلا وحي يوحى علمه شديد القوى﴾** .

كما بينت موقف المستشرقين من النص القرآني من حيث التوثيق ، وتشكيكهم في حفظه عن الزيادة والنقصان مدّعين أن الوسائل الأولية التي كتب عليها تدعو للريبة في بقائه سليما دون ضياع أو نقص .

وكذلك أثاروا مسألة اختلاف مصاحف الصحابة واعتبروا كل مصحف خاص منها نسخة أخرى من نسخ القرآن تؤكد اضطرابه وتناقضه ، إلى غير ذلك من الشبه التي مرجعها اعتبارهم القرآن الكريم بشري المصدر ، غير محفوظ من الله رب العالمين ، ومعتمدين في كثير منها على روايات واهية مردودة .

وقد أسهبت في إبطال كل هذه الشبه في مواطنها من الرسالة .

الفصل الثالث :

تناولت فيه شبهات المستشرقين حول جمع القرآن الكريم .

مبينا شبهاتهم حول كل مرحلة من مراحل الجمع القرآني حيث حاول المستشرقون جهدهم في إثبات عدم جمع القرآن الكريم في حياته - ﷺ - وأنّ ما حصل من جمع له في حياة أبي بكر وعثمان كان لأغراض خاصة وبطرق لا تؤكد سلامته من النقص والزيادة والاضطراب وقد وقفت مع هذه الادعاءات طويلا رادا على كل شبهة بما يدحضها ويثبت سلامة النص القرآني من أي تغيير أو تبديل أو اضطراب أو زيادة أو نقص ، وأنه محفوظ بحفظ الله - سبحانه - له **﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾** .

الفصل الرابع :

شبهاتهم حول شكل القرآن الكريم ومضمونه .

كشبهة التجزئة ، ومعنى كلمة السورة ، والحروف المقطعة ، وترتيب السور ، وغير ذلك . وقد رددت على هذه الشبه وبينت محاولاتهم لترتيب القرآن الكريم على غير ترتيبه الحالي التي بلغت تسع محاولات فاشلة .

وقد بينت أن هذه المحاولات نوع من العبث ، واعتداء على قدسية النص القرآني ، حيث تمزق القرآن تمزيقا ، وتفتت أجزاءه المترابطة تفتيتا وتذهب إعجازه وسحر بيانه .

الفصل الخامس :

شبهاتهم حول القراءات القرآنية .

وقد أرجع المستشرقون سبب الاختلاف في القراءات القرآنية : لخصوصية الخط العربي ، وبسبب أخطاء ارتكبها النساخ أثناء كتابتهم للقرآن الكريم ، وللحرية الفردية التي كان يتمتع بها القارىء وقد بينت أن اعتمادهم في إثبات ذلك كله كان على الروايات الواهية الضعيفة والاستنتاجات الخاطئة ، وعدم التمييز بين القراءات الصحيحة من غيرها .

وقد رددت على كل هذه الشبه وبينت أن القراءة سنة متبعة لا يجوز الاجتهاد ولا التشهي فيها ، وأن مدارها على النقل الصحيح المتواتر . وقد وجّهت القراءات التي استشهدوا بها بما اتسع له المقام في مكانه . كما بينت أنه لا يجوز قراءة القرآن الكريم بالمعنى التي حاول المستشرقون إثباتها .

الفصل السادس :

شبهاتهم حول الأسلوب القرآني .

أثار المستشرقون عدة شبه حول هذه القضية كشبهاتهم حول أسلوب القرآن المكّي والمدنيّ ، وأسلوب القصة القرآنية ، وشبهتهم حول الكلمات القرآنية

(أي التعريب) ، ثم شبهاتهم حول الفاصلة القرآنية . وكان سبب هذه الشبهات كلها اعتبارهم القرآن تأليفاً لمحمد - ﷺ - والذي تأثر أسلوبه بالوسط الذي كان يعيش فيه .

وقد رددت على هذه الشبه وبينت ربانية المصدر للقرآن الكريم ، وأنه لا اختلاف في أسلوبه ولا تمايز بل كله يمتاز بمتانة الأسلوب ، وترابط المعاني ، وروعة الإعجاز ، وعدم قدرة الخلق على الإتيان بمثله .

الفصل السابع :

شبهاتهم حول إعجاز القرآن الكريم .

وكان من أبرز شبههم في هذا الفصل :

١ - أن القرآن الكريم ليس آية في الفصاحة والبلاغة بسبب طريقة كتابته وجمعه .

٢ - أن القرآن الكريم متعارض ومتضارب وزعموا أن لذلك أمثلة .

وحاول المستشرقون التدليل على عدم إعجاز القرآن الكريم بعدة قضايا كان من أبرزها : النسخ ، ووجود قضايا تتعلق بشخص محمد - ﷺ - وآل بيته في القرآن الكريم ، ووجود كلام زائد عن الحاجة فيه ، التكرار ، المعاياة وفساد المعنى . عدم الترابط بين أجزائه إلى غير ذلك من القضايا . وقد أوردوا عليها شواهد عدة ، رددت عليها ردا مسهبا في أكثر من خمسين صفحة ، وذلك لأن الإعجاز في القرآن أول دليل على إلهية مصدر القرآن الكريم وهو الآية العظمى على صدق نبوة محمد - ﷺ - .

أما الباب الثالث: فقد خصصته لقضايا تتعلق بتفسير القرآن الكريم حيث قسمت هذا الباب إلى خمسة فصول وهي كالتالي :

الفصل الأول :
شبهات المستشرقين حول التفسير بالمأثور .

تناول المستشرقون تحت هذا النوع من التفسير تمنّع بعض الصحابة والتابعين والعلماء من القول في تفسير القرآن الكريم .

كما طعن المستشرقون في رجال هذا اللون من التفسير وفي كتبه ؛ لوجود الإسرائيليات فيها ؛ ولوجود بعض الروايات المختلفة في تفسير القول الواحد إلى غير ذلك من الشبه . وقد رددت على كل هذه الشبه بما يؤكد عظم هذا العلم وفضل هذا اللون من التفسير .

الفصل الثاني :
تناولت فيه التفسير بالرأي وشبهات المستشرقين حوله .

زعم المستشرقون أن هذا اللون من التفسير انشقاق على التفسير بالمأثور وحربا عليه . كما أثنى المستشرقون على أصحاب الرأي غير الملتزم بهدايات الوحي في التفسير ، واعتبروهم أتم عقلاً وأنضج فكرا من أصحاب التفسير بالمأثور . فرددت على هذه المزاعم والشبه وبينت التفسير بالرأي الجائز من المذموم ، وأن الجائز لا يعارض المأثور بل منطلق منه ومبني عليه .

أما التفسير المذموم فهو خارج عن هدايات القرآن الكريم ، نابع من أغراض شخصية لأصحابه .

الفصل الثالث :
تناولت ما أطلق عليه المستشرقون اسم التفسير في ضوء التصوف الإسلامي .

الفصل الرابع :
تناولت ما أطلقوا عليه اسم التفسير في ضوء الفرق الدينية .

وهذان الفصلان مبنيان على الفصل السابق عند المستشرقين لأنهم انطلقوا

في فهمهم لهما من خلال فهمهم للتفسير بالرأي المبني على الهوى فأثنوا على أصحاب هذين اللونين من التفسير ، ووصفوا أصحابهما بالنضوج العقلي والتفوق الذهني .

وقد بينت موقف الإسلام منهما ووجه مخالفتهما للحق الذي يدعو إليه القرآن الكريم وبينت تصادمهما مع الهدايات القرآنية .

الفصل الخامس :

تناولت فيه ما أسموه التفسير في ضوء التمدن الإسلامي .

وقد تبنى المستشرقون أيضاً هذا اللون من التفسير، وفرحوا له كثيراً واعتبروه أنضج ألوان التفسير وقد أثنوا على دعاته كثيرا .

وقد وقفت مع هذا اللون من التفسير وبينت القدر الجائز منه والقدر غير الجائز ، كما بينت الجوانب الإيجابية والجوانب السلبية لأصحاب هذا اللون من التفسير .وذكرت بعض الكتب التي انحرف أصحابها عن الصواب نتيجة لتبنيهم الاتجاه التوفيقي بين الإسلام والحضارة الغربية المادية بما فيها من عيوب .

وقد ختمت هذه الرسالة بخاتمة ذكرت فيها أهم النتائج التي توصلت لها ، وكما ضمنتها بعض المقترحات التي سبقني لبعضها أساتذة فضلاء غيورون كان منها :

١ - أن الجهد الفردي لأعجز من أن يقف أمام مدّ الهجوم الاستشراقي على الإسلام مما يتطلب أن تكون هناك كليات متخصصة تقوم برصد هذا النتاج الاستشراقي الضخم والرد عليه .

٢ - إقامة مؤسسة علمية عالمية محايدة لا تنتمي بالولاء لأي دولة من الدول ، يرصد لها الأموال ويتعاون معها كبار العلماء والمفكرين ، تقوم بإصدار الكتب والمجلات والموسوعات وترجمات معاني القرآن الكريم وترجمتها للغات العالمية ليقف الغرب على الإسلام العظيم دون تحريف ولا تشويه .

٣ - إرسال الأساتذة الدعاة للجامعات الغربية لإلقاء المحاضرات والندوات ولقاءات التحاور لتوضيح الفكرة الإسلامية ناصعة محفوظة من التشويه للعالم الغربي .

٤ - تعديل مناهج التعليم في الدول الإسلامية لتقوم على أسس الإسلام الصحيح نقية من الفكر الغربي الدخيل عليها .

٥ - توجيه المراكز الإسلامية في العالم الغربي للقيام بواجباتهم وأداء رسالتها بنجاح برصد كل نتاج غربيّ ضد إسلامنا العظيم ، ثم تزويد الجهات المختصة بهذا النتاج للرد عليه ونشر هذه الردود بين الغربيين .

٦ - إقامة دورات للمبتعثين لديار الغرب من أجل الدراسة أو المقيمين فيها من أجل العمل لتحصينهم ضدّ شبه الغربيين على الإسلام ولتكون عندهم القدرة في توضيح الصواب . وقد كانت جامعتنا رائدة لهذه الفكرة النبيلة .

٧ - ولا يفوتني وأنا أقدم هذه المقترحات أن أشير إلى أمر يشكل على كثير من الناس وهو ظنهم أن المستشرقين قاموا بجهود يعجز عنها علماء المسلمين في الوقت الحاضر . والحقيقة أننا لو بحثنا عن أسباب نجاح المستشرقين في بعض الجوانب العلمية لزال اللبّس والوهم عن الأذهان فلو علمنا أن مؤسسات مالية ضخمة تخصص الملايين من الدولارات ، وتفرّغ أساتذة في الجامعات لإنجاز مشروع ما وتطلق أيديهم بالإنفاق على هذا المشروع بسخاء ويستغرق المشروع عشرات الأعوام فمن البديهي أن تكون النتيجة دراسة متخصصة عميقة في هذا الجانب . ولو تسنى لعلماء المسلمين اليوم مثل هذه الإمكانات المادية والأجواء العلمية لأبدعوا أكثر من هؤلاء بكثير وما نراه من آثار سلفنا الصالح في شتى مجالات المعرفة لدليل على صحة ما أقول على الرغم أن أغلب آثارهم العلمية كانت بجهود فردية .

ولما كان الاستشراق بهذه الخطورة في حرب الإسلام ، وتشويه صورته في نفوس من يتعرف على الإسلام من خلال كتاباتهم رغبت في نشر هذا الكتاب

الذي كان أطروحتي لدرجة الدكتوراة من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية وبإشراف أستاذي الكبير الدكتور مصطفى مسلم محمد ليستفيد منه أبناء الإسلام ويعرفوا هذه الفئة على حقيقتها .

ومما يجدر الإشارة إليه أني قد تناولت كتاباتهم بمحض الموضوعية و لم أنزل لأسلوبهم المليء بالإسفاف والحقد على الإسلام العظيم ..

والله ولي التوفيق

المؤلـــف

د . عمر رضوان .

الباب التمهيدي

الاستشراق

الباب التمهيدي

الاستشراق

المبحث الأول

أ - تعريفه

ب - نشأة الاستشراق

المبحث الثاني

دوافع المستشرقين وأهدافهم

المبحث الثالث

وسائل المستشرقين

المبحث الرابع

اليهود والاستشراق

المبحث الخامس

طوائف المستشرقين

المبحث السادس

المناهج وميزان البحث عند المستشرقين

الباب التمهيدي

الاستشراق

المبحث الأول

أ - تعريفه :

كلمة الاستشراق لفظة مولدة من لفظ (استشرق) المأخوذ من مادة «شرق» أي مستشرق .

استعملها المحدثون ترجمة لكلمة (Orientalism) التي تدل على معنى (مستشرقون) ، أما المحققون فيستعملون بدلا منها (علماء المشرقيات) ولكن كلمة (مستشرقون) أكثر شيوعا خاصة في الآونة الأخيرة[1] .

فالمستشرق هو : عالم غربي اهتم بالدراسات الشرقية عقدية كانت أو تاريخية أو أدبية أو حضارية .. إلخ .

فالاستشراق إذن هي دراسة الغربيين عن الشرق من ناحية عقائده أو تاريخه أو آدابه .. إلى غير ذلك .

وكان أول ظهور لكلمة « مستشرق » في اللغة الإنجليزية سنة ١٧٧٩ م كما دخلت في معجم الأكاديمية الفرنسية سنة ١٨٣٨[2]م .

ب - نشأة الاستشراق :

اختلف المفكرون كثيراً في بداية حركة الاستشراق على أقوال عدة وإن كان قول من أرجعه للقرن السادس عشر الميلادي أكثر وضوحا ولا يمنع أن يكون هناك محاولات غير منظمة ظهرت قبل هذا التاريخ من القرن العاشر الميلادي منذ

---

(١) الاستشراق نشأته وتطوره وأهدافه - إسحاق موسى الحسيني ص١ .

(٢) فلسفة الاستشراق . د . أحمد سمايلوفتش صـ ٣٠ ، والاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري - محمود زقزوق ، صـ ١٨ .

أن عم الإسلام بلاد الأندلس ، وانهزمت أمامه جيوش الغرب العسكرية وبأن عوار تأخره ثقافيا وحضاريا ، فما كان منه إلا أن وجه كل اهتمامه للتعرف على هذه القوة التي قهرته وتغلغلت في أرضه حتى دكت أبواب دوله وعواصمه . فأرسل طلابه ينهلون من العلوم الإسلامية في معاقل العلم في ديار الإسلام ، فترجموا كثيرا من كتبه وعلى رأس ذلك القرآن الكريم للتعرف على هذا الدين العظيم كما طلبوا مدرسين يعلمونهم في مراكز العلم عندهم إلى غير ذلك من الأمور التي تدل على اهتمامهم بالشرق الإسلامي من وقت مبكر .

فمن هذه البعثات الدراسية التي جاءت تنهل العلم من ديار الإسلام .

١ - البعثة الفرنسية برئاسة الأميرة « إليزابيث » ابنة خالة «لويس السادس » ملك فرنسا .

٢ - البعثة الإنجليزية برئاسة الأميرة (دوبان) ابنة الأمير جورج صاحب مقاطعة (ويلز) .

٣ - البعثة الأسبانية التي كانت سنة ١٢٩٣ م والتي بلغ تعداد طلابها (٧٠٠) طالب وطالبة[١] وكان من بين هؤلاء الطلاب بعض الرهبان فرجع هؤلاء لبلادهم يحملون علوم الشرق الإسلامي الباهرة .

وكان من بين الدعاة المتحمسين الذين طالبوا بضرورة تعلم لغات الشرق لغرض التنصير « روجر بيكون » (١٢١٤ - ١٢٩٤ م) و «رايموندلول » (١٢٣٥ - ١٣١٦ م) وكان لهذين المستشرقين الأثر الكبير في إنشاء كراسي تدريس اللغة العربية في الجامعات الغربية على أثر قرارات مجمع (فينا) الكنسي في عام ١٣١٢ م الذي وافق على أفكارهما واقتراحاتهما بذلك فأنشأ خمسة كراسي جامعية في خمس جامعات غربية لتعليم اللغة العربية منها : باريس ، اكسفورد ، بولونيا ، سلمنكا[٢] .

---

(١) الفكر الإسلامي وصلته بالاستعمار - البهي الخولي ، صـ ٥٣٢ .

(٢) تراث الإسلام - لجنة الجامعيين لنشر العلم بحث الأدب - جـ ٢٧١/١ - ٢٧٢ .

والعوامل التي كونت نشأة الاستشراق متعددة : دينية ، وسياسية ، واقتصادية ، وعلمية ، وغير ذلك .

فالعامل الديني واضح لا غموض فيه وهو يهدف إلى نشر الديانة المسيحية وتبليغ دعوتها ، وتصوير الإسلام تصويرا يثبت فضل المسيحية ورجحانها عليه ، ويبعث في الطبقة المثقفة إعجاباً بالمسيحية وحرصا عليها ويحول بين أفرادهم والدخول في الإسلام ، لذا ركزوا على إثارة الشبهات والأباطيل حول القرآن خاصة والإسلام عامة لهذا الغرض نفسه . ولذلك نرى أن « الاستشراق والتبشير » يسيران في أغلب الأحوال معا . وأن عدد المستشرقين الأكبر أساقفة ، وعدداً منهم يهود ديانة وجنسا .

أما العامل السياسي فواضح كذلك فقد كان المستشرقون روادا لدولهم الغربية في الشرق ، ومن واجبهم أن يمدوها بمددهم العلمي ليتعرف الغرب – عن قرب – على الشرق في كل شؤون حياته ، ويتسنى له أن يبسط نفوذه وسلطته على الشرق وأن يحسن التعامل مع أهله ، ويتسنى له قيادهم والتحكم فيهم .

أما العامل الاقتصادي فكثير من المثقفين اتخذ الاستشراق تجارة رابحة ، ومهنة ناجحة . فشجعوا نشر الكتب التي تدور حول الإسلام والعلوم الشرقية ، وأشرفوا على نشرها لما يرون لها من سوق نافقة في أوربا وآسيا وغيرهما من بلاد العالم اليوم .

وأما العامل العلمي المحض فهو محدود وقد كان من عدد قليل من المثقفين الذين اهتموا بالدراسات الشرقية لشغفهم العلمي[1] .

هذه العوامل وغيرها كانت من الأسباب الرئيسية في نشأة الاستشراق ودفع عجلته للأمام وكان من أوائل من اهتم بالدراسات الاستشراقية الراهب الفرنسي « جوبرت » الذي انتخب بابا لكنيسة روما عام (٩٩٩ م) بعد تعلمه في

---

(١) الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية لأبي الحسن الندوي صـ ١٨٧ وما بعدها (بتصرف) .

مدارس الأندلس وعودته إلى بلاده ، و « الراهب بطرس » المحترم (١٠٩٢ - ١١٥٦ م) ، والراهب «جيراردي كريمون » (١١١٤ - ١١٨٧ م) وفردريك الثاني ملك صقلية سنة (١٢٥٠ م) ، و « الفونس » ملك قشتالة ، و «جوبرت » الراهب الفرنسي ، وغيرهم .

وعندما عاد هؤلاء الرهبان من الأندلس إلى بلادهم نشروا ثقافة المسلمين وعلومهم ومؤلفات أشهر علمائهم في تلك البلاد ، وأخذوا يدرسونها في معاهدهم آنذاك . وقد استمروا بالاعتماد على هذه الكتب قرابة ستة قرون . ولما جاء القرن الثامن عشر العصر الذي بدأ فيه الغرب في استعمار العالم الإسلامي والاستيلاء على ممتلكاته نبغ عدد من علماء الغرب في الاستشراق نبوغا ملحوظا .

وفي الربع الأخير من القرن التاسع عشر عقد أول مؤتمر للمستشرقين في باريس عام (١٨٧٣ م) وتتالى عقد المؤتمرات التي تلقى فيها الدراسات عن الشرق وأديانه وحضاراته حتى يومنا هذا .

فبناء على ما تقدم تكون بداية الاستشراق بشكل واضح منذ أن دقت جيوش الفتح الإسلامي أبواب أوربا وعواصمها ؛ مما دفع أوربا الغارقة في الجهل والتخلف الحضاري يومئذ للبحث عن أسباب نهضة المسلمين ، وعن سبب بلوغهم هذا المجد العظيم الذي بلغوه ؛ لذا درسوا علوم هؤلاء الفاتحين لعلهم يوقفون مدهم وزحفهم عن بلادهم ، ولعلهم يكتسبون منهم ما ينفعهم في إنقاذهم من تخلفهم الحضاري ، لذا كان الاستشراق هو باب الأمل المنشود لهم(١) .

ولما انتهت الحروب الصليبية بالهزيمة الساحقة لجيوش الغرب النصراني ، وضعت الخطة لغزو المسلمين بوسائل أخرى غير الحرب بالأسلحة المادية واقتضت خطة الغزو الجديد التوسع في الدراسات الاستشراقية ؛ لتكون تمهيدا للغزو الفكري الرهيب وإعداداً لشروطه الفكرية والنفسية . وانطلق المهتمون بالدراسات

---

(١) أجنحة المكر الثلاثة عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني صـ ١٢٠ - ١٢١ . والمستشرقون والإسلام إبراهيم اللبان ، صـ ١١ .

الشرقية يعملون لهذا الهدف فأخذوا يترجمون إلى لغاتهم كثيرا من كتب المسلمين ويعملون عليها الدراسات المتعددة فيضعونها بين أيدي ساسة الغرب ليتسنى لهم إخضاع الشرق لهم فكريا ، وتوجيهه سياسيا حسب خططهم المرسومة .

من هنا زاد اهتمام هؤلاء الساسة لحركة الاستشراق وتوجيهها ودعمها لدراسة الشرق من جوانب متعددة : لغوية ، ودينية ، واجتماعية ، وتاريخية ، وسياسية ، وغير ذلك . وقد كان كثير من هؤلاء المستشرقين من منسوبي الكنيسة . لذا التقت في الاستشراق أهداف جمعيات التبشير وأهداف الدوائر الاستعمارية ، ثم توسعت الحركة الاستشراقية ونمت بشكل كبير خاصة عندما انتقلت إلى مقاعد الدراسة ومراكز العلم حيث أسست للاستشراق معاهد ومقاعد جامعية ، وتألفت له جمعيات تهتم به وبدراساته وتنشر هذه الدراسات في صحف ومجلات لها اهتمام بهذا الجانب ومن دراساتهم التي نشرت بعض المخطوطات العربية ووضع الفهارس الشاملة لبعض الكتب الإسلامية ووضع بعض المعاجم المفهرسة (كالمعجم المفهرس لألفاظ الحديث) وتأليف (المعجم المفهرس لآيات القرآن الكريم) . وكتفصيلهم آيات القرآن الكريم حسب الموضوعات إلى غير ذلك ..

ومن الجامعات التي اهتمت بالاستشراق فأنشأت له كراسي جامعية جامعة السوربون في فرنسا ، وجامعة لندن في بريطانيا ، وغيرهما . وقد بلغ بهذه الجامعات أن أخذت تعطي شهادات في الدراسات الشرقية عامة والإسلامية خاصة . ومما يؤسف له أن بعض هذه الجامعات تدعم من قبل بعض الدول العربية . ظنا منهم أن في دعمهم لها تعريفا للغرب على الإسلام . ورأى اليهود في الاستشراق بابا يحقق أغراضهم وأهدافهم فدخلوه باهتمام بالغ حتى وصل بعضهم لرئاسة بعض هذه الأقسام واحتلال كثير من كراسيها الجامعية مثل جولد تسيهر وغيره .

كما أن الدول الأوربية الشرقية بعد نجاح الثورة الشيوعية في بلادهم اهتمت بالحركة الاستشراقية لاستخدامها في حرب الإسلام الذي يقف سدا منيعا في طريق انتشارها .

وهكذا نجد أن الاستشراق ولد في حضن التبشير وكبر في حضن الاستعمار والصهيونية والشيوعية .

المبحث الثاني

دوافع المستشرقين وأهدافهم

باستطاعتنا أن نتعرف على دوافع المستشرقين وأهدافهم من خلال أعمالهم، ومن النظرات التاريخية إلى واقع حال الدول الغربية، قبل أن تظهر فيها ظاهرة الاستشراق وبعدها، ومن النظر في صلة الاستشراق بالتبشير، وإلى صلته بالاستعمار .. إلخ فسأذكر فيما يلي خلاصة عن دوافعهم وأهدافهم. مع العلم أن الدوافع تلتقي مع الأهداف، باعتبار أن الدافع يمثل المحرض النفسي لاتخاذ الوسائل التي توصل إلى الأهداف الغائبة من العمل[1].

أ - دوافع الاستشراق :

تنوعت دوافع الاستشراق خلال فترات نشأته منها :

١ - الدافع النفسي :

لاشك أن حب الاطلاع والتعرف على حياة الآخرين وأفكارهم وسبل معيشتهم أمر فطري غريزي في الإنسان وهذه الرغبة متأصلة في أعماق النفس البشرية لا يمكن أن تستأصل. ومن أجل هذه الرغبة يتحمل الإنسان المتاعب والمصاعب بأنواعها[2].

لذا فهذا الدافع كان من أول الدوافع التي جعلت المستشرقين يهتمون بالشرق وحضارته وسبل عيش أهله وطرق تفكيرهم، إلى غير ذلك مما يجهلونه ويحبون أن يطلعوا عليه.

(١) أجنحة المكر الثلاثة للميداني صـ ١٢٥.

(٢) فلسفة الاستشراق صـ ٤٠ - ٤٢، د. أحمد سمايلوفتش، طبعة دار المعارف.

٢ - الدافع التاريخي :

العلاقة بين الشرق والغرب قديمة جدا ، كان يصحبها في بعض الأحيان عداء وحروب بين الطرفين ، وصراع من أجل السيطرة سواء كانت فكرية أو عسكرية . مما يدعو كل طرف منهما للاطلاع على ما عند الآخر من عقائد ، وتراث وحضارة وعادات وقيم ليخترقه ويسيطر عليه من خلال نقاط الضعف التي فيها . ومن الأمثلة على ذلك الحروب الصليبية حيث اقتضت هذه الحروب استصحاب من له خبرة واطلاع على جغرافية الشرق وأحوال أهله ودياناتهم وعاداتهم .. إلى غير ذلك من الأمور[١] .

٣ - الدوافع الاقتصادية والتجارية :

من الدوافع التي كان لها الأثر في تنشيط حركة الاستشراق ، رغبة الغربيين في التعامل مع الشرق لترويج بضائعهم في أسواقه والاستيلاء على موارده الطبيعية الخام بأبخس الأثمان ؛ لذا حرصوا على فتح أسواق تجارية لصناعاتهم في منطقتنا ، وحرصوا كذلك على قتل النشاط الصناعي والتجاري في شرقنا حتى يبقى متخلفا ، شاعرا بالنقص والحاجة لهم ، منهزما نفسيا أمام تقدمهم مما يسهل خضوعه وخنوعه وانقياده لهم .

هذه من الدوافع التي جعلت الغرب يهتم بالشرق ويحب التعرف على كل شيء فيه خاصة جغرافيته ، ومكان الخيرات فيه مما جعل هؤلاء الطامعين يشجعون الباحثين والمفكرين في تقديم دراسات وافية عن الشرق[٢] وقد نالت هذه الدراسات الرضا والقبول وأصبحت تدر على أهلها ودور النشر التي تتولى نشرها أرباحا هائلة .

٤ - الدافع الديني :

إننا لا نحتاج إلى عناء كبير للتعرف على دافع الاستشراق الديني فقد بدأ

---

(١) الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري - د . محمود زقزوق صـ ٧٤ .

(٢) افتراءات فيليب حبيب وكارل بروكلمان على التاريخ الإسلامي - عبد الكريم الباز صـ ١٩ ، وأجنحة المكر الثلاثة صـ ١٢٨ .

الاستشراق أول ما بدأ كما ذكرت سابقا من الفاتيكان ، وكان أول رواده من رجال الكنيسة وعلماء اللاهوت حيث ظلوا المشرفين على هذه الحركة والمسيرين لها حتى القرن التاسع عشر ؛ وذلك للدفاع عن الكنيسة وسلطانها ولمواجهة الضغوط الشديدة المتزايدة من المفكرين المتمردين عليها ، خاصة وأن بعض المتمردين وجدوا في الإسلام فرصة لتفكيرهم وتخلصا من سلطان كنائسهم التي تحجر على عقولهم ، حيث أظهر بعضهم إعجابه بالإسلام . مما أفزع الكنيسة ودفعها لمحاربة الإسلام بثلاثة اتجاهات :

١ - الطعن في الإسلام وتشويه حقائقه ، والافتراءات عليه بمختلف الأكاذيب لشحن أتباعها ضده وتنفيرهم منه ، والإثبات لجماهيرها التي تخضع لسلطانها أن الإسلام هو الخصم الوحيد للمسيحية وهو دين لا يستحق الانتشار ، زاعمة أن أتباعه - على حد زعمهم - قوم همج متخلفون ، سراق نياق ، سفاكو دماء ، يبحثون عن المتعة الرخيصة من الكأس إلى غير ذلك من الأباطيل والافتراءات التي لا تمت للحقيقة بصلة[١] .

٢ - حماية النصارى من خطر الإسلام بالحيلولة بينهم وبين رؤية حقائقه الناصعة ، وآياته البينة الواضحة ، وتاريخه المجيد حتى لا يؤثر عليهم فيدخلوا فيه .

٣ - محاولة تنصير المسلمين فمن أجل ذلك جهزوا جيوشا من المنصرين لهذا الغرض ، ووضعوا بين أيديهم الإمكانيات الكبيرة ؛ لإعطاء الثقة لمن فقدها من أبناء جنسهم ، ولهز ثقة المسلمين أنفسهم في دينهم .

فمن أجل هذا الغرض عقدوا مؤتمرات عدة بدأوها بمؤتمر فينا الكنسي سنة (١٣١٢ هـ) الذي قرروا فيه إنشاء كراسي جامعية للغة العربية[٢] كما حصل في جامعة كمبردج آنذاك وغيرها وذلك ليسهل عليهم التعرف على الإسلام

---

(١) افتراءات فيليب حبيب وبروكلمان على التاريخ الإسلامي صـ ١٨ - الاستشراق والخلفية الفكرية زقزوق صـ ٧٢ . الاستشراق والخلفية الفكرية صـ ١٩ .

(٢) الاستشراق والخلفية الفكرية صـ ٧٢ .

ومعرفة مكامن الضعف عند المسلمين فيتسللوا من خلالها . وكذلك أنشأوا المجلات العلمية لنشر أفكارهم ودسائسهم فيها كمجلة العالم الإسلامي (سنة ١٩١١ م) برئاسة (صموئيل زويمر) رئيس المبشرين في الشرق الأوسط . كما أكثروا من التأليف عن الإسلام بكتب فقدت روح البحث العلمي لما حوته من تفاهات وأساطير وأباطيل وقلب للحقائق عن الإسلام ككتب «سال » مثلاً[١] وقد استمرت سيطرة الكنيسة على حركة الاستشراق من سنة (١٣١٢ م) إلى القرن الثامن عشر حيث بُدىء بالفصل بين اللاهوت والدراسات الاستشراقية في بعض البلاد الغربية كفرنسا وانجلترا . أما ألمانيا والنمسا فقد استمرت فيهما سيطرة الكنيسة على الحركة الاستشراقية لمنتصف القرن التاسع عشر حيث فصل بينهما .

وخير من وجه حركة الاستشراق وجهة علمية بعيدة عن التنصير وكان ذلك في منتصف القرن التاسع عشر المستشرق الفرنسي (سلفستر دي ساسي) .

وممن اشتهر من المستشرقين بالدراسات الإسلامية على وجه الخصوص « جولد تسيهر »،و « نولديكة»، و « فلهاوزن »، « ريتشارد بل »، و « بلاشير » وغيرهم . كما أن هذا الدافع دفع اليهود لاستغلال حركة الاستشراق لتحقيق مآربهم وأهدافهم وإن لم يظهروا بشخصيتهم اليهودية بل تلونوا مع كل الطوائف وعملوا تحت كل اللافتات وكان من أشهرهم اليهودي المجري «جولد تسيهر » ، والألماني «نولديكة » وغيرهما كثير .

وكان هذا الدافع من أكثر الدوافع التي دفعت عجلة الاستشراق للأمام وأكثر من أساتذتها وتلاميذها .

٥ – الدافع الاستعماري والسياسي :

لازمت حركة الاستشراق الاستعمار الغربي لبلاد الشرق الإسلامي فقد

---

(١) الاستشراق والخلفية الفكرية صـ ٧٢ .

استطاع الغرب المسيحي أن يسيطر على كثير من بلدان العالم الإسلامي . وقد كان هذا الاستعمار امتداداً للحروب الصليبية التي كانت في ظاهرها دينية وفي باطنها استعمارية .

ولم تأت نهاية القرن التاسع عشر حتى كانت كل أجزاء العالم الإسلامي تقريبا قد سقطت في براثن الاستعمار الغربي . وليتم لهم السيطرة ، وليتمكنوا من الاستمرار في بقائهم في هذه البلاد كان لازما عليهم دراسة أحوال الشرق ، وتاريخه ، ولغاته وعقائده فجندوا لهذه المهمة عددا كبيرا ممن لهم دراية بالشرق وأحواله فسخروا علمهم لخدمة الاستعمار البغيض فكان هؤلاء المستشرقون عملاء لحكوماتهم ، وشركاء لهم في صنع القرار السياسي في آن واحد .

بعد تحرر البلاد الإسلامية من الاستعمار العسكري رأى ساسة الغرب أن يكون الاستعمار له طابع آخر وهو أن يكون استعمارا فكريا ؛ لذا اقتضى الأمر أن تزود القنصليات والسفارات والمؤسسات الدولية التابعة لهم بمن لديهم الخبرة في الدراسات الاستشراقية ليبثوا ما تريده دولهم من اتجاهات سياسية ، وليقوموا بمهمات سياسية متعددة منها :

١ - الاتصال بالسياسيين والتفاوض معهم لمعرفة آرائهم واتجاهاتهم .

٢ - الاتصال برجال الفكر والصحافة للتعرف على أفكارهم وواقع بلادهم .

٣ - بث الاتجاهات السياسية التي تريدها دولهم ، فيمن يريدون بثها فيهم وإقناعهم بها .

٤ - الاتصال بعملائهم وأجرائهم الذين يخدمون أغراضهم السياسية داخل شعوب الأمة الإسلامية[1] .

وقام هؤلاء المستشرقون بدراسة هذه البلاد في كل شئونها من عقدية

(١) الاستشراق والمستشرقون - د . مصطفى السباعي صـ ١٨ - ١٩ .

وعادات وأخلاق وثروات ولغات وتاريخ إلى غير ذلك . للتعرف على مواطن القوة فيها فيضعفوها ، وإلى مواطن الضعف فيغتنموها ، ولإضعاف المقاومة الروحية والمعنوية في نفوس المسلمين ، وبث الوهن والارتباك في تفكيرهم ، وكان لهم في ذلك دسائس تسللوا بها إلى نفوس المسلمين منها :

١ - التشكيك بفائدة ما في أيدي المسلمين من تراث ، وبما عندهم من عقيدة وشريعة ، وخلق وقيم إنسانية . ليَفقِدوا الثقة بأنفسهم ويرتموا في أحضان الغرب يستجدون منهم المقاييس الأخلاقية والمبادىء والعقائد والحلول لمشاكلهم ، ليتم للغرب إخضاع المسلمين لحضارته وثقافته إخضاعا كاملا .

٢ - إحلال مفاهيم جاهلية ماتت منذ انتشر الإسلام ، كالقوميات الفرعونية ، والفينيقية ، والآشورية ، والعربية والكردية والتركية ، والفارسية ، ونحو ذلك ؛ ليتسنى لهم تشتيت شمل الأمة الواحدة[1] .

٣ - إحلال الفتن الطائفية بين السكان كالمسلمين والنصارى والدروز والعلويين ، وغير ذلك . وما حرب لبنان عنا ببعيد . وإشعال الفتن بين الدول الجارات كما حصل في إشعالهم الحرب بين العراق وإيران وتمزيق وحدة الأمة الواحدة بسياستهم « فرق تسد » ، وطبخ الانقلابات العسكرية لصالح سياسة دولة من دولهم .. حتى باتت كثير من حكوماتنا عسكرية تحكم شعوبها بالحديد والنار وسفك الدماء وسجن الأحرار والمصلحين . مع أنهم لا يرضون لأنفسهم إلا الديمقراطية وكامل الحرية الشخصية للفرد .

فمن خلال هذه الدراسات تعرف الغرب على مكامن وبواعث القوة والمجد ومواقع الخير والإنتاج والعبقرية والتفوق عند الشرق وعلى مواقع الجدب وهزال الإمكانات والمواهب[2] فتسنى لهم السيطرة الكاملة على شرقنا العزيز ، فضيعوا هويته ، وأفقدوه ثقته بنفسه فكان لهم ما أرادوا . وبهذا يكون قد خرج

---

(١) أجنحة المكر الثلاثة - صـ ١٢٧ - ١٢٨ .

(٢) وحي الله حقائقه في الكتاب والسنة نقض مزاعم المستشرقين - د . حسن عتر . صـ ٢١ .

الاستشراق عن غايته الأساسية التي أسس من أجلها مما أثار في نفوس بعض المنصفين منهم الأسى والحزن لهذه السياسة حيث قال « اسفان فيلد » مظهراً استياءه :

[والأقبح من ذلك أنه توجد جماعة يسمون أنفسهم مستشرقين سخروا معلوماتهم عن الإسلام وتاريخه في سبيل مكافحة الإسلام والمسلمين . وهذا واقع مؤلم لابد أن يعترف به المستشرقون المخلصون لرسالتهم بكل صراحة][1] .

ومن بين الأمثلة العديدة على ارتباط الاستشراق بالاستعمار :

١ - المستشرق «كارل هينريخ بيكر » (ت ١٩٣٣ م) مؤسس (مجلة الإسلام) الألمانية الذي قام بدراسات تخدم الاستعمار الألماني في أفريقيا حيث حصل الرايخ الألماني في عام ١٨٨٥ - ١٨٨٦ م على مستعمرات في أفريقيا واستمر هذا الاستعمار إلى عام ١٩١٨ م .

٢ - المستشرق الروسي «بارثود » (ت ١٩٣٠ م) الذي تم تكليفه عن طريق الحكومة الروسية بالقيام ببحوث تخدم السيادة الروسية في آسيا الوسطى . وقد أسس مجلة باسم (عالم الإسلام) .

٣ - المستشرق (سنوك هورجرونيه) عالم الإسلاميات الهولندي الشهير ، فإنه في سبيل خدمة الاستعمار توجه إلى مكة في عام ١٨٨٥ م بعد أن انتحل اسما إسلاميا هو (عبد الغفار) ، وأقام هناك ما يقرب من نصف عام ، وقد ساعده على ذلك أنه كان يجيد العربية كأحد أبنائها ، وقد لعب هذا المستشرق دورا هاما في تشكيل السياسة الثقافية والاستعمارية في المناطق المستعمرة للهولنديين في الهند الشرقية ، وقد شغل « سنوك » مناصب قيادية في السلطة الاستعمارية الهولندية في أندونيسيا[2] .

---

(١) الاستشراق - محمود حمدي زقزوق صـ ٤٤ .

(٢) نفس المرجع السابق صـ ٤٥ - ٤٦ .

٤ - «هانوتو» ج . ت (١٩٤٤ م) المستشرق الفرنسي الذي كان بمقترحاته يوجه سياسة فرنسا في مستعمراتها الأفريقية الإسلامية والتي ركز فيها على إضعاف المسلمين في عقيدتهم حتى يسهل قيادهم[١] .

٥ - اللورد «كيرزن الإنجليزي» الذي كان متحمسا لإنشاء مدرسة للدراسات الشرقية لدعم الموقع الذي نالته بريطانيا في الشرق وقد تحولت هذه المدرسة فيما بعد إلى جامعة لندن للدراسات الشرقية والأفريقية . والذي يُظهِر لك مقدار اعتماد الدول الاستعمارية على الاستشراق أن الحكومة البريطانية كانت تضع سياستها في البلاد التي احتلتها بعد التشاور مع فريق من المستشرقين .

وهكذا يظهر لنا جليا الارتباط العضوي الذي كان يجمع بين الاستعمار والاستشراق وكيف استطاع الاستعمار أن يسخر الاستشراق لأغراضه الرخيصة ، وأن يُخرج الاستشراق عن أهدافه العلمية .

٦ - الدافع العلمي :

من المستشرقين نفر قليل جدا أقبل على الدراسات الاستشراقية لإشباع نهم علمي متجرد . وذلك بدافع من حب الاطلاع على حضارات الأمم ، وأديانها ، وثقافاتها ، ولغاتها . وكان هؤلاء النفر من المستشرقين أقل من غيرهم خطأً في فهم الإسلام وتراثه ، حيث جاءت بحوثهم أقرب إلى الحق والصواب ، إلا أن موارد هؤلاء المالية الخاصة بهم كانت قليلة لا تسعفهم بالانصراف لمثل هذه الدراسات والتي لا تلقى رواجا عند رجال الدين ولا عند رجال السياسة في بلدانهم ؛ لذا كسدت بحوثهم فقل عددهم حتى أصبحوا نادرين وهؤلاء مع إخلاصهم في البحث والدراسة لم يسلموا من الأخطاء والاستنتاجات البعيدة عن الحق ، إما لجهلهم بأساليب اللغة العربية وإما لجهلهم بالأجواء التاريخية الإسلامية على حقيقتها ، فيتصورونها كما يتصورون مجتمعاتهم الغربية ، ناسين الفروق الطبيعية والنفسية والزمانية التي تفرق بين المجتمعين ، ومن استطاع من هؤلاء أن يعيش

---

(١) الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي صـ ٣٠ .

بقلبه وفكره ويتجرد من جو البيئة التي كان يعيش فيها ، أتى بنتائج توافق الحق والصدق والواقع ومثل هؤلاء المستشرقين لايدعهم قومهم وشأنهم ، بل يهاجمونهم ، ويتهمونهم بالانحراف عن المنهج العلمي ، والانسياق وراء العاطفة لمجاملة المسلمين . ومن هؤلاء المستشرقين المستشرق « توماس أرنولد » الذي حين أنصف المسلمين في كتابه (الدعوة إلى الإسلام) الذي برهن فيه على تسامح المسلمين في جميع العصور مع مخالفيهم في الدين .

ومن هؤلاء المستشرقين من أدى به بحثه الخالص لوجه الحق إلى اعتناق الإسلام كما حصل ذلك مع المستشرق الفرنسي الفنان « دينيه » والذي سمى نفسه « ناصر الدين دينيه » وألف بعد ذلك مع عالم جزائري كتابا عن سيرة الرسول ﷺ . و « لدينيه » كتاب آخر بعنوان (أشعة خاصة بنور الإسلام) بين فيه تحامل قومه على الإسلام ورسوله . ومنهم المستشرق المجري «عبد الكريم جرمانوس » الذي أسلم في الهند سنة ١٩٣٠ م والذي ألف أكثر من (١٥٠) كتابا عن الإسلام ومنهم الطبيب الفرنسي « موريس بوكاي » صاحب كتاب « دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة » الذي أثبت فيه موافقة القرآن لأحدث الحقائق العلمية التي توصل إليها الناس بوسائلهم المختلفة اليوم[*] ، وغير هؤلاء كثير . ومثل هؤلاء المستشرقين يحتاجون من المسلمين أن يتبنوا كتبهم بنشرها والوقوف بجانبهم في كل ما يحتاجونه من دعم مادي ومعنوي ، فإنهم أقدر منا وأبلغ في إيصال دعوة الإسلام لأبناء قومهم وذلك لمعرفتهم الشاملة بما يناسب قومهم من أساليب وبراهين ، وما هم بحاجة لكشفه من شبهات وتفنيد ما ترسب في نفوسهم من أباطيل وأكاذيب[١] ﴿ **والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون** ﴾[٢] .

(*) والأستاذ «محمد أسد » صاحب كتاب منهاج الحكم في الإسلام .

(١) أجنحة المكر الثلاثة صـ ١٢٩ - ١٣١ (بتصرف) .

(٢) سورة يوسف (٢١) .

أهداف المستشرقين :

الذي ينظر في أعمال المستشرقين وجهودهم التي بذلوها في سبيل التعرف على الشرق وأحواله ودياناته وحضاراته .. إلخ يتساءل :

ما الذي دعا هؤلاء الباحثين الغربيين لبذل كل هذا الجهد والعمر والمال في دراسة غريبة عنهم . مع أنهم لو بذلوها لدراسة مجالات أوربية أخرى لكانت أكثر فائدة لهم من الناحية العلمية والمادية . ولسلموا من النقد الذي يوجه إليهم دائما ، فلا شك أن هناك دوافع قوية وأهدافاً رئيسية كانت وراء كل هذه الجهود وقد وجدت «نجيب العقيقي » في كتابه (المستشرقون) قد جعل الدافع العلمي وراء كل هذه الجهود .

ولكني أجد أن الاستشراق ولد في حضن التنصير ، وكبر في حضن الاستعمار ، ونضج في النهاية في حضن المؤسسات التعليمية .

وقد أكد «رودي بارت » أن الدافع العلمي في الحركة الاستشراقية لم يظهر إلا في منتصف القرن التاسع عشر .

فالذي يرجع لبداية تاريخ الاستشراق يجد أن الهدف الديني هو أساس انطلاقة الحركة الاستشراقية ولم يستطع الاستشراق أن يتحرر من إسار الخلفية الدينية حتى نهاية القرن التاسع عشر إلا قليلا . وقد تمثل هذا الهدف باتجاهات ثلاثة :

١ – محاربة الإسلام والبحث عن نقاط ضعف فيه ، وإبرازها وتضخيمها والزعم بأنه دين مأخوذ من النصرانية واليهودية ، والانتقاص من قيمته والحط من قدر نبيه .

٢ – حماية النصارى من خطر الإسلام بحجب حقائقه عنهم ، وتحذيرهم من خطره عليهم .

٣ – حملات التنصير بين المسلمين ، لتشكيكهم في دينهم ، وهز ثقتهم

فيه وخير ما يوضح هذا الهدف قرارات مؤتمر (فينا) الكنسي الذي عقد سنة ١٣١٢ م .

واعتبار هذا الهدف هو أساس الأهداف كلها لا يعني أنه لا يوجد أهداف أخرى واكبت حركة الاستشراق في خلال مسيرتها . وسأستعرض هذه الأهداف بشيء من التفصيل .. والله الموفق .

١ - منع انتشار الإسلام في أوربا وغيرها والحيلولة بينه وبينهم ، حفاظا على سلطان الكنيسة ومغانمها . وذلك لما رأوا في الإسلام من تمتع بقوى ذاتية يصل من خلالها للنفوس ، بسبب جلاء معانيه ، وبساطة تعاليمه ، وانسجامه مع الفطرة ، وصلاحيته لكل زمان ومكان وفي كل الظروف[١] لذا قاموا بتشويه الإسلام ، وحجب محاسنه عن أقوامهم لإقناعهم بعدم صلاحيته لهم كنظام حياة .

وقد استغل المستشرقون كراهية الأوربيين للإسلام بسبب التوسع العثماني في أوربا ، وما صحبه من تعصب وحروب لعدة قرون ، فعمد المستشرقون إلى تعميق هذه الكراهية والأحقاد في نفوس الأوربيين وتغذيتها بالشبهات والأباطيل .

٢ - اقتباس أفكار إيمانية من الإسلام لتثبيت أقدام الكنيسة في بلادها بفكر ديني معقول . وهذا يظهر جليا في مسائل القضاء والقدر وكلزوم التداوي من الأمراض اليوم وخلاف ما كان يعتقده القوم سابقا[٢] . واختيار الإنسان في أعماله الإرادية .. وفي مسائل الإيمان عامة كالإيمان بوحدة الكون ووحدة نظامه في الأرض والأجرام السماوية . وسلك رجال الكنيسة في إيراد الدلائل العقلية على الإيمان بالله كثيرا آخذيها من مسائل علماء الإسلام المتقدمين الواردة في الكتاب والسنة وكتب علم الكلام . ولا يعني هذا أن الفكر الكنسي الغربي قد خلص من جميع آفاته بل إنه لا يزال يعول على ما نسميه : العقيدة الاحتياطية ، والتي يقصدون بها أن العقيدة الدينية قضايا فوق العقل ، فالتسليم بها واجب

(١) وحي الله - د . عتر صـ ٣٢ .
(٢) انظر شمس العرب تسطع على الغرب للمستشرقة الألمانية زيغريد هونكة - صـ ٢١٥ .

ومناقشتها بالدلائل محظور وذلك تخلصا من نقاش عامة النصارى للأسس والعقائد الكنسية المنافية للعقل والعلم كالتثليث ونحوه[1] .

٣ - جعل الدراسات الاستشراقية مصدراً لتعليم الإسلام للمسلمين أنفسهم ومصدرا للدراسات عن الشرق عامة .

لقد شملت دراسات المستشرقين كافة الدراسات العربية والإسلامية مما دعا قومنا لإكبارهم والإعجاب بإنتاجهم العلمي واثقين بهذه الدراسات كل الثقة لتوهمهم أنها أنشئت على الموضوعية العلمية والحياد والإنصاف في البحث ابتغاء الحقيقة .

وغفل قومنا أن هؤلاء لم يكونوا أمناء على كتابهم المقدس فكيف بهم يؤمِّنون على دراساتنا ولغاتنا . والذي يطلع على ما كتب هؤلاء يجد أنهم وضعوا السم في الدسم ، وقلبوا الحقائق وكتموا الحق وهم يعرفونه . وقد وصل الهوان بقومنا أن أصبحت مناهج التعليم في كثير من الدول الإسلامية في المدارس والجامعات من صنع هؤلاء المستشرقين .

قال الأستاذ «عبد الرحمن الميداني » : [وسقطت معظم الجامعات المنشأة في بلاد المسلمين تحت الأيدي الخفية للاستشراق والتبشير والدوائر الاستعمارية ، وغدت خططها ومناهجها وتوجيهاتها تخضع بطريق غير مباشر لما تفرضه وتمليه هذه الأيدي الخفية ، وغدت الكنيسة الغربية تفخر بأن العلوم الإسلامية والعلوم العربية تدرس على طريقتها التي تخدم أغراضها في بلاد المسلمين ، وبأن المشرفين على تدريس هذه العلوم من تلامذة أبنائها][2] .

وأي انتكاس أقبح من هذا الانتكاس ، أن يتعلم المسلمون دينهم ولغاتهم وفق طرائق أعدائهم وأعداء دينهم ، ووفق دسائسهم وتشويهاتهم وتحويراتهم وأكاذيبهم وافتراءاتهم .

---

(١) وحي الله - د / عتر صـ ٣٣ - ٣٤ .

(٢) أجنحة المكر الثلاثة - للميداني صـ ١٥٠ ، طبعة دار القلم - دمشق .

٤ – تمزيق الوحدة اللغوية في الأمة الإسلامية حرصا على تمزيق عقيدة الأمة ووحدتها .

صب المستشرقون وعملاؤهم أشنع الاتهامات على اللغة العربية فزعموا أنها عاجزة عن مسايرة ركب الحضارة المعاصرة ، وموكب العلم الحديث مع أن هذه اللغة أقوى لغات العالم في توليد الألفاظ والكلمات اللازمة للمعاني المستحدثة بالنحت والاشتقاق ، والقلب والإبدال والتعريب[١] .

فركز المستشرقون طعوناتهم في حيوية هذه اللغة وروجوا لغيرها من اللغات بأساليب متعددة منها :

أ – زعمهم أن اللغة العربية اقتبست كلمات عربية من لغات قديمة متنوعة. مما يدل على قصورها في تلبية حاجات الشعوب والمعروف أن الشعوب تتأثر ببعضها ثقافة وحضارة إلى غير ذلك من الأمور ، لذا فأمر طبيعي انتقال بعض المفردات من أمة إلى أمة أخرى كما هو ملاحظ اليوم بين شعوب الأرض قاطبة .

ب – ومن ذلك زعمهم أن اللغة العربية عسيرة التعلم ؛ لذا تبنوا الدعوة إلى اللغة العامية ليجمدوا تقدم العربية وتمكنها من نفوس المسلمين فيضعف فهمهم للقرآن الكريم .

وكان على رأس الداعين لهذه الدعوة من المستشرقين « د . نللينو » الإيطالي ، و « سيافكوفسكى » الروسي ولكل منهما كتاب بعنوان (دراسة عامية مصر) .

والمستشرق « فيليب وولف الألماني » وله كتاب بعنوان (دراسة عامية مصر والشام وفلسطين) ومجموعة من علماء فرنسا برئاسة «ماشويل » ولهم كتاب بعنوان (دراسة عامية المغرب وتونس) .

والمستشرق « إلياس برازين » الروسي وله كتاب بعنوان (دراسة عامية

---

(١) الفصحى لغة القرآن الكريم . أنور الجندى ، صـ ٥١ .

الجزيرة العربية وبين النهرين) والمستشرق « يوريال » الفرنسي وله كتاب (عامية حلب) .

والمستشرق « فرانكل » وله كتاب (الكلمات الآرامية الدخيلة في العربية) ، وغير هؤلاء كثير . كما للمستشرقين مجموعة من الصحف التي اعتنت بهذا الجانب ومن المؤسف أن كثيرا من أبناء جنسنا من المفكرين والأدباء والكتاب قد حمل وزر هذه الدعوة منهم :

« لطفي السيد » حيث كتب عدة مقالات في جريدة (الجريدة) سنة (١٩١٣ م) يدعو فيها إلى استعمال الألفاظ العامية وإدخالها حرم اللغة الفصحى ، و « قاسم أمين » حيث أعلن تصريحه عن الإعراب وتسكين أواخر الكلمات عام (١٩١٢ م) ، و« الخوري مارون غصن » حيث ألف كتاباً بعنوان (حياة اللغة وموتها) « اللغة العامية » سنة (١٩٢٦ م). و « سلامة موسى » وله كتاب (الدعوة إلى اللغة العامية وكتابة البلاغة العصرية) ، و « طه حسين » حيث ألف كتابه (مستقبل الثقافة) سنة (١٩٣٩ م) ، وقد بلغ ببعضهم المطالبة بتغيير الحروف العربية إلى اللاتينية. كان منهم « عبد العزيز فهمي » حيث قدم مشروعا إلى المجمع اللغوي المصري في ٢٤ يناير ١٩٤٤ م لاتخاذ الحروف اللاتينية لرسم الكتابة العربية[١] .

ج - دعوا إلى إحياء اللغات القومية لكل جنس كالفارسية والتركية والأوردية والكردية والبربرية وغيرها .

والمعروف أن اللغة العربية من أهم عوامل الوحدة بين الشعوب الإسلامية، وهي عامل تعلمهم الإسلام وفهمهم للقرآن الكريم ، وعامل توحيدهم فكريا وعقائديا واجتماعيا وشعوريا ، ولكن ضعف المسلمين وغفلتهم هو الذي أدى لخسران المسلمين للغتهم ولكن هذه الدعوات ولله الحمد قد باءت بالفشل بعد ما تبينت أغراضها[٢] وسوء مقاصد أصحابها .

---

(١) الفصحى لغة القرآن صـ ١٨٥ .

(٢) وحي الله - د . عتر ٣٨ - ٤٠ .

٥ - إضعاف الشخصية الإسلامية بالاحتيال والتزوير في تاريخ الإسلام المجيد ، ومحاولة تحطيمها كذلك بالحرب النفسية .

المعروف أن التاريخ المجيد ذا الصفحة البيضاء لأي أمة يعتبر من أهم العناصر الفعالة في تكوين شخصية المواطن لتصبح قوية وتندفع في سلم الترقي والتقدم فالتاريخ هو شخصية الأمة .

لذا فالمستشرقون لم يتركوا هذا الجانب من الدراسات الإسلامية دون اهتمام وبحث فدرسوا التاريخ الإسلامي وأخذوا يغيرون حقائقه ويخفون صفحاته البيضاء ، ويظهرون ما كان فيه من ثغرات ويضخمونها كبعض الفتن التي حصلت في تاريخ الإسلام حيث ضخموها أضعاف حجمها ، مضيفين إليها تفسيراتهم الخاصة كالتفسير المادي المنزوع منه الجمال الإيماني ، والرجولة العربية المتميزة كما فعل ذلك بروكلمان وفيليب حتى في كتاباتهم ، وغيرهما .

لذا فالواجب على المهتمين بهذا الجانب من الدراسات من المسلمين أن يعيدوا النظر فيما كتب هؤلاء المستشرقون فينظفوا تاريخنا من دسائسهم وافتراءاتهم وأكثر من حمل وزر هذه الافتراءات « فيليب حتى » ، و «بروكلمان » .

٦ - تحويل المسلمين عن دينهم ، وإشاعة البلبلة الفكرية في صفوفهم ، وتحطيم الوحدة الفكرية التي تجمعهم ؛ لتصير البلاد لقمة سائغة للأعداء ، ويصير المسلمون أتباعا لهم خاضعين لسلطانهم .

لذا ركز المستشرقون في دراساتهم على تشكيك المسلمين في دينهم وإضعافه في نفوسهم ، والتشكيك في صحة نبوة سيدنا محمد - ﷺ - وبإضعاف الروح المعنوية عند المسلمين ، وإضعاف ثقتهم في نفوسهم وذلك بتعظيم أمر الحضارة الغربية في أعينهم وتقليل شأن الحضارة الإسلامية حتى ينظر لهم بعين الإعجاب ويتبع ذلك سهولة الانقياد . وركزت دراسات المستشرقين كذلك على كل ما يُبعد المسلمين عن دينهم وقيمهم وأخلاقهم بنشر المذاهب الهدامة والمبادىء

الفاسدة المخالفة للشرع الإسلامي الحنيف ، وإيهام الشباب أن سبب تخلف البلاد الإسلامية التمسك بالدين الذي يربي أفراده على الجمود والرجعية – على حد زعمهم – كل ذلك لتذويب الشخصية الإسلامية ولتسييرها في ركب الغرب الغاشم بسهولة ويسر .

٧ – تأييد الغزو الاستعماري لبلاد المسلمَين والعمل على تحطيم المقاومة الإسلامية .

لذا قام المستشرقون بتقديم خدمات عدة لهذا الغرض ، من هذه الخدمات : تزويدهم الاستعمار بما يحتاجه من دراسات استشراقية عن مناطق نفوذه مما يسهل له مهمته ويمكنه من رقاب الشعوب الإسلامية وذلك بتعريفه بنقاط القوة في العالم الإسلامي لهدمها ومواطن الضعف للتسلل من خلالها ، فمن أجل هذه المهمة فتح المستشرقون في المنطقة جامعات وزودوها بالأساتذة الفاهمين لدورهم ، وزودوا الحملات الاستعمارية بأصحاب اختصاص ومعرفة بالشرق وأحواله من المستشرقين .

ولتسهيل المهمة أكثر فتحوا كراسي للغة العربية والدراسات الإسلامية في جامعاتهم لتخريج كوادر طلابية تحمل سموم أفكارهم وتهيىء لهم المناخ في بلادنا لتحقيق أهدافهم وغاياتهم كما أنهم أعدوهم لتولي مناصب هامة في بلادنا لتنفيذ مخططاتهم كما أن هؤلاء المستشرقين يبذلون قصارى جهدهم لتحطيم مكامن القوة الإسلامية فشنوا حملاتهم ضد مفهوم الجهاد الإسلامي مع محاولاتهم صرف أنظار المسلمين إلى الدعة والقعود عن هذا الجهاد طالما أنه في سبيل الله . مع دفع مفهوم الجهاد الحقيقي لمعنى آخر وهو :

الاشتغال بالعبادة والزهد وتسميته بالجهاد الأكبر وإكمالا لهذا الأمر تبنوا الجماعات التي تؤول الجهاد عن معناه الحقيقي وتمنعه كالأحمدية والقاديانية في باكستان وغيرها[(١)] ، كما عمل المستشرقون على تحطيم وحدة المسلمين ، وتمزيق

(١) الرسول في كتابات المستشرقين صـ ١٢٠ .

الدول الإسلامية ، وعزل الشريعة الإسلامية عن التطبيق في المجتمع المسلم ، وإحلال الأنظمة الوضعية القانونية والسياسية والتربوية محل أنظمة الإسلام العظيم بالقوة .

٨ - التنفير من العودة للخلافة الإسلامية :

لاشك أن الخلافة الإسلامية من أهم العوامل في توحيد المسلمين وجمع كلمتهم ، وإعادة مجد قوتهم وعزتهم ؛ لذا ركز المستشرقون والمبشرون والمستعمرون في دراساتهم وأعمالهم للحيلولة بين المسلمين وهذا المطلب العزيز ؛ فأخذ المستشرقون على عاتقهم نشر كل ما يسيء للخلفاء بتوهين شخصياتهم وتشكيك الناس في حسن أخلاقهم وإداراتهم ، فأخذوا يكيلون لهم كل تهمة باطلة كما هو الحال مع الخليفة الصالح « هارون الرشيد » الذي يعتبرونه رجل مجون وفسق زورا وبهتانا ، ناقلين أخباره من كتب غير علمية ، وأكثر ما هاجم هؤلاء المستشرقون الخلافة العثمانية التي تآمر المستعمرون واليهود على إسقاطها والتي يسعى المستشرقون والمبشرون والمستعمرون من الدول الكبرى من الحيلولة دون رجوعها إلى البلاد الإسلامية[1] .

وكما ركز المستشرقون في دراساتهم المصدرة لنا بحروبهم النفسية لتحطيم الشخصية الإسلامية كزعمهم أن الناس أجناس فالغرب جنس آري فطر على الذكاء والنبوغ والمواهب والعلم والعبقرية ، وأن الشرق جنس سامي لا يرقى لهذا المستوى وليس هو بأهل له فالغرب غرب والشرق شرق ، كما بثوا زعمهم أن العوالم دول صناعية متقدمة وهي دول الغرب ، ودول نامية متخلفة يقصدون بذلك ما سواهم ، حتى يرسخوا في نفوس المسلمين أنهم شعوب متخلفة لا ترقى لمصاف الدول المتقدمة ، وشنوا حربهم على كل بادرة تقدم في ديارنا ونهبوا خيرات بلادنا باشتراء مواردنا الخام بأرخص الأثمان ليصنعوا منها أسلحتهم ، وصناعاتهم بأنواعها وأخذوا يبيعونها في البلاد الإسلامية بأغلى الأثمان .

---

(١) وحي الله - د . عتر صـ ٤٢ - ٤٣ .

كما قام هؤلاء المستشرقون بإقناع أغنياء العالم الإسلامي بحفظ أموالهم في بلاد الغرب فانجر أغنياء الدول الإسلامية لهذه الخدعة فسلموهم أموالهم وأخذ الغرب يعمل ويصنع بها ، وإذا احتاجت دولة من الدول الإسلامية لقرض من القروض داينوهم من هذه الأموال بفوائد سنوية ربوية كبيرة ، فإن عجزوا عن التسديد تضاعف الربا عليهم ، حتى أثقلوا كاهلهم بالديون ، وقلّ أن تجد دولة إسلامية وليس عليها ديون كبيرة نتيجة لهذه الخطة الماكرة ، فبهذه السياسة الرهيبة تمكن المستعمرون بتوجيه من المستشرقين من رقاب المسلمين ، وحكامهم ، فأصبح الحكام لايقدرون أن يعصوا لهم أمرا وإلا هددوهم بما عليهم من التزامات مالية كبيرة .

وإذا قام مصلح أو جماعة إصلاحية تنبه لهذا الخطر المدلهم أوعزوا إلى هؤلاء الحكام بالتهديد بديونهم تارة وبتخويفهم من ضياع سلطانهم تارة أخرى بالضرب بيد من حديد على يد هؤلاء المصلحين . وكان لهم ما أرادوا فامتلأت السجون بالدعاة المصلحين ، وحوربوا في أرزاقهم وحرياتهم واعتدي على كراماتهم وأعراضهم ردعا لهم عما قاموا من أجله ، وتفوهوا به من الإصلاح ، ووصل الأمر إلى حد التصفيات الجسدية وبإشراف من هؤلاء الغربيين على الأمر بأنفسهم من خلف الستار .

فبهذه السياسة الرهيبة للمستشرقين والدراسات الحاقدة لهم تكونت عقدة النقص في الشعوب الإسلامية ، مما دعاهم للتقليد الأعمى ، والتبعية دون وعي منهم لهذه الدول الكافرة ، مع الخضوع والذلة لهم والسير كما يريدون .

والحل هو أن ننتبه لخطر هذه الدراسات الاستشراقية ، وخطر سياسات هذه الدول الاستعمارية ، وأن نعرف مايريدون من بلادنا وشعوبنا وأن نعرف أنهم ذئاب بثياب حملان ، وأعداء بألسنة مطلية بالعسل وحلو الكلام وعلى حكامنا إعادة الثقة بنفوس شعوبهم والتخفيف ما أمكن من حاجاتنا لهذه الدول المستعمرة وتقليل التبعية لهم مع رفع مستوى بلادهم خلقيا ونفسيا وصناعيا .

٩ -تشكيك المسلمين بقيمة تراثهم الحضاري :

فقد ركز المستشرقون في أبحاثهم على أن الحضارة الإسلامية منقولة عن حضارة الرومان ، وما المسلمون في نظرهم إلا ناقلون لفلسفة هذه الحضارة ، وإذا ذكروا شيئا من محاسن حضارتنا - على مضض - انتقصوه وقللوا من شأنه[١] ، ليشككوا المسلمين في تراثهم العريق العظيم الذي أقام أمة فريدة متميزة في كل شؤون حياتها فنالت الخيرية على كل أمم الأرض .

وقد شككوا كذلك في التراث العلمي للمسلمين زاعمين أنه قد دخله التحريف والوضع والكذب كما هو حال الحديث النبوي الشريف .

كل ذلك لتشكيك المسلمين في تراثهم العلمي ويضطروهم للأخذ بالتراث الغربي فيسهل للاستعمار تشديد الوطأة عليهم ، والتحكم بهم ، وإضعاف روح المقاومة والدفاع عن أنفسهم عندهم حيث تذوب شخصيتهم في غيرهم .

(١) الاستشراق والمستشرقون - السباعي صـ ٢٣ .

المبحث الثالث

وسائل المستشرقين

تعددت وسائل المستشرقين في الوصول لتحقيق أغراضهم ونشر أفكارهم الاستشراقية .

وذلك لأنه أصبح استشراقا مبرمجا وراءه مؤسسات دينية أو سياسية أو اقتصادية تدعمه .

وقد أخذت هذه المؤسسات تغدق على المستشرقين بالأموال الطائلة ، والمناصب العالية والألقاب الرفيعة ، وحبست لهم الأوقاف ليتمكن العاملون في هذا المجال من أداء مهماتهم بيسر وسهولة .

فمن هذه الوسائل التي استخدموها :

١ - تأليف الكتب ، وتحقيق المخطوطات ، وإصدار الموسوعات العلمية الإسلامية والشرقية بوجه عام وغير ذلك .

أ - تأليف الكتب :

قام المستشرقون بتأليف الكتب في جميع العلوم العربية والإسلامية والشرقية مظهرين عليها طابع العلم المتجرد ولكن هذه الكتب لم تخل من دسهم فيها مقدارا من السم وإن كانوا حريصين كل الحرص أن لا يزيدوا على مقدار قدروه ، ونسبة عينوها حتى لا يستوحش القارىء ولا يثير ذلك فيه الحذر ، ولا تضعف ثقته بنزاهة المؤلف وهذا فيه صعوبة بالغة لرجل متوسط في عقليته أن يدرك هذه السموم لذا فتجده ينساق لها ويتأثر بهذه الكتابة .

وكتابة هؤلاء أشد خطرا علينا ممن يجاهر بالعداء ويسفر عن ذلك في كتاباته فالحرص منه أسهل[1] وسيأتي ذكر مجموعة من هذه المؤلفات تحت مبحث خاص بها .

ب - تحقيق كتب التراث :

اهتم المستشرقون بعملية تحقيق كتب التراث في الشرق عامة والإسلام خاصة في كل موضوع من مواضيع القرآن الكريم والسنة المطهرة والسيرة النبوية العطرة ، والفقه والكلام .

كما تحدثوا عن تاريخ الإسلام ، والصحابة والتابعين الكرام ، والأئمة المجتهدين والمحدثين والفقهاء ، والمشايخ والصوفية ، ورواة الحديث وعن فن الجرح والتعديل ، وأسماء الرجال ، وحجية السنة ، وتدوينها ، ومصادر الفقه الإسلامي ، وتطوره في أسلوب لا يخلو عن التشكيك وإثارة الشبهات ، ويكفي لزعزعة العقيدة والترغيب عن الإسلام لرجل ليس له نظر عميق في هذا الموضوع ،[2] وغالبا يشتركون في التحقيق مع بعض العلماء المسلمين ولكنهم يخفون أسماءهم لسبب أو لآخر .

ولا شك أن ما حققوه من تراثنا كان من أجل خدمة أغراضهم وأهدافهم وليتعرفوا على أسرار هذا الدين العظيم .

وقد ركز المستشرقون على إحياء التراث الإسلامي المنحرف كالباطني والمجوسي والغنوصي القديم هادفين من وراء ذلك تحطيم أصالة الفكر الإسلامي كما ركزوا على نشر الفكر الإلحادي والمنحرف كفكر غلاة الصوفية وبعض المنحرفين من أهل الحلول والاتحاد والإباحية وغير ذلك[3] .

---

(١) الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية في الأقطار الإسلامية لأبي الحسن الندوي صـ ١٩٠ .

(٢) الصراع بين الفكرة الإسلامية والغربية صـ ١٩٠ .

(٣) أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي، د/ علي جريشة ومحمد الزيبق دار الاعتصام، صـ ٢٥-٢٦.

ج – إصدار الموسوعات العلمية :

ومما اعتنى به المستشرقون على اختلاف جنسياتهم إصدار الموسوعات العلمية عن الشرق وعلومه .

ومن أخطر هذه الموسوعات (دائرة المعارف الإسلامية) والتي صدرت بعدة لغات عالمية وقد كتبت بأسلوب علمي ميسر للمثقف العام مما جعلها موضع إقبال أبناء المسلمين أنفسهم .

وقد حشد لهذه الموسوعة كبار المستشرقين ، وأشدهم عداء للإسلام ودس فيها السم بالدسم ، ونثرت فيها أباطيل كثيرة عن الإسلام والمسلمين .

ومن المؤسف أنها مرجع لكثير من المثقفين من أبناء المسلمين وكذلك لكثير من العلماء والمفكرين على ما فيها من خلط وتزييف وقلب للحقائق وتعصب سافر ضد الإسلام والمسلمين .

وهناك موسوعات عامة : كالموسوعة الفرنسية (لاروس) والموسوعة البريطانية[1] ، وموجز دائرة المعارف الإسلامية ، وموسوعة معارف العلوم الاجتماعية ، ودائرة المعارف (الدين والأخلاق) وغيرها كثير .

د – صنع المعاجم اللغوية وغيرها :

كما اهتم المستشرقون بتأليف المعاجم وقد أفادوا كثيرا في هذا الجانب من المعاجم الإسلامية المتقدمة منهاجا ودقة فمنها :

أ – معاجم دينية :

وهذه المعاجم بعضها اهتم بالآيات القرآنية مثل : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن وبعضها اهتم بالحديث النبوي الشريف كالمعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي الشريف .

(١) أجنحة المكر الثلاثة صـ ١٣٢ – ١٣٣ ، وحي الله صـ ٢٥ .

ب - معاجم لغوية :

ومما اهتم به المستشرقون كذلك صناعة المعاجم اللغوية .

مثل : تاريخ الأدب العربي - بروكلمان - وهو مشهور في الأوساط الأدبية واللغوية والعلوم الإسلامية .

وكتاب تاريخ الأدب العربي وهو في سبع مجلدات تأليف « هامربوجشتال » وقد ترجم لـ (٩٩١٥) أديبا وشاعراً .

ومن أضخم هذه المعاجم معجم فينشك الروسي (١٩٠٢ - ١٩٣٩) وكانت مدة عمله له في ١٥ سنة وقد تمكن من تسويد (٣٠٠) ألف بطاقة وتوفي ولم يكمله .

ومن أعظمها انتشارا وأهمية معجم فيشر اللغوي الأدبي المقارن باللغات السامية القديمة والذي جمع فيه اللغة من ديوان امرىء القيس والقرون الثلاثة الأولى بعد الهجرة .

ج - معاجم عامة :

مثل المعجم العام لـ « هوبلر الفرنسي » ١٦٢٥ - ١٦٩٥ ومعجم الإسلام بالإنكليزية «هيوز » لندن ١٩٨٥ وغيرها[(١)] .

هـ - ترجمة الكتب الإسلامية للغاتهم :

كما اهتم المستشرقون بترجمة كثير من الكتب الإسلامية خاصة والشرقية عامة للغاتهم المختلفة والذي يزور مكتباتهم يجدها حوت كثيرا من تراثنا بكل فروع العلوم مترجمة إلى لغات القوم المتعددة ؛ وذلك ليسهل عليهم الرجوع لها ، ولأن الكثير منهم لا يجيدون العربية ولم تتح لهم الفرصة لتعلمها[(٢)] وعلى رأس هذه

---

(١) في الغزو الفكري المفهوم - الوسائل - المحاولات للأستاذ نذير حمدان صـ ٢٥٤ - ٢٥٥ .

(٢) انظر المستشرقون والإسلام - اللبان صـ ٢٠ - ٢١ .

الكتب التي قاموا بترجمتها القرآن الكريم - لتزييف مفاهيمه وانتقاصها - وكتب السنة وعلى رأسها الصحيحان إلى غير ذلك من الكتب .

٢ - إنشاء المطابع الشرقية :

دأبت البلاد الغربية على إنشاء المطابع التي تحوي الحروف العربية والعبرية والفارسية ، وغيرها، حيث بدأت هذه المطابع عملها في إيطاليا ثم في فرنسا . ومن هذه المطابع في أسبانيا مطبعة ما يستري في مدريد ومطبعة المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد أيضا ، وفي النمسا المطبعة الإمبراطورية والمطبعة الشرقية للآباء المختارين . وفي هولندا مطبعة ليون وهناك كثير من هذه المطابع في مختلف أنحاء أوربا[١] .

أما الهدف من إنشاء هذه المطابع وذلك لتسهل عليهم مهماتهم بإيصال أفكارهم إلى العالم الإسلامي بسهولة ويسر .

٣ - إنشاء الجمعيات وإصدار المجلات والصحف :

من الأمور التي اهتم بها المستشرقون لبث أفكارهم وتحقيق أغراضهم إنشاء الجمعيات الاستشراقية وإصدار المجلات والدوريات فقد زاد عدد هذه المجلات وحدها عن (٣٠٠) مجلة خاصة بالاستشراق ، عدا المئات من مجلاتهم العامة التي تتعرض له في موضوعاتها العامة ، كمجلة القانون المقارن ومحفوظات التاريخ ، ومباحث العلوم الدينية وهي تنتشر بعدة لغات عالمية والتي ينشر فيها مباحث ومخطوطات ووثائق وغير ذلك[٢] من الدراسات المختلفة .

أ - أنشأ الفرنسيون جمعية من المستشرقين سنة ١٧٨٧ م وألحقوها سنة ١٨٢٠ بالجمعية الآسيوية الفرنسية تعاضدها وتتعاون معها ، ثم أصدرت هاتان الجمعيتان (المجلة الآسيوية) ومن المجلات الفرنسية المشهورة التي علا صيتها

---

(١) المستشرقون ومشكلات الحضارة ، د . عفاف صبره صـ ٣٢ .

(٢) المستشرقون . العقيقي جـ ٣ ، صـ ٣٧٧ .

(مجلة العالم الإسلامي) وهذه المجلة تتجه اتجاها تبشيريا (كاثولوكيا) وقد كان ظهورها في سنة ١٩٠٦ م بإدارة المسيو « الفرد لو شاتليه » الأستاذ في كلية فرنسا .

ب - في إنجلترا تألفت جمعية لتشجيع الدراسات الشرقية عام ١٨٢٣ م، وقد كان ملك إنجلترا الرئيس الفخري لها وقد صدر عنها مجلة (الجمعية الآسيوية الملكية) .

ج - في أمريكا أنشأ الأمريكيون سنة ١٨٤٢ م جمعية ومجلة . فقد كانت الجمعية باسم (الجمعية الشرقية الأمريكية) .

أما المجلات التي أصدرها الأمريكيون في هذا القرن ، مجلات تطبع الاستشراق بالطابع السياسي ، وتوجه معظم أبحاثها ودراساتها نحو السياسة الاستعمارية المبطنة التى تحاول فيها أمريكا أن تبسط نفوذها على الشرق عامة وعلى العالم العربي والإسلامي خاصة . ومنها مجلة (جمعية الدراسات الشرقية) وكانت تصدر في مدينة « جامبير » في ولاية أوهايو ، ولها فروع في معظم عواصم أوربا في لندن وباريس وغيرها . ومثلها مجلة (شؤون الشرق الأوسط) ومجلة (الشرق الأوسط) وطابعها كلها على العموم طابع الاستشراق السياسي .

ومن أخطر المجلات التي يُعنى بها المستشرقون الأمريكيون في الوقت الحاضر (مجلة العالم الإسلامي) التي أنشأها زعيم المستشرقين المنصرين «صمويل زويمر » في سنة ١٩١١ م وهذه المجلة تعنى بالاستشراق التنصيري وذلك لتشجيع الإرساليات التنصيرية (البروتستانت) وتناولت القضايا التي تتصل بتنصير العالم الإسلامي[١] .

كما أنشأ المستشرقون الألمان ، والنمساويون ، والإيطاليون جمعيات ومجلات استشراقية خاصة بهم .

---

(١) في الغزو الفكري - نذير حمدان، صـ ٢٥١ - ٢٥٣ .

ويتبين مما مضى أن الدوريات التي أنشأها المستشرقون يمكن أن تقسم إلى ثلاثة أنواع :

أ - علمية دراسية تحليلية في ظاهرها ، تتناول القضايا الفكرية الإسلامية من جانب ثقافي لتطرح من خلاله الشبهات وتظهره على صور تؤدي بالفكر الإسلامي إلى الشك والحيرة والتردد . وهذا العمل يقصدون منه هدم أصول الإسلام أو إضعاف المسلمين .

ب - مجلات استعمارية سياسية تقصد نشر الفكر الاستعماري في الأمة العربية والإسلامية . وهذه المجلات تحاول إبراز حاجة المسلمين للمدنية الغربية وجهلهم بالتقدم العلمي وعدم قدرتهم على مواصلة البحوث المتطورة في عالم الصناعة .

ج - مجلات تنصيرية غايتها الأساسية ارتداد المسلمين وتنصير الوثنيين وهذه المجلات قد احتضنتها الدول الكبرى لهدف استعماري في الأصل(١) .

أما بالنسبة للصحف فهي كذلك كثيرة فقد استطاع المستشرقون استئجار مجموعة من الصحف العالمية لبث أفكارهم وبحوثهم إلى الآخرين فيها ، واستطاعوا كذلك أن يستأجروا كتّابا وأساتذة جامعيين وغير جامعيين ، وأدباء ، وشعراء من أبناء الشعوب الإسلامية ، يحملون أفكارهم وينشرونها بأقلامهم وألسنتهم ، ليكونوا أكثر تأثيرا في الأجيال الناشئة من أبناء المسلمين ، وهؤلاء هم الأبواق الناعقة لهم ، الأجراء والعملاء والتلاميذ المخلصون أمثال : سلامة موسى ، طه حسين ، وغيرهما(٢) .

وقد عبر عن أهمية الصحافة بالنسبة للمستشرقين المستشرق « جب » حيث قال : « .. يجب ألا ينحصر الأمر في الاعتماد على التعليم في المدارس الابتدائية

---

(١) نفس المرجع صـ ٢٥٤ .

(٢) أجنحة المكر الثلاثة صـ ١٣٤ .

والثانوية ، بل يجب أن يكون الاهتمام الأكبر إلى خلق رأي عام ، والسبيل إلى ذلك هو الاعتماد على «الصحافة » .

ويقرر « جب » أن الصحافة هي أقوى الأدوات الأوربية وأعظمها نفوذا في العالم الإسلامي[1] .

لذا لا غرابة أن نجد كثيراً من الصحف في العالمين العربي والإسلامي تخدم هذا الهدف .

٤ - إنشاء المؤسسات التعليمية من : مدارس ، ومعاهد ، وجامعات ، وكراسي جامعية والتسلل للمجامع العلمية :

اهتم المستشرقون والمبشرون بالمؤسسات التعليمية بأنواعها لتخريج جماعات من الطلبة تجيد اللغات الشرقية ومهيئين لتحمل المسؤوليات التي ستلقى على عاتقهم تجاه الشرق وأهله ، وليكونوا عملاء للاستعمار في بلاد الإسلام ، الاستعمار بشتى أساليبه وألوانه وليكونوا أداة تقوض صرح البناء الإسلامي من جميع جوانبه الدينية والثقافية والاجتماعية ، وذلك باتصالهم بالمسلمين فيوهمونهم بأنهم على معرفة تامة بأحوال الشرق وعلومه وعقائده ولغاته ، وهذا ما دأب عليه الاستشراق لتوهين قوى المسلمين وإيهامهم في كل مناسبة بأنهم ضعفاء ومتخاذلون في شتى الميادين .

وسأذكر بعض هذه المؤسسات التعليمية الاستشراقية .

أ - إنشاء المدارس :

اهتم المستشرقون بالمدارس ذات الطابع التبشيري ، والمدارس الحديثة التي أسست على مفاهيم غربية ، حيث وضعوا لها المناهج الخاصة وزودوها بمدرسين ذوي مهمة خاصة ليربّوا عليها النشء بطريقتهم الخاصة .

---

(١) المستشرقون ومشكلات الحضارة صـ ٤٦ .

وإنشاء هذه المدارس مهمة ذات اتجاهين : تبشيرية استشراقية ؛ لأن الاستشراق مغذ لروح التبشير والعقل المدبر له .

قال المبشر « جون تكلمي » : يجب أن نشجع المدارس ، وأن نشجع على الأخص التعليم الغربي . إن كثيرين من المسلمين قد زعزع اعتقادهم حينما تعلموا اللغة الإنجليزية ، إن الكتب المدرسية الغربية تجعل الاعتقاد بكتاب شرقي مقدس أمراً صعباً جداً[1] .

وكان اعتناء المستشرقين بالمدارس منذ القَرنين الخامس عشر والسادس عشر ، حيث أنشئت مدرسة الجمعية المقدسة سنة ١٦٢٢ م وقد أنشئت هذه المدارس في العالمين الغربي والعربي والإسلامي على حد سواء .

فمن المدارس الغربية ذات الطابع التبشيري :

١ – أسس البابا « سلفستر الثاني » مدرستين عربيتين لتدريس اللغة العربية والحضارة الشرقية ، وكانت الأولى في «روما » في مقر بابويته ، والثانية في راميس وطنه ، ثم أضاف بعد ذلك مدرسة ثالثة وهي مدرسة «شارتز » .

٢ – مدارس خاصة لأغراض سياسية :

أ – المدارس العربية ومعهد «بريل » في مدينة ليون بـ (هولندا) .

ب – مدرسة أكسفورد في إنجلترا .

ج – مدرسة القناصل الإمبراطورية الملكية في النمسا ، وهذه مهمتها تعليم السلك الدبلوماسي اللغة العربية .

د – وفي باريس أنشئت مدرسة على هذا الغرار باسم المدرسة الخصوصية للغات الشرقية الحية سنة ١٧٩٥ م .

---

(١) التبشير والاستعمار –مصطفى الخالدي صـ ٩٨ .

أما في البلاد العربية والإسلامية فقد اهتم المستشرقون بإنشاء المدارس الخاصة بهم والتي تخدم أغراضهم . من هذه المدارس :

أ - مدارس الفرير في سوريا والأردن .

ب - ومدارس دي لي سال ، وتراسانتا في الأردن .

ج - ومدارس سان فنستان دي بول في القاهرة .

د - والمدرسة الشرقية في تركيا .

هـ - الكلية اليسوعية والتي حول اسمها إلى الكلية الأمريكية في لبنان ومصر ولا تزال .

و - مدرسة اللاييك في حلب .

ز - مدرسة الأرض المقدسة في حلب .

وغيرها كثير في بلاد العالم الإسلامي المترامية الأطراف .

ب - إنشاء المعاهد :

أما المعاهد فهي كثيرة وهي في العالمين الغربي والعربي وهذه المعاهد في الغالب تكون تابعة لجامعة من الجامعات في العالم الغربي .

فمن ذلك معهد الدراسات الشرقية في لندن الذي أنشأته الحكومة البريطانية سنة ١٩١٧ م ومهمة هذا المعهد إعداد رجال ونساء يخدمون وطنهم في الشرق إمّا في السلك السياسي أو التجاري ، أو في دوائر الحكومة وراء البحار ، أو في ميادين الثقافة .

وعندما ضغطت الحروب الأولى ، وتزايدت مصالحها خارج بريطانيا من المحيط الأطلسي إلى بحر الصين ، عهدت الحكومة البريطانية إلى اللورد « بري » بإنشاء معهد آخر يهتم بالدراسات الشرقية .

أما في المنطقة العربية فقد أنشأ الألمان « معهد جوته الألماني » في القاهرة ،

وأنشأ الفرنسيون «المعهد الفرنسي للآثار الشرقية » في القاهرة ، ودمشق ، وطهران ، وتونس .

وقد زودت هذه المعاهد بكوادر مؤهلة لمهمتها خير تأهيل ، وزودت بمكتبات فيها كثير من الكتب العربية والإسلامية والشرقية وبعض هذه المعاهد له صلاحية منح شهادات عليا كالماجستير والدكتوراة لطلابها ومن بين هؤلاء الطلاب طلبة عرب وشرقيون على وجه العموم يعدون لمهمة التدريس في بلادهم[1] .

ج - إنشاء الكراسي الجامعية :

أنشأ المستشرقون في داخل أروقة الجامعات الأوربية كراسي خاصة للدراسة الشرقية ، وقد اتخذ المستشرقون هذه المؤسسات لاصطياد أبناء الشعوب الإسلامية ، والتأثير عليهم فكريا وسلوكيا ونفسيا[2] وكذلك لإنشاء جيل من أبنائهم على دراية بأحوال الشرق لتحقيق أهداف المستشرقين في المنطقة وقد أعطيت هذه الكراسي الجامعية الحق في منح طلبتها الشهادات العليا في الدراسات العربية والإسلامية والشرقية على حد سواء مستغلين تلهف الشرق إلى الشهادات والألقاب العلمية . فصيروا أنفسهم مصدرا وثيقا للعلوم الإسلامية .

وقد حقق هذا اللون من النشاط غاية ما تصبو إليه أنفس المتحاملين من المستشرقين ومن أمثلة هذا اللون من النشاط :

١ - كرسي للدراسات الشرقية بجامعة سانت أندريز سنة ١٩٦٨ م وقد أسست هذه الجامعة في مدينة لاباس في بوليفيا عام ١٨٣٠ م.

٢ - كرسي للدراسات الإسلامية بجامعة كمبردج . وبها كرسي آخر تأسس عام ١٩٣٢م تعهد توماس أدافر رئيس بلدية لندن بتمويله .

---

(١) الاستشراق والخلفية الفكرية زقزوق صـ ٥٩ - ٦٠ ، وأخطار الغزو الفكري د / صابر طعيمة صـ ٨٩ ، والمستشرقون ومشكلات الحضارة صـ ٣٠ - ٣١ .

(٢) أجنحة المكر الثلاثة صـ ١٣٢ .

٣ - مركز الشرق الأوسط للدراسات العربية في جامعة لندن وهو باسم مركز الدراسات الآسيوية والأفريقية ، ومركز للدراسات الشرقية بجامعة مانشستر والذي تموله دولة عربية وكثير من الجامعات فتحت مثل هذا اللون من النشاط الاستشراقي مثلاً :

في باريس : جامعة تولوز ، ويوردوا ، والسوربون .

وفي إنجلترا : جامعة أكسفورد ، ودرهام ، وفكتوريا ، وليدز وويلز وليفربول ، وبرستول ، وشيفيلد ، وهال .

وفي اسكتلندا : جامعة اسكتلندا ، وجلاسجو ، وأبردين ، وأدنبره .

وفي إيرلندا : كلية ترينتي في دبلن ، وجامعة إيرلندا الوطنية .

وفي كندا : جامعة تورنتو ، وأوتاوه .. إلخ .

وفي ألمانيا : جامعة هايدلبرج ، وجامعة بون ، وجامعة برلين .

وغير هذه الجامعات كثير من جامعات البلدان الغربية[١] .

الجامعات في الدول الإسلامية :

هذه الجامعات التي أسسها المستشرقون في بلدان العالم الإسلامي بإدارة وأساتذة منهم ومناهج خاصة ، هدفها تخريج كوادر قيادية تستلم مراكز حساسة في الدول الإسلامية تحمل المفاهيم الغربية ، والثقافية الاستشراقية .

وكذلك لرصد كل جديد من الدراسات والمستجدات في المنطقة الإسلامية ، من هذه المؤسسات :

١ - الجامعة الأمريكية في بيروت وهي الكلية السورية الإنجيلية والتي أنشئت سنة (١٢٨٣ هـ / ١٨٦٦ م) وفروعها في تركيا والقاهرة .

---

(١) المستشرقون ومشكلات الحضارة صـ ٣٠ - ٣١ .

٢ – جامعة القديس يوسف في بيروت (١٢٩١ هـ / ١٨٧٤ م) أنشأها اليسوعيون بدعم من فرنسا[١] .

د – التسلل للمجامع العلمية في المنطقة :

تمكن المستشرقون أن يتسللوا إلى المجمع اللغوي في مصر والمجمع العلمي العربي في دمشق . والمجمع العلمي في بغداد[٢] .

منهم « جوزيف شاخت » (١٩٠٢ – ١٩٦٩ م) ألماني الذي انتخب أحد أعضاء المجمع العلمي العربي في دمشق .

و « فنسنك » (١٨٨١ – ١٩٣٩ م) الهولندي الذي كان أحد أعضاء المجمع اللغوي المصري .

كان من أعضاء المجمع العلمي العربي بدمشق من المستشرقين منذ سنة ١٩٢١ م والذي بلغ عددهم حوالي (٦٦) مستشرقا .

– من الفرنسيين : دوسو ، غوي ، ماسينيون ، وغوستاف لوبون .

– ومن الإيطاليين : جويدي جريفيني ، نللينو ، كايتاني .

– ومن البريطانيين : مارجليوث ، براون .

– ومن الهولنديين : هوتسما ، سنوك هر .

– ومن السويسريين : مونتيه .

– ومن الأسبانيين : ميكل آن[٣] .

أما أعضاء المجمع المصري من المستشرقين فقد بلغوا (١٧) مستشرقا منهم :

---

(١) انظر في الغزو الفكري – نذير حمدان صـ ١٣٦ .
(٢) أخطار الغزو الفكري صـ ٧٥ ، وكتاب في الغزو الفكري نذير حمدان صـ ٢٠٨ – ٢٢٦ .
(٣) مستشرقون – نذير حمدان صـ ١٤١ .

- من الإيطاليين : جبريلي ، وكالرلنلينو .

- ومن البريطانيين : أربري .

ومن لاووسست : ليون .

- ومن ينبرج : أوبسالا .

- ومن الفرنسيين : لويس ماسينيون الذي يعد من كبار المستشرقين الخطرين على الإسلام ، حيث لا يقل خطورة عن جولد تسيهر ، وسنوك هورجرونيه ، ولي شاتليه ،ولاووست هنري مدير المعهد الفرنسي بالقاهرة[1] وغيرهم كثير .

أما أعضاء المجمع العراقي من المستشرقين منهم :

- عبد الكريم جرمانوس - المجري .

- الفريد جيوم الإنكليزي[2] .

٥ - عقد المؤتمرات الاستشراقية وعقد الندوات ولقاءات التحاور .

هذا اللون من الأنشطة الاستشراقية يقوم به المستشرقون لتبادل الرأي والخبرات فيما يحقق أهدافهم ، وللتخطيط لمستقبل أعمالهم ، ولطرح بحوث عامة في ظاهرها وهي في الحقيقة دعاية ضد الإسلام ، وكان أول هذه المؤتمرات في باريس سنة ١٨٧٣ م[3] .

ومازالت تتكرر حتى يومنا هذا ، حتى بلغت ما بين سنة (١٨٧٣ - ١٩٦٤ م) فقط ٢٦ مؤتمرا ضم كل واحد منها مئات العلماء من أعلام المستشرقين والعرب والمسلمين والشرقيين ومن هذه المؤتمرات التي عقدت :

---

(١) مستشرقون - نذير حمدان صـ ١٨٣ - ١٩٣ .

(٢) مستشرقون - نذير حمدان صـ ٢٣٠ - ٢٣١ .

(٣) وحي الله صـ ٢٥ ، وأجنحة المكر الثلاثة صـ ١٣٢ - ١٣٥ .

موتمر عقد في القاهرة عام ١٩٠٦ م في منزل « عرابي » تحت شعار (الدين لله والوطن للجميع) وبلغ عدد إرسالياته (٦٢) عضوا مسيحيا وكان هدف المؤتمرين تحويل الأنظار عن المقاومة المصرية للاستعمار وأنها ليست إسلامية وإنما هي وطنية ، تقودها الوحدة الوطنية[١] أي المسلمون والنصارى .

ومن الآثار الفكرية لهذه المرحلة : الإنتاج الأدبي المعادي للإسلام فيما كتبه « سلامة موسى » في كتاب (اليوم والغد) وما كتبه « طه حسين » في كتاب (مستقبل الثقافة في مصر) ، و « لويس عوض » في معظم كتاباته ، و « جورجي زيدان » ومدرسته الماسونية في (دار الهلال) .

٢ - مؤتمر القدس الذي عقد سنة ١٩٢٢ وضم عناصر يهودية ومسيحية اتفقت على احتلال فلسطين على ضوء برامج وأساليب في مجال التعليم والإعلام تحول دون دخول العناصر الإسلامية حلبة الصراع .

٣ - مؤتمر التربية الإلحادية عام ١٩٦٤ م في موسكو . وكان أهم بحوثه : بحث مستقبل الشيوعية أمام الأيدولوجية في الإسلام . وبحث موضوع التجديد في وسائل الدعوة الإسلامية ، وتجنيد العناصر الماركسية في بلاد الإسلام من بين الشخصيات البارزة التي تعرف في الساحة الإسلامية[٢] .

٤ - مؤتمر أدنبرة في سنة (١٩١٠ م) وقد ضم (١٢٠٠) عضوا مسيحيا وبلغت من أهمية هذا المؤتمر أنه كان من المقرر أن يرأس وفده الأمريكي « روزفلت » : الذي أناب عنه شخصية بارزة لعدم تمكنه من الحضور . وفي هذا المؤتمر تمت دراسة مستقبل النشاط التبشيري ضد الإسلام في أوربا على وجه الخصوص وفي بلاد المسلمين بصفة عامة .

٥ - مؤتمر لكنو بالهند الذي عقد في سبتمبر عام ١٩١١م، وقد اشترك فيه (١٦٨) عضوا تحت إشراف وتوجيه الإرساليات الإنجليزية .

---

(١) المستشرقون ومشكلات الحضارة صـ ٣٣ .

(٢) المستشرقون ومشكلات الحضارة صـ ٧٧ - ٧٨ .

وكان هدفه عدم تمكين العناصر الإسلامية من العمل السياسي ولدراسة مستقبل التجمعات الإسلامية التي كانت نواة لقيام دولة الباكستان الإسلامية .

وكان رئيس هذا المؤتمر القس « صموئيل زويمر » .

٦ – مؤتمر المجمع المسكوني الذي عقد في ٧ نوفمبر عام ١٩٦٤ م في روما وحضره (٢٤٢٧) عضوا من المهتمين باللاهوت والسياسة .

وفي هذا المؤتمر تم التنسيق بين القوى المسيحية واليهودية في حرب الإسلام[١] .

وغير هذه المؤتمرات كثير . واقتصرت على ستة منها خوفا من الإطالة .

أما بالنسبة للندوات . ولقاءات التحاور فإنهم يقصدون من ذلك نقل أفكارهم في وسط المجتمعين على اختلاف جنسياتهم .

ولكي يتم استدراج بعض المسلمين لتحريف الإسلام إما بقصد الدفاع عنه ، أو تطوعا منهم ليساير المفاهيم الغربية وأسلوب التفكير الغربي لإظهار مرونة الشريعة الإسلامية[٢] .

وهذا من الانحراف الفكري الذي أصاب بعض أبناء المسلمين نتيجة الانبهار بالحضارة الغربية اليوم على علاتها .

٦ – إنشاء المكتبات العلمية :

اعتنى المستشرقون بهذا الجانب من النشاط تدعيما لحركة الاستشراق وتسهيلا لمهمتهم .

وقد جمعوا في هذه المكتبات ملايين الكتب تتعلق بكافة أنواع العلوم

---

(١) ذكر هذه المؤتمرات الثلاث ، د . صابر طعيمة في كتابه أخطار الغزو الفكري صـ ٧٦ – ٧٨ .
(٢) أجنحة المكر الثلاثة صـ ١٣٢ – ١٣٥ .

الإسلامية والشرقية من بينها المخطوطات النفيسة التي استولوا عليها خلال فترات احتلالهم للمنطقة الإسلامية ومن أهم هذه المكتبات :

مكتبة باريس الوطنية في فرنسا ، ومكتبة المتحف البريطاني في لندن ، ومكتبة الاسكوديال بأسبانيا ، والتي تحتوي على عدد كبير من المخطوطات العربية والإسلامية من بقايا المكتبة الأندلسية بغرناطة . ومكتبة فيينا الوطنية والتي تحوي على مئات المخطوطات النفيسة ومكتبة جستسربتي في دبلن في إيرلندا وفيها مجموعة كبيرة من المخطوطات العربية والإسلامية ، ومكتبة ليدن بهولندا والتي تضم مخطوطات نفيسة قضى المستشرقون الهولنديون قرونا متواصلة في جمعها . وهناك مكتبة برلين الوطنية في ألمانيا ، ومكتبة جامعة ميونخ ، وجامعة هايدلبرج إلى غير ذلك من المكتبات العامة ومئات المكتبات الخاصة بمختلف الجامعات .

وهناك نوع آخر من المكتبات الخاصة التي كانت ملكا للمستشرقين وقف بعضها على المكتبات العامة ، ولجميع دور النشر الشرقية فهارس لمجموعاتها[١] .

وقد حوت هذه المكتبات من المخطوطات على (٢٥٠) ألف مجلد في مطلع القرن التاسع عشر[٢] . ولا شك أنها زادت كثيرا عن هذا الرقم بعد ذلك .

٧ - إنشاء المتاحف الشرقية :

ومن أجل تحقيق هذا الأمر اعتنى المستشرقون بالسياحة كوسيلة لجمع المعلومات والصور الفوتوغرافية[٣] القديمة والآثار الشرقية ، والمخطوطات القديمة ، وأدوات التراث . وقد اعتنوا بهذا الجانب كثيرا ليكونوا معالم تاريخية لتطور المنطقة ولمحاولة ربط الإسلام بجذور يونانية أو رومانية أو فينيقية أو آشورية ، وغير ذلك ، وكذلك لإثبات الجذور اليهودية أو النصرانية في المنطقة .

وقد دفعوا في هذه الآثار الشيء الكثير ليصلوا بها لأغراض وأهداف خبيثة

(١) المستشرقون ومشكلات الحضارة صـ ٣١ . د . عفاف صبره .
(٢) وحي الله - صـ ١٧ . د . حسن عتر .
(٣) المستشرقون والمبشرون - إبراهيم خليل صـ ٨٨ ، والمستشرقون ومشكلات الحضارة صـ ٣٢ .

وأثاروا من ورائها نزاعات وفتنا في المنطقة ، وكذلك ليصفوا المجتمع بأوصاف من خيالهم السابح في الأوهام انطلاقا من رواسب دفينة في نفوسهم والمؤسف أن هذه الكتب تكتب عادة بأسلوب تهكمي قصصي يغذي خيال الشعوب الغربية الأوربية والأمريكية ويلبي رغباتهم ولهذه الكتب أثر سيىء في تصوير المسلمين تصويرا غير حقيقي كالتخلف والهمجية وغير ذلك . ثم ينتهز المستشرقون هذا اللون من الكتابة فيدونون - باسم البحث العلمي - كتبا في علم الأجناس ونفسية « فسيولوجية » الشعوب التي فيها ، مصورين أن الإسلام مختلف حسب هذه الأجناس فهناك إسلام الهند ، وإسلام تركيا ، وإسلام البربر ، وإسلام العرب .. إلخ وكل إسلام يختلف عن الآخر باختلاف أهله .. كل هذا ليتسلطوا على رقاب المسلمين بإشاعة الفرقة في نفوسهم[١] والذي يزور متاحف الغرب[٢] يجدها قد حوت من كل لون من ألوان التراث سواء كانت كتبا أو أواني أو سلاحا أو ملابس .. إلخ لتحقق لهم أغراضهم المتنوعة .

فعلينا جميعا أن ننتبه لهؤلاء المستشرقين ولأغراضهم من هذه السياحات واختيار أماكن معينة في بلادنا لتصويرها .

وقد ذكر « العقيقي » في كتابه كثيرا من هؤلاء الرحالة الذين زاروا المنطقة العربية وكتبوا أوصافا لها تفيد الغربيين في التعرف عليها فزودوا مكتباتهم ، ومتاحفهم بكثير من مؤلفاتهم وبما جمعوه من الخرائط ، والقطع الأثرية ، والمؤلفات القيمة . من هؤلاء الرحالة : « لورفيشودي بارتيما » البحار الإيطالي الذي طاف اليمن عام ١٥٠٨ م وكتب عنها تقريرا ضافيا .

ومنهم البعثة الدانمركية التي قامت بزيارة جنوب بلاد العرب سنة ١٧١٦ حيث قاموا بالتنقيب عن حضاراتها القديمة ، ورجعوا بخرائط ونقوش ، فألفوا

---

(١) المستشرقون والمبشرون في العالم العربي والإسلامي - إبراهيم خليل صـ ٨٨ - ٩٠ .

(٢) من أشهر المتاحف المتحف البريطاني في بريطانيا ، ومتحف فيكتوريا ، ومتحف أشمولين في أكسفورد ، ومتحف جراتس في النمسا ، ومتحف الفن الإسلامي في برلين والمتحف الوطني في باريس ، وغيرها كثير .

بذلك كتبا تصف رحلتهم . ومن هؤلاء : كذلك « جورج والين الفنلندي » الذي طاف مصر والجزيرة العربية وبغداد ، وأصبهان ، وبصرى ، ودمشق ، في حوالي ١٨٤٠ م فاستمر أكثر من ست سنوات فكتب بذلك واصفا رحلته ومؤلفا كتابا في الفروق بين اللهجات العربية بين المتأخرين والمتقدمين وكان ذلك في سنة ١٨٤٥ م ، وغيرهم كثير[١] .

٨ - إمداد الإرساليات التبشيرية إلى العالم الإسلامي بخبراتهم وجهودهم :

فالمعروف أن المبشرين تسللوا للمنطقة تحت شعارات مختلفة من ذلك بعض الأعمال الإنسانية في الظاهر كالمستشفيات والجمعيات الخيرية والمدارس ودور الأيتام ، ودور الضيافة ، وغيرها . ولكنها في الحقيقة لإلقاء الشبه والافتراءات والأباطيل ضد الإسلام بين أبناء المسلمين لتشكيكهم في دينهم فيسببوا ردتهم عنه .

كما أنه لوحظ أن بعض هذه المؤسسات كانت تختار الأذكياء من أبناء المسلمين فيأخذونهم من مرحلة ابتدائية أو متوسطة لتدريسهم في البلاد الغربية فيتلقون تعاليمهم وأفكارهم وسمومهم ويرجعون لبلادهم ليعملوا وينتجوا لهم أكثر من هؤلاء مجتمعين[٢] .

---

(١) المستشرقون للعقيقي ٣ / ٣٣٩ - وما بعدها .

(٢) أجنحة المكر الثلاثة صـ ١٣٣ .

المبحث الرابع

اليهود .. والاستشراق

لاشك أن اليهود وجدوا فرصتهم في الاستشراق لتحقيق أهدافهم الدينية والسياسية . فلتحقيق أهدافهم الدينية ركز اليهود في أبحاثهم على إضعاف الإسلام والتشكيك في قيمته بإثبات فضل اليهودية على الإسلام بادعاء أن اليهودية هي مصدر الإسلام الأول .

أما لتحقيق أهدافهم السياسية فقد عمل اليهود لخدمة الصهيونية فكرة أولا ثم دولة ثانيا .

فالظروف كلها تؤكد أن كتاباتهم تعزز هذا الرأي[(١)] .

أما سبب عدم تصريح اليهود بهذه الأهداف فيرجع إلى أن اليهود استطاعوا أن يكيفوا أنفسهم ليصبحوا في إطار الحركة الاستشراقية الأوربية النصرانية . فقد دخلوا الميدان بوصفهم الأوربي لا بوصفهم اليهودي حتى استطاع بعضهم أن يصل لمقام مرموق في الاستشراق كاليهودي (جولد تسيهر) الذي أصبح زعيم علماء الإسلاميات في أوربا بلا منازع . ولا تزال كتبه حتى اليوم تحظى بالتقدير العظيم والاحترام الفائق من كل فئات المستشرقين .

وكذلك لم يظهر اليهود أنفسهم بوصفهم يهودا حتى لا يعزلوا أنفسهم عن المجتمع . خاصة أنهم منبوذون في كل مجتمع وبالتالي يقل تأثيرهم . فبهذا النهج الذي سلكوه وبذلك كسبوا مرتين : كسبوا أولا فرض أنفسهم على الحركة

---

(١) الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي صـ ٥٣٤ .

الاستشراقية وكسبوا ثانيا بتحقيق أهدافهم بالنيل من الإسلام ، وإضعاف الروح المعنوية للمسلمين لتضعف مقاومتهم بالتالي لليهود .

وتاريخ اليهود مع الإسلام وحقدهم عليه وحربهم له قديم منذ أن بعث الله سيدنا محمدا - ﷺ - بهذا الدين العظيم .

قال تعالى : **﴿لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا .. ﴾**[1] .

وقد بقي اليهود يتحينون كل فرصة لحرب الإسلام والكيد له وتحريض من يقف في حربه فكانت الفرصة مواتية لهم بظهور الحركة الاستشراقية متسترين تحت رداء العلم[2] .

وكان من بين هؤلاء المستشرقين اليهود :

١ - جولد تسيهر اليهودي المجري وكتبه كلها مليئة بالافتراءات والأباطيل ضد الإسلام . مثل كتابه : (العقيدة الإسلامية) و (مذاهب التفسير الإسلامي) ولنا وقفة طويلة مع افتراءاته في موطنها من الرسالة .

٢ - مكسيم رودنسون - يهودي ماركسي - ألف كتابا بالفرنسية عن محمد - ﷺ - والكتاب مشحون بالافتراءات الاستشراقية على الرسول - ﷺ - ورسالته وكثير من هذه الافتراءات مستمدة من التفسير المادي (الاقتصادي) للتاريخ عند « كارل ماركس » .

ومن التحليل النفسي (الجنسي) للإنسان عند سيجموند فرويد - وكلها افتراءات ساقطة مبتذلة نعف عن مجرد ذكرها[3] .

---

(١) سورة المائدة آية ٨٢ .

(٢) الاستشراق - زقزوق - ٤٨ - ٥٠ بتصرف .

(٣) رؤية إسلامية للاستشراق صـ ٤٩ - ٥٠ .

٣ – دافيد سانتلانا (١٨٥٥ – ١٩٣١ م) يهودي سياسي جامعي . ولد في أسرة يهودية في تونس ومن أصل أسباني قديم وأسرته تحمل الجنسية الإنكليزية . كان أبوه قنصلا بريطانيا في تونس . وحاول (سانتلانا) أن يقيم تشابها بين الفقه الإسلامي وبين القانون الروماني والقانون الأوربي الحديث .

مع أن هذه المحاولة لا يقوم عليها دليل ، أو حجة سليمة فقد خدمت روحه وتطلعاته الاستشراقية انكلترا وإيطاليا وفرنسا معاً .

وكان أكثر اهتماماته بالحركة الصوفية ورجالها ومبادئها وربطه بالتصوف اليوناني الأفلاطوني والتصوف المسيحي[1] ... إلخ .

٤ – « ليفي بروفنسال » في المغرب العربي . يهودي فرنسي استعماري وكان أستاذا جامعيا في جامعة (تولوز) في باريس وولد في الجزائر العاصمة من أسرة يهودية ، وشب على أيدي كبار المستشرقين الفرنسيين أمثال : « رينيه باسيه » و « جيروم » .

واستطاع بذكائه الماكر أن يخفي مشاعره اليهودية ، على الرغم من تورطه في كثير من كتاباته في الإساءة للإسلام والتنصير من مجتمع المسلمين مما حقق له ولأمثاله لمعانا وشهرة في مجتمعاتهم وبين قومهم .

وقد ركز في كتاباته على إهمال البعد الديني في انتشار الإسلام السريع والمبكر في العالم حينذاك زاعما أن ذلك لحب السيطرة وجمع الثروة ، وبخاصة في الأندلس والمغرب العربي ، وقد صور العرب طبقة أرستقراطية خاصة في الأندلس[2] .

٥ – بول كراوس (١٩٠٤ – ١٩٤٤) تشيكي سياسي جامعي صهيوني[3] . وغير هؤلاء كثير .

(١) مستشرقون – سياسيون – جامعيون – مجمعيون – نذير حمدان صـ ٩٨ وما بعدها .
(٢) مستشرقون – نذير حمدان صـ ١٠٣ – ١٠٨ .
(٣) نفس المرجع السابق صـ ١٠٨ وما بعدها .

المبحث الخامس

طوائف المستشرقين

لم يكن المستشرقون على درجة واحدة في دراسة الإسلام خاصة والدراسات الشرقية على وجه العموم ، مع أنهم جميعا تزيوا بمسوح العلم وأظهروا الولاء والإخلاص للبحث والتقصي إلا أن الكثير منهم أساءوا للعلم وأهله بمناهجهم الفجة ، وتسخيرهم إياهم لأغراضهم الخاصة .

ويمكن تقسيم هؤلاء المستشرقين بالنسبة لموقفهم من الإسلام إلى فئات :

١ - طائفة لم تملك الفهم اللغوي والبلاغي الدقيق ، فأخطأوا بسبب ذلك في فهم النصوص ومصطلحاتها البلاغية والبيانية وحملوها ما لا تحتمل ، وصرفوا دلالاتها ومقاصدها عن حقيقتها وأتوا بأمور شكلية ، ونتائج خاطئة وهؤلاء كثير ؛ كالذي ألف قاموس « المنجد » حيث أحصى الدكتور مصطفى جواد أغلاط المنجد فقط المقصودة والتي مبعثها الجهل بالعربية إلى « ثلاثمائة وأربعة وعشرين » غلطا .

٢ - طائفة أثرت في دراساتهم مآرب السياسة ، والتعصب الديني (التنصيري) أو الصهيوني ، فوجهوا الحقائق وفسروها بما يوافق أغراضهم وأهدافهم .

ومن المؤسف أن يسخر هؤلاء العلم الذي يسمو به الإنسان ، ويحرر من عبودية الجهل والعادة الخاطئة والوصول به للإنسانية الكاملة لإذلال الإنسان أو استعباده أو الطعن في تراثه وعقيدته بغير حق .[1] أمثال : « جب » وشاتليه ،

---

(١) المنتقى في دراسات المستشرقين ص ج ، د من التمهيد .

وكريستان سنوك هيرو جرونجيه ، وجولد تسيهر ، وإبراهام كاش ، وغيرهم .

فهؤلاء كانوا يبحثون عن مواطن الضعف في الشريعة الإسلامية والحضارة الإسلامية والتاريخ الإسلامي .. إلخ .

٣ – طائفة أوتيت سعة من العلم والتمكن في العربية ، والإخلاص للبحث ، والتحرر ، والإنصاف ، والتجرد من الأهواء ، فآتت دراساتهم ثمراتها ، فمنهم من وصل نور الإسلام لنفسه وقلبه فقال فيه كلمة حق ولم يؤمن أمثال : توماس كارليل ، وجوستاف لوبون ، وأميل درمنجم ، والبارون كارادي فو ، وغيرهم .

ولا يعني هذا أنهم لم يقعوا في أخطاء تجاه الإسلام .

– ومنهم من بهره الإسلام بحقائقه فوصل إلى قلبه نوره فآمن به أمثال : اللورد هدلي ، وإتيان دينيه ، ولوين روس ، والدكتورة لورافنيسيا فاليري ، وموريس بوكاي ، وغيرهم كثير .

– ومنهم من آمن به فكريا فقط فتراجع عن افتراءات القرون الوسطى أمثال : رينان ، وأوغست كونت ، ورينو تويب الذي ألف كتابا له يعتذر فيه للإسلام ويدافع عنه باسم (اعتذار إلى محمد والإسلام)[1] .

٤ – طائفة منهم كانوا يعينون لهم غاية أو يضعون لهم قاعدة كلية توهما ثم يبدؤون بجمع المعلومات لها سواء كانت من مصادر أصيلة أو غير أصيلة .

كما لاحظنا هذا في أعمال « جولد تسيهر » حيث كان يقول بنتائج خطيرة ويقرر مسائل هامة قبل بدايته في البحث ويأتي لها بأدلة من كتب النوادر والفكاهة والمجون ، أو كتب الحيوان .. إلخ[2] .

٥ – طائفة منهم كانوا يضعون في كتاباتهم مقدارا خاصا من السم ، ويحترسون في ذلك فلا يزيدون على هذه النسبة حتى لا يستوحش القارىء ولا

---

(١) الحركات الإسلامية والقوى المضادة – الكيلاني صـ ١٥ .

(٢) الإسلاميات بين كتابات المستشرقين والباحثين المسلمين – الندوي صـ ١٦ .

يثير ذلك منه الحذر ولا تضعف ثقته بنزاهة المؤلف ممن هم ليسوا من أهل الاختصاص ، أو من متوسطي العقل . أمثال : جوستاف لوبون كما جاء في كتابه (حضارة العرب) وبروكلمان في كتابه (تاريخ الأدب العربي) وغيرهما[١] .

٦ – طائفة دفعهم لدراسة العلم الشغف العلمي ، وحب الاطلاع فبذلوا في دراسة الشرقيات عامة والإسلام خاصة جَهودا مضنية . فظهر على أيديهم دراسات طيبة ، وحققوا من كتب التراث ، أو صنفوا فيه كتبا أخذت حظها من الاحترام والموثوقية حتى غدت مرجعا لأبناء جنسهم وللمسلمين على حد سواء .. أمثال : « البروفيسور ت . و . آرنولد صاحب كتاب (الدعوة إلى الإسلام) « واستانلي بول » وكتابيه « صلاح الدين الأيوبي » و « العرب في الأندلس » و « د / سبرنجر » صاحب المقدمة النفيسة لكتاب (الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني) و « إدوارد لين » صاحب (المعجم العربي الكبير) ، وهو في تسع مجلدات شرح فيه مواد اللغة العربية باللغة العربية شرحا موسعا والكتاب فيه فوائد لعلماء اللغة العربية والنحو ولغيرهم .

وأشرف الأستاذ « أ . ي . ونسنك » على كتاب (المعجم المفهرس لألفاظ الحديث) وهو لمجموعة من المستشرقين حيث فرغوا فيه تسعة من كتب الحديث . وغيرها كثير[٢] .

٧ – طائفة منهم (إلحادية) درست الإسلام بنوايا الحرب السافرة للأديان عموما ، ولفض الناس من حولها[٣] . ومن هؤلاء : « م . ر . رحماتوف » كاتب اللجنة المركزية للحزب الشيوعي والسفير للاتحاد السوفياتي بموريتانيا . حيث ألف كتابه (هل يمكن الاعتقاد بالقرآن) بهجوم سافر وأسلوب مفضوح .

وقد رد على هذا الكتيب الأستاذ « عبد الله كنون » جزاه الله خيرا ..

(١) الإسلاميات صـ ١٧ .

(٢) الإسلاميات للندوي صـ ١٣ – ١٤ .

(٣) الحركات الإسلامية والقوى المضادة – نجيب الكيلاني صـ ١٢١ .

المبحث السادس

المناهج وميزان البحث عند المستشرقين

عندما بدأت كتابات المستشرقين عن الإسلام لم تكن كتابة علمية منهجية ، ولا بحوثا تتوخى حقائق التاريخ ، وإنما كانت أسلحة من أسلحة الدعاية الحربية ، وأسلوبا انتقاديا ضد الإسلام وأهله ؛ لما لاقوا من هزائم على أيدي المسلمين .

لذا حرص الغرب على ترويج الأكاذيب ضد الإسلام بأساليب ومناهج متعددة . ومن أشد هذه الكتابات على الإسلام كانت الكتب التي صدرت في العصور الوسطى[1] ، لما فيها من الشتم والسباب وعدم المنهجية بحال واعتمادها لعدة قرون بعدها من قبل الدارسين للشرق وأهله ودياناته .

أما كتب القرنين الحادي عشر والثاني عشر فقد تميزت بكثير من التهور والاندفاع في حرب الإسلام وأهله ، مبتدئين حربهم بالهجوم على القرآن الكريم . فقد صرح بذلك وزير المستعمرات البريطانية في القرن العشرين « جلادستون » (أنه لن تستقر أقدام الإنجليز في الشرق الأوسط ما دام القرآن يتلى بين الشرقيين)[2] وترقت هذه المناهج بعد أن ألبست هذه الأفكار بثياب العلم ومسوحه .

وإليك هذه المناهج :

١ - شبهات ومطاعن ساذجة واستغلال شعارات خادعة وأغلب هذه

---

(١) العصور الوسطى : هي الفترة من منتصف القرن الحادي عشر حتى القرن الحادي عشر .

(٢) صور استشراقية - صـ ٢٧ - ٢٩ . د . عبد الجليل عبده شلبي .

الشبه والمطاعن بهذا المنهج كانت تطلق من المبشرين المتعصبين ولغرض ديني وهو منهج القرون الوسطى .

كان أصحاب هذا المنهج يتصورون أنهم بذلك سيدخلون الناس في النصرانية ويسببون لهم الردة عن الإسلام . لكن هذا المنهج لم يكن له أثر يذكر . بل ربما أتى بالعكس لأنه يهيج العاطفة الإسلامية ويدفع المسلم زيادة في التمسك بدينه ؛ لذلك غيروا خطتهم وسلكوا منهجاً آخر وهو الاحتكاك اليومي في التعليم أو الطب أو ملاجىء الأيتام وغيرها .

وقد حدد (المرود وغلاس) فائدة هذا المنهج في مقالة بعنوان (كيف نضم إلينا أطفال المسلمين في الجزائر) قال : (إن هذه السبل لا تجعل الأطفال نصارى ، ولكنها لا تبقيهم مسلمين كآبائهم ، ومثل هذه الجهود ما يبذله المبشرون في شمال أفريقية ومصر)[(١)] .

ومن هذه الأكاذيب التي مصدرها الحقد النصراني الأعمى على الإسلام ما نشره الأدباء الغربيون في القرون الوسطى أن المسلمين قوم وثنيون يعتقدون بألوهية محمد وأنهم يعبدون ثلاثة آلهة محمد (ماهولت) والقرآن (ترافاجن) الله (أبوليق) كما جاء هذا في أغنية « رولات » الشهيرة[(٢)] .

٢ – الإيهام والتشكيك والنقد الجائر للإسلام العظيم : لم يترك المستشرقون جانبا من جوانب الإسلام إلا وهاجموه بالنقد الجائر والتشكيك الفاضح ابتداء بالقرآن الكريم وانتهاء بسنته – ﷺ – وسيرته ، محاولين طمس كل معالم المجد والخير في التاريخ الإسلامي .

وقد سلك المستشرقون في هذا المنهج بدراسات منظمة ، وأسلوب جذاب يجذب القارىء البسيط الذي لم ينل من التعليم الصحيح عن دينه وتاريخه وحاضر أمته إلا قليلا . ووصل بهم الأمر أن سمموا به فكر كثير من المثقفين في وقت

---

(١) الغزو الفكري صـ ٢٢٨ . والمستشرقون والإسلام – اللبان صـ ٣٦ .
(٢) التبشير والاستشراق – طهطاوي صـ ٣٨ .

كانت الأجيال مهزومة سياسياً ونفسيا ، وموصومة بالتخلف ماديا وحضاريا ، ومفرغة من أصالتها روحيا وعلميا ومحرومة من التربية الإسلامية الصحيحة مبهورة بالحضارة الغربية .

وقد عمل المستشرقون جهدهم في تربية فئة من أبناء المسلمين على هذه الأفكار وصدّروهم مراكز علمية أو أدبية ليسهل على الأمة تجرعها وكان على رأس هؤلاء الدكتور : « طه حسين » الذي أطلقوا عليه ظلما «عميد الأدب العربي » فهاجم الإسلام عامة والقرآن والسنة واللغة العربية خاصة وكان أساتذته في هذه الأباطيل . « ود . جويدي » الإيطالي و « ماسينيون » اليهودي الفرنسي ، و « مرجليوث » الإنجليزي[1] .

ومن الأمثلة التي تؤكد حكمهم على الأشياء بمجرد الوهم دون اتباع الحقيقة فيها . واعتمادهم على المراجع الواهية زعم « جولد تسيهر » أن « أبا حنيفة النعمان » - رحمه الله - لم يكن يعرف هل كانت معركة بدر قبل أحد أم كانت أحد قبلها ! معتمدا « جولد تسيهر » في ذلك على كتاب الحيوان للدميري .

ولاشك أن أقل الناس اطلاعا على التاريخ يرد مثل هذه الرواية المكذوبة فأبو حنيفة من أشهر أئمة الإسلام الذين تحدثوا عن أحكام الحرب في الإسلام حديثا مستفيضا في فقهه الذي أثر عنه وفي كتب تلامذته الذين نشروا علمه ك « أبي يوسف » و « محمد » . فيستحيل على العقل أن يصدق بأنه كان جاهلا بوقائع سيرة الرسول - ﷺ - ومغازيه وهي التي استمد منها فقهه في أحكام الحرب .

زيادة على ذلك أن المرجع الذي اعتمده « جولد تسيهر » ليس كتاب فقه ولا تاريخ . والدميري ليس مؤرخا وإنما حشر في كتابه كل ما يرى إيراده . من حكايات ونوادر تتصل بموضوع كتابه من غير أن يعنّي نفسه البحث عن صحتها[2] .

---

(١) الغزو الفكري صـ ٢٢٨ .

(٢) الاستشراق والمستشرقون، د . مصطفى السباعي صـ ٤٤ - ٤٥ .

٣ – وضع فكرة معينة في أذهانهم ، ثم البدء بتصيد الأدلة لإثباتها على عكس المنهج العلمي الاستدلالي .

وحين يبحثون عن هذه الأدلة لاتهمهم صحتها بمقدار ما يهمهم إمكان الاستفادة منها لدعم آرائهم الشخصية . وكثيرا مايستنبطون الأمر الكلي من حادثة جزئية ، أو أنهم يدخلون مشاعرهم الشخصية وآراءهم وأهواءهم الخاصة فيفسرون الحوادث ويناقشون النصوص ، ويحللون القضايا والشخصيات الإسلامية على ضوء وجهة نظرهم ، وتجدهم يؤيدونها بأدلة واهية أو ضعيفة من كتب موثوقة أو غير موثوقة .

وغالبا ما يضطرهم هذا المنهج إلى الكذب والمغالطات ، واقتطاع النصوص[1] .

وخير من مثل هذا المنهج « جولد تسيهر » في كتبه ومن الأمثلة على ذلك : زعم « جولد تسيهر » أن الحديث مجموعة من صنع القرون الثلاثة الأولى للهجرة وليس قول الرسول – ﷺ – كما ادعى أن أحكام الشريعة لم تكن معروفة لجمهور المسلمين في الصدر الأول من الإسلام وأن الجهل بها وبتاريخ الإسلام كان لاصقا بكبار الأئمة .

وقد حشد لذلك بعض الروايات الساقطة المتهافتة . وكان ممن نهج هذا المنهج كذلك المستشرق « جب » حيث كان يقدم فرضيات مسبقة ثم يحاول البحث عن نصوص وقرائن لكي يضعها موضع القطع واليقين . لا يبالي في ذلك تزييف الأدلة أو نقضها أو نقل شطر منها وترك شطر آخر .

فمن مزاعمه أن محمدا – ﷺ – لم يكن نبيا – وإن كان لدى العرب من بقايا عهد إبراهيم – إنما هو من مخترعاتهم وتقاليدهم التي ابتدعوها من عند أنفسهم .

---

(١) أجنحة المكر الثلاثة صـ ١٤٢ – ١٤٧ ، وافتراءات الباز صـ ٢٥ .

ومن ذلك زعمه أن تقديس الكعبة ليس أثراً من آثار دعوة إبراهيم - عليه السلام - وإنما هو شيء نسجته البيئة العربية فكان تقليدا .

وزعمه كذلك أن الجان مخلوقات وهمية وما جاء في القرآن عنها كذلك هو وهم ... إلى آخر أقواله[1] .

وكذلك المستشرق « مرجليوث » تجده يقطع النصوص ليؤكد ما في نفسه من باطل فقد ذكر حديث (إنما حبب إليّ في دنياكم الطيب والنساء) مخفيا باقي الحديث (وجعلت قرة عيني في الصلاة) حتى يظهر شخصية الرسول - ﷺ - مشغوفة بأمور الدنيا[2] .

٤ - دس بعضهم مقدارا من السم في مؤلفاتهم ولايزيدون على هذا المقدار حتى لا يستوحش القارىء ولا يثير ذلك فيه الحذر ، ولا تضعف ثقته بنزاهة المؤلف[3] .

فمن هؤلاء المستشرقين الذين سلكوا هذا المنهج : «جوستاف لوبون » في كتابه (حضارة العرب) . الذي سار في كتابه سيرا جيدا بإظهار مزايا العرب ومآثرهم على غير عادة قومه ولكنه عندما تحدث عن سيرة الرسول - ﷺ - والقرآن لم يستطع إخفاء ما في نفسه ضدها . فاتهم الرسول - ﷺ - بميله الشديد للنساء وشهوانيته . وعند حديثه عن القرآن اعتبره نوبات صرعية كانت تغشاه إلى غير ذلك من الأخطاء[4] .

ومنهم « بروكلمان » في كتابه (تاريخ الأدب العربي) حيث سار في كتابه سيرا منهجيا وعندما تحدث عن القرآن وجمعه لم يستطع إخفاء عدائه فاعتبره كذلك نوبات صرع . وعندما تحدث عن التفسير اعتبره علما لا أصل له إلى

(١) الإسلام والمستشرقون صـ ٦٩ - ٧٠ .
(٢) نفس المرجع صـ ١٠١ .
(٣) انظر كتاب الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية صـ ١٩٠ .
(٤) حضارة العرب « جوستاف لوبون » صـ ١٤٢ .

غير ذلك من السموم التي يستطيع أي قارىء بصير بأمور دينه أن يقف عليها[1] .

٥ - رفض الحق بالنفي المجرد والافتراء على الإسلام بالهوى الأعمى والتعصب المقيت ، الذي لا يدعمه دليل صحيح مقبول في المنهج العلمي السليم .

كما حصل ذلك بموقفهم من القرآن الكريم ومصدريته الإلهية حيث حاول الكثير من المستشرقين إثبات أنه من صنع وتأليف محمد - ﷺ - لفَّقه من ديانات ومذاهب عقدية كانت موجودة في عصره وعلى رأسها اليهودية والنصرانية . وكان من بين هؤلاء المستشرقين « جولد تسيهر » و « بلاشير » في كتابه (معضلة محمد) وأوسع من كتب في هذا الموضوع « كلير تسدال » في كتابه (مصادر الإسلام) . وكل ما حاولوا الإتيان به من أدلة لإثبات صواب أقوالهم مردود عليهم .

ومن افتراءاتهم أن الإسلام لا مستقبل له كما زعم ذلك « مرجليوث » عام ١٩٠٤ م ، و « لامنس » منذ عام ١٩٣٠ م[2] وافتراء « شاخت » و « جردنجيه » و «جولدتسيهر » . أن الشريعة الإسلامية مأخوذة من القانون الروماني وأن التشريع المتعلق بالأسرة والوراثة مأخوذ من النظام القبلي[3] .

٦ - اعتمادهم على روايات مكذوبة أو ضعيفة أو قصص مختلقة أثناء حديثهم عن الإسلام أو القرآن أو نبي الإسلام عليه الصلاة والسلام .

.زعم بعض المستشرقين كذبا أن ضعف محمد - ﷺ - كان يتمثل في حبه الطاريء للنساء مما جعله يتجرأ على تزوج زوجة ابنه بالتبني ، ورؤياه لها وهي عارية كما زعم ذلك « جوستاف لوبون » في كتابه (حضارة العرب)[4] .

---

(١) تاريخ الأدب العربي « بروكلمان » ج ١ صـ ١٣٧ .
(٢) الإسلام والمستشرقون صـ ٧٢ . لنخبة من العلماء المسلمين .
(٣) نفس المرجع صـ ٩٦ .
(٤) حضارة العرب « جوستاف لوبون » صـ ١٤٢ .

ومن كذبهم كذلك قصة الغرانيق وسجود محمد - ﷺ - لأصنام قريش اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى واحتفالهم البالغ بمعراج ابن عباس ومقارنتهم بينه وبين الكوميديا الإلهية .

مع أن هذه القصص وأمثالها من القصص المكذوبة المفضوحة التي تردها روايات السنة الصحيحة ، وروايات التاريخ الصادقة ويردها ذلك العقل السوي المتجرد في الحكم على الأشياء وقد بينت عوار هاتين الروايتين : قصة زواجه من السيدة زينب بنت جحش وقصة الغرانيق وسجوده للآلهة المزعومة في مواطن أخرى من الرسالة .

٧ - اختراع العلل لبعض القضايا الإسلامية بمحض التخيل والتحكم والهوى بقصد الإساءة للإسلام .

من ذلك ما جاء في كتاب (دراسة عن الإسلام في أفريقية السوداء) لمؤلفه « فيليب فونداسي » .

تفسير أحد المستشرقين لموقف الإسلام من المال تفسيرا بعيدا عن التصور الإسلامي له ، فاهما قوله تعالى : ﴿ **خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها ..** ﴾[١]. حيث قال : (إن الأموال المادية - في نظر الإسلام - هي من أصل شيطاني نجس ، ويحل للمسلم أن يتمتع بهذه الأموال شريطة أن يطهرها وذلك بإرجاع الأموال إلى الله) .

وقد ردد هذا الفهم الأب « دومينيكاني » الذي كان يقيم في مصر في إحدى محاضراته عن علم الكلام في جامعة مونتريال (إن المسلمين يتجنبون الناس الذين يشتغلون بالمال ، ويعتبرونهم أقرب للكلاب منهم للبشر ولاشك أن كلاما كهذا في مجتمع مادي النزعة يسيىء للإسلام والمسلمين أيما إساءة)[٢] .

---

(١) سورة التوبة ١٠٣ .

(٢) الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي - د . محمد البهي صـ ٥٧ .

٨ - قياسهم لقضايا الإسلام والأحداث التاريخية والعادات والأخلاق الإسلامية بأسلوب التفكير والسلوك والمنهج الغربي وتفسير هذه الأمور تفسيرا ماديا ، وبنوازع نفسية دنيوية . وليس أثرا لدافع مرضاة الله وثواب الآخرة ، وأكثر ما يظهر هذا المنهج عندهم في السيرة النبوية ، والتاريخ الإسلامي[١] ومحاولة تضخيم الأخطاء ، والتصرفات الشخصية ، وحمل الكثير منها على غير محملها الحسن .

من ذلك تعليلهم الفتوحات الإسلامية أنها كانت للسيطرة على الموارد المالية للأقطار المفتوحة لحاجة المسلمين الماسة للمال . وهذا ما ركز عليه لإثباته صاحب كتاب (الإسلام قوة عالمية متحركة)[٢] وهذه النظرة للإسلام ليست بغريبة على الحس الغربي الذي كانت من ضمن أهداف حروبه الصليبية هذا الهدف .

وزعم بعضهم على أن ظاهرة الدين الإسلامي الذي دعا إليه محمد - ﷺ - زاد نموها بسبب ما كان موجودا من ظاهرة التعبد سواء لله بين الحنفاء أو للأصنام كما هو حال قريش . فعلى هذا فالإسلام يعتبر سلسلة من التغيرات الاجتماعية في هذا المجال[٣] .

كما أنهم من هذا الفهم المادي أنكر بعضهم الوحي والنبوة والمصدر الرباني للقرآن وهذا الفهم صادر عن فهمهم للأديان الأخرى التي يعتبرونها من صنع الرسل وتلامذتهم .

وكان من بين هؤلاء المستشرقين « بروكلمان » في كتابه (تاريخ الشعوب الإسلامية) و « روزنتال » الذي يصور التاريخ الإسلامي سلسلة متصلة من الحكام الطغاة ، وأن التاريخ الحضاري للإسلام كان تكرارا مسجلا للأفكار ، وأن التاريخ الديني كان بقايا متحجرة متجمدة تناقلتها الأجيال بعضها عن بعض[٤] .

---

(١) أجنحة المكر الثلاثة صـ ١٤١ - ١٤٨ .
(٢) الإسلام في الفكر الغربي د . محمد شامة صـ ٨٦ .
(٣) نفس المرجع صـ ٣٤ .
(٤) نفس المرجع صـ ١٠٣ .

٩ - اعتماد المنهج المعكوس والانتقاء الكيفي والتفسير الاختياري للنصوص .

وهذا المنهج يقوم على تبييت فكرة مسبقة ثم يجيئون بوقائع ونصوص تؤيدها ويستبعدون ما دون ذلك .

ومن هؤلاء المستشرق « كيتاني » الذي وضع رأيه وأفكاره في السيرة قبل الشروع فيها فاستعان لذلك بكل خبر ضعيف وعده حجة وبنى عليه حكمه .

وقد أشار لهذا المنهج « ايتين دينيه » في كتابه (الشرق كما يراه الغرب) حيث يقول : (لقد أصاب الدكتور سنوك هير غونجه بقوله : إن سيرة محمد الحديثة تدل على أن البحوث التاريخية مقضي عليها بالعقم إذا سخرت لأي نظرة أو رأي سابق) .

ومن أصحاب المنهج الانتقائي « لامانس » المستشرق الفرنسي ، وقد تمثل هذا واضحا في معالجته لبعض القضايا التاريخية عارضا لها على أفكاره ومعتقداته الخاصة دون أن يعبأ بالموضوعية .

ومنهم كذلك (بروكلمان) الذي لا يشير إلى دور اليهود في تأليب الأحزاب على المدينة . ولا إلى نقض بني قريظة عهدها مع الرسول - ﷺ - حيث أظهر هذا بقوله : (ثم هاجم المسلمون بني قريظة الذي كان سلوكهم غامضاً على كل حال)[١] .

١٠ - المنهج التأثري المنطلق من رواسب تنصيرية كنسية ، أو من خلفيات علمانية ، أو من رواسب يهودية .

وهذه في معظمها يستخدمها الفكر السياسي الاستعماري لمصالحه القومية وقلما نجد قضية هامة عولجت متحررة من ذات الباحث وأفكاره السابقة .

---

(١) الإسلام والمستشرقون صـ ١٢١ - ١٢٢ .

ومثال هذا في دراسات المستشرقين وكتاباتهم كثير منها :

زعمهم أن الدين الإسلامي : دين سيف ، وأنه أقيم على سفك الدماء ، وأنه دين الهمجية والإجرام ، إلى غير ذلك من التهم التي لفقها للإسلام أعداؤه من اليهود والنصارى .

في حين أنهم يظهرون النصرانية بأنها دين الرحمة والمحبة والتسامح وبأنها تبغض البغضاء والقتال .

ومن بين هؤلاء المستشرقين « هربرت جوتشالك » في كتابه (الإسلام قوة عالمية متحركة)[1] .

ومن ذلك ما ذكره المستشرق « مايور » كما نقله عن « مارجليوث » [أن أهل البدو كانوا كثيري الاهتمام بتعلم البلاغة وطلاقة اللسان ، فلا يبعد أن النبي - ﷺ - قد مارس هذا الفن حتى نبغ فيه] .

هذا الكلام غير العلمي يدل على مقدار تحكيم الهوى ونزعة العداء في أقوالهم المليئة بالافتراءات والتخيلات الملقاة على كواهلها . والكل يعرف أن أمر العربية وأساليبها البلاغية كان أهل البادية يتقنونها سليقة لا تعلما .

ومن ذلك مهاجمة « جولد تسيهر » وافتراؤه على الإمام « الزهري » واعتباره وضاعا للأحاديث حيث اتهمه بوضع حديث « لاتشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد »[2] وحجته في ذلك أن الزهري وضعه لعبد الملك بن مروان ليصرف الناس عن مكة والمدينة إلى المسجد الأقصى . مع أن كتب الجرح والتعديل كلها أجمعت على صدق هذا الإمام الجليل وأمانته وورعه[3] ومع أن الزهري لم يلق « عبد الملك » إلا بعد سنوات من مقتل « ابن الزبير » .

---

(١) انظر الإسلام في الفكر الأوربي صـ ٧٦ .
(٢) مسند الإمام أحمد ٢ / ٢٣٤ .
(٣) الاستشراق والمستشرقون صـ ٤٦ .

١١ - رد معطيات السيرة وغيرها من القضايا الإسلامية إلى أصول نصرانية أو يهودية .

وكان من بين هؤلاء المستشرقين « كليرتسدال » في كتابه (مصادر الإسلام) الذي حاول إظهار الإسلام من مصادر شتى على رأسها اليهودية والنصرانية .

و « قسيس إنجليكاني » في كتاب له من سلسلة « بنجوين » الذي زعم أن الإسلام صورة غير محكمة أو مشوهة للمسيحية .

وكذلك « ولفرد كانتول سمت » الذي حاول جاهدا أن يوضح نقاط التشابه بين الإسلام والنصرانية و « جولد تسيهر » الذي سلك هذا المسلك في كثير من كتبه ، وغير هؤلاء المستشرقين كثير[1] .

١٢ - المنهج التلقائي شبه العفوي : كان منهج بعضهم في البحث الاتفاق المسبق والتعاون الجماعي على ترويج الأكاذيب عن الإسلام ، والتاريخ الإسلامي ، وإضفاء صفة العلمية على هذه الأكاذيب ، واستعماله بطريقة تلقائية شبه عفوية ، بحيث تبدو وكأنها حقائق بديهية ، وحتى ينشغل المسلمون بها وبموقف الدفاع انشغالا دائما يمنعهم من اتخاذ موقف البناء ، أو الهجوم على النصرانية واليهودية .

فمن هذه الأكاذيب :

تشويه مكانة المرأة في الإسلام ، وحقيقة تعدد الزوجات في حياة النبي - ﷺ - والجهاد وقضية انتشاره بالسيف والعنف - بزعمهم -، وبأن الإسلام دين لا دولة ، وأنه دين يتعدد بتعدد شعوبه ، وأن عقيدته تجلب الحيرة للمسلم كما زعم ذلك « رينان » .. إلخ[2] .

١٣ - من مناهجهم اعتماد الطابع العلمي الوضعي والرؤية المحدودة للقضايا الإسلامية .

---

(١) الإسلام والمستشرقون صـ ١١٩ .
(٢) العقل المسلم في مرحلة الصراع الفكري - د . عبد الحليم عويس ، مكتبة الفلاح صـ ١٨ .

إن اعتماد هذا المنهج عند بعض المستشرقين أوقعهم في كثير من الأخطاء ، فمن هؤلاء المستشرقين « فلهاوزن » وعدد من رفاقه الذين اعتبروا الحركة الإسلامية إقليمية لأهل مكة فقط وأنها لم تنتقل للمرحلة العالمية – في العصر المدني – إلا بعد أن أتاحت لها الظروف لذلك ، ولم يكن الرسول – ﷺ – ليفكر بذلك من قبل .

وقد رد « سيرتوماس أرنولد » هذه الدعوى بقوله : (من الغريب أن ينكر بعض المؤرخين أن الإسلام قد قصد به مؤسسه في بادىء الأمر أن يكون دينا عالميا برغم هذه الآيات البينات ..)[1] .

١٤ – استنباط الأمر الكلي والقواعد الكبرى من الحوادث الجزئية والمسائل الفرعية ، فنتج عن ذلك أخطاء جسيمة ، ومفارقات عجيبة من ذلك ما بنى عليه بعض المستشرقين على وجود بعض الكلمات في القرآن المتشابه ببعض اللغات الأخرى على أن القرآن ليس عربيا ومصدره لغات وديانات شتى .

وكذلك كان من وراء مزاعمهم هذه إيجاد فجوة بين بيان القرآن وبين لغة الكتابة العربية لتستعجم الألسنة ، ولينقطع الطريق لفهم الإسلام .

ومن أجل تحقيق هذا الهدف توالت دعوات المستشرقين لعدم التمسك بهذه اللغة وعدم اعتبارها مقدسة ؛ فدعوا للعاميات وللكتابة بالحروف اللاتينية وترك الإعراب زعما أن ذلك أيسر على الأجنبي في تعلم العربية .

وكان منهم المستشرق الفرنسي « ماسينيون » و المستشرق « مارجليوث » البريطاني اليهودي و « وليم ويلكوكس » ، و « ويلمور » ، وغيرهم كثير[2] . وقد تبنى هذه الدعوة من أبناء العربية مجموعة من تلاميذ الاستشراق – سبق أن ذكرت بعضهم – وكزعم أن تأخر كتابة السنة كان سببا لإضعاف الثقة فيها فدخلها الوضع والكذب .

---

(١) الإسلام والمستشرقون صـ ١٢٩ .

(٢) الإسلام والمستشرقون – عدد خاص صادر عن ندوة العلماء لكنهو في الهند صـ ٨٣ – ٩١ .

١٥ – تضخيم الأخطاء الصغرى والتصرفات الشخصية ، وجعلها تطغى على ساحة صورة تاريخ المسلمين ، وطمس الصور الرائعة المشرقة في هذا التاريخ .

من ذلك محاولة تضخيم ما حصل من فتن وحروب بين الصحابة وخروج بعض الفرق عن طريق مذهب أهل السنة ذاكرين دوافع لها في قمة الغرابة والاستهجان .

والمعروف أن مثل هذه الهفوات أمر لا تخلو منه أمة من الأمم لأن هذا من طبيعة البشر . ولكنه الحقد الدفين والعداء السافر الموجه لهذا الدين .

١٦ – النفي الكيفي وإثارة الشكوك في معطيات السنة والتاريخ الإسلامي وخاصة السيرة النبوية .

لقد غالى المستشرقون في كتاباتهم في السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي كثيرا ، وأثاروا كثيرا من الشكوك حولهما ومن الغريب أن بلغ بهم الأمر إثارة الشك في اسم الرسول – ﷺ – ولو تمكنوا لأثاروا الشك حتى في وجوده حسدا وحقدا على هذا الدين . وقد أشار « درمنغهم » إلى هذه المسألة فقال : (من المؤسف حقا أن غالى بعض هؤلاء المتخصصين – من أمثال موير ، ومارجليوث ، ونولدكه ، وشبرنجر ، ودوزي ، وكيتاني ومارسين ، وغويم ، وجولد تسيهر ، وغود فروا ، وغيرهم – في النقد أحياناً فلم تزل كتبهم عامل هدم على الخصوص ، ومن المحزن ألا تزال النتائج التي انتهى إليها المستشرقون سلبية ناقصة ، ولن تقوم سيرة على النفي ، ومن دواعي الأسف أن كان الأب « لامانس » الذي هو من أفضل المستشرقين المعاصرين من أشدهم تعصبا ، وأنه شوه كتبه الرائعة الدقيقة وأفسدها بكرهه للإسلام ونبي الإسلام ، فعند هذا العالم اليسوعي أن الحديث إذا وافق القرآن كان منقولا عن القرآن فلا أدري كيف يمكن تأليف التاريخ إذا اقتضى تطابق الدليلين لتهادمهما بحكم الضرورة بدلا من أن يؤيد أحدهما الآخر[1] ؟!

(١) الإسلام والمستشرقون صـ ١٢٥ – ١٢٦ .

ومن أمثلة ذلك رد بعض المستشرقين كل ما لم يرد في القرآن من أحداث السيرة ، كان منهم :

« ولفنسون » الذي رد صحة الرواية التي بينت سبب محاربة الرسول - ﷺ - وإجلائه لبني النضير وهي محاولتهم اغتياله - ﷺ - وحجة هذا المستشرق أن هذه الرواية لم يرد ذكرها في القرآن الكريم .

دلالات منهجية في أعمال المستشرقين :

١ - لوحظ أن أبحاث المستشرقين والمبشرين تكاتفت على تشويه الإسلام والتحيز ضده مع محاولات التغيير الديني والفكري والسلوكي للمسلمين .

٢ - لوحظ أن كثيرا من الشخصيات الاسشراقية كانت ذات مسوح كنسية تخصصت بالشرقيات عامة وبالإسلاميات خاصة ، بالإضافة إلى اللاهوت المسيحي ، فاستحوذ عليهم التنصير الكنسي والاستشراق المعرفي .

٣ - لوحظ تأثير كل الفرق والمذاهب المسيحية في الفكر الاستشراقي عموما والكاثولوكية المتطرفة على وجه الخصوص .

٤ - يلاحظ أن التحصيل الكنسي يسبق التحصيل الاستشراقي ولم نسمع أن مستشرقا علمانيا مثلا أتم تحصيله الاستشراقي ثم عاد إلى الكنيسة للتعلم .

٥ - من الناحية التحصيلية فإنه لا يعسر أن نجد شخصيات استطاعت بتفوق قدراتها أن تجمع المعارف الغزيرة في علوم شتى وبلغات عدة .

٦ - لوحظ أن أنصاف المتعلمين والباحثين من المستشرقين والتأثير المتبادل عليهم من الكنيسة والاستشراق دفعهم إلى تزييف الحقيقة أو ضياعها . كل ذلك يعود لضعف الشخصية والرواسب البيئية .

٧ - الملاحظ أن تأثير الكنيسة على المستشرقين كان أشد وأقوى من العمل الاستشراقي حتى إن الطابع البحثي يغلب عليه الروح التنصيرية سواء كان في الموضوعات أو في الطريقة .

٨ – أن المستشرق المنصر لا يمكن أن يتحرر من بصمات المعارف والبواعث الكهنوتية في دراساته مهما حاول أن يعلن خلافهما أو يتظاهر بمنهجيتها[١] .

٩ – كما لوحظ وضوح البصمات اليهودية في أبحاث المستشرقين اليهود كمحاولة جعل اليهودية مصدر الإسلام ، وصاحبة الفضل عليه .

١٠ – وكذلك لوحظ عدم النزاهة ، والدقة ، والتجرد لكثير من المستشرقين في أبحاثهم . لذا جاءت أبحاثهم فجة ، مليئة بالأخطاء .

---

(١) في الغزو الفكري صـ ١٦٠ – ١٦١ .

الباب الأول

المستشرقون وكتاباتهم حول القرآن الكريم

الباب الأول

المستشرقون وكتاباتهم حول القرآن الكريم

الفصل الأول

مستشرقون أفردوا مؤلفات حول القرآن الكريم

الفصل الثاني

مستشرقون كتبوا عن القرآن من خلال مؤلفاتهم

ملحـــق

لأسماء مجموعة من كتب المستشرقين حول القرآن الكريم

الفصل الأول

مستشرقون أفردوا مؤلفات حول القرآن الكريم

المبحث الأول

مقدمة القرآن – لمؤلفه ريتشارد بل

المبحث الثاني

مقدمة القرآن – لمؤلفه مونتجمري واط

المبحث الثالث

القرآن – لمؤلفه ريجي بلاشير

المبحث الرابع

مقدمة القرآن – لنفس المؤلف

المبحث الخامس

مصادر الإسلام – لمؤلفه كلير تسدال

المبحث السادس

جمع القرآن الكريم لمؤلفه جون بيرتون

المبحث السابع

صلة القرآن باليهودية والمسيحية – لمؤلفه د . فلهلم رودلف

المبحث الثامن

المفردات الأجنبية في القرآن – لمؤلفه آرثر جيفري

المبحث التاسع

مقالة في الإسلام – لمؤلفه جرجيس صال

المبحث العاشر

التوراة والإنجيل والقرآن والعلم – لمؤلفه موريس بوكاي

المبحث الحادي عشر

مذاهب التفسير الإسلامي – لمؤلفه جولد تسيهر

المبحث الثاني عشر

مصادر وطرق لتفسير الكتاب المقدس – لمؤلفه ج . فانسبرف

المبحث الثالث عشر

تاريخ النص القرآني – لمؤلفه تيودور نولديكه

الباب الأول

المستشرقون وكتاباتهم حول القرآن الكريم

الفصل الأول

مستشرقون أفردوا مؤلفات حول القرآن الكريم

هذا الفصل أفردته للحديث عن بعض الكتب التي تحدثت عن القرآن الكريم ، وقد بلغت ثلاثة عشر كتابا عرفت بالمؤلف بما تيسر لي من كتب التراجم المختصة بهم . ومن لم أترجم له فلعدم تعرض هذه الكتب له ، وسبب ذلك غالبا لوجوده على قيد الحياة .

كما تعرضت فيها لعرض ما جاء في الكتاب باختصار ثم قومت الكتاب وذكرت فيه رأيي بإيجاز .

والجدير بالذكر أن هذه هي مجموعة من الكتب التي وقفت عليها وأكثرها كان مرجعا لعملي في هذه الرسالة ، وقد عرفت بها القارىء على نماذج من منهج هؤلاء المستشرقين في كتبهم حين يتعرضون فيهاؤ للقرآن الكريم ليقف القارىء على مقدار التحامل والمغالطات التي في هذه الكتب فيحذروها .

المبحث الأول

مقدمة القرآن

لمؤلفه ريتشارد بل

تعريف بالمؤلف :

« ريتشارد بل » إنجليزي الأصل وهو أحد أساتذة اللغة العربية بجامعة ادنبره ، صرف سنين عدة من عمره في دراسة القرآن الكريم وتاريخه دراسة وافية متتالية فكان من أشهر أعماله :

١ – ترجمة للقرآن الكريم .. سنة ١٩٣٧م – ١٩٤١ م .

٢ – ومقدمته للقرآن الكريم .. وهي قيد التعريف .

٣ – أسلوب القرآن الكريم .. سنة ١٩٤٢ م – ١٩٤٤ م .

٤ – المتشابه في القرآن الكريم .. سنة ١٩٨٢ م .

٥ – أهل الأعراف .. سنة ١٩٣٢ م .

٦ – سورة الحشر .. سنة ١٩٤٨ م .

وله عدة مقالات أهمها :

١ – « الحديث عند المسلمين » سنة ١٩١٣ م – ١٩٢٢ م . نشرت هذه المقالة في الجمعية الشرقية .

٢ – « أذن في الناس بالحج » نشرت هذه المقالة في مجلة الجمعية الملكية الآسيوية ١٩٣٧ م.

٣ – « معلومات محمد عن العهد القديم » نشرتها مجلة الدراسات السامية والشرقية سنة ١٩٤٥ م، وغير ذلك من الأبحاث والمقالات كثير .

وقد اقتصرت على ذكر هذا العدد من المؤلفات والمقالات خوفا من الإطالة .

تعريف بالكتاب :

أصدر « بل » هذه المقدمة سنة ١٩٣٥ م وطبعتها مطبعة جامعة أدنبره ، وقد مات المؤلف أثناء عمل تجارب الطباعة لهذا الكتاب فقرأها صديقه « جلبرت واطسون » الذي كان يشغل وظيفة كبير المفتشين لمدارس اسكتلندا ، وراجعه القس « أ. ت. جوردن » الحاصل على درجة الماجستير في الآداب ، وأستاذ اللغة العربية ، والدراسات الإسلامية بالجامعة الأمريكية بالقاهرة .

وقد قام بتجميع العمل « ر . ر . كلارك » وبلغت عدد صفحات الكتاب (١٧٣) بالقطع المتوسط غير الفهارس .

وقد قسمه لعشرة فصول :

الفصل الأول -:

وعنوانه : (الموقف التاريخي ومحمد) :

تحدث « بل » في هذا الفصل عن البيئة التي نبتت فيها الدعوة الإسلامية وما كان لها من تأثير على التعاليم والعقائد الإسلامية ، كالاعتقاد بالجن وموقفه من الكهان ، وتأثير اليهودية والنصرانية والحنفاء على الأسلوب القرآني وتأثير الموقف العالمي حول الجزيرة على الدعوة الإسلامية وخاصة المجوسية والزرادشتية .

ثم تحدث عن موقف الإسلام من المرأة . ثم عن الكتابة والقراءة وتأثير ذلك على رسول الله - ﷺ - .

ثم ذكر نبذة عن سيرة رسول الله - ﷺ - ثم تحدث عن الأشهر العربية والأشهر الحرم منها . ثم ختم الفصل بالحديث عن الوحي ومعناه ، واستعمالاته في القرآن الكريم .

الفصل الثاني -:

وعنوانه : (أصل القرآن) :

تحدث في هذا الفصل عن القرآن ونزوله وجمعه والصحف الخاصة بالصحابة رضوان الله عليهم ، والنص القرآني من حيث الزيادة والنقصان . متأثراً بأقوال الشيعة الذين يزعمون بأن النقص والزيادة والاضطراب دخل القرآن الكريم ، ثم تعرض في نهاية الفصل للقراءات القرآنية السبعة وقرائها ومن اعتنى بها من المستشرقين أمثال : براجشترستر ، وبيرتزل ، وآرثر جيفري ، وهؤلاء اعتنوا بهذا الجانب خاصة « القراءات الشاذة » . ساردا بعض الأمثلة على ذلك ؛ ليخلص منها أن هذه القراءات ما هي إلا نسخ أخرى من القرآن الكريم تقابل النسخة العثمانية ليدلل على وجود الاضطراب والاختلاف في نص القرآن الكريم .

الفصل الثالث -:

وعنوانه : (شكل القرآن) :

تحدث المؤلف في هذا الفصل عن أقسام القرآن الكريم إلى أجزاء وأحزاب وأرباع وسور وعناوين السور ثم تحدث عن الحروف المقطعة ثم ذكر أن الغرض من وراء هذا التقسيم كان لغرض التلاوة – على حد تعبيره – ثم ذكر موقف ابن مسعود من المعوذتين ، ثم تحدث عن إيقاع الآيات القرآنية وعن الصور الدرامية في القرآن الكريم ، ثم وضع جدولا إلى نهاية الفصل حسب طبيعة ردسلوب التي اعتمدها « فلوجل » ذاكرا أرقام هذه الآيات بأرقام رومانية .

الفصل الرابع -:

وعنوانه : (بنية وأسلوب القرآن) :

تحدث « بل » في هذا الفصل عن أسلوب القرآن الكريم زاعما أنه غلب عليه السجع والإلزامات المتكررة لتأثره بسجع الكهان كما ذكر أن أسلوبه امتاز بالقصر وشدة الإيقاع ، والتكرار ، والفقرات التوكيدية . وأنه كان غنيا بالقصص والحكايات الرمزية ، والتشبيهات ، والاستعارات .. إلخ .

الفصل الخامس -:

وعنوانه : (تصنيف السور) :

تكلم في هذا الفصل عن السور القرآنية من حيث الطول والقصر وتكرار العبارات المسجوعة والانقطاع النحوي للجمل والإقحامات لبعض الفقرات كتكميلات بديلة على حسب زعمه . زاعما أن هذه التكميلات كانت بعد تمام الجمع ، وأكد أن هذا كان بفعل جمعة القرآن الذين كانوا يضعون ما على ظهر الورقة بصورة عشوائية ، ثم ذكر أن عدم كفاية التفسيرات العادية لإيضاح بعض العبارات غير المترابطة أدى إلى بعض الاضطراب والخلط ، وضرب على ذلك بعض الأمثلة[1] .

ثم ذكر بعض الفقرات التي ناقشت موضوعات سببت مشكلات حرجة لمحمد - حسب زعمه - ثم ذكر في هذا الفصل أن الصورة الحالية للقرآن تعتمد على وثائق مكتوبة ترجع إلى زمن حياة الرسول ﷺ .

ثم ختم الفصل بالحديث عن الناسخ والمنسوخ .

الفصل السادس -:

وعنوانه : (الترتيب الزمني للقرآن) :

عالج « بل » في هذا الفصل قضية الترتيب في القرآن الكريم وذكر موقف المستشرقين منها ، ومحاولات المستشرقين لترتيب القرآن الكريم ترتيبا زمنيا كمحاولة « نولديكة » و « موير » و « جريم » وغيرهم ، مبينا العناصر التي اعتمدوها في هذه المحاولات كتحليل مواد السورة بدراسة الأسلوب ، والصياغة وعلاقتها بتكليف محمد بالرسالة لأول مرة ، وعلاقة ذلك بمبدأ عقوبة الكافر ، مع بيان ردة فعله على عداوة يهود المدينة له مع مراعاة تواريخ بعض الفقرات ثم ذكر جدولا بين فيه ترتيب سور القرآن الكريم حسب المصحف العثماني

---

(١) سأناقش الأمثلة التي أوردها (بل) وغيره في موضعها من الرسالة .

وحسب رأي « نولديكة » و « جريم » و « موير » وحسب ترتيب المصحف المصري .

الفصل السابع :-

وعنوانه : (مراحل نمو القرآن) :

تحدث « بل » في هذا الفصل عن دلائل قدرة الله سبحانه وعلى كرمه بإنعامه على خلقه ، مع ربط هذا الأمر بآيات البعث ، زاعما أن كثيرا من هذه الآيات قد روجعت وعدلت بحيث تتلاءم مع وضعها الحالي في المصحف ، وزعم أن ذلك بسبب التأثر بالمصادر المسيحية . ثم تناول معنى « مثاني » مبينا فهم بعض المستشرقين لها حيث فسرها بعضهم بالفاتحة بآياتها السبع ، أو هي سبع قصص عقاب كثر تكرارها في القرآن الكريم : كقصة عاد ، وثمود وأصحاب الحجر ، وأهل الأيكة ، وقوم تبع ، وسبأ ، وقصة نوح ، وغيرها .

ثم ختم الفصل بالحديث عن أسماء القرآن الكريم :

(القرآن – الكتاب – الفرقان) .

الفصل الثامن :-

وعنوانه : (محتوى القرآن ومصادره) :

تحدث « بل » في هذا الفصل عن تعاليم القرآن الكريم وأهدافه ودرجة تأثره باليهودية والنصرانية ، والمبدأ الأساسي الذي دعا له : وهو توحيد الله سبحانه ، وأسمائه ، وصفاته ، وزعمه تأثر بعض أسماء الله عز وجل (كالرحمن) بالمذهب المانوي ، وغيره . ثم تحدث عن تطور معنى كلمة « رسول » من المعنى الإقليمي إلى المعنى العالمي .

ثم ختم الفصل بالحديث عن نهاية العالم ، ومصير الإنسان فيه إلى جنة أو نار .

الفصل التاسع -:

وعنوانه : (القصص) :

تحدث في هذا الفصل عن القصص القرآني ومقدار تأثره باليهودية والنصرانية ، واعتماده على المصادر الشفوية أكثر من المصادر المكتوبة الموثقة - في نظره - ثم ذكر أن بعض القصص كان فيه اضطراب واضح - على حد زعمه - .

الفصل العاشر-:

وعنوانه : (التشريع) :

تحدث « بل » في هذا الفصل عن بعض العبادات في الإسلام كالصلاة والصيام والزكاة والحج ، ثم تناول بعض جوانب التشريع المتعلقة ببعض المطعومات والمشروبات : كالخمر ، والربا ، والمقامرة ، ثم تحدث عن بعض الأحكام المتعلقة بالأسرة كالزواج ، والطلاق ، والإرث .. إلخ . وختم الكتاب بقائمة فهارس تخدم الكتاب .

تقويم الكتاب :

الكتاب يمثل دراسة أكاديمية بذل فيها المؤلف جهدا كبيرا ولكنها لم تتجرد عن النزعة العدوانية للإسلام . وقد ملىء كتاب « بل » بكثير من الأخطاء وسببها اعتباره القرآن الكريم من تأليف محمد - ﷺ - لذا أخضعه لمقاييس الكتب البشرية من حيث الأفكار والأسلوب والمضمون وغير ذلك مما تورثه البيئة في فكر المؤلف وأسلوبه .

فمن هنا وجدنا « بل » يعتبر أن التأثير الأكبر على شخص رسول الله - ﷺ - كان من البيئة المحلية كاليهودية والنصرانية والوثنية ومن البيئة الخارجية كالمجوسية والزرادشتية .

وكذلك وجدنا « بل » في كتابه ركز على الطعن في سلامة النص القرآني ، فزعم أنه مضطرب دخلته الزيادة والنقصان ، والتلفيق بين بعض الفقرات مبتدعا نظرية سماها (نظرية التكميلات البديلة) .

ونلاحظ أن الموروثات الفكرية عند « بل » والمنهج الذي وضعه لنفسه كانا السبب في وقوع « بل » في كثير من الأخطاء العلمية المردودة عليه والتي سأرد عليها في مواضعها من الرسالة إن شاء الله .

المبحث الثاني

مقدمة القرآن

لمؤلفه دبليو منتجمري واط

تعريف بالمؤلف :

هو عميد قسم الدراسات العربية في جامعة أدنبره ، له عدة مؤلفات عن الإسلام منها : هذه « المقدمة » ، وكتاب « الإسلام » و « الإسلام والجماعة الموحدة ، دراسة فلسفية اجتماعية » ، و « محمد في مكة » ، و « محمد في المدينة » ، و « الوحي الإسلامي في نظر العالم الحديث » ، و « الجدل الديني »[1] .

تعريف بالكتاب :

هذا الكتاب هو الثامن من سلسلة الدراسات المسيحية الإسلامية ، وقد طبع لأول مرة في سنة ١٩٧٧ م .

قسم المؤلف الكتاب لأحد عشر فصلا سوى الفهارس والمقدمة وهو في (١٨٥) صفحة بالقطع المتوسط .

الفصل الأول :

وهو بعنوان : (السياق التاريخي) :

وهو دراسة تاريخية تناول فيها المؤلف الجزيرة العربية ، والموقف العالمي حولها في ذلك الوقت وموقف هذه الدول منها ، ثم تناول حياة محمد - ﷺ - وما أثرته هذه البيئة وطبيعة عصره عليه ، ملحقا هذا الفصل بملحقين :

---

(١) المستشرقون ٢ / ١٣٢ .

الملحق الأول :

جدول زمني متسلسل لمجرى حياة الرسول - ﷺ - .

الملحق الثاني :

تكلم فيه عن كلمة « حنيف » من حيث المعنى وعلاقتها بحنيفية إبراهيم - عليه السلام - .

الفصل الثاني :

وعنوانه : (خبرة محمد كرسول) :

تكلم « واط » في هذا الفصل عن موقف الناس من الدعوة الإسلامية ثم تكلم عن الوصف القرآني للوحي والنبوة ، وإمكانية فهم الوظيفة النبوية . ثم تحدث عن القرآن الكريم وحفظه في زمن الرسول ، ولم يمانع المؤلف من وجود شيء منه مكتوبا بشكل ما ، ثم ناقش قضية أمية الرسول - ﷺ - .

الفصل الثالث -:

وعنوانه : (تاريخ النص القرآني) :

تحدث في هذا الفصل عن مراحل جمع القرآن الكريم (كصحف خاصة - ثم جمعه في عهد أبي بكر وعثمان - رضي الله عنهما -) ثم تناول أسلوب القرآن الكريم في تلك الفترة . ثم ختم الفصل بالحديث عن موثوقية القرآن من حيث اكتماله أو احتمال سقوط وضياع شيء منه .

الفصل الرابع -:

وعنوانه : (الشكل الخارجي للقرآن) :

تناول المؤلف في هذا الفصل أسماء القرآن الكريم ، وأقسامه ، والطقوس الدينية التي يقرأ فيها ، وآياته ، وترتيبها ، والإيقاعات والإلزامات في قوافي الآيات - كما يسميها - أي (الفاصلة القرآنية) ثم تحدث عن الحروف المقطعة

ومعناها وأقوال المستشرقين في ذلك . ثم تحدث عن الصور الدرامية – كما يسميها – الموجودة في أسلوب الخطاب القرآني ويقصد بذلك أسلوب الالتفات في القرآن الكريم .

الفصل الخامس :-

وعنوانه : (خصائص الأسلوب القرآني) :

تحدث « واط » في هذا الفصل عن القوافي القرآنية ، والوزن الشعري في الآيات القرآنية . والصيغ التعليمية المختلفة التي جاءت في القرآن الكريم كالأمثال والقصص وغيرهما . ثم تناول الآيات التي غلب عليها أسلوب الكهان . ثم تحدث عن أسلوب القصص والأمثال ذات المغزى الأخلاقي في القرآن الكريم . ثم تحدث بعد ذلك عن الاستعارة في القرآن الكريم . وختاما الفصل بالحديث عن لغة القرآن الكريم مطلقا عليها لغة الكويني (الشعر) .

الفصل السادس :-

وعنوانه : (تشكيل القرآن) :

تحدث المؤلف في هذا الفصل عن نظرية النسخ القرآني ، وإمكانية وجود المراجعة في النصوص القرآنية ثم ذكر نظرية أستاذه « بل » « التكميلات البديلة » ذاكرا بعض الشواهد على حدوث المراجعة والتعديل ، وذكر موقفه من هذه النظرية .

الفصل السابع :-

وعنوانه : (الترتيب الزمني في القرآن) :

تحدث في هذا الفصل عن وجهات النظر الإسلامية والتقليدية والأوربية حول التاريخ . مؤكدا أن تتابع الأفكار في القرآن دليل على عملية التاريخ الزمني والتطور الفكري في القرآن .

الفصل الثامن -:

وعنوانه : (أسماء الرسالة المنزلة) :

تحدث « واط » في هذا الفصل عن أسماء القرآن الكريم : (القرآن ، الكتاب ، التنزيل ، ذكر ، وذكرى ، وتذكرة ، وفرقان) .

ثم عقد فصلا عن كون القرآن الكريم آية ومعجزة . ثم تكلم عن معنى « مثاني » وعن طريقة عرض القرآن الكريم لجانب العقيدة ثم ختم الفصل بالحديث عن الجانب التشريعي الإسلامي وعن أركان الإسلام الخمسة .

الفصل التاسع -:

وعنوانه : (العلماء المسلمون والقرآن) :

تحدث المؤلف في هذا الفصل عن جهد العلماء المسلمين في علم التفسير والتأويل ، ثم تحدث عن المتكلم الحقيقي في القرآن الكريم ، وموقف المعتزلة من ذلك .

الفصل العاشر -:

وعنوانه : (القرآن والعلماء الغربيون) :

تحدث « واط » في هذا الفصل عن جهود العلماء الغربيين في ترجمة القرآن الكريم ، وتاريخ هذه الترجمة والمراحل التي مرت بها . ثم ذكر فهرسا بأشهر الكتب التي تناولت موضوعات القرآن الكريم المتعددة ، ثم علق على بعض هذه الكتب ككتاب (تاريخ القرآن) لـ « نولديكة » وكتاب (أبحاث جديدة في تركيب وتفسير القرآن) لـ « هيرشفيلد ١٩٠٢ م » وكتاب (تركيب القرآن وترتيبه الزمني) لـ« هيوبرت جريم » وغيرها من الكتب .

وفي آخر هذا الفصل تناول المشكلات التي تواجه الدارس غير المسلم خلال دراسته للقرآن الكريم مثل :

١ - مشكلة صدق هذا القرآن الكريم .

٢ – مشكلة المصادر الأصلية ذات العلاقة المباشرة بالنصوص القرآنية .

ثم ختم الفصل بقائمة للفهارس تخدم كتابه وجدولا للآيات القرآنية حسب ترتيب « فلوجل » مقارنا هذا الترتيب بترتيب المصحف المصري .

تقويم الكتاب :

منهج الكتاب والهدف من تأليفه :

الهدف من تأليف هذا الكتاب واضح وهو دراسة القرآن الكريم دراسة علمية بالطريقة الغربية خدمة لأغراضهم .

شمل هذا الكتاب كثيرا من أبواب علوم القرآن ، ولكنه لم يخرج فيه عن خطوات أستاذه « بل » إلا تخفيف حدة بعض العبارات الجارحة لشعور المسلمين التي كان لا يبالي بها أستاذه « بل » كما ذكر ذلك المؤلف نفسه في مقدمة كتابه .

وبسبب تبعية « واط » لأستاذه « بل » وقع في أخطاء عدة منها :

١ – اعتبار النبوة أمرا يكتسب بالخبرة والتجربة الحياتية .

٢ – تأثير البيئة على نشأة رسول الله ﷺ – حسب زعمه – لذا حاول بكل جهده الربط كغيره من الغربيين بين الإسلام والديانات الأخرى .

٣ – محاولة « واط » للتشكيك في سلامة القرآن من النقصان أو الزيادة .

٤ – قياسه أسلوب القرآن الكريم على الشعر ، والنثر المسجوع ومحاولة وصفه بسجع الكهان .

وقد ساقت هذه الدراسة لأسلوب القرآن الكريم المؤلف إلى القول بنظرية أستاذه « التكميلات البديلة » .

المبحث الثالث

كتاب القرآن

لمؤلفه : ريجي بلاشير[1]

تعريف بالمؤلـف :

ولد ريجي بلاشير في ٣٠ يونيو سنة ١٩٠٠ م في ضاحية مونروج في (باريس) ، ثم سافر إلى المغرب سنة ١٩١٥ م وتلقى فيها دراسة الثانوية والجامعية فقد حصل على الليسانس منها سنة ١٩٢٢ م .

ثم سافر بعدها للجزائر وتابع بعد ذلك دروس أستاذه « وليم مرسيه » حتى حصل على الدكتوراة من جامعة باريس سنة ١٩٣٦ م ، ثم عين بعدها مدرسا في المدرسة الوطنية للغات الشرقية لسنة ١٩٥٠ م . ثم أستاذا لكرسي اللغة والأدب العربي في (السوربون) لغاية سنة ١٩٧٠ م حين تقاعد وشغل عدة مناصب غيرها . وله عدة مؤلفات منها :

١ – القرآن وهو قيد التعريف في هذه الدراسة .

٢ – مقدمة عن القرآن وسأعرف به كذلك لاحقا .

٣ – ترجمة القرآن الكريم باللغة الفرنسية مرتبا السور والآيات حسب النزول . ثم أعاد الترجمة سنة ١٩٥٧ م حسب ترتيب المصحف .

٤ – له كتاب لخص فيه أبحاث المستشرقين الذين كتبوا عن حياة النبي محمد – ﷺ – .

---

(١) انظر المستشرقون نجيب العقيقي ١ / ٣٠٩ – ٣١٢ . وموسوعة المستشرقين – بدوي صـ ٨٢ .

٥ - كتاب بعنوان (معضلة محمد) .

وله عدة أبحاث حول القرآن وغيره منها :

٦ - نبذة عن النفس في القرآن - نشر هذا البحث في مجلة الساميات ١ ، ١٩٤٨ م .

التعريف بالكتاب :

صدر هذا الكتاب باللغة الفرنسية . ترجمه للعربية الأستاذ « رضا سعادة » وأشرف على الترجمة د . الأب فريد جبر . وحققه وراجع نصه الشيخ محمد على الزغبي . طبعة دار الكتاب اللبناني - بيروت - ط ١ لسنة ١٩٧٤ م .

وهو يقع في (١٧٩) صفحة من القطع المتوسط وهو في سبعة فصول :

الفصل الأول -:

وهو بعنوان : (المصحف بنيته وتكوينه) :

تحدث « بلاشير » في هذا الفصل عن نشأة رسول الله - ﷺ - في الجزيرة العربية ومقدار تأثره باليهودية والنصرانية ، ثم تحدث فيه عن جمع القرآن الكريم مقررا أن أول جمع تم في عهده - ﷺ - وذلك بتأثره باليهود - لأنه أحب أن يكون له كتاب خاص به كما لليهود كتاب - ثم تحدث عن الجمع الثاني في عهد « أبي بكر » - رضي الله عنه - والجمع الثالث في عهد الخليفة الثالث « عثمان بن عفان » - رضي الله عنه -.

ثم انتقل للحديث عن القراءات القرآنية ودورها في فهم النص القرآني . واعتراض بعض العلماء عليها زاعمين أنها تهدم قدسية النص القرآني . ثم تحدث عن موقف بعض الفرق الإسلامية من النص القرآني .

ثم تحدث بعد ذلك عن ترتيب الآيات والسور القرآنية في القرآن الكريم وتفسير القرآن إلى أجزاء ، زاعما أن القرآن فيه بلبلة فكرية وختم هذا الفصل بالثناء على « نولديكة » وتجربته في ترتيب المصحف ترتيبا زمنيا .

الفصل الثاني -:

وعنوانه : (الرسالة القرآنية في مكة) :

تعرض في هذا الفصل لأسلوب القرآن المكي ، والسور المكية وأن هذا الأسلوب كان متأثرا بشبح اليوم الآخر الذي كان يخيم على فكر الرسول - ﷺ - وهذه الفرية قد سبقه بها المستشرق « كازانوفا » ثم زعم « بلاشير » أن هذه القضية هي السبب في مجيء السور على نوعين :

الأول : سور قصيرة وهي بسيطة في إيحاءاتها ، وهي في إحدى عشرة سورة موزعة في المصحف .

الثاني : سور آياتها أطول في اثنتين وعشرين سورة تبتدىء بسورة الكهف وتنتهي بسورة النجم ، وهي مختلفة العناصر والأسلوب وقد ذكر أن كلا النوعين جاء لتثبيت العقيدة والتركيز عليها .

وقد لخص في نهاية الفصل أسلوب السور المكية زاعما أن القرآن في هذه الفترة كان مضطربا .

الفصل الثالث -:

وعنوانه : (رسالة القرآن في المدينة) :

ذكر « بلاشير » أن الوحي في هذه الفترة قد تطور حتى أصبحت سوره تمتاز بالطول . وهي أربع وعشرون سورة .

ثم ختم الفصل ببعض القضايا الخاصة بمحمد - ﷺ - وببعض المشاكل الخاصة بالوحي كمعالجته للنظام القبلي ، وغير ذلك .

الفصل الرابع -:

وعنوانه : (الواقعة القرآنية وعلوم القرآن) :

تحدث في هذا الفصل عن التنزيلات التي نزلت على رسول الله - ﷺ -

وبلغها للناس من انقلابات سياسية ، واجتماعية ، وتطورات فكرية وأخلاقية ، ونظرات علمية ودينية ، وما أدت هذه التنزيلات من تقدم حضاري وتمدن واضح في المجتمعات الإسلامية ، كما تحدث عن دور اللغة في هذا التمدن . ثم تعرض للأسلوب القرآني ودوره في إيجاد مذاهب تفسيرية كالتفسير النحوي لأهل البصرة وما نتج عن هذا الأسلوب من قراءات مختلفة .

ثم تحدث عن أسلوب القرآن المكي وما أحدثه من تفوق إبداعي في جانب الإعجاز القرآني ، والعلوم ذات العلاقة بالبلاغة كالاستعارة ، والمجاز ، وغيرهما . مما حدا بالتفسير أن يظهر بعد ذلك كعلم مستقل .

الفصل الخامس -:

وعنوانه : (التفسير القرآني - أصوله وأغراضه) :

ذكر المؤلف في هذا الفصل أن بدايات هذا العلم كان من عهد رسول الله - ﷺ - ثم تابع سيره ملازما للسلطة المرتبطة بهذا الوحي .

ثم تحدث عن الصعوبات التي كانت تواجههم لخدمة هذا العلم كعدم ثبوت الخط العربي الذي نتج عنه غموض في اللهجات ، وتعدد في القراءات سببت نشأة علم التفسير .

كما أنه ذكر أن من أسباب تطور هذا العلم تعدد الفرق الإسلامية وحرصها على دعم آرائها بالنصوص القرآنية وحمل شروحها لما يوافق آراءهم . مما أظهر نوعين من التفسير .

١ - التفسير اللفظي .

٢ - التفسير التأويلي .

ثم ذكر بعض مشاهير المفسرين ، وأهم كتب التفسير : كتفسير الإمام الطبري وهو التفسير بالمأثور .

ثم ذكر أنه ظهر في النصف الثاني من القرن الحادي عشر ، تفسير غلب عليه الطريقة الكلامية بقيادة الإمام « الرازي » - رحمه الله - ثم انتشر بعد ذلك ألوان عدة من التفسير ، كالتفسير العقلي في مدرسة الشيخ « محمد عبده » .

الفصل السادس :-

وعنوانه : (القرآن والسنة مصدر العقيدة والشريعة في الإسلام) .

تكلم في هذا الفصل عن السنة ودورها في التعرف على سيرة الرسول - ﷺ - وتاريخ نزول القرآن وتأثيره على مفهوم النسخ ، وفهم النص القرآني . كما تعرض لموقف بعض الفرق من النص القرآني كالجبرية ، والقدرية .

كما ذكر أن للسنة دورا في ظهور مدرسة التأويل بالحديث . ثم تحدث عن كون القرآن مصدرا للأحكام الشرعية كالزنا ، والخمر ، والربا ، والحرابة ، وغيرها .

ثم تحدث بعد ذلك عن مصادر التشريع الإسلامي بعد القرآن والسنة ، كالإجماع ، والقياس ، والاجتهاد .

ثم ختم الفصل بدور مدرسة « محمد عبده » بالرجوع للمصدرين الكتاب والسنة .

الفصل السابع :-

وعنوانه : (القرآن في الحياة الإسلامية والمجتمع الإسلامي) :

تكلم في هذا الفصل عن مكانة القرآن في نفوس المسلمين وما له من تأثير عليهم ، ومقدار اعتناء المسلمين به بتحفيظه لأبنائهم ، وما عليه معلم القرآن في السابق وفي الوقت الحاضر من الاحترام والتعظيم عند المسلمين .

ثم تحدث عن تعامل المسلمين مع القرآن في عباداتهم كالصلاة المفروضة والنافلة. ثم تعرض لبعض استخدامات القرآن في شؤون بعض المسلمين الخاصة كحرز يحميهم من السحر وغيره .

ثم تحدث بعد ذلك عن هيئة القراء خلال تراتيلهم ، واعتناء المسلمين الزائد بالمصاحف حتى دعاهم ذلك لتسجيلها على جدران المساجد ، وتخصص بعض الخطاطين بنسخ المصحف . وتزيين المصاحف ببعض الألوان الذهبية ، ولزيادة عنايتهم به فتح له إذاعة خاصة تبثه عبر الأثير .

كما ختم الفصل في الحديث عن دور القرآن الكريم في حل مشاكل المسلمين السياسية والاجتماعية ، وغيرهما .

تقويم الكتاب وهدف المؤلف من تأليفه :

كتابات « بلاشير » إجمالا تتسم بالطعن الشديد في الإسلام والقرآن . فهذا الكتاب على ما فيه من معلومات ، وما بذل فيه من جهد منبعه الروح الغربية ، حمل في طياته مجموعة من الأخطاء أفقدت الكتاب كثيرا من قيمته . فقد زعم المؤلف في الفصل الأول أن القرآن مضطرب ، وفيه بلبلة فكرية . وهذا الزعم عين ما صرح به « جولد تسيهر » في مؤلفاته .

كما ركز المؤلف في دعواه بتأثر رسول الله - ﷺ - خلال تأليفه القرآن بالبيئة التي نشأ فيها من يهودية ونصرانية وموروثات جاهلية .

ومما تابع فيه «بلاشير » «كازانوفا » خطأ دعواه في الفصل الثاني والثالث أن تركيز السور المكية على اليوم الآخر بهذا الأسلوب المتميز كان سببه شبح اليوم الآخر وأهواله الذي كان مخيما على فكر الرسول ﷺ إلى غير ذلك من الأخطاء التي رددها هذا المؤلف في ثنايا صفحات كتابه .

والكتاب في فصوله الأخيرة أشبه ما يكون وصفيا للنقاط التي تعرض لها . والذي يدقق في الكتاب يجد وضوح تأثر المؤلف بدراسات السابقين له من المستشرقين ، أمثال « جولد تسيهر » و « كازانوفا » ، و « نولديكة » ، وغيرهم .

المبحث الرابع

كتاب مقدمة القرآن

لنفس المؤلف

التعريف بالكتاب :

تقع هذه المقدمة في (٢٧٨) صفحة من القطع المتوسطة غير المقدمة والفهارس . طبعت هذه المقدمة بادىء الأمر مع ترجمته للقرآن الكريم ، ثم وضعها في مؤلف مستقل وزوده بفهارس تخدم الكتاب .

وكان صدورها في سنة ١٩٥٨ م في باريس . وقد اعتمد في كثير من معلوماته في هذه المقدمة على كتاب « تاريخ القرآن لنولديكة ، وشفالي وجسترشتر ، وبيرتزل ، زيادة على المصادر العربية نفسها والموضوعات الحديثة حول الموضوع .

وقد راجع هذه المقدمة صديقه « جان سوفاجيه » وقد جاء الكتاب في مقدمة وخمسة فصول ومجموعة من الفهارس .

المقدمة :

تحدث فيها « بلاشير » عن نظام نسخ الكلمات العربية ثم نظام الاختصارات في عمله . ثم ذكر المراجع القرآنية والعناصر الببليوجرافية لدراسة حياة محمد - ﷺ - كما ذكر قائمة بهذه المراجع .

الفصل الأول -:

وعنوانه : (بنية الكتاب المقدس) :

وهو في ثلاثة مباحث :

المبحث الأول -:

بعنوان : (بنية الكتاب المقدس) :

ذكر في هذا الفصل أن تحديد النص القرآني لا يكون إلا من طريق الروايات المنقولة عن الصحابة والتابعين .

ثم تحدث عن تاريخ القرآن الكريم والعوامل التي حددت هذا التاريخ كاستخدام نوع من الكتابة مغايرا للكتابة الأصلية ، وعدم جمع القرآن في عهد الرسول - ﷺ - كتابة والاعتماد لفترة طويلة على الذاكرة في حفظ القرآن الكريم ، ثم تحدث بعد ذلك عن الكتابة العربية في القرن السادس الميلادي ومقدار تأثر مكة بها .

ثم ناقش سؤالا طرحه : هل كان يعرف محمد القراءة والكتابة ؟ وعلاقة ذلك بكلمة « أمي » الذي وصف بها . ذاكرا موقف المستشرقين من هذه القضية . وتوصل إلى نتيجة فريدة في معنى « أمي » : أنه نبي للأمم ؟ لا أنه لا يعرف القراءة والكتابة .

ثم تحدث في هذا الفصل كذلك عن الأداتين اللتين حفظ بهما رسول الله - ﷺ - التنزيل وهما (الحفظ - المناقلة الشفوية - والكتابة) متعرضا خلاله لكتبة الوحي ، ومشككا في صحيفة فاطمة (أخت عمر بن الخطاب) - رضي الله عنهما - ومعرضا بقلة عدد الحفظة للقرآن الكريم .

ثم رجع وناقش قضية جمع القرآن الكريم في عهد رسول الله - ﷺ - وأن ذلك كان بتأثره باليهود . ومقدرا بعد ذلك أن الترتيب للآيات القرآنية كان لبعض الآيات دون غيرها .

ثم تناول قضية جمع القرآن الكريم من الصحف الخاصة إلى جمع « أبي بكر » - رضي الله عنهم - ومبينا نقاط الخلاف بينهما كترتيب للسور ، والاختلاف في رسم بعض الكلمات .

ثم تحدث عن الجمع في عهد عثمان – رضي الله عنه – كما ذكر رأي « كازانوفا » وردد زعم « كازانوفا » (أن هذا الجمع كان أسطورة لا غير) .

المبحث الثاني –:

وعنوانه : (تحسين كتابة مصحف عثمان) – رضي الله عنه – .

تناول في هذا الفصل التحسينات التي أعملت للقصور الموجود في النسخة العثمانية – على حد زعمه – ودور « الحجاج » في هذا التحسين . ونشوء القراءات وتأثرها بالحركات السياسية آنذاك .

وقد أشار في هذا الفصل لوجود بعض الصحف الخاصة في عهد « عبد الملك بن مروان » وواليه على العراق « الحجاج بن يوسف الثقفي » .

المبحث الثالث –:

وعنوانه : (علم القراءات والتحديد النهائي للقرآن الكريم) :

تناول في هذا الفصل القراءات القرآنية وأقسامها وعددها وطريقة أدائها وتلقيها ومقدار تأثيرها على النص القرآني ، ثم تحدث عن عدد القراء وأوضاعهم الاجتماعية والسياسية . ثم تحدث عن دور الطباعة في انتشار القرآن الكريم .

الفصل الثاني

وعنوانه وصف الكتاب المقدس

تناول في هذا الفصل شكل القرآن الكريم وتقسيماته ، وكتابته ولغته ، وأسلوبه ، والبسملة ، والحروف المقطعة .

أما في المبحث الثاني منه :

فقد تناول الطبعة المصرية للقرآن الكريم وكتابتها بالطريقة القديمة .

أما المبحث الثالث :

فتحدث فيه عن لغة القرآن الكريم ، وهل كل مفرداته عربية أم فيها غير العربي ، وتحدث عن سبب اختيار لغة قريش لتكون لغة القرآن الكريم ، ثم تناول نظرية « مولرز » وهي كون لغة القرآن « لغة الكويني » الشعرية القديمة أم لا ؟ مقررا أنها جمعت بين لغة الشعر « الكويني » وبين لغة « نجد » التي كتبت بها ، ثم هاجم هذه النظرية وأنها بدلا ما تحل المشكلة غيرت وجهها - حسب زعمه - .

ثم في المبحث الرابع :

تناول أسلوب القرآن الكريم ، وكونه معجزا تحدى به محمد - ﷺ - العرب فأعجزهم ، ثم تحدث عن موقف قريش وبعض الملاحدة كابن الراوندي ، وابن المعري ، وعيسى بن صبيح ، والمثنى ، والحلاج ، وغيرهم مى هذا القرآن الكريم بمحاولاتهم الإتيان بمثله منكرين وجه الإعجاز الذي فيه زاعمين أنه لا يختلف عن أي كلام بشري .

ثم ختم هذا المبحث بالحديث فيه عن الوزن الشعري ، والسجع الموجود في آياته في كلا النوعين القرآن المكي والمدني .

الفصل الثالث :-

وعنوانه : (النقد المثار بواسطة النص المنزل في الكتاب المقدس) :

تحدث في هذا الفصل عن الانتقادات التي وجهت للقرآن الكريم من قبل المعتزلة والخوارج والشيعة والأوربيين أنفسهم والمتمثلة حول سلامة النص القرآني من الزيادة والنقصان ، وملاحظاتهم على بعض كتبة الوحي من حيث الأمانة والدقة . والوسائل التي كتب عليها النص القرآني ومقدار قدرتها على حفظ النص القرآني .

ثم تحدث عن دور القراءات في إثارة الفوضى والاضطراب في النص القرآني .

وكان أغرب ما في الفصل ذكره لتصور كل من : « ويدنيورج »، و « جيير » و « جولد تسيهر » بإيجاد طبعة تلبي انتقادات الغرب للنص القرآني .

الفصل الرابع -:

وعنوانه : (المصادر المقدمة لتفسير المستشرقين من خلال بعض العلوم القرآنية):

والفصل في مبحثين :

المبحث الأول -:

مصادر لذكاء النص القرآني . وقد تحدث المؤلف فيه عن بعض هذه المصادر . كالقراءات الشرعية وغير الشرعية وغيرها .

كما تحدث عن التفسير الإسلامي نفسه على اختلاف أنواعه من تفسير بالمأثور ، وبالرأي المحمود منه وغير المحمود .

المبحث الثاني -:

وهو بعنوان : (المصادر والمناهج لإعادة ترتيب الكتاب المقدس حسب فترات نزوله) :

تناول المؤلف في هذا المبحث الحديث عن أسباب النزول ، والناسخ والمنسوخ ، وترتيب القرآن حسب التسلسل التاريخي ، وترتيب بعض المستشرقين للقرآن الكريم كترتيب « موير » و « سبرنجر » ، وترتيب المدرسة الألمانية وإمكانية استفادة هذا الترتيب من تطور رسالة محمد - ﷺ - .

الفصل الخامس :

وعنوانه : (ترجمة القرآن الكريم إلى اللغات الأوربية) :

تناول «بلاشير » في هذا الفصل ترجمات القرآن الكريم في العصر الوسيط - (الوسطى) منذ سنة ١٠٩٢ - ١١٥٦ م منذ محاولة قس كلوني « بيير لوفييرابل » باللغة اللاتينية .

ثم تناول الترجمات الحديثة منذ بداية القرن السابع عشر على يد الفرنسي « أندريه دي رير » (حوالي ١٥٨٠ م – ١٦٦٠ م) القنصل الفرنسي في مصر ودوره في تعميم كتاب الإسلام المقدس – حسب تعبيره – في الغرب وقد ظهرت ترجمته للقرآن سنة ١٦٤٧ م في باريس تحت عنوان « قرآن محمد » وقد لاقت هذه الترجمة حماسا كبيرا مما جعلها تترجم بعد ذلك لعدة لغات .

ثم ذكر عدة ترجمات صدرت بعدها كترجمة « جيرمان دي سيليزي » (١٦٥٠ – ١٦٦٥ م) وترجمة ماراتشي (١٦٩٨ م) بعنوان (نماذج لتصحيحات نصوص القرآن .. إلخ) .

ثم تحدث بعد ذلك عن الترجمات المعاصرة منذ ترجمة «واهل » عام ١٨٢٨ م التي دفعت موضوع ترجمة القرآن الكريم للغات الأوربية قدما . فذكر ترجمة « أولمان » وترجمة « كازشرسكي » ، و « رودويل » سنة ١٨٦١ م و « جريجيل هال » ١٩٠١ م وغيرها كثير .

ثم تحدث بعد ذلك عن الاضطراب الذي يقع فيه غير المستعرب أثناء قراءته للنص القرآني ويعترف في هذا الموضوع أن من أسباب البلبلة والاضطراب عند المستعرب أن القارىء العادي من الغربيين لا يجد أمامه في الغرب إلا معلومات مبهمة عن الإسلام والفتوحات الإسلامية حتى يصل القارىء لنتيجة أن الترجمات تؤدي لضياع جمال الأسلوب القرآني الآخاذ للنفوس ، حيث تصبح الترجمة وكأنها نثر جاف تخلو من الروعة في الإيقاعات القرآنية . كما أن القارىء يتيه في ثنايا هذا النص المختلط بالمواعظ الأخلاقية وبالتشريعات التعبدية ، وبالأحكام القانونية وبالقصص التوراتية الإنجيلية ، مما يصعب على الغربي أن يصل للرابط بينها جميعا ، مما يدع القارىء الغربي يلقي هذا الكتاب جانبا ولا يواصل قراءته ويخرج بالنهاية بغير فكرة سليمة صحيحة عن الإسلام .

أما القارىء المتخصص في الأديان ومقارنتها وله معرفة بأحوال الشعوب ولغاتها فلا شك أن موقفه يكون مختلفا عن القارىء الغربي العادي ويصل لقناعة

بعدم كفاية الترجمات الغربية الموجودة للقرآن الكريم وعجزها على تلبية حاجاته في فهم الإسلام بعمق . ومن أجل تقديم القرآن الكريم للقارىء الغربي بشكل حي وبإيقاعه الأصلي ، متغاضين عن المظهر الفوضوي ، والتنقيح غير الواعي للتسلسل التاريخي - كما زعم - قام بإعادة ترتيب القرآن الكريم على التسلسل الزمني فجاءت عليها ترجمة « رودويل » ط ٢ لندن ١٨٧٦ م . وترجمة « د . بل » سنة ١٩٣٧ / ١٩٣٩ م وغيرها .

كل ذلك لتقريب فهم الإسلام للقارىء الغربي بعيدا عن الطريقة الإسلامية في عرضه .

تقويم الكتاب :

الذي يدقق في كتاب مقدمة القرآن لـ« بلاشير » يجده من أشد الكتب عداء للإسلام ، مليئا بالافتراءات والتحليلات الخاطئة والجرأة ، والتخيلات الواهمة ، بعيدا عن المنهجية والتجرد العلمي .

ويحتاج منا جميعا للوقوف في وجهه وتبيين أخطائه والرد عليها بأسلوب علمي مقنع ، وإيصالها للقارىء الغربي ليقف بنفسه على مثل هذا النوع من الكتابة البعيدة عن روح البحث العلمي المتجرد ، ويرى مقدار التحامل عند الحديث عن الإسلام وأهله .

المبحث الخامس

كتاب مصادر الإسلام

لمؤلفه (كلير تسدال)

التعريف بالمؤلف :

لم أجد من ترجم لهذا المؤلف فيما توفر إليّ من كتب التراجم وأغلب من لم أجد لهم ترجمة بسبب أنهم مازالوا على قيد الحياة فلم تكتب ترجمتهم في كتب التراجم .

التعريف بالكتاب :

جاء الكتاب في (٢١٦) صفحة من القطع المتوسط ، في ستة فصول ترجم الكتاب من الألمانية للإنكليزية السير « وليم موير » وطبع في الهند .

الفصل الأول -:

وعنوانه : (فيما قاله المجتهدون الأعلام وعلماء الإسلام العظام في حل هذا المعنى العظيم الأهمية) :

تحدث المؤلف في هذا الفصل عن وجهة نظر المسلمين في مصدر القرآن الكريم ، واعتقادهم أنه منزل من الله سبحانه على رسوله - ﷺ - كنزول التوراة على موسى والإنجيل على عيسى والزبور على داود عليهم السلام .

الفصل الثاني -:

وعنوانه : (في البحث والنظر فيما ذهب إليه القائلون من أن بعض عقائد المسلمين ورسومهم وفرائضهم هي مأخوذة من مذاهب العرب في أيام الجاهلية وأن هذا هو أول مصادر الديانة الإسلامية) :

حاول أن يثبت أن الجاهلية (والوثنية العربية) هي إحدى مصادر الإسلام

ذاكرا الدافع الذي جعل الرسول - ﷺ - يبقي الموروثات القديمة في ديانته كاعتقادهم بإله واحد ، وكالختان ، وتقبيل الحجر الأسود . كما أنه حاول إثبات هذه الصلة بإتيانه ببعض الأبيات الشعرية رابطا إياها ببعض الآيات القرآنية زاعما أن هذه الأبيات هي مصدر هذه الآيات القرآنية .

الفصل الثالث -:

وعنوانه : (في البحث فيما ذهب إليه بعض المعترضين من أن بعض التعاليم والقصص الواردة في القرآن أو الأحاديث هي مأخوذة من تفاسير اليهود الوهمية وأن بعض فرائض المسلمين الدينية مأخوذة من طريق الصابئين) :

حاول المؤلف إثبات هذه المزاعم بالإتيان ببعض العبادات والشعائر والعقائد التي فيها التشابه بين الإسلام وبين اليهودية والصابئة مثل : الصلاة ، والاغتسال ، والاعتقاد بالألوهية ، والتشابه ببعض القصص الواردة عندهم والتي وردت في القرآن العظيم كقصة إبراهيم - عليه السلام - وقصة ولدي آدم قابيل وهابيل وقصة سليمان - عليه السلام - وغيرها من القصص .

كما استدل على التشابه بوجود بعض الكلمات المشتركة في القرآن وعندهم كلفظ « جهنم » حيث رد أصلها للغة الكلدانية والسورية .

الفصل الرابع -:

وعنوانه : (في النظر والبحث فيما ذهب إليه البعض من أن كثيرا مما ورد في القرآن ، وهو مأخوذ من حكايات وروايات بعض فرق النصارى المبتدعة العاطلة وآرائهم الباطلة) :

وقد حاول المؤلف جهده أن يثبت ذلك بإيجاد بعض المتشابهات بين الإنجيل والقرآن مثل :

١ - بعض القصص كقصة أصحاب الكهف ، وقصة مريم وابنها عيسى عليهما السلام .

٢ – بعض قضايا متعلقة باليوم الآخر كالحساب ، والعذاب ، والجنة ، والنار ، وغيرها .

الفصل الخامس –:

وعنوانه : (في النظر والبحث فيما ذهب إليه المعترضون من أن بعض أركان القرآن والأحاديث أخذت من كتب أصحاب « زرادشت » والهنود القديمة) :

واعتمد في هذا الفصل كذلك على بعض نقاط التشابه بين القرآن وهذه المذاهب .

١ – التشابه ببعض القصص مثل قصة المعراج ، وقصة خروج الشيطان من الجنة ، وغيرها .

٢ – التشابه ببعض العقائد المتعلقة باليوم الآخر وبغيره ، كالجنة والنار وصفه الحور العين والميزان والصراط ، وملك الموت ، والجن ، وغير ذلك .

٣ – التشابه في قضايا عامة كتبشير كل نبي بالنبي الذي يليه ، والابتداء باسم من أسماء الله في أول الكلام .. إلخ .

الفصل السادس –:

وعنوانه : (بخصوص الحنفاء وتأثيرهم على أفكار محمد وعلى تعاليمه) :

واعتمد في هذا الفصل على التشابه بين ما كان يدين به الحنفاء قبل الإسلام وما جاء به الإسلام كالدعوة لعدم وأد البنات ، ورفض عبادة الأصنام ، وإقرار بالوحدانية لله سبحانه والدعوة لذلك ، ووعد المؤمنين بالجنة وتخويف الكفار من النار .

ثم وصف الذات الإلهية ببعض الأسماء الخاصة بها كالرحمن ، والرب ، والغفور . وغير ذلك من الأمور التي وقع فيها التشابه .

تقويم الكتاب :

هذا الكتاب من أشد الكتب حربا على الإسلام عامة والقرآن خاصة .

فقد نهج فيه المؤلف مسلك المنصرين الحاقدين على الإسلام وقد اعتمد على هذا الكتاب كثير من المستشرقين والمنصرين في أثناء افتراءاتهم ضد الإسلام .

والكتاب كما أشرت يحاول أن يجعل القرآن من تأليف محمد - ﷺ - حيث جمعه من ديانات ومذاهب مختلفة مدللا على دعواه ببعض وجوه التشابه بين الإسلام وبين هذه المذاهب والديانات .

ولخطورة هذا الكتاب خصصت له فصلا كاملا من الرسالة للرد على مفترياته حول المصادر المزعومة للإسلام وقرآنه العظيم . فيرجع إليه هناك .

والله الموفق للصواب والسداد .

المبحث السادس

كتاب جمع القرآن الكريم

لمؤلفه (جون بيرتون)

التعريف بالمؤلف :

لم أجد له ترجمة .

التعريف بالكتاب :

يقع الكتاب في (٢٥٩) صفحة من القطع الكبير عدا الفهارس وهو في جزأين وعشرة فصول ومقدمة فكل جزء في خمسة فصول . نشرت الكتاب وطبعته جامعة كمبردج – لندن .

ثم طبع في نيويورك ، وغيرها من البلدان . وكانت أول طباعة له سنة ١٩٧٧ م . وموضوعات الكتاب كالتالي :

الجزء الأول :

خصصه المؤلف عن النسخ في القرآن الكريم .

الفصل الأول –:

وعنوانه : (القرآن والعلوم الشرعية) :

تحدث فيه المؤلف عن القرآن الكريم والأحكام الشرعية ومنزلة هذه الأحكام في الإسلام ، ومبينا أن القرآن والسنة من المصادر الرئيسية للأحكام الشرعية من عبادات ومعاملات ، وغيرها .

ثم تعرض لاختلاف وجهات النظر في فهم هذه الأحكام مما أوجد عدة مذاهب فقهية يختلف كل واحد منها عن الآخر اختلافا كبيرا لا لقاء بعده .

الفصل الثاني -:

وعنوانه : (النسخ) :

وذكر تحته النوع الأول من أنواع النسخ :

١ - نسخ الحكم والتلاوة :

ذكر أن العلماء المسلمين استخدموا لفظ « حذف » لمعنى النسخ بدلا من « أبطل » حتى لا يظن أن النسخ تم عن إهمال .

ثم ركز عند هذا على حدوث النسيان من محمد - ﷺ - لبعض الآيات القرآنية .

٢ - نسخ الحكم دون التلاوة :

اعتبر المؤلف أن هذا النوع من أكثر الأنواع التي تتفق مع معنى النسخ (الإبطال) ، وأن هذا النوع هو نسخ الأصوليين . ثم تعرض بعد ذلك لموقف بعض العلماء من النسخ هل وقع أم لم يقع ؟ وهل السنة ناسخة للقرآن أم لا ؟ كرأي الإمام الشافعي رحمه الله وغيره وذلك لإظهار التناقض في فهم النص القرآني الواحد من الأئمة ، يقصد بذلك آية النسخ ﴿ **ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها** .. ﴾ الآية[1] .

وخلص من هذه النقطة كسابقتها أن القرآن غير مكتمل وأنه قد سقط منه بعض الآيات القرآنية .

الفصل الرابع -:

وعنوانه : (الخلفية لظهور النوع الثالث من النسخ) :

وقد أرجع ظهور هذا النوع من النسخ لعدة أسباب وهي :

---

(١) سورة البقرة : ١٠٦ .

١ - التفسير :

أشار أن بعض أنواع التفسير أظهرت نوعين من التفسير لمعنى النسخ . وهما :

التفسير الموضوعي (الهالاخيكي) .

التفسير القصصي (الهاجادي) .

ومثل على التأثير اليهودي في هذه القضية بقضية رجم الزاني المحصن (الثيب) .

٢ - الفقه :

ذكر في هذه النقطة أن الآيات القرآنية كانت قاصرة في بيان حد الزنا للثيب ، وأن المذكور كان في حق الزاني الأعزب فقط .

وأما نسخ آية الرجم من سورة الأحزاب فرد سببه للخلاف الذي كان عليه الفقهاء مع النص القرآني وصياغته . ثم ذكر مذهب « مكي بن أبي طالب » في النسخ وأنه جعله على ست مراتب . ثم بين اختلاف الفقهاء في مصدر حكم الزنا هل هو القرآن أو السنة .

الفصل الخامس :-

وعنوانه : (المصحف سجل غير كامل) :

ذكر المؤلف الخلاف في حكم زنا الثيب (الرجم) ورد سببه لخلاف الأصوليين في كون السنة ناسخة للقرآن أم لا ؟ ونسب إلى الإمام الطبري أنه كان يفرق بين المصحف والقرآن .

حيث كان يعتبر أن المصحف ما وقع فيه النسخ أما القرآن فلا يقع فيه نسخ وهو الأصل للمسلمين . كما أكد في هذا الفصل أن القرآن لم يكتمل ؛ لذا فدخول الاضطراب إليه وارد لزعمه أن الجمع تم بعد وفاة الرسول - ﷺ - .

الجزء الثاني -:

وعنوانه : (تاريخ جمع النصوص القرآنية) :

تحدث في هذا الفصل عن مراحل الجمع وتاريخ ذلك .

الفصل الأول -:

١ - الجمع الأول :

أهم النقاط التي أثارها تحت هذه النقطة ما يلي :

١ - زعمه أن الرأى الإجماعي الحقيقي أن القرآن غير كامل .

٢ - عدم التطابق بين النسخ التي جمعها الأشخاص .

٣ - زعمه أن الإجماع على وجود صراع بين مصادر الفقه والقرآن والسنة

وقد ذكر المؤلف بعض الروايات والشواهد التي تؤكد حججه مركزا فيها على أمرين :

أ - عجز النبي - ﷺ - على جمع النص القرآني وتحريره .

ب - عدم اكتمال النص القرآني .

ثم تحدث بعد ذلك عن أول من جمع القرآن . هل هو « أبو بكر » أم « عمر » أم « عثمان » .. إلخ .

ثم ناقش مسألة ترتيب المصحف وأنه أمر اجتهادي من الصحابة .

ثم تحدث عن وجود الآيتين اللتين في آخر سورة التوبة عند « خزيمة » وحده .

ب - الجمع الثاني :

ذكر أن الجمع جاء على مراحل :

(أولها في صحيفة - ثم في صحف - ثم في مصحف - ثم في لوحين) .

ثم تحدث عن سبب الجمع العثماني واللجان التي قامت به ، ثم تحدث عن قراءات القرآن السبع واختلاف الصحابة فيها حتى في حضرة الرسول - ﷺ - وأن مردها لهجات العرب المختلفة .

الفصل الثاني -:

وعنوانه : (جمع القرآن - نظرة عامة) :

ذكر في هذا الفصل :

١ - أنه توصل خلال عملية النسخ :

أ- عدم وجود بعض الآيات التي كان يعتقد بوجودها .

وأنه توصل من هذا إلى :

١ - إسناد القرآن .

٢ - عدم اكتمال نص المصحف .

ثم ذكر أنواع النسخ :

وأشار للخلاف بين الفقه والقرآن بسبب تطور الفقه بعكس القرآن الكريم - على حد زعمه - مما أظهر أن مرونة القرآن كانت هزيلة وأشار للخلاف في نسخ السنة للقرآن وعدم جوازه . ثم أشار أن سبب عدم جمع الرسول للقرآن كان لأكثر من هدف منها :

١ - الرغبة في تيسير الرجوع إلى مصدر القرآن في المسائل المتفق عليها في الفقه ولكنها لم ترد في وثيقة القرآن (المصحف) .

٢ - الحاجة إلى تبرير وجهات النظر الإقليمية حول بعض المسائل بإرجاعها إلى نسخ محلية مختلفة من القرآن ومعترف بها .

وذكر أن نظريات النسخ كانت تضغط على أحاديث الجمع ، وأن تأخير الجمع كان لتوقع نزول المزيد من القرآن الكريم مما سبب الاضطراب والشك في

النص القرآني وزاد هذا الاضطراب معارضة الفقه للنص ثم تكلم عن القراءات القرآنية وعلاقاتها بالخلافات الفقهية . وزعم أن جعل كل من القرآن والسنة كمصدرين مستقلين مرده للفقهاء المسلمين .

كما زعم أن الفقه كان يحاول دائما أن يتحرر من تركات القراءات القرآنية . ثم تحدث عن الإعجاز القرآني وتأثره باختلاف القراءات ثم تحدث عن القراءة بالمعنى وعدم إجازة بعض العلماء لذلك .

الفصل الثالث -:

وعنوانه : (إسناد القرآن) :

تحدث في هذا الفصل عن الجمع في عهد الرسول هل كان أم لا ؟ ثم اعتبار القرآن سجلاً كاملاً أو غير كامل .

ثم تحدث في هذا الفصل عن الروايات المتناقلة للمصاحف التي أرسلت للأمصار أيها أكثر موثوقية الكوفية ، أو البصرية ، الحجازية . وتحدث عن كيفية اختيار الرواية إذا حصل بين الروايات تعارض وذلك عن طريق دراسة الإسناد .

ثم تحدث عن تأثر روايات الجمع بروايات النسخ ، وبروايات الأحرف السبعة ، ثم تحدث عن اختيار زيد للجمع وإخفاء « عبد الله بن مسعود » المصحف وتمنعه من حرقه ثم ذكر ثلاثة عوامل أثرت على مناقشاتهم حول القرآن الكريم .

١ - تفسير بعض الآيات التي تدل أن الرسول قد نسي .

٢ - الصراع بين الفقه والقرآن .

٣ - إسناد القرآن - المصحف - وعدم موثوقيته وذلك باختيار زيد الذي كلف بجمعه مع أنه كان حديث عهد بالإسلام مما يدل على حداثة معلوماته عن القرآن والسنة وعدم أصالتها .

الفصل الرابع -:

وعنوانه : (فصل تواتر المصحف) :

تكلم المؤلف في هذا الفصل عن الاختلاف بين المصاحف الخاصة والمصحف العثماني ، كالاختلاف في بعض السور من حيث الزيادة والنقص كزيادة « أبي بن كعب » - رضي الله عنه - سورتي القنوت والحفد في زعمه وإنقاص « عبد الله بن مسعود » ثلاث سور من مصحفه وهي الفاتحة والمعوذتين مما خلص من هذه المزاعم بأن القرآن غير متواتر .

وقد عرض لموقف بعض العلماء المسلمين واختلافهم فيما نسب «لابن مسعود » كموقف « ابن حزم » و « الإمام النووي » الذين نفوا هذا القول عن ابن مسعود . وموقف « ابن حجر » الذي ثبت نسبة هذا القول لابن مسعود . ثم ذكر موقف بعض الموفقين من العلماء بين الطائفتين النافين والمثبتين كابن الصباغ مثلا .

الفصل الخامس -:

وعنوانه : (استنتاجات عامة) :

مما خلص إليه « بيرتون » من نتائج :

أن القرآن الكريم كمّ من الاضطراب والتناقض وعدم التماسك وأنها تمثل النتائج لعمليات طويلة من التطور التدريجي ، وأن الإضافات الخارجية والغريبة والتجسين صيغت لمجموعة عريضة من الحاجات المتوالية .

ثم ذكر موقف مجموعة من العلماء الغربيين من الجمع أمثال : « نولديكة » و « شيفالي » وغيرهما .

ثم زعم أن بعض القراءات أضيفت لبعض كبار الصحابة لإنهاء الخلاف الحاصل في التفسير .

ثم ذكر أن نسبة الجمع لبعض كبار التابعين كان من أجل أن ينال إسناد القرآن طابع القدم والتواتر .

ثم ذكر الخلاف بين القرآن والفقه كمصدر للتشريع ، وتأثير النسخ على ذلك . ثم شكك في الأحاديث النبوية ، ثم ذكر أن الجمع كان بسبب المصاحف الخاصة التي كانت تظهر متعارضة في بعض الجوانب .

ثم تحدث عن اختيار عثمان لحرف واحد وجمع الناس عليه دون غيره ثم تحدث عن الفرق بين جمع أبي بكر ، وعمر وعثمان – رضي الله عنهم – ثم تناول أسماء السور واختيارها ، والآيات وترتيبها . ثم تحدث أخيرا عن كتاب المصاحف « لأبي داود » وتعليق « آرثر جيفري » عليه وأن عمله يدعو للتشكيك في روايات هذا الأمر .

ثم شكك بعد ذلك في موثوقية القراءات ونسبها لعمل النحويين والصرفيين .

ومن أكبر الأخطاء في هذا الفصل كذلك أن اعتبر الحديث النبوي الشريف كأي حديث حياتي يحصل لشخص ما .

تقويم الكتاب :

هذا الكتاب لاشك أنه قد بُذل فيه جهد كبير ، ولكنه لم يكن موفقا في كثير من فصوله .

فالكتاب بجملته يناقش قضيتين :

قضية الجمع للقرآن الكريم ، وقضية النسخ .

أما موضوع النسخ فأضفى عليه روح الفقهاء والأصوليين .

ومن الملاحظات التي يخرج منها قارىء الكتاب ما يلي :

١ – أنه جعل للفقهاء الدور الكبير في سبب الاختلاف في جمع القرآن

الكريم ، وفي النسخ ، وفي القراءات القرآنية والتفسير ... إلخ ، بل تعدى الأمر إلى ما هو أكثر من ذلك أن جعلهم غالباً على نقيض مع القرآن الكريم . حتى أثروا في النص القرآني من حيث الزيادة والنقصان وتصرفوا تصرفا يخدم أغراضهم .

٢ – كان يخلص في كل فصل إلى أن القرآن مضطرب أو ناقص وفيه زيادة .. إلخ .

٣ – محاولة إظهار أن هناك صراعا ظاهرا من القرآن والسنة والفقة ، وصعوبة الجمع بينهما وما نتج عن ذلك من اضطراب في النص القرآني .

٤ – اعتماد المؤلف في بحوثه على من سبقه من المؤلفين الغربيين أمثال : جولد تسيهر ، نولديكة ، شيفالي ، براجشترستر .. وغيرهم .

فهذا الكتاب كما يلاحظه أي قارىء مليء بأخطاء علمية فادحة ، ويبدو واضحا في تأليفه عدم النزاهة العلمية وعدم التجرد من أخطاء من سبقوه في القضايا التي طرحها فكان مجترا لأقوال سابقيه وشبههم .

المبحث السابع

صلة القرآن باليهودية والمسيحية

لمؤلفه (د . فلهلم رودلف)

ترجمه عن الألمانية (عصام الدين حفني ناصف) – طبعة – دار الطليعة – بيروت ط ١ ، ١٩٧٤ م .

التعريف بالمؤلف :

لم أجد له ترجمة فيما رجعت له من كتب تراجم .

التعريف بالكتاب :

يقع الكتاب في (١٤٩) صفحة بستة فصول وخاتمة . جاءت كالتالي :

الفصل الأول –:

وعنوانه : (اليهودية والمسيحية في البلاد العربية قبل محمد) :

تناول المؤلف في هذا الفصل وجود هاتين الديانتين في الجزيرة العربية ومقدار حظ أهلهما من العلم والمعرفة. فمع أنه نسب لهما قلة المعرفة والجهل أحيانا إلا أنه اعتبرهم أكثر علما وفهما من الوثنيين ومن بينهم محمد – ﷺ – الذي تأثر – في زعمه – كثيرا بما عندهم من معرفة انعكست على قرآنه .

الفصل الثاني –:

وعنوانه : (كيف اقتبس محمد المواد اليهودية والمسيحية) :

ناقش المؤلف في هذا الفصل طريقة تلقي الرسول – ﷺ – معرفتهم وثقافتهم . أكان بالقراءة في كتبهم أم بطريق السماع فحسب ؟ لذا ناقش موضوع

أمية الرسول - ﷺ - ولكنه أكد أنه حتى لو كان يتقن القراءة والكتابة فإنه لن يستطيع أن يستفيد منها لعدم ترجمتها .

ثم ذكر بعض المقتبسات من القرآن الكريم وما يشابهها من العهد القديم ليؤكد أنه قد حصل للرسول - ﷺ - معرفة بما في التوراة بطريق السماع وهو ما يرجحه المؤلف .

ثم ذكر بعد ذلك مجموعة من الأمثلة القرآنية التي بينها تشابه مع العهدين القديم والجديد وأشار أن هذه الأمثلة قد وقع فيها أخطاء وتفاوت وأن مرجع ذلك يعود لسوء الفهم الذي يؤكد دعوى المؤلف أنه تلقاها مشافهة لا من مصدر مكتوب .

ثم أتى ببعض الأدلة القرآنية التي فيها الإنكار على من زعم أن محمدا تلقى الوحي من مصدر غير إلهي لكنه حملها على تأكيد (نظريته) في تلقيه لمعلومات الوحي من أقوال شفوية منها :

قوله تعالى : ﴿**الذين يتبعون الرسول النبي الأمي** .. ﴾[1] .

وكلمة (أمي) تعني عدم تعلم القراءة والكتابة .

وقوله تعالى : ﴿**وقال الذين كفروا إن هذا إلا إفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون فقد جاءوا ظلما وزورا** .. ﴾[2] .

وقوله تعالى : ﴿ **ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين** ﴾[3] .

مؤكدا دعواه بأن رسول الله - ﷺ - كان عنده الاستعداد والحرص على التعرف على المباحث الدينية ومما أفاده في ذلك وجوده في مكة التي أثرته بمجموعة من الفرص لتحقيق ذلك - على حد زعمه - .

(١) سورة الأعراف (١٥٧) .
(٢) الفرقان (٤) .
(٣) سورة النحل (١٠٣) .

الفصل الثالث :-

وعنوانه : (ماذا أخذ محمد من اليهودية والنصرانية) :

أكد المؤلف أن أخذ محمد - ﷺ - كان يتركز على الأفكار الأساسية في الدينين العالميين الكبيرين اليهودية والنصرانية اللذين كانا معروفين معرفة تامة في كافة بلاد العرب - على حد زعمه - .

ثم ذكر الأفكار الرئيسية التي تنتظم دين محمد - على حد فهمه - وهي : البعث - فالمحاكمة - فالفردوس - وجهنم .

ذاكرا صلة هذه الأفكار بما هي عليه عند اليهود والنصارى . ثم ذكر بعض الكلمات المتشابهة بين الإسلام وهذين الدينين مثل : الله ، أحد ، روح ، إبليس .

زاعما أنها مأخوذة من مصدر يهودي أو نصراني . ثم ذكر أن أكثر القصص القرآني مصدره يهودي . وزعم أن بعض أسماء الأنبياء مثل : سليمان وإلياس ، ويونس ، منقولة عن مصدر نصراني .

ثم زعم أن ما طرأ على القصص في المدينة المنورة من تغيير بحيث أصبح نادراً يعود ذلك إلى أن محمدا - ﷺ - شعر بتفاوت بين ما يذكره من قصص وبين ما هو عند اليهود على وجه الدقة .

كما زعم أن كثيرا من الجوانب الأخلاقية والعبادية في الإسلام يعود لأصل يهودي أو نصراني كالوصايا العشر ، وأركان الإسلام الخمس ، وقواعد الطعام ، وغير ذلك .

الفصل الرابع :-

وعنوانه : (هل المسيحية هي التي دفعت محمدا الدفعة الحاسمة إلى الظهور) :

أكد المؤلف أن المسيحية بتأثيرها البالغ على محمد - ﷺ - دفعته للتنبؤ .

ثم ذكر في هذا الفصل كذلك بعض الأمثلة المتشابهة بين القرآن والإنجيل كقصة مريم وابنها عيسى عليه السلام ، وعذاب النار ، والمحاكمة العامة .. إلخ .

بعد ذلك ذكر تأثير الصابئة على الإسلام ذاكرا بعض الأمور المتشابهة بينهما .

كما ذكر الحنفاء وما أثرت به على الإسلام موضحاً ذلك ببعض الأمثلة .

الفصل الخامس –:

وعنوانه : (نظرية جنوب بلاد العرب) لـ « جريمه » :

ذكر وجهة نظر « جريمه » في كتابه (محمد) أن اليهودية لم يكن لها أثر فعال على محمد – ﷺ – إلا في العهد المدني وحيث قال :

أما الفترة الأولى فقد كانت أفكار محمد الدينية انعكاسا للتوحيد الذي في جنوب العرب . هذا التوحيد الخليط من الوثنية واليهودية والنصرانية . وقد كان وصول « جريمه » لهذه النتيجة عن طريق النقوش التي تم العثور عليها في جنوب الجزيرة العربية .

وقد قام المؤلف « رودلف » بنقد آراء « جريمة » واحدا بعد الآخر .

الفصل السادس –:

ما عرفه القرآن عن شخص عيسى – عليه السلام – وحياته وما خلف وراءه من أثر ، ثم ذكر الآيات التي تناولت هذا الموضوع وما طابقها أو خالفها في كتب الإنجيل . ليؤكد تأثر محمد بالأناجيل .

أنهى المؤلف كتابه بخاتمة :

ذكر في هذه الخاتمة أهم النتائج التي توصل لها مثل :

١ – تأثير اليهودية والنصرانية في محمد تأثيرا كبيرا .

٢ - دفع المسيحية محمدا - ﷺ - للعمل ثم علق على عقيدة القضاء والقدر عند المسلمين من حيث شمولها أو عدمه .

وقد بلغ ببعض المستشرقين الإسفاف ومنهم « سميث » لاعتباره الإسلام فرقة من فرق النصارى أو أنه مسيحية متهودة إلا أن المؤلف رجح كونه فرقة مستقلة ولكنها تأثرت كثيرا بالنصرانية .

تقويم الكتاب :

الذي يمعن النظر في هذا الكتاب يجده متحاملا وغير موضوعي ، ويجده فقد السمة الموضوعية العلمية . والمؤلف أقحم كثيرا من الأدلة في ثنايا ما قرره من نتائج مسبقا ليدلل على أن الإسلام فرقة تأثرت بالنصرانية واليهودية وخاصة النصرانية .

المبحث الثامن

كتاب المفردات الأجنبية في القرآن

لمؤلفه (آرثر جيفري)

تعريف بالمؤلف :

«آرثر جيفري » استرالي الجنسية عين أستاذا في الجامعة الأمريكية في بيروت ثم أستاذا في جامعة كولومبيا . ثم أستاذا للغات السامية في مدرسة اللغات الشرقية في القاهرة .

له عدة مؤلفات وعدة أبحاث عن الإسلام عامة وعن القرآن خاصة في مجال التحقيق والتأليف منها :

١ – تحقيق كتاب المصاحف لأبي داود السجستاني . وقد وضع له مقدمة باللغة الإنجليزية . طبعته مؤسسة دي خويه ج ١١ ليدن ١٩٧٣ م .

٢ – القرآن وهو عبارة عن موضوع عن (نصوص قرآنية) نشرها في مجلة العالم الإسلامي سنة ١٩٣٥ م ، وصحيفة الشرق الأوسط ١٩٤٧ م .

٣ – دراسة عن كتاب مختصر شواذ القراءات لابن خالويه ، نشرها في مجلة الدراسات الإسلامية ١٩٣٨ م .

٤ – أبو عبيد والقرآن ، موضوع نشره في مجلة العالم الإسلامي ١٩٣٨ م وغيرها .

تعريف بالكتاب :

نشر هذا الكتاب باللغة الإنجليزية من ضمن سلسلة جيكوادر الشرقية برقم (٧٩) وقد نشر بإشراف حكومة صاحب السمو مهراجا بارودا .

وكان المحرر العام للكتاب ب . باتا شاربا راجارائنا جنانا رائنا . وكان نشره في القاهرة سنة ١٩٣٧ م .

وقد جاء الكتاب في تمهيد ومقدمة ثم موضوع الكتاب الرئيسي موزع على اللغات التي منها القرآن ثم ختمه بالفهارس .

التمهيد

ابتدأ « جيفري » الكتاب بتمهيد تحدث فيه المؤلف عن أهمية هذا الموضوع ذاكرا أن كثيرا من الدراساتّ التي قام بها كل من « هورفتز » وتلامذته – في جامعة فرانكفورت – وتورأندريا ، و « كارل اهرير » حول الأصول الإسلامية من خلال مناقشتهم للمفردات القرآنية . وقد ذكر المؤلف أن من أهمية هذا الموضوع أنه يبين تطور الفكر الإسلامي حول القرآن .

وقد ذكر أن هذه الدراسة عبارة عن تجميع لمصطلحات قرآنية دخلت القرآن ومصدرها لغات شتى ، كالفارسية ، والحبشية ، وغيرها ؛ بسبب التأثر بالغير نتيجة للاتصال التجاري والثقافي بين الجزيرة العربية وبلدان أصحاب هذه اللغات .

ثم ذكر بعد ذلك موقف العلماء من أصل هذه المفردات : فمن قائل : إنها عربية الأصل وتواردت عليها اللغات كالإمام الشافعي . ومنهم من اعتبرها غير عربية وإنما استخدمها العرب فاستعملها القرآن الكريم بعد ذلك وهو رأي الإمام السيوطي وغيره ، وقول بعض السلف كابن عباس – رضي الله عنه – .

وقد ذكر المؤلف أن الكتاب كان أربعة أضعاف حجمه الحالي ولكنه اختصره بسبب غلاء أسعار الطباعة إلى هذا الحجم والذي يؤدي الغرض بفهم القارىء للموضوع . وقد عقد المؤلف مقارنة بين الكتاب الأصلي والحالي معترفا بقصور عمله في هذا الموضوع . ومشيرا أنه لو قام به رجل آخر « كنولديكة » مثلا لجاء أدق وأوفى وأكثر فائدة وذلك لتمكن « نولديكة » من اللغات الشرقية .

وقد أشار إلى ترتيب فهرست الآيات كان حسب طبعة « فلوجل » لسهولة هذه الطريقة .

وختم تمهيده بالشكر للدارسين والمهتمين من المستشرقين والمشجعين لهم وعلى رأس هؤلاء صاحب السمو مهراجا باروا بياروا الذي ساعد على ظهور هذا الكتاب في القاهرة سنة ١٩٣٧ م .

المقدمــة

زعم المؤلف في مقدمته أن الانطباع الذي يخرج به المرء عن القرآن الكريم الاضطراب المحير ، محاولا إثبات ذلك بزعمه أن كثيرا من المعتقدات والعادات الوثنية قد تسللت إلى القرآن مستشهدا بقول رودلف (أنه في فقرات عديدة من القرآن فإن الطلاء الإسلامي يستر بشكل رقيق للغاية أساسا وثنيا) .

كما زعم أن الإنسان يلمس تأثير الديانات التوحيدية الأخرى على النصوص القرآنية .

ومن خلال هذه المصادر للقرآن الكريم كانت دراسته للمفردات الدينية والثقافية الأجنبية في القرآن الكريم ، ذاكرا أن مصدر هذه الدراسة هم الصحابة غالبا والرسول - ﷺ - خاصة ، مشيرا أن الصحابة كانوا مضطربين في تفسير هذه المفردات مما جعل المحدثين يشكون في معظم الروايات الواردة عنهم .

ثم ذكر آراء بعض العلماء في هذه المفردات .

فمن قائل : إنها عربية الأصل وهو رأي للإمام « الحسن البصري » و « الطبري » حيث اعتبراها مما تواردت عليها اللغات .

ومن قائل : إنها غير عربية البتة . ومن قائل : إنها كلمات عربية قديمة دخلت على العربية نتيجة للصلات التجارية وغيرها مع الدول الأخرى ، واستعملها العرب حتى صارت عربية بالاستعمال وهو رأي الإمام السيوطي .

ثم ذكر بعد ذلك من اهتم بهذا الجانب في القرآن الكريم من المستشرقين

(المفردات الأجنبية عنها) كما يحلو له تسميتها مثل « ويرز » في كتابه (المفردات الأجنبية) .

ثم ذكر مصادر هذه المفردات من اللغات الأخرى الحبشية ، الفارسية ، الرومية ، والهندية ، والسريانية ، والعبرانية ، والنبطية ، والقبطية ، والتركية ، والزنجية ، والبربرية .

موضوع الكتاب :

بدأ في هذا العرض يذكر كل لغة والطريق التي انتقلت منها بعض مفردات هذه اللغة للعربية ، ويضرب أمثلة على ذلك مما ذكر في القرآن الكريم .

١ - الأثيوبية :

اعتبرها أوثق اللغات بالعربية وأن دخول بعض المفردات منها للعربية كان بسبب :

أ - الاتصال التجاري .
ب - إسلام بعض العبيد الأحباش .
ج - استعمار الحبشة لبعض أجزاء من الجزيرة العربية .. إلخ .
ومثالها : كمشكاة : أي الكوة .

٢ - الفارسية :

ذكر أن تأثيرها ببعض المفردات على العربية عامة والقرآن الكريم خاصة كان بسبب الاستعمار الفارسي لبعض أجزاء من الوطن العربي (كالحيرة) مثلا . وبسبب تردد بعض الشعراء على البلاط الفارسي مما سبب تأثرهم بهم ومثل على ذلك بكلمة « إستبرق » وهو الديباج الغليظ وغيرها .

٣ - الإغريقية :

ذكر من أسباب التأثر بلغتهم تردد بعض الشعراء على البلاط البيزنطي ، والاتصال التجاري والعسكري . ثم ذكر أن دخولها مباشرة للعربية كان قليلا

وأكثر ما دخل العربية منها عن طريق السريانية ومثل على ذلك بكلمة « رقيم » أي الكلب .

٤ – الهندية :

حمل معنى اللغة الهندية أنها لغة جنوب الجزيرة العربية ولكنها اندثرت مع البعثة المحمدية .

وقد ذكر المؤلف أن الرأي الراجح في ذلك أن هذه المفردات التي نسبت للهندية كان سبب النسبة عدم معرفة معانيها لذا نسبت لأصل بعيد كالهند . مثالها : « لغوب » أي إعياء .

٥ – السريانية :

ذكر المؤلف أن هذه اللغة كانت معروفة قديما ومازالت موجودة للآن في بعض المجتمعات المسيحية الشرقية يستخدمونها في طقوسهم الدينية في سوريا والعراق وفارس .

كما أن النفوذ المسيحي على شمال الجزيرة العربية والتبادل التجاري وتردد بعض الشعراء على تلك المناطق كامرىء القيس والمتلمس ، وعدي بن زيد ، والأعشى ، والنابغة ، وغيرهم على البلاد التي تعرف هذه اللغة كان له دور كبير في تأثر العربية بها – فمن هذا التأثير وجود الخط الكوفي العربي وهو معدل عن الخط السرياني ووجود نظام ضبط الكلمات بواسطة الإشارات حيث أخذ عن النظام النسطوري كالأعلام مثلا . ومثالها : « الطور »[1] الجبل .

٦ – العبرية :

ذكر المؤلف أن العبرية دخلت للعربية عن طريق وجود فئات من اليهود في الجزيرة العربية كيهود خيبر وبني قينقاع وبني النضير وذكر أن سبب أخذ

---

(١) كقوله تعالى في سورة البقرة آية (٦٣) : ﴿ .. ورفعنا فوقكم الطور .. ﴾ .

بعض المفردات عنهم كان من أجل كسبهم لصف الإسلام وأن هذا كان قبل القطيعة ومثل على ذلك بكلمة « لينة »[١] يعني النخل .

٧ - النبطية :

ذكر المؤلف أن انتقال المفردات النبطية كان بسبب النفوذ الذي كانت باسطته المملكة النبطية في شمال فلسطين حتى دمشق منذ القرن السادس قبل الميلاد . قبل أن تحل العربية مكانها .

ومثالها : « إصري »[٢] عهدي .

٨ - القبطية :

ذكر المؤلف أن هذه اللغة كانت منتشرة في مصر كلغة للطقوس في المجتمعات المسيحية هناك . ومن هناك تم نقلها للجزيرة العربية وخاصة مع قدوم مارية القبطية كزوجة لرسول الله - ﷺ - هدية من مقوقس مصر - ومثالها : « كلا لاوزر »[٣] أي ملجأ .

٩ - التركية :

ذكر المؤلف أن سبب نسبة بعض المفردات لهذه اللغة عدم معرفة معانيها ومثل عليها بكلمة « غساق »[٤] واستدل على أنها تركية الأصل بسبب وجودها في المعاجم التركية .

١٠ - الزنجية :

وذكر سبب نسبتها للزنجية عدم معرفة معانيها ومثل عليها بكلمتي « حصب »[٥] و « منسأة »[٦] .

(١) كقوله تعالى في سورة الحشر آية (٥) : ﴿ ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة .. ﴾ .
(٢) كقوله تعالى في سورة آل عمران آية (٨١) : ﴿ قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري ﴾ .
(٣) انظر سورة القيامة (١١) .
(٤) كقوله في سورة النبأ آية (٢٥) : ﴿ .. إلا حميما وغساقا ﴾ .
(٥) كقوله تعالى في سورة الأنبياء آية (٩٨) : ﴿ إنكم وما تعبدون من دون الله حصب .. ﴾ .
(٦) كقوله تعالى في سورة سبأ آية (١٤) ﴿ .. مادلهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته ﴾ .

١١ - لغة البربر : (أو لسان أهل المغرب) :

ذكر المؤلف أن هذه اللغة هي لغة العوام في شمال أفريقية ، أما سبب تأثر العربية بها فعدم معرفة معانيها لا غير فنسبت لها .

تقويم الكتاب :

هذه خلاصة ما ورد في كتاب « آرثر جيفري » (المفردات الأجنبية في القرآن الكريم) .

والكتاب مع ضخامة حجمه إلا أنه لم يأت بجديد سوى شكل الموضوع . فالمؤلف كان مجرد ناقل من بعض كتب المسلمين كالإتقان للسيوطي وبعض مؤلفات الإمام ابن قتيبة .

وهذا الرأي - وجود بعض المفردات غير العربية في القرآن - كان مطروقا منذ عهد الصحابة - رضوان الله عليهم - وقد نسب مؤلف في هذا الموضوع لابن عباس - رضي الله عنهما - باسم (اللغات في القرآن) .

ولكن الجديد في الأمر أن المؤلف حاول جهده للربط بين بعض المفردات القرآنية وبين اللغات التي ذكرها برباط تاريخي أو برباط جغرافي وكان إذا عجز لإيجاد سبب التأثر باللغة الأصل كان يذكر أن هذا كان بسبب عدم معرفة المسلمين لمعاني هذه المفردات مما جعلهم ينسبونها لمكان بعيد وهو توجيه غير مقنع .

وقد ذكر أربعة من هذه المصادر التي نسب لها بعض المفردات لهذا السبب : التركية ، والبربرية ، والزنجية ، والهندية .

والسر في تأليف مثل هذه الموضوعات عند المستشرقين لإثبات أن القرآن من تأليف محمد - ﷺ - جمعه من ثقافات ومعارف ولغات شتى بدافع مصلحة كسب بعض الأنصار كاليهود، أو تأثرا بسبب المخالطة وهو شأن من يعيش مع قوم لفترة طويلة.

وستأتي مناقشة هذه الأقوال تفصيلا في مواطنها من الرسالة .

والله الموفق ..

المبحث التاسع

كتاب مقالة في الإسلام

لمؤلفه (جرجيس صال)

عربه عن الإنكليزية هاشم العربي . طبع سنة ١٨٩١ م

التعريف بالمؤلف :

هو المستشرق الإنكليزي مولدا ومنشأ « جرجيس صال » . ولد في أواخر القرن السابع عشر الميلادي ، ومات سنة ألف وسبعمائة وست وثلاثين ، وله من العمر أربعون سنة ، كان من المشتغلين بعلم الفقه إلا أنه أولع بدرس لغات المشرق ولاسيما اللغة العربية وعلومها فبلغ منها مبلغا عظيما . وله بلسان قومه مصنفات في التاريخ واللغة ولكنه أكثر ما اشتهر بنقل القرآن إلى لسان الإنكليز وبما ألحق به من حواش تكشف الغطاء عن مبهمات النص القرآني انتقى أكثرها من كتب التفسير الإسلامي .

وأشهر مصنفاته « مقالة في الإسلام » التي سأخصها بالتعريف[١] .

التعريف بالكتاب :

الكتاب « مقالة في الإسلام » كتاب باللغة الإنكليزية يقع في (٣٢١) صفحة ومتبوع بتذييل للثلاثة فصول الأولى للمعرب ، ومضاف إليه استدراكات مضافة إلى حواشي المؤلف .

يقع الكتاب في ثماني فصول وهي كالتالي :

---

(١) انظر ترجمته في كتابه « مقالة في الإسلام » .

الفصل الأول -:

وعنوانه : (في عرب الجاهلية وتاريخهم وأديانهم وعلومهم وعاداتهم) :

تحدث فيه عن اسم العرب منذ نشأتهم وبلادهم ثم تناول أديانهم ومعبوداتهم وعاداتهم وأخلاقهم وعلومهم .

الفصل الثاني -:

وعنوانه : (في البحث عما كانت عليه حال النصرانية واليهودية أيام ظهور محمد والطرق التي سلكها محمد لتأسيس دينه وما أعانه على ذلك من الشؤون) :

تناول المؤلف في هذا الفصل الكنائس التي كانت موجودة آنذاك واعتقاداتهم وتناول كذلك حالة الروم والفرس ، وتحدث عن محمد - ﷺ - ومقدار معرفته بعقائدهم وزعم أن الرسول - ﷺ - كان شديد الميل للنساء .

ثم تناول سيرة الرسول - ﷺ - وكيفية انتشار الإسلام وقوته .

الفصل الثالث -:

وعنوانه : (في الكلام على القرآن وما تميز به عن غيره من الكتب وفي كيفية كتابته ونشره والغاية العامة المقصودة به) .

تحدث في هذا الفصل عن اشتقاق لفظة القرآن ، وأسمائه ، وأقسامه ، وأسماء سوره ، ثم تعرض للبسملة في أول كل السور وتحدث عن لغة القرآن ، وأسلوبه ومحاكاته لأسلوب التوراة ، ثم تحدث عن غاية محمد - ﷺ - من هذا القرآن استخدام السيف لنشر الدعوة ، ثم تحدث عن فروض الإسلام وشعائره وأحكامه وأنها قابلة للتبديل . ثم تحدث عن التناقض في القرآن ومحاولة الخروج منه بالنسخ ، ثم تحدث عن الإعجاز في القرآن الكريم وعن المحكم والمتشابه ، وختمه بالحديث عن حكم ترجمته .

الفصل الرابع -:

وعنوانه : (في الإسلام أي في تعاليم القرآن وأوامره المتعلقة بالإيمان وفروض الدين - أي قضاياه النظرية والعلمية -) .

تحدث المؤلف في هذا الفصل عن أركان الإسلام وأركان الإيمان والتأثر فيها باليهود والصابئة وغيرهما . وتناول القبر والجن والشيطان وإحياء الإنسان مرة ثانية والتأثر في ذلك باليهود . ثم تناول موضوع النفخ ، ويوم الحساب ، والصراط ، وغيرها من الاعتقادات عند المسلمين التي تأثر بها النبي - ﷺ - من اليهود والمجوس وغيرهم .

ثم تناول الركن الثاني وهو الصلاة وتأثر المسلمين في صلاتهم بالطقوس اليهودية وغيرهم .

ثم تحدث عن الركن الثالث الزكاة والفرق بينها وبين الصدقات ومصارفها ومستحقيها وتأثرهم كذلك بها باليهود .

ثم تناول الركن الرابع الصيام وتأثره فيه باليهود كذلك . ثم تناول الركن الخامس وهو الحج وما فيه من وثنية وأن شرعه الحج لقومه كان إرضاء لهم ولكسبهم لدينه .

الفصل الخامس :

وعنوانه : (في بعض نواهي القرآن) :

تحدث في هذا الفصل والفصلين اللذين بعده عن الأحكام والفروض الفرعية فابتدأ بالحديث عن المنهيات : كالخمر والميسر ، كما تحدث عن المحرمات من الأطعمة كالميتة ، ولحم الخنزير .. إلخ . ثم تحدث عن الربا وتحريمه اتباعا لليهود كما تحدث عن وأد البنات وتحريم هذه العادة الذميمة .. إلخ .

الفصل السادس :

وعنوانه : (في شرع القرآن المدني أي فيما شرعه في المعاملات) :

تحدث المؤلف في هذا الفصل عن شرع المسلمين وأنه بني على الأوامر كاليهود تتناول تعدد الزوجات ، والطلاق ، والعدة ، ومقارنتها بما عند اليهود ، وعقوبة الزنا ، واعتزال النساء في الحيض ، والنكاح فيمن يجوز الزواج منهن ، ثم تحدث عن شرائع القرآن في المواريث ، والقتل ، والسرقة ، والجنايات ، ومقارنة ذلك بما عند اليهود . ثم تناول الجهاد في سبيل الله وملحقاته من فيء وغنائم .

الفصل السابع :-

وعنوانه : (في الأشهر التي حرمها القرآن وفي إفراز يوم الجمعة لله) :

بين تحديد القرآن لعدد الشهور بـ(١٢) شهرا ، وتحريم أربعة منها على ما كانت عليه بعض قبائل العرب . ثم إعطاء يوم الجمعة ميزة خاصة لعبادة الله عز وجل فيه ، ثم تعرض لأعياد المسلمين (الفطر - والأضحى) .

الفصل الثامن :-

وعنوانه : (في فرق المسلمين الكبيرة وفي من ادعى النبوة في العرب على عهد محمد أو بعده) :

تناول في هذا الفصل علم الكلام ، وعلم الفقه ، ثم تناول الأصول التي اختلف فيها المتكلمون ، وتعدد الفرق الإسلامية للاختلافات في القضايا العقائدية . ثم تناول المذاهب الفقهية الأربعة ومعرفا بأئمتها .

ثم تناول الفرق الأخرى معرفا بها وبما انفردت به من قضايا عقائدية كالجبائية والقدرية ، والجبرية ، والشيعة ، وفرقها .. معتمدا في ذلك على كتابي الإمام ابن حزم والشهرستاني في هذا الفصل ، ثم تناول المتنبئين كأمثال : طليحة ابن خويلد ، وسجاح بنت المنذر ، وغيرهما مما جاء بعدهم .

تذييل الفصل الأول ، والثاني والثالث وهو تذييل من عمل المعرب وهو مليء بالأخطاء والافتراءات على طريق أسياده من المستشرقين .

تقويم الكتاب :

يعتبر المؤلف من أكثر المستشرقين حقدا وخطرا على الإسلام ومن أكثرهم أخطاء في كثير من القضايا التي طرحها خاصة في كتابه أسرار القرآن وما كتبه عن القرآن في كتابه (مقالة في الإسلام) .

حيث بذل جهده لربط عقائد الإسلام وشرائعه بالمذاهب والمعتقدات السماوية تارة وغير السماوية تارة أخرى .

أما الفصل الثامن والذي تحدث فيه عن الفرق الإسلامية فكانت أغلب مادته نقلا عن كتابي الملل والنحل للإمامين ابن حزم والشهرستاني .

المبحث العاشر

كتاب (التوراة والإنجيل والقرآن والعلم)

تأليف الكاتب الفرنسي « موريس بوكاي »

دار الكندي - بيروت - لبنان

التعريف بالمؤلف :

لم أجد له ترجمة فيما رجعت له من مراجع :

التعريف بالكتاب :

يقع الكتاب في (٢١٧) صفحة ترجمه مجموعة من الدعاة بإشراف من (مجلة الفكر الإسلامي الصادرة عن دار الفتوى في الجمهورية اللبنانية سنة ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م) .

قدم فيه المؤلف دراسة للكتب المقدسة الثلاثة التوراة والإنجيل والقرآن باحثا عن درجة التوافق بينها وبين معطيات العلم الحديث وجاءت موضوعات الكتاب كالتالي :

١ - مدخل عرض فيه المؤلف بعض مواقف الغرب من الإسلام ومفاهيمهم الخاطئة عنه .

٢ - العهد القديم تناول فيه « بوكاي » المؤلف الحقيقي لها - وأصلها قبل أن تصبح أسفارا .

٣ - أسفار العهد القديم . ذكر المؤلف أنها مجموعة مؤلفات غير متساوية في الطول ومختلفة النوع كتبت خلال تسعة قرون بلغات عدة أخذا بالسماع .

٤ - ملاحظات في العهد القديم . وقد أشار المؤلف تحت هذا العنوان لقصور العهد القديم عن مجابهة معطيات المعارف المعاصرة وتناقضه أحيانا معها .

كما أثبت تناقضاً بين النصوص نفسها كما حصل في تحديد عمر الإنسان قبل الطوفان . ومثل على المناقضة بينها وبين النظرة العلمية في قضية خلق العالم .

٥ - الطوفان . وقد أثبت المؤلف تحت هذا العنوان مستحيلات أوردها العهد القديم ، وروايات لا تتفق مع حقائق الأشياء . ويؤكد المؤلف أن لا غرابة في ذلك وخاصة أن سفر التكوين الذي وردت فيه القصة قد حرفت مرتين خلال ثلاثة قرون . ثم بين بعد ذلك موقف المسيحيين من هذه الأخطاء العلمية لنصوص التوراة وذكر أن بعضهم قد أدخلها في مؤلفاتهم ، وبعضهم دافع عنها بحجج غير مقبولة مما يؤكد تدخل الإنسان في النصوص التوراتية .

وذكر أن بعضهم اعترف بالخطأ ولكنه أوله مدافعا عن صاحبه أن ذلك يعود لاختلاف الأسلوب الأدبي بين كل كاتب وآخر . وقرر أن المسيحيين لم يقفوا على مثل هذه التناقضات بسبب عدم معرفتهم من الأناجيل والعهد القديم إلا مقاطع يرددونها في أوقات الصلوات لا غير .

ومن اطلع على التناقض حاول أن يبرره ولكنه بأسلوب واه هزيل .

٦ - الأناجيل الأربعة - مصادرها وتاريخها .

أكد في هذا الفصل أن الأناجيل الأربعة المنسوبة لمتى ولوقا ويوحنا ومرقص كتبت في عهد بعيد عن المسيح ، وأن بولس حرف كثيرا في نصوص هذه الأناجيل مع أنه كان متهما بالخيانة والعداوة لليهودية والمسيحية في وثائق ثابتة في حقه عند اليهود والنصارى .

وقد أثبت المؤلف تناقض هذه الأناجيل في بعض القضايا التي تناولتها من الناحية التاريخية والمنطقية كما أثبت مناقضتها لمنطق العلم في قضايا كثيرة ، واستحالتها وتضادها في كثير من الروايات وقد عقد لذلك مبحثا خاصا كروايات ظهور المسيح المبعوث من الموت .

٧ – القرآن والأحاديث والعلم الحديث .

أكد المؤلف أن القرآن الكريم أقرب إلى التوافق مع العلم الحديث منه إلى الاختلاف . وبين أن القرآن الكريم حث على العلم وتطويره حتى إن العلم كان توأم الدين لا ينفصلان وأن القرآن الكريم حوى العديد من النظرات عن أحداث طبيعية مع تفصيلات موضحة تبدو شديدة الاتفاق مع معطيات العلم الحديث وحقائقه ، وليست موجودة في التوراة ولا الإنجيل مما يؤكد أن هذا القرآن ليس له مصدر إلا مصدرا واحدا هو الله سبحانه وتعالى ، وأن كون محمد كاتبا له كما يزعم الغرب أمر مرفوض .

وتحت عنوان أصالة القرآن .

أثبت المؤلف أن نصوص القرآن الكريم ثبتت كما هي عليه الآن منذ زمن الرسول – ﷺ – بعكس التوراة والإنجيل اللذين عدلا قبل أن يصلا إلينا أكثر من مرة . ثم تحدث عن الفرق بين القرآن والحديث النبوي الشريف الذي أخضع للنقد الدقيق ليخرج دقيقا ، ثم تكلم بعد ذلك عن جمع القرآن وعدد سوره وترتيبها .

ثم تحدث بعد ذلك عن موقف القرآن من التوراة من حيث التجانس والاختلاف في بعض الأخبار كخبر السموات والأرض ، وخلقهما مؤكدا أن أخبار الخلق في القرآن تدل أنه من الدقة مما يدل أنها خالية من أية تدخلات بشرية . ثم تحدث عن النظام الشمسي ، وعن علم الفلك في القرآن من نجوم وكواكب سيارة ، ومن التنظيم السماوي ، ووجود الأفلاك للقمر وللشمس ، وجريانها في الفضاء بحركة خاصة . ثم تحدث عن تعاقب الليل والنهار ، واتساع الكون وغزو الفضاء . ثم تحدث عن الأرض ، ودور المياه والبحار فيها ، والنتوء الأرضي وتركيب الأرض ، ثم تحدث عن الفضاء الأرضي والظل ، ثم تحدث عن عالم النبات والحيوان والتوازن السائد بينهما ، ثم تحدث عن التكاثر البشري في القرآن .

ثم عقد مقارنة بين روايات القرآن والتوراة في بعض الموضوعات التي اتفق ذكرها فيهما . ثم موازنة بين موقفهما من العلم الحديث .

ثم تحدث عن القرآن والأناجيل والمعارف الحديثة كذلك ، ثم تحدث عن الطوفان والروايات التي جاءت فيه في كل من التوراة والقرآن الكريم .

ثم تحدث عن خروج موسى عليه السلام وقومه من مصر كما هو في التوراة والقرآن الكريم .

ثم تحدث بعد ذلك عن فرعون ظالم اليهود ومن هو ؟ وهل غرقه كان حقيقة كما في القرآن الكريم أم لا ؟ .

ثم تحدث بعد ذلك عن ابتلاءات اليهود في مصر ، مع تحديد زمن الخروج من مصر فرارا من ظلم فرعون الطاغية .

ثم أكد أن (رمسيس الثاني) هو فرعون الاضطهاد ، وأن (منفتاح) ابنه هو فرعون الخروج .

ثم تحدث عن المسلة (وهي الوثيقة الهيروغليفية) التي اكتشفت في طيبة في معبد مأتمي مظلم لفرعون .

ثم تحدث بعد ذلك عن الكتابات المقدسة لموت فرعون زمن الخروج .

ثم بعد ذلك تحدث عن إخضاع جثة (منفتاح) المحنط في المومياء الملكية في المتحف المصري في القاهرة للفحص العلمي الدقيق على يد العالم (أليوت سميث) سنة ١٩١٢ م وعلى يد المؤلف نفسه سنة ١٩٧٥ م الذي فحص أجزاء من جسد فرعون وأخذ له بعض الصور التي تؤكد صحة الكتابات المقدسة في القرآن الكريم .

ثم عقد مبحثا بعنوان : القرآن والعلم الحديث :

تكلم فيه عن القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وكونهما مصدرين للشريعة والعقيدة الإسلامية وعلاقتهما بالأمور العلمية الدنيوية مما زاد تأكيد أن

القرآن الكريم وحي مكتوب لاشك فيه معصوم من كل خطأ علمي ، بعكس الحديث النبوي الشريف فيها فقد يخطىء وقد يصيب عملاً بقول محمد نفسه مما يؤكد على استقلالية القرآن ككلام لله سبحانه ، وأن الرسول - ﷺ - صادق فيما نقله عن ربه عز وجل .

ثم ختم كتابه بخاتمة عامة :

أكد فيها أن الكتابات الموجودة في الغرب اليوم عن الكتب المقدسة الثلاثة : التوراة ، والإنجيل ، والقرآن ، لا تتناسب مع الواقع أبدا . مبينا فيها أن التوراة كانت عبارة عن مجموعة من الأعمال الأدبية تمت خلال تسعة قرون تقريبا تغيرت عناصرها في مجرى القرون بأيدي الناس فهي كفسيفساء لا انسجام فيها .

أما الأناجيل الأربعة فهي كلمات كاتبوه غير المعاصرين للمسيح عليه السلام ولا المشاهدين لأفعاله مما تناقلته الجماعات اليهودية والمسيحية المختلفة عن حياة عيسى العامة عليه السلام سواء كانت روايات شفوية أو مكتوبة ؛ لذا ظهر في كلا الكتابين تضادات وتناقضات بسبب ميول كل كاتب بعكس الوحي القرآني الذي نزل في عشرين عاما مما مكن للمسلمين من حفظه ثم تسجيله كتابة ومحمد على قيد الحياة- عليه الصلاة والسلام- وما تبع ذلك من تدقيق بإشراف الخليفة عثمان رضي الله عنه - مما جعله بعيدا عن التناقض في نصوصه ومتفقا تماما مع المعطيات العلمية الحديثة مما يستحيل على رجل كمحمد أن يكتبها من ذاته مما يجعل للقرآن أصالة فريدة بين الكتب السماوية الأخرى .

تقويم الكتاب :

هذا الكتاب بحق يعتبر كتاب العصر فهو يعتبر أفضل كتاب كتبه غربي عن الإسلام وأنصف فيه القرآن الكريم من غبن الغربيين له .

وهو كتاب دقيق في دراسته عن الكتب السماوية الثلاثة : التوراة والإنجيل والقرآن . وقد دل هذا الكتاب على رجاحة عقل الكاتب وعمق فكره ، ودل على صدق تحليله وموضوعيته وتجرده عن الهوى والدوافع الشخصية والحمية

الجاهلية التي تسيطر على أدمغة كتاب الغرب إذا كتبوا عن القرآن الكريم . وحقا فإن هذا الكتاب لا يستغني عنه أي طالب للحقيقة عن الكتب السماوية الثلاث ليعرف الدين الحق .

فالكاتب أكد في كتابه أن القرآن الكريم وحي من الله خالص وأن محمدا – ﷺ – هو رسول الله حقا وليس له فيه إلا مجرد النقل . فهو الكتاب الفصل بالنسبة لكثير من المعتقدات الدينية .

كما أثبت المؤلف فيه أن القرآن الكريم في جميع ما ورد فيه من إشارات إلى قضايا علمية في كل المجالات الإنسانية والكونية كان متفقا مع معطيات العلم الحديث ، كما سبق إلى العديد من تلك الإشارات التي تقدم بها على العلم الذي لم يمكنه الاعتراض عليه اعتراضا مقبولا وكل ذلك مسند بأدلة ووثائق لا مجال معها للشك .

المبحث الحادي عشر

كتاب (مذاهب التفسير الإسلامي)

لمؤلفه (جولد تسيهر)

التعريف بالمؤلف :

«أجنتس جولد تسيهر » ولد سنة (١٨٥٠ م) بمدينة اشتولفيسنبرج في بلاد المجر من أسرة يهودية . قضى السنين الأولى من سنوات دراسته في بودابست ، ثم ذهب إلى برلين سنة (١٨٦٩ م) فظل بها سنة ، ثم انتقل بعدها إلى جامعة ليبتسك حيث حصل على الدكتوراة في الدراسات الشرقية سنة ١٨٧٠ م بإشراف فليشر . ثم عاد بعد إكمال دراسته إلى بودابست فعين فيها مدرسا مساعدا في جامعتها سنة ١٨٧٢ م .

ثم أرسلته وزارة المعارف المجرية في بعثة دراسية إلى الخارج فاشتغل طوال سنة في فيينا وفي ليدن ، وارتحل بعدها إلى الشرق سنة ١٨٧٣ م ، فأقام بالقاهرة مدة حضر فيها بعض الدروس في الأزهر ثم ذهب إلى سوريا وفلسطين التقى في هذه الرحلة بالشيخ طاهر الجزائري في سوريا ، واستمرت مدة مكوثه في الدول العربية قرابة عشر سنين مما جعله يبرز كأستاذ في الساميات ؛ فعلى إثر ذلك انتخب عضوا مراسلا للأكاديمية المجرية سنة ١٨٧١ م ، ثم عضوا عاملا ١٨٩٢ م ورئيسا لأحد أقسامها في سنة ١٩٠٧ م وخلال هذه المدة سنة ١٨٩٤ م عين أستاذا للغات السامية .

ومنذ ذلك الحين لا يكاد يغادر وطنه ، بل ولا مدينة بودابست إلا لكي يشترك في مؤتمرات المستشرقين ، أو لإلقاء محاضرات في الجامعات الأجنبية استجابة لدعوتها إياه . مات سنة ١٩٢١ م في مدينة بودابست .

من أشهر مؤلفاته في القضايا الإسلامية :

١ - (الظاهرية مذهبهم وتاريخهم) ظهر سنة ١٨٨٤ :

والكتاب مقدمة في الفقه عامة وإن كان في ظاهره لدراسة هذا المذهب المندرس .

٢ - دراسات إسلامية ظهر الجزء الأول منه سنة ١٨٨٩ م والجزء الثاني في سنة ١٨٩٠ م :

والكتاب دراسات حول الحديث النبوي الشريف من حيث تاريخه وتطوره وقد تناول في الجزء الأول (علاقة الوثنية مع الإسلام) ثم تناول في قسم آخر من هذا الجزء (تاريخ تقديس الأولياء في الإسلام وطبيعة هذا التقديس) .

٣ - محاضرات في الإسلام : وهو كتاب (العقيدة والشريعة) طبع في مدينة هيدلبرج ١٩١٠ م . وقد فند أخطاءه ورد عليه رداً مسهباً أستاذنا الشيخ محمد الغزالي .

٤ - اتجاهات تفسير القرآن عند المسلمين : طبع في مدينة ليدن ١٩٢٠ م . وهناك كثير من الكتب الأخرى والأبحاث صرفنا النظر عن ذكرها خوف الإطالة .

التعريف بالكتاب :

يقع هذا الكتاب في (٣٩٦) صفحة عدا الفهارس .

وقد ألف « جولدتسيهر » كتابه (المذاهب الإسلامية في التفسير) تلبية لطلب إحدى اللجان العاملة في حقل التنصير .

فقام بنقله للعربية د . علي حسن عبد القادر ولكن طبعته للكتاب جاءت غير تامة . مما حدا بالدكتور عبد الحليم النجار بترجمة الكتاب كاملا وتعليقه على بعض القضايا الواردة في الكتاب وجاءت مختصرة وغير مستوفاة . وقد طبع الكتاب عدة طبعات وكانت آخرها طبعة دار اقرأ سنة ١٤٠٣ هـ .

محتوى الكتاب :

قسم المؤلف كتابه إلى ستة فصول :

الفصل الأول :

وعنوانه : (المرحلة الأولى في التفسير) :

تحدث المؤلف في هذا الفصل عن تاريخ تكون النص القرآني وعما فيه من اختلاف في القراءات ، وعن الأسباب التي ترجع لها هذه الاختلافات .

وقد وقع المؤلف في أخطاء كثيرة في هذا الفصل دعت الشيخ « عبد الفتاح القاضي » ليتتبع ما يتعلق بالقراءات من شبهات أثارها المؤلف ورد عليها بكتابه (القراءات في نظر المستشرقين) .

وكذلك فقد رد على جولد تسيهر أكثر من عالم مختص بالقراءات فيما وقع فيه من أخطاء .

الفصل الثاني :

وعنوانه : (التفسير بالمأثور) :

تحدث في هذا الفصل عن التفسير بالمأثور ورجاله وكتبه مركزا على دخول الإسرائيليات لهذا اللون من التفسير ، ومركزا كذلك على تحرج بعض الصحابة من تفسيرهم لكتاب الله سبحانه وقد كان يلقي شكوكا حول رجالات هذا النوع من التفسير كابن عباس ، ومجاهد بن جبر ، وعلي بن أبي طلحة مصورا تناقضهم في الآية الواحدة على أكثر من قول وقد ركز في بحثه على ابن عباس - رضي الله عنهما - وحاول النيل من قدرته اللغوية ، ثم تناول تفسير الطبري وحاول زعزعة الثقة به زاعما أنه حوى المتناقض من الآراء في الآية الواحدة ، كما ذكر أنه مكثر في الأخذ من الإسرائيليات ..

الفصل الثالث :

وعنوانه : (التفسير في ضوء العقيدة « مذهب أهل الرأي ») :

ناقش المؤلف في هذا الفصل مشروعية هذا النوع من التفسير وتوقف بعض الصحابة والتابعين من القول في القرآن بآرائهم .

وقد ركز في هذا الفصل على المعتزلة مادحا لهم في أنهم يمثلون أصحاب الفكر الحر ، والاتجاه العقلاني المحمود في التفسير - في رأيه - واعتبر نـواة هذا اللون من التفسير ظهر على لسان مجاهد بن جبر من التابعين ونقلها في تفسيره الإمام الطبري . ثم تناول بعض كتب المعتزلة مثل كتاب الغرر والدرر « أمالي المرتضى » وكتاب (الكشاف) للإمام الزمخشري ، مركزا على مذهبه الاعتزالي وتسخير تفسيره له ، ثم ذكر تعقبات ابن المنير وغيره له .

ثم ذكر موقف المعتزلة من القضايا العقدية واعتبارهم العقل معيار الحقائق الدينية ؛ مما دعاهم لرد بعض الغيبيات كعدم إيمانهم بالسحر والكهانة والجن وكرامات الأولياء ، وتأويلهم آيات الصفات .

وقد ربط بين مذهبهم ومذهب بعض الفرق المسيحية في العقيدة .

الفصل الرابع :

وعنوانه : (التفسير في ضوء التصوف) :

تناول في هذا الفصل الصوفيين وبعض الفلاسفة وموقفهم من تفسير القرآن الكريم .

ركز في هذا الفصل على تفسير الصوفية والفلاسفة للقرآن الكريم عن طريق التأويل والرمز وبجعل الآيات لها ظاهرا وباطنا .

وكان تناوله في هذا الفصل منصبا على غلاة الصوفية ومذاهبهم الإلحادية كابن عربي ، والحلاج ، وغيرهم وبعض الفلاسفة كإخوان الصفا وابن سينا ، رابطا بينهم وبين تعاليم أفلاطون اليوناني وبين تعاليم فيلون من اليهود .

وأهم القضايا التي ناقشها في هذا الفصل :

١ - تفسير القرآن تفسيرا إشاريا .

٢ - موقف الغزالي من هذا اللون من التفسير .

٣ - تأويلهم بعض العبادات وبعض الآيات القرآنية وبعض القصص كقصة الفيل لتوافق هذا اللون من التفسير .

٤ - ربطهم بين الحروف والأعداد على منهج الباطنية والبابية فيها .

٥ - تعرضه لمذاهبهم المنحرفة كالجلال والجمال الإلهيين اللذين دعواهم لمذهب الفناء والحلول والاتحاد والعشق الإلهي الذي يقولون به .

الفصل الخامس :

وعنوانه : (التفسير في ضوء الفرق الدينية) :

تناول المؤلف في هذا الفصل مذهب الشيعة والخوارج من تفسير القرآن الكريم ؛ فأهم القضايا التي عرضها في هذا الفصل ما يلي :

١ - محاولة تصويب كل طائفة عقائدها وتفاسيرها من القرآن الكريم . ومتعرضا للخلاف بينهم وبين أهل السنة .

٢ - قدح الشيعة في سلامة النص العثماني للقرآن الكريم كاتهام النص بالنقصان ، ومحاولة شيعة بغداد سنة ٣٩٨ هـ نشر نص للقرآن الكريم خاص بهم حيث تم حرقه .

٣ - ترتيب القرآن ترتيبا زمنيا من قبل الإمام علي - رضي الله عنه - وعقبة بن عامر ترتيبا يخالف ترتيب المصحف العثماني .

٤ - محاولة إثبات وجود نسخ من مصاحف خاصة ببعض الصحابة ، في أماكن متعددة مع إثبات مخالفتها للنص العثماني .

٥ – تعرض لمنهج الشيعة في التفسير واعتبارهم : تفسير الأئمة من آل البيت أرفع مصادر التفسير .

ضرورة انتهاء أسانيد التفسير عندهم إلى واحد من أهل البيت أو أحد الأئمة .

ابتداعهم قراءات قرآنية خاصة بهم لتوافق مذهبهم .

اختلاق آيات موافقة لمذهبهم ووضعها في بعض السور . وادعاء وجود سور خاصة بهم غير سور القرآن الحالية .

حملهم بعض صفات الذم وبعض المبهمات في القرآن على بعض الصحابة للتشنيع عليهم مثل : تفسيرهم المغضوب عليهم والضالين في سورة الفاتحة بالأمويين .

استخدامهم أسلوب الرمز والكناية وحمله على بعض الصحابة .

تأويلهم الآيات القرآنية لخدمة مذهبهم وعقائدهم .

كون الشيعة محضن بعض الفرق المغالية كالإسماعيلية ، ولبعض الفرق الباطنية المنحرفة كالبابية وغيرها .

أما بالنسبة للخوارج فكانت وقفته معهم في قضايا محدودة منها :

– نشأتهم . – الإشارة إليهم في القرآن .

–محاولة إيجاد إشارات قرآنية تصوب أفعالهم وحربهم للإمام علي بن أبي طالب– رضي الله عنه – وتصويب قتله على يد ابن ملجم وتبرر خروجهم بعد ذلك من بين المسلمين كفرقة مستقلة .

وكان جل غاية « جولد تسيهر » أن يثبت أن القرآن مضطرب وهو ما زعمه في أول كتابه . فيه خلل تنسيقي وتجميعي للنصوص من عند أهل الإسلام أنفسهم وكذلك محاولة برهنته أن التفسير في المرحلة الأولى خاصة وضع كعمل مذهبي يخدم صالح الفرق والطوائف الإسلامية المختلفة .

الفصل السادس :

وعنوانه : (التفسير في ضوء التمدن الإسلامي) :

ركز المؤلف هذا الفصل على الإجابة على سؤال طرحه وهو :

هل الإسلام وحياة الحضارة في التمدن الحديث ضدان على طرفي نقيض غير قابلين لتسوية أو توفيق ؟

فذكر أن خير من يمثل الإجابة عن سؤاله فئتان :

الأولى : نشأت في الهند بقيادة مؤسسها سيد أمير علي ، وأحمد خان بهادر .

والثانية : نشأت في مصر وهي بقيادة الشيخ جمال الدين الأفغاني وتلميذه محمد عبده .

وقد سمى « جولد تسيهر » أصحاب هذا الاتجاه (بالمعتزلة المحدثين) .

وأهم القضايا التي ناقشها « جولد تسيهر » في هذا الفصل ما يلي :

أ – عرض لأفكار المدرسة الهندية المتلخصة فيما يلي :

١ – أن الإسلام يشجع الحضارة بشرط التحرر في فهمه وترك الجمود .

٢ – أحكام المعاملات عندهم ليست خالدة بل يراعى فيها الزمن .

٣ – عدم أخذهم بالحديث النبوي الشريف .

٤ – إنكارهم لحجية الإجماع .

٥ – إخراج هذه الطائفة (الهندية) القرآن مترجما للإنجليزية على الترتيب الزمني .

٦ – تأليف أحمد خان بهادر تفسيرا للقرآن اتجه فيه لإثبات النسخ .

ب –أما أهم القضايا التى عرضها في المدرسة المصرية :

١ – حاول « جولد تسيهر » أن يوازن ويقارن بينها وبين المدرسة الهندية .

٢ – نشاط كل من الشيخ جمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده السياسي والديني ومتعرضا لأهم أفكارهم التي تبنوها ودافعوا عنها والتي منها :

أ – أن الإسلام دين عالمي صالح لجميع الشعوب والأزمان وملابسات الحضارة .

ب – أن الإسلام لا ينافي المدنية الحديثة إلا في بعض المسائل كالربا .

ج – انحطاط المسلمين في نظر أصحاب هذه المدرسة عائد لجمودهم على المذاهب الأربعة . لذا فيجب عندهم الرجوع للكتاب والسنة مباشرة ولعمل السابقين من المسلمين فحاربوا التقليد وفتحوا باب الاجتهاد .

– محاربتهم للبدع والخرافات وتقديس الأولياء مما جعلهم قريبي النهج من المذهب الوهابي – حسب تعبيره – .

–تأثرهم بكتب ابن تيمية وابن القيم ، وبالغزالي في بعض النواحي .

د – دعوتهم لفكرة المؤتمر الإسلامي .

هـ – مقاومتهم لحملات المنصرين المسيحيين .

و – ثم تناول بعد ذلك لمنهج الشيخ محمد عبده في تفسير القرآن منها :

١ – مراعاة الفواصل في القرآن لا تجيز عنده تقديم ما حقه التأخير.

٢ – القرآن لا يحتوي على ما يعارض العلم .

٣ – بيان سنن العمران الثابتة في القرآن .

٤ – علاقة القرآن بعلم الطبيعيات ، وعلوم الكون ، والفنون وعلوم الصناعات .

٥ – تسخير الآراء الأوربية لخدمة منهجه في التفسير .

٦ – تأويلهم بعض الآيات خلاف الفهم الإسلامي كتفسير الجن بالميكروبات .

٣ – ثم ذكر المؤلف موقف هذه المدرسة من بعض القضايا الإسلامية :

كتعدد الزوجات ، المساواة الأدبية بين الرجل والمرأة ، الإسلام الحقيقي دين العقل .

ولخطورة هذا الكتاب وما حوته فصوله من مادة فقد وقفت معه طويلا في الباب الأخير من الرسالة باب التفسير ووقفت معه كذلك وقفات في موقفه من القراءات القرآنية وغيرها من المواطن التي يرجع إليها في مواطنها من الرسالة .

المبحث الثاني عشر

كتاب المصادر وطرق لتفسير الكتاب المقدس

لمؤلفه (ج . فانسبرف)

التعريف بالمؤلف :

لم أجد له ترجمة .

التعريف بالكتاب :

هذا الكتاب عبارة عن مجموعة من المقالات تدور حول مصادر التفسير للقرآن الكريم وأنواعه وطرقه ، وقد تطرق المؤلف في الكتاب لثلاث قضايا أساسية هي : النص القرآني - النبوة - اللغة العربية .

وموضوع الكتاب الأساسي تطور التفسير القرآني ، وقد وضع المؤلف عناوين فصوله التي هي ألوان من التفسير عند المسلمين بأسماء يهودية كتسمية التفسير القصصي بالتفسير الهاجادي .. إلخ .

وقد جاء الكتاب في مقدمة وخمسة فصول . وقد ألف هذا الكتاب من ضمن سلسلة الدراسات الشرقية في مدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية بجامعة لندن التي أوفدت المؤلف في إجازة علمية لاسطنبول لتأليف هذا الكتاب الذي جاء بعنوان دراسات قرآنية والذي وضعت مسوداته سنة ١٩٧٢ م . وقد تحملت الجامعة نفقات نشره . وقامت على طباعته دار جامعة أكسفورد للطباعة والنشر ، وقرأه وعلق عليه « سيمون هو بكنز » أحد طلاب المؤلف .

وقد جاءت فصول الكتاب على الإيجاز كما يلي :

الفصل الأول :

وعنوانه : (التنزيل) :

أ - الوثيقة .

ب - تركيبها .

الفصل الثاني :

وعنوانه : (رمز استشارات النبوة) .

الفصل الثالث :

وعنوانه : (أصول اللغة العربية الكلاسيكية) .

الفصل الرابع :

وعنوانه : (مبادىء التفسير - ألوانه) .

الفصل الخامس :

وعنوانه : (المجاز والاستعارة والبيان) .

ثم ختمه بقائمة فهارس لتخدم الكتاب .

مقدمة الكتاب :

ذكر المؤلف في مقدمته أن الكتاب عبارة عن مجموعة مقالات ثم ذكر أن الاختلاف في كون القرآن كتابا مقدسا أمر لا مبرر له . واعتبره وثيقة للوحي قابلة للتحليل بواسطة الأدوات والأساليب المستخدمة في نقد الكتب السماوية .

ولكنه ذكر أن الذي منع من ذلك الصعوبات العقائدية . وأنماط الكتابة القديمة . ولكن مع هذا فهو سيقوم بدراسته مبتدئا بجانب العقيدة وأنه سيدرس موضوع التوحيد الإسلامي من خلال تقسيم ثلاثي لمكوناته الأساسية .

١ - الوثيقة (النص القرآني) .

٢ - النبوة .

٣ - اللغة الدينية .

والمؤلف كان يأمل أن تكون هذه الدراسة مدخلا لدراسته لمادة (تطور التفسير القرآني) .

وقد تحدث المؤلف في هذا الفصل عن دور البيئة في التأثير على نشوء الديانات الكبرى الثلاث : اليهودية ، والنصرانية ، والإسلام . ودور هذه الوثيقة في إبراز مجتمع ديني ثم ذكر الوظائف العامة للكتاب المقدس وقسمها إلى أربعة وظائف مرتبة حسب الأهمية وحسب الترتيب الزمني في الظهور .

١ - وظائف جدلية .

٢ - وظائف مرتبطة بالطقوس .

٣ - وظائف تعليمية تهذيبية .

٤ - وظائف تشريعية .

ثم ذكر أنواع التفسير التي طرقها وربط أسماءها بمسميات يهودية مثل :

١ - التفسير الهاجادي (القصصي) .

٢ - التفسير الهالاخيكي (الموضوعي) .

٣ - التفسير المازورتيكي (اللغوي) .

ثم ذكر بعد ذلك الجهة التي أوفدته لتركيا للقيام بهذا المؤلف وهي مدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية بجامعة لندن . وقد تحملت عنه كامل نفقاته ونفقات نشره ، ثم ذكر من علق عليه .

الفصل الأول :

وعنوانه : (التنزيل) :

المبحث الأول : الوثيقة :

تحدث في هذا المبحث عن أول نشأة وثيقة التنزيل بانفصالها عن الكلام النبوي واستقلالها وأخذها شكل الشرعية معتمدا في تجميعها على مجموعة مصاحف الصحابة التي كانت كأشكال من المخطوطات التي جمع منها النص القرآني . ثم ذكر دور عنصر التجميع والمواءمة في جعل النص متماسكا تارة وغير مترابط تارة أخرى خاصة في جانب القصص . ومثل على ذلك بسورة يوسف – عليه السلام – التي وصفها بأنها غير واضحة ، والتي يلمع فيها بين فترة وأخرى إضافة بعض الروايات لإظهارها بشكل أكثر تماسكا وهي نظرية التكميلات البديلة عند « بل » وقد ذكر أن ألوان التفسير المختلفة هي التي كانت تغطي على هذا الخلل ثم ذكر بعض الأفكار التي كانت تعالجها الآيات القرآنية واختلافها عن الأفكار في المادة القصصية ، ثم مثل على ذلك بعدة أمثلة كقصة سليمان – عليه السلام – وفكرة الثواب والعقاب .. إلخ ومحاولة ربطها ببعض المصادر غير الإسلامية .

ثم تحدث عن مصادر بعض النصوص القرآنية وأنها مستمدة من النصوص التوراتية الإنجيلية كاستخدام لفظ عاد ، إبراهيم ، ثمود ، أو من مصدر وثني كاستخدام أيام العرب . كما أجهد المؤلف نفسه بإثبات التحريف في القرآن الكريم ومعتبرا مادة التفسير نمطا من أنماط الأدب العربي ، وأنه معدل من مواد الأدب العربي وانعكاس لبعض أساليب كانت معروفة في عصره كأسلوب الكهان مثلا ، ثم تناول الاختلاف الحاصل في النص القرآني نتيجة القراءات القرآنية وأن فيه لغاتٍ غير عربية ثم حاول إثبات أن القرآن محاكاة لغيره من الكتب في اللغة وغير ذلك .

ثم زعم المؤلف أن الإنجيل أفضل من القرآن من ناحية النحو والصرف إلى غير ذلك من الافتراءات .

المبحث الثاني : تركيب التنزيل أو نظمه :

ذكر المؤلف في هذا المبحث أن القرآن عبارة عن نمط من الأنماط الأدبية المستقرة . وبالمقارنة بينه وبين التوراة نجد نوعا من المحاكاة لكنها لا تؤدي في النهاية إلى توافق تام ثم ذكر نزول القرآن على مرحلتين :

المرحلة الأولى : إلى السماء الدنيا .

المرحلة الثانية : إلى رسول الله - ﷺ - .

ثم ذكر أغراض المرحلة الثانية وتتلخص في :

١ - الدلالة على كون محمد نبيا .

٢ - احتواء القرآن على ناسخ ومنسوخ .

٣ - تحول العرب من الوثنية للإسلام هو الذي أدى إلى نزول القرآن حسب الحاجة والظروف .

وبعد هذا توصل أن القرآن كان بتأليف رسول الله - ﷺ - ثم حاول التشكيك في سلامة النص القرآني وذلك لعدم الترابط بين فقراته ، وكثرة ما فيه من التكرار وزعم المؤلف أن المجاز في القرآن طراز بدائي وأن سبب أسلوبه البياني البلاغي بسبب التأليف والتركيب الشفاهي للنص وأن الأسلوب القرآني استخدم كثيرا الأساليب التي كانت موجودة في بيئته كالاستعارة ، ولغة الشعر التقليدية .

وقد هاجم المؤلف عثمان - رضي الله عنه - لحرقه مصاحف الصحابة - رضوان الله عليهم - .

الفصل الثاني :

وعنوانه : (رموز وشارات النبوة) :

تحدث المؤلف في هذا الفصل عن عالمية الدعوة الإسلامية ، واحتواء القرآن للغات أخرى ، ثم تحدث بعد ذلك عما سبق مقدمات الوحي الرؤيا الصادقة ثم

أسهب بعد ذلك في الحديث عن الإعجاز القرآني وبعض المذاهب فيه كقولهم :

١ - إن إعجاز القرآن كان بصرف الناس عن الإتيان بمثله وإن الإعجاز كان بما حواه من أخبار عن الغيب .

٢ - وإن الإعجاز كان بما امتاز به نظمه من براعة التأليف وحسن النظم ، وبراعة شكله اللغوي .

كما ذكر أن بعضهم حاول تقويم الكتاب من الناحية الأخلاقية وإظهار تميز هذا الجانب على الجانب الجمالي السابق الذكر .

ثم عقد فصلا قارن فيه بين الإعجاز في القرآن الكريم وبين الكتب المقدسة السابقة .

الفصل الثالث :

وعنوانه : (أصول اللغة العربية الكلاسيكية) :

عقد هذا الفصل عن اللغة العربية التي تكونت منها مادة القرآن الكريم ، وما زودت به هذه اللغة القرآن من استعارات وتمثيل ومجاز وتشبيهات ، وتنوع في الأساليب ، وفي الإيقاعات الشعرية التي كانت موجودة مما جعل القرآن الكريم يرقى إلى حد أعجز الخلق عن الإتيان بمثله .

وقد اعتبر « فانسبرف » اللغة العربية لغة مقدسة لاستخدامها لخدمة التنزيل (خاصة) والإسلام عموما .

الفصل الرابع :

وعنوانه : (مبادىء التفسير) :

تحدث المؤلف في هذا الفصل عن الإسلام ، وصلته بالقرآن ، والنبي ، واللغة المقدسة كعوامل ارتبط بها خلال فترة نموه وتطوره .

ثم تحدث عن أنواع التفسير وتطورها في خلال عدة مراحل ووضع لدراسته

معايير خاصة به مراعيا في ذلك أسلوب كل تفسير ووظيفته مما أدى لظهور ألوان من التفسير منها :

١ - التفسير الهاجادي (القصصي التلمودي) .

٢ - التفسير الهالاخيكي (الموضوعي) .

٣ - التفسير المازورتيكي (اللغوي) .

٤ - التفسير البياني البلاغي .

٥ - التفسير المجازي الاستعاري .

ثم ذكر أن هذه الأنواع تتداخل وأن الأربعة الأولى منها يمكن أن ترتب زمنيا وأن كثيرا من هذه الأنواع دخلها الانتخاب والاختيار والتنظيم لوجود الروايات التفسيرية المختلفة المتعارضة .

وقد وضع لدراسته هذه نقاطا راعاها في هذه الأنواع التفسيرية منها :

١ - القراءات المختلفة .
٢ - الشعر .
٣ - التفسير على أساس المفردات .
٤ - التفسير على أساس النحو والصرف .
٥ - التفسير البياني .
٦ - الإسهاب أو الإطناب .
٧ - قياس التمثيل أو التشابه الجزئي .
٨ - النسخ .
٩ - الظروف الخاصة بالتنزيل .
١٠ - المماثلة أو المطابقة .
١١ - الحديث النبوي .
١٢ - الحكاية النادرة .

ثم بعد ذلك تحدث عن ألوان التفسير التي سبق ذكرها . فابتدأ بالحديث عن :

١ - التفسير التلمودي (القصصي) :

فذكر أن بداية نشأته كان على يد التابعي « مقاتل بن سليمان » وأنه غلب عليه الموضوعية ولكنه اعتنى كذلك بالتفسير القصصي وضرب على ذلك ذكره لقصة قريش وطرحها الأسئلة الثلاثة على رسول الله - ﷺ - لتعجيزه واختبار صدقه . ولاشك أن هذه القصة عليها طابع الروايات الإسرائيلية حيث هي صادرة عن اليهود ، ثم ذكر أن مقاتلاً - رحمه الله - من هذه القصة اعتنى بما يلي :

١ - بأسباب النزول .
٢ - توضيحه المعاني من اللغة .
٣ - اهتمامه بالتفسير الموضوعي .
٤ - طرح أسئلة متوقعة والإجابة عليها .
٥ - التكرار .
٦ - عدم وجود أدوات الربط .
٧ - توجيه الحوار .
٨ - تكراره لوحدات معينة صغرى كان يحدد توزيعها حسب طبيعة النص القرآني لكنها يمكن أن تعتبر شيئا ثابتا في البنية الشاملة للنص وهذه العبارات كانت تعتبر ركيزة للتفسير الهاجادي ، والتفسير الموضوعي اللغوي .

٢ - التفسير التأويلي ناقشه تحت عنوان (الحاجة إلى التفسير)

وأهم ما جاء فيه ما يلي :

قال المؤلف : [ظهرت الحاجة إلى الطريقة الهامشية في عمل المفسرين الهاجاديين وقد وصفها «فيرس » بأنها التفسير التطبيقي (الخالص) إلا أن المؤلف ركز على أن المصطلحات التفسيرية مرتبطة بالروايات اليهودية وكذلك الحروف المقطعة في أوائل السور مأخوذة من سفر الرؤيا ، وأن النقد البلاغي البياني الذي

ظهر في نهاية القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) كان مأخوذا من الأدب الوثني . وأن تفسير القرآن بظاهر وباطن كان تبعا لتفسير التوراة . وذكر أن نقطة الانطلاق لجميع أنواع التفسير كان من علومه الثلاثة المحكم ، والمتشابه ، والمنسوخ المذكور في قوله تعالى : ﴿**هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات**﴾[1] وأن هذه الأنواع موجودة في اليهودية] .

ثم تحدث بعد ذلك لدراسة الفرق بين التفسير والتأويل وأن أهم ما يفرق بينهما أن التفسير يعتمد الرواية أما التأويل فلا يعتمدها .

وقد ذكر في هذا الفصل أنه مما يلاحظ على أسلوب التفسير الهاجادي :

١ - التفسيرات المباشرة .

٢ - عدم الإسناد .

ثم ناقش مجموعة من الكتب وأسلوب أصحابها فيها أمثال :

١ - رسالة في الفصاحة لابن المقفع .

٢ - رسالة في القدر وهي تنسب للحسن البصري .

٣ - رسالة لمقاتل ذكرها أبو الحسن الملطي في كتابه (التنبيه والرد) .

٣ - التفسير الهالاخيكي (الموضوعي) :

اعتنى هذا النوع من التفسير بتتبع فكرة معينة ، أو موضوع معين فيستطرد في ذلك ومثل على ذلك بتتبع « مقاتل بن سليمان » لموضوع الجهاد في حوالي (٥٠٠) آية . وقد ذكر أن هذا القسم يتألف من (١٨) فقرة تحتوي على (٢٩) آية عالج فيها ستة أفكار رئيسية :

١ - الغرض الإلهي الذي من أجله أوجب القتال مثل سورة(٢) آية (٢١٦) .

---

(١) سورة آل عمران (٧) .

٢ – الثواب نتيجة للقتال في سبيل الله ٦١ : ٤ .

٣ – الوفاء بعهد الله ٩ : ١١١ .

٤ – الاستشهاد وجزاؤه ٢ : ١٥٤ .

٥ – التأييد الإلهي ضد العدو ٨ : ١٥ – ١٦ .

٦ – توزيع الغنائم ٨ : ٤١ .

ولكن مناقشة « مقاتل » للموضوع كانت غير منهجية وطريقته غير مكتملة وذلك لخدمة بعض الأمور المهمة كبعض المسائل التشريعية المرتبطة بموضوع الجهاد مثل : الأمان ، والالتزام بالعهود وقد ناقش مقاتل في ثنايا هذا الموضوع موضوعات أخرى كالصلاة ، والزكاة ، والصيام ، والحج ، والعمرة ، والمظالم ، وغير ذلك .

٤ – التفسير المازورتيكي (اللغوي) :

عرف المازورة باللغة القرآنية أو المفردة القرآنية وهي أحد مكونات التفسير اللغوي . عالج المؤلف هذا اللون من التفسير من خلال ثلاثة عناصر :

١ – التفسير اللفظي المعجمي .

٢ – التحليل النحوي الصرفي .

٣ – ومن خلال عدد من القراءات المختلفة والمتفق عليها ، وذكر أن تفصيل ذلك كان يتطلب أداتين تفسيريتين هما :

١ – القياس النصي .

٢ – الإسهاب والإطناب والشرح إلى جانب تقديم الشواهد والأدلة من الشعر العربي .

ثم ذكر بعض الحروف الزوائد على المصحف العثماني مثل كلمة (صالحة) في سورة الكهف في قوله تعالى : ﴿ **وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة**

[صالحة] غصبا ﴾[1] ونسبها لأبي بن كعب ؛ لإثبات وجود مصاحف مخالفة للنسخة العثمانية وتشير إلى التطور التاريخي لأدب المصاحف . وقد أشار إلى أن بعضهم اعتبرها شرحا تفسيريا فحسب ، أو قراءة شاذة ثم استطرد بعدها في الحديث عن أنواع القراءات (متواتر ، مشهور ، آحاد ، شاذ) وعلى عددها (سبع ، عشر ، أربع عشرة) .

ثم تحدث عن المتشابهات وظهورها نتيجة هذا اللون من التفسير وذلك بتحديد وتعيين المعاني المتجانسة والمتعددة والمترادفة .

وذكر موقف الكسائي منها واعتبر مقارنة المتشابهات تعكس مقدار إدراك المازوريتيين ، وضرب على ذلك بعض الأمثلة .

كما أنه ذكر أن أحدث محاولة لتحليل المعجم اللغوي للكتاب المقدس للمسلمين تستند إلى دراسات خاصة بتطور الألفاظ كما حاول المؤلف أن يشكك في مسائل : « نافع بن الأزرق » التي كانت تمثل شروحات معجمية – كما سماها المؤلف – ثم تحدث عن أهمية الشعر لتغذية هذا اللون من التفسير ، ثم نقل أمر التعريب الذي تواردت عليه اللغات أو نقل للعربية من غيرها ذاكرا كتاب (اللغات في القرآن) المنسوب لابن عباس .

كما ذكر اهتمام السلف بتعريب القرآن ثم تحدث عن الانتقال من الحصيلة التقليدية إلى طريقة منهجية جذرية على يد السجستاني وابن قتيبة . ثم ذكر أن الأكثر أهمية بالنسبة للمازورة القرآنية من القراءات المختلفة والشرح المعجمي التحليلي النحوي الصرفي ، والتحليل النبوي اللذين يمثلهما المبدأ التفسيري حول التقدير (المجاز) ثم ذكر من اهتم بالمجاز كأبي عبيدة في كتابه (مجاز القرآن) .

ثم ساق بعض الأمثلة على المجاز متعرضا لموضوع سلامة القرآن من النقص وأن « أبا عبيدة » كان له إسهام طيب في إظهار عدم الاضطراب في النص في

---

(١) سورة الكهف (٧٩) .

بيان سبب بناء الجمل على هذه الشاكلة ، وتفسير مواضع الحذف واستخدام أسلوب الدوران حول المعنى (المجاز) .

وقد ذكر المؤلف أن هذا العلم استفاد كثيرا من القراءات المختلفة كتفسيرات النصوص .

ثم ذكر المؤلف بعد ذلك عناصر التفسير المازوريتي :

١ - القراءات المختلفة .

٢ - الشرح المعجمي والنحوي الصرفي .

٣ - التناظر .

٤ - الدوران حول المعنى .

٥ - الشواهد الشعرية .

واعتبر أن ما زاد عن هذه العناصر تعتبر عناصر توثيقية لا غير . ثم ذكر الموضوعات التي يعالجها التفسير المازوريتي مثل :

البنية ، الصرف ، الزمن ، ، الوصل والعدد ، والتخصيص والتعيين .

كما ذكر الغرض الأساسي في القياس المازوريتي أنه الإصرار على وحدة مفهوم التنزيل الأساسي فكان نمطا استنتاجيا يرتكز على عمليتين :

١ - المقارنة المعجمية بين النصوص والمحافظة الإطنابية (نحوية أو صرفية) ، واعتمادها على الإسناد .

وقد ذكر أن استخدام (المازوريتية) أحيانا لم يكن صريحا ، ومثاله : إشارة البيضاوي للروايات عن زكريا - عليه السلام - في شرح الآية ﴿ **ثلاث ليال** ﴾ إلى العبارة المكملة « ثلاثة أيام » وأن ذكر الليالي هنا والأيام في آل عمران للدلالة على أنه استمر عليه المنع من كلام الناس والتجرد للذكر والشكر ثلاثة أيام ولياليهن .

ومراعاة القياس المازوريتي يؤكد وحدة مفهوم التنزيل القرآني وهذا القياس يتركز في عمليتين :

أ – بالمقارنة المعجمية بين النصوص .

ب – المحافظة الإطنابية (نحوية وصرفية) .

ومثل على هذا بكتاب (الوجوه والنظائر) أو الاسم البديل له كتاب (تفسير وجوه القرآن) مقاتل بن سليمان كما أنه اعتبر تفسير مقاتل تفسيرا لغويا . ونقل بعض الأمثلة من علم الوجوه والنظائر ككلمة وحي وأنها على خمس معان وهي :

١ – القرآن . ٢ – الإلهام . ٣ – الكتاب .
٤ – أمر . ٥ – القول .

وهو ما يسمى علم الوجوه والنظائر ومثل لهذا النوع بتفسير مقاتل الذي يسميه (تفسير وجوه القرآن) .

وذكر أن أسلوب مقاتل كان يظهر تناقضا بين القرآن والسنة المطهرة . ثم تحدث عن موقف الإمام الشافعي من هذا النوع من التفسير ثم تحدث بعد ذلك عن نزول القرآن الكريم إما ابتداء وهو ما سماه خبر النزول أو عقب حادثة وهو ما سماه سبب النزول مرجحا أن العبرة بخصوص السبب لا بعموم اللفظ .

ثم تعرض في هذا الفصل لأسلوب كل من الإمام البخاري ومسلم والترمذي مرجحا الأسلوب الهاجادي على تفسيراتهم .

ثم تعرض لعلم النسخ وموقف اليهود منه ومثل لهذا العلم بمجموعة من كتب النسخ ككتاب هبة الله بن سلامة ، وكتاب النحاس ، وكتاب أبي عبيد ، وكتاب عبد القادر البغدادي .

ثم ذكر موقف بعض الغربيين من النسخ أمثال « بيرتون » الذي ذكر أن أنواع النسخ تحوي أفكارا متناقضة والتي كانت فيما بعد أساسا لتكوين القانون الإسلامي .

الفصل الخامس :

وعنوانه : (المجاز والاستعارة والبيان) :

بين المؤلف في هذا الفصل الغرض من وجودها في التفسير حيث ذكر أن وجود الاستعارة في لغة القرآن الكريم كان تعبيرا عن الورع والتقوى بنفس القدر الذي تعبر فيه عن التقدير الجمالي وكانت الصورة الأولية لهذا الورع والتقوى هي حذف المجاز الذي يتضمن نسبة الصفات البشرية لله سبحانه بواسطة المفسر . ثم ذكر بعض من اعتنى بالمجاز « كالشريف المرتضى » (ت ٤٣٦ هـ / ١٠٤٤ م) في أماليه (مجاله) حيث حاول في كتابه إظهار الأهلية الخاصة للغة العربية ، والمجاز أسلوب عربي مبني على حب الاختصار وطرح فضول الكلام ومثال ذلك قوله تعالى : ﴿**واسأل القرية**﴾[(١)] ، وقد ذكر أن ممن دافع عن وجود المجاز في القرآن الكريم ابن قتيبة – رحمه الله – وكانت دراسته نقلا للمجاز من أسلوب تفسيري لأسلوب قرآني جمالي .

وممن عالج هذا الجانب كذلك الفراء ، أبو عبيد ، وعبد القاهر الجرجاني تحت عناوين مختلفة مثل الاستعارة – القلب – الحذف – التكرار – والحشو – والكناية المرسلة ، وغيرها ومثل على ذلك .

وقد اعتبر المؤلف أن هذه الأشياء ساهمت في تطوير التفسير البياني . ثم ذكر بعد ذلك ثلاثة عناصر اعتنى بها التحليل البياني وهي تنتمي إليه .

١ – اللعن كمنطوق إلهي وصرفها كمسألة فرضية تصويرية .

٢ – مسائل بيانية مثل التقرير ، والتعجب ، والتوبيخ .

٣ – أوامر منعية كالتهديد ، والتعذيب ، والإباحة .

ثم ذكر أن هذه الأغراض نتج عنها وجوه إعجازية قرآنية بديعة والتي تبناها

---

(١) سورة يوسف : ٨٢ .

الجرجاني ، والباقلاني وبعض الكلاميين والمنظرين من المتأخرين أمثال ابن أبي الأصبع (ت ٦٥٤ هـ) ، والخطيب القزويني والجاحظ وابن المعتز وغيرهم .

والمؤلف قد اعتبر مصدر كل هذه الألوان البيانية الأدب الوثني - حسب تسميته - .

ثم ختم المؤلف الفصل بربط هذه المعاني بالرمزية في التفسير عند أهل الفرق الباطنية كالمعتزلة والشيعة وغلاة المتصوفة وغيرهم ممن نهج هذا النهج .

تقويم الكتاب :

يعتبر الكتاب جديدا في بحثه وأسلوبه وخاصة أنه تناول عدة كتب بعضها مازال مخطوطا ولكن مما يلحظ على الكتاب :

١ - محاولة صبغ بعض ألوان التفسير التي تناولها بالصبغة اليهودية وبعضها بالصبغة الوثنية ، حتى إنه غير بعض الأسماء وأطلق عليها أسماء يهودية وعمل جهده لإثبات هذه الصبغة - كتسمية التفسير القصصي بالهاجادي والتفسير الموضوعي بالهالاخيكي ، والتفسير اللغوي بالمازوريتي .. إلخ .

٢ - محاولته إثبات عدم سلامة النص القرآني وتناقضه بما عرضه في القراءات الشاذة وغيرها . إلى غير ذلك من الشبه التي كان من الواجب أن يتحراها أمثال هذا المؤلف الذي خط لنفسه منهجا علميا - وفرغ من أجل ذلك من قبل جامعته لهذه الدراسة ولكنها روح العداء ما انفكت عنه وعن أمثاله وتأثره بكتابة من سبقه من غير المنهجيين والحاقدين على الإسلام أمثال « جولد تسيهر » وغيره واضح بين .

المبحث الثالث عشر

كتاب (تاريخ النص القرآني)

لمؤلفه (تيودور نولديكة)

التعريف بالمؤلف :

يعد « نولديكة » شيخ المستشرقين الألمان بغير مدافع ، وقد أتاح له نشاطه الدائب ، واطلاعه الواسع على الآداب اليونانية ، وإتقانه لثلاث من اللغات السامية (العربية ، والسريانية ، والعبرية) أن يظهر بهذه المكانة ليس فقط بين المستشرقين الألمان بل بين المستشرقين جميعا .

ولد تيودور نولديكة في الثاني من مارس ١٨٣٦ م بمدينة هاربورج كانت دراسته الثانوية في مدينة لنجن وأكمل دراسته الجامعية في جامعة جيتنجن فحصل على الدكتوراة في ١٨٥٦ م برسالة عن (تاريخ القرآن) وهو أشهر كتبه . خرج من ألمانيا للاتصال ببعض المستشرقين أمثال « دوزي » و « ينبول » و « دي فريس » ، و « كونن » ، واستفاد من سفره لكل من فينا ، وليدن ، وانجلترا ، بالاطلاع على كثير من المخطوطات العربية الثمينة .

عمل مساعدا لأمين مكتبتي برلين ، وجامعة جيتنجن من سنة (١٨٦٠ - ١٨٦٢) ثم عمل سنة ١٨٦١ م معيدا في جامعة جيتنجن الشهيرة خلال عمله في مكتبة جيتنجن ، ثم أستاذا للغات السامية عام ١٨٦٤ - ١٨٧٢ م في جامعة كيل ، ثم أستاذا في جامعة أشترا سبورج عام ١٨٧٢ - ١٩٢٠ م . أحيل للتقاعد سنة ١٩٠٦ ، وتوفي سنة ١٩٣٠ م ، عن عمر ناهز الرابعة والتسعين[١] .

---

(١) انظر موسوعة المستشرقين صـ ٤١٧ - ٤٢٠ .

التعريف بالكتاب :

يعتبر كتاب (تاريخ القرآن) لـ« تيودور نولديكة » من أهم الكتب في ميدان البحث في الدراسات القرآنية ، يقع الكتاب في ثلاثة أجزاء كبار تقارب تسعمائة صفحة .

كانت بداية عمله لهذا الكتاب بحثا قدمه لنيل رسالة الدكتوراة الأولى في عام (١٨٦٥ م) . وقد ذكر « عبد الرحمن بدوي » ، « وورودي بارت » أنها كانت بعنوان (تاريخ القرآن) أما « عقيقي » فيقول إنها كانت بعنوان (أصل وتركيب سور القرآن) من جامعة جبتنجن في ألمانيا . وبعد عامين في سنة ١٨٥٨ م أعلنت أكاديمية باريس قسم (مجمع الكتابات والآداب) عن جائزة لبحث يكتب في هذا الموضوع فتقدم له « نولديكة » وتقاسم هو و « أسبرنجر » و « ميكيله أماري » الظفر بالجائزة التي ضوعفت حتى نال كل واحد منهم من الثلاثة مبلغ (١٣٣٣) فرنك فرنسي .

وبعد ذلك بعامين آخرين (١٨٦٠ م) نشر « نولديكة » ترجمة ألمانية لرسالته (وكانت رسالته باللاتينية) وكانت بعنوان (تاريخ القرآن) وهذه الطبعة توسع « نولديكة » فيها جدا فيما بعد بالتعاون مع تلميذه أشفالي . وبعد رجوعه لكثير من المصادر والمراجع . ثم ظهرت مجلدات في عام ١٩٠٩ ، ١٩١٩ ، ١٩٣٨ . ونهض بتعديل الجزئين الأولين المستشرق « فريدرش شفاللي » فلما مات قام « جوتهلف برجشتستير » بالعمل في الجزء الثالث ولكنه مات قبل أن يفرغ منه فأكمله « أوتوبرتس » وأخرجه بعنوان (تاريخ النص القرآني) وبهذا تم الكتاب بشكله الحالي .

أجزاءالكتاب الثلاثة :

تناول المؤلف في الجزء الأول : الوحي ومظاهره ذاكرا أن ظاهرة الوحي كانت نتيجة انفعالات طاغية كانت تسيطر على محمد - ﷺ - ثم تناول في هذا الجزء مصادر القرآن الكريم ذاكراً بعض الادعاءات التي تزعمها غيره من

المستشرقين أن مصدره البيئة التي كان يعيشها رسول الله - ﷺ - وأهل الكتاب واليهود فتأثر بهم بشكل أخص .

ثم تناول في هذا الجزء أسلوب القرآن الكريم دارسا سوره من ناحية الأسلوب والمضمون ومقسما القرآن الكريم لقسمين :

- سور مكية يغلب عليها الفقرات الخيالية الشعرية - على حد زعمه -.

- وسور مدنية تغلب عليها أسلوب النثر المطول .

وقسم السور المكية لثلاث فترات .

الجزء الثاني : جمع القرآن الكريم :

تناول المؤلف في هذا الجزء جمع القرآن الكريم والمسائل المتعلقة به ومن القضايا البارزة التي تناولها المؤلف في هذا الجزء ما يلي :

حفظ القرآن الكريم في عهد محمد - ﷺ - ثم تناول حفظة القرآن الكريم وجامعيه .

الجمع الأول : جمع زيد بن ثابت : ثم شكل هذا الجمع ومحتوياته .

الجمع الثاني : ما قبل عثمان ، شخصية الجامعين ومجموعاتهم .

ثم تناول بعد ذلك موقف الشيعة من نص القرآن الكريم وعلاقة محمد - ﷺ - مع اليهود والنصارى .

ثم بين موقف النصارى من حقيقة الوحي ونزول القرآن الكريم ثم تناول الصفة المتميزة لتفسير المسلمين للقرآن الكريم ، ثم تناول سبب النزول ، وزعم أن الشعر كان مرجعا تاريخيا للقرآن الكريم .

ثم ختم هذا الجزء بإضافات وتصحيحات من « أوجيست فيشر » .

الجزء الثالث : القراءات والرسم القرآني :

ابتدأ هذا الجزء بمقدمة للمراجع « أوتوبرتزل » ثم تناول في الفصل الأول

منه النص الساكن زاعما أن هناك أخطاء في النصوص العثمانية ، واختلاف بين النسخ العثمانية وطريقة ضبط الكتابة القرآنية على الوسائل الأولية كالجلود وورق البردي .

أما الفصل الثاني فتناول فيه المؤلف القراءة وأنواعِها مبدأ التواتر فيها ، وتنوعها إلى سبع ، عشر ، أربع عشرة قراءة .

ثم تحدث عن خواص القراءات الصحيحة ، واختلافها ومصادرها .

ثم تناول الرسم القرآني ، وطبيعة هذا الرسم وأنواع هذه الخطوط والفواصل بين الآيات وعناوين السور .

ثم ختمها بالحديث عن الطبعات الحديثة للقرآن الكريم .

وما ذكرته عن هذا الكتاب الضخم مجرد إشارات وسبب ذلك لعدم إمكانية ترجمته لضخامته ، ولتعذر من يقوم بهذه المهمة .

والكتاب مليء بالشبهات التي اجترها من بعده المستشرقون والتي تناولتها بالرد خلال بحثي[1] .

(١) للمزيد من المعلومات انظر موسوعة المستشرقين عبد الرحمن بدوي صـ ٤١٧ - ٤٢٠ والدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية صـ ٢٥ - ٢٧ .
والمستشرقون ٢ / ٣٧٩ - ٣٨٢ .

الفصل الثاني

مستشرقون كتبوا حول القرآن الكريم

من خلال مؤلفاتهم

المبحث الأول

كتاب عقائد الإسلام - لمؤلفه هرمان شتيجلكر

المبحث الثاني

كتاب تاريخ الأدب العربي - لمؤلفه كارل بروكلمان

المبحث الثالث

كتاب تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية - لمؤلفه ميرسيا الياد

المبحث الرابع

كتاب محمد والقرآن - تاريخ النبي العربي ودعوته - لمؤلفه رودي بارت

المبحث الخامس

كتاب الإسلام والعرب - لمؤلفه روم لاندو

المبحث السادس

كتاب حضارة العرب - لمؤلفه جوستاف لوبون

المبحث السابع

أسماء مجموعة من مؤلفات المستشرقين حول القرآن الكريم وعلومه

الفصل الثانى

وعنوانه (مستشرقون كتبوا حول القرآن الكريم من خلال مؤلفاتهم)

هذا نوع آخر من كتابات المستشرقين حول الإسلام والقرآن الكريم وما له صلة بالثقافة العربية ولغة العرب وحضارتهم .. إلخ . فهذه الكتابات بتنوعها لم تترك التعرض للإسلام وكتابه ونبيه عليه الصلاة والسلام فوددت أن أعرف القارىء على الأسلوب الذي ينتهجه المستشرقون في مثل هذه الكتب وكان الغرض تعريفا عاما بالمؤلف والكتاب باختصار أشد من كتب الفصل الأول مركزا الضوء على ماله صلة ببحثي فحسب .

وقد تناولت في هذا الفصل ستة كتب .

المبحث الأول

(كتاب عقائد الإسلام)

لمؤلفه « هرمان اشتيجلكر »

مستشرق ألماني الأصل معاصر ، على ما يبدو أنه من رجال الدين المسيحي . أجرى دراسات هذا الكتاب لسنوات طويلة بلغت ثلاثين سنة[(١)] من جانب الكنيسة .

الكتاب : هدفه ومنهجه :

عنوانه : (عقائد الإسلام) صدر هذا الكتاب في عام ١٩٦٢ م .

وقد ذكر المؤلف أنه أراد بتأليفه لهذا الكتاب أن يعرض عقائد الإسلام كما يراها المسلم بعين عقيدته .

اعتمد المؤلف - كما يقول - في عرضه لعقائد الإسلام على ما كتبه رجال العقيدة المسلمين القدامى منهم والمحدثون وكان يعرض نظريات الفرق الإسلامية كالأشاعرة ، والمعتزلة ، والاتجاهات الدينية الحديثة ، ويورد على ذلك في غالب الأحيان آيات قرآنية ، ويتبعها بما يتعلق بها من تفسير[(٢)] .

محتويات الكتاب :

يشتمل الكتاب على (٨٣٤) صفحة من القطع الكبيرة عدا ٣٤ صفحة أخرى في أول الكتاب مرقمة بالأرقام الرومانية وينقسم الكتاب إلى فقرات مرقمة على التوالي يصل عددها إلى ١٤٩٨ فقـرة . وقد أورد المؤلف الفهرست التفصيلي

---

(١) الإسلام في الفكر الغربي - زقزوق - دار القلم - الكويت صـ ٢١ - ٢٢ .

(٢) نفس المرجع صـ ٢٢ - ٢٣ .

للكتاب في عشرين صفحة . سنكتفي هنا - على وجه الإجمال - بذكر الموضوعات الرئيسية لمضمون الكتاب الذي يتضمن قسمين رئيسيين هما : الإلهيات والنبوات .

أما المسائل التمهيدية تحدث فيها المؤلف بعد المقدمة عن عدة أمور كالنشأة التاريخية لهذا الموضوع .

قسم الإلهيات : وهو قسم لأبواب رئيسية تتناول :
أ - صفات الله . ب - أفعال الله . جـ - أسماء الله .

أما قسم النبوات : فيتحدث فيه المؤلف عن النبوة بوجه عام وعن الأنبياء بالتفصيل ، ثم تحدث بعد ذلك عن : العقيدة والخطيئة ، والنفس والروح ، والأولياء والكرامات ، والملائكة ، والجن ، وإبليس ، والبعث ، والدار الآخرة ، والموت ، وأحوالهم حتى البعث ، وعلامات الساعة ، والبعث والحساب .. إلخ .

وفي نهاية الكتاب كلمة ختامية للمؤلف ، وكذلك فهرست للأعلام والموضوعات ولم يخصص قائمة لأسماء مراجع الكتاب[١]

جوانب تعرض لها المؤلف لها علاقة بالقرآن الكريم

١ - النص القرآني :

ذكر المؤلف عن النص القرآني مبينا ميزته على التوراة والإنجيل بقوله : [يلاحظ هنا أن النص القرآني لا نظير له في وحدته إزاء نص العهد الجديد والعهد القديم أيضا][٢] .

٢ - قصة الغرانيق :

حاول المؤلف كغيره من المستشرقين نسبة الاضطراب للنص القرآني من حيث

---

(١) المرجع السابق صـ ٢٢ - ٢٤ .

(٢) نفس المرجع صـ ٢٨ .

الزيادة والنقصان بعرضه لقصة الغرانيق وبزعمه أن الرسول ﷺ وقع في الشرك بالله . قال المؤلف : إن النبي أضاف إلى قول القرآن « أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ، إنهن الغرانيق العلا. وإن شفاعتهن لترتجى » ويقول المؤلف : إن النبي قد رجع في اليوم التالي عن هذه الإضافة وقال : إنها من الشيطان ووضع مكانها قوله : ﴿ **ألكم الذكر وله الأنثى تلك إذن قسمة ضيزى** ﴾[1] .

ويعلق المؤلف على ذلك قائلا : (لقد أمكن اتهام محمد بطبيعة الحال - بناء على هذه الواقعة - بأنه قد خرج - على الأقل لوقت قصير - عن خطه المستقيم في الاعتقاد بإله واحد ، وأنه لهذا قد ارتكب إثما عظيما)[2] .

أما تعليقنا على هذه القصة فسيأتي في موطنه من الرسالة - إن شاء الله تعالى - .

٣ - القرآن وصلب المسيح (عليه السلام) :

يقول المؤلف في هذه القضية : (إن تبرير ما يدعيه القرآن من بطلان أخبار الإنجيل بشأن صلب المسيح ليست سهلة بالنسبة للمسلم ... فالمسلمون هنا يقفون أمام جدار قوي لا يمكن هدمه ولا تسلقه ولابد من التغلب عليه إذا أريد الإتيان بدليل على عدم وجود إثبات تاريخي على موت المسيح مصلوبا ..) .

ويبين المؤلف بعد ذلك : (إلى أي مدى لا ينبغي للمسلمين - في رأيه - أن يجرءوا على مهاجمة الآثار والأخبار المسيحية المروية ، وذلك لأن دينهم (أي دين المسلمين) مبني على أخبار ومأثورات مروية)[3] .

والمؤلف ينسى الفرق الشاسع بين القرآن والسنة والإنجيل من حيث ثبوت كل منها . فالقرآن الكريم حفظ وسيحفظ إلى يوم القيامة .

---

(١) سورة النجم : ٢١ .

(٢) المرجع السابق صـ ٤٠ - ٤١ .

(٣) نفس المرجع صـ ٥٠ .

قال تعالى : ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾[(١)] .

والسنة كذلك فالمحدثون الثقات بذلوا جهدهم لإثبات أسانيدها على الوجه الموثوق به لإثبات صحتها . الأمر الذي ليس له نظير على الإطلاق في أخبار الإنجيل ورواياته حيث أصابه التغيير والتبديل والتحريف من أهله بما استحفظوه على كتابهم قال تعالى : ﴿ بما استحفظوا من كتاب الله ﴾[(٢)] . والأناجيل عدة بما خطته أيدي الحواريين بعد عشرات السنين على رفع عيسى عليه السلام . ولم تحظ بالإسناد والتثبت كما كان ذلك في روايات السنة المطهرة .

لغة القرآن الكريم :

يقول المؤلف : (إن هناك من يرى أن لغة القرآن في ذاتها ليست شيئا غير عادي على الإطلاق ، إذ إنها لا تتميز عن لغة الأدب الدنيوي بعصمة يقينية .

وهذا الأمر يجده المرء في عدم اتفاق أصحاب النبي فيما بينهم على تبعية بعض فقرات معينة للقرآن ، فابن مسعود – مثلا – يرى أن سورة الفاتحة والمعوذتين ليست من القرآن ، رغم أن هذه السور تعد من أشهر المشهورات)[(٣)] .

وهذه القضية قد علقت عليها في مواطنها من الرسالة .

ملاحظة عامة على الكتاب :

تعرض المؤلف في كتابه لشخصية محمد – ﷺ – في حوالي ثمانين صفحة معتمدا فيها على الأخبار والأحاديث الضعيفة والموضوعة أو بعرض الأخبار الثابتة بطريقة تعطي غير المراد ، أو إيراد نصوص وأقوال مشكوك فيها ، أو آراء من كتب من المحدثين التي لايعتد بها .

---

(١) سورة الحجر : ٩ .

(٢) سورة المائدة : ٤٤ .

(٣) نفس المرجع صـ ٥١ .

والمؤلف لم يذكر أسماء المراجع ، ولا أسماء المؤلفين الذين اقتبس من كتاباتهم واعتمد عليها ؛ لذا فهذا الكتاب لا يعد بهذا العمل علميا منهجيا سليما[1] .

(١) نفس المرجع صـ ٤٩ (بتصرف) .

المبحث الثاني

كتاب (تاريخ الأدب العربي)

لمؤلفه (كارل بروكلمان)

التعريف بالمؤلف :

ولد « كارل بروكلمان » في ١٧ سبتمبر ١٨٦٨ م في مدينة روستوك بألمانيا كان أبوه تاجرا . درس في المدرسة الثانوية في روستوك ومنها بدأت تظهر ميوله إلى الدراسات الشرقية ، فدرس عدة لغات لها علاقة بالشرق : (كالعربية ، والعبرية ، والسريانية) وهو ما زال طالبا في الثانوي . تلقى « بروكلمان » علوما عدة لها علاقة بالشرقيات على أكثر من مستشرق منهم « فليبي » الذي درس عليه العربية والحبشية في اشتراسبورج ثم الأستاذ « بريتو ريوس » الذي تلقى عنه العلوم الشرقية في جامعة (برسلاو) لمدة فصلين دراسيين .

ثم حضر « روس فرينكل » في اللغات الشرقية ، ثم « هلبرنت » في اللغات الهندية الجرمانية . ثم حضر دروس « نولديكة » و « هوبشمن » في اشتراسبورج في اللغة السريانية والأرمنية ، ودروس « ج . دومشمن » في اللغة المصرية القديمة .

وفي سنة ١٨٨٩ — ١٨٩٠ م حصل على الدكتوراة في دراسته عن العلاقة بين كتاب (الكامل في التاريخ) لابن الأثير وكتاب (أخبار الرسل والملوك للطبري) .

وفي سنة ١٨٩٠ م عين مدرسا في المدرسة البروتستنتية في اشتراسبورج أولا تحت التمرين ، وبعد ذلك مدرسا مساعدا .

وفي سنة ١٨٩٢ م انتقل إلى براسلا وحصل على دكتوراة التأهيل للتدريس

الجامعي ، وقد ألف بروكلمان (المعجم السرياني) الذي صدر سنة ١٨٩٥ م الذي يعتبر أفضل معجم لليوم .

ثم جاء تأليفه لكتاب (تاريخ الأدب العربي) الذي سأعرف به في الصفحات القادمة .

وفي سنة ١٩٠٠ أصبح مدرسا للغة العربية في (معهد اللغات الشرقية) في برلين وفي نفس العام أصبح أستاذا مساعدا في جامعة (برسلاو) وفي سنة ١٩٠٣ أصبح أستاذا ذا كرسي في جامعة كينجزبرج وبقي في هذا المنصب إلى سنة ١٩١٠ م وقد صدر له في هذه الفترة كتاب بعنوان (موجز النحو المقارن للغات السامية) .

ثم انتقل لجامعة هله أستاذا ما بين سنة ١٩١٠ م- ١٩٢٢ م واعتنى « بروكلمان » باللغة التركية وألف فيها كتابه (كنز اللغة التركية الوسطى تبعا لديوان لغات الترك لمحمود الكاشغري) .

وكتاب (نحو اللغة التركية الشرقية الوارد في اللغات المكتوبة الإسلامية في آسيا الوسطى مابين سنة ١٩٥١ - ١٩٥٤ م) .

وفي سنة ١٩٣٢ م انتخب مديرا لجامعة برسلاو وتخلى عن المنصب في سنة ١٩٣٣ م لكنه بقي أستاذا فيها ، وفي سنة ١٩٣٥ م تقاعد ، وفي سنة ١٩٣٧ م انتقل لمدينة هله ليستفيد من مكتبة (الجمعية الشرقية الألمانية) لمواصلة الكتابة في كتابه (تاريخ الأدب العربي) . وفي سنة ١٩٤٥ م عمل محافظاً للمكتبة المذكورة . وفي سنة ١٩٤٧ م عين أستاذا شرفيا ألقى فيها مجموعة من المحاضرات في لغات متعددة كالتركية ، والحبشية ، والقبطية ، والسريانية وغيرها . وفي سنة ١٩٥٣ م تقاعد للمرة الثانية ولكنه واصل التدريس ، وفي سنة ١٩٥٤ م أصيب بنزلة برد توفي بعدها عن عمر يناهز الثمانين عاما[١] .

(١) انظر موسوعة المستشرقين - عبد الرحمن بدوي صـ ٥٧ - ٦٦ .

تعريف بالكتاب :

يقع الكتاب في ستة أجزاء تتحدث في علوم العرب وآدابهم في مختلف أزمنتهم وأمكنتهم وفنونهم منذ نشأتها إلى العصر الراهن . وقد سبق « بروكلمان » في هذه المحاولة المستشرق النمسوي « يوسف هامر بورجستاك » في كتاب له في سبعة أجزاء والذي نشره في فينا سنة ١٨٥٠ م، ثم صنف بعده في نفس الموضوع تقريبا الإنجليزي « أربتنوت » سنة ١٨٩٠ م وكتابه يتسم بالإيجاز المخل . وكتب أكثر من واحد في نفس الموضوع كتابة أقل جودة وشمولا ودقة من كتابة « بروكلمان » الذي أصدر طبعته الأولى لكتابه في مدينة فايمر بألمانيا سنة ١٨٩٨ م . وبعد كتاب « بروكلمان » أخذت كتب الأدب العربي تصدر تباعا في الشرق والغرب والتي تأثرت بمنهجه . والترجمة جاءت للكتاب الأصلي وملاحقه في الطبعتين الأولى والثانية وللزيادات والتصحيحات التي كتبها نفس المؤلف باللغة العربية .

والمترجم للكتاب هو د . عبد الحليم ود / رمضان عبد التواب ود . السيد يعقوب بكر لصالح جامعة الدول العربية - المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم - طبعة دار المعارف - مصر .

وفصول الكتاب كما يلي :

الجزء الأول :

تحدث فيه المؤلف عن أدب اللغة العربية من أول نشأته إلى سقوط الأمويين سنة ١٣٢ هـ / ٧٥٠ م .

الجزء الثاني :

تحدث فيه المؤلف عن الأدب العربي الإسلامي في عصر النهضة العربية منذ سنة ٧٥٠ م - إلى ١٠٠٠ م .

الجزء الثالث :

من تاريخ الأدب العربي وهو من الباب الخامس إلى نهاية الباب السابع .

أما الباب الخامس فقد تحدث فيه عن التاريخ وأهم ما جاء فيه :

أ - سيرة رسول الله - ﷺ - .

ب - تاريخ المدائن .

جـ - تاريخ العرب القديم .

د - تاريخ الأمم والدول .

هـ - تاريخ الحضارة والثقافة .

و - تاريخ مصر وشمالي أفريقية .

ز - تاريخ اليمن .

وتحدث في الباب السادس عن أدب السمر وكتب الثقافة العامة .

وتناول في الباب السابع عن علم الحديث .

أما الباب الثامن فتناول فيه علم الفقه .

الجزء الرابع :

تحدث في هذا الكتاب من الباب الثامن - الثامن عشر عن علوم القرآن ، القراءات ، وتفسير القرآن ، وتحدث فيه عن العقائد ، والتصوف ، والفلسفة ، والرياضيات ، وعلم الفلك ، والتنجيم ، والجغرافيا ، والطب ، والموسوعات .

ملاحظـة :

وقع خطأ من حيث الباب الثامن عن علوم القرآن ينبغي أن يكون التاسع .

الجزء الخامس :

تناول المؤلف في الكتاب الثاني من الأدب العربي الإسلامي القسم الثاني من **عصر ما بعد الفترة القديمة للأدب الإسلامي من نحو سنة ٤٠٠هـ/١٠١٠م إلى نحو سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨م حيث تناول فيه الشعر، والنثر الفني، والبلاغة، وعلم اللغة.**

الجزء السادس والأخير من الكتاب :

· تحدث فيه عن التاريخ .

السير المفردة ، تواريخ الدول ، تواريخ الرجال وكتب الأنساب ، تواريخ المدن والأمصار ، تواريخ الخلفاء وتواريخ العالم ، تواريخ الأنبياء .

ثم تحدث عن أدب السمر في النثر ، ثم علم الحديث والفقه .

والذي يهمنا من هذا الكتاب ما تناوله المؤلف في الباب الثاني من الجزء الأول عن عصر النبي - ﷺ - .

الفصل الأول منه :

حيث تحدث فيه عن محمد النبي - ﷺ - من ص ١٣٤ - ١٣٦ .

الفصل الثاني :

الذي تناول فيه القرآن الكريم من صـ ١٣٧ - ١٤٤ .

وقد وضع في هذين الفصلين كل سمومه فمن الأخطاء التي جاءت فيهما :

١ - زعم المؤلف أن الرسول - ﷺ - استخدم في دعوته أساليب الكاهن .

٢ - وزعم أنه كانت تصيبه غيبوبة وأن ما كان يصدر عنه فيها كان ينسبه لجبريل - عليه السلام - .

٣ - زعم أنه استخدم أسلوب الدعوة النصرانية وذلك لمعرفته بها عن طريق المبشرين النساطرة .

معتمدا في هذا الفصل على مؤلفات « نولديكة » و « شبرنجر » و « موير » و « كريل » و « جريمه » ، مما كان سببا في أخطائه القاتلة وكاتب مثل « بروكلمان » كان ينبغي أن يرجع بنفسه لكتب التاريخ الإسلامي وينصف فيها

رسولنا محمداً - ﷺ - لا أن يكون مجرد ناقل فقط . وقد رددت على هذه المفتريات خلال الرسالة .

أما أخطاء الفصل الثاني :

١ - أن القرآن ثمرة غيبوبته واستغراقه وهي شبيهة بسجع الكهان والتي حفت بقصص من العهد القديم من الهاجادة .

٢ - نقل أقوال من جعل القرآن شعرا . ونقل قول « أندريه » أن محمدا تأثر في القرآن بالمبشرين العرب النصارى الذين كانوا في جنوبي الجزيرة .

٣ - زعم أن الرسول - ﷺ - واجه صعوبة في توزيع القرآن على سور لأن القرآن جمع من قطع مختلفة كانت في الأصل مستقلة .

٤ - القرآن المدني وإن احتفظ بقافية السجع إلا أنه تحول إلى نثر خالص .

٥ - رجح كون بعض القرآن جمع في عهد الرسول - ﷺ - ولكنه جمع كله بعد وفاته .

٦ - نقل شك « شيفللي » من أن الجامع للقرآن كان أبو بكر كما شكك في أن تكون معركة اليمامة السبب في هذا الجمع .

واعتمد المؤلف كذلك في هذا الفصل على بعض المستشرقين في كتاباتهم عن القرآن أمثال « نولديكة » و « جيفري » و « برجشتراستر » و « برتزل » وغيرهم . وقد تناولت هذه الشبه بالرد في ثنايا الرسالة .

كما تناول « بروكلمان » في الجزء الرابع من كتابه المؤلفات في علوم القرآن من قراءات ، وتفسير للقرآن ، وكان فيها مجرد معرف لها ولم يقع فيها في أخطاء تذكر إلا الشبهة المنسوبة للإمام « أحمد بن حنبل » من اعتباره علم التفسير علما لا أصل له . تفسرها بأنه غير موثوق فيه .

وقد علقت عليها في موطنها من الرسالة .

المبحث الثالث

كتاب (تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية)

لمؤلفه (ميرسيا الياد)

ترجمة المحامي / عبد الهادي عباس

تعريف بالمؤلف :

هو أحد مؤرخي الأديان ومدرسي هذه المادة في جامعة (بوخارست) منذ ١٩٣٣ إلى ١٩٣٨ م ومدرسة الدراسات العليا في جامعة (شيكاغو) منذ ١٩٤٦ م و ١٩٤٨ وحتى ١٩٥٦ م .

تعريف بالكتاب :

الكتاب بحثه مختص في تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية منذ العصور الحجرية ليومنا هذا والكتاب باللغة الفرنسية وقد ترجم إلى العربية يقع في ثلاثة أجزاء بحوالي (١٢٣٧) صفحة مع الفهارس وحواشي الكتاب .

قام المؤلف بتقسيمه لفصول والفصول لفقرات ، مزودة برقم وعنوان صغير كان أول صدور له سنة ١٩٨٣ وطبع باللغة العربية بعد ترجمته طبعة أولى في دار دمشق سنة ١٩٨٦ - ١٩٨٧ م .

أهم ما تناول في الجزء الأول من الكتاب ديانات أهالي العصور الحجرية القديم منها والجديد ، ثم تناول ديانات ما بين النهرين ، ومصر ، والهند ، والديانات الإغريقية ، والإيرانية ، والديانات اليهودية .

أما الجزء الثاني فأهم ما فيه : تناوله لديانات الصين القديمة والرومانية من الأصول حتى قضية الباشنال (١٨٦ ق.م) .

وتناول السلت ، والجرمن ، وتاريخ البوذية ، ثم الهندوسية ، وتكلم مرة ثانية عن اليهودية في طورها الثاني ، والإيرانية كذلك ، ثم تحدث عن الديانة المسيحية .

أما الجزء الثالث فأهم ما جاء فيه :

حديثه عن ديانات أورسيا القديمة ، والكنائس المسيحية حتى الأزمنة الأيقونية ، (من القرن ٨ - ٩) ، ثم تحدث عن الإسلام منذ بدايته إلى توسعه وانتشاره وتفرقه بين الفرق المتعددة من سنية وشيعة ، وغيرها . ثم تحدث فيه عن الكاثولوكية الغربية حتى « جواشيم دي فلور » وعن اليهودية والتمرد لباركوبا حتى الحصيديين .

ثم تناول الحركات الدينية في أوربا من القرون الوسطى لعشية الإصلاح وختمه بالحديث عن الديانات التبيتية .

نظرة المؤلف للإسلام والقرآن :

تحدث المؤلف عن الإسلام وكتابه القرآن والفرق الإسلامية في الفصل الثالث والثلاثين بعنوان محمد وانطلاقة الإسلام . والفصل الخامس والثلاثون وهو بعنوان علوم دينية وروحانية إسلامية .

في الفصل الثالث والثلاثين تحدث عن حياة الرسول - ﷺ - وبداية نزول الوحي إليه وهجرة أتباعه للحبشة وهجرته للمدينة زاعما أنه تأثر بالمسيحيين واليهود الذين كانوا موجودين في مكة والمدينة ، وركز على قصة الغرانيق المكذوبة وتراجع الرسول عنها . ثم عرض لبعض العقائد والتصورات الإسلامية ثم تحدث عن رسالة القرآن واعتبرها من عبقرية الرسول - ﷺ - الدينية وأنه تأثر بها بالمسيحية واليهودية ذاكرا موقف القرآن من مريم وعيسى عليهما السلام من قصة صلبه ذاكرا صورة بعض العبادات والشعائر في الإسلام .

أما الفصل الخامس والثلاثون فإنه تحدث فيه عن الفرق الإسلامية: المعتزلة والشيعة والفرق التي انبثقت منها كالإسماعيلية وتحدث عن الصوفية وبعض غلاتها

كالحلاج وبعض الفلاسفة كابن سينا وغيره .

ثم تناول تفسيرهم الباطني للإسلام .

تقويم الكتاب :

يعتبر هذا الكتاب من أوسع الكتب في بابه وهو عبارة عن مجموعة من المحاضرات التي ألقاها المؤلف لطلبته الجامعيين في كل من جامعتي شيكاغو وبوخارست . ومع أن المتوقع كان منه أن يتوسع خلال حديثه عن الإسلام عامة والقرآن خاصة إذا قورن ببعض الديانات الأخرى ولكنه لحاجة في نفسه توسع في حديثه عن الفرق الإسلامية وما تفرع منها من الفرق خاصة الشيعة والصوفية والفلاسفة .

وعلى كل فالكتاب أخطاؤه محدودة إذا قورن بغيره من كتب الغربيين .

المبحث الرابع

كتاب (محمد والقرآن - تاريخ النبي العربي ودعوته)[1]
لمؤلفه (رودي بارت)

تعريف بالمؤلف :

« رودي بارت » أستاذ علوم الاستشراق في جامعة توبنجن بألمانيا الغربية وهو أحد مشاهير المستشرقين الألمان المعاصرين .

عكف سنوات طويلة على ترجمة القرآن الكريم وقد صدرت ترجمته ما بين عام ١٩٦٣ - ١٩٦٦ م ، وله بحوث أخرى في أدب المغازي وفي قصص الهوى في الأدب العربي القديم وفي الرواية الشعبية المصرية (سيف بن ذي يزن) ، وله بحوث في الثقافة الإسلامية في العصر الوسيط ، وفي صلة الإسلام بالثقافة اليونانية وآخر كتبه والتي ترجمت إلى اللغة العربية بعنوان « الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية » .

منهج المؤلف وهدفه من الكتاب :

كان سبب تأليف المؤلف لهذا الكتاب تعريف الدارس الغربي بحقيقة الإسلام فتحدث فيه عن موضوع « نشأة الإسلام » واعتمد في عرضه ومناقشته لهذا الموضوع على القرآن واجتهاده الخاص في تفسير نصوصه وعلى كتب الحديث والتاريخ كما اعتمد على بحوث المستشرقين .

وقد ذكر المؤلف أن البحث المنهجي الجاد لما في القرآن والحديث وغيرهما من المراجع الأخرى لا يمكن أن يقود إلا إلى معارف تقريبية لا كاملة .

---

(١) هذه الدراسة اقتبسناها من كتاب أستاذنا د . حمدي زقزوق في كتابه الإسلام في الفكر الغربي .

لذا اعتمد المؤلف على دراسات المستشرقين أما الموضوعات الجزئية في الكتاب فقد تخيرها المؤلف - على ما يبدو - حسب أهميتها بالنسبة في دعم الرأي الذي يذهب إليه فيما يتعلق بنشأة الإسلام كما يلاحظ أن الكتاب يحتوي على نقاط معينة في نقد محمد والقرآن تتخذ مركز الصدارة في العرض ، وتتكرر في أبواب مختلفة .

ويعرض بعض التضمينات والافتراضات وكأنها نتائج مؤكدة وهذا أمر لا يمكن تبريره علميا .

محتويات الكتاب :

صدر الكتاب في عام ١٩٥٧ م وأعيد طبعه سنة ١٩٦٦ م عن دار النشر لمشهورة (كولهامر) ضمن سلسلة كتب أربان وهي سلسلة علمية مشهورة واسعة الانتشار .

يقع الكتاب في (١٦٠) صفحة ، يشتمل على أحد عشر قسما أو بابا رئيسيا مقسمة بدورها إلى فصول صغيرة ، بالإضافة إلى تمهيد في أول الكتاب ، وملحق في نهايته ، وقائمة بأسماء المراجع ومواضع الأسانيد من النقاط المهمة التي أثارها المؤلف :

المرحلة الأولى : لحياة النبي محمد - ﷺ - وتجربته مع الوحي ووعيه للرسالة ، وتحدث عن مضمون الوحي في المرحلة الأولى وعن تـ ـره للعقيدة ، وعن سنواته الأخيرة .. إلخ .

الجوانب السلبية في الكتاب :

الكتاب رغم مضمونه فجوهره مقصور على الحديث عن التأثير اليهودي والمسيحي على نشأة الإسلام ، ومحاولة البرهنة على ذلك في التمهيد وفصول الكتاب على حد سواء .

وقد ركز المؤلف على هذه المزاعم أكثر في الفصل الذي عقده بعنوان (التبشير المسيحي) .

وقد بذل المؤلف جهده للتشكيك في المصدر الرباني للقرآن الكريم ، وقد ساق مزاعم وتخمينات وافتراضات وادعاءات لم تكن أحسن حظا ممن سبقه في التهافت والسقوط .

فمثلا : زعم أن الصلاة التي جاء بها محمد - ﷺ - كانت ولا تزال متأثرة بأشكال العبادة في كل من المسيحية واليهودية العبريتين حيث كانت هذه الأشكال معروفة لدي العرب عن طريق الرهبان المسيحيين والنساك .

وقد وضحت هذه الشبهة ورددت عليها في فصل المصادر .

كما ركز المؤلف على موضوع الكتاب الرئيسي وهو قصة التطور في نشأة الإسلام من مراحله الأولى كما في السور الأولى إلى ما هو عليه[1] اليوم حيث عقد فصلا لهذه القضية بعنوان (الآلهة العربية القديمة) ولكنه سرعان ما يناقض نفسه حينما يعتبر الإسلام دينا قرين المسيحية واليهودية ، وكما يعترف لمحمد بالشخصية الدينية الحقيقية .

الجوانب الإيجابية في الكتاب :

مع قلة هذه الجوانب في الكتاب إلا أنه في نهاية الأمر يتناقض في بعضها .

- مدحه بين الحين والحين للرسول - ﷺ - وتدينه العميق والاعتراف بنبوته وهذا من مواطن التناقض مع نفسه .

- بيانه أن هدف محمد في تعاليمه - ﷺ - إيقاظ الناس مما كانوا فيه من فراغ فكري ، واعتداد ساذج بالذات ، وهدايتهم إلى اتجاه ديني حقا ، وجديد تماما .

وأن هذا الهدف بقي يلازمه في بداية دعوته وبعد انتصاراته الحاسمة وقد أكد على وعي محمد لرسالته وقوته في توضيحه لها .

---

(١) نفس المرجع السابق صـ ٧٣ .

هذه الآراء مع أن المؤلف كان يعرضها بحرارة واقتناع إلا أنها لا تتفق عما عرضه عن نشأة الإسلام والوحي الذي أنزل على محمد – ﷺ – وعن تجربته الأولى مع الوحي والرسالة المحمدية وعن مضمون الوحي في المرحلة الأولى ، وعن الاعتقاد في إله خالق قادر والنزاع مع اليهود وعن شخص النبي محمد .. وبعد ذلك يأتي بملحق يتضمن المراجع ومواضع الأسانيد تلك من أهم النقاط التي تناولها المؤلف .

المبحث الخامس

كتاب (الإسلام والعرب)
لمؤلفه (روم لاندو)

تعريف بالمؤلف :

« روم لاندو » هو أستاذ الدراسات الإسلامية والدراسات الشرقية بشمال أفريقية في جامعة الهادي بكالفورنيا .

تعريف بالكتاب :

يقع الكتاب في (٣٨٧) صفحة مع الفهارس والمقدمة .

ترجم الكتاب من الإنكليزية للعربية الأستاذ منير البعلبكي وطبعته دار العلم للملايين – بيروت .

والكتاب من الكتب المختصرة في تاريخ العرب والحضارة الإسلامية كتبه المؤلف بناء على رغبة طلابه في الدراسات العليا في الجامعة المذكورة .

والكتاب من أقرب الكتب للإنصاف . وفيه يظهر المؤلف إعجابا بالعرب وبمآثرهم .

حذف المترجم الفصل الأخير من الكتاب وهو بعنوان (مشكلات العالم الغربي الحاضر) لاختلافه مع المؤلف في وجهات النظر . وهذا أمر لا يجوز في عالم البحث العلمي وحرية الكلمة .

وقد جاءت موضوعات الكتاب كالتالي :

المقدمـــة .

الفصل الأول :

وعنوانه : (بلاد العرب قبل الإسلام) .

الفصل الثاني :

وعنوانه : (الرسول والقرآن والإسلام) :

وهو الفصل الذي يهمنا وقد وقع المؤلف فيه في أخطاء كثيرة ذكر في هذا الفصل نبذة عن حياة محمد - ﷺ - ثم عن بداية الوحي ، وزعم أنه كان نوعا من أنواع الصرع وأن الرسول - ﷺ - كان يعتبر مصلحا اجتماعيا ، حارب النظام القبلي واعتبر المؤلف الحجر الأسود من بقايا الوثنية في الإسلام .

ثم تحدث فيه عن تدوين القرآن الكريم ، وترتيبه ، وترجمته ، ثم زعم أن الإسلام تأثر بالوثنية حيث اقتبس منها مجموعة من العادات والأعراف كما تأثر بالمسيحية واليهودية في جوانب كثيرة - على حد زعمه - .

وقد بين ميزة الإسلام أنه دين عملي ، كما تحدث عن النصرانية وميزتها ووجوب اتباعها .

الفصل الثالث :

وعنوانه : (الخلفاء الراشدون والأمويون والعباسيون) .

الفصل الرابع :

وعنوانه : (من الخلافة إلى نهاية العهد العثماني) .

الفصل الخامس :

وعنوانه : (الحروب الصليبية) .

الفصل السادس :

وعنوانه : (المغرب - مراكش ، الجزائر ، تونس) .

الفصل السابع :

وعنوانه : (أسبانية الإسلامية) .

الفصل الثامن :

وعنوانه : (الشريعة) .

تحدث في هذا الفصل عن القوانين الإسلامية ونشأتها وتطورها منذ عهد الرسول – ﷺ – زاعما أن الإسلام ضم الأعراف التجارية التي كانت موجودة في مكة للشريعة الإسلامية .

كما زعم أن كثيرا من هذه القوانين استمدت من القوانين الطقسية اليهودية والفارسية واليونانية .

ثم تحدث بعد ذلك عن الحديث النبوي الشريف وعن كونه مصدرا للشريعة الإسلامية . ثم تحدث عن المذاهب الفقهية ، وأقسام الحكم ، وبعض ما حرمه الإسلام ، وغير ذلك .

الفصل التاسع :

وعنوانه : (الفلسفة) .

وتناول فيه تاريخها وأشهر رجالها وبعض مؤلفاتهم .

الفصل العاشر :

وعنوانه : (العلوم) .

تحدث المؤلف في هذا الفصل عن الرياضيات والفلك وإسهامات العرب في ذلك ، وعن الجغرافية وعلم وضع الخرائط وتقدمهم فيها ، والطب وأشهر الأطباء العرب والكيمياء والفيزياء ، ودور « أبي علي الحسن بن الهيثم البصري » في دحضه لنظريات إقليدس وبطليموس البصرية .. ثم تناول علم النبات والزراعة والبستنة .

الفصل الحادي عشر :

وعنوانه : (الأدب) .

حيث اعتبره من أوسع الحقول التي درست الحياة العربية والمؤسسات العربية ، وأظهرتها بثوبها اللائق بها ، كما أظهرت أخلاق العرب وعاداتهم بأسلوب بديع ومظهر تأثير القرآن على النثر الأدبي ذاكرا ألوانا مَن الأدب متعددة الجوانب وبعض المشاهير من الأدباء .

الفصل الثاني عشر :

وعنوانه : (الفنون) :

اعتبر العرب قاصرين في هذا الجانب خاصة الفن التشكيلي ؛ لاعتبارهم اللغة أداة التعبير الرئيسية عن عبقرية العرب الإبداعية كما ذكر أن العرب حرموا الفن التشبيهي كذلك ونادراً ما استخدموا الرسم الذاتي ذاكرا أن من أهم الفنون الباقية للعرب فن العمارة وفن الزخرفة العربي ، والكتابة على الجدران ، وما كان للخزف الإسلامي من أهمية في إنجاح هذا الجانب من الفن ، وغير ذلك من الأمور الفنية التي أشار لها المؤلف في هذا الفصل كما أشار لبعض الصناعات التي عرفها المسلمون.

وكان المؤلف ينهي كل فصل ببعض المراحل للفصل وبجدول كروفولوجي ملخصة للفصل، ثم ختم الكتاب بمجموعة من الفهارس للمراجع، والأعلام، والأماكن، والموضوعات.

تقويم الكتاب :

الكتاب يعتبر من أفضل الكتب المختصرة في تاريخ العرب والحضارة العربية والإسلامية مع مالنا عليه من ملاحظات وقع فيها المؤلف أشرنا لبعضها في الصفحات السابقة التي في جانب القرآن الكريم .

وعلى كل فالكاتب كانت تظهر منه بين الفينة والفينة على نطاق محدود روحه الغربية العامة والنصرانية الخاصة ولكنه أمر طيب أن يكتب كاتب غربي لبني جنسه كتابات تظهر للعرب بعض المآثر والمزايا التي أخفاها غيره ، بل وشوهوا كثيرا منها وسرقوا بعضها ونسبوها لبني جنسهم .

المبحث السادس

كتاب (حضارة العرب)

لمؤلفه (جوستاف لوبون)

التعريف بالمؤلف :

ولم أجد له ترجمة فيما بين يدي من كتب التراجم .

التعريف بالكتاب :

يقع كتاب (حضارة العرب) في (٧٣٦) صفحة سوى الفهارس وهو في ستة أبواب ، نقله للعربية الأستاذ عادل زعيتر وقد طبع الكتاب عدة طبعات كانت الطبعة الأولى في سنة ١٣٦٤ هـ - ١٩٤٥ م ، والثانية في سنة ١٣٦٧ - ١٩٤٨ م ، والطبعة الثالثة في سنة ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م وقد طبعتها دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان .

والكتاب جاء كالتالي :

مقدمتان : الأولى للمترجم والثانية للمؤلف .

ثم جاء الباب الأول وهو بعنوان (البيئة والعرق) وتحته ثلاثة فصول

الفصل الأول :

وعنوانه : (بلاد العرب) :

الفصل الثاني :

وعنوانه : (العرب) :

الفصل الثالث :

وعنوانه : (العرب قبل ظهور محمد) .

الباب الثاني :

وعنوانه : (مصادر قوة العرب) وتحته ثلاثة فصول :

الفصل الأول :

وعنوانه : (محمد نشوء الدولة العربية) .

الفصل الثاني :

وعنوانه : (القرآن) .

الفصل الثالث :

وعنوانه : (فتوح العرب) .

الباب الثالث :

وعنوانه : (دولة العرب) وتحته ثمانية فصول :

الفصل الأول :

وعنوانه : (العرب في سوريا) .

الفصل الثاني :

وعنوانه (العرب في بغداد) .

الفصل الثالث :

وعنوانه : (العرب في بلاد فارس والهند) .

الفصل الرابع :

وعنوانه (العرب في مصر) .

الفصل الخامس :

وعنوانه : (العرب في أفريقية الشمالية) .

الفصل السادس :

وعنوانه : (العرب في أسبانيا) .

الفصل السابع :

وعنوانه : (العرب في صقلية وإيطالية وفرنسه) .

الفصل الثامن :

وعنوانه : (اصطراع النصرانية والإسلام - الحروب الصليبية) .

الباب الرابع :

وعنوانه : (طبائع العرب ونظمهم) وتحته خمسة فصول وهي :

الفصل الأول :

وعنوانه : (أهل البدو وأهل الأرياف العرب) .

الفصل الثاني :

وعنوانه : (عرب المدن ، طبائعهم وعاداتهم) .

الفصل الثالث :

وعنوانه : (نظم العرب السياسية والاجتماعية) .

الفصل الرابع :

وعنوانه : (المرأة في الشرق) .

الفصل الخامس :

وعنوانه : (الدين والأخلاق) .

الباب الخامس :

وعنوانه : (حضارة العرب) وتحته عشرة فصول وهي :

الفصل الأول :

وعنوانه : (مصادر معارف العرب - تعليمهم ومناهجهم) .

الفصل الثاني :

وعنوانه : (اللغة والفلسفة والآداب والتاريخ) .

الفصل الثالث :

وعنوانه : (الرياضيات وعلم الفلك) .

الفصل الرابع :

وعنوانه : (العلوم الجغرافية) .

الفصل الخامس :

وعنوانه : (الفيزياء وتطبيقاتها) .

الفصل السادس :

وعنوانه : (العلوم الطبيعية والطبية) .

الفصل السابع :

وعنوانه : (الفنون العربية - الرسم والحفر والفنون الصناعية) .

الفصل الثامن :

وعنوانه : (فن عمارة العرب) .

الفصل التاسع :

وعنوانه : (تجارة العرب - صلاتهم بمختلف الأمم) .

الفصل العاشر :

وعنوانه : (تمدين العرب لأوربة - تأثيرهم في الشرق والغرب) .

الباب السادس :

وعنوانه : (انحطاط حضارة العرب) وتحته فصلان :

الفصل الأول :

وعنوانه : (ورثة العرب - تأثير الأوربيين في الشرق) .

الفصل الثاني :

وعنوانه : (أسباب عظمة العرب وانحطاطهم - حال الإسلام الحاضرة) .

وما يهمنا من هذا الكتاب هما الفصلان الأول والثاني من الباب الثاني ففي الفصل الأول من الباب الثاني تناول المؤلف فتوة سيدنا محمد - ﷺ - وتحت هذه النقطة زعم أن الرسول - ﷺ - تلقى علم التوراة من الراهب النسطوري (بحيرى) في بصرى سورية .

ثم تحدث بعد ذلك عن رسالة محمد - ﷺ - وعن حياة محمد بعد الهجرة ، وكانت أخطاؤه تحت النقطة الأخيرة شنيعة ، منها : أنه زعم أن ضعف محمد الوحيد كان في حبه الطارىء للنساء فتعرض لقصته مع « زينب بنت جحش » المكذوبة ثم زعم أن الرسول - ﷺ - كان مصابا بالصرع وإن لم يقطع بذلك ولكنه اعتبره من فصيلة المتهوسين من الناحية العلمية كأكثر مؤسسي الديانات .

أما الفصل الثاني من هذا الباب فتناول فيه الحديث عن القرآن الكريم من حيث خلاصة القرآن . ومن أخطائه تحت هذه النقطة : زعمه أن القرآن قليل الارتباط ، وأنه عاطل من الترتيب ، مفكك السياق كثيرا وأعاد السبب في ذلك لأن نزوله كان متفرقا حسب مقتضيات الزمن وبسبب جمعه بعد وفاته حيث

اختار خليفته الرابع على حد زعمه (أي عثمان) قبول نص واحد من بين عدة نصوص كانت قد نزلت عليه (يقصد الأحرف السبعة) .

وقد زعم المؤلف أن الرسول أخذ هذا القرآن من الأديان الأخرى .

ثم تحدث في هذا الفصل عن سر انتشار الإسلام سريعا بين الناس وأعاد ذلك للتوحيد المحض الذي يدعو له الإسلام ورد في هذا الفصل على من زعم أن انتشاره كان بسبب تحلل محمد وبطشه أو أنه انتشر بسبب استعمال السيف في رقاب الناس وأثبت أنه انتشر بالدعوة وحدها .

وفي النهاية وصم الإسلام بالجبرية كغيره من الغربيين ولكنه فسرها بقوله (إن الجبرية الشرقية هي نوع من التسليم الهادي الذي يعلم به الإنسان كي يخضع لحكم القدر من غير تبرم وملاومة) .

(وتسليم مثل هذا هو وليد مزاج أكثر منه وليد عقيدة . والعرب كانوا جبريين بمزاجهم قبل ظهور محمد ولم يكن لجبريتهم تأثير في ارتقائهم كما أنها لو لم تؤد إلى انحطاطهم) وأكد أن هذا النوع من الجبرية يستند إليه كثير من مفكري الغرب في العصر الحاضر .

تقويم الكتاب :

هذا الكتاب وبحجمه الضخم يعتبر من أفضل ما ألف عن العرب وتاريخ حضارتهم حيث حاول المؤلف أن يثبت ما كان للعرب من فضل وتأثير على الحضارة الغربية والمدنية الحديثة . ولكن مع هذا لم يخل من بعض الأخطاء كالتي أشرت لها في جانب حياة الرسول - ﷺ - والإسلام والقرآن سواء كانت كرأي يراه المؤلف كجبرية الإسلام أو كأقوال يعرضها بلفظة (قيل) وما شابهها .

وقد رددت على هذه النقاط في مواطنها من الرسالة .

المبحث السابع

أسماء مجموعة من مؤلفات المستشرقين

حول القرآن الكريم وعلومه

والآن سأذكر أسماء مجموعة من مؤلفات المستشرقين حول القرآن الكريم وعلومه سردا وباختصار من باب الفائدة ولما لها من صلة بموضوع الرسالة .

١ - آيات من القرآن .

بقلم المستشرقة الإيطالية : فرجينيا فاكا . فلورنسا ١٩٤٣ م .

٢ - إبراهيم في القرآن .

بقلم المستشرق الهولندي : فان جنيب ، مجلة العالم الإسلامي ١٩١٢ م .

٣ - الاتجاه الحديث لتفسير القرآن بمصر .

بقلم جاك جومبيه ، ١٩٥٤ م .

٤ - الإتقان في علوم القرآن : لجلال الدين السيوطي ، تحقيق المستشرق النمساوي : سبرنجر (١٨١٣ م - ١٨٩٣ م) .

٥ - أخبار المتوكل بخلق القرآن .

بقلم الفونس منغنا (١٨٨١ م - ١٩٣٧ م) متنا وترجمة إنكليزية ، مانشستر ١٩٢٢ م .

٦ - أسرار التأويل وأنوار التنزيل ، للبيضاوي .

تحقيق المستشرق الألماني : فرايتاج (١٧٨٨ م - ١٨٦١ م) ليبنريج عام ١٨٤٥ م .

٧ - الأسماء والأعلام اليهودية في القرآن - مشتقاتها .

بقلم المستشرق الألماني يوزف هوروفيتش (١٨٣١ م - ١٨٧٤ م) .

٨ - الأسماء والأعلام في القرآن .
نفس المؤلف (١٨٧٤ - ١٩٣١) (د . ت) .

٩ - إشارات إلى صيغ تشريعية عربية قديمة في القرآن .
بقلم : يوزف كورت زولنرنك ، نشر عام ١٩٣٤ م .

١٠ - إشارات قرآنية إلى الثقافة المادية للعرب الأقدمين .
بقلم : اليونوره هونز ، نشر عام (١٩٣٩ م) .

١١ - اشتقاق لفظ القرآن .
بقلم المستشرق الألماني : يوزف هورد فيتش (د . ت) .

١٢ - الإعجاز في القرآن .
بقلم : روبسون ، صحيفة جمعية جلاسجو ١٩٢٩ م .

١٣ - بحوث جديدة في نظم القرآن وتفسيره .
بقلم المستشرق الإنكليزي هوشفيلد ، لندن ، ١٩٠٢ م .

١٤ - بيان القرآن .
بقلم : هـ . و . سفانتون ، ١٩١٩ م .

١٥ - تاريخ القرآن .
بقلم : المستشرق الفرنسي بوتيه (١٨٠٠ - ١٨٨٣ م) باريس ١٩٠٤ م .

١٦ - تحقيق كتاب المحتسب ، لابن جني .
منشورات المجمع العلمي البافاري ، ميونيخ ١٩٣٣ م .

١٧ - ترجمة القرآن إلى اللاتينية (١١٤١ م - ١١٤٣ م) .
قام بها : روبرت الرتيني ، هرمان الدلماشي الألماني ، راهب أسباني غربي
١٨٨٠ - ترجمة القرآن إلى اللاتينية .
نشر : بيليا ندد ، بال ، سويسرا ١٥٤٣ م .

١٨ - ترجمة القرآن إلى الألمانية .

بقلم : شنيجر النورمبرجي ١٦١٦ م .

١٩ - ترجمة القرآن إلى الفرنسية .

بقلم : سيورد وريز ، باريس ١٦٧٤ م .

٢٠ - ترجمة القرآن إلى الإنكليزية .

بقلم : الكسندروس قسيس كاريبررك ، لندن ١٦٤٩ م .

٢١ - ترجمة القرآن إلى الإنكليزية .

بقلم : جورج سيل (١٦٩٧ - ١٧٣٦ م) .

٢٢ - ترجمة القرآن إلى الإيطالية .

بقلم : مارانشي باودوري (١٦١٢ - ١٧٠٠) ، ١٦٩٨ م .

٢٣ - ترجمة القرآن إلى الروسية .

صدرت في سنت بطبرسبرج ١٧٧٦ م .

٢٤ - ترجمة القرآن إلى السويدية .

بقلم : المستشرق السويدي ثورنبرج (١٨٠٧ - ١٨٧٧ م) لوند ١٨٧٤ م .

٢٥ - ترجمة القرآن جزئيا إلى الأسبانية .

بقلم : المستشرق السويدي سترستين (١٨٦٦ - ١٩٥٣ م) .
مجلة العالم الشرقي ١٩١١ م .

٢٦ - ترجمة القرآن إلى لغة الاسبرانتو .

بقلم : خالد شلدريك ، ١٩١٤ .

٢٧ - ترجمة القرآن جزئيا إلى الدانماركية .

بقلم : المستشرق الدانماركي بول ، كوبنهاكن ، ١٩٢١ م .

٢٨ – ترجمة القرآن إلى التشيكية .
بقلم : ى . ر . نيكل براغ ، ١٩٣٤ م .

٢٩ – ترجمة القرآن إلى الهولندية .
بقلم : المستشرق الهولندي كرامرز (١٨٩١ م – ١٩٥١ م) .
امستردام – بروكسل ١٩٥٦ م .

٣٠ – ترجمة القرآن إلى الهندية .
بقلم : المستشرق الهولندي فت (١٨١٤ – ١٨٩٥ م) (د . ت) .

٣١ – ترجمة القرآن .
أ . ج أربري الإنجليزي المتعصب ضد الإسلام والمسلمين صدرت هذه الترجمة عام ١٩٥٠ م .[١] .

٣٢ – التطور التأريخي للقرآن .
بقلم : المستشرق الإنكليزي أدوارد سل ، مدراس ١٨٩٨ م .

٣٣ – تفسير القرآن .
بقلم الأستاذ فيشر ، نشر الدراسات الشرقية لنولديكة ١٩٠٦ م .

٣٤ – تفسير القرآن .
بقلم ريتشارد هارتمان ، مجلة الدراسات الشرقية ١٩٢٤ م .

٣٥ – تفصيل آيات القرآن الكريم .
تأليف : جول لابوم ، مع استدراكه : أدوار موتييه ، الطبعة العربية ، دار الكتاب العربي ، بيروت ١٩٦٩ م .

٣٦ – تلاوة القرآن في دمشق والجزائر .
بقلم : جان كانتينو (١٨٩٩ – ١٩٥٦ م) .

---

(١) الفكر الإسلامي الحديث صـ ٥٥٢ .

بمعاونة باريس ، حوليات معهد الدراسات الشرقية ، باريس ، ١٩٤٢ - ١٩٤٧ م .

٣٧ - توافق القرآن والإنجيل .
مؤلفه : بوستل ج . صدر ١٥٤٣ م [(١)] .

٣٨ - دراسة آي من القرآن .
بقلم الأب لاثور ، مجلة الحضارة الكاثولوكية ١٩٤٥ م .

٣٩ - دراسة عن القرآن .
بقلم : باطر ، نشرها : نيكل ، صحيفة الجمعية الشرقية الأمريكية ١٩٣٦ م .

٤٠ - دراسة عن مختصر شواذ القراءات .
لابن خالويه ، تحقيق : المستشرق الأمريكي : آرثر جفري ، مجلة الدراسات الإسلامية ١٩٣٨ م .

٤١ - دليل القرآنية .
تأليف المستشرق الألماني مالير (١٨٥٧ - ١٩٤٥ م) الطبعة الثانية ، باريس ١٩٢٥ م .

٤٢ - السامريون في القرآن .
بقلم المستشرق الفرنسي جوزيف هاليفي (١٨٧٣ - ١٩١٧ م) المجلة الآسيوية ١٩٠٨ م .

٤٣ - سحر الآيات القرآنية .
بقلم : كرستنس ، ١٩٢٠ م .

٤٤ - شرح المعتزلة للقرآن .
بقلم : المستشرق الإيطالي جويدي ١٨٨٦ - ١٩٤٦ م .

---

(١) المستشرقون ١ / ١٥٨ .

٤٥ – الشرع في القرآن .
بقلم : ي . ريخلين (د . ت) .

٤٦ – صحائف القرآن .
بقلم المستشرق الأمريكي كورما رازومي (١٨٧٧ – ١٩٤٧) م .
نشرة المتحف الفني بوسطن ، ١٩٢٠ م .

٤٧ – الصلاة في القرآن .
بقلم : جوتين ، نيويورك ١٩٥٥ م .

٤٨ – طابع الإنجيل في القرآن .
بقلم : وولكر ، باسلي ، ١٩٣١ م .

٤٩ – الطب في القرآن .
بقلم : أوبتز ١٩٠٦ م .

٥٠ – طريقة كتابة القرآن في سمرقند .
بقلم : المستشرق الأمريكي أرثر جفري بمعاونة لسون الصحيفة الأمريكية الشرقية ، ١٩٤٢ م .

٥١ – أبو عبيدة والقرآن .
بقلم : نفس المؤلف ، عالم الإسلام ، ١٩٣٨ م .

٥٢ – عدد آيات القرآن .
بقلم : شبيتالو ، ١٩٢٥ م .
بقلم : الأستاذ هلموت ريتر ، بحث في مجلة الإسلام الألمانية ١٩٢٨ م

٥٣ – عناصر من الهجادة في قصص القرآن .
بقلم : شابيرو ، ليبزيج ، ١٩٠٧ م .

٥٤ – عناصر نصرانية في القرآن .
بقلم : أرنس .

٥٥ - عناصر يهودية في مصطلحات القرآن الدينية .
بقلم : المستشرق المجري بيرنات هيلر (١٨٥٧ - ١٩٤٣ م) .
نشر عام ١٩٢٨ م .

٥٦ - عيسى في القرآن .
بقلم : أدولف جروهمان ، الصحيفة الشرقية ، فينا ، ١٩١٤ م .

٥٧ - فضائل القرآن وآدابه .
لأبي عبيد القاسم بن سلام ، تحقيق بريتزل (د . ت) .

٥٨ - فهرست أدب القرآن .
بقلم المستشرق الإنكليزي ستوري ، كمبردج ١٩٣٠ م .

٥٩ - فهرست تفسير الطبري .
بقلم : المستشرق الألماني هوسلاتير ، ستراسبورج ١٩١٢ م .

٦٠ - القانون في القرآن .
بقلم : دلفين ، نشر عام ١٩٢٧ - ١٩٣٤ م .

٦١ - القرآن .
بقلم : ياكوب بارت (١٨٥١ - ١٩١٤ م) مجلة الإسلام ١٩١٥ - ١٩١٦ .

٦٢ - القرآن .
بقلم : الأستاذ فلهاوزن (١٨٤٤ - ١٩١٨ م) المجلة الشرقية الألمانية ١٩١٣ .

٦٣ - القرآن .
بقلم : المستشرق الألماني كاله (ولد ١٨٧٥ م) صحيفة دراسات الشرق الأدبي ١٩٤٩ م .

٦٤ - القرآن .
بقلم : الأستاذ شبيتالر (١٩١٠ م) دراسات تشودي ١٩٥٤ م .

٦٥ - القرآن .
بقلم المستشرق الأمريكي آرثر جفري ، عالم الإسلام ١٩٢٤ م .

٦٦ - القرآن .
نفس المؤلف ، الصحيفة الأمريكية للغات والآداب السامية ١٩٢٤ م .

٦٧ - القرآن بلهجة مكة الشعبية .
بقلم : المستشرق النمساوي كارل فولليرس (١٨٥٧ - ١٩٠٩ م) .

٦٨ - القرآن الرسمي بالنظر إلى قراءة أهل مصر .
بقلم : المستشرق الألماني تيودور نولديكة ، المجلد العشرين من مجلة الإسلام .

٦٩ - القرآن في الإسلام .
بقلم : المستشرق الهولندي آيتما (ولد ١٩١٠ م) نشر عام ١٩٥٢ م .

٧٠ - القرآن مفسرا .
بقلم : المستشرق الإنكليزي أ . ج أربري (ولد ١٩٠٥ م) نيويورك ١٩٥٥ م لندن ١٩٥٩ م .

٧١ - القرآن والعربية .
بقلم : المستشرق الألماني كاله (ولد ١٨٧٥ م) ذكرى جولدتسيهر ، ١٩٤٨ م .

٧٢ - قراءة زيد بن علي .
بقلم : المستشرق الأمريكي آرثر جفري : مجلة الدراسات الشرقية ١٩٣٧ - ١٩٠٤ م .

٧٣ - قصص القرآن .
بقلم : المستشرق المجري بيرنات هيللر (١٨٥٧ - ١٩٤٣ م) عالم الإسلام ١٩٣٤ م .

٧٤ - قصة أهل الكهف في القرآن .
نفس المؤلف نشر عام ١٩٠٧ م .

٧٥ - كتاب المصاحف للسجستاني .
تحقيق المستشرق الأمريكي آرثر جفري ، مؤسسة دي خويه ، ١٩٣٧ م .

٧٦ - كسب واكتسب ومعناها المجازي في القرآن .
بقلم بولنيشي ، مجلة الدراسات الشرقية ١٩٥٥ م .

٧٧ - الكشاف .
لجاد الله الزمخشري ، تحقيق المستشرق الإنكليزي وليم ناسوليز (١٨٢٥ - ١٨٨٩ م) حققه خلال أربع سنوات (١٨٥٦ - ١٨٥٩ م) .

٧٨ - الكلمات الأجنبية في القرآن .
رسالة دكتورا للمستشرق الألماني فرانكيل (١٨٥٥ - ١٩٠٩ م) ليدن ١٨٧٨ م .

٧٩ - المثون في بعض أجزاء القرآن .
بقلم الأستاذ : د . ستيل ، مجلة الجمعية الآسيوية ١٩٢١ م .

٨٠ - المتشابه في القرآن .
بقلم : الأستاذ : ريتشارد بل ، مجلة العالم الإسلامي ١٩٢٨ م .

٨١ - مجادلة المشركين في القرآن .
بقلم الأستاذ : أتنجها تسن (سنة ١٩٤٣ م) .

٨٢ - محمد والقرآن .
بقلم : المستشرق الهولندي فت (١٨١٤ م - ١٨٩٥ م) خمس دراسات في مجلة الدليل ١٨٤٥ م الهولندية .

٨٣ - محمد والقرآن .

مؤلفه بارتيملي ، سن هيلر الكاتب السياسي له عدة أبحاث عن الأديان[١] .

٨٤ - مدخل تاريخي نقدي إلى القرآن .

بقلم : المستشرق الألماني جوستاف فايل (١٨٥٨ - ١٨٨٩ م) .

٨٥ - مصادر تاريخ القرآن .

بقلم : آرثر جيفري - صدر بالإنجليزية .

٨٦ - مصطلحات القرآن .

بقلم : المستشرق الروسي كاشتاليفا (١٨٩٧ - ١٩٣٩ م) نشر عام ١٩٢٨ م .

٨٧ - معاني القرآن .

لابن منظور ، تحقيق المستشرق الألماني بريتزل ، مجلة إسلاميكا .

٨٨ - معجم قراء القرآن وتراجمهم .

بقلم المستشرق الألماني براجشترسر ، نشر عام ١٩١٢ م .

٨٩ - مفردات القرآن .

بقلم : المستشرق الأمريكي ثواري ، مجلة عالم الإسلام ١٩٣٩ م .

٩٠ - مقدمتان في علوم القرآن .

لابن عطية ومؤلف مجهول .

تحقيق المستشرق الأمريكي آرثر جفري ، مؤسسة دي غويه ١٩٣٧ م .

٩١ - مواد لدراسة تأريخ نص القرآن .

بقلم : المستشرق الأمريكي آرثر جفري ، ليدن ، ١٩٣٧ م .

---

(١) المستشرقون ١ / ١٨٣ .

٩٢ - نبذة عن النفس في القرآن .
بقلم : المستشرق الفرنسي بلاشير (١٩٠٠ م) مجلة الساميات ، ١٩٤٨ م .

٩٣ - النبوة في القرآن .
بقلم : المستشرق الألماني هوفيتش (١٨٧٤ م - ١٩٣١ م) .

٩٤ - مذهب الطبيعة الواحدة النصراني في القرآن .
بقلم : المستشرق الألماني بوشتارك ، مجلة الشرق المسيحي ١٩٥٣ م .

٩٥ - مراجع القرآن وعلومه .
بقلم المستشرق الألماني بريتزل (د . ت) .

٩٦ - المشتبه في القرآن .
للكسائي تحقيق المستشرق الألماني بريتزل (١٨٩٣ - ١٩٤١ م) (د . ت) .

٩٧ - مشروع لاستعمال أسلوب النقد في نشر القرآن .
بقلم المستشرق براجشترسر ، نشر عام ١٩٣٠ م .

٩٨ - مصادر القصص الإسلامية في القرآن وقصص الأنبياء .
بقلم : سايدر سكاي ، باريس ١٩٣٢ .

٩٩ - مصادر القصص الكتاني في القرآن .
بقلم : سباير ، نشر عام ١٩٣٩ م .

١٠٠ - نجوم الفرقان في أطراف القرآن .
بقلم : المستشرق الألماني جوستاف فلوجل (١٨٠٢ - ١٨٧٠ م) .
طبع لأول مرة في ليبزيج ١٨٤٢ م .

١٠١ - نشأة الإنسان كما في القرآن .
بقلم : فرانكل ، براغ ١٩٣٠ م .

١٠٢ – النصرانية واليهودية في القرآن .
بقلم : المستشرق الألماني بومشتارك ، مجلة الإسلام ١٩٢٧ م .

١٠٣ – نصوص ماراتشي من القرآن .
بقلم : المستشرق الإيطالي كارلونالينو ، لنشاي ، ١٩٣٢ م .

١٠٤ – منتخبات من القرآن .
لنفس المؤلف – طبعة ليبزج ١٨٩٣ م .

١٠٥ – نصوص من القرآن .
بقلم : المستشرق الأمريكي آرثر جفري ، عالم الإسلام ١٩٣٥ م .

١٠٦ – نصوص من القرآن مترجمة من أربع لغات .
بقلم : أندراي أكولوتوس (١٦٥٤ – ١٧٠٤ م) برلين ١٧٠١ م .

١٠٧ – نصيب القرآن من الحياة اليومية بمصر .
بقلم : جاك جوميه ، مجلة الآداب العربية ، تونس ١٩٥٢ م .

١٠٨ – النمو التاريخي في القرآن .
بقلم : أدوارد سل ، مدراس ، ١٨٩٨ م .

الخلاصــــه :

هذه مجموعتان من الكتب التي تناولتها في هذا الباب وملحق بمؤلفات حول القرآن وعلومه للمستشرقين ففي الفصل الأول منه ذكرت بعض الكتب التي تخصصت في الحديث عن القرآن الكريم أو بعض علومه .

أما الفصل الثاني تعرضت فيه لبعض الكتب التي تعرضت للقرآن الكريم من خلال بعض فصولها .

وكان هدفي من هذا الباب أن أعرف القارىء للمباحث والقضايا التي اهتم المستشرقون بالحديث عنها في مؤلفاتهم عن الإسلام العظيم وأسلوبهم في الحديث

عنها ، والروح التي سادت مؤلفاتهم ليكون القارىء على بصيرة من أمره في مثل هـذه المـؤلفـات .

ولاشك أن مؤلفاتهم من الكثرة بمكان بحيث إنني لو أردت الاستطراد في هذا الموضوع لطال الخطب ولخرجت الرسالة عن موضوعها الأصلي التي أنا بـصدده .

ولما أصبح اتجاه حركة الاستشراق اتجاها علميا ترعاه المؤسسات الجامعية وغيرها ، أكثر المستشرقون من التأليف في كل لون من علوم الشرق عامة والإسلام خاصة ، لذا أحببت أن أطلع القارىء على أسماء مجموعة منها ذات علاقة بالدراسات القرآنية على وجه الخصوص جعلتها في ملحق خاص واكتفيت لها بالسرد فقط لـدواعي الاختصار .

الباب الثاني

آراء المستشرقين حول القرآن الكريم ومناقشتها

الباب الثاني

آراء المستشرقين حول القرآن الكريم ومناقشتها

الفصل الأول

شبهات المستشرقين حول مصادر القرآن الكريم

الفصل الثاني

شبهاتهم حول نص القرآن الكريم

الفصل الثالث

جمع القرآن الكريم وشبههم حوله

الفصل الرابع

شكل القرآن الكريم ومضمونه وشبههم حوله

الفصل الخامس

القراءات القرآنية وشبه المستشرقين حولها

الفصل السادس

الأسلوب القرآني وشبه المستشرقين حوله

الفصل السابع

إعجاز القرآن الكريم وشبهات المستشرقين عليه

الفصل الأول

شبهات المستشرقين حول مصادر القرآن الكريم

المبحث الأول

زعمهم أن الوسط الوثني مصدر من مصادر القرآن الكريم

المبحث الثاني

زعمهم أن الحنفاء مصدر من مصادر القرآن الكريم

المبحث الثالث

زعمهم أن الصابئة مصدر من مصادر القرآن الكريم

المبحث الرابع

زعمهم أن الزرادشتية والهندية القديمة مصدر من مصادر القرآن الكريم

المبحث الخامس

زعمهم أن النصرانية مصدر من مصادر القرآن الكريم

المبحث السادس

زعمهم أن اليهودية مصدر من مصادر القرآن الكريم

الباب الثاني

آراء المستشرقين حول القرآن الكريم ومناقشتها

الفصل الأول :

وعنوانه : (شبهات المستشرقين حول مصادر القرآن الكريم) :

نظرا لأن القرآن الكريم هو المصدر الأول والأساسي في شرائع الإسلام وفي رسالة محمد - ﷺ - لذا وجه المستشرقون كل طاقاتهم لإثارة الشبهات حول مصدر هذا الكتاب العظيم وقد اختلفت آراؤهم ونظرياتهم في ذلك.

لذا قلما كتب مستشرق عن الإسلام ولم يذكر للإسلام مصدرا بشريا : كزعمهم أن محمدا - ﷺ - كان تلميذا لليهود والنصارى وأن القرآن صورة تلمودية وصلت إلى محمد بطريقة ما ، وضعوا لها عدة افتراضات منها :

أ - أن اليهودية والنصرانية لم تكونا مجهولتين في بلاد العرب .

ب - زعمهم أن مكة المكرمة عرفت اليهودية والنصرانية بحكم كونها مستقرا للاتجار بين جنوب بلاد العرب وشمالها حيث كان لهما أكبر الأثر على محمد - ﷺ - .

جـ - زعمهم أن من العرب الجاهليين من كان يعرف أفكارا يهودية أو نصرانية « كأمية بن أبي الصلت » و « ورقة بن نوفل » وغيرهما حيث كان لهم تأثير كبير على محمد - ﷺ - .

كما زعم بعضهم أن الإسلام كان وليد بيئة الوثنية حيث تأثر بكل ما فيها من عناصر .

وبعضهم زعم أن الحنفاء كانوا أصحاب الفضل عليه لذا ما تعدى بأفكاره أفكارهم ولا بدعوته ما دعوا إليه .

وبعضهم زعم أن الإسلام كان خليطا من ديانات شتى كالمجوسية والهندية القديمة ، والزرادشتية والمصرية القديمة وغيرها .

وخلال استعراضنا لما زعموا من مصادر سنفند إن شاء الله تعالى ما استندوا إليه من أدلة لإظهار بطلان ادعاءاتهم وإثبات أن هذا الكتاب إلهي المصدر وما كان لمحمد - ﷺ - من يد فيه إلا التبليغ عن الله عز وجل .

١ - المصدر الأول :

زعمهم أن الوسط الوثني مصدر من مصادر القرآن الكريم :
تحتوي هذه الشبهة على مجموعة من الفقرات منها :

قولهم أن محمدا استقى معلوماته التي وضعها في القرآن من البيئة التي عاش فيها بدليل التشابه .

١ - التشابه الموجود في العقائد والشعائر التعبدية ، والعادات - (حيث استدل منها المستشرقون على أن محمدا - ﷺ - استقاها من البيئة التي عاش فيها)[1] وبين ما كان سائدا في الوسط الوثني الذي عاش فيه .

٢ - (وكذلك التشابه الموجود بين مقاطع من الشعر الجاهلي وبعض الآيات القرآنية . حيث زعموا منها كذلك أن محمدا - ﷺ - استقاها من وسطه الوثني ووضعها في القرآن الكريم)[2] .

الـرد :

لما شاءت الإرادة الإلهية أن تعمر مكة وتصبح أم القرى أمر الله سبحانه

---

(١) انظر كتاب مصادر الإسلام لتسدال صـ ٦ وما بعدها ، ومقدمة القرآن لريتشارد بل صـ ٩ ، وكتاب مدخل القرآن للأستاذ دراز صـ١٢٩ وما بعدها .
(٢) انظر مصادر الإسلام لتسدال صـ ٩ .

نبيه إبراهيم – عليه السلام – بالتوجه إليها وبناء أول بيت لله عز وجل في الأرض فيها ليؤمه الناس للعبادة والطاعة ففعل عليه السلام بمساعدة ابنه إسماعيل عليه السلام الذي قدم مع أمه « هاجر » ونزلا موضع زمزم اليوم .

ولما استقر المقام بإسماعيل في مكة تزوج وكثر نسله فيها حتى ملأوها وضاقت بهم ووقعت بينهم الحروب والعداوات وأخرج بعضهم بعضا فتفسحوا في البلاد[1] لالتماس العيش .

وبعد فترة دخلت الوثنية ديارهم وكان ذلك بسبب أنه كان لا يظعن من مكة ظاعن إلا احتمل معه حجرا من حجارة الحرم ، فحيثما حلوا وضعوه وطافوا به كطوافهم بالكعبة تعظيما للحرم وصبابة بمكة .

وهكذا استبدلوا بدين إبراهيم وإسماعيل غيره من عبادة الأوثان وصاروا كمن سبقهم من الأمم .. وبقي فيهم بقايا من عهد إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام يتنسكون بها ، من ذلك : تعظيم البيت ، والطواف به ، والحج والعمرة والوقوف على عرفة ، ومزدلفة ، وهدي البدن ، والإهلال بالحج والعمرة مع إدخالهم فيه ما ليس منه .

وكان أول من غير دين إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ونصب الأوثان ، وسيب السائبة ، وبحر البحيرة ، ووصل الوصيلة ، وحمى الحام ، عمرو بن لحي . ثم انتشرت عبادة الأصنام وصارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب حتى بلغ بهم الجهل أنه حين غلبت خزاعة على البيت ونفت جرهم عن مكة ، جعلت العرب عمرو بن لحي[2] ربا لا يبتدع لهم بدعة إلا اتخذوها شرعة ، لأنه كان يطعم الناس ويكسو في الموسم ، وقيل : إن أمره وأمر ولده دام على مكة ثلاثمائة سنة[3] .

---

(١) تاريخ الطبري ١ / ١٥٢ .

(٢) انظر كتاب أخبار مكة ١ / ١١٦ ، وسيرة ابن هشام وعليها حاشية الروض الأنف ١ / ١٠١ .

(٣) انظر الروض الأنف ١ / ١٠٢ .

وهكذا ابتعد العرب عن دين إبراهيم عليه السلام فدخل الشرك في عقائدهم وعباداتهم وصرفوا ما ينبغي أن يكون لله سبحانه لأصنامهم وأوثانهم وساءت الأخلاق ، وانتشرت المفاسد ، وانتهكت المحارم ، وتركت الفرائض والسنن ، وانتشرت البدع والخرافات ، ومع هذا بقي قلة من الناس يبحثون عن الحقيقة وهم الحنفاء .

فلما بعث الله محمدا - ﷺ - أراد من قومه أن يعودوا لدين إبراهيم عليه السلام قبل التحريف والتغيير فدعاهم لعبادة الله وحده وترك ما سواه ، وصرف كل الأمور إليه دون وسائط ، وطلب منهم أن يزكوا نفوسهم بأداء الواجبات وترك المنكرات وبالابتعاد عن مفاسد الأخلاق فأبوا أن يطيعوه - إلا من رحم - بل نابذوه العداء وعذبوه وأصحابه ، وأخرجوهم وقاتلوهم ولكن حقق الله ما أراد من نصره لرسوله - عليه الصلاة والسلام - عليهم .

وخير من صور ما كان عليه أهل الجاهلية من فساد في العقيدة والأخلاق والسلوك والقيم « جعفر بن أبي طالب » ، وأم المؤمنين عائشة - رضي الله عنهما - موضحين الفرق بين الجاهلية والإسلام .

قال جعفر بن أبي طالب للنجاشي ملك الحبشة ردا على افتراءات السفيرين اللذين أرسلتهما قريش لإرجاع المهاجرين من الحبشة لمكة :

[.. أيها الملك كنا قوما أهل جاهلية ، نعبد الأصنام ، ونأكل الميتة ، ونأتي الفواحش ، ونقطع الأرحام ، ونسيىء الجوار ، ويأكل القوي منا الضعيف . فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولا منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه ، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده ، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان ، وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة ، وصلة الرحم ، وحسن الجوار ، والكف عن المحارم والدماء ، ونهانا عن الفواحش ، وقول الزور ، وأكل مال اليتيم ، وقذف المحصنات ، وأمرنا أن نعبد الله ولا نشرك به شيئا ، - وعدد عليه أمور الإسلام - فصدقناه به واتبعناه على ما جاء به من الله فعبدنا الله وحده

لا نشرك به شيئا ، وحرمنا ما حرم علينا وأحللنا ما أحل لنا ..][1] .

أما ما جاء في انحطاط الأخلاق فصورته السيدة عائشة – رضي الله عنها – .

[.. إن النكاح في الجاهلية كان على أربعة أنحاء :

فنكاح منها نكاح الناس اليوم يخطب الرجل إلى الرجل وليته أو ابنته فيصدقها ثم ينكحها .

ونكاح آخر : كان الرجل يقول لامرأته إذا طهرت من طمثها أرسلي إلى فلان فاستبضعي منه ويعتزلها زوجها ولا يمسها أبدا حتى يستبين حملها من ذلك الرجل الذي تستبضع منه ، فإذا تبين حملها أصابها زوجها إذا أحب وإنما يفعل ذلك رغبة في نجابة الولد فكان هذا النكاح نكاح الاستبضاع .

ونكاح آخر : يجتمع الرهط ما دون العشرة فيدخلون على المرأة كلهم يصيبها فإذا حملت ووضعت ، ومر ليال بعد أن تضع حملها أرسلت إليهم فلم يستطع رجل منهم أن يمتنع حتى يجتمعوا عندها تقول لهم لقد عرفتم الذي كان من أمركم وقد ولدت فهو ابنك يافلان تسمي من أحبت باسمه فيلحق به ولدها لايستطيع أن يمتنع به الرجل .

ونكاح رابع : يجتمع الناس الكثير فيدخلون على المرأة لا تمتنع ممن جاءها وهن البغايا كن ينصبن على أبوابهن رايات تكون علما ، فمن أرادهن دخل عليهن فإذا حملت إحداهن ووضعت حملها جمعوا لها ودعوا لهم القافة ثم ألحقوا ولدها بالذي يرون فالتاط به ودعي ابنه ، لا يمتنع من ذلك . فلما بعث محمد – ﷺ – بالحق هدم نكاح الجاهلية كله إلا نكاح الناس اليوم][2] .

هذا هو الوسط الوثني بما فيه من خير وشر الذي اعتبره المستشرقون مصدرا

---

(١) انظر البداية والنهاية لابن كثير ٣ / ٧٣ – ٧٤ ، والكامل في التاريخ لابن الأثير ٢ / ٥٥ .
(٢) انظر صحيح البخاري ٦ / ١٣٢ باب ٣٦ من قال : لا نكاح إلا بولي .

من مصادر الإسلام والناظر فيه بتجرد يرى أن هذا الوسط لا يصلح أبدا لما توهموه . كيف لا ومصدر القرآن الوحيد هو الله عز وجل .

من خلال هذه النصوص يستدل على أن العرب كان فيهم بقايا من دين إبراهيم عليه السلام وبقايا من أخلاق الإسلام ، وأمور أقرها الإسلام وحض عليها . لذا فنحن لا نستغرب أن توجد عندهم مثل هذه البقايا تحت ركام الجاهلية والشرك .

والآن سنقف وقفات مع شبهات هؤلاء المستشرقين التي دعتهم لمثل هذه الدعوى الباطنية ونرد عليها بما يفتح الله علينا .

الشبهات :

زعموا أن الإسلام جاء وفي الوسط الذي ابتدأ فيه مجموعة من العقائد والأخلاق نقاها وجدد الدعوة إليها لذا فالإسلام صورة من صور الجاهلية واجترار لها والوثنية أحد مصادره الرئيسية .

الشبهة الأولى :

قالوا : مما دعا إليه الإسلام الوحدانية وكان ذلك بتأثير الوسط الوثني الذي نشأ فيه الإسلام[1] .

قلت : نحن لا ننكر أن الوحدانية أمر أصيل وجذورها التاريخية تصل لأقدم عصر وجد فيه إنسان على سطح الأرض فآدم عليه السلام أنزل بالتوحيد والدعوة لعبادة الله وحده دون سواه ، ونبذ الشرك بأنواعه ، وتكررت هذه الدعوة على ألسنة كل الرسل بين أقوامهم كما ذكر ذلك القرآن الكريم ، قال تعالى : ﴿ **وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون** ﴾[2] .

---

(١) انظر مصادر الإسلام لتسدال صـ ٦ .
(٢) سورة الأنبياء (٢٥) .

وقد نقل إبراهيم وإسماعيل - عليهما السلام - هذه الدعوة إلى أرض الجزيرة ، ولكن مع تقادم العهد نسي العرب نصيبا مما ذكروا به فطمسوا معالم التوحيد بالشرك والخير بالشر فجاءت دعوة المصطفى - ﷺ - لتذكيرهم بدعوة أبينا إبراهيم - عليه السلام - والتوجه في سائر الأعمال لله الواحد الأحد ونبذ عبادة الأصنام والشرك بكل أنواعه .

فدعوة المصطفى - ﷺ - للوحدانية لم يكن بتأثير الوسط الوثني كما زعم المستشرقون بل هي صدى للدعوة الأولى دعوة إبراهيم عليه السلام ، لأن أصلهما واحد . والتاريخ يشهد بذلك . والناظر في التوراة والإنجيل والقرآن وأي كتاب سماوي آخر يجد أن هذه الدعوة متكررة على لسان كافة أنبياء الله . فلا غرابة إذن من تجديد الدعوة لها في الإسلام على لسان رسولنا ﷺ .

والقرآن الكريم مليء بالآيات القرآنية الداعية لتوحيد الله سبحانه وتعالى ، منها : قوله تعالى : ﴿ **وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء** ﴾[(١)] وقوله تعالى : ﴿ **وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين إنما هو إله واحد فإياي فارهبون** ﴾[(٢)] .

وكذلك وضح القرآن هذه القضية في دعوة إبراهيم عليه السلام كما أنه كان داعية إلى هذا التوحيد . قال تعالى : ﴿**إن إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين** ﴾[(٣)] .

الشبهة الثانية :

زعموا أن هناك تشابها بين الإسلام والوسط الجاهلي الذي نشأ فيه في جانب الشعائر التعبدية كالحج مثلا بما فيه من طواف وتقبيل للحجر الأسود وسعي

---

(١) سورة البينة : (٥) .

(٢) سورة النحل : (٥١) .

(٣) سورة النحل : (١٢٠) .

بين الصفا والمروة ، وغير ذلك من شعائر الحج[1] .

الجـواب :

ذكرت في المقدمة أن الجزيرة العربية نبتت فيها دعوة إبراهيم وابنه إسماعيل – عليهما السلام – ولكن العرب هم الذين غيروها بالشركيات والوثنيات ومع هذا فإنه بقي في هذا الوسط الوثني شيء من تلك الديانة الحنيفية .

كما أن الشرائع الإلهية التي نزلت على إبراهيم وإسماعيل ومحمد – عليهم السلام – أصلها واحد وهي منزلة من عند الله عز وجل لأنهم جميعا رسله لأقوامهم فالصلاة والصيام والزكاة والحج وسائر العبادات مما شرعه الله عز وجل في كل الديانات سواء ديانة إبراهيم أو ديانة محمد أو غيرهما من أنبياء الله عليهم السلام . فإذا حصل تشابه في مثل هذه الجوانب بين الديانات السماوية مع اختلاف في الهيئات والأوقات والأماكن فهو أمر طبيعي قال تعالى : ﴿ **لكل أمة جعلنا منسكا هم ناسكوه ..** ﴾[2] .

ويشهد لما قلت ما جاء على ألسنة المستشرقين في دائرة المعارف الإسلامية حيث قالوا : (ولم يك هذا الحج إلى عرفات أمرا اختص به العرب فالحج إلى معبد من المعابد عادة سامية قديمة جعلت حتى في الأجزاء القديمة من أسفار موسى الخمس فرضا يجب أداؤه فقد ورد في سفر الخروج الإصحاح الرابع والثلاثين (ثلاث مرات في السنة يظهر جميع ذكورك أمام السيد الرب إله إسرائيل)[3] .

فالمسلمون يقفون في حجهم على جبل عرفات ، واليهود يقفون في حجهم على جبل سيناء ، والنصارى يحجون إلى بيت المقدس في فلسطين فهل يعني هذا أن الديانات الثلاث أخذن شعيرة الحج من الوسط الجاهلي الوثني ! والمستشرقون يعرفون أن اليهودية والنصرانية سابقة للوثنية في الجزيرة العربية فلا يبقى إلا أن

---

(١) انظر مصادر الإسلام صـ ٨٠٦ ، ومقدمة القرآن بل صـ ٩ .

(٢) سورة الحج : (٦٧) .

(٣) دائرة المعارف الإسلامية ٧ / ٣٠٥ ، وانظر الكتاب المقدس صـ ١٤٥ .

يكون المصدر لكل ذلك هو الله عز وجل .

والجاهليون لم يكونوا مقتصرين في حجهم بالطواف ببيت واحد بل كان لهم بيوت أخرى يطوفون بها كبيت ذي الخُلَصة[1] .

روى البخاري في صحيحه : عن جرير بن عبد الله قال : [كان في الجاهلية بيت يقال له ذو الخلصة ، وكان يقال له الكعبة اليمانية ، أو الكعبة الشامية ، فقال لي رسول الله - ﷺ - هل أنت مريحي من ذي الخلصة ، قال : فنفرت إليه في خمسين ومائة فارس من أحمس قال : فكسرناه وقتلنا من وجدنا عنده فأتيناه فأخبرناه فدعا لنا ولأحمس][2] .

وقد ذكر كذلك عن معبد في الشمال[3] . فلا غرابة إذن إذا جاء الإسلام بنسك كالحج . فأصل هذه الشرائع والمناسك هو الوحي فقط وأي تبديل أو طمس لها فمرده أمر الجاهلية فحسب . والإسلام ما جاء إلا ليحيي هذه المناسك التي شرعها الله عز وجل ، لذا بينها وفصلها ليبرز محاسن الإسلام في هذه المناسك والشعائر .

وفي الحج الإسلامي مقاصد عظيمة منها : توجه العباد إلى عبادة الله الواحد الديان ، وتذكيرهم بيوم الحشر الأكبر ، ولتكون فريضة الحج وشرائعه مدرسة تربوية مكتملة الجوانب ضمن صرح الإسلام العظيم ، فأين هذا التشابه المزعوم وأين هذه التشريعات التي تسمو بالعواطف الإنسانية النبيلة من تلك المظاهر الوثنية المنحطة ، فلا شك أنه لا يلتبس أمر التفريق بين الشريعتين شريعة الجاهلية وشريعة الإسلام على ذي عقل ، وإن برزت في بعض الصور والخطوط العامة وكأنها مستقاة من دين إبراهيم عليه السلام .

---

(١) بيت من مروة بيضاء ، منقوش عليها كهيئة التاج . كان سدنتها من أمامة من باهلة كاللات والعزى ، كان يطلق على هذا المعبد الكعبة اليمانية أو الشامية .

(٢) انظر صحيح البخاري ٤ / ٢٣٢ كتاب مناقب الأنصار .

(٣) انظر دائرة المعارف الإسلامية ٧ / ٣٠٥ .

وما شعيرة الحج في الإسلام إلا صورة عن شعيرة الحج التي أداها إبراهيم عليه السلام والتي يجمعهما التوحيد الخالص لله عز وجل ، وخلع كل الشركيات التي أدخلتها الجاهلية الوثنية لحج إبراهيم عليه السلام كما حصل في إدخالهم الشرك في التلبية وهي قولهم :

(لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك إلا شَريكا هو لك ، تملكه وما ملك)[1] ، وكاستئذانهم بالوقوف في جبل عرفة من الغوث بن مر وولده من بعده[2] ، وكعدم دفعهم من عرفة إلا إذا دفع رجل من صوفة ولا رميهم إلا إذا رمى رجل من صوفة[3] كذلك وكابتداعهم أمر الحمس وغير ذلك من الأمور .

وهكذا ما من تغيير لحج إبراهيم عليه السلام إلا وجاء الإسلام ليعيده لما كان عليه .

وهكذا يظهر جليا أن أصل الحج وغيره من العبادات من السماء بأمر وتعليم من الله عز وجل لنبيه محمد - ﷺ - لا من الوسط الوثني المزعوم عند المستشرقين ، وما كان عند الجاهلية باق من شعائر ومناسك هو من بقايا دين إبراهيم عليه السلام الذي جاء الإسلام ليحيه ويعيده .

وكذلك فإن الحج ليس مصدره من اليهودية كما زعم « دوزي »[4] حيث ظهر من عرضي السابق أن الحج عند الجميع من مسلمين ويهود ونصارى وغيرهم مصدره ديانة إبراهيم عليه السلام .

---

(١) انظر سيرة ابن هشام ١ / ١٠١ .

(٢) انظر سيرة ابن هشام ١ / ٢٣٠ .

(٣) انظر سيرة بن هشام ١ / ١٤٣ . الغوث بن مر كانت أمه من جرهم وكانت لا تلد فنذرت لله إن هي ولدت رجلاً أن تصدق به على الكعبة عبداً لها يخدمها ويقوم عليها فولدت الغوث فكان يقوم مع أخواله هو الأول على خدمتها والغوث هو الذي كان يجيز للناس في الجاهلية النزول من عرفة ثم تولى هذه الإجازة من بعده حتى انقرضوا . وكان سبب تسميتهم بصوفة لأن أمه كانت تربط شعره بصوفة . (هذا كلام شيخي مناع خلال جلسة المناقشة) .

(٤) انظر دائرة المعارف الإسلامية ٧ / ٣١٠ .

أما بالنسبة لتقبيل الحجر الأسود وهل هو من بقايا الوثنية ؟ .

قلت : فالإسلام دين التوحيد وقد دعا له من أول يوم ولم يكن يرضى بالأوثان والشركيات بل حاربها وطمسها فلو كان الحجر الأسود واحدا من بقايا الوثنية كما زعم المستشرقون لما أبقاه الإسلام .

فالحجر الأسود لم يكن في يوم من الأيام صنما من أصنام العرب ولا من أوثانهم ولم يقدسوه في يوم من الأيام فهل يعقل يترك الوثنيون عبادته وتقديسه ويفعله المسلمون !!!.

أما سر احترام هذا الحجر لأنه من بقايا بناء إبراهيم للكعبة المشرفة حتى إن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أظهر الدافع لتقبيل هذا الحجر أنه الاقتداء بسنة رسول الله - ﷺ - حيث جاء إلى الحجر الأسود فقبله فقال : « إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ، ولولا أني رأيت رسول الله - ﷺ - قبلك ما قبلتك » ثم قال : « فما لنا والرمل إنما كنا راءينا به المشركين وقد أهلكهم الله ثم قال : شيء صنعه النبي - ﷺ - فلا نحب أن نتركه »[1] .

فالتقبيل إذن أمر تعبدي خالص لله سبحانه وتعالى وإن جهلنا سر ذلك التقبيل فهو من سنن الطواف بالبيت فكثير من العبادات تخفى أسرارها والمسلم مكلف بأدائها .

وشتان بين التوجه تعظيما قلبيا لحجر أو شجر أو مخلوق ما على سبيل العبادة ، وبين أداء عبادة لله سبحانه وتعالى وحده وطاعة له دون سواه إيمانا واحتسابا في زمن معين وبصفة معينة وفي مكان معين .

والنكتة في مقالة عمر - رضي الله عنه - هذه لئلا يغتر بعض قريبي العهد بالإسلام الذين كانوا ألفوا عبادة الحجر وتعظيمها رجاء نفعها وخوف الضرر بالتقصير في تعظيمها ، وكان العهد قريبا بذلك لذا بين أنه حجر مخلوق كباقي

---

(١) انظر صحيح البخاري ٢ / ١٦٠ كتاب الحج باب ٥٠ / ٥٧ .

المخلوقات التي لا تضر ولا تنفع لأن الضرر والنفع بيد الله سبحانه وحده دون سواه[1] .

وما حذر منه وقع به المستشرقون في يومنا هذا حيث ظنوا أن هذا الفعل هو من بقايا الوثنية .

والمسلمون اليوم كلهم يتوجهون في صلواتهم إلى الكعبة المشرفة جاعليها قبلة لهم ولا يوجد مسلم واحد صحيح العقيدة يعتقد أنه بهذا التوجه يعبد الكعبة . بل حتى أقل من ذلك فقد نهينا عن الحلف والقسم بالكعبة بل نقسم بربها سبحانه لأن القسم بالشيء لون من ألوان تعظيمه والتعظيم لا يكون إلا لله سبحانه . كما أن بعض مناسك الحج ترمز لأشياء معينة ، فلبس الأبيض لباس الإحرام فيه تذكير بالكفن الذي يكفن به الإنسان ساعة موته ، وخلع للدنيا والإقبال على الآخرة . والوقوف في عرفات فيه تذكير بيوم الحشر الأكبر ، ورمي الحجارة فيه التذكير لمواقف كيد الشيطان للإنسان كما حصل منه مع سيدنا إبراهيم – عليه السلام – ولا يمنع أن يكون تقبيل الحجر من هذا القبيل بالرمز لما كان عليه هذا الحجر أول نزوله من الجنة للأرض أشد بياضا من الثلج حتى سودته خطايا أهل الشرك كما جاء في الحديث الذي رواه ابن عباس – رضي الله عنهما – عن رسول الله – ﷺ –[2] حيث فيه إشارة إلى أن الخطايا إذا أثرت في الحجر الصلد فتأثيرها في القلب أشد وذلك ليترك الناس المعاصي ويتوجهوا إلى الله بالطاعات .

وتقبيل الحجر الأسود سنة من سنن الطواف فعلها الرسول – ﷺ – ونفعله لفعله لأنه لا يفعل إلا ما أمر به من الله عز وجل وما شرعه له ، ونحن مأمورون بالاقتداء به وهو القائل – عليه الصلاة والسلام – يوم النحر وهو يرمي على راحلته : (لتأخذوا مناسككم فإني لا أدري لعلي لا أحج بعد حجتي هذه)[3] .

---

(١) الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني ١٢ / ٣٨ .

(٢) انظر الفتح الرباني مع مختصر شرحه بلوغ الأماني ١٢ / ٢٦ .

(٣) انظر صحيح مسلم ٢ / ٩٤٣ كتاب الحج حديث رقم (٣١٠) .

فهل بقي بعد هذا البيان شبهة إلا في أذهان خربة ونفوس حاقدة على الإسلام وأهله تزعم أن استلام الحجر وتقبيله من بقايا الوثنية التي أبقاها محمد في تشريعاته .

وزعم « سال » أن مما أخذ الإسلام من موروثات الجاهلية الاعتقاد بالجن مما يدل على أن الإسلام صورة عن الجاهلية[1] .

الجواب :

عرف العلماء الجن : بأنها أجسام هوائية وهبها الله قدرة على التشكل بأشكال مختلفة ، منهم من يظهر على شكل حيوانات متنوعة ، لهم عقول وأفهام ومقدرة على الأعمال الشاقة ، يأكلون ويشربون ويتناكحون ويتناسلون .. وهم خلاف الإنس .

وعرفها بعض العلماء : بأنها حيوان ناري شفاف الجرم[2] .

ووجودهم حقيقة ثابتة لا ينكرها أو يشك بها عاقل فليس عدم رؤيتها دليل على إنكارهم لها ، فكم من أشياء حول الإنسان وهو لا يراها ، كالهواء والإشعاعات ، والجاذبية الأرضية ، والتيار الكهربائي ، والمجالات المغناطيسية ، والموجات الصوتية ، إلى غير ذلك من الموجودات غير المرئية .

فمذهب أهل السنة والجماعة وأهل الكتاب ، ومشركو العرب ، وجمهور الكنعانيين واليونانيين والرومان والهنود القدماء الإقرار بوجود الجن .

ولم ينكر وجودهم إلا أكثر الفلاسفة وجماعة من القدرية والمعتزلة والجهمية ، وكافة الزنادقة قديما وحديثا[3] .

---

(١) مذاهب التفسير الإسلامي – جولد تسيهر ص١٩٥ .

(٢) حقيقة الجن والشياطين – محمد السيدابي – دار الحارث السودان / ط ١ ، ١٤٠٧ هـ ١٩٨٧ م صـ ٩ .

(٣) عالم الجن في ضوء الكتاب والسنة – عبد الكريم عبيدات ، طبعة دار ابن تيمية – الرياض صـ ٩٢ وما بعدها .

والتصور السليم للجن وحقيقتهم عند المسلمين فحسب . أما بقية من يعترفون بوجودهم فقد انحرفت تصوراتهم فيهم .

فمنهم من اعتبرهم شركاء لله في الخلق والتدبير فعبدوهم كالزنادقة ، وهو مذهب المجوس واليونانيين والرومان ، ومنهم من اعتبر أن لهم سلطانا في الأرض وأنهم يعلمون الغيب ، وأن بينهم وبين الله أخوة كمشركي العرب . ومنهم من اعتبر بينهم وبين الله نسبا كاليهود . ومنهم من اعتبر الشيطان رئيس رتبة من الأرواح النجسة وأنه إله في الأرض وذلك كالنصارى . ومنهم من قسم الشياطين لأخيار وأشرار ولكنه اعتبر أن الأخيار همهم الرقص للآلهة أما الأشرار فهم للإفساد في الأرض وهكذا من تصورات حادت عن الصواب وتلوثت بروح الوثنية تارة والخرافة والأساطير تارة أخرى .

فالاعتراف بوجود الجن أمر قديم ، واعتقاد متوارث وليس منشأه من الوسط الجاهلي كما تصوره « جولد تسيهر » وإنما هو اعتقاد قديم بين أصحاب الديانات السماوية وغيرها وكان دور الإسلام أن أمره وقومه حسب التصور الإلهي السليم البعيد عن الانحراف والخرافة . وقد أقر وجودهم النقل والعقل ، فهذا يظهر زيف دعوى المستشرقين الذين يحاولون عبثا أن يجعلوا من مصادر الإسلام الوسط الجاهلي .

الشبهة الثالثة :

استند المستشرقون في دعواهم على أن هناك تشابها بين الإسلام والوسط الوثني كذلك في بعض العادات كالزواج والختان وغيرهما[1] .

قلت : كان للعرب عادات تأصلت فيهم فلما جاء الإسلام فما وجده منها موافقا لشرعه أقره وشجعه ، وما كان منها مخالفا لشرع الله ودينه فقد أبطله وحاربه .

(١) انظر مصادر الإسلام لتسدال صـ ٨ .

فالزواج سنة فطرية وأساس قويم للاجتماع البشري ونشوء الكيانات فالأسرة المكونة من الزوجين وما يتصل بهما هي اللبنة الأولى في تكوين الصرح الاجتماعي .

فأصل الاجتماع البشري الثابت في الديانات السماوية هو نكاح الرجل للمرأة وانفراد الرجل بزوجته وعدم مشاركة أحد له فيها وهذا أمر تقره الفطر السوية ، وتقتضيه المجتمعات القويمة لما في ذلك من حفاظ على الدين والخلق والنسل من الاختلاط .

وقد حرص الإسلام حرصا شديدا في تشريعاته التفصيلية الدقيقة على إبقاء الأنساب نظيفة معينة معروفة إلى من تنسب إليه ؛ لذا حارب بشدة كل عادة تدعو إلى اختلاط الأنساب ببعضها وإلى إشاعة الفاحشة وإيجاد الفوضى الجنسية في المجتمعات كل ذلك ليبقى المجتمع الإسلامي مجتمعا ربانيا ترفرف عليه ظلال المودة وتقوى الله عز وجل . ووفر الإسلام لهذا المجتمع المقومات التي تساعده للقيام لهذه المهمة بشرائعه الكاملة الشاملة التفصيلية في الزواج والتناسل والحفاظ على سلامة المجتمع من الانحرافات الخلقية .

لذا ما كان من عادات العرب في الزواج وغيره موافقا لروح الإسلام وتشريعاته فقد أقرها الإسلام وحض عليها وما جاء منها مخالفا للإسلام في روحه وشرعه كنكاح الجاهلية الذي وصف في حديث عائشة - رضي الله عنها - أو عدم الزواج من امرأة المتبني ، أو نكاح أكثر من أربع نساء كل ذلك أبطله الإسلام وحاربه لما فيه من أضرار خلقية وفوضى اجتماعية .

هذا شأن الإسلام في كل تشريعاته التقويم والتقييم للخلق الفاضل النبيل وإحياء كل ما يوافق شرع الله ويلائم الفطرة السوية ومحاربة الانحرافات والرذيلة في كل صورها .

هذا هو الإسلام صورة فريدة وليس صورة معكوسة من المجتمع الوثني كما يزعم المستشرقون الذين يجهلون حقيقة الإسلام وروحه وشرعه . هذا بالنسبة

لما يتعلق بالزواج .

أما ما يتعلق بالختان فصورته كذلك غير واضحة عند المستشرقين فالختان كذلك سنة فطرية وأمر شرعي في كل الديانات السماوية التي سلمت من التبديل والتحريف والتغيير .

فالختان : هو موضع القطع من الذكر ، وموضع القطع من نواة الجارية[1] ، وهذه المادة ترجع للغة السامية القديمة وهي في العبرية بلفظ (عرل)[2] والختان فيه فوائد كثيرة تعود على الإنسان المختون .

ومما يدل على أنها سنة فطرية ما جاء في حديث المصطفى - ﷺ - الذي رواه أبو هريرة - رضي الله عنه - (الفطرة خمس : الاختتان ، والاستحداد ، وقص الشارب ، وتقليم الأظفار ، ونتف الإبط)[3] .

أما ما يدل على قدمها في الديانات منذ إبراهيم عليه السلام ما رواه أبو هريرة - رضي الله عنه - (اختتن إبراهيم عليه السلام وهو ابن ثمانين سنة بالقدوم)[4] .

وقد ذكرت التوراة أن الختان هو العهد بين الرب وبين إبراهيم وذريته ، ومن يترك الختان ينكث العهد ، كما ذكرت أن إبراهيم ختن وهو ابن تسع وتسعين . وقد تعاهد الأنبياء وأتباعهم من بعده هذه السنة فقد انتشرت في بني إسرائيل[5] حتى اعتبروا أن من لم يفعلها قد ارتكب عارا . فيشوع مثلا لم يترك الخارجين من مصر قلفا بل ختنهم جميعا ليخلصهم من هذا العار وقد ذكرت التوراة أمر الختان في سفر يشوع الإصحاح الخامس فقرة ١ - ٩] وفي ذلك

---

(١) انظر مادة (ختن) في لسان العرب - معجم مقاييس اللغة لابن فارس ٢ / ٢٤٥ .
(٢) انظر دائرة المعارف الإسلامية ٨ / ٢١٥ .
(٣) انظر صحيح مسلم كتاب الطهارة حديث (٥٠) جـ ١ / ٢٢١ .
(٤) انظر صحيح البخاري ٤ / ١١١ كتاب الأنبياء وباب ٨ ﴿ واتخذ الله إبراهيم خليلا ﴾ .
(٥) انظر الكتاب المقدس صـ ٢٤ - ٢٥ . سفر التكوين الإصحاح ١٧ .

الوقت قال الرب : يشوع اصنع لنفسك سكاكين من صوان وعد فاختن بني إسرائيل ثانية . فصنع يشوع سكاكين من صوان وختن بني إسرائيل في تل القلف] [1] .

وقد جاء ذكر ختان بني إسرائيل وأن تركه عار في سفر التكوين الإصحاح الرابع والثلاثين [2] .

والختان كذلك موجود في النصرانية قبل تبديلها وإدخال ما ليس فيها من قبل بولس الذي مسخها وأدخل فيها الوثنية والفلسفة الإغريقية . فقد جاء في العهد الجديد في إنجيل لوقا الإصحاح الثاني الفقرة ٢١ [ولما تمت ثمانية أيام ليختنوا الصبي سمي يسوع كما تسمى من الملاك قبل أن حبل به في البطن] [3] .

كما أن الختان كان منتشرا في أمم أخرى قديمة كالمصريين والعرب ، وأهل أروم ، وموآب ، وبني عمون [4] .

وهكذا نرى من خلال هذه النصوص أن الختان سنة فطرية في أمم الأرض قديما وسنة مشروعة لأهل الأديان السماوية جميعا وفي ذلك رد كاف على هذه الفرية التي أشاعها المستشرقون .

وزعم بعض المستشرقين أمثال « تسدال » و « شيخو » و « شبرنجر » أن من مصادر القرآن الكريم الشعر الجاهلي . فقد توافقت بعض الآيات القرآنية مع مقاطع من شعر أمية بن أبي الصلت وامرىء القيس مما دل في زعمهم أن القرآن الكريم قد اقتبس من قصائد الشعراء الجاهليين كالمعلقات [5] .

---

(١) انظر الكتاب المقدس صـ ٢٤٣ .

(٢) انظر الكتاب المقدس (العهد القديم) صـ ٥٥ – ٥٧ .

(٣) انظر الكتاب المقدس (العهد الجديد) إنجيل لوقا صـ ٩٣ .

(٤) انظر الكتاب المقدس (العهد القديم) سفر أرميا الإصحاح التاسع فقرة ٢٥ .

(٥) انظر مصادر الإسلام صـ ٨ – ١٠ ، وتاريخ القرآن لنولدكة ١ / ١٩ ومعجم الشعراء الجاهليين والمخضرمين صـ ١٥٢ .

قلت : بالرجوع إلى ما جمع من شعر ابن أبي الصلت في تاريخ الأدب العربي ؛ لاحظنا أن النصارى من العرب والمستشرقين مثل الأب « شيخو » و « كافنتسكي » قد عنوا بجمع هذا اللون من الشعر الديني أكثر من سواهم حتى إن « كافنتسكي » كتب رسالته للدكتوراة في جمع مثل هذا اللون من الشعر ليظهر العلاقة بين القرآن وبين شعر أمية وقد أشار لأخذ القرآن من شعر أمية[1] ابن أبي الصلت كذلك « كلمنت هاوث » كما أشار تسدال لهذه الموافقة بين القرآن وشعر امرىء القيس في كتابه مصادر الإسلام واعتبره مصدرا من مصادر الإسلام وذلك لموافقة الأبيات لبعض التراكيب القرآنية في سورة القمر والملك وغيرهما وهذه هي أبيات أمية المقصودة بالتوافق :

ويوم موعدهم أن يحشروا زمرا | يوم التغابن إذ لا ينفع الحذر
مستوسقين مع الداعي كأنهم | رجل الجراد زفته الريح منتشر
وأبرزوا بصعيد مستو جرز | وأنزل والميزان والزبر
فمنهم فرح راض بمبعثه | وآخرون عصوا مأواهم سقر
يقول خزانها ما كان عندكم | ألم يكن جاءكم من ربكم نذر
قالوا : بلى فتبعنا فتية بطروا | وعزنا طول هذا العيش والعمر

وأما أبيات امرىء القيس التي ذكرها « تسدال » متوافقة مع آيات من سورة القمر فهي :

دنت الساعة وانشق القمر | عن غزال صاد قلبي ونفر
أحور قد حرت في أوصافه | ناعس الطرف بعينه حور
مر يوم العيد في زينته | فرماني فتعاطى فعقر
بسهام من لحاظ فاتك | فتركني كهشيم المحتظر

(١) انظر معجم الشعراء الجاهليين والمخضرمين صـ١٥٢ ، تاريخ القرآن لنولدكة ١ / ١٩ .

وأضيف لها أبيات أخرى :

وأقبل والعشاق من خلفه كأنهم من حدب ينسلون
وجاء يوم العيد في زينته لمثل ذا فليعمل العاملون

أما الآيات التي وافقتها بزعمهم في بعض الألفاظ والتراكيب فهي :

١ - قوله تعالى : ﴿ **فتول عنهم يوم يدع الداع إلى شيء نكر خشعا أبصارهم يخرجون من الأجداث كأنهم جراد منتشر** ﴾[١] .

٢ - وقوله تعالى : ﴿ **إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا وإنا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا** ﴾[٢] .

٣ - وقوله تعالى : ﴿ **كلما ألقي فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير قالو بلى** ﴾[٣] .

٤ - وقوله تعالى : ﴿ **حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون** ﴾[٤] .

إن قضية التلفيق في الشعر ونسبتها للقدماء من الشعراء أمر لا يستطيع أحد إنكاره وقد فعل هذا حماد الراوية وخلف الأحمر[٥] فما الذي يمنع أن يكون هذا الشعر ملفقا على العصر الجاهلي وعلى شعرائه كامرىء القيس وأمية بن أبي الصلت وهذا ما أرجحه . ومن عنده دليل تاريخي أن هذا الشعر ثابت لهما فليثبته .

والرد على هذه الفرية من جوانب :

---

(١) سورة القمر : (٦ - ٧) .
(٢) سورة الكهف : (٧ - ٨) .
(٣) سورة الملك : (٨ - ٩) .
(٤) سورة الأنبياء : (٩٦) .
(٥) انظر المزهر في علوم اللغة وأنواعها ١ / صـ ١٠٦ - ١٠٧ ، والأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ٥ / ١٦٣ .

بالنسبة لأمية بن أبي الصلت عاش في عصر نزول الوحي في الطائف وكان من الحنفاء في الجاهلية ممن قرأ الكتب المتقدمة من كتب الله عز وجل ورغب عن عبادة الأوثان ، وكان يخبر بأن نبيا يبعث قد أظل زمانه ويؤمل أن يكون هو ذاك النبي فلما بلغه خروج رسول الله - ﷺ - كفر حسدا . ولما أنشد رسول الله - ﷺ - شعره قال : « آمن لسانه وكفر قلبه » وكان يحكي في شعره قصص الأنبياء ، وأفكارا تتعلق بأمور الآخرة كالميزان ، والجنة والنار .. إلخ . وكان يأتي بألفاظ وأفكار لا تعارضها العرب يأخذها من الكتب المتقدمة ، وبأحاديث يأخذها من أحاديث أهل الكتاب[١] .

والأفكار التي أتى بها أمية في هذه الأبيات من هذا القبيل وصف للناس وأحوالهم في اليوم الآخر ووصف لما فيه من ميزان وحشر وصراط وجنة ونار وتبشير للمؤمنين وتبكيت للمجرمين ، وكلها صور من موقف الحساب والجزاء يوم القيامة وقد اشتملت عليها الكتب السماوية السابقة التي اطلع عليها .

فتوافقها مع العبارات القرآنية كتوافق أفكار ومصطلحات مع التوراة والإنجيل مع الفوارق في اللغة والأسلوب .

ثم إن أمية بن أبي الصلت من المعروف أنه كان معاصرا لمحمد - ﷺ - كما سبق ذكره وعاش واستمر في قرض الشعر طوال ما يقرب من ثماني سنوات بعد هجرة المصطفى - ﷺ - حيث توفي سنة (٩ هـ)[٢] ومن هنا نشعر بالتشابه بين شعر أمية والقرآن الكريم ، لذا يكون من التعسف الادعاء بأن هذا الشعر كان سابقا للقرآن من الناحية التاريخية .. وأضيف أن أمية لم يدع الأصالة ولا الإلهام بل إنه كثيرا ما عبر عن خيبة أمله وأسفه في هذا الشأن . مما يحملنا على الاعتقاد بأنه اندفع إلى التقليد بروح المنافسة[٣] والذي يزيدني جزما أن أمية

---

(١) انظر الشعر والشعراء صـ ٢٢٧ .

(٢) معجم الشعراء الجاهليين والمخضرمين صـ ١٥٢ .

(٣) انظر مدخل إلى القرآن الكريم صـ ١٤٣ - ١٤٤ .

هو المقتبس من القرآن ما قاله الأستاذ محمد عبد المنعم خفاجي [أن أمية يأخذ في شعره الكوني والديني من أساليب القرآن ومعانيه وروحه كما في قوله من قصيدة :

عند ذي العرش يعرضون عليه ... يعلم الجهر والكلام الخفيا
يوم نأتيه وهو رب رحيم ... إنه كان وعده مأتيا
يوم نأتيه مثل ما قال فردا ... لم يذر فيه راشدا وغويا
أسعد سعادة أنا أرجو ... أم مهان بما كسبت شيئا
رب كلا حتمته وأرد النار ... كتابا حتمته مقضيا

ولأمية قصائد أخرى عليها الطابع القرآني كقصيدته في حادثة الفيل وقصة إرسال الله موسى وهارون عليهما السلام إلى فرعون وغيرهما من القصص .

وأنا لا أشك في سعة ثقافة أمية لنهله من النصرانية حتى عده بعضهم من شعرائها فقصد القصائد في القصص الإنجيلي كقصيدته في قصة مريم وابنها عيسى عليهما السلام . ولنهله من اليهودية حتى عد من روادها الذين قصدوا لها حيث نظم قصائد كثيرة في القصص التوراتي . فهذا كله يجعلنا نزداد جزما أن أمية كما أخذ من التوراة والإنجيل أخذ من القرآن لا العكس][1] .

كما أن كثيرا من الأشعار المنسوبة إليه محل ريبة كما ذكر ذلك أكثر من واحد . حيث صنعها غيره ونسبوها له ؛ لمعرفتهم بطبيعة شعر أمية . ولتأخذ طابع الأقدمية والأصالة .

وقد ذكر الريبة في بعض أشعار الجاهليين وإلصاق بعض الأشعار لهم مع أنهم لم يقولوها بعض المستشرقين أمثال « تيودور نولديكة » و « ديفيد صمويل رجليوث » و « هـ . الفرت » و « أ . بروينلش » و « أجنتس جولد تسيهر » و « أوجست أشبرنجر » و « ف . كرنكسوف » ، وغيرهم .

---

(١) انظر الشعراء الجاهليون صـ ٩٥ - ١١٦ (بتصرف) .

وأنا أقول إنه قد حصل مثل هذا من حماد الراوية ، وخلف الأحمر ، ولكنه ليس بالقدر الذي يسقط كل الشعر الجاهلي لأن الشعر يعتبر من أسس فهم النص القرآني لنزوله بلغة هؤلاء الجاهليين .

وهذا هو أساس تركيز المستشرقين على هذه القضية باعتبار هذا الشعر أساسا للقرآن ومصدرا من مصادره .

والملاحظ من دراساتهم المستفيضة لهذا الجانب ومع حرصهم عليه لم يجمعوا إلا أبياتا معدودة .

ثم هناك أمر آخر يرد عليهم فريتهم وهو أن خصوم محمد - ﷺ - كانوا دائما على يقظة لأقل ثغرة يجدونها ليوجهوا من خلالها ضربتهم ضد الإسلام ويحولوه إلى سخرة واستهزاء ، ألم يكن من الأيسر لهؤلاء أن يضعوا يد الرسول - ﷺ - على مسروقاته المفضوحة من شعر أمية وامرئ القيس وغيرهما هذا الشعر الذي لم يكن قد جف مداده بعد - بدلا من أن يوجهوا حججهم في كل اتجاه ، وأن يلجأوا إلى كل افتراض وافتراء ، حتى وصل بهم الأمر إلى حد وصم الرسول - ﷺ - بالجنون تارة وبالسحر تارة أخرى إلى غير ذلك لتفسير ظاهرة الوحي .

والقرآن الكريم كان أساس الإنتاج الأدبي في عصر نزوله والعصور التالية لذلك .

والشاعر دائما كما هو معروف همه جمال القالب الشعري بغض النظر عن المصدر الذي يأخذ منه خاماته ، وهذا ما ثبت من شعر أمية بصفة خاصة الذي كان يأخذ من عدة مصادر وهذا ما لاحظه « هوارت » على أمية حيث قال عنه : كان أمية إذا وصف النار قلد أسلوب التوراة ، وإذا وصف الجنة استخدم عبارات القرآن ، وإذا نظم قصص التاريخ الديني لجأ أحيانا إلى الأسطورة الشعبية وإلى ما يشبه الأساطير الميثولوجية أي (الأساطير الإلهية اليونانية . حيث يتمثل

الشخص أحيانا في صورة إنسان أو حيوان أو نبات)[1] .

كما أن المشابهة بين لفظة أو لفظتين مع اختلاف دلالتها ليست دليلا على الاقتباس والأخذ كما هو في أبيات امرىء القيس المزعوم نسبتها له .

والملاحظ أن هذه الأبيات لم تثبت تاريخيا لامرىء القيس إلا عند المستشرقين أنفسهم .

والأبيات المزعومة تتحدث عن وصف الحبيبة الموعودة باللقاء وفيها يتغزل الشاعر بمحبوبته فقصده من (الساعة) ساعة موعد اللقاء ، ويقصد (بانشقاق القمر) ظهور وجه محبوبته من وسط سواد شعرها أو ظلام الليل . ويقصد بـ(فتعاطى فعقر) أن سهام العيون ولحاظ النظر أصابته فجرحته وجعلته (كهشيم المحتظر) بينما نجد أن القرآن الكريم استعمل هذه الكلمات في الحديث عن الكون ومصيره ، وعن معجزة رسول الله – ﷺ – الباهرة في انشقاق القمر عندما طلبت قريش منه ذلك[2] .

أما عبارة (فتعاطى فعقر) القرآنية فقد وردت في سياق الحديث عن الفاسق الشقي من قوم صالح الذي انطلق لعقر ناقة نبي الله صالح – عليه السلام – والتي سبق أن طلبوها منه ليدلل على صدق دعوته ونبوته .

والآيات كما وردت في سورة القمر قال تعالى : ﴿ **إنا مرسلوا الناقة فتنة لهم فارتقبهم واصطبر ونبئهم أن الماء قسمة بينهم كل شرب محتضر فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر فكيف كان عذابي ونذر إنا أرسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم المحتظر** ﴾[3] .

فلو سلمنا صحة نسبة هذه الأبيات لامرىء القيس فوجود هذه الألفاظ المستعملة في غير ما استعملت له في القرآن الكريم لا يقتضي الأخذ والاقتباس .

---

(١) انظر مدخل إلى القرآن صـ ١٤٣ – ١٤٤ (بتصرف) .
(٢) انظر حادثة انشقاق القمر في مسند الإمام أحمد ١ / ٣٧٧ وغيره من كتب السنة .
(٣) سورة القمر : (٢٧ – ٣١) .

فالقرآن الكريم قد نزل بلغات العرب وأساليبهم والقرآن عربي وأسلوبه عربي وقد استعملت هذه الألفاظ قبل نزول القرآن وبعده ولم يدّع أحد من معاصريه أن القرآن مقتبس من شعر الشعراء أو خطب الخطباء أو كلام الكهان. مع معرفتهم بكل ذلك . ولو ثبت شيء من ذلك لرفعت قريش عقيرتها بإبطال دعوى محمد - ﷺ - بل شهدت بعكس هذا .

قال ضماد بن ثعلبة الأزدي لرسول الله - ﷺ - : (لقد سمعت قول الكهنة ، وقول السحرة ، وقول الشعراء فما سمعت مثل كلماتك هؤلاء ، ولقد بلغن ناعوس البحر)[1] .

وقول عتبة بن ربيعة في القرآن لقريش بعد مناظرته رسول الله - ﷺ - [.. فلما جلسوا إليه قالوا : ما وراءك يا أبا الوليد ؟ قال : ورائي أني والله قد سمعت قولا ما سمعت مثله قط ، والله ما هو بالشعر ولا الكهانة ، يامعشر قريش أطيعوني واجعلوها بي خلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه واعتزلوه فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت نبأ ..][2] .

قال دراز : إن أدنى الألقاب إلى القرآن في خيال العرب أنه شعر ، لأنها وجدت في توقيعه هزة لا تجد شيئا منها إلا في الشعر . ومع هذا :

فالقرآن الكريم ليس بأنغام الموسيقى ولا بأوزان الشعر لأنك ستجد فيه شيئا آخر لا تجده في الموسيقى ولا في الشعر .

ذلك لأنك تسمع القصيدة من الشعر فإذا هي تتحد الأوزان فيها بيتا بيتا ، وشطرا شطرا ، وتسمع القطعة من الموسيقى فإذا هي تتشابه أهواؤها وتذهب مذهبا متقاربا . فلا يلبث سمعك أن يمجها ، وطبعك أن يملها ، إذا أعيدت وكررت عليك بتوقيع واحد . بينما أنت من القرآن أبدا في لحن متنوع متجدد ،

---

(١) انظر صحيح مسلم . كتاب الجمعة ٢ / ٥٩٣ حديث ٤٦ .
(٢)

تنتقل فيه بين أسباب وأوتار وفواصل على أوضاع مختلفة يأخذ منها كل وتر من أوتار قلبك بنصيب سواء . فلا يعروك منه على كثرة ترداده ملالة ولا سأم ، بل لا تفتأ تطلب منه المزيد .

هذا الجمال التوقيعي في لغة القرآن الكريم لا يخفى على أحد ممن يسمع القرآن الكريم ، حتى الذين لا يعرفون لغة العرب فكيف يخفى على العرب أنفسهم ؟[1] .

هذا هو اعتراف أهل الفصاحة والبلاغة والشعر أن القرآن ليس بشعر ولا يشبهه فهل بلغ بالمستشرقين أن أصبحوا أكثر من أهل العربية فصاحة وبلاغة وقدرة على وقوفهم على ما هو شعر مما هو قرآن ؟ أم هو الجهل الفاضح والحقد الدفين ؟ يستدرجون به عقول بعض السذج ليكبروهم ويعظموهم ويظنون أنهم أتوا بما لم تأت به الأوائل .

المصدر الثاني :

الحنفاء :

ذهب بعض المستشرقين ومنهم « تسدال » و « مستر كانون سل »[2] وغيرهما إلى أن الحنيفية ورجالها قبل البعثة المحمدية هم أحد مصادر القرآن الكريم بدليل وجود توافق وتشابه بين أحكام القرآن وهداياته وبين ما كان يدعو إليه الحنفاء مثل :

١ - الدعوة لإفراد الله بوحدانيته سبحانه وتعالى .
٢ - رفض عبادة الأصنام .
٣ - الوعد بالجنان .
٤ - الوعيد بالعقاب في جهنم .

---

(١) انظر النبأ العظيم ، دراز ، ص ١٠٢ ، ١٠٣ (بتصرف) .
(٢) انظر مصادر الإسلام صـ ١٩٨ وما بعدها ، وكتاب حياة محمد صـ ٥٦ - ٥٧ .

٥ – اختصاص المولى تعالى بأسماء منها : الرحمن ، الرب ، الغفور
٦ – منع وأد البنات .
٧ – الإقرار بالبعث والنشور والحشر والحساب .. إلخ .

وقد زعم « شبرنجر » أن أفكار محمد لا تخرج عن الأفكار التي كان يدعو إليها زيد بن عمرو بن نفيل(١) أحد هؤلاء الحنفاء .

قلت : من أجل هذا ركز المستشرقون في أبحاثهم على أصل كلمة « حنف » وما يشتق منها كحنيف ، وحنفاء . وهل هي عربية الأصل أم عبرية ؟ أم كنعانية آرامية ؟ وعلى معانيها : هل هي بمعنى كافر ؟ أو مشرك ؟ أو تدل على الراهب النصراني إلى غير ذلك من المعاني التي ذكروها لهذه الكلمة . وزيادة في اهتمامهم بهذه الكلمة كتبوا فيها أبحاثا وكتابات مختلفة(٢) .

وهذه الكلمة من (الحاء والنون والفاء) عربية الأصل وهي بمعنى الميل يقال للذي يمشي على ظهور قدميه أحنف ، والأصح أن الحنف اعوجاج في الرجل إلى الداخل والحنيف : المائل إلى الدين المستقيم قال الله تعالى : ﴿ **ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما** ﴾(٣) والأصل هو هذا ، ثم اتسع في تفسيره فقيل : الحنيف الناسك ، ويقال : هو المختون ، ويقال : هو المستقيم الطريقة ، ويقال : هو يتحنف أي يتحرى أقوم الطرق(٤) فالحنيف إذن الصحيح الميل إلى الإسلام والثابت عليه والدين الحنيف الإسلام ، والحنيفية ملة الإسلام وفي الحديث « أحب الأديان إلى الله الحنيفية السمحة »(٥) .

فالحنفاء : مجموعة من الناس متفرقين مالوا عن الوثنية وعن عبادة الأصنام إلى التوحيد ، إذن فلم يكن هؤلاء على رأى واحد ولا طائفة واحدة تسير على

(١) انظر تاريخ القرآن ١ / ١٨ .
(٢) انظر دائرة المعارف الإسلامية ٨ / ١٢٤ – ١٣٠ .
(٣) سورة آل عمران آية (٦٧) .
(٤) معجم مقاييس اللغة ٢ / ١١٠ – ١١١ .
(٥) انظر صحيح البخاري ١ / ١٥ كتاب الإيمان – باب ٢٩ الدين يسر .

شريعة واحدة ثابتة ، وإنما هم نفر من قبائل شتى ظهروا في مناطق مختلفة اتفقت فكرتهم في رفض عبادة الأصنام وفي الدعوة إلى الإصلاح .

وكان ظهورهم في أماكن مختلفة ومتباعدة في زمن واحد فظهروا في اليمن متأثرين بمبادىء التوحيد التي حملتها إليهم اليهودية والنصرانية . وظهروا في مصر على يد «أخناتون » الذي كان داعية التوحيد عندهم . وظهروا في بلاد فارس على يد « زرادشت » بعد مولد إبراهيم عليه السلام بنفس الدعوة . وظهروا في الجزيرة العربية امتداداً لدعوة أبينا إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام ، فبقوا محافظين على شيء من تراث إبراهيم عليه السلام من دعوة للوحدانية ، ونبذ لعبادة الأصنام ، والإقرار بالبعث والنشور ، والحشر وتبشير المؤمنين بالجنة ، وتخويف الكافرين من النار ، والابتعاد عن الخمر ، ووأد البنات ، وسيء الأخلاق .

وخير من وضح عقيدتهم « القس بن ساعدة » حيث وقف يوما في عكاظ خطيبا فقال : [... كلا بل هو إله واحد ، ليس بمولود ولا والد ، أعاد وأبدى ، وأمات واحيا ، وخلق الذكر والأنثى ، رب الآخرة والأولى . أما بعد : فيا معشر إياد ، أين ثمود وعاد ؟ وأين الآباء والأجداد ؟ وأين العليل والعواد ؟ كل له معاد يقسم قس بن ساعدة برب العباد ، وساطح المهاد ، لتحشرن على الانفراد ، في يوم التناد ، إذ نفخ في الصور ، ونقر في الناقور ، وأشرقت الأرض ، ووعظ الواعظ ، فانتبذ القانط والصبر اللاحظ ، فويل لمن صدف عن الحق الأشهر ، والنور الأزهر ، والعرض الأكبر ، في يوم الفصل ، وميزان العدل ، إذا حكم القدير ، وشهد النذير ، وبعد النصير ، وظهر التقصير ، ففريق في الجنة وفريق في السعير ..][١] .

وكانوا يستدلون على هذه الوحدانية بالعلاقات الكونية وإطالة التأمل والتفكر موضحين أنفتهم عن ديانة قومهم .

---

(١) البداية والنهاية ٢ / ٢٣٣ - ٢٣٣ .

حيث قال قس بن ساعدة في سوق عكاظ يوما كذلك مبينا هذا الأمر :

[يامعشر الناس اجتمعوا فكل من فات فات ، وكل شيء آت آت ، ليل داج ، وسماء ذات أبراج ، وبحر عجاج ، نجوم تزهر ، وجبال مرسية ، وأنهار مجرية ، إن في السماء لخبرا ، وإن في الأرض لعبرا ، مالي أرى الناس يذهبون فلا يرجعون ، أرضوا بالإقامة فأقاموا ، أم تركوا فناموا ، أقسم قس بالله قسما لا ريب فيه ، أن لله دينا هو أرضى من دينكم هذا ..][1] .

والذي يؤكد أنهم كانوا على دين إبراهيم ومحافظين على بقايا شرعه ما حصل من زيد بن عمرو بن نفيل كما حدثت بذلك أسماء بنت أبي بكر قالت :

« لقد رأيت زيد بن عمرو بن نفيل مسنداً ظهره إلى الكعبة يقول : يامعشر قريش والذي نفس زيد بيده ما أصبح منكم على دين إبراهيم غيري »[2] .

أما عباداتهم فقد ذكر أنه كان لهم صلاة فيها سجود . وذكر أنهم كانوا يعظمون الكعبة حيث قال زيد : اللهم إني لو أعلم أحب الوجوه إليك عبدتك به ولكني لا أعلم ثم يسجد على راحلته ، وكان يصلي إلى الكعبة وكان زيد « يحي الموؤدة ولا يأكل الميتة »[3] .

وهؤلاء الحنفاء كانوا حريصين أن يصلوا لدين إبراهيم عليه السلام ، وكانوا على يقين أن الله سيبعث من يجدد أمر دين إبراهيم عليه السلام[4] فاختاروا في ذلك كثيرا وأجهدوا أنفسهم في الوصول لذلك ، فساحوا في البلاد يلتمسون ما عند أهل الكتاب والملل لعلهم يجدون بغيتهم ، لذا فتنصر بعضهم كورقة بن نوفل ، وعثمان بن حويرث ، وعبيد الله بن جحش ، وتهود آخرون .

فبانتقالهم للنصرانية واليهودية يكونوا قد تركوا الحنيفية . أما من هداه الله

---

(١) نفس المرجع ٢ / ٢٣٠ .

(٢) نفس المرجع ٢ / ٢٣٧ .

(٣) نفس المرجع السابق ٢ / ٢٣٨ .

(٤) الوحي المحمدي ٢ / ٩٦ - ٩٨ .

منهم للإسلام فأسلم فيكون قد أصاب الحنيفية الحقة كزيد بن عمرو بن نفيل وأبي قيس بن الأسلت وعبيد الله بن جحش الذي أسلم بعد تنصره ومات على الحنيفية الأولى ، ومنهم كذلك قس بن ساعدة الذي ذكر أن رسول الله - ﷺ - سمعه في سوق عكاظ يخطب وقد مات قبل بعثة رسول الله - ﷺ -[1] .

وهؤلاء جميعا كانوا يبحثون عن دين كالإسلام ويبشرون بنبيه ويتمنون لو يدركوه فينصروه ويسلموا معه كما وضح ذلك (قس بن ساعدة) وورقة بن نوفل .

أما ما استوهمه المستشرقون أن محمداً - ﷺ - لم تتعد أفكاره أفكار هؤلاء الحنفاء ، ودعوته لم تتعد ما دعوا إليه ، فهذا ناتج عن جهلهم بحقيقة الإسلام وتاريخ نبيه - ﷺ - . فالمعروف من سيرة رسول الله - ﷺ - أنه لم يجلس لأحد من هؤلاء الحنفاء جلسة تعلم وإنما كان لقاؤه لهم لقاء عابراً وكانوا هم بحاجة لمن يبصرهم ويرشدهم للدين الذي يرضاه الله عز وجل . وأنا لا أنكر أنه - ﷺ - لاقى بعضهم على جمل له أورق وذلك قبل البعثة وهو يخطب ويخبر بقرب بعثة نبي أظل زمانه وقد تمنى لو يدركه فيسلم معه وينصره وقد بشر من ينصره بالجنة وخوف من يخالفه بالنار. كما لاقاه ورقة بن نوفل مرتين لمدة قصيرة: فالأولى منهما كانت بطلب من السيدة خديجة - رضي الله عنها - وبحضورها معه لتستوضح له من ورقة عن حقيقة ما رآه من أمر الوحي . والمرة الثانية لقيه ورقة في الطريق وقبل رأس رسول الله - ﷺ - وأخبره أنه نبي هذه الأمة وتمنى لو يدركه وينصره يوم يخرجه قومه .

وهؤلاء الحنفاء كانوا في حيرة من أمرهم يبحثون عمن يوصلهم لدينه الذي يرضاه لهم أي دين إبراهيم عليه السلام .

---

(١) ضعف المحدثون هذه الرواية ، وحكم عليها ابن الجوزي بالوضع والاختلاق ذكر ذلك الأستاذ أبو شهبة ، انظر المدخل لدراسة القرآن الكريم لأبي شهبة صـ ٩٦ .

والناظر بأدنى تأمل في القرآن الكريم وما أتى به هؤلاء الحنفاء يرى البون الشاسع بينهما يرى بساطة ما دعوا إليه ويرى مقابله قرآنا معجزا في لغته وأسلوبه قد عجز العرب جميعا عن مضاهاته مع فصاحتهم وطلاقة ألسنتهم .

ويرى قرآنا معجزا في تشريعاته صغرت أمامه كل التشريعات البشرية ، ويرى قرآنا معجزا في وضوح عقيدته وتكاملها وصدق نبوءته فيما أخبر عنه من غيبيات ، وحقائق علمية ثابتة تحققت في حياته - ﷺ - وبعد مماته ، كما أنه من المعروف أن هذا القرآن بقي يتنزل بعد موت هؤلاء الحنفاء حسب ماتقتضيه الحاجة والمصلحة فمن أين ياترى هذه الاستمرارية له ؟ .

ثم إن هؤلاء الحنفاء كانوا هم أنفسهم يخبرون الناس بقرب بعثة الرسول - ﷺ - وكانوا يطلبون من الناس أن يتبعوه ولا يخالفوه ويتمنوا لو يدركوه فيسلموا معه وينصروه ، فلو كانوا هم الأصل لدعوته ولتعليمه لقاموا بالدعوة لذلك بأنفسهم وتصدروا أمر الرسالة ، ونسبوا لأنفسهم هذا الشرف العظيم بل قد تشرفت نفوس بعضهم واشرأبت أعناقهم لهذا الفضل «كأمية بن أبي الصلت» الذي لبس المسوح وترهب طمعا به ولكن الله سبحانه يؤتي فضله من يشاء من خلقه والله ذو الفضل العظيم .

وهذا يدل على فقدهم لهذا الشيء ، وفاقد الشيء لا يعطيه .

أما كون الإسلام التقى مع دعوة الحنفاء في بعض ما صرحوا به واعتقدوه فلا غرابة في ذلك لأن ما عندهم بقايا لدين إبراهيم عليه السلام والإسلام كلاهما من مصدر واحد وهو الوحي الإلهي . فمن هذا القبيل جاء الاتفاق بينهما بالدعوة إلى وحدانية الله سبحانه وتعالى ، ومحاربة الشرك بأنواعه ، وخلع عبادة الأصنام ، والأوثان بأشكالها والدعوة للأخلاق الفاضلة ، ومحاربة الفساد والرذيلة .

لكن كل ذلك كان في الإسلام أتم وأكمل وأشمل .

والإسلام ما جاء ليهدم كل ما وجده في طريقه ، لا بل ما كان منه موافقا للإسلام أبقاه ودعمه وأحياه ووضح هذا المعنى قوله - ﷺ - (بعثت لأتمم

مكارم الأخلاق)[1] وهذا المبدأ الذي جعل الرسول - ﷺ - يحضر حلف الفضول في دار عبد الله بن جدعان قبل بعثته لأنه يتمشى مع فطرته - ﷺ - ويلائم ما نشأه الله عليه سبحانه . ومنه كان عليه الصلاة والسلام يثني على صاحب الخلق النبيل حتى لو كان مشركا كثنائه على حاتم الطائي لكرمه . وما كان منه مخالفا له فحاربه لمحاربته للشر وللخلق الهابط كمحاربته التعري حول البيت أثناء الطواف لعدم ملاءمته حرمة المكان ولمخالفته للفطرة السوية ولأنه تأباه النفس الأبية الزكية[2] هذه هي نقطة اللقاء بين الإسلام والحنيفية لا كما يفهم المستشرقون .

ومن هنا يتبين الفرق بين نبوة كاملة تامة ، وشرع متكامل ، وقرآن معجز عظيم وبين بقايا دين طمس نوره بين حطام الجاهلية وأوحال الشرك والوثنية ، فالقرآن بما حواه من لغة رفيعة المستوى ، وأسلوب محكم بديع وبما فيه من فصاحة وبلاغة خارقة ، وحكم بالغة ، وأمثال محكمة ، وذكر لأحوال الماضين من أنبياء وأمم وأنباء المستقبل ، وعلاقة الإنسان بخالقه وعلاقته بغيره ، والتشريع العظيم الشأن الذي صار موضوع بحث الأئمة المجتهدين ، والعلماء الأعلام لا يكون مصدره اجتماع « زيد بن عمرو » برسول الله - ﷺ - مصادفة في حراء أو في الطريق[3] ولكنها الرسالة التي بعث بها أكرم رسول وهو محمد - ﷺ - من عند الله عز وجل . فوافق نوره بقايا النور الإلهي الضارب في أعماق التاريخ لإبراهيم عليه السلام والذي حمل مشعله ركب الأنبياء الكرام من ذريته ، وتعهده الصالحون من أقوامهم ، أمثال هؤلاء الحنفاء الذين كانوا يتمنون أن يدركوه وينالوا من شرف الإسلام العظيم كما نال ذلك منهم أبو قيس بن الأسلت في المدينة المنورة وغيره .

---

(١) الموطأ للإمام مالك بن أنس ٢ / ٩٠٤ كتاب حسن الخلق باب ١ حديث رقم ٨ وهو بلفظ (حسن) بدلا من (مكارم) .

(٢) انظر سيرة بن هشام ١ / ١٤٢ ، وانظر رد مفتريات على الإسلام ، د / عبد الجليل شلبي صـ ٨٠ .

(٣) حياة محمد (ﷺ) محمد رشيد رضا صـ ٥٦ - ٥٧ .

وبهذا يسقط المصدر الثاني المزعوم للإسلام من قبل هؤلاء المستشرقين .

والحمد لله رب العالمين ..

المصدر الثالث :

اعتبر المستشرقون الصابئة مصدرا من مصادر القرآن الكريم وذلك للتشابه بينها وبين ما جاء في القرآن من عقائد وعبادات ونسك حيث قالوا : إن التأثير من الصابئة انتقل لمحمد - ﷺ - عبر الوسط الوثني الذي عاش فيه محمد - ﷺ - وأخذ منه كثيرا من طقوسه الدينية ممثلا في[1] :

١ - التشابه بين الصابئة والإسلام في الصلاة .
٢ - التشابه في الصوم وارتقاب انتهائه وارتقاب الأعياد ببعض الكواكب .
٣ - التشابه في الحج والتلبية وتقديم القرابين .

وقد زعموا أن اسم الصابئة مشتق من الأصل العبري « ص ب ء » أي غطس ثم أسقطت العين وهو يدل على المعمدانيين الذين يمارسون شعيرة التعميد أو الغطاس[2] .

قلت : كلمة الصابئة أصلها عربي لا كما زعم المستشرقون فهي من مادة صبأ يصبأ صبأ وصبوءا وصبؤ يصبؤ صبأ وصبوءا كلاهما : خرج من دين إلى دين آخر كما تصبأ النجوم أي تخرج من مطالعها .

والعرب كانت تسمي النبي - ﷺ - الصابيء ، لأنه خرج من دين قريش إلى الإسلام ، ويسمون من يدخل في دين الإسلام مصبوا من هذا القبيل لأنهم كانوا لا يهمزون[3] .

أما الصابئة : لما مالوا عن سنن الحق وزاغوا عن نهج الأنبياء سموا بهذا

(١) انظر مصادر الإسلام صـ ١١ - ١٢ ، وانظر المدخل إلى القرآن الكريم صـ ١٣٢ - ١٣٣ .
(٢) انظر دائرة المعارف الإسلامية جـ ١٤ / ص ٨٩ .
(٣) لسان العرب ٢ / ٣٩٩ .

الاسم[1] وبعضهم رجح أن أصلها من « سبح » لأن ديانة الصابئة تشترط القرب من الماء وتجعله المطهر الأول ، فلا زواج عندهم ولا صلاة ولا صيام ولا حياة إلا به .

أما المستشرقون فيرجحون أنها من العبرية « ص ب ء » بمعنى غطس . والصابئة من أكثر الفرق صعوبة في الحكم عليها حيث إنها تلتقي مع كثير من الديانات السماوية وغير السماوية سواء في العقائد أو في العبادات أو غير ذلك ومن أجل هذا اختلفت أحكام الناس عليهم من القديم وعلى ما كان وجودهم .

١ – فمن قائل : أنهم قوم لا دين لهم بين اليهود والمجوس كانوا في العراق وهو مروي عن مجاهد وأبي نجيح والحسن وغيرهم .

٢ – ومن قائل : هم أهل دين من الأديان كانوا بجزيرة العرب يقولون لا إله إلا الله ، وليس لهم عمل ولا كتاب ولا نبي إلا هذه الكلمة وهو مروي عن ابن زيد .

٣ – ومن قائل : هم عبدة الملائكة يصلون إلى القبلة ويصلون الخمس ويقرأون الزبور وهو عن زياد بن أبيه وبعضهم قال : بل قبلتهم من مهب الشمال وبعضهم قال : بل إلى مهب الجنوب[2] .

٤ – ومن قائل : هم فرقة من أهم الكتاب يقرؤون الزبور وهو مروي عن أبي العالية[3] .

٥ – ومن قائل : أنهم قوم يزعمون أنهم على دين نوح عليه السلام ، بكذبهم .

٦ – ومن قائل : الصابئون قوم يشبه دينهم دين النصارى إلا أن قبلتهم

---

(١) الملل والنحل للشهرستاني ٢ / ٧٦ .
(٢) انظر لسان العرب ٢ / ٣٩٩ .
(٣) انظر تفسير الطبري ٢ / ١٤٧ (الأقوال الأربعة الأولى من تفسير الإمام الطبري) .

نحو الجنوب[1] .

٧ – ومن قائل : هم قوم على دين صابىء بن شيث بن آدم[2] وبعضهم زاد أنهم كانوا يؤمنون بنبوة هرمس أي إدريس عليه السلام[3] .

وذكري لهذه الأقوال يوضح مدى اختلاف الناسِ في هذه الفرقة وحيرتهم فيها .

فمن قال : إنهم وثنيون فذلك لعبادتهم الأصنام والكواكب والملائكة وتقديمهم القرابين لها .

ومن قال : هم من اليهود فذلك لموافقتهم اليهود في طريقة الذبح وحرق القرابين .

ومن قال : هم فرقة من النصارى فلالتقائهم معهم في التعميد في الماء ولتعظيمهم يوم الأحد . ولاتفاقهم معهم في بعض الأعياد .

ومن اتهم المسلمين بأخذهم منهم كالمستشرقين وذلك لما يجمع بينهما من صلاة وتوجه للقبلة ، وصيام وارتقاب انتهائه بأحد الكواكب ، وحج وتلبية على حد زعمهم ، واختلافهم بالحكم عليهم كذلك لكونهم فرق متعددة أشهرها :

١ – المندائيون وهم أصحاب الروحانيات وهي فرقة يهودية نصرانية تمارس شعيرة التعميد ، وتعظم يوم الأحد[4] .

٢ – الحوارنيون : الكلدانيون وهي فرقة وثنية تؤمن بالكواكب السبعة وتقدم لها القرابين وهم الذين أرسل فيهم إبراهيم عليه السلام في العراق وحاججهم في عبادتهم للنجوم وقصته معهم في القرآن الكريم مشهورة .

---

(١) لسان العرب ٢ / ٣٩٩ .

(٢) المصباح المنير ١ / ٣٣٢ – ٣٣٣ .

(٣) الصابئون صـ ١٤٤ .

(٤) منهج إبراهيم عليه السلام في الدعوة إلى الله في ضوء القرآن / لمحمد الدريعي لسنة ١٤٠٢ / ١٤٠٣ هـ (رسالة جامعية في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية) .

وأنا أرجح أن هذه الفرقة هي التي كانت في بابل في العراق وأرسل لهم سيدنا إبراهيم عليه السلام وحاججهم بعبادتهم للنجوم واعتقاداتهم بها أنها تضر وتنفع ، وفي تقديمهم القرابين لها .

ومن هذا الباب يكون لهذه الفرقة كتاب أو شبهة كتاب على الأقل لوجود فيهم بعض الشعائر التعبدية كالصلاة والصيام والحج .. إلخ مما هو موجود في الإسلام مع الاختلاف في كيفية هذه العبادات وأوقاتها والناحية التي يتوجهون بها للصلاة .

ولا شك أنها كبقية الأديان دخلها التحريف والتبديل .

لذا سأركز في ردودي على المستشرقين من خلال عبادات هذه الفرقة لما فيها من تشابه ظاهري مع العبادات في الإسلام .

أقول وبالله التوفيق :

الشبهة الأولى : التشابه بين الصابئة والإسلام في الصلاة :

قلت : بعد رجوعي لما كتب عن الصابئة وجدت أن الباحثين اختلفوا في عدد صلواتهم فقد ذكر «تسدال» أنها سبع[(١)] وذكر الأستاذان: « عبد الفتاح الزهيري وفريد المنصور » أنها كانت خمسا وبعد توصية النبي يحيى – عليه السلام – صارت ثلاثا[(٢)] .

أما كيفية صلاتهم فهي تختلف عن صلاتنا – المسلمين – فصلاتهم الأولى : قبل طلوع الشمس بنصف ساعة أو أقل ؛ لتنقضي مع طلوع الشمس وهي ثمان ركعات وثلاث سجدات في كل ركعة .

والصلاة الثانية : انقضاؤها مع زوال الشمس ، وهي خمس ركعات وثلاث سجدات في كل ركعة .

---

(١) مصادر الإسلام صـ ١٢ .

(٢) الموجز في تاريخ الصابئة صـ ١٠٢ .

والصلاة الثالثة : مثل الثانية ، وانقضاؤها يكون عند غروب الشمس وصلواتهم النافلة التي هي بمنزلة الوتر في لزومه للمسلمين ثلاث صلوات كل يوم .

الأولى : في الساعة الثانية من النهار ، والثانية : في الساعة التاسعة من النهار ، والثالثة : في الساعة الثالثة من الليل .

ولا صلاة عندهم إلا على طهور[1] .

وصلاتهم فيها وقوف وركوع وجلوس على الأرض من غير سجود بمجموعة من الأدعية والأذكار وباللغة المندائية ، وبالتوجه فيها لحران بالعراق على أصح الأقوال[2] .

والصلاة بحد ذاتها أمر فطري ومطلب شرعي في كل الديانات السماوية وكون وجود صلاة عند الطرفين أمر طبيعي لا غرابة فيه على اعتبار أنهم أهل الكتاب أو لهم شبهة كتاب .

كما أنه بينت أن صلاتهم على خلاف صلاة المسلمين في أوقاتها وهيئاتها . فصلاتنا خمس مرات في اليوم والليلة وهي بقيام وركوع وسجود وجلوس وقراءة قرآن وبمجموعة من الأذكار والأدعية . بعكس صلاتهم في كثير من هذه الأمور .

لذا ما زعمه « تسدال » من مصدرية الصابئة للإسلام استناداً لمثل هذه الشبهة زعم باطل ينقصه الدليل ، ويرده الواقع . وهو أمر تلبيسي لا أكثر ولم يخل دين من الأديان من وجود شعائر تعبدية وعلى رأسها الصلاة كاليهودية والنصرانية ..

الشبهة الثانية :

التشابه في الصوم وارتقاب انتهائه ، وارتقاب الأعياد ببعض الكواكب .

---

(١) انظر الفهرست لابن النديم صـ ٤٤٢ - ٤٤٣ .

(٢) الموجز في تاريخ الصابئة صـ ١٠٢ .

سبق أن أشرت أنه لا يوجد دين من الأديان السماوية إلا وفيها ألوان من العبادة ، والصوم واحد من تلك العبادات المشتركة بين الديانات السماوية .

فالصوم عبادة عرفت من القدم فقد كانت عند قدماء البابليين والآشوريين والمصريين ، وهذا ما أشارت له الآية القرآنية وهي قوله تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون** ﴾[١] .

والصوم من العبادات التي عرفتها الصابئة الحرانييون[٢] وهي عندهم ثلاثين ليلة من الليل إلى شروق الشمس[٣] (أولها لثمان مضين من اجتماع آذار ، وتسعة أخر أولها لتسع بقين من اجتماع كانون الأول ، وسبعة أيام أخر أولها لثمان مضين من شباط وهي أعظمها ، ولهم تنفل من صيامهم ، وهو ستة عشر وسبعة عشر وعشرون يوما) .

أما الصابئة المندائيون الحاليون يحرمون الصيام في طقوسهم الدينية ويرون أنه من باب تحريم ما أحله الله ، وإن كانوا يتظاهرون به في أول رمضان من كل سنة مجاراة لمجاوريهم من المسلمين كما كان يفعل ذلك أبو إسحاق الصابئي مع الشريف الرضي .

ونجدهم يمتنعون عن أكل اللحوم المباحة لهم (٣٦) يوما ، متفرقة على طول السنة ، على نحو امتناع النصارى عنها[٤] .

فالناظر بعين فاحصة مقارنا بين الصيام عند الصابئة وعند المسلمين يجد أن الاجتماع والاتفاق كان في كلمة الصوم لا غير أما في الحقيقة والصورة فهما مختلفان تماما .

فصيامهم ليلا بينما صيام المسلمين نهارا .

---

(١) سورة البقرة آية (١٨٣) .
(٢) الصابئون – الحسنى صـ ٨٧ – ٨٨ .
(٣) مصادر الإسلام – لتسدال صـ ١٢ .
(٤) الصابئون – الحسنى صـ ٨٧ – ٨٨ .

وصيامهم متفرق بينما صيام المسلمين شهر كامل .

وهو ليس عند كل فرقهم بل عند الحوارنيين منهم أما المندائيون فيحرمونه كما ذكرت .

وكذلك عندهم صيام يشبه صيام النصارى لمدة (٣٦) يوما يمتنعون فيها عن أكل اللحوم المباحة .

ثم هناك الاختلاف في وقت الصيام بين الفريقين .

أبعد كل هذه الملاحظات على وجه المقارنة بين صيام أهل الملتين يبقى دليل مع « تسدال » وغيره ليزعم أن الإسلام أخذ منهم عبادة الصيام بل قد أثبت التاريخ أن الأيام التي كانوا يصومونها وفيها وجه شبه مع وقت الصيام عند المسلمين ما كانت من الصابئة إلا لمجاراة المسلمين الذين كانوا يملكون السلطة والتي كان يفقدها الصابئون .

فعبادة الصيام عندنا - المسلمين - عبادة فيها سمو روحي وترفع عن عالم الشهوة سواء كانت في الفرج أم البطن .

وفيها تقوية لعلاقة المسلم بخالقه سبحانه ، وفيها طريقة تربية في مدرسة الصبر على الجوع والحرمان والشعور بالغير ، إلى غير ذلك من المعاني السامية الرفيعة .

وأعيد للأذهان مرة أخرى أن التشريعات الإسلامية في العبادات وغيرها مازالت غضة طرية كما أنزلها الله سبحانه وتعالى على قلب محمد - ﷺ - لم يدخلها التحريف أو التشويه أو التبديل كما دخل تشريعات الأمم الأخرى ، ومنها عادات الصابئة على اعتبار ما أشرت إليه سابقا أنهم أهل دين سماوي أو كتاب منزل[1] وبهذا تبطل الشبهة الثالثة التي استدل بها « تسدال » .

---

(١) انظر تعليقنا السابق صـ ١٨٨ - ١٨٩ .

شبهة ارتقابهم الأعياد عن طريق النجوم :

قلت : كان « تسدال » جعل مناط هذه الشبهة أن الصابئة تثبت أعيادهم بمراقبة خمسة نجوم في السماء وهي : (الجدي ، الزهرة ، زحل ، القمر ، والشمس) .

وكذلك المسلمون تثبت أعيادهم بمراقبة أحد هذه الخمسة وهو القمر عندما (يكون هلالا) .

قلت : المعروف أن التقويم لأمم الأرض قديم جدا ، وهو إما شمسي وإما هلالي . والناس قد انقسمت عاداتهم في شهرهم وسنتهم القسمة العقلية . وذلك أن كل واحد من الشهر و السنة إما أن يكونا عدديين ، أو طبيعيين ، والسنة عددية ، أو بالعكس .

فالذين يعدونهما : فهؤلاء يجعلون الشهر ثلاثين يوما ، والسنة اثنى عشر شهرا . والذين يجعلونهما طبيعيين يجعلون الشهر قمريا ، والسنة شمسية .

ومنهم الذين جعلوا السنة طبيعية ، والشهر عدديا ، فهذا حساب الروم ، والسريانيين والقبط ونحوهم من الصابئين والمشركين . ممن يعد شهر كانون ونحوه عددا ويعتبر السنة الشمسية بسير الشمس .

أما اعتبار الشهر طبيعيا ، والسنة عددية فهو سنة المسلمين ومن وافقهم[1] .

فالتقويم عند اليهود وعند المسلمين قمريا ، إلا أن اليهود يعتبرونه باجتماع القرصين ، أما النصارى فتجعل صيامها وسائر أعيادها دائرة على السنة الشمسية ، وتجعل سائر أعيادها دائرة على السنة الشمسية بحسب الحوادث التي كانت للمسيح عليه السلام .

---

(١) انظر تفصيل ذلك في كتاب الصابئين حرانيين ومندائيين – لرشدي عليان .

وكذلك المجوس والصابئة وغيرهم من المشركين فتقويمهم بجعل السنة طبيعية والشهر عدديا ، أما ما جاءت به الشريعة الإسلامية هو أكملها وأحسنها وأبينها وأصحها وأبعدها من الاضطراب ؛ لأن رؤية الهلال أمر مشهور مرئي يدرك بالأبصار ، فلا يضل أحد عن دينه ، ولا يشغله مراعاته عن شيء من مصالحه ، ولا يدخل بسببه فيما لا يعنيه ، ولا يكون طريقا إلى التلبيس في دين الله كما يفعل بعض علماء أهل الملل بمللهم .

وما عليه الإسلام هو الأصل لكل الشرائع السابقة إلا أن أتباعها بدلوا كاليهود وعلقوا أحكامها باجتماع القرصين (الشمس والقمر) فإن اجتماعهما الذي هو تحاذيهما الكائن قبل الهلال هو أمر خفي لايعرف إلا بحساب ينفرد به بعض الناس مع تعب وتضييع زمان كثير ، واشتغال عما يعني الناس ، وما لا بد له منه ، وربما وقع فيه الغلط والاختلاف .

وكذلك كما عند بعض الناس أن يحسبوا بمحاذاة الشمس للبرج الفلاني أو الفلاني فلا يعرف كذلك إلا بحساب فيه كلفة وشغل عن غيره مع قلة جدواه .

ومن هنا يظهر أن أفضل المواقيت ما كان متعلقا بالهلال كما عليه المسلمون أما الحول فلم يكن له حد ظاهر في السماء فكان لابد فيه من الحساب والعدد وتكون السنة مطابقة للشهور التي عددها موافق لعدد البروج التي تكمل بدور الشمس فيها سنة شمسية اثنا عشر شهرا بعددها . وإذا دار القمر فيها كمل دورته السنوية وبهذا كله يتبين معنى قوله تعالى : ﴿ **وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب** ﴾[1] فإن عدد شهور السنة وعدد السنة بعد السنة إنما أصله بتقدير القمر منازل وكذلك معرفة الحساب فإن حساب بعض الشهور لما يقع فيه من الآجال ونحوها إنما يكون بالهلال . وكذلك قوله تعالى : ﴿ **قل هي مواقيت للناس والحج** ﴾[2] .

---

(١) سورة يونس آية (٥) قال تعالى : ﴿ هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب . ما خلق الله ذلك إلا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون ﴾ .

(٢) سورة البقرة آية (١٨٩) .

وما دخل على أهل الكتاب والصابئين والمجوس وغيرهم من الاضطراب والحرج والمفاسد دخل عليهم ذلك من جهة المتفلسفة الصابئة[1] .

وهكذا يلاحظ أن ضبط العبادات والأحكام بشيء من الكواكب أمر عليه كل الأمم منذ القديم وليس السير فيه على سنة الصابئة وإلا لكانت الصابئة مصدر المعرفة بهذا الباب لكل الأمم وهذا مردود .

ومن هنا تسقط هذه الشبهة كذلك .

ولله الحمد والمنـة .

الشبهة الثالثة : التشابه في الحج والتلبية ، وتقديم القرابين :

قلت : بعد رجوعي لما كتب عن الصابئة لم أجد هناك تفسيرا حول هذه الشعيرة إلا أني وجدت أنه كان عندهم حج وكان عندهم تقديم القرابين للآلهة المزعومة عندهم .

أما الحج فهو عبادة موجودة في أهل الأديان وغيرهم وممتدة جذوره لإبراهيم – عليه السلام – الذي أذن في الناس بالحج فلبى نداءه كل من حج لبيت الله الحرام وسيلبيه كل من سيحج قال تعالى : ﴿ **وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت أن لا تشرك بي شيئاً وطهـر بيتي للطـائفين والقائمين والركـع السجود * وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق** ﴾[2] .

وقد وضحت دائرة معارف المستشرقين أن الحج لم يكن خاصا بالعرب دون غيرهم من الأمم ، بل كان كذلك عند اليهود والنصارى وبعض الوثنيين[3]

---

(١) انظر مجموع فتاوي الإمام ابن تيمية رحمه الله ٢٥ / ١٣٤ – ١٤٢ .

(٢) سورة الحج آية (٢٦ – ٢٧) .

(٣) انظر دائرة المعارف الإسلامية ٧ / ٣٠٥ .

وقد فصلت هذا الأمر ورددت عليه في الشبهة الثانية من المصدر الأول فيرجع إليه .

ولكني أريد أن أوضح هنا أمرا مهما وهو أن المعروف أن الحج عند المسلمين يتم في مكة المكرمة وطوافهم بالكعبة وما يقدمونه من قرابين (الهدي) هو لله سبحانه خالصا دون سواه . وقد رخص الأكل منها .

أما عند الصابئة فحجهم يتم بحران بالعراق وليس حول الكعبة[١] وقبلتهم الثابت بشأنها أنها قبل الشمال باتجاه النجم القطبي ؛ وذلك لثبوته في محله وعدم تحركه[٢] .

أما بالنسبة لقرابينهم فكانت تذبح لآلهتهم المزعومة من الكواكب كذبحهم للزهرة ولزحل .. إلى غير ذلك .

وكانت سنّتهم في قرابينهم أن تحرق تماما ، ولا يؤكل منها شيء ، وكان بعضهم يقول إذا قرب باسم الباري كانت دلالة القربان ردته لأنه عندهم تعدى إلى أمر عظيم وترك ما هو دونه لما جعله متوسطا في التدبير والذي يذبح للقربان الذكور دون الإناث . ومن يقدم القربان لايدخل الهياكل ذلك اليوم .

وللقربان أربعة أوقات في الشهر : الاجتماع ، والاستقبال ، وسبعة عشر وثمانية وعشرون[٣] .

في حين أن القربان في الإسلام لا يقبل إلا إذا ذبح لله تعالى ويحرم أكله إذا ذكر عليه غير اسمه سبحانه ، كما أنه يذبح في أي وقت من أوقات السنة ، سواء كانت الذبائح ذكورا أم إناثا . ولا يمنع ذبح القربان من دخول أماكن العبادة في الإسلام . والذبيحة عندنا لا تحرق بل تؤكل ولا حرج في ذلك ومن هنا يظهر

---

(١) انظر مدخل القرآن الكريم صـ ١٣٣ نقلا عن كتاب ج . سال (ملاحظات تاريخية ونقدية عن الإسلام صـ ٣٠ - ٣١ ، ودائرة المعارف الإسلامية باللغة الفرنسية (مادة صبأ) .

(٢) انظر الموجز في تاريخ الصابئة صـ ٣٦ ، والفهرست لابن النديم صـ ٤٤٢ .

(٣) انظر الفهرست لابن النديم صـ ٤٤٣ .

الفرق في حج المسلمين ، وفي قرابينهم عن الصابئة لا كما يزعم المستشرقون .

والإسلام يخالف الصابئة ليس في هذا الجانب فقط ، بل في أمور كثيرة منها :

* عليهم الغسل وتغيير الثياب بسبب الجنابة ومس الطامث ويعتزلها البتة . أما عندنا فيغتسل ولا تغير الثياب إذا كانت الملابس طاهرة ، ولا غسل لمن مس طامثا فنجاستها ليست في يدها . ولا يعتزل عندنا منها ، إلا موضع الولد وقت طمثها .

* كما أنهم لا يأكلون الجزور ويفرطون في كراهيته والمسلمون يأكلونه ولا يكرهونه . ويتركون الختان وعندنا سنة ثابتة في حق كل مسلم .

* وفريضة الذكر والأنثى في الميراث عندهم واحدة أما عندنا فللذكر مثل حظ الأنثيين .

* وعندهم لاطلاق إلا ببينة عن فاحشة ظاهرة ، ولا تراجع عندهم المطلقة وعندنا جواز الطلاق لحاجته ، وله مراجعة مطلقته .

* وعندهم لا يجمع بين امرأتين ولا يطأهن إلا لطلب الولد . وعندنا يجمع بين أربعة لطلب الولد ولغيره من الاعتبارات الشرعية ، وغير ذلك من الأمور التي تخالف الصابئة فيه الإسلام .

ومن هنا يظهر الفرق الكبير بين الإسلام وبين الصابئة في الاعتقادات والعبادات والأحكام والسلوك وغير ذلك كثير[1] .

والأمر واضح ولا شبهة فيه إلا في رؤوس المستشرقين القاصدين تشويه الإسلام بكل سبيل . ولكن الله يأبى إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون .

وبهذا نكون قد رددنا على الشبهة الثالثة وسقطت قوائمها ونكون بها قد أكملنا الرد على المستشرقين في مصدرهم المزعوم الثالث للإسلام العظيم وقرآنه

---

(١) انظر الفهرست لابن النديم صـ ٤٤٣ - ٤٤٤ .

الكريم ، وظهر بطلان دعواهم وبان الحق وعلا .

ولله الحمد والمنة .

المصدر الرابع :

الزرادشتية والهندية القديمة :

زعم « تسدال » أن كثيرا من المطالب الورادة في القرآن الكريم وفي الأحاديث النبوية تطابق مطابقة غريبة لما ورد في كتب الزرادشتية والهندية القديمة فينتج من ذلك أننا ملزمون– على حد تعبيره – أن نسلم أن الزرادشتية كانت مصدرا من المصادر التي اتخذت بعضا منها الديانة الإسلامية .

قلت : الزرادشتية : هم أصحاب زرادشت بن بورشب الذي ظهر في زمان « كشتاسف بن لهراسب » وقد كانت ولادة زرادشت سنة ٦٦٠ق .م وقتل من الطورانيين في سنة ٥٨٣ ق . م .

زعم الزرادشتيون أنه كان لهم أنبياء وملوك أولهم « كيومرث » وكان أول من ملك الأرض . وجاء بعده « أوشهنج بن فراول » ونزل أرض الهند وبعده جاء « طمهورث » الذي ظهرت الصابئة في أول سنة من ملكه . والديانة في فارس كديانات جيرانهم مزيج من ديانة الهند وسومر وشور ولكن كان لها طابعها الخاص بها . ويدعي الفرس أن زرادشت نبي وكتابه المقدس هو « أوستا » أي المعرفة . وقد شرحه زرادشت في كتابه (الزند) ثم شرح التفسير بكتاب (بازند) وقد جاءت الزرادشتية تمحيصا للمجوسية مما جعلها تلتقي مع الأديان السماوية في كثير من القضايا العقدية والأحكام ، وغير ذلك . وهذا ما جعلها والهندية القديمة تلتقي مع الإسلام في بعض القضايا لأن لهم مصدرا سماويا أو تأثرا بالأديان السماوية .

إن النقاط التي أوردها « تسدال » يمكن تقسيمها إلى مجموعتين :

أ - المجموعة الأولى من الشبهات :

ما ورد لها أصل في القرآن والسنة الصحيحة مثل :

قضية المعراج والجنة والنار ، وملك الموت ، والصراط ، وعزازيل (الشيطان) والافتتاح بالبسملة ، والصلوات الخمس ، وشهادة كل نبي لمن يأتي بعده .

والمجموعة الثانية من الشبهات :

لم يرد لها أصل من القرآن الكريم ولا في السنة النبوية الشريفة ووردت في الزرادشتية فحسب .

الرد على شبهات المجموعة الأولى جملة :

إن جميع الديانات السماوية لم تخل من ذكر هذه الأمور الغيبية ، ومن تكريم بعض الأنبياء بالمعجزات التي فيها خرق العادات على أيديهم ، كما ألزموا ببعض الفرائض . فإذا اشتملت بعض الديانات السماوية على مثل هذه الأمور ووافقت ماورد في القرآن والسنة الصحيحة فتكون هذه القضايا من الأمور التي لم تتناولها أيدي التحريف والتبديل في الديانات السابقة المنسوخة .

فإن ورد شيء منها في كتب الزرادشتية فيمكن أن تكون هذه الزرادشتية من هذه الملل التي كان أصلها وحيا سماويا ثم حرفها أصحابها كما حرفوا التوراة والإنجيل . ولهذا أثبتت أبحاث العالم الألماني الدكتور « ميللر » الذي كانت له اليد الطولى في حل رموز اللغة السنسكريتية بالهند (أن الناس كانوا في أقدم عهودهم على التوحيد الخالص ، وأن الوثنية عرضت عليهم بفعل رؤسائهم الوثنيين)[1] .

وقد أشار أبو محمد ابن حزم إلى التبديل والتحريف الذي وقع في الزرادشتية

---

(١) النبوة والأنبياء في اليهودية والمسيحية والإسلامية للمهندس أحمد عبد الوهاب ، مكتبة وهبة ١٤٠٠ هـ - ١٩٧٩ م صـ ١٠ - ١١ .

حيث قال : [وبالجملة فكل كتاب وشريعة كانا مقصورين على رجال من أهلها ، وكانا محظرين على من سواهما : فالتبديل والتحريف مضمون فيهما وكتاب المجوس وشريعتهم إنما كان طول مدة دولتهم عند « المؤبذ » وعند ثلاثة وعشرين هربذا لكل هربذ سفر قد أفرد به وحده لا يشاركه فيه غيره من الهرابذة ولا من غيرهم ولا يباح بشيء من ذلك لأحد سواهم ثم دخل فيه الخرم بإحراق الإسكندر لكتابهم أيام غلبته لدارا بن دارا . وهم مقرون بلا خلاف بينهم أنه ذهب منه مقدار الثلث ذكر ذلك بشير الناسك وغيره من علمائهم][1] .

وقد نقل عن عمر بن الخطاب أنه عد الزرادشتية أهل كتاب وعاملهم على هذا الأساس[2] ذكر سفيان قال : (سمعت عمر قال : كنت جالسا مع جابر بن زيد ، وعمرو بن أوس فحدثهما بجاله سنة سبعين سنة حج مصعب ابن الزبير بأهل البصرة عند درج زمزم قال : كنت كاتبا « لجزء بن معاوية » عم الأحنف ، فأتانا كتاب عمر بن الخطاب قبل مدته بسنة ، فرقوا بين كل ذي محرم من المجوس ولم يكن عمر أخذ الجزية من المجوس حتى شهد عبد الرحمن ابن عوف أن رسول الله - ﷺ - أخذها من مجوس هجر)[3] والمعروف أن الجزية لا تؤخذ إلا من كتابي .

وممن قال كذلك أنهم من أهل الكتاب علي بن أبي طالب وحذيفة - رضي الله عنهما - وسعيد بن المسيب ، وقتادة ، وأبو ثور ، وجمهور أصحاب أهل الظاهر .

وقد أشار لهذا المعنى أبو الحسن الندوي بقوله : [إن بقايا الأخلاق والفضائل والمثل العليا الباقية في هذا العالم اليوم لابد من إرجاعها بصورة أو بأخرى إلى ديانة سماوية موحى بها][4] .

---

(١) الفصل في الملل والأهواء ١ / ٩٢ .

(٢) الديانات والعقائد ١ / ٢٥٢ .

(٣) انظر صحيح البخاري ٤ / ٦٢ كتاب الجزية والموادعة مع أهل الذمة والحرب .

(٤) كتاب النبوة والأنبياء في ضوء القرآن - لأبي الحسن الندوي - دار القلم دمشق صـ ٤٢ .

وقد رجح المسعودي في تاريخه أن يكون زرادشت نبي المجوس وقد نقل عنه أنه بَشَّر بالنبي محمد - ﷺ - : (لا تمسكوا به إلا أن يجيئكم صاحب الجمل الأحمر)[١] .

كما وتبنى هذا الرأي ، د / حامد عبد القادر في كتابه (زرادشت نبي قدامى الإيرانيين)[٢] .

وقد ذكر ابن حزم أن كثيرا من المسلمين اعتبروا زرادشت نبيا ثم قال : [ليست النبوة بمدفوعة قبل رسول الله -ﷺ- لمن صحت عنه معجزة ، قال الله عز وجل : ﴿ **وإن من أمة إلا خلا فيها نذير** ﴾[٣]][٤] .

وحتى لو فرضنا أنها لم تكن ديانة سماوية فلابد أن تكون قد تأثرت بأكثر من دين . فقد تأثرت بالمجوسية لأنها جاءت لتنقيتها مما دخلها من فساد ، كما تأثرت بعقيدة الطورانيين لأن زرادشت عاش بينهم زمنا بشرهم فيه بدينه ، كما تأثروا باليهودية لأن الزرادشتية عاصرت بعثة نبي الله موسى - عليه السلام -[٥] كما تأثرت بالهندية للحوار واجتماعهما في عبادة الإله « مترا » كما تأثرت بالنصرانية وببعض الفرق الإسلامية وذلك لطول المدة التي استمرتها الزرادشتية .

والمعروف أن ما دخل الزرادشتية من انحراف وفساد مرده لبقايا المجوسية وتأثيرها عليها .

والملاحظ أن ما دعت إليه الزرادشتية قد سبقتها به المصرية القديمة والهندية القديمة من موت وبعث وحساب وميزان وجنة أو نار وغير ذلك[٦] .

---

(١) انظر الأديان في القرآن صـ ٨٠ - ٨٢ .
(٢) انظر الأديان في القرآن صـ ٨٠ - ٨٢ .
(٣) سورة فاطر آية (٢٤) .
(٤) انظر الفصل في الملل والنحل ١ / ٩١ .
(٥) انظر كتاب النبوة والأنبياء في ضوء القرآن صـ ٤٢ .
(٦) كتاب « الله » للعقاد صـ ٨٦ .

فالذي يرجح عندي أن الزرادشتية سواء كانت في صورتها القديمة أو بعد تغيرها وانحرافها عن طريقها الأول قد تأثرت بعدة ديانات سماوية .

أما ما ذكره « تسدال » من نقاط مشابهة كما ورد في القرآن وهي عند الزرادشتية كقصة المعراج . فهذه القصة لم تذكر عندهم في كتب يصح الاعتماد عليها . وإن وجد مثل ذلك فعلى اعتبار أن أصل هذه الديانة سماوي أو تأثرت بما هو سماوي ولا مانع أن تتكرر مثل هذه الحادثة في عدة ديانات لوحدة المصدر . وهذا شبيه بما توافق وقوعه في التوراة والإنجيل والقرآن كالجنة والنار والميزان وغير ذلك فلا ضرورة أن يكون بعضهم أخذ من بعض وإنما ذلك بابتداء الوحي لكل نبي على حدة . وأما الاتفاق بين الإسلام والزرادشتية في شأن الجنة والنار ، وملك الموت ، والشيطان ، والصراط . فهذا أمر ذكرته كل الديانات السماوية لوحدة المصدر كما سبق وبينت . إلا أني أود أن أوضح أمرا وهو أني قد وجدت « تسدال » ذكر أن خروج عزازيل (الشيطان) كان من النار ونسب موطن ذلك في الإسلام لبعض الكتب الإسلامية كقصص الأنبياء للثعلبي وبعد رجوعي للكتاب المذكور لم أجد ما ذكره ووجدت ما عنده هو ما عند المسلمين جميعا . وأن خروجه كان مع آدم وحواء - عليهما السلام - من الجنة .

و « تسدال » نسب ذلك لبعض كب الزرادشتية ولا ندري أهذا ثابت في كتبهم أو خطأ في الترجمة لها .

أما بالنسبة للبسملة والتوافق بين الإسلام والزرادشتية على مثلها . فهو أمر عام عند كل شعوب الأرض أن تبدأ مراسلاتهم باسم السلطة أو الجهة الحاكمة للبلد ولله المثل الأعلى فإذا ابتدأ كتابه بذلك وجاءت رسائل الأنبياء في الزرادشتية مفتتحة ببسملة فهذا لا غرابة فيه ، كما أنه ليس من الضرورة أن يكون هذا دليلا على أخذ الإسلام من الزرادشتية لمثل هذه الشبهة .

أما شهادة الأنبياء لبعضهم بعضا وتبشير السابق باللاحق فهي فكرة عامة في كل الديانات السماوية بأخذ النبي الميثاق على أمته أن يؤمنوا بالأنبياء الذين

سبقوه ويناصروا النبي الذي سيأتي بعده وقد جاء ذكر ذلك على لسان موسى وعيسى بمحمد عليهم السلام وهي آخر وصايا موسى عليه السلام كما جاء في سفر التثنية في الإصحاح ٣٣ فقرة ٢ : [قال : جاء الرب من سيناء (أي موسى عليه السلام) وأشرق من ساعير (أي عيسى عليه السلام) واستعلن من جبل فاران (أي مكة والمقصود بذلك محمد - ﷺ) ومعه ألوف الأطهار ..][1] .

هذه آخر وصية صدرت من موسى - عليه السلام - يخبرهم فيها بالرسولين العظيمين اللذين سيأتيان من بعده وأوصاهم أن يؤمنوا بهما لأنهما يحملان نفس الشريعة التي أتى بها موسى - عليه السلام - .

كما صرح القرآن بمثل هذه الوصية صراحة بقوله تعالى :

﴿ وإذ قال عيسى بن مريم يابني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد . فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين ﴾[2] .

كما أنه نقل عن زرادشت نفسه أنه بشر بمحمد - ﷺ - حيث قال : « تمسكوا به إلى أن يجيئكم صاحب الجمل الأحمر »[3] .

فهذا الأمر إذن سنة في الأنبياء ومن لهم كتب من السماء أن يبشر السابق باللاحق لأن دعواتهم متوافقة وتدعو لأمر واحد وهو إفراد الله بالوحدانية وعدم الإشراك به في عبادته .

بهذا البيان تسقط شبهة « تسدال » وأمثاله ممن يحاولون تشويه الحقائق الناصعة بإلقاء سحب من دخان الشكوك .

---

(١) انظر الكتاب المقدس صـ ٣٣٤ .
(٢) سورة الصف آية (٦) .
(٣) الأديان في القرآن صـ ٨٢ .

ب - المجموعة الثانية من الشبهات :

شبهات لم يرد لها أصل في القرآن الكريم ولا في السنة الصحيحة ووردت في الزرادشتية ونسبها « تسدال » للإسلام من خلال بعض كتب المسلمين التي لا تراعي في قصصها وموضوعاتها الصحة والدقة كالمواهب الدينية ، وروضة الأحباب .

من ذلك : ما أورده « تسدال » من خلق الكائنات من نور سيدنا محمد - ﷺ -

و « تسدال » اعتمد في هذه القضية الغيبية على الكتابين الآنف ذكرهما . وهي قضية انتقال هذا النور المحمدي إلى آمنة بنت وهب . ثم ربط بين هذا الأمر وبين ما ورد في كتب الزرادشتية كـ « الأوستا » حيث ذكرت أن هذا النور كان من جهة « جمشيد » وهو آدم عليه السلام ولما سقط في الزلل انتقل النور منه إلى أفضل أولاده بالتتابع][1] إلى أن حل بآمنة بنت وهب بزواجها من عبد الله ابن عبد المطلب والد رسول الله - ﷺ -

هذا الحديث الذي استند إليه صاحبا الكتابين السابقين لا يصح ولم أجد أحدا صوبه بل قد حكم الإمام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - على هذا الحديث وأمثاله بالكذب حيث قال : [.. وكذلك ما ذكر من أن الله قبض من نور وجهه قبضة ونظر إليها فعرقت ودلفت فخلق من كل قطرة نبيا ، وأن القبضة كانت هي النبي محمد - ﷺ - وأنه بقي كوكب دري فهذا كذب باتفاق أهل المعرفة بحديثه .

وقال أيضا : وكذلك ما يشبه هذا مثل أحاديث يذكرها « شيرويه الديلمي » في كتابه (الفردوس) ويذكرها ابن حمويه في حقائقه مثل كتاب (المحبوب) ونحو ذلك ما يذكرون أن النبي - ﷺ - كان كوكبا ، أو أن العالم

---

(١) انظر مصادر الإسلام صـ ١٩٠ .

كله خلق منه ، أو أنه كان موجودا قبل أن يخلق أبوه .. إلخ .

قال : فكل ذلك كذب مفترى باتفاق أهل العلم بسيرته] ا.هـ .

وقد ذكر الإمام السيوطي – رحمه الله – في كتابه (شرح المواقف) قوله – ﷺ – (أول ما خلق الله نوري) فعلق عليه الأستاذ صبحي السامرائي قائلا : هذا الحديث لا يصح ، لعله من كلام أصحاب وحدة الوجود ، أو بعض الجهال والمخرفة وقد ذكر أنه بذل جهده لتخريج الحديث فلم يجده في كتب الموضوعات والعلل وذكر بعدها تعليق الإمام ابن تيمية السابق الذكر(١) .

إذن هذا الحديث وأمثاله كلها أحاديث لا يصح الاعتماد عليها ولا جعلها عمدة في قضية غيبية كهذه لضعفها ووضعها ومن هنا تسقط هذه الشبهة التي استند إليها « تسدال » حيث اتخذها كدليل يستند به على أخذ الإسلام من الزرادشتية .

وبعد هذا الرد الإجمالي على شبه المجموعتين اللتين استدل بهما « تسدال » على أخذ الإسلام من الزرادشتية تسقط شبهة المصدرية ويظهر الله الحق ويرد كيد هؤلاء المستشرقين .

المصدر الخامس :

النصـرانية :

زعم « تسدال » أن النصرانية كانت أحد المصادر التي أخذ منها محمد وأدخلها في قرآنه مع أن مصادر النصرانية هذه لم تكن موثوقة بل كانت لفرق شاذة لها أساطير غريبة وكان يظن أنها الإنجيل(٢) .

---

(١) انظر كتاب شرح المواقف للإمام السيوطي صـ ٣٢ – ٣٣ .

(٢) انظر مصادر الإسلام تسدال – الفصل الرابع صـ ١٠١ ، وما بعدها ، وتاريخ القرآن نولدكة جـ ١ ، صـ ٧ وما بعدها .
– ومذاهب التفسير الإسلامي – جولد تسيهر صـ ١٧١ الذي اعتبر الإسلام مزيجا من مذهبي الانتخاب والمزج (من اليهودية والنصرانية وديانة الفرس وما بعدها) .

واستشهد « تسدال » على ذلك ببعض القصص وببعض القضايا الأخرى .

أ - من القضايا التي ذكرها « تسدال » :

١ - قصة أصحاب الكهف .
٢ - قصة مريم عليها السلام .
٣ - قصة طفولة المسيح عليه السلام وما جاء به من معجزات ذكرها القرآن وأنكرها « تسدال » مثل :

أ - كلام عيسى في المهد .
ب - صنعه من الطين طيرا ثم يكون طيرا بإذن الله .
ج - قصة المائدة .
د - صلب عيسى عليه السلام حيث نفاه القرآن الكريم في حين قد أثبته الكتاب المقدس .

هـ - نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان .

ب - القضايا الأخرى :

١ - التبشير بمقدم سيدنا محمد - ﷺ - .
٢ - قصة خلق آدم من تراب الأرض .
٣ - الميزان .
٤ - الأعراف .
٥ - زعمه أن الرسول - ﷺ - أخذ من الإنجيل آية وحديثاً سأذكرهما فيما بعد .

قلت : سيكون ردي إن شاء الله تعالى على هذه الشبهات على قسمين :

القسم الأول :- ما توافق وروده في القرآن والإنجيل معا .

القسم الثانى :- ما تفرد بذكره القرآن الكريم .

أ - القسم الأول : ما توافق وروده في القرآن الكريم والإنجيل معاً :

القصص :

١ - قصة أصحاب الكهف :

ذكر « تسدال » أن هذه القصة موجودة في كتاب لاتيني اسمه (كتاب الشهداء) وأن أصلها إغريقي وأنها لم ترد في المصادر النصرانية الموثوق[1] بها كما أنكر هذه القصة « ماسينيون » و المؤرخ « ادوارد جيبون » في كتابه (سقوط روما وانحطاطها) واعتبروها من قبيل الخرافة[2] .

قلت : عرف علماؤنا القرآن الكريم بأنه كلام الله المنزل على محمد - ﷺ - بلفظه ومعناه ، المعجز بتلاوته ، والمنقول إلينا بالتواتر[3] .

وهذا التعريف له دلالته في وصف القرآن الكريم . فكل ما ورد فيه من قصص وأخبار وأحكام وعقائد وغيرها قاله الله سبحانه يقينا وأوحى به على قلب محمد - ﷺ -

والقصة القرآنية كما هو معروف تمتاز بالصدق والواقعية والدعوة للتوحيد وللهدايات الربانية .

وقد جاء ذكر كثير من هذا القصص بشكل أو بآخر في الكتب القديمة ولم يستطع علم التاريخ الحديث أن يبطل واحدة من هذه القصص بإقامة أدلة على عكس ما ذكره القرآن الكريم بل قد عجز عن التوصل إلى معرفة خفايا كثير منها .

أما زعم « تسدال » أن القرآن اعتمد في مصدريته على النصرانية للتشابه بين القصة القرآنية وما ورد في بعض الكتب النصرانية فهو باطل لعدة أمور :

---

(١) انظر مصادر الإسلام صـ ١٠١ وما بعدها .

(٢) انظر نفس المصدر فصل النصرانية كمصدر وهو الفصل الرابع من الكتاب .

(٣) الوحي والقرآن الكريم صـ ٣٣ .

١ - أن ما ذكره « تسدال » أن هذه القصة موجودة في بعض الكتب التي يدعمها دليل على وجودها ، ووقوعها ، فهذا مردود ذلك لأن القصة كانت معروفة في الوسط اليهودي والذي يدل على ذلك ما ورد في السؤالات التي اقترحتها اليهود على القرشيين أن يسألوها رسول الله - ﷺ - لاختبار صدقه فأخبروهم أن يسألوه على ثلاثة أشياء عن الروح ، وعن الرجل الطواف في الأرض حتى بلغ قرنيها ، وعن فتية ذهبوا في غابر الزمان . وسيأتي بعد قليل ذكر الرواية وقد ذكرت هذه القصص الثلاث في سورة الكهف ، هذا يدل على أن لهذه القصة أصلاً كما أن عدم ذكرها في كتب خاصة يريدها « تسدال » لا ينفيها .

٢ - القرآن الكريم كله صدق مطابق للواقع . وهذه القصة مما كان معروفا عند اليهود في عهد رسول الله - ﷺ - حيث أوعزوا لنفر من قريش منهم النضر ابن الحارث وعقبة بن أبي معيط وغيرهما أن يسألوا محمدا - ﷺ - عن ثلاثة أمور لا يعلمها إلا نبي مرسل : (عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ما كان أمرهم ؟، وعن رجل طواف قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها ، ما كان نبؤه ؟ وعن الروح ما هي ؟) فقالوا لهم بعد ذلك : فإذا أخبركم فاتبعوه فإنه نبي وإن لم يفعل ، فهو رجل متقول .

ثم جاءه الله عز وجل بسورة الكهف ، وخبره عما سألوه عنه من أمر الفتية ، والرجل الطواف والروح[1] .

فلو كانت هذه القصة غير صحيحة لما اقترحتها يهود ولاعترضوا عليها عندما سمعوها منه . ولأظهروا بطلانها . فعندما سمعوها ولم يعترضوا عليها دل ذلك على صدقها وبطلان زعم « تسدال » و « ماسينيون » و « جيبون » .

أما حجتهم بعدم ذكرها في الكتاب المقدس فليس بدليل لهم لأن هذا الكتاب دخله الزيادة والنقصان ، والتحريف ، والتبديل ، وما فيه من اضطراب يزعزع الثقة فيه كما هو حال رسائل بولس مع الأناجيل الأربعة .

---

(١) سيرة ابن هشام ١ / ٣٢٢ .

وقد اعترف بعض النصارى بهذا التحريف وألقاه على عاتق اليهود ومن هؤلاء « مرقيون » وهو هرطوقي في نظر الكنيسة ، عاش في القرن الثاني الميلادي مقتنعا بأن اليهود قد حرفوا إنجيل المسيح الأصلي ولذلك كان لا يعترف بأناجيل متى ومرقس ويوحنا ، وبكل ما يعتبره من تحريف اليهود في إنجيل لوقا .

وكان المانويون يقولون حسب شهادة « أوغسطنيوس » : أن العهد الجديد محرف .

وقد قال الفيلسوف « سلسيوس » في القرن الثاني الميلادي : أن بعض المؤمنين مثلهم في ذلك مثل السكارى الذين يصل بهم الأمر إلى ضرب نفوسهم بأيديهم ، قد غيروا نص الإنجيل الأصلي ثلاث مرات أو أربع أو أكثر من ذلك وحرفوه ، ليتمكنوا من التصدي لاعتراضات النقاد كما أن خصوم النصارى من الوثنيين قد اتهموهم بتغيير النص الأصلي للإنجيل وتبديله قبل أن نتهمهم نحن بذلك(١) .

فهذا مما يدل على أن ما ورد في الأناجيل ليس بحجة . وعدم وجود شيء فيها لا يدل على عدم وجوده ولا على عدم حصوله في الواقع وتكرر القصة في ديانتين أو أكثر . فذلك لوحدة المصدر ولأن القصص في الديانات السماوية يتكرر ذكره لمصلحة الناس آنذاك وتأييدا لنبي تلك الفترة وإذا كان « تسدال » صادقا فليثبت عكس ما أثبته القرآن الكريم .

ويجب أن يعرف « تسدال » أن الأنبياء معصومون من الكذب وما أخبروا به كله حق وصدق وقد شهد التاريخ وعلم الآثار على صدق ما أخبر به سيدنا محمد - ﷺ -

فالمصادر النصرانية قد ذكرت هذه القصة وأنها موجودة في كتب معتمدة لا كما زعم « تسدال » قال الأستاذ « محمد تيسير ظبيان » في كتابه (أهل

---

(١) انظر الفكر الإسلامي في الرد على النصارى إلى نهاية القرن الرابع / العاشر صـ ٤١٣ - ٤١٤ .

الكهف) : [لدى مراجعة المصادر المسيحية القديمة والحديثة تبين أن أول من كتب قصة أصحاب الكهف بالسريانية هو « جيمس الساروغي » وكان كاهنا لمقاطعة ساروغ في العراق ، وقد ولد سنة ٤٥٢ م ومات سنة ٥١٨ م أي بعد وفاة الأمبراطور « اثيودوسيس الثاني » المعروف بالأصفر .

وقد نقلت القصة عنه إلى اللغة اللاتينية بعناية « غَريغوري » حوالي القرن السادس الميلادي كما تشير إلى ذلك موسوعة : (Chamfeus Of . Tours) .

ويقول المرحوم رفيق الدجاني عالم الآثار الأردني ، والذي كان له اليد الطولى في حفريات الكهف أنه (أي الساروغي) عاصر الأمبراطور « جستينوس الأول » الذي حكم من سنة (٥١٨ م إلى ٥٢٧ م) وفي زمانه بنيت الصومعة فوق الكهف كما ثبت ذلك بالمكتشفات الأثرية التي عثر عليها كنقوده التي وجدت عند قواعد البنيان .

وقد نقلت هذه القصة من السريانية إلى اليونانية واللاتينية والحبشية والهندية والفارسية ثم إلى العربية وإليها استند المفسرون والمؤرخون المسلمون في سرد تفاصيل هذه القصة .

وجاء في دائرة المعارف للأخلاق والديانات تعقيبا على هذه القصة :

(إن قصة النائمين السبعة من أكبر القصص التي تروى عن القديسين من حيث المتعة العقلية ، والذيوع في الآفاق) .

ومما يذكر أن ذكرى هؤلاء الفتية حفظت في اجتماعات العشاء الرباني في الشرق المسيحي .

وأخبرني أحد رجال الكهنوت في عمان أن لديهم صلاة خاصة تحمل اسم « الرقيم » نسبة إلى جبل الرقيم الذي يوجد فيه الكهف)[1] .

---

(١) انظر كتاب أهل الكهف صـ ٢٨ - ٢٩ .

ومما يدحض هذه الاتهامات والأباطيل اكتشاف معالم الكهف والعثور على قرائن وأدلة وبينات تاريخية وأثرية حيث تؤيد ما ورد في القرآن الكريم أعظم اكتشاف تاريخي وأثري في القرن العشرين حيث أظهرت المعجزة القرآنية الكبرى بإخبار عن غيب ينكره أمثال « تسدال » وزمرته والأدلة والشواهد على حصول هذه القصة كثيرة وهو أمر يتجاهله الكثير من النصارى اليوم .

وهذه القصة كما ذكرت في الكتب الصحيحة المعتمدة ذكرت كذلك في كتب الأساطير كما أشار لذلك الأستاذ « سيد قطب » والأستاذ « رابح لطفي جمعة »[1] .

واختلاف قصة أصحاب الكهف في القرآن عنها في الكتاب المقدس أمر طبيعي لتحريف كتبهم ونقصانها في كثير من الأمور وهذا لم يحصل في القرآن الكريم من فضل الله عز وجل لذا قال تعالى : ﴿ **إن هذا القرآن يقص على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون** ﴾[2] وكتبهم أثبتت حدوثها في القرن الثالث الميلادي كما أشرت وهذا يدل على أنها حدثت واشتهرت في كتبهم التاريخية ومواعظهم الدينية . فمن البديهي عدم وجودها في كتابهم المقدس اليوم .

ومثل هذه القصة تستحق أن تخلد لأنها تعرض نموذجا للإيمان في النفوس المؤمنة واستعلائها على الحياة الدنيا وزينتها ولما فيها من مثال للحياة والموت والبعث حتى لو أنكر هذا «تسدال» و«ماسنيون» والمؤرخ «أدوارد جيبون» وغيرهم .

القصة الثانية التي استدل بها « تسدال » :

٢ - قصة مريم عليها السلام[3] :

أنكر « تسدال » قصة مريم عليها السلام أن تكون وردت بهذا الشكل

---

(١) انظر في ظلال القرآن ٤ / ٢٢٦٠ - ٢٢٦١ ، وانظر القرآن والمستشرقون صـ ١٤٣ - ١٤٤ .

(٢) سورة النمل آية (٧٦) .

(٣) مريم بنت عمران بن ماتان بن يعاقيم وموسى وهارون ابنا عمران من قاهث بن لاوى بن يعقوب كما في تاريخ المسعودي ١ / ٦٢ - ٤٨ .

في كتب النصرانية المعتمدة واعتبرها خرافية وهمية لا تصح - حسب زعمه - وحجته في ذلك عدة شبه في ذهنه :

١ - أن ولادتها لعيسى (وصف في القرآن على شكل أشبه ما يكون بأسطورة « ميلاد بده » عند الهنود حيث ولد « بده » من عذراء لم يمسها رجال) .

٢ - ذكر خدمتها للهيكل مع أن هذا لا يجوز في حق النساء - على حد زعمه - .

٣ - ذكر القرآن أنها أخت هارون أخي موسى - على حد فهمه - واعتبر هذا من الخطأ التاريخي في القرآن الكريم للفارق الكبير بينهما .

قلت : هذه القصة من الشهرة والانتشار والبداهة في الوسط المسيحي بمكان حتى إن فرقة البربرانية منهم ألهوها وابنها عيسى عليهما السلام[١] نظرا لولادتها لابنها بطريقة خارقة للعادة . وقد أشار القرآن الكريم لقضية تأليههم لهما عليهما السلام .

أما زعم « تسدال » أن القصة غير موجودة في الكتاب المقدس ورده لها بناء على ذلك فهذا يرده ماورد في إنجيل لوقا ونصه : [وبعد تلك الأيام حبلت اليصابات[٢] امرأته (أي زكريا عليه السلام) وأخفت نفسها خمسة أشهر قائلة : هكذا قد فعل بي الرب في الأيام التي فيها نظر إلى لينزع عاري بين الناس ، وفي الشهر السادس أرسل جبرائيل الملاك من الله إلى مدينة الجليل اسمها (ناصرة) إلى عذراء مخطوبة لرجل من بيت داود اسمه يوسف ، واسم العذراء مريم فدخل إليها الملاك ، وقال : سلام لك أيتها المنعم عليها ، الرب معك ، مباركة أنت في النساء . فلما رأته اضطربت من كلامه وفكرت ما عسى أن تكون هذه التحية .

---

(١) انظر الفصل في الملل والأهواء والنحل ١ / ٤٧ .

(٢) اليصابات : هي زوج زكريا عليه السلام وهي خالة مريم عليها السلام .

فقال لها الملاك : لا تخافي يامريم لأنك قد وجدت نعمة عند الله وها أنت ستحبلين وتلدين ابنا وتسميه يسوع هذا يكون عظيما وابن العلي يدعى ويعطيه الرب الإله كرسي داود أبيه ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد ولا يكون لملكه نهاية][١] .

أما إنجيل برنابا فكان أكثر وضوحا من إنجيل لوقا حيث جاء ذكر قصة مريم عليها السلام وحملها لابنها عيسى عليه السلام قائلا : [لقد بعث الله في هذه الأيام الأخيرة بالملاك جبريل إلى عذراء تدعى مريم من نسل داود من سبط يهوذا بينما كانت هذه العذراء العائشة بكل طهر بدون أدنى ذنب المنزهة عن اللوم المثابرة على الصلاة والصوم يوما ما وحدها وإذا بالملاك جبريل قد دخل مخدعها وسلم عليها قائلا : ليكن الله معك يامريم ، فارتاعت العذراء من ظهور الملاك . ولكن الملاك سكن روعها قائلا : لا تخافي يامريم لأنك قد نلت نعمة من لدن الله الذي اختارك لتكوني أم نبي يبعثه إلى شعب إسرائيل ليسلكوا في شرائعه بإخلاص ، فأجابت العذراء وكيف ألد بنين وأنا لا أعرف رجلا ؟ فأجاب الملاك : يامريم إن الله الذي صنع الإنسان من غير إنسان ، لقادر أن يخلق منه إنسانا من غير أب ، لأنه لا محال عنده . فأجابت مريم : إني لعالمة أن الله قدير فلتكن مشيئته . فقال الملاك : كوني حاملا بالنبي الذي ستدعينه يسوع عيسى فامنعيه الخمر والمسكر وكل لحم نجس لأن الطفل قدوس الله « مبارك » فانحنت مريم بضعة قائلة : ها أنا ذا أمة الله فليكن بحسب كلمتك فانصرف الملاك .. إلخ][٢] .

هذان نصان من إنجيلين أحدهما يعترف به « تسدال » وهو إنجيل « لوقا » وآخر لا يعترف به وهو إنجيل « برنابا » ولكن النصين يؤيدان ما جاء في القرآن الكريم مما أنكره « تسدال » واستغربه ، وعده من قبيل الأسطورة والخرافة وذلك لعدم تصوره لقدرة الله سبحانه وتعالى . والنصارى عقيدتهم قائمة على هذه

(١) انظر انجيل لوقا الإصحاح ١ ، فقرة ٢٦ – ٣٨ .
(٢) إنجيل برنابا – الفصل الأول – بشرى جبريل للعذراء مريم بولادة المسيح فقرة ١ – ١٦ صـ ٣٩ .

المعجزة حيث يعتقدون أن أقنوم الابن التحم بعيسى في بطن أمه . وتفصيل هذا الاعتقاد أن النصارى يعتقدون أن الله تبارك وتعالى عاقب آدم وذريته بجهنم من أجل خطيئة آدم في الأكل من الشجرة ، ثم إنه حن عليهم بخروجهم من النار بأن بعث ولده فالتحم في بطن مريم بجسد عيسى (فصار إنسانا وإلها : إنسانا من جوهر أمه وإلها من جوهر أبيه ثم ما أمكنه من خروج آدم وذريته من النار إلا بموته . وبه يفدي جميع الخلق من الشيطان)[1] .

هذه عقيدة النصارى مع فسادها الشديد تثبت ما في القرآن الكريم من خلق عيسى عليه السلام من غير أب .

فالله القادر سبحانه وتعالى خلق عيسى عليه السلام من أم بلا أب ، في حين خلق آدم عليه السلام بلا أب ولا أم بكلمة الله النافذة (كن) مع أن التوراة ذكرت كذلك خلق آدم عليه السلام من التراب . وينبغي أن يؤمن بهذا كل النصارى ومن بينهم « تسدال » وخلق آدم أصعب في المقياس البشري من خلق عيسى عليه السلام . ولكن شتان بين قدرة الخالق والمخلوق فالقصة إذن حقيقة وواقعية لا كما زعم « تسدال » أنها خرافية وهي في الإنجيل المعتمد عندهم لا كما زعم أنها فقط ذكرت في كتاب (التاريخ القبطي للعذراء) .

إلا أن الفرق بين الروايتين في الأسلوب المعجز واضح وسأذكر القصة كما وردت في القرآن الكريم ﴿ **واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكانا شرقيا . فاتخذت من دونهم حجابا فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا . قالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا . قال إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا . قالت أنّى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم أك بغيا . قال كذلك قال ربك هو علّي هين ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمرا مقضيا . فحملته فانتبذت به مكانا قصيا . فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة قالت ياليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا . فناداها من تحتها ألا تحزني قد**

---

(١) تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب – للميورقي صـ ١٤٩ .

جعل ربك تحتك سريا . وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا. فكلي واشربي وقري عينا . فإما ترين من البشر أحداً فقولي إني نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم إنسيا . فأتت به قومها تحمله . قالوا يامريم لقد جئت شيئا فريا . يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا . فأشارت إليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا . قال إني عبد الله أتاني الكتاب وجعلني نبيا وجعلني مباركا أينما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة مادمت حيا وبرا بوالدتي ولم يجعلني جبارا شقيا . والسلام علّي يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا . ذلك عيسى بن مريم قول الحق الذي فيه يمترون ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون . وإن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم ﴾[١] .

إذن فقصة ميلاد عيسى - عليه السلام - المذكورة في القرآن الكريم موجودة في الإنجيل بأصولها وأحداثها البارزة فكيف يتسنى لـ« تسدال » أن يتوهم أن القصة خرافية ، وأنها مأخوذة من قصة خرافية عند الهنود وهي قصة (ميلاد بده) وكيف يسمح لنفسه أن يطمس نور هذه الحقائق الواضحة الجلية ويحرفها قصدا .

أما رده القصة وحكمه عليها بالبطلان لذكر خدمتها للهيكل :

فأنا أقول أن أصل الخدمة في أماكن العبادة في الديانات الثلاث هي للرجال ، ولكن هذا لا يمنع إذا قامت بعض النساء بمثل هذا العمل فقد حصل في الإسلام أن امرأة كانت تعتني بمسجد رسول الله - ﷺ - تقمه وتقوم بخدمته فلما ماتت دعا لها رسول الله - ﷺ - بالرحمة[٢] .

كما أن الإنجيل ذكر خدمة « حنة أم مريم » للهيكل ، والنص كما في إنجيل

(١) سورة مريم (١٦ - ٣٦) .
(٢) مسند الإمام أحمد ٢ / ٣٥٣ ، ٣٨٨ ، وغيره من كتب السنن .

لوقا [وكانت نبية حنة بنت فنوئيل من سبط أشير وهي متقدمة في أيام كثيرة قد عاشت مع زوج سبع سنين بعد بكوريتها وهي أرملة ، وثمانين سنة لا تفارق الهيكل عابدة بأصوام وطلبات ليلا ونهارا][1] .

فالله سبحانه علم إخلاص حنة امراة عمران القوامة الصوامة في ندائها لربها بأن يتقبل نذرها الذي نذرته لربها طالبة بأن يرزقها ولدا ذكرا ليقوم على خدمة الهيكل بيت الله المقدس فلما قدر الله سبحانه الوليدة أنثى تحسرت « حنة » على ذلك ولكن الله سبحانه بسابق علمه وتقديره يعلم أن هذه الأنثى سيكون لها شأن عظيم أعظم من شأن الذكور .

ستأتي بآية دالة على عظمة الله سبحانه وقدرته في الخلق بإنجاب نبي رسول من أولي العزم دون أن يمسها أحد من البشر .

وكأن الله سبحانه قال لها : (أنت يا « حنة » تريدين ذكرا بمفهومك وفاء لنذرك ، خادما لبيته المقدس وأنا وهبت لك أنثى سأعطي البشرية بها خادما للعقيدة الإلهية بدلا من خدمته لبيته ، وبها تتحقق آية على طلاقة قدرة الله الإلهية)[2] .

فبهذا توضح شبهته هذه ويثبت ما جاء به القرآن فهو الحق المبين .

أما الأمر الثالث الذي دعا « تسدال » يحكم على القصة بالخرافة ويعتبرها خطأ قرآنيا تاريخيا ، وذلك لأن القرآن سماها بأخت هارون ظنا منه أنه هارون أخو موسى بن عمران والفترة الزمنية الطويلة بينهما لا تسمح بذلك لأنها تقدر بخمسة عشر قرنا .

قلت : وجه العلماء المسلمون هذا الأمر على عدة وجوه :

١ - أن هارون المذكور رجل صالح من بني إسرائيل ينسب إليه كل من

---

(١) انظر الكتاب المقدس ، إنجيل لوقا - الإصحاح ٢ ، فقرة ٣٦ - ٣٧ .

(٢) انظر كتاب مريم والمسيح صـ ١٤ .

عرف بالصلاح والمراد أنك كنت في الزهد كهارون . فما الذي صيرك لهذا .

وهذا قول قتادة ، وكعب ، وابن زيد والمغيرة بن شعبة[1] .

٢ – أن هارون هو أخو موسى بن عمران كليم الله عليه السلام . إذ كانت من أعقابه . وإنما قيل أخت هارون كما يقال : يا أخا همدان ، ويا أخا العرب أي ياواحدا منهم .

٣ – أنه كان رجلا مشهوراً بالفسق ، فنسبت إليه بمعنى التشبيه لا بمعنى النسبة .

٤ – أنه كان لها أخ يسمى هارون ، من صلحاء بني إسرائيل فذكرت به والراجح هو القول الثاني لما جاء عن الرسول – ﷺ – أنه هارون أخو موسى قال – ﷺ – لعلي بن أبي طالب عندما أخره في المدينة : (ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى)[2] .

ولما جاء في إنجيل برنابا [كان في أيام هيرودس ملك اليهودية كاهن اسمه زكريا من فرقة أبيا وامرأته من بنات هارون واسمها اليصابات وكان كلاهما بارين أمام الله ساكنين في جميع وصايا الرب وأحكامه بلا لوم][3] .

فهذه الرواية في إنجيل برنابا توضح أن امرأة زكريا (اليصابات) كانت من نسل هارون أخي موسى عليهما السلام .

ومعلوم أن اليصابات وحنة كانتا أختين أما زكريا فهو زوج خالة مريم عليها السلام .

وبالتالي فتكون نسبت مريم إلى جدها الأعلى هارون عليه السلام ، وقولهم

---

(١) التفسير الكبير للإمام الرازي ٢١ / ٢٠٧ – ٢٠٨ .
(٢) انظر الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني ٢ / ٥٠١ .
(٣) انظر إنجيل برنابا الإصحاح الأول .

هذا من باب التشنيع عليها كيف تكون من سلالة الأنبياء وتحمل من غير أن يكون لها زوج ؟ فليس الموضوع خطأ تاريخيا كما زعم « تسدال » ولكنه الأسلوب القرآني المعجز الذي لا يدركه المستشرقون .

ب - القسم الثاني : ما انفرد بذكره القرآن الكريم .

أ - القضايا التي ذكرها القرآن الكريم أو السنة النبوية ولم ترد عندهم في الكتاب المقدس وأنكرها « تسدال » من أجل ذلك :

أ - كلام عيسى - عليه السلام - في المهد .
ب - صنعه من الطين طيرا فيكون طيرا بإذن الله تعالى .
جـ - قصة المائدة .
د - عدم صلب المسيح عليه السلام .
هـ - رجوع عيسى عليه السلام آخر الزمان .

ب - قضايا أخرى :

١ - التبشير برسول الله - ﷺ - .
٢ - قصة خلق آدم عليه السلام من تراب .
٣ - الميزان .
٤ - الأعراف .
٥ - التوافق في معنى آية وحديث بين القرآن والإنجيل .

بالنسبة لهذه النقاط عقد « تسدال » المقارنة فيها بين القرآن والكتاب المقدس ولما وجدها وردت في القرآن فقط ولم ترد في الإنجيل ، أنكرها .

قلت : القرآن الكريم هو الكتاب السماوي الوحيد الذي حفظه الله تعالى من التحريف والتبديل ، والزيادة والنقصان ، قال تعالى : ﴿ **إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون** ﴾[1] .

---

(١) سورة الحجر آية (٩) .

فهذه الآية العظيمة جاءت ردا على « تسدال » وزمرته من السابقين من كفار قريش واللاحقين ممن جاء بعدهم كأمثال هؤلاء المستشرقين القائلين : إنه من صنع محمد وأن فيه اضطراباً وخللًا فالله سبحانه بعلو شأنه ذكر أنه نزل هذا القرآن من لدنه على محمد - ﷺ - بواسطة أمين الوحي جبريل عليه السلام . ونسب حفظه في الماضي والمستقبل لنفسه سبحانه ليسلم من الزيادة والنقصان والتحريف والتبديل ، وجعله معجزا مباينا لكلام البشر بحيث لا يخفى تغيير نظمه على أهل اللسان بخلاف الكتب المتقدمة فإنه لم يتول حفظها ، وإنما استحفظها الربانيون والأحبار فاختلفوا فيما بينهم بغيا قال تعالى : ﴿ **إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور . يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء ..** ﴾ الآية[1] .

لذا أصبح بين أيديهم أكثر من توراة وأكثر من إنجيل .

فتوراة السومريين مثلا غيرها عن العهد القديم . كما أن الأناجيل مئات وتناقضها واضح وبين لكل من اطلع عليها . كما أنه قد اختفى كثير منها كإنجيل الطفولة والولادة ومريم ، وإنجيل السبعين وإنجيل مرقيون ، وإنجيل ريصان ، وإنجيل التذكرة ، وإنجيل سيرين ، وأنكر بعضها ونسب صنعه للمسلمين كما هو الحال مع « إنجيل برنابا » وبقي من بين هذه المئات من الأناجيل أربعة وهي إنجيل متى ، ويوحنا ، ومرقص ، وإنجيل لوقا .

ولكنها كغيرها لم تسلم فدخل محتواها مبالغات وأوهام وتزيين وسجلوا فيها كل ما سمعوه من روايات ومسموعات ونقولات وتوهمات[2] سببتها الظروف التي مرت فيها النصرانية .

ويعتبر النصارى اليوم كل ماعدا هذه الأربعة منحولا ودخيلا ومزورا وقد أشار لهذا بولس في رسالته لأهل غلاطية [إني أتعجب أنكم تنتقلون هكذا سريعا

(١) سورة المائدة آية (٤٤) .
(٢) انظر القرآن والمبشرون صـ ٥٩ .

عن الذي دعاكم بنعمة المسيح إلى إنجيل آخر ليس هو آخر غير أنه يوجد قوم يزعجونكم ويريدون أن يحولوا إنجيل المسيح][(١)] .

والذي نعتقده أن ماورد في القرآن مما أثاره « تسدال » كقصة كلام عيسى عليه السلام في المهد وغيره مما لم يرد في الأناجيل المتداولة اليوم ، أو مما لم يرد فيها بصراحة قطعية قد ورد في النسخة الأصلية من الإنجيل من قراطيس وأناجيل كانت متداولة في أيدي النصارى أو بعض فرقهم، وضاعت ، أو أبيدت فيما ضاع أو أبيد .

والآيات القرآنية كانت تتلى جهرة على الناس ، ويسمعها كثير من النصارى كما حصل مع [النجاشي وبطارقته حين سمعوها من المسلمين المهاجرين لديارهم فبكى النجاشي حتى أخضلت لحيته وبكت أساقفته حتى بللوا مصاحفهم ، حين سمعوا ما تلي عليهم من الحق الموافق لما عندهم . وأكد هذا النجاشي حين قال لمن حوله : (إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة)][(٢)] .

وكما سمعه وفد نصارى نجران حين قابلوا وسألوا رسول الله - ﷺ - عما أرادوا ثم دعاهم رسول الله - ﷺ - للإسلام وتلا عليهم القرآن فلما سمعوه فاضت أعينهم من الدمع ثم استجابوا لله وآمنوا به وصدقوه وعرفوا منه ما كان يوصف لهم في كتابهم من أمره[(٣)] .

فإذا خلت الأناجيل اليوم من مثل هذه الأمور التي ذكرها القرآن فقد ذكرتها أناجيل أخرى لم يعتمدها النصارى اليوم أو كتب سير وتواريخ صحيحة .

ومن هذه الأناجيل التي اندثرت وذكرتها ، إنجيل الطفولة العربي الذي نص عليها بقوله :(تكلم في المهد صبيا ، وحين كان له سنة واحدة قال لأمه : يامريم أنا يسوع ابن الله الذي ولدتني كما بشرك جبريل الملك، وإني أرسلني لخلاص العالم).

---

(١) الكتاب المقدس - رسالة بولس لأهل غلاطية - الإصحاح الأول : (٦ - ٧) .
(٢) انظر سيرة ابن هشام ١ / ٣٦٠ .
(٣) انظر سيرة ابن هشام ٢ / ٣٢ .

كما أن بعض المصادر اليهودية أشارت لعيسى الكلام في المهد حيث جاء عندهم (أخذ الرضيع في المشي فخطا سبع خطوات إلى الأمام وسبع خطوات إلى الخلف وتكلم كما يتكلم الكهل ثم ذهب لينام في مهده بكل تعقل) وإن عد بعضهم هذا من الأساطير .

فإذا أخذنا بعين الاعتبار تاريخ الأناجيل وتدوينها والظروف التي مرت بها وأثرت عليها أدركنا أن ما ذكره القرآن الكريم هو العمدة والمعول عليه ، فما وافقه من الأناجيل أو الكتب النصرانية يكون صحيحا ، وما خالف القرآن منها يكون قد دخله التحريف والتبديل ، والزيادة والنقص . والمسلمون قد انعقد إجماعهم على قيام عيسى بعدد من المعجزات ، منها ما جرى لها ذكر في القرآن فاعتبر المسلمون أن الاعتقاد بها ملزم ومنها ما عرفوه من المصادر المسيحية فلم يدفعوها في الغالب كما لم يدافعوا عنها . وكما أن القرآن – مثله في ذلك مثل أناجيل الطفولة – لا يميز بين المعجزات التي حققها عيسى قبل البعثة وبين المعجزات التي حققها زمن الدعوة فإن المصادر لا تقوم كذلك بهذا التمييز وتضعها جميعا في نفس المستوى .

ومن هذه المعجزات التي ذكرها القرآن ولم تذكرها المصادر النصرانية المعتمدة عندهم اليوم[(١)] .

أ – كلام عيسى – عليه السلام – في المهد :

زعم « تسدال » أن هذه القصة مكذوبة مأخوذة من الأقباط وحصل عليها محمد عن طريق مارية القبطية . أما كلام عيسى فقد تم بعد سن الثلاثين من عمره – عليه السلام – على حد زعم تسدال – وكلامه كان لشجرة التين عندما لم يجد عليها ثمرا في الوقت الذي يجب أن تكون مثمرة فخاطبها (لايكن منك ثمر بعد إلى الأبد)[(٢)] فيبست التينة في الحال . هذا هو سبب توهم محمد لكلام

---

(١) انظر الفكر الإسلامي في الرد على النصارى صـ ٢٦٨ – ٢٦٩ .

(٢) إنجيل متى – الإصحاح الحادي والعشرون فقرة ١٩ .

عيسى – عليه السلام – في المهد[1] .

قلت : إن ما زعمه « تسدال » من تعلم رسول الله – ﷺ – من مارية القبطية أم ابنه إبراهيم جهل منه وذلك لأن مارية سرية رسول الله – ﷺ – أهديت له سنة سبع من الهجرة والمعروف أن سورة مريم قد نزلت قبل قدومها حيث قرأت على النجاشي أثناء هجرة المسلمين للحبشة .

ولم يعلم تاريخيا أن مارية كانت عالمة بالنصرانية ولا عندها اهتمام بنشر تعاليم النصرانية بل إن الله سبحانه شرح صدرها للإسلام وأسلمت من أول أمرها[2] .

أما صرف الكلام في المهد لشجرة التين فهذا أمر لا يقول به عاقل حيث كلامه بعد الثلاثين أمر ليس فيه خلاف وخطابه لشجرة التين أمر شهده بعض تلاميذه كما في نفس الإنجيل وهو من جملة معجزاته المشهودة والكثيرة .

أما أمر كلامه في المهد الذي أنكره « تسدال » فهو حقيقة لا توهم . ومن يعرف حقيقة النصرانية ، وولعها الشديد بالدعاوي التي ترى أنها في صالح فرية تأليه المسيح – عليه السلام – من يعرف ذلك يستغرب إهمال كتب النصارى التي بين أيديهم اليوم الواقعة مثل واقعة كلامه – عليه السلام – في المهد يوم أن برأ ساحة أمه البتول الطاهرة مما رماها به المفترون يوم أن أكرمها الله سبحانه بأن تكون أما لأحد أولي العزم من الرسل ، ويوم أن اصطفاها وطهرها على نساء العالمين ، ورفع ذكرها وأعلى مقامها في الملأ الأعلى وفي جنات النعيم .

إن النصارى يصرون على أن يجعلوا من رسول الله عيسى – عليه السلام – إلها أو ابن إله ، وهم لا يدخرون وسعا لإثبات ذلك حتى وإن اصطدم مع البداهة ، وعارض كل منطق أو حجة . فلماذا إذا لم تذكر واقعة حديثه في المهد

---

(١) انظر مصادر الإسلام لتسدال صـ ١٢٤ .

(٢) انظر الإصابة في تمييز الصحابة ٤ / ٣٩١ .

في أناجيلهم المزعومة . إذا ما رجعنا إلى قضية لا تحتمل التضارب والخلاف ، فقد رأينا كيف اختلفت الأناجيل في نسب عيسى– عليه السلام – الذي اختاروه له ، ثم تخبطوا فيه بشكل لا يترك أي مجال للشك في حقيقة أن هذه الكتب لا يمكن أن تكون وحيا ولا كلام رسول من الرسل . والتي لا يمكن الاعتماد عليها في مجال العقائد . وبالتالي يتبين أن إسقاطها خبرا من الأخبار ، وإهمالها قضية من القضايا مهما بلغت أهميتها ليس بالأمر المستبعد وقد يقع ذلك لمجرد طبيعة هذا النوع من المراجع ، أو لسبب يبيته كتابها ولأمر يقدرونه وحساب يحسبونه .

وعلى ضوء هذه المقدمة التي ذكرتها يمكن أن يعلل وجود قضايا ذكرها القرآن الكريم ولم تذكرها كتب النصرانية ككلامه – عليه السلام – في المهد ونعلل كثيراً منها :

١ – أن الأناجيل قد كتبت في وقت كان اليهود والرومان يضطهدون فيه أتباع المسيح – عليه السلام – ويلاحقونهم بالأذى ، وكانوا يطلقون ألسنتهم في المسيح وأمه وفي المعجزات التي وقعت منه ويتهمونه بأبشع التهم وأشنعها فليس معقولا – والأمر كذلك – أن يفتح كتاب الأناجيل جبهة جديدة للعرب بينهم وبين اليهود والرومان ، وأن يلقوا إلى النار المشبوبة وقودا جديدا يزيدها ضراما ولهيبا ، ويزيد اليهود سفاهة فيه ، وتطاولا عليه ، وتكذيبا له – عليه السلام – .

٢ – إذا علمنا أن كلام المسيح – عليه السلام – في المهد ، كان للحظة عابرة ولم يكن معجزة مستمرة تعيش بين الناس أمدا طويلا ، وأنه إنما حدث للحظات أطفأ بها ثورة عامرة قامت على أمه الصديقة الطاهرة – رضي الله عنها – رماها فيها قومها بأسوأ فرية ، فبرأها الله على لسان ابنها وهو في مهده ، وإذا علمنا أن هذا المولود عاد إلى طبيعته كطفل له كل ما للأطفال من الحاجات ، ويفعل كل ما يفعل الأطفال – ليس إلا – فإذا ما أضفنا إلى ذلك كله قلة الذين سمعوه فالمتصور أن الذين كانوا حولها في تلك الحال ما هم إلا نفر من ذويها ، مهما كثر عددهم ، فلن يزيدوا عن أن يكونوا مجموعة ممن يهمهم أمرها ، وفي ضوء ظروف كالتي وصفناها آنفا فهم إذا ما خبروا عن هذا الذي كان من

الطفل ، ثم حضر المرتاب إليه ليسمع ما يصدق الخبر وجد الطفل لا حول له ولا قوة وهو في مهده وهكذا كان هذا سببا من أسباب صمتهم عن ذكر نطقه – عليه السلام – في المهد فلما كان وقت كتابة الأناجيل كانت تلك الحادثة قد ضاعت في طوفان الأحداث التي اتصلت بحياة المسيح – عليه السلام – والتي انتهت كما هو معلوم بمطاردته لقتله لولا أن نجاه الله سبحانه وتعالى[1] وقد ذكر القرآن الكريم كلام عيسى – عليه السلام – في المهد بقوله : ﴿ .. **فإما ترين من البشر أحدا فقولي إني نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم إنسيا . فأتت به قومها تحمله قالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا . يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا . فأشارت إليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا . قال إني عبد الله أتاني الكتاب وجعلني نبيا . وجعلني مباركا أينما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة مادمت حيا . وبرا بوالدتي ولم يجعلني جبارا شقيا . والسلام علي يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا** ﴾[2] .

كما ذكرت الأحاديث النبوية الصحيحة كلام عيسى عليه السلام في المهد .

ففي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله – ﷺ – قال : (لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة : عيسى ، ثم ذكر قصة جريج ، وقصة المرأة من بني إسرائيل التي تمنت أن يكون ولدها مثل ذي الشارة فقالت : اللهم اجعل ابني مثله ، فترك ثديها وأقبل على الراكب فقال : اللهم لا تجعلني مثله . ثم أقبل على ثديها يمصه .. ثم مر بأمة : فقالت [أي أمه] : اللهم لا تجعل ابني مثل هذه فترك ثديها فقال : اللهم اجعلني مثلها فقالت : لم ذاك فقال : الراكب جبار من الجبابرة ، وهذه الأمة يقولون سرقت ، زنت ، ولم تفعل)[3] .

وروى ابن عباس أن من تكلم في المهد أربعة وهم صغار :

---

(١) انظر رسالة (ميلاد عيسى عليه السلام) لزميلي مسعود الغامدي صـ ٥١٦ – ٥١٩ . وانظر المسيح في القرآن والإنجيل عبد الكريم الخطيب صـ .

(٢) سورة مريم : (٢٦ – ٣٣) .

(٣) انظر صحيح البخاري كتاب الأنبياء ٦ / ٤٧٦ .

(.. ابن ماشطة بنت فرعون ، وشاهد يوسف ، وصاحب جريج ، وعيسى بن مريم عليه السلام)[1] .

ومشاركة عيسى - عليه السلام - في الكلام اثنين أو ثلاثة يدل على إمكانية حصول مثل هذا الأمر لحصوله في فترات مختلفة وأماكن مختلفة .

وغير ممتنع عندنا أن يكمل تعالى عقل الصبي في حال صغره ويبلغه في الفصل مبلغ الأنبياء ، كما لا يمتنع أن يخلق تعالى البشر في الابتداء كامل العقل كما فعله تعالى في خلق آدم عليه السلام[2] .

كما أن المصادر التاريخية أشارت إلى كلام عيسى - عليه السلام - كما أشارت لكلام حصل لغيره في مرحلة طفولته[3] .

ب - صنعه من الطين طيرا فيكون طيرا بإذن الله تعالى :

زعم « تسدال » أن هذه القصة وصلت لمحمد - ﷺ - من كتاب يوناني ساقط اسمه « بشارة توما الإسرائيلي »[4] .

قلت : تشير كتب السير والتفسير أن عيسى عليه السلام ظهرت عليه القدرة منذ كان في الكتاب صبيا لا كالصبيان . وتحقق على يديه في هذه الفترة ثلاث معجزات :

١ - خلقه من الطين طيرا بإذن الله تعالى .
٢ - إخبار الغلمان بما في بيوتهم .
٣ - مسخهم خنازير[5] .

---

(١) انظر تفسير الطبري ١٢ / ١٩٣ .
(٢) انظر الفكر الإسلامي في الرد على النصارى صـ ٢٧٣ نقلا عن المغني في العراب والتوحيد والعدل .
(٣) انظر الكامل في التاريخ ١ / ١٧٧ .
(٤) انظر مصادر الإسلام صـ ١٢٦ .
(٥) انظر سيرة ابن هشام ١ / ١٨٩ ، ٢٢٤ ، ٢٣٢ ، وانظر الفكر الإسلامي في الرد على النصارى صـ ٢٧٤ .

والقصة أن عيسى – عليه السلام – جلس يوما مع غلمان من الكتاب فأخذ طينا ثم قال : أجعل لكم هذا الطين طيرا . قالوا : وتستطيع ذلك قال : نعم . بإذن ربي . ثم هيأه حتى إذا جعله في هيئة الطير نفخ فيه ثم قال كن طائرا بإذن الله . فخرج يطير بين كفيه . فخرج الغلمان بذلك من أمره فذكروه لمعلمهم فأفشوه في الناس وترعرع ..)[1] .

والمسلمون لا ينكرون ولا يستغربون مثل هذه الآيات كما وقع في ذلك النصارى لأنهم مؤمنون بالله وقدرته ورسله وما يُسِّر لهم من معجزات فعيسى – عليه السلام – رسول من الله عز وجل وأيد بمثل هذه المعجزات دلالة على صدقه ، والمعجزات خارجة عن نواميس البشر المعروفة عندهم دالة على صدقه في البلاغ عن ربه ، والمنكر عليه أن يأتي بمثلها وإلا فليسلم .

وعدم ثباتها عندهم ، عهدته على مصادرهم التي دخلها النقصان والزيادة والتحريف والتبديل أما كتابنا الذي ينطق بالحق فقد حفظ من كل ذلك كما سبق أن بينت .

وخلق عيسى من الطين طيرا لا يوصله لأن يكون إلها كما ظنت النصارى وصرح بذلك قساوستهم وذلك لأن هناك فروقا بين خلق الخالق والمخلوق :–

١ – أن صنعة البشر حين يخلق ، فإنما يخلق من موجود ، أما الله تعالى فحين يخلق فإنما يخلق من عدم ، وهذا ما حصل مع عيسى – عليه السلام – .

٢ – الله تعالى حين يخلق يعطي خلقه سرا لايستطيع البشر إعطاءه لما يخلقونه، يعطيه سر الحياة التي بها النمو والتكاثر[2] وعيسى – عليه السلام – كان يخلق بإذن الله الذي هو صاحب هذا السر وهذا ما نص عليه القرآن الكريم والله يمنح نعمه وإفضاله لمن شاء من خلقه .

---

(١) انظر تفسير الطبري ٣ / ٢٧٥ ، وإنجيل الطفولة العربي – ١١٠ نقلا عن مصادر الإسلام صـ ١٢٥ .
(٢) مريم والمسيح صـ ٤٦ .

فعيسى – عليه السلام – لما كان يشكل ويصنع من الطين طيرا كان هذا الطير يبقى جامدا على حاله حتى يدب الله سبحانه فيه الحياة ويكون طيرا بإذن الله تعالى .

وإيراد القرآن لمثل هذه المعجزات التي لعيسى – عليه السلام – شبيهة بإحيائه الأموات والذي هو وارد عندهم في الإنجيل في أكثر من مكان ولأكثر من واحد لدليل على صدق هذا الكتاب وما جاء فيه وحفظه من أن يمس بأي تغيير أو تبديل .

وخلق الطير من الطين فيكون طيرا بإذن الله تعالى لا يبعد كثيرا عن إحيائه لمن سلب سر الحياة فيعود حيا مرة ثانية فكلاهما إحياء لميت[1] .

والأمر ليس بهذه الدرجة من الغرابة كما يتصور المستشرقون فأي إنسان يستطيع أن يشكل طيرا من الطين ، لكن المعجزة في بقية الآية ﴿ **فأنفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله** ﴾[2] تعالى فليس كل واحد بعد ذلك ينفخ فيما شكله فيكون طيرا بإذن الله تعالى لكنها خاصية لرسل الله عليهم السلام .

وإذا استغرب « تسدال » مثل هذا العمل فقد وقع لإبراهيم – عليه السلام – مثله في بعض الحيوانات حيث شقها نصفين كالأربعة من الطير التي ذكرها القرآن فعادت كما كانت[3] . وإن كان في العهد القديم الأمر إشارة لهذا فقط دون تمام القصة[4] .

وقد اعترف بهذه المعجزة القس « فندر » أحد علماء النصرانية الذين كانوا في الهند مشتغلين بالجرح والطعن في الإسلام في كتابه (ميزان الحق) حيث استدل بها على ألوهية المسيح لأن صفة الخلق من صفات الله تعالى وحده[5] وقد

---

(١) انظر إنجيل متى الإصحاح (١٩) فقرة ١٨ – ٣٦ .
(٢) سورة آل عمران (٤٩) .
(٣) سورة البقرة : (٢٦٠) .
(٤) انظر الكتاب المقدس – سفر التكوين الإصحاح الخامس عشر فقرة ١١ ، وما بعدها .
(٥) انظر أدلة اليقين . صـ ٣٦٢ – ٣٦٣ .

بينت الفرق بين خلق الخالق والمخلوق .

فالعجيب من أحوال هؤلاء المستشرقين والمبشرين على السواء أنهم إذا أرادوا أن يطعنوا في القرآن أنكروا مثل هذه المعجزات ، وإذا أرادوا إثبات شيء منها لصالحهم أتوا بهذه المعجزات مسلمين لها ولصحتها ليدعموا بذلك آراءهم !! .

ج – قصة المائدة :

زعم «تسدال» أن منشأ وأصل حكاية المائدة في القرآن عدم فهم محمد – ﷺ – للقصة من الكتاب المقدس وتوهمه العشاء الرباني بأنه المائدة[1] .

قلت : لقد طابق القرآن ما جاء في الأناجيل في نسخه الأصلية الصحيحة مثل : تطهير البرص ، وإحياء الموتى ، وإعطاء بصر للعميان ، لكنه خالف في أمر المائدة حيث قال تعالى : ﴿ **إذ قال الحواريون ياعيسى ابن مريم هل يستطيع ربُك أن ينزلَ علينا مائدة من السماء قال اتقوا الله إن كنتم مؤمنين . قالوا نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبُنا ونعلمَ أن قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين . قال عيسى ابن مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكونُ لنا عيدا لأولنا وآخرنا وآية منك وارزقنا وأنت خير الرازقين . قال الله إني منزلها عليكم فمن يكفر بعدُ منكم فإني أعذبه عذابا لا أعذبُه أحدا من العالمين** ﴾[2] .

والمسلمون لا يصرفون القرآن الكريم وما جاء فيه لمقتضى ما ورد في الكتاب المقدس الذي لم يسلم من التغيير كما بينت .

لذا ما جاء في كتاب الله سبحانه هو الحق من نزول هذه المائدة من السماء حقيقة وليست هي رؤيا « بطرس » التي ذكرها « تسدال »[3] .

---

(١) انظر مصادر الإسلام صـ ١٢٨ – ١٣٠ .
(٢) سورة المائدة آية : ١١٢ – ١١٥ .
(٣) مصادر الإسلام صـ ١٢٩ ، وانظر الرؤيا في أعمال الرسل – الإصحاح العاشر فقره ٩ – ١٦ .

وليست وهما وهمه المسلمون وخطأ فهموه ولكنه نورُ الله من كتابه استرشدوه . ونصها كما في كتاب الله سبحانه : ﴿ **إذ قال الحواريون ياعيسى ابن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء قال اتقوا الله إن كنتم مؤمنين** .. ﴾ ولاشك أن بعض المسلمين قد فهم من الآيات أنها لم تنزل إما :

١ - لأنهم فهموا أنها مثل ضربه الله تعالى لخلقه نهاهم به عن مسألة نبي الله الآيات .

٢ - أو أن القوم لما قيل لهم : ﴿ **فمن يكفر بعدُ منكم فإني أعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين** ﴾[(١)] استعفوا منها فلم تنزل[(٢)] .

والصحيح الذي عليه جمهور المسلمين وأئمتهم أنها قد نزلت[(٣)] ولكنهم اختلفوا في كيفية ذلك وما كان عليها من طعام .

أما إنكار النصارى أمر المائدة ذلك لأنها قادمة من القرآن الكريم وهذه المعجزة كغيرها من المعجزات مما أيد الله سبحانه بها عيسى - عليه السلام - والمعجزات كلها من قبل الله سبحانه وآيات إلهية تحصل بقدرته وحده سبحانه تجري على يد النبي وإجراؤها على يد العبد في معرض التشريف والتقريب هداية لقوم وإضلالا لآخرين ، وهذا لا يلزم أن يكون الذي ظهر على يديه شيء من هذه المعجزات إلها ، كما زعمت النصارى .

والنصارى ينكرون هذه المعجزة مع اعترافهم بما هو أكبر منها وهي معجزة إحيائه للموتى - عليه السلام -[(٤)] .

كما أنهم ذكروا أكثر من مائدة بورك فيها الطعام على يدي عيسى - عليه

---

(١) سورة المائدة آية ١١٢ - ١١٥ .
(٢) الفكر الإسلامي في الرد على النصارى صـ ٢٧٥ .
(٣) تفسير أبي السعود ٣ / ٩٩ .
(٤) انظر إنجيل مرقص الإصحاح السادس فقرة (٢٥ - ٢٨) .

السلام – كإطعامه خمسة آلاف شخص بخمسة أرغفة وسمكتين[1] .

ثم ذكروا نزول هذه المائدة من السماء بناء على دعاء بطرس حيث نزل إناء مثل ملاءة عظيمة مربوطة أطرافه ومدلاة على الأرض وكان في المائدة كل دواب الأرض والوحوش والزحافات وطيور السماء وطلب منه أن يذبح ويأكل ما شاء ثم ارتفع الإناء إلى السماء . ولكنهم اعتبروها رؤيا رآها بطرس لا حقيقة[2] .

وهذا يشير أن ما ذكره القرآن صحيحا وله أصل .

أما التغيير والتبديل والتحريف والزيادة والنقصان عهدته على هذه الأناجيل التي لعبت فيها أيدي الكتبة وعامل الوقت بتغيير صورتها . والنصارى في جملتهم لا يألون جهدا في تكذيب نبينا – ﷺ – وقرآنه وهي القاعدة التي بنوا عليها أمر دينهم وقد صرح بذلك أحد كبار النصرانية في القرن السابع وأكده كثير من المستشرقين والمبشرين في القرن العشرين .

سأل الإمام الرازي هذا النصراني : [.. ألا أخبرتني عن قاعدة أساس دينك ..] .

قال النصراني : قاعدة ديننا مبنية على تكذيب محمد والعمل على عداوته حتى لو وُجِدَ في عصرنا لقتلناه أنجس قتلة ، ولو أظفرنا الله بملوك أمته وعلمائهم وأئمتهم لتقربنا إلى الله تعالى بذبحهم وسلخ جلودهم ، وجلود عبّادهم وزهادهم ، وسائر صلحائهم . ولو وقع بأيدينا كل كتاب لهم من الكتب التي يسمونها بالعلم والحكمة والمعرفة ، وكتب التفسير والحديث ، وصحف القرآن لمزقنا الجميع وألقيناها في سنادس البول والغائط ، ونحن فمتى لم نعتقد أن فعل ذلك من أعظم

---

(١) انظر إنجيل متى الإصحاح ١٤ فقرة ٣ – ٢٢ ، ومرقص الإصحاح ٦ فقرة ٣١ – ٤٤ ولوقا الإصحاح ٩ فقرة ١٠ – ١٧ ، ويوحنا الإصحاح ٦ فقرة ٥ – ١ .

(٢) انظر أعمال الرسل الإصحاح العاشر فقرة ٩ – ١٦ .

العبادات وأفضل القربات لم يصح لنا دين النصرانية ، ولا نتحقق بشيء منه ، كل ذلك لتغالينا في ديننا ، ولاعتقادنا صحته وسقم غيره ..][1] .

ومن هنا يظهر سبب إخفاء بعض الحقائق القرآنية التي وردت في القرآن الكريم ولم ترد في الكتب السابقة كالكتاب المقدس .

د – عقيدة صلب عيسى – عليه السلام – وعقيدة الفداء :

حيث نفاه القرآن الكريم وأثبتته كتب النصارى المعتمدة .

زعم « تسدال » أن محمدا – ﷺ – أخذ هذا المذهب من أشياع وأتباع « باسيليديس » ومريديه الذي كان يعلمهم مثل هذه البدعة – على حد زعمه – وفي ذلك يكون محمد – ﷺ – قد خالف جميع تعاليم الأنبياء والحواريين في ذلك لأنه لابد أن المسيح الموعود به يبذل حياته الكريمة الثمينة ويكفر كفارة تامة كاملة عن خطايا جميع النوع الإنساني . وشهد الحواريون أنهم كانوا حاضرين وشاهدوا بأعينهم مخلصهم مصلوبا[2] .

هذا ما ذكره « تسدال » في أمر هذه الشبهة .

قلت : إن النهاية المأساوية لحياة المسيح ، وعلى نحو غير منتظر بالنسبة إلى المسيح عند اليهود ، كانت نقطة الانطلاق لعملية تأويلية واسعة النطاق سعت إلى تبرير كل الأحداث في السنوات الثلاث الأخيرة من حياته عليه السلام ؛ لهذا السبب ارتبط الاعتقاد بأن تعرض عيسى – عليه السلام – لهذا الموت الشنيع بصلبه كان رغبة منه في فداء الجنس البشري من الخطيئة التي ارتكبها آدم بعصيانه لله سبحانه بأكله من الشجرة التي نهي عن الأكل منها لذا تم الاعتقاد بألوهيته وفي علاقته الفريدة بالله ووجد هذا الإيمان صيغته النهائية في قانون نيقية (Symbole Denicee) الذي نص على أنه (من أجل خلاصنا نزل من السماء

(١) مناظرة في الرد على النصارى صـ ٥١ – ٥٢ .

(٢) انظر مصادر الإسلام صـ ١٣٢ – ١٣٣ .

وتجسد من روح القدس ومن مريم البتول وصار إنسانا .. وأخذ وصلب وقتل أمام « بيلاطس » ومات ودفن وقام في اليوم الثالث كما هو مكتوب ، وصعد إلى السماء وجلس على يمين أبيه ، وهو مستعد للمجيء تارة أخرى للقضاء بين الأموات والأحياء)[1] .

هذه هي فلسفة عقيدة الصلب والفداء في النصرانية والعجيب أن النصارى لم تجمع على قضية عندهم كما أجمعوا على قضية الصلب والفداء .

والقرآن الكريم آخذ اليهود على كفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما ﴿ **وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله** ﴾ ثم بين كذب هذه الدعوى بقوله سبحانه : ﴿ **وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم** ﴾[2] .

ووضح أنه ما قتل ولام صلب بأيد يهودية ولا غيرها عليه السلام ببيان أن الله سبحانه قد تاب على أبينا آدم عليه السلام قال تعالى في ذلك : ﴿ **.. وعصى آدم ربه فغوى . ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى** ﴾[3] .

هذا من جهة . وأنه لا معنى لإرث أبنائه خطيئة لم يرتكبوها ومن جهة أخرى حيث قال سبحانه : ﴿ **ولا تزر وازرة وزر أخرى** ﴾[4] .

وبناء على عقيدتهم وتصورهم للذات الإلهية اختلفوا في الصلب والقتل : (فزعمت النسطورية أن الصلب وقع على المسيح من جهة ناسوته لا من جهة لاهوته . وزعم أكثر الملكانية أن الصلب وقع على المسيح بكماله ، والمسيح هو اللاهوت والناسوت .

وزعم أكثر اليعقوبية أن الصلب والقتل وقعا في الجوهر الواحد الكائن من الجوهرين هما الإله والإنسان ، وهو المسيح على الحقيقة ، وهو الإله ، وبه حلت

---

(١) الفكر الإسلامي في الرد على النصارى صـ ٣٧٧ .
(٢) سورة النساء آية : ١٥٦ – ١٥٨ .
(٣) سورة طه آية : ١٢١ – ١٢٢ .
(٤) سورة الأنعام آية : ١٦٤ .

الآلام ..)[1] .

ولكن بعض النصارى وفقه الله للحق وذكر أنه لا يمتنع أن يكون قد ألقي شبه عيسى على ذلك المصلوب .. وتعليلهم لذلك بقولهم لأن الزمان كان زمان نبي يجوز نقض العادة فيه ، ويكون معجزا لذلك النبي[2] .

أما « برنابا » فقد صرح برفعه إلى السماء وعدم صلبه . قال برنابا : (ولما دنت الجنود مع يهوذا من المحل الذي كان فيه يسوع ، سمع يسوع دنو جم غفير فلذلك انسحب إلى البيت خائفا وكان الأحد عشر نياما . فلما رأى الله الخطر على عبده أمر جبريل وميخائيل ورفائيل وأوريل سفراءه أن يأخذوا يسوع من العالم فجاء الملائكة الأطهار ، وأخذوا يسوع من النافذة المشرفة على الجنوب فحملوه ووضعوه في السماء الثالثة في صحبة الملائكة التي تسبح الله إلى الأبد)[3] .

وهذا ما جاء في القرآن الكريم الحق المبين أن عيسى – عليه السلام – لم يصلب ﴿**ولكن شُبه لهم**﴾ فيجب الاعتماد في هذه القضية وأمثالها على القرآن الكريم المنزل من عند الله سبحانه المحفوظ من التغيير بعكس الأناجيل الأربعة فكل واحد منها رواية آحاد من وضع متى ، ومرقس ، ولوقا ، ويوحنا ، وخبر الأربعة لا يفيد القطع ولا يؤمن عليه التواطؤ على الكذب . وإن كنا لا نطعن في حواري عيسى عليهم السلام لتزكية الله لهم . ولكن الأمر لم يتسلسل تواترا فقد يكون دخل عليه النقص من بعدهم بنسيان أو تعمد حيث فعل مثل هذا بولس الذي أدخل الفلسفة الإغريقية التي فيها كثير من الوثنيات للنصرانية[4] كما أن المتتبع لروايات الصلب في الأناجيل يجد اضطرابا ويجد فيها كلاما لا يصح أن يوصف به نبي من أولي العزم .

---

(١) الفكر الإسلامي في الرد على النصارى صـ ٣٨٣ .
(٢) الفكر الإسلامي في الرد على النصارى صـ ٣٨٥ .
(٣) انظر رسالة بولس وتأثيره في المسيحية صـ ٩٦ – ٩٨ ، وإنجيل برنابا صـ ٢١٥ – ٢١٦ – ٢١٧ .
(٤) انظر إنجيل برنابا صـ ٢١٥ : ١ – ٨ .

وسأذكر بعض تناقض الأناجيل في هذه القصة لأبين أن هناك أكثر من ناحية ترد هذه العقيدة الباطلة .

فمن ناحية النصوص هي مردودة لاضطراب الأناجيل والكتب النصرانية فيها . من ذلك :

١ – جاء في إنجيل متى أنهم أعطوه خلا ممزوجا بمرارة في موضع يقال له : جلجثة وهو المسمى موضع الجمجمة . بينما إنجيل مرقس يرى أنهم أسقوه الخل وهو مصلوب في الساعة التاسعة[١] .

كما أنه معروف من سيرته – عليه السلام – أنه كان يصبر عن الجوع والعطش أربعين فكيف هذا وهنا لم يصبر من الصباح للمساء ؟! .

٢ – ذكر إنجيل مرقس أن عيسى – عليه السلام – صرخ بصوت عظيم وهو مصلوب قائلا الوي .. الوي .. لما شبقتني ؟. الذي تفسيره (إلهي .. إلهي .. لماذا تركتني ؟)[٢] .

هذه العبارة تقتضي عدم الرضا بالقضاء وعدم التسليم لأمر الله تعالى مع أنه – بزعمهم – أنه جاء ليفدي البشرية من عذابها ووصمة الخطيئة . وهذا يتنزه عنه مقام النبوة ولا يقبل في حق هذا النبي – عليه السلام – الذي هو من أولي العزم من الرسل .

٣ – ذكر إنجيل متى : أن يهوذا الأسخريوطي أخذ ثلاثين من الفضة ليسلمه لهم ويدلهم عليه[٣] مع أن نفس الإنجيل ذكر أنه كان يخالطهم في مجامعهم وهياكلهم ويناظرهم حتى كانوا يقولون : أليس هذا ابن يوسف ؟ أليست أمه

(١) انظر إنجيل متى الإصحاح السابع والعشرون فقرة ٣٢ – ٣٥ . وإنجيل مرقس الإصحاح الخامس عشر فقرة ٣٣ – ٣٦ .
(٢) إنجيل مرقس – الإصحاح الخامس عشر فقرة ٢٤ .
(٣) إنجيل متى الإصحاح الخامس والعشرون فقرة ١٤ – ١٦ .

مريم ؟ أليس أخواه عندنا ؟ فمن أين له هذه الحكمة ؟[1] ليس هذا يدل على تناقض .

الناحية التاريخية تبطل قضية الصلب والفداء :

المعروف أن خبر الصلب لم ينتشر إلا بعد نحو مائتين وثلاثين سنة من صلب عيسى – على حسب زعمهم – وهذا لا يسير مع حجم الحدث وهي مردودة كذلك من :

الناحية العقلية : من ذلك :

١ – إذا كان الله سبحانه لم يرد الانتقام من آدم – عليه السلام – لمعصيته فمن باب أولى أن يعفو عن الذنب ويتوب عن المذنب ، ولا يحمله لغيره من باب العدل الإلهي .

٢ – النصارى تقول إن عيسى – عليه السلام – إله فكيف يوقع الإله عقوبة على الذي هو إله مثله أو هو جزء منه .

٣ – النصارى يعتقدون أن الصلب وقع على الناسوت فقط وهم يقولون إن الناسوت في اللاهوت كالماء في اللبن جوهران أصبحا جوهرا واحدا فكيف يعقل هذا ؟! .

٤ – الله سبحانه « العدل » فكيف يعاقب إنسانا عن ذنب غيره فهل هذا يتمشى مع روح العدل الإلهي سبحانه .

٥ – لماذا لم تذكر التوراة أمر لصوق الخطيئة ببني آدم وفيهم الأنبياء وقد ذكرت ما هو أدنى من ذلك مع أن هذا الأمر من الأهمية بمكان . كيف لا وهو قد حكم على جميع بني آدم بالجحيم حتى الأنبياء لتوارثهم خطيئة أبيهم حتى جاء عيسى – عليه السلام – ليخلصهم من ذلك .

---

(١) انظر كتاب بين المسيحية والإسلام صـ ١٦٤ – ١٦٨ .

٦ – إذا كان عيسى – عليه السلام – إلها وقد صلب ودفن كما يقولون فمن الذي أمسك السموات من السقوط والأرض أن تميد ومن دبر شؤون الخلق في هذه اللحظات التي غاب فيها الإله .

إن هذا إلا افتراء تعالى الله سبحانه علوا كبيرا عما يقولون .

وفي خاتمة هذا الرد أريد أن أسجل اعترافا لهم يدينهم من إنجيلهم وهو أن عيسى – عليه السلام – أشار قبل رفعه إلى هذا الرفع وهو ما تبطل به عقيدة الصلب .

ذكر مرقس في إنجيله أن رئيس الكهنة سأل عيسى – عليه السلام – [.. أنت المسيح بن المبارك ؟ فقال يسوع : أنا هو . وسوف تبصرون ابن الإنسان جالسا عن يمين القوة وآتيا في سحاب السماء][1] .

أليس هذا نصاً في الإنجيل الذي به يعتقدون ويقولون : إنه كلمة الله الصحيحة . فكيف بكم تخالفونه ، وتعتقدون سوى ذلك ، وتكذبون أخبار نبيكم عيسى – عليه السلام – بهذا الأمر . فهذا النص وأمثاله يثبت ما نعتقده في حق الإنجيل أنه غير الإنجيل الذي نزل على عيسى – عليه السلام – لما فيه من اضطراب ، وما اعتراه من تحريف لا يصح أن يكون كلمة الله .

وإن كان بقي فيه بعض الصحة كهذه الفقرة التي وافقت ما جاء في القرآن الكريم من عدم صلبه – عليه السلام – بل رفعه الله سبحانه تعظيما لشأن هذا النبي ولأمر قدره في عودته ليرفع راية الإسلام ويهلك عدو الله المسيح الدجال . كما أن عيسى أخبر تلاميذه أنه سيرفع ويذهب إلى أبيه وأبيهم[2] .

فبهذه الردود نكون قد نقضنا هذه العقيدة الزائفة ، والفكرة المفتراة . والدعوى الباطلة وظهر هيمنة القرآن في كل ما أخبر به عن الكتب السابقة وأخبار

---

(١) إنجيل مرقس الإصحاح ١٤ فقرة ٦١ – ٦٣ .
(٢) إنجيل يوحنا الإصحاح ١٤ فقرة ١٦ .

أهلها لمّا في مثل هذه المواقف القرآنية من تصفية لعقائد الناس كلهم حتى عند الذين حرفوها وضلوا بها من النصارى ومن غضب الله عليهم من اليهود . وفي ذلك تكريم للأنبياء وتشريف لهم وأدب جم بحضرتهم ولأشخاصهم أحياء وأمواتا .

هـ – نزول عيسى – عليه السلام – في آخر الزمان :

زعم « تسدال » أن هذا الاعتقاد عندهم ناشيء عن عدم فهم لعبارة واردة في أعمال الرسل التي تفيد بأنه – عليه السلام – أقام مع تلاميذه أربعين يوما بعد قيامته كما أنهم استندوا إلى كتابين ساقطين وهما (نياحة أبينا القديس الشيخ يوسف النجار) وكتاب (تاريخ رقاد القديسة مريم) .

لذا رجح أن يكون منشأ هذا الاعتقاد من المسلمين جهلة أصحاب البدع والضلالة .. هذا كله على حد تعبيرات « تسدال »[(١)] .

قلت : إن هذه القضية وقع تلاميذ المسيح فيها بشك واضطراب لأنها مبنية على قضية أخرى هم مضطربون فيها وهي قضية رفع المسيح – عليه السلام – بعد قيامه من قبره وظهوره لتلاميذه كما هم ذكروا ذلك ، فلوقا ذكر في إنجيله أنه ارتفع إلى السماء بعد قيامه من قبره[(٢)] بأربعين يوما[(٣)] وبعضهم قال : بل بعد أحد عشر عاما وقد خالف لوقا بذلك الاعتقادات القديمة القائلة : أن القيامة والصعود له حدثا في نفس الوقت في حين لم يذكره « بولس » ، و « كليمنت » و « أجناتيوس » و « هرمس » و « بوليكارب » وغيرهم[(٤)] .

وقد حدد بعضهم جلوسه عن يمين الله عز وجل[(٥)] أما بعضهم زعم أن

---

(١) انظر مصادر الإسلام صـ ١٣٧ – ١٣٩ .
(٢) انظر إنجيل لوقا – الإصحاح الثالث والعشرون فقرة ٣٥ – ٤٣ .
(٣) انظر سفر أعمال الرسل – الإصحاح الأول فقرة (٣) .
(٤) انظر المسيح في مصادر العقائد المسيحية صـ ٣٠٥ . وانظر إنجيل لوقا ٢٤ : ٥١ .
(٥) انظر أعمال الرسل ٢ – ٣٢ .

المسيح نزل إلى الجحيم كما جاء في « قانون إيمان الرسل » على لسان « توما » حيث قال : إنه نزل إلى الجحيم ، وفي اليوم الثالث قام ثانية من الأموات .

وهذا القانون موجود في (كتاب الصلوات للكنيسة المتحدة في انجلترا وإيرلندا) وقد جاء كذلك في إنجيل « نيوقديموس » أن آدم وإبراهيم والأنبياء استقروا في الجحيم بعد الموت إلى أن نزل إليهم المسيح ثم صعد بهم إلى الفردوس في السماء حيث قابلوا ثلاثة من بني آدم لم يذوقوا الجحيم[1] . وهذا يناقض موقف كل كتب السماء من أنبياء الله عز وجل حيث حرم الله عليهم النار ، وانتقالهم يكون إلى النعيم مباشرة فهذا يؤكد أن الأناجيل والمصادر المسيحية قائمة على الشكوك وغيوم الظنون والأوهام ؛ وذلك لأن النصرانية مشتقة من اليهودية المتخبطة في شؤون العقيدة والتوحيد . أما شأن عودته مرة ثانية الذي أنكره « تسدال » واعتبره من الفهم الخطأ لنا وأن مرجعه مبتدعة النصارى فقد ذكر الإنجيل هذا الأمر في أكثر من موطن بكل وضوح مخالفا قول « تسدال » الذي يقلب الحقائق لإبطال القرآن وتخطئته وزعمه أن ذلك لأن محمدا أخذ من مصادر شتى بزعمه ..

جاء في إنجيل « مرقس » بعد ذكر الأحداث الكونية التي تسبق يوم القيامة [.. وأما في تلك الأيام بعد ذلك الضيق فالشمس تظلم والقمر لا يعطي ضوءه ونجوم السماء تتساقط والقوات التي في السماء تتزعزع وحينئذ يبصرون ابن الإنسان آتيا في سحاب بقوة كثيرة ومجد ..][2] .

وهذه الأحداث الكونية والإرهاصات موافقة لما ذكره القرآن الكريم من أشراط الساعة وقد جاء الرفع إلى السماء والنزول منها ثانية لعيسى – عليه السلام – واضحا في سفر أعمال الرسل حيث قال : [.. إن يسوع هذا الذي ارتفع عنكم إلى السماء هكذا كما رأيتموه منطلقا إلى السماء ..] .

---

(١) انظر المسيح في مصادر العقائد المسيحية صـ ٣٠٦ – ٣٠٧ .
(٢) إنجيل مرقس الإصحاح ١٣ .

وقد أوصاهم أن لا يبرحوا أورشليم وينتظروا عودته ولما سألوه عن وقت ذلك رد الأمر في ذلك لله سبحانه صاحب السلطان[1] .

ومن هنا يظهر صواب ما جاء في السنة النبوية الشريفة من عودة المسيح – عليه السلام – آخر الزمان حكما عدلا بشريعة الإسلام ، يكسر الصليب رمز العقيدة الفاسدة ويقتل الخنزير ، ويقتل الدجال في باب اللد في فلسطين ، ويضع الحرب بعدها ، ويفيض المال على الناس في عصره حتى لا يقبله أحد فيصلي مع المسلمين الصلوات ، ويجمع الجمع ، ويجيء من أمور شرعنا ما هجره الناس ، ويكون خليفة رسول الله – ﷺ – في أمته من بعده في آخر الزمان . فيمكث فيهم أربعين سنة .

عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله – ﷺ – :

« .. فيقتل الخنزير ويمحو الصليب وتجمع له الصلاة ، ويعطى المال حتى لا يقبل ، ويضع الخراج ، وينزل الروحاء فيحج منها أو يعتمر أو يجمعهما » . قال : وتلا أبو هريرة **﴿ وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا ﴾**[2] .

وفي رواية أخرى عن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن النبي – ﷺ – قال : « ليس بيني وبين نبي – يعني عيسى – وأنه نازل ، فإذا رأيتموه فاعرفوه . رجل مربوع إلى الحمرة والبياض ، بين ممصرتين ، كأن رأسه يقطر وإن لم يصبه بلل ، فيقاتل الناس على الإسلام ، فيدق الصليب ويضع الجزية ، ويهلك الله في زمانه الملل كلها إلا الإسلام ، ويهلك المسيح الدجال ، فيمكث في الأرض أربعين سنة ، ثم يتوفى فيصلي عليه المسلمون »[3] .

---

(١) انظر سفر أعمال الرسل الإصحاح الأول فقرة ١ – ١٢ .
(٢) مسند الإمام أحمد ٢ / ٢٩٠ .
(٣) مسند الإمام أحمد ٢ / ٤٣٧ .

وقد جمع الإمام السيوطي –رحمه الله– كتابا في نزول عيسى بن مريم عليه السلام[1] – آخر الزمان وقد روي فيه ثمان وستون حديثا في نزوله عن ست وعشرين صحابيا تقريبا، وثمان من التابعين تقريبا. وقد كتب زميلي «عبد العزيز كجك » رسالة ماجستير في رفع عيسى – عليه السلام – ونزوله آخر الزمان رجح فيها درجة التواتر المعنوي للأحاديث الواردة في ذلك[2] . وذكر الإجماع على نزوله وقد استدل القائلون بعودته من القرآن الكريم بقوله تعالى : ﴿ **وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته** ﴾[3] .

وقد رجح الأستاذ العقاد فكرة المسيح المنتظر عند الأمم بقوله :

[.. يدل علم المقارنة بين الأديان على شيوع الإيمان بالخلاص وظهور الرسول المخلص في زمن مقبل .. وقد يشتد هذا الأمل حين تشتد الحاجة إليه . فكان المصريون الأوائل يترجون المخلص المنقذ بعد زوال الدولة القديمة .. وقد كان البابليون يؤمنون بعودة « فروخ » إلى الأرض فترة بعد فترة .. وكان المجوس يؤمنون بظهور رسول من إله النور كل ألف سنة يبعث في جسد إنسان . وقيل : إنه هو « زرادشت » رسول المجوسية الأكبر .. أما الإيمان بظهور رسول إلهي يسمى « المجوسية » خاصة فلم يعرف بهذه الصيغة قبل كتب التوراة وتفسيراتها ، أو التعليقات عليها في التلمود والهاجادا وما إليها ..][4] .

كما أن اليهود يعتقدون بقدوم مسيح لهم يقيم لهم دولتهم المزعومة . كما أن القاديانية والبهائية من الفرق الضالة تزعم أنه عاد وهو زعيمهما[5] . والحق أن المسيح المراد كما بينت هو عيسى بن مريم – عليه السلام – .

---

(١) انظر نزول عيسى بن مريم – عليه السلام – ونزوله آخر الزمان .

(٢) انظر رسالة رفع عيسى – عليه السلام – ونزوله آخر الزمان مقدمة لجامعة الإمام لنيل درجة الماجستير لسنة ١٤٠١ هـ / ١٤٠٢ هـ .

(٣) سورة النساء آية ١٥٩ .

(٤) انظر كتاب (حياة المسيح) للأستاذ العقاد صـ ٣٥ ٣٧ .

(٥) رفع عيسى عليه السلام ونزوله آخر الزمان صـ ٢٣٨ .

بهذا البيان تسقط شبه « تسدال » وأمثاله ويظهر بطلان مزاعمهم وهيمنة القرآن الكريم بما ذكره .

والله الموفق للسداد والصواب .

ب - قضايا أخرى متفرقة :

١ - التبشير بنبوة محمد - ﷺ - .

أنكر « تسدال » أن تكون الكتب المقدسة بشرت بنبوة محمد - ﷺ - وصرف التبشير لعيسى - عليه السلام - وزعم أن العرب أخطأت في فهم معنى كلمة فارقليط حيث توهموا أنها بمعنى « أحمد » ولكن معناها الحقيقي معز[١] .

قلت : لا غرابة أن ينكر « تسدال » نبوة محمد - ﷺ - وكذلك لا غرابة أن ينكر إلهية قرآنه ويزعم أنه بشري المصدر ، مجمع من ديانات وآراء شتى طمعا في جمع الناس على دين موحد حبا في السيادة والقيادة . فهذا الأمر إذن من جملة إنكارات « تسدال » ومن جملة مزاعمه .

والمعروف أنه ما من نبي جاء إلا وكان يبشر بالنبي الذي يأتي بعده ويأخذ الميثاق على قومه أن يؤمنوا به وينصروه .

فهذا موسى - عليه السلام - في وصاياه يخبر بقدوم سيدنا عيسى - عليه السلام - ويبشر بقدوم خاتم الرسل عليه الصلاة والسلام . جاء في العهد القديم : [قال : جاء الرب من سيناء (أي موسى عليه السلام) وأشرق من ساعير (وهو عيسى عليه السلام) واستعلن من جبل فاران (وفاران مكة والذي بعث فيها هو محمد - ﷺ -)][٢] .

كما نقل عن زرادشت تبشيره بمحمد - ﷺ - حيث قال : [تمسكوا

---

(١) مصادر الإسلام صـ ١٣٤ - ١٣٥ .

(٢) انظر الكتاب المقدس - سفر التثنية الإصحاح ٣٣ فقرة ٢ .

به إلى أن يجيئكم صاحب الجمل الأحمر][1] .

حتى ملائكة الله – كما ذكرت التوراة – أخبرت هاجر أم اسماعيل – عليهما السلام – عند « عين ثور » بأنه سيكون من ذرية كثيرة [وسيكون من هذه الذرية واحد تدين له معظم الدنيا والنص : كما في التوراة [.. وقال لها ملاك الرب تكثيرا أكثر نسلك فلا يعد من الكثرة . وقال لها ملاك الرب : ها أنت حبلى فتلدين ابنا وتدعين اسمه إسماعيل لأن الرب قد سمع لمذلتك . وأنه يكون إنسانا وحشيا . يده على كل واحد ويد كل واحد عليه وأمام جميع إخوته يسكن][2] .

كما ذكرت التوراة كلام الرب لموسى – عليه السلام – أنه سيبعث فيهم رسولا ومن يخالفه فإن الله سيطالبه والنص هو : [.. أقيم لهم نبيا من وسط إخوتهم مثلك وأجعل كلامي في فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به ، ويكون أن الإنسان الذي لا يسمع لكلامي الذي يتكلم به باسمي أنا أطالبه ...][3] .

فهذا النص صريح أنه سيبعث لهم نبيا ليس منهم بل من بين إخوتهم وليس ذلك إلا محمد – ﷺ – والأناجيل كلها ذكرت أنهم سيعطون معزيا ومخلصا آخر إلى يوم القيامة و لم يأت رسول بعد عيسى – عليه السلام – إلا سيدنا – محمد – ﷺ – .

جاء في إنجيل يوحنا : [وأنا أطلب من الأب فيعطيكم « فارقليطا » معزيا آخر ليمكث معكم إلى الأبد][4] .

أما كلمة « الفارقليط » التي زعم « تسدال » أنها غير موجودة وحرف معناها عن أحمد إلى معزي .

---

(١) الأديان في القرآن صـ ٨٢ .
(٢) الكتاب المقدس الإصحاح السادس عشر الإصحاح فقرة ٧ – ١٢ .
(٣) الكتاب المقدس ١٤ / ٢٢ – ٢٩ (بمعناه) .
(٤) الكتاب المقدس الإصحاح ١٤ فقرة ١٥ .

فهذه الكلمة موجودة في أصل الإنجيل بنسختيه اليونانية والعبرية ولكن الترجمة العربية غيرت معنى أحمد إلى المعزي والمخلص ليخالفوا بذلك القرآن الكريم الذي نص على تبشيره كل من التوراة والإنجيل بأحمد (محمد - ﷺ -) والكلمتان «فارقليط أو بارقليط» اليونانيتان والذي زعم « تسدال » أن المسلمين فهموها خطأ وأنهما بعيدتان في المعنى عن بعضهما .

قال الأستاذ « رحمت الله الهندي » في رده على هذه النقطة أثناء رده على القس « فندر » : [أصل « فارقليط »[1] معرب من اللفظ اليوناني « باراكلي طوس » فيكون معناه المعزي ، أو المعين أو الوكيل وإن قلنا أن اللفظ الأصلي « بيرو كلوطوس » فيكون معناه قريبا من محمد وأحمد والتفاوت بين اللفظتين يسير جداً ، وأن الحروف اليونانية متشابهة فتبدلت بيرو كلوطوس بباراكلي طوس][2] .

وقد نقل ابن إسحاق في سيرته لفظا آخر بدلا من « فارقليط » « المنحمنا » وهذا اللفظ كان موجودا في الإنجيل نقلا عن الحواري يحنس والنص :

[وقد كان ، فيما بلغني عما كان وضع عيسى بن مريم فيما جاءه من الله في الإنجيل لأهل الإنجيل من صفة رسول الله - ﷺ - ، مما أثبت يحنس الحواري لهم ، حين نسخ لهم الإنجيل عن عهد عيسى بن مريم - عليه السلام - في رسول الله - ﷺ - إليهم أنه قال : من أبغضني فقد أبغض الرب ، .. ولكن لابد من أن تتم الكلمة التي في الناموس : أنهم أبغضوني مجانا ، أي باطلا ، فلو قد جاء المنحمنا هذا الذي يرسله الله إليكم عند الرب ، وروح القدس هذا الذي خرج من عند الرب خرج فهو شهيد علي وأنتم أيضا ، لأنكم قديما كنتم معي ،

(١) كلمة فارقليط اليونانية أصلها بالعبري (بيرقليط) وهي لغة المسيح ، والتي معناها محمد وأحمد ولكن النصارى حرفوها إلى (بارقليطوس) ثم حذفوها ووضعوا مكانها المعزي والمعين والوكيل . وقد كان هذا الاسم (بيروقليط) موجودا في التراجم الحديثة سنة ١٨٢١ م ، ١٨٣٢ م ، ١٨٤٤ م ، المطبوعة بلندن . انظر حاشية كتاب هداية الحيارى صـ ١٢٠ .

(٢) انظر إظهار الحق صـ ٤٢٠ - ٤٢١ .

في هذا قلت لكم لكيما لا تشكوا والمنجمنا [بالسريانية] : محمد . وهو بالرومية : البيرقليطس - ﷺ][1] .

أما نصوص الأناجيل الأربعة اليوم فقد جاء اسمه - ﷺ - بلفظ المعزي ، أو المخلص ، أو الوكيل ، فمثلا : جاء في إنجيل يوحنا [.. ومتى جاء المعزي الذي سأرسله إليكم من الأب روح الحق الذي من عند الأب ينبثق فهو يشهد لي][2] .

وذكر لفظ المخلص بقوله : [وأما المعزي الروح القدس الذي سيرسله الأب باسمي فهو يعلمكم كل شيء ، ويذكركم بكل ما قلته لكم][3] .

وقد جاء وصفه - ﷺ - في الزبور وكم سيبلغ مدى سلطانه وخضوع الملوك والأمم له وإرسال الملوك الهدايا له حتى أن اسمه سيكون قبل الشمس وذلك لمعرفة القاصي والداني به وهذا ما كان قال الزبور : [.. يشرق في أيامه الصديق وكثرة السلام إلى أن يضمحل القمر ، ويملك البر إلى البحر،من الهند إلى أقاصي الأرض ، أمامه تجثوا أهل البرية ، وأعداؤه يلمون التراب ، وملوك ترتيش والجزائر يرسلون تقدمه ، ملوك شبا وسبأ يقدمون هدية ، ويسجد له كل الملوك ، ويصلي لأجله دائما اليوم كله يباركه ... ويزهرون من المدينة مثل عشب الأرض يكون اسمه إلى الدهر قدام الشمس ويمتد اسمه ، ويتباركون به كل أمم أهل الأرض يطوبونه ..][4] .

وقد وصف كذلك في سفر أشعيا بقوله : [هو ذا عبدي أعضده مختاري الذي سرت به نفسي . وصعق روحي عليه فيخرج الحق للأمم لا يصيح ولا يدفع ولا يسمع في الشارع صوته . قضية مرضوضة لا يقصف وفتيلة خامدة لا يطفيء .إلى الأمان يخرج الحق . لا يكل ولا ينكسر حتى يضع الحق في الأرض

(١) انظر سيرة ابن هشام ١ / ٢٤٨ .
(٢) إنجيل يوحنا الإصحاح ١٥ فقرة ١٦ .
(٣) نفس المرجع الإصحاح ١٤ فقرة ٢٦ .
(٤) انظر الكتاب المقدس - سفر المزامير ، المزمور الثاني والسبعون لسليمان عليه السلام فقرة ١ - ١٩ .

وتنتظر الجزائر شريعته ..][1] .

والنصوص في الكتب السابقة كثيرة جدا وخاصة الكتاب المقدس ولكن أكتفي بهذه وفيها المبلغ للرد على « تسدال » وزمرته .

أما كتب التاريخ فقد شهدت على انتشار خبر مقدم رسول الله – ﷺ – والتبشير بقرب بعثته قبل أن يبعث والإرهاصات والدلائل التي تشير أنه محمد – ﷺ – من يوم أن حملت به أمه إلى بعثه فمن ذلك :

١ – ثبت بالأخبار القريبة من التواتر أن « شقا وسطيحا » كانا كاهنين يخبران بظهور نبينا محمد – ﷺ –[2] .

٢ – قصة حليمة السعدية وأنها كانت تعرض رسول الله ﷺ – على اليهود كلما مر بها جماعة منهم وتحدثهم بشأنه فكانوا يحضون على قتله فتهرب منهم كما أن نصارى من الحبشة عرفوه أنه النبي المنتظر فأرادوا أخذه من حليمة لملكهم وانفلتت منهم بصعوبة[3] .

٣ – أنهم اتفقوا على أن بحيرا الراهب عرف الرسول – ﷺ – بعلامات النبوة التي فيه وحذر أبا طالب عليه من يهود طالبا منه أن يرجع به لمكة المكرمة[4] .

٤ – معرفة أحبار اليهود ، ورهبان النصارى ، وكهان العرب من شياطينهم صفة محمد – ﷺ – وصفة زمانه ، وما كان من عهد أنبيائه إليهم فيه وإنذار اليهود به فلما بعث كفروا به[5] .

٥ – سلمان الفارسي – رضي الله عنه – الذي أسلم بعد ما استدل على

---

(١) سفر أشعيا الإصحاح الثاني والأربعون فقرة ١ – ٤ .
(٢) انظر سيرة ابن هشام ١ / ١٥ – ١٩ .
(٣) انظر سيرة ابن هشام ١ / ١٦٨ ، ١٧٧ .
(٤) نفس المرجع ١ / ١٩١ .
(٥) نفس المرجع ٢١٧، ١٧٧ .

رسول الله - ﷺ - بعلامات كان يعرفها من راهب عمورية حيث صحبه أخيرا وذكرها له[1].

٦ - إسلام حبر اليهود وأحد علمائهم عبد الله بن سلام بن الحارث الذي عرف صفة رسول الله - ﷺ - واسمه وزمانه[2].

٧ - ورقة بن نوفل وإخباره رسول الله - ﷺ - أنه نبي هذه الأمة وما جاءه هو الناموس الذي نزل على موسى عليه السلام[3].

٨ - خبر رسول الله - ﷺ - مع يهود بني قينقاع من أهل المدينة حيث قال لهم: « يا معشر يهود احذروا من الله مثل ما نزل بقريش من النقمة وأسلموا فإنكم قد عرفتم أني نبي مرسل تجدون ذلك في كتابكم وعهد الله إليكم[4].

هذا غيض من فيض من الأدلة التاريخية الدالة على معرفتهم ببعثته - ﷺ - وتعرفهم عليه بأوصافه لما عرفوا ذلك من كتبهم وإخبار أنبيائهم لهم.

ومن هنا يظهر لنا من خلال الروايات التاريخية والنقول من الكتب المقدسة كم كان هؤلاء المستشرقون والمبشرون ظالمون ومفترون على رسول الله - ﷺ - وأنهم يعرفون الحق ولكنهم عنه يحيدون فهم ممن أضلهم الله على علم. ولم يكونوا علميين في مناهجهم أبداً فضلوا وأضلوا.

وفي هذا مبلغ للرد على « تسدال » وزمرته بافتراءاتهم وتحريفاتهم.

ولله الفضل والمنة

---

(١) نفس المرجع ١ / ٢٣١ .

(٢) نفس المرجع ٢ / ١٦٣ - ١٦٤ والبداية والنهاية ٣ / ٢١٠ .

(٣) نفس المرجع ١ / ٢٥٣ - ٢٥٤ .

(٤) انظر البداية والنهاية لابن كثير ٤ / ٣ .

٢ - القضايا المتبقية سيكون ردي عليها برد واحد وهي :

١ - قصة خلق آدم من تراب ،
٢ - والتشابه في ذكر الميزان والأعراف .
٣ - التشابه في ورود معنى آية وحديث في القرآن والإنجيل .
٤ - المرور على الصراط .

قلت : « زعم تسدال » أن قضية نزول الملاك من السماء لأخذ شيء من أديم الأرض لله سبحانه ليخلق منها آدم - عليه السلام - أنها مأخوذة من أقوال « مرقيون » وهو يوناني من أصحاب البدع المارقين عن الدين القويم .

أما قصة : خلق آدم من تراب فهي واردة في التوراة والقرآن ونصها في الكتابين .

جاء في القرآن الكريم أن : ﴿ **إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون** ﴾[١] كذلك جاء في السنة عن النبي - ﷺ - قال : « أن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض فجاء بنو آدم على قدر الأرض ... الحديث »[٢] .

وجاء في التوراة : [... وجبل الإله آدم ترابا من الأرض ونفخ في أنفه نسمة حياة . فصار آدم نفسا حية ، وغرس الرب الإله جنة في عدن شرقا ، ووضع هناك آدم الذي جبله .. وجبل الرب الإله من الأرض كل حيوانات البرية وكل طيور السماء ..][٣] .

فالكتابان أذن متفقان على أن آدم - عليه السلام - خلق من تراب وهذا لاتحاد المصدر . أما الاختلاف الذي وجهه « تسدال » فقط في هل خلقه الله

---

(١) سورة آل عمران آية (٥٩) .
(٢) انظر سنن أبي داود ٤ / ٢٢٢ كتاب السنة باب ١ ومسند الإمام أحمد ٤ / ٤٠٠ .
(٣) العهد القديم - سفر التكوين الإصحاح الثاني فقرة ٧ - ٩ ، ١٩ .

بيده أو خلقه بواسطة ملائكته التي أحضرت مكوناته الأساسية (التراب) ثم نفخ الله سبحانه فيه من روحه .

ولكني لم أجد في الكتب المعتمدة أن الذي أحضر التراب أحد من الملائكة ولكن الأمر منسوب لله سبحانه نفسه كما في التوراة ويمكن أن يكون ما ورد في كتاب (عرائس المجالس) للثعلبي مأخوذ من الإسرائيليات والمعروف أن هذا الكتاب مليء بالأحاديث الضعيفة والموضوعة والإسرآئيلية كالرواية المنسوبة لعبد الله ابن سلام .

إذن فلا مجال لاعتراض « تسدال » علينا والملاحظ على « تسدال في هذا البحث أن كل ما ورد من كتب نصرانية خالفته اعتبرها شاذة ، وموضوعة ، واعتبرها لفرق ضالة . ولكنا نحن نقول هو من الكتب الإسلامية التي تحتاج إلى تهذيب وتنقية مما دخلها من الإسرائيليات .

أما زعم « تسدال » أن الميزان والصراط والمرور عليه والأعراف ، كلها مأخوذة من قدماء المصريين من كتابين : (كتاب عهد إبراهيم) الذي ألف قبل الهجرة بأربعمائة سنة (٤٠٠) . وكتاب (الأموات) الذي وجد بخط اليد في قبور قدماء المصريين[(١)] .

قلت : إن دعوة التوحيد دعوة ربانية نزل بها أبو البشرية آدم - عليه السلام - وكان يعلمها لذريته . وكلما زاغت فئة من ذريته - عليه السلام - كان الله سبحانه يرسل لهم من رسله من يرشدهم للصواب ، ويذكرهم بدعوة أبيهم آدم - عليه السلام - .

ومن هذه الأمم التي بلغتها دعوة التوحيد قدماء المصريين . فقد تبنى هذه الدعوة الشاب المصلح «أخناتون » الذي كان داعية التوحيد بين قدماء المصريين . ويحتمل أن هذه الدعوة قد بلغته بالتأثر بدعوة أحد الأنبياء في عصره في بلاد الشام ، أو عن طريق اطلاعاته على ما كتب ممن سبقوه من أهل المعتقدات .

---

(١) انظر مصادر الإسلام صـ ١٤٥ - ١٤٦ .

وقد اعتقد المصريون بالموت والبعث والحشر ووزن الأعمال والنعيم والعذاب ، وغير ذلك من قضايا العقيدة ، ووضعت الأحكام والتشريعات والأخلاق عندهم متمشية مع هذه العقيدة التي فيها مراقبة الله سبحانه والخوف منه ومن غضبه وعقابه(١) .

هذه الدعوة في مجملها لا تختلف عن أي دعوة توحيدية كانت تظهر بين الفينة والفينة بعناية الله سبحانه لبني الإنسان من الضلال والخسران ، والمعروف أن قدماء المصريين تأثروا في نهاية الأمر بالمسيحية من القرن الأول الميلادي .

لذا فلا غرابة إذا وجدنا القرآن الكريم يذكر ما ذكر في الديانات التوحيدية السابقة وذلك لوحدة المصدر في كلها . والغريب أن يستنكر « تسدال » مثل هذا الأمر ، ولماذا لم يعب على النصرانية أن جاءت بما دعت إليه المصرية القديمة من قضايا عقدية قبل أن يتنصروا ؟

وكذلك ما ذكره « تسدال » أن القرآن والإنجيل توافقا في لفظ آية وحديث والآية المقصودة قوله تعالى : ﴿ **إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط** .. ﴾ الآية(٢) .

وقد شابهها في إنجيل لوقا قوله : [..فلما رآه يسوع قد حزن (أي أحد الأغنياء) قال : ما أعسر دخول ذوي الأموال إلى ملكوت الله لأن دخول جمل من ثقب إبرة أيسر من أن يدخل غني إلى ملكوت الله ..](٣) .

وكذلك ورد مثل هذه الفقرة في إنجيل متى الإصحاح ١٩ وإنجيل مرقس الإصحاح ١٠ .

---

(١) انظر كتاب الديانة القديمة المصرية من صـ ٨١ ، ٢١١ وما بعدها ، وكتاب الإنسان في ظل الأديان صـ ١٣٨ وما بعدها .
(٢) سورة الأعراف آية ٤٠ .
(٣) إنجيل لوقا الإصحاح ١٨ فقرة ٢٤ – ٢٥ .

أما الحديث المقصود فهو قوله - ﷺ - قال الله عز وجل : « أعددت لعبادي الصالحين مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر »[1] .

وقد جاء شبيه له في رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس جاء فيها : [بل كما هو مكتوب ما لم تر عين ولا تسمع أذن ولم يخطر على بال إنسان ما أعده الله للذين يحبونه][2] .

قلت : هذه الآية والحديث الذي زعم « تسدال » أن مصدرها الكتاب المقدس العهد الجديد .

فـ« تسدال » ينسى أو يتناسى أن هذين الكتابين وأقوال الرسول - ﷺ - خاصة الحديث القدسي الذي أورده « تسدال » مصدرهما واحد لأن القرآن والإنجيل ومعنى الحديث القدسي الذي ذكره رسول الله - ﷺ - ليس له طريق ولا مصدر غير خبر السماء .

فإذا حصل تشابه بين الكتب السماوية بعضها مع بعض في بعض الألفاظ أو توارد معاني أو بعض القصص أو الأحكام أو الأخبار .. إلخ ، فذلك لأن منزلهما واحد وهو الله سبحانه وتعالى . وكل من محمد وعيسى - عليهما الصلاة والسلام - رسولان من رسل الله سبحانه فلا غرابة فيما أورد « تسدال » والغريب في نسيانه أو تناسيه مثل هذا الأمر .

وهكذا نكون قد أتممنا الرد على المصدر الخامس المزعوم من مصادر الإسلام العظيم بتفنيد مزاعم « تسدال » وتوضيح شبهاته وإبطالها حتى بان الحق .

ولله الحمد والمنة ..

---

(١) انظر مسند الإمام أحمد ٢ / ٣١٣ .

(٢) انظر رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كوزثيوس - الإصحاح (٢) فقرة (٩) .

المصدر السادس :

(اليهودية) :

زعم « تسدال » و « ماسيه » و « أندريه » و « لامنز » و « جولدتسيهر » و « نولديكة » وغيرهم من المستشرقين أن اليهودية مصدر من مصادر الإسلام واستدلوا على ذلك بأمور منها .

١ - تشابه القرآن والكتب اليهودية في القصص . كقصة ابني آدم - عليه السلام - وقتل أحدهما للآخر ، وقصة إبراهيم - عليه السلام - وإنقاذه من نار النمرود ، وقصة سليمان - عليه السلام - مع ملكة سبأ ، وقصة هاروت وماروت ، وقصة موسى - عليه السلام - وبعض مواقف له ، وغير ذلك كثير .

٢ - التشابه في بعض القضايا العقدية والتشريعية والحث على مكارم الأخلاق[١] .

قلت : يعترف الإسلام بالأديان السماوية السابقة ، ويوجب على أتباعه أن يعترفوا بهذه الرسالات وبالرسل الذين حملوها إلى أقوامهم .

ولكن الإسلام جاء خاتما للديانات السابقة ، وناسخا لها ، وحاملا أحسن ما حوته من تشريعات وزاد في احتياجات البشرية في كل جوانب الحياة ، فجاء شاملا لمناحي الحياة عاما لكل بني الإنسان إلى يوم الدين فجاء صورة لكتاب الله الواحد المتحد في الأصل والوجهة ، الشامل للحقائق الكبرى التي تقوم عليها أسس الحياة . ملبيا لهم كافة حاجاتهم البشرية ، وموضحا ما يحتاجونه من أحكام شرعية مما يجب على البشرية الرجوع له واتباعه وتحكيم شرعه ، والخضوع والانقياد لأوامره وتعليماته حيث إنه يتضمن باقي شرائع الله التي وردت في الكتب السابقة .

---

(١) انظر مصادر الإسلام لتسدال صـ٢٩ وما بعدها (الفصل الثالث) ، وانظر مذاهب التفسير الإسلامي صـ ٦ ، ١٠ ، وتاريخ القرآن لنولديكة ١ / ٦ .

قال تعالى : ﴿ **وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه** ﴾[(١)] .

والمسلمون يمتازون عن بقية الأمم بتعظيمهم رسل الله – عليهم السلام جميعا – ويثبتون في حقهم علو الفطرة ، وصحة العقول ، والصدق في القول ، والأمانة في التبليغ ، والعصمة من كل ما يشوه مسيرتهم ، وسلامة أبدانهم مما تنبو عنه الأبصار ، وتنفر منه الأذواق السليمة ، فهم بشر كبقية خلق الله ميزوا عليهم برسالاته ، وأيدوا بمعجزاته لإثبات صدقهم وتأييدهم في دعواتهم . هذا هو موقف المسلمين من رسل الله – عليهم السلام – .

أما موقف اليهود والنصارى فكان على عكس هذا من التشنيع على أنبيائهم ، ونسبة مالا ينبغي في حقهم ، وإيذائهم بالسب والطعن والقتل وخاصة اليهود الذين لم يقف أمرهم مع أنبيائهم إلى هذا الحد بل تعداه لما هو أعظم أن تعدوا على مقام الله – عز وجل – فهم يعاملوه كبشر بل جعلوا سلطة حاخاماتهم أقوى من سلطته سبحانه .

كما أن اليهود وقفوا من الإنسانية جمعاء موقف العداء والتحقير واعتبروا أنفسهم شعب الله المختار للسيادة والحكم وتسخير كل مافي الكون له .

فقد زعموا أن إسرائيل سأل إلهه : [لماذا خلقت خلقا سوى شعبك المختار ؟! فقال له : لتركبوا ظهورهم ، وتمتصوا دماءهم ، وتحرقوا أخضرهم ، وتلوثوا طاهرهم ، وتهدموا عامرهم][(٢)] .

لذا جاء القرآن الكريم ليضع تقريراته الإلهية اليقينية في بيان الشخصية اليهودية خير بيان .

١ – فقد بين الله سبحانه إلحاد اليهود في عقائدهم بدءا من موقفهم من الله

---

(١) سورة المائدة الآية : ٤٨ .

(٢) انظر سفر المكابيين الثاني (١٥ – ٣٤) نقلا عن كتاب معركة الوجود بين القرآن والتلمود صـ ٣٥ .

سبحانه وتعالى وانتهاء بأبسط أمور العقيدة في دينهم قال تعالى : ﴿ **لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء** ﴾[1] .

وقال تعالى : ﴿ **وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ..** ﴾ الآية[2] .

أما موقفهم من رسل الله – عليهم السلام – بينه سبحانه بقوله : ﴿ **كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم فريقا كذبوا وفريقا يقتلون** ﴾[3] .

وأما موقفهم مع ملائكة الله فبينه قوله تعالى : ﴿ **من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فإن الله عدو للكافرين** ﴾[4] .

أما استخفافهم بالوحي وبالكتب الإلهية بينه قوله تعالى : ﴿ **وإن منهم لفريقاً يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون** ﴾[5] .

ولم يكتف اليهود بتحريف التوراة عن قصد وعمد بل صنعوا كتابا آخر سموه (التلمود) الذي تتضاءل بجانبه سائر أكاذيبهم في أسفارهم العلنية !! وفيه يزعمون أن تعاليم الحاخاميين لا يمكن نقضها ولو بأمر من الله سبحانه . كما يزعمون أن للحاخاميين السيادة على الله ، وعليه إجراء ما يرغبون[6] .

التوراة الحالية وهل تصلح أن تكون مصدراً للإسلام :

يعترف المسلمون بالتوراة القديمة التي أنزلها الله سبحانه على نبيه موسى

(١) سورة آل عمران الآية (١٨١) .
(٢) سورة المائدة الآية (٦٤) .
(٣) سورة المائدة الآية (٧٠) .
(٤) سورة البقرة الآية (٩٨) .
(٥) سورة آل عمران الآية (٧٨) .
(٦) كتاب معركة الوجود صـ ٣٩ .

ابن عمران – عليه السلام – ولا يعترفون بما سوى ذلك من أمثال التوراة الحالية وليسوا بملزمين بالإيمان بها لما فيها من مخالفة لروح التنزيل الإلهي .

لكن لو نظرنا للعهد القديم الحالي فهل هذا الكتاب نفسه هو الذي أنزله الله سبحانه على موسى – عليه السلام – ؟ .

فما ينسب لموسى – عليه السلام – الأسفار الخمسة الأولى : سفر التكوين ، الخروج ، اللاويين [الأحبار] ، العدد ، والتثنية . أما غيرها من الأسفار فهي أسفار الأنبياء والكتبة من اليهود حتى التوراة المنسوبة لموسى – عليه السلام – فقد أنكر بعضها فهذا « تسدال » نفسه مثلا ينكر سفر التكوين لكتابته حوالي سنة ٢٢٠ م[١] ولم يسلم بعضها الآخر من الضياع والتحريف[٢] .

ومما يدل على ضياع النسخة الأصلية لتوراة موسى – عليه السلام – أن موسى – عليه السلام – لما كتب التوراة وضعها مع اللوحين في التابوت ، الذي جاء ذكره في القرآن الكريم قال تعالى : ﴿ **وقال لهم نبيهم إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون تحمله الملائكة إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين** ﴾[٣] والتابوت هو الذي كانوا يستنصرون به بتقديمه أمام الجيش في المعارك . وظهر بعد ذلك في بني إسرائيل كثير من الفجرة والكفرة حتى جاء عهد سليمان – عليه السلام – وفتح التابوت بعد أن وضع في الهيكل ، فلم توجد به نسخة التوراة وإنما وجد اللوحان الحجريان فقط . وحدثت بعد سليمان – عليه السلام – أحداث دينية عجيبة أدت إلى الردة وعبادة الأوثان ، وعبادة آلهة الأقوام المجاورين حتى بني مذبح للأصنام في فناء بيت المقدس[٤] .

---

(١) مصادر الإسلام صـ ٤٠ .

(٢) كتاب اليهودية للأستاذ أحمد شلبي صـ ٢٤٨ .

(٣) سورة البقرة الآية : (٢٤٨) .

(٤) كتاب اليهودية صـ ٢٥٠ – ٢٥١ .

وبعد ذلك حكم « يوشيا » الذي رجع لاتباع التوراة وبعد سبعة عشر عاما من حكمه زعم كاهنه « حوقيا » أنه وجد نسخة التوراة في بيت المقدس بطريق الإلهام ، وأعطاها « شافات » الكاتب .

وهذا يدل على بطلان هذا الزعم لأنه لايعقل أن توجد نسخة التوراة في بيت المقدس سبعة عشر عاما ولا يراها أحد حتى يكتشفها « حوقيا » .

لذا يرى الباحثون أن « حوقيا » قام بكتابة أسفار التوراة من اختراعاته ومما سمعه من أفواه الناس . حتى قال « ول ديورانت » : لم يبق لدينا من شريعة موسى سوى الوصايا العشر(١) .

بل نفس التوراة الحالية تدل على أنها ليست لموسى – عليه السلام – فقد جاء في سفر التثنية : [فمات هناك موسى عبد الرب في أرض مؤاب حسب قول الرب ، ودفنه في الجواء في أرض مؤاب مقابل بيت فغور ولم يعرف إنسان قبره إلى هذا اليوم](٢) .

هذا الكلام منقول في سفر منسوب إلى موسى – عليه السلام – فليس من المعقول أن يكتب هذا موسى عن نفسه .

وجاء في نفس السفر [ولم يقم بعد نبي في إسرائيل مثل موسى](٣) . ومن الواضح أن مثل هذه العبارة لا تقال إلا بعد موت موسى بزمن ليس بالقصير(٤) .

والأمثلة غير هذه كثيرة .

وإذا تركنا أسفار موسى ونظرنا في بقية أسفار العهد القديم نجد نفس النتيجة

---

(١) قصة الحضارة ٢ / ٢٧١ ، نقلا عن اليهودية للأستاذ شلبي صـ ٢٥١ .
(٢) سفر التثنية الإصحاح الرابع والثلاثون – الفقرة (٥ – ٦) .
(٣) نفس المرجع فقرة (١٠) .
(٤) كتاب اليهودية – للأستاذ شلبي صـ ٢٥٢ .

من كتابتها بعد أصحابها بفترة طويلة .

فسفر يوشع كتبه أرميا ، وبينهما ثمانية قرون تقريبا .

ويرى آخرون أنه تصنيف صموئيل، وآخرون يرون أنه تصنيف فنيحاس[1] .

أما سفر القضاة ينسبه بعض الكتاب الغربيين إلى « حزقيال » وآخرون ينسبونه « لعذار » وفريق ثالث لـ « لفنيحاس » وبين عزرا وفنيحاس أكثر من تسعة قرون[٤] .

ويمكن القول عن بقية الأسفار بنفس الطريقة .

وقد أحسن بتلخيص هذا الموضوع « ول ديورانت » حيث قال :

[.. فإن العلماء مجمعون على أن أقدم ما كتب من أسفار التوراة هو سفر التكوين ، وقد كتب بعضه في يهوذا وبعضه في إسرائيل ، ثم تم التوافق بين ما كتب هنا وهناك بعد سقوط دولتي اليهود ، والرأي الغالب أن سفر التثنية من كتابة « عزرا » ويبدو أن أسفار التوراة الخمسة قد اتخذت صورتها الحاضرة حوالي عام ٣٠ ق . م][٢] .

أبعد كل هذه الأدلة يزعم بعض المستشرقين بكون القرآن اعتمد في مصدريته على التوراة المضطربة سندا ومتنا وخاصة جانب القصص .

وهذا الأستاذ « هنري ماو » يبين لنا حقيقة قصص التوراة لنرى أيصلح أن يكون مصدرا للقرآن أم لا ؟ .

قال الأستاذ « هنري » : [علينا أن نثبت بادىء ذي بدء ، أن تعاليم الكتاب تكون وحدة منسجمة ، ولكن القصص التوراتي لم يتعد منزلة الخرافة ، فلم نتوصل إلى تدوين وقائعها ضمن نطاق التاريخ العام ، ولم نجد لها مكانا في

(١) كتاب اليهودية – للأستاذ شلبي صـ ٢٥٣ .

(٢) قصة الحضارة ٢ / ٣٦٧ – ٣٦٨ نقلا عن كتاب اليهودية – للأستاذ شلبي صـ ٢٥٤ .

التواريخ المقارنة لإمبراطوريات الأرض][1] .

هذه النظرة لكتاب اليهود الأول وهو العهد القديم بما فيه من اضطراب في السند والمتن والمخالفة للعقل والمنطق والضعف في العبارة والأسلوب . فكتاب هذا شأنه لو قارنه أي إنسان عاقل محايد فسينطق بالحق أنه لايصلح أن يكون مصدرا للكتابات التاريخية فكيف يصلح حسب زعمهم أن يكون مصدرا للقرآن العظيم الذي يتحدى البشرية عامة أن يثبتوا له مرجعا غير إلهي .

أما المصدر الثاني لليهودية فهو كتاب « التلمود » والذي لنا معه وقفة قصيرة ليظهر زيفه وبطلانه .

الفرنسيون من اليهود يرون أن التوراة ليست هي كل الكتب المقدسة وإنما هناك بجانبها روايات شفوية تناقلها الحاخامات من جيل إلى جيل .. وتلك الروايات التي هي تعرف بالتلمود التي جمعها « يوحناس » في كتاب سماه (المشنا) أي الشريعة . زيد عليها بعد ذلك زيادات كثيرة جمعها (الربي) يهوذا سنة ٢١٦ م ودونها . كتب عليها حواشي وشروحات سميت (جمارا) فمن (المشنا والجمارا) يتكون التلمود[2] .

والتلمود لا يقل في أخطائه عن الأخطاء التي في الكتاب المقدس فالتلمود يروي أن الله ندم لما أنزله باليهود وبالهيكل . ومما يرويه التلمود عن الله قوله : « تبا لي لأني صرحت بخراب بيتي وإحراق الهيكل ونهب أولادي » والتلمود لا يجعل العصمة من صفات الله ويجعل هذا الكتاب مصدر الشر هو الله كما يعتبره مصدر الخير إلى غير ذلك من الأخطاء[3] .

أما ما بنوا عليه من زعم يصلح في نظرهم لتكون اليهودية مصدرا للإسلام

---

(١) قيمة التاريخ جوزاف هورس صـ ٣١ .

(٢) كتاب اليهودية صـ ٢٦٥ - ٢٦٦ .

(٣) نفس المرجع صـ ٢٦٧ .

للتشابه في القصص أو في بعض التشريعات وغيرها فهو زعم باطل لعدة أسباب منها :

١ – التاريخ يشهد أن اليهود لم يسكتوا لحظة في عدائهم لرسول الله – ﷺ – ومحاربتهم له بكل أنواع الأسلحة الدعائية العدائية ، وترويج الإشاعات في الوسط المسلم ، وتحريض قريش عليه ، ووصل الأمر في نهايته لحمل السلاح ضد الإسلام من قبلهم ، لذا لو كان محمد – ﷺ – أخذ شيئا من كتبهم ، فما الذي سيسكتهم عن كشفه وبيان عوار دعوته وفضح ادعائه ، وبيان عدم صدقه في دعوته ، فلما لم يكن هذا منهم بطل زعم « تسدال » وزمرته .

٢ – الكتاب المقدس كله لا يصلح أن يكون مرجعا لدعوة بشرية حتى يكون مصدرا لدعوة إلهية كدعوة نبينا محمد – ﷺ – لما فيه من فساد اعتقاد وتعدٍ على جناب الله سبحانه ، وسوء أدب مع أنبيائه سبحانه ، ولما فيه من اضطراب وتناقض ، وتحريف ونقص واضح ، وسقوط للإسناد إلى غير ذلك مما بينته من قبل .

٣ – أن زعمهم أخذ محمد لكثير من قصصه من الكتاب المقدس عن طريق الأرقاء من أهل الكتاب ، أو عن طريق من أسلم من أحبارهم ، أو من القبائل اليهودية ، التي كانت تسكن في المدينة المنورة ، بين هذه الشبهة خير بيان « الإمام الباقلاني » – رحمه الله تعالى – [إن ما انطوى عليه القرآن من قصص الأولين ، وسير الماضين ، وأحاديث المتقدمين وذكر ما شجر بينهم ، مما لا يجوز علمه إلا لمن كثر لقاؤه ، لأهل السير ودرسه لها وعنايته بها ، ومجالسته لأهلها ، وكان ممن يتلو الكتب ويستخرجها ، مع العلم بأن النبي – ﷺ – لم يكن يتلو كتابا ولا يخطه بيمينه ، وأنه لم يلد ممن يعرف بدراسة الكتب ومجالسة أهل السير والأخذ عنهم ، ولا لقى إلا من لقوه ، ولا عرف إلا من عرفوه ، وأنهم يعرفون منشأة وتصرفه في إقامته بينهم وظعنه عنهم فإن ذلك المخبر عن هذه الأمور هو الله

سبحانه وتعالى علام الغيوب][1] .

٤ – الناظر في القصص المذكور في القرآن الكريم مقارنا بقصص العهد القديم يجد بينها فرقا واضحا في المحتوى والغرض والأسلوب . فالقصة القرآنية دعوة للتوحيد ، ومكارم الأخلاق ، وإظهار الأنبياء ، بأجمل صورة تليق بمقامهم من العصمة ، ومكارم الأخلاق ، وسلامة الفطرة ، وغير ذلك . هذا كله بعكس القصص في الكتاب المقدس .

فالدارس للكتاب المقدس يجد فاتحة التوراة أول ماعنيت بتدوين التاريخ فأول سفر من أسفارها وهو (سفر التكوين) سرد لتاريخ الخلق منذ بدء الخليقة إلى موت يوسف – عليه السلام – كما أن فواتح الأناجيل الأربعة دونت تاريخ المسيح – عليه السلام – وسيرته أما القرآن فعلى عكس ذلك فقد أشارت فاتحته لتوحيد الله – عز وجل – وبيان طرق عبوديته ، وأن نهاية كل حي أن يقف بين يدي الله مالك يوم الدين ، وصنفت الناس إلى فريقين حسب استقامتهم تبعا لأوامر الله أو مخالفتهم لها .

والقصص القرآني تاريخي وصادق غير مثقل بالجزئيات والتفاصيل التي تصرف الفكر عن التدبر والاعتبار[2] بعكس القصص في الكتاب المقدس .

والقرآن الكريم لم يسرد كل قصص الأنبياء والمرسلين كما فعل الكتاب المقدس . بل اختار بعضهم بما يتفق وحال الدعوة الإسلامية مركزا على جانب العظة والعبرة في قصصهم . واتخاذ طريق الأنبياء السابقين على طريق الدعوة أسوة يقتدى بهم .

لذا جاء القرآن ليبين حقيقة حالهم ، ورفعهم لمكانتهم المختارة من الله – عز

---

(١) إعجاز القرآن صـ ٥١ ، طبعة مصر ١٩٥٤ م .
(٢) كتاب سيكلوجية القصة في القرآن صـ ٧٠ .

وجل – وإزاحة كل تهمة ألصقها بهم بنو يهود[1] .

فلو تتبعت وجه الشبه والخلاف بين القرآن الكريم والكتاب المقدس لطال بنا المقام وليس هذا مكانه في هذه الرسالة وإنما سألقي بعض الملاحظات التي لابد منها :

١ – لقد أساء اليهود كل إساءة مع ذات الله سبحانه وصفاته حيث تصوروه كبشر وعاملوه كبشر فقد نسبوا له التعب تشبيها له بالإنسان فهذا أحد النصوص يصف الله سبحانه وتعالى بالتعب : [فأكملت السموات والأرض وكل جندها ، وفرغ الله في اليوم السابع من عمله الذي عمله][2] .

وتقول التوراة : [وسمعا صوت الرب الإله ماشيا في الجنة عند هبوب ريح النهار فاختبأ آدم وامرأته من وجه الرب الإله في وسط شجرالجنة فنادى الرب الإله آدم وقال له : أين أنت][3] .

كما أساء اليهود لأنبياء الله – عز وجل – ووضعوهم بما لا يليق بمقامهم فوقعوا بساحة الأنبياء بتشويه صفحتهم الناصعة في بياضها ، باتهامهم بالكذب تارة ، وبقلة المروءة تارة أخرى ، ورميهم بالفاحشة في موطن آخر ، كل هذا ليصلوا لأغراضهم الدنيئة على ظهر الأنبياء .

فجاء القرآن ليفضح أباطيلهم ، ويكشف زيغهم وانحرافهم وليحمي شرف الوحي ، وجلال النبوة . واليهود لم يتركوا نبيا من الأنبياء إلا وجهوا له مطعنا أو سوءا وسأضرب بعض الأمثلة التي تجلي الأمر :

١ – فشيخ الأنبياء نوح – عليه السلام – الصبور الشاكر الداعية لرب العالمين يصورونه سكيرا ، يشرب الخمر ، ويتعرى داخل خبائه فيدخل عليه ابنه

---

(١) كتاب اليهود في القرآن – طبارة صـ ٢٦٠ .
(٢) سفر التكوين ٢ / ١ .
(٣) نفس المرجع ٣ / ٨ .

الصغير فيرى عورته فيسخر منه ، ويذهب فيخبر أخاه الأكبر منه ، فيحضر ويغطي سوءة أبيه ويعلم أبوهم الخبر فيدعو على الصغير أن يجعله وذريته عبيدا لسام وذريته .

فجاء القرآن ليكشف هذه الأباطيل ويردها ويبرىء نبي الله نوح - عليه السلام - ويرد زيفهم ويكشف ماقصدوه وراء هذا الافتراء وهو أسطورة كونهم شعب الله المختار الذي ينبغي أن يخضع لهم من أجله غيرهم[(1)] .

٢ - وهذا لوط - عليه السلام - النبي الكريم الذي آتاه الله حكما وعلما ، يحيكون حوله أبشع التهم من مؤامرة ابنتيه عليه حتى سقتاه خمرا ، وضاجعتاه ، وهو لايدري فحملتا منه سفاحا ، فجاء منهما المؤابيون وبنو عمون إلى اليوم[(2)] .

ولكن الله سبحانه يأبى أن تلوث سيرة نبي من أنبيائه وولي من أوليائه بمثل هذه الصورة فأنزل صفته وسيرته وعفته وإيمان أهل بيته إلا امرأته بآيات تتلى شهادة من رب العالمين على فضح مخططات اليهود لنشر الرذيلة والفاحشة بين بني الإنسان لتدمير أخلاقهم وجعلهم عبيدا للجنس قاتلهم الله أنى يؤفكون .[(3)] .

٣ - أما أبو الأنبياء إبراهيم - عليه السلام - فيقدمون له صورة كئيبة مادية وهو يتاجر في زوجته الجميلة عند الملوك ليربح ويأكل ، كما يفعل المرابون اليهود إلى يومنا هذا .

فبرأ الله نبيه أبا الأنبياء - عليه السلام - داعية التوحيد الذي كان لوحده أمة قانتا لله - عز وجل - من هذا البهتان العظيم قال تعالى : ﴿ **إن إبراهيم كان**

---

(١) انظر كتاب معركة الوجود صـ ١٥٥ - ١٥٨ .

(٢) انظر سفر التكوين - الإصحاح صـ ١٩ .

(٣) انظر سورة الأنبياء الآيات (٧٤ - ٧٥) .

أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين﴾[1] .

وقد ذكرت سيرة هذا النبي العطرة في أكثر من موطن في قرآنه مثل سورة الأنبياء وغيرها[2] .

٤ - دنس اليهود سيرة أبيهم يعقوب « إسرائيل » - عليه السلام - فصوروه سارقا للنبوة من أخيه ومستغلا استغفال أبيه ، والكذب عليه إلى درجة التمثيل الساذج والتلاعب البين الذي لا يخرج عن أساطير الصغار ، وهزل الصبيان[3] .

أما القرآن فصوره بأجمل صورة للوفاء ولحبه لابنه وبأتم عقل ونور بصيرة . كما أنه وصف ابنه يوسف - عليه السلام - بأجمل وصف وأتم عقل كما جاء ذلك في سورة يوسف عليه السلام .

٥ - أما النبي الصالح داود - عليه السلام - الذي ينشدون مملكته اليوم فقد خصوه وأهل بيته بأوجع نصيب من التهم الباطلة المخلة للشرف والعفة . فجعلوا منهم أسرة تعيث في الخطايا والدنس بكل ألوانه !. فهم يرمونه - عليه السلام - ابتداء بارتكاب فاحشة الزنا مع زوجة قائده « أوريا » فحملت منه سفاحا « بسليمان » - عليه السلام - ولم يكتف داود بذلك بل تخلص من هذا القائد بوضعه في مقدمة الجند وأمرهم بالرجوع عنه وعن القلة الذين معه حتى قتل وتزوج زوجه . فعاقب الله - عز وجل - داود - عليه السلام - بأن سلط عليه ابنه « أبشالوم » فنزع منه ملكه وزنا « بسراري أبيه » أمام جميع بني إسرائيل .

وقبل هذا الحادث كان « أبشالوم » قد قتل أخاه « أمتون بن داود » لأنه

---

(١) سورة النحل الآية (١٢٠) .

(٢) انظر سورة الأنبياء من (٥١ - ٧٠) .

(٣) انظر سفر التكوين - الإصحاح (٢٧) وما بعدها ، وانظر معركة الوجود صـ ١٥٧ .

زنا بـ« ثامار » شقيقة « أبشالوم »[1].

كما أنهم صوروا داود – عليه السلام – لاه عن ربه – عز وجل – مشغول بنسائه وسراريه[2].

لذا جاء القرآن الكريم ليطهر ساحة هذا النبي الكريم ويبرئه وأهله من تهمة الفواحش المنسوبة إليهم فصوره قانتا منيبا راكعا ، عابداً عدلا بأفضل سيرة وأنقى سريرة بعكس ما جاء في التوراة .

قال تعالى : ﴿ **اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود ذا الأيد إنه أواب . إنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والإشراق . والطير محشورة كل له أواب . وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب** ﴾[3] .

٦ – أما سليمان – عليه السلام – النبي المجاهد العادل صاحب الهيكل الذي يتباكون عليه اليوم فقد نسبوا إليه كل خطيئة ورذيلة وفجور فقد اعتبروه ابن زنا كما تقدم ، راكضا وراء شهواته ، لاه عن عبادة ربه كأبيه ، كما نسبوا له « نشيد الأنشاد » ذلك الغزل الداعر الذي يعتبرونه وحيا يتعبدون بتلاوته .

لَعمري ما هو إلا وحي شيطان نفثه على لسان خليع ماجن من شعراء بني إسرائيل[4] .

فجاء القرآن ليبين حقيقة سيرة هذا النبي الكريم الشاكر لأنعم الله الأواب العابد المجاهد قال تعالى : ﴿ **ووهبنا لداود سليمان نعم العبد إنه أواب** ﴾[5] .

أما الثناء على آل داود فقد جاء ذكره بقوله : ﴿ .. **اعملوا آل داود**

---

(١) معركة الوجود صـ ١٥٨ .

(٢) انظر سفر صمويل الثاني ٢ / ١١ وما بعدها .

(٣) انظر سورة ص الآيات (١٧ – ٢٠) .

(٤) انظر سفر الملوك الأول – الإصحاح ١ ، وسفر نشيد الأنشاد وهو « ثمانية إصحاحات » .

(٥) سورة ص الآية ٣٠ .

شكرا وقليل من عبادي الشكور ﴾[1] .

فمن هنا يظهر حقيقة دعاوى اليهود في « مملكة داود » و « هيكل سليمان » أنها تجارة بائرة باسم الأنبياء ، للاستيلاء على فلسطين أرض الإسلام ومهد الأنبياء ومسجدها أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين .

ومن هنا يظهر كذلك أن نجاحهم في إطلاق السعار الجنسي ، والانحلال الشهواني في العالم المعاصر لا يوقف كل هذا المد إلا « رجال مؤمنون » بهم يُحق الحقُ وترسخ أصول الأخلاق ، وتحقق الهدايات الربانية وتدحض خطط اليهود في إشاعة الفاحشة[2] .

٧ – أما زعم « تسدال » أن قصة قابيل وهابيل ليست موجودة في التوراة وإنما هي في كتاب اسمه (بيرك رابي وليزر) فهو زعم باطل حيث ذكرت في سفر التكوين الإصحاح الرابع الفقرة ١ – ١٦ وهي مذكورة في القرآن في سورة المائدة من الآية ٢٧ – ٣٢ .

أما ذكرهما في المصدرين وذلك لوحدة المصدر ثم لبيان أن شريعة القصاص أزلية وأن القتل شنيع في كل الديانات .

٨ – أما إنكار « تسدال » لقصة رفع الجبل فوق رأس بني إسرائيل كأنه ظلة في قصة موسى – عليه السلام – حيث زعم « تسدال » أن القصة ليست في العهد القديم إنما أخذها محمد – ﷺ – من كتاب (الأكسودس)[3] .

قلت : هذه القصة لم تصرح التوراة بها بصراحة ولكنها أشارت إليها في سفر الخروج حيث جاء فيها : [.. فانحدر موسى من الجبل إلى الشعب وقدس الشعب وغسلوا ثيابهم وقال للشعب كونوا مستعدين لليوم الثالث لا تقربوا

---

(١) سورة سبأ الآية ١٣ .
(٢) معركة الوجود صـ ١٦٠ – ١٦١ .
(٣) انظر مصادر الإسلام صـ ١٤ وما بعدها .

امرأة . وحدث في اليوم الثالث لما كان الصباح أنه صارت رعودا وبروقاً وسحاباً ثقيلاً على الجبل وصوت بوق شديد جدا فارتعد كل الشعب الذي في المحلة لملاقاة الله فوقفوا في أسفل الجبل ، وكان جبل سيناء ، كله يدخن من أجل أن الرب نزل عليه بالنار . وصعد دخانه كدخان الأتون ، وارتجف كل الجبل جدا فكان صوت البوق يزداد اشتدادا جدا وموسى يتكلم والله يجيبه بصوت][1] .

وعبارة « تحت الجبل »[2] تحتمل المعنيين :

الأول : على سفحه وفي أسفله .

والثاني : تحت بمعنى أن الجبل صار كأنه ظلة فوقهم وهو ما أشار إليه القرآن الكريم .

وما جاء في التوراة في سفر الخروج ليس بعيدا عن هذا ، بل هو نفسه لأن وصف الجبل بهذه الصورة من الحركة والارتجاف الشديد مقدمة للنتق ويكون عندئذ كلام « تسدال » وراءه نواياه المبيتة بالكيد للإسلام وقلب الحقائق . وحتى لو فرضنا أن التوراة ولا أي مصدر يهودي ذكر القصة ولم يذكرها إلا القرآن الكريم فيكون ذلك ميزة لهذا الكتاب العظيم على غيره من كتب السماء ، حيث ذكر قصة نبي من الأنبياء عانى من قومه أكثر مما عاناه أي نبي آخر حتى وهم يظهرون أنهم سائرون معه طائعون لأمره . وقصة الجبل تبين نفسية هؤلاء القوم حيث صورتهم على حقيقتهم أنهم لا يتوبون إلا بالعصا ، ولا يخافون حتى يروا العذاب الأليم .

فهؤلاء هم اليهود يسمعون كلام موسى لربهم ومع هذا يطلبون رؤية الله جهرة فأخذتهم صاعقة الموت ردعا لهم ولكن أنى يرتدعون أما ما ذكره « تسدال » أن القصة أسطورة هندية فهو مجرد ادعاء حيث لم يبين لنا « تسدال »

---

(١) العهد القديم سفر الخروج ١٩ / ١٤ - ١٩ .

(٢) مصادر الإسلام صـ ٤٠ وما بعدها .

أين ذكرت هذه القصة عندهم ولا في أي مرجع هندي . والذي يعرف أسلوب « تسدال » في قلب الحقائق الواضحة لا يأمنه في أقواله كلها وحتى لو وردت القصة عند أمم أخرى فهي عندنا حقيقة لا مجال للشك فيها لأنها أخبار من رب العالمين في أصدق كتاب مبين قال تعالى : ﴿ **وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة وظنوا أنه واقع بهم خذوا ما أتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون** ﴾[1] .

وقلع الجبل فوقهم هو المتبادر من الآية بمعونة السياق وهي صريحة فيه .

وهذه المسألة من الممكنات العقلية فالله صاحب القدرة والسلطان لذا بعد كل هذا البيان من نصوص التوراة والقرآن والأدلة العقلية لا داعي « لتسدال » وزمرته الإنكار والتشكيك في القرآن وزعمه أنها أسطورة وخرافة . بل عليهم التسليم والإذعان بصحة ما جاء في هذا القرآن الكريم وهذا شأن العقلاء من العلماء المخلصين .

٩ – أما زعم « تسدال » أن المسلمين ذكروا نزول القرآن من اللوح المحفوظ ، وحفظه فيه تقليدا لوضع موسى الألواح في التابوت وظنا منهم أن التابوت هو اللوح المحفوظ[2] .

قلت : هذا من خبث هؤلاء المستشرقين فهم عندما يريدون أن يجعلوا محمدا – ﷺ – مؤلفا للقرآن الكريم يصفوه بالذكي الألمعي الذي استطاع بجلسات قصيرة ومحدودة مع أحبار اليهود ورهبان النصارى وتلاميذ المجوسية وكهان السامرائية أن يؤلف كل هذه العقائد والشرائع . وعندما يريدون تقرير أغاليط كهذه يصفوا أتباعه بالبساطة والسذاجة لقبولهم كل هذه الأمور حيث لم يعرف محمد – ﷺ – هذا اللوح أهو تابوت موسى – عليه السلام – أم

---

(١) سورة الأعراف الآية (١٧١) .

(٢) مصادر الإسلام صـ ٤٠ وما بعدها .

اللوح السماوي المحفوظ بالملائكة عند الله – سبحانه – وهذا نابع من عدم إيمان هؤلاء المستشرقين بالنبوات والرسل وإلا لما أساءوا هذا الفهم وحملوه لرسول الله – ﷺ – .

روى البخاري في صحيحه محاجة آدم وموسى – عليهما السلام – حيث قال : « .. روى طاووس قال : سمعت أبا هريرة عن النبي – ﷺ – قال : احتج آدم وموسى . فقال له موسى : يا آدم أنت أبونا خيبتنا وأخرجتنا من الجنة . قال له آدم : ياموسى اصطفاك الله بكلامه وخط لك بيده ، أتلومني على أمر قدره الله عليَّ قبل أن يخلقني بأربعين سنة فحج آدم موسى ثلاثا »[1] .

فهذا التقدير كان مكتوبا على آدم – عليه السلام – في اللوح المحفوظ هذا بنص الأحاديث الشريفة الصحيحة وهي كثيرة .

أما تابوت موسى – عليه السلام – فهو مذكور كذلك في القرآن الكريم قال تعالى : ﴿ **وقال لهم نبيهم إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون تحمله الملائكة إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين** ﴾[2] .

فهذا تصريح آدم – عليه السلام – أن خطيئته كتبت عليه قبل خلقه بأربعين سنة وقد حج بهذا موسى – عليه السلام – وكتابتها عليه كانت في اللوح المحفوظ ، وهو غير تابوت موسى – عليه السلام – كما هو واضح في السياق .

قال الإمام النووي – رحمه الله – : [المراد بتقديرها كتبه في اللوح المحفوظ أو في التوراة أو (في) الألواح][3] .

---

(١) صحيح البخاري جـ ٧ ، صـ ٢١٤ ، كتاب القدر ، باب (١١) تحاج آدم وموسى عند الله عز وجل .

(٢) سورة البقرة الآية (٢٤٨) .

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري ١١ / ٥٠٨ – ٥٠٩ .

وكونه في التوراة أو الألواح أنه كتب عليّ العمل الذي عملته قبل أن أخلق ؟ قال : بأربعين سنة ، قال فكيف تلومني عليه ويزيد بن هرمز [فهل وجدت فيها ﴿ **وعصى آدم ربه فغوى** ﴾[1] قال : نعم] .

هذا يوضح جليا أن اللوح المحفوظ غير التوراة والألواح اللـذين كانا في التابوت . والله أعلم .

أما كون الآجال والأعمال والتقادير مكتوبة في اللوح المحفوظ قبل خلق السمـوات والأرض فقد ذكـرتها آيـات منها قولـه تعالى : ﴿ **لكل أجل كتاب يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب** ﴾[2] . حيث حمل المحو والإثبات من الصحف التي في أيدي الملائكة وأن قوله : ﴿ **وعنده أم الكتاب** ﴾ أي أصله وهو اللوح المحفوظ . ويحمل الكتاب المبين على اللوح المحفوظ في قوله تعالى : ﴿ **وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين** ﴾[3] . قال تعالى : ﴿ **وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلا لكل شي** ﴾[4] .

١٠ – أما قصة العجل الذهبي الذي عبده بنو إسرائيل فقد أنكرها « تسدال » وذلك لأن القرآن ذكر أن صانعه هو السامري الذي ظن « تسدال » أنه من السامرة التي لم توجد إلا بعد موسى بأربعمائة سنة[5] .

قلت : هذه القصة التي أنكرها « تسدال » للمدة الطويلة الفاصلة بين موسى – عليه السلام – والسامري المنسوب للسامرة .

---

(١) سورة طه : (١٢١) .
(٢) سورة الرعد : (٣٨ – ٣٩) .
(٣) سورة الأنعام : (٥٩) .
(٤) سورة الأعراف : (١٤٥) .
(٥) مصادر الإسلام صـ ٣٧ وما بعدها .

هذا جهل منه للمقصود الحقيقي بشخص السامري والقصة قد ذكرت في العهد القديم حيث قال : [فانصرف موسى ونزل من الجبل ولوحا الشهادة في يده .. وسمع يشوع صوت الشعب في هتافه فقال لموسى صوت قتال في المحلة .. وكان عندما اقترب لي المحلة أنه أبصر العجل والرقص . فحمى غضب موسى وطرح اللوحين من يديه وكسرهما في أسفل الجبل . ثم أخذ العجل الذي صنعوا وأحرقه بالنار وطحنه حتى صار ناعما وذراه على وجه الماء وسقى بني إسرائيل وقال موسى لهارون : ماذا صنع بك هذا الشعب حتى جلبت عليه خطية عظيمة ؟! فقال هارون لا يحم غضب سيدي . أنت تعرف الشعب أنه في شر . فقالوا لي اصنع لنا آلهة تسير أمامنا . لأن هذا موسى الرجل الذي أصعدنا من أرض مصر لا نعلم ماذا أصابه فقلت لهم من له ذهب فلينزعه ويعطيني . فطرحته في النار فخرج هذا العجل](1) .

مع الخلاف لصانع العجل بين القرآن والتوراة إلا أنها قصة واحدة في المصدرين حيث نصت التوراة المحرفة زورا وبهتانا وكذبا أنه هارون – عليه السلام – حاشاه أن يكفر بالله نبي من أنبيائه .

أما القرآن فقد برأ نبي الله هارون – عليه السلام – ورد الأمر لحقيقته أن صانعه هو سامري موسى – عليه السلام – وليس سامري السامره كما ظن ذلك « تسدال » مما جعله ينكر هذه القصة .

والمعروف أن بني إسرائيل لم تكن أنفس أكثرهم مرتاحة بالإيمان وأنهم كانوا ذوي جهالة حيث لم يحصلوا على الثقافة الكافية لحصون عقائدهم من الزيغ. والقوم عاشوا في مصر وألفوا أن يروا عبادة المصريين للعجل « أبيس » وكان للمصريين عناية فائقة بعبادة هذا العجل وكانت العجول المؤلهة إذا ماتت حنطوها – كما كان يحنط الآدمي – بما يحفظ جسمها من التلف ، وكانت تدفن

---

(١) العهد القديم – سفر الخروج ٢٣ / ١٥ – ٢٦ .

في مقبرة خاصة في جهة سقارة تسمى « سرابيوم » .

وقوم كانت بساطتهم وفهمهم للوثنية بهذا الشكل سهل كرجل ماكر كالسامري[1] أن يصنع لهم عجلا من الحلي له خوار .

أما وجه إنكار « تسدال » للقصة لذكر القرآن الكريم السامري على أنه صانع العجل .

قال الأستاذ « عبد الوهاب النجار » موضحا هذه الشبهة :

[أن السامري ليس منسوبا إلى « سامره » في مدينة « نابلس » في فلسطين بل إلى «شامر » بالشين في اللغة العبرية .

ويغلب أن تكون « الشين » في العبرية « سينا » في العربية فهو سامر كما ينطقها سبط أفرايم بن يوسف – عليه السلام – وقد كان رجال سبط يهوذا في بعض الحروب يمتحنون الرجل ليعرف هل هو من سبط يهوذا أو أفرايمي ؟ بأن يأمروه بأن ينطق « شبولت » – سنبله – فإذا قال « سبولت » علم أنه أفرايمي ومعنى « شامر » أو سامر كما هو في النطق العربي والأفرايمي « حارس » فالسامري نسبة إلى سامر ونطقها العبرية « شومير » من مادة شمر أى حرس .

جاء في سفر التكوين : [فقال الرب لقابيل أين هابيل أخوك ؟ فقال : لا أعلم . (هـ شومير حى أنواخي ؟)][2] وترجمتها « أحارس أنا لأخي »[3] .

ومن هنا يبطل الالتباس الذي حصل « لتسدال » في شخص السامري ويبقى « تسدال » دون مستند تاريخي لإبطال القصة ويظهر بطلان دعوى التوراة كون هارون – عليه السلام – هو صانع العجل . ويظهر جليا أن ما رمي به

(١) قصص الأنبياء للنجار صـ ٢١٨ .
(٢) سفر التكوين – الإصحاح الرابع الآية (٩) .
(٣) قصص القرآن – النجار صـ ٢٢٤ .

نبي الله هارون – عليه السلام – هو مما رمي به الأنبياء الآخرون من الافتراء والكذب عليهم . ولكن معاذ الله أن يكفر نبي من أنبياء الله بعد إيمان . بل أنبياء الله رأس المؤمنين وصفوتهم وقد حماهم الله بعصمته من كل ذنب فهم الهداة والقدوة لأقوالهم . وخير من دافع عن نبي الله هارون القرآن الكريم قال تعالى راسما صورة جليلة واضحة لهذا النبي العظيم وقومه : ﴿ **واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا له خوار . ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا اتخذوه وكانوا ظالمين . ولما سقط في أيديهم ورأوا أنهم قد ضلوا قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين . ولما رجع موسى إلى قومه غضبان أسفا قال بئسما خلفتموني من بعدي أعجلتم أمر ربكم وألقى الألواح وأخذ برأس أخيه يجره إليه قال ابن أم إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني فلا تشمت بي الأعداء ولا تجعلني مع القوم الظالمين** ﴾[1] .

هـذه هي الصورة الحقيقية التي كانت ، كما رسمها القرآن الكريم ، أن عزم لنبي الله هارون – عليه السلام – فقد عزم القوم على صنع العجل وعبادته ووقف هارون – عليه السلام – أمامهم يمنعهم إلا أنهم كانوا كثرة وهو واحد وكادوا يقتلونه فسكت وهو مغلوب على أمره لا كما زعمت التوراة أنه كان سبب ضلال بني إسرائيل وعبادتهم للعجل وظهر الصانع الحقيقي وسبب ضلال القوم سامري موسى وقال تعالى : ﴿ **فرجع موسى إلى قومه غضبان أسفا . قال ياقوم ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا أفطال عليكم العهد أم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم فأخلفتم موعدي . قالوا ما أخلفنا موعدك بملكنا ولكنا حملنا أوزارا من زينة القوم فقذفناها فكذلك ألقى السامري فأخرج لهم عجلا جسدا له خوار. فقالوا هذا إلهكم وإله موسى فنسي أفلا يرون ألا يرجع إليهم قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا . ولقد قال لهم هارون من قبل ياقوم إنما فتنتم به وإن ربكم الرحمن**

---

(١) سورة الأعراف (١٤٨ – ١٥٠) .

فاتبعوني وأطيعوا أمري ﴾[1] .

بهذا الوضوح وضح القرآن موقف هارون عليه السلام وأصالة الحقائق القرآنية وثباتها وصحتها في حين يظهر موقف التوراة التي حرفوها من أنبياء الله وزيفها في مثل هذه المواقف كما يظهر موقف المستشرقين الفاضح في تزييفهم للحقائق ..

أما إنكار « تسدال » لقصة صعق شيوخ بني إسرائيل[2] فقد قلت :

هذه القصة مما انفرد به القرآن الكريم عن غيره من الكتب السماوية مما يبقيه المهيمن على غيره من الكتب في صدقه ، ودقته وكشفه عن المستور .

ولاشك أن هذه القصة مما أخفاه بنو إسرائيل وذلك لأنه يمس شيوخهم ورؤساءهم . أما القرآن فقد وضح ما حصل منهم بأجلى صورة لما رأى وبين أن القوم قد ظلموا أنفسهم وقارفوا إثما كبيرا بعبادة العجل : اختار موسى من القوم سبعين رجلا يذهبون معه إلى الجبل الذي اعتاد أن يناجي الله فيه ليقدموا الطاعة والندم على ما اقترفوا من الإثم ويتوبوا إلى الله مما جنوه من عبادة العجل ، فلما كلم الله تعالى موسى وهم شهود يسمعون كلام الله عاودت جماعة منهم جبلة التمرد والعصيان ، فلم يؤمنوا أن الله تعالى هو الذي يكلم موسى وأنه أعطاه التوراة فقط وقالوا له : لن نؤمن لك أن الله نبأك وأعطاك الكتاب حتى نرى الله تعالى جهرة بأعيننا لا يحجبه حجاب ولا يستره ساتر .. وعلى إثر هذا الطلب من القوم أخذتهم الصاعقة وهم ينظر بعضهم إلى بعض ، يتهافتون على أديم الأرض ليكون ذلك برهانا فعليا لديهم على أن ما أصابهم حق لا شبهة فيه ، ثم بعثهم الله تعالى بعد موتهم بعد التضرع والتذلل من موسى بن عمران – عليه السلام –

---

(١) سورة طه الآيات (٨٦ – ٩٠) .

(٢) انظر مصادر الإسلام صـ ٣٠ وما بعدها .

وطلبه العفو عما صدر من سفائهم والغفران لزلتهم ، فغفر الله لهم ذلك وأعادهم بمشيئته وقدرته سبحانه[1] .

وصدق الله إذ يقول : ﴿ **وإذ قلتم ياموسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون * ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون** ﴾[2] .

أما التوراة فقد أشارت لهذه القصة إشارة خفية عندما تحدثت عن خروج السبعين مع موسى – عليه السلام – لميقات الله سبحانه حيث جاء فيها : [وكان جميع الشعب يرون الرعود والبروق وصوت البوق والجبل يدخن ولما رأى الشعب ارتعدوا ووقفوا من بعيد وقالوا لموسى : تكلم أنت معنا فنسمع ولا يتكلم معنا الله لئلا نموت فقال موسى للشعب لا تخافوا ..][3] .

والشاهد قولهم : (ولا يتكلم معنا الله لئلا نموت) .

فالعبارة تشير إلى أن من يتكلم مع الله لشدة الموقف ولعظمة الخالق سبحانه عن أن يدركه بصر الإنسان القاصر وهذا ما سبب الصعق لموسى – عليه السلام – حيث تجلى ربه – سبحانه – للجبل . وهذا لا يمنع من صعقهم كذلك بسبب طلبهم الرؤية ولتجلي الرب – سبحانه – على الجبل وهم حاضرون . والذي يقرأ تاريخ بني إسرائيل لا يستغرب طلبا منهم كهذا والله سبحانه صاحب القدرة على أن يحي الموتى ولذلك أكثر من شاهد .

ويشهد لهذا ما ذكره (أتسلم تورميدا) الذي أسلم بعد أن كان نصرانيا في القرن التاسع وسمى نفسه أبا محمد عبد الله بن عبد الله بن عبد الله الترجمان الميورقي ، أبو محمد ذكر في كتابه : « تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب » مؤكدا ما جاء في القرآن الكريم حيث قال : [وإن قلتم أن عيسى إله لأجل الآيات

---

(١) قصص الأنبياء صـ ٢٩٣ .

(٢) سورة البقرة (٥٥ – ٥٦) .

(٣) سفر الخروج الإصحاح ٢ / ١٨ – ٢٠ .

الخارقة التي ظهرت على يديه فعلماؤكم يعلمون أن اليسع النبي – عليه السلام – أحيا ميتا في حياته وميتا بعد وفاته والتصرف بمعجزة الإحياء في البرزخ بعد الموت أعجب منها قبل الموت . وإلياس النبي – عليه السلام – أحيا أيضا ميتا .. إلخ][1] .

ومن قصص الإحياء بعد الإماتة عندهم ، أن مات اليشع وأوتي بميت ووضع في نفس القبر مع اليشع فعادت الحياة إلى جسم ذلك الميت حالما مس جثمانه عظام النبي][2] .

فلا داعي إذن لاستغراب « تسدال » لمثل هذه الواقعة واستنكارها وعدها من باب الخرافة مع ذكر ما ذكرته من كتبهم ومع أن كثيرا من المستشرقين يعتمدون هذا الكتاب (تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب) منهم « أمسين بلانيوس » و « مايكل ابيلزا »[3] .

٢ – أما بالنسبة لما استدل به (تسدال) وغيره لشبهتهم في مصدرية اليهودية للإسلام للتشابه ببعض العبادات كالصلاة والصوم وبعض المناسك .

أو في بعض القضايا العقدية .

– كالإشارة لوجود عرش الله على الماء .
– عدم الإشراك بالله سبحانه .
– وأن لجهنم أميراً وهو خازن النار الذي سماه القرآن «مالك » .
– وقصة استراق الشيطان للسمع وطردهم بالشهب .
– ومخاطبة الرب سبحانه لجهنم بسؤالها : هل امتلأت ؟ .
– والإخبار أن الأرض يرثها عبادي الصالحون .

والتشابه كذلك في الحث على مكارم الأخلاق ويقصد :

---

(١) تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب صـ ١٥٣ – ١٥٤ .
(٢) انظر قاموس الكتاب المقدس صـ ١١١ – ١١٢ نقلا عن تحفة الأريب صـ ١٥٤ .
(٣) انظر مجلة الحوادث صـ ٦٢ عدد ١٢٧٤ عام ١٩٨١ نقلا عن حاشية تحفة الأريب صـ ٢٣ .

كالنهي عن الكذب ، والإحسان للفقراء والمساكين ، وعدم مضايقة وإيذاء الآخرين ، وعدم الحقد ، وأن تحب الآخرين كحب ذلك لنفسك ، وعدم الانتقام والإحسان للوالدين .. إلخ .

والتشابه في بعض التشريعات ويقصد : كحرمة السرقة والقتل ، وعدم الاعتداء ، والجور في القضاء ، وحرمة الزنا ، وحرمة شهادة الزور ، وحرمة التطفيف في الكيل والميزان .. إلخ[1] .

هذه القضايا المشتركة بين الديانتين لاتحاد المصدرية لهما حيث إن كليهما نزل من السماء لكونهما رسالتين سماويتين .

أما بخصوص الصلاة والصيام والحج فهي عبادات في كل الديانات السماوية أو التي لها شبهة كتاب سماوي سواء سبقت الإسلام أو سبقت اليهودية والنصرانية كالمجوسية والصابئة والزرادشتية وغيرها من الديانات إذن فهذا الأمر لا يصلح دليلا لشبهة « تسدال » وغيره .

أما ما أريد الإشارة إليه مما زعمه « تسدال » أن صلاة المسلمين في غير المساجد كانت تأثرا بفعل اليهود ذلك في زوايا الشوارع .

هذا الكلام مردود عليه من الناحية التاريخية حيث لم يعرف عن اليهود والنصارى الصلاة إلا في الأماكن المخصصة لها كالكنائس ، والبيع ، والأديرة ، وغيرها ، وهذا الفعل خاصية لرسول الله - ﷺ - ولم تعط لأحد من قبله .

جاء في الصحيحين عن جابر عن النبي - ﷺ - قال : « أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي ، نصرت بالرعب مسيرة شهر ، وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا ، فأيما رجل أدركته الصلاة فليصل .. الحديث »[2] .

---

(١) مصادر الإسلام صـ ١٣ وما بعدها .

(٢) انظر صحيح البخاري ١ / ٨٦ ، كتاب التيمم وباب قوله ﴿ فلم تجدوا ماء فتيمموا ﴾ .

ومما استدل به « تسدال » على أخذ الإسلام من اليهودية التشابه في الوصايا العشر وزعم أن هذه الوصايا قد أخذها الإسلام من كتاب « جيمارا »[(١)] .

قلت : هذا شأن هؤلاء المستشرقين دائما إذا أرادوا إثبات أخذ الإسلام من التوراة استشهدوا بما يحكم عليه في موطن آخر ببطلانه . وإذا أراد إثبات أخذ الإسلام من مصادر غير موثوقة أسقط ما كان اعتبره مصدرا أصيلا في وقت آخر .

فـ« تسدال » من هذا القبيل لما أراد إثبات أن سفر التكوين لايعتد به رده مثبتا أنه قد كتب سنة ٢٢٠ م مع أن هذا يخالف إجماع اليهود والنصارى وهو يدل على أن هذا الكتاب ليس كلمة الله ، لأنه يحتمل دخول النقص والزيادة عليه ولا يؤمن تغييره وتبديله . هذا ليدلل أن محمدا - ﷺ - كان يعتمد على مصادر غير أصلية في اليهودية .

مع العلم أن الإسلام دين سماوي لم يعتمد على مصادر يهودية سواء كانت أصلية أو غير أصلية كما هو في أذهان هؤلاء المستشرقين والتشابه كما سبق وأكدنا مرارا لوحدة المصدر السماوي لهما .

فهذه الوصايا الإلهية جاءت بها كل الشرائع ونادت بها رسالات السماء على مر الأجيال فعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : « هذه الآيات محكمات لم ينسخهن شيء من جميع الكتب من عمل بهن دخل الجنة ومن كفر بهن دخل النار »[(٢)] .

وعن كعب الأحبار : « والذي نفس كعب بيده إن هذه الآيات لأول شيء في التوراة »[(٣)] .

(١) مصادر الإسلام صـ ١٣ وما بعدها (فصل اليهودية كمصدر) .
(٢) انظر تفسير الطبري ٨ / ٦٤ ، مطبعة دار المعرفة .
(٣) انظر تفسير الطبري ٨ / ٦٤ .

وقد وردت هذه الوصايا أو بعضها في الإسلام ، واليهودية ، والنصرانية ، والبوذية ، لكن بالمقارنة بينها يظهر أسلوب القرآن الفريد ، وتميز معانيه على غيره من الكتب الأخرى وقدرته على تكوين أمة كأنها الملائكة تمشي على الأرض بطهرها وبراءتها .

وسأعرض الآن نماذج من الوصايا في البوذية والنصرانية واليهودية والإسلام .

من الوصايا البوذية :

١ - لاتزهق روحا .
٢ - لا تأخذ ما لاتستحق .
٣ - لا تزن .
٤ - لاتكذب أو تغش أحدا .
٥ - لاتسكر .
٦ - كل باعتدال ولا تأكل شيئا بعد الظهر .
٧ - لاتشهد رقصا ولا تسمع غناء أو تمثيلا .
٨ - لا تلبس حليا ولا تتعطر ولا تتخذ زينة .
٩ - لا تنم في فرش باذخة .
١٠ - لاتقبل ذهبا ولافضة .

والوصايا الخمس الأولى واجبة على كل بوذي على الدوام ، أما الخمس الأخيرة فهي واجبة الاتباع في أيام الصوم ، إلا الرهبان فإن عليهم اتباع الوصايا كافة في سائر الأوقات .

وصايا التوراة :

هذه مجموعة من الوصايا وردت في أسفار العهد القديم كسفر الخروج ، وسفر اللاويين ، والتثنية :

١ – لايكن لك آلهة أخرى أمامي .
٢ – لا تضع لنفسك آلهة مسبوكة .
٣ – لا تنطق باسم الرب إلهك باطلا .
٤ – أكرم أباك وأمك .
٥ – لا تقتل .
٦ – لا تزن .
٧ – لاتسرق .
٨ – لاتشهد على قريبك شهادة زور .
٩ – لا تشته بيت قريبك ولا شيئا مما لقريبك .
١٠ – لا تقبل خبرا كاذبا .
١١ – لا تتبع الكثيرين إلى فعل الشر .
١٢ – لا تحاب مع المسكين في دعواه .
١٣ – افتح يدك لأخيك المسكين والفقير في أرضك .
١٤ – لا تضطهد القريب وتضايقه .
١٥ – لا تسيء إلى أرملة ولا يتيم .
١٦ – لا ترتكبوا جورا في القضاء .
١٧ – ابتعد عن كلام الكذب .
١٨ – لاتنتقم .
١٩ – لا تركبوا لا في القياس ولا في الوزن ولا في الكيل .
٢٠ – لا تحقد على أبناء شعبك .
٢١ – كن قديسا طاهرا .
٢٢ – تحب قريبك كنفسك .

وصايا الإنجيل :

أما تعاليم الإنجيل ووصاياه فقد وردت في إنجيل متى وهي تقول :

١ – طوبى للمساكين بالروح لأن لهم ملكوت السموات .

٢ – طوبى للحزانى لأنهم يتعزون .
٣ – طوبى للودعاء لأنهم يرثون الأرض .
٤ – طوبى للجياع والعطاش إلى البر لأنهم يعيشون .
٥ – طوبى لأتقياء القلب .
٦ – طوبى لصانعي السلام .
٧ – طوبى للمطرودين من أجل البر .
٨ – طوبى للرحماء لأنهم يرحمون .
٩ – ليس فحسب « لا تقتل » وإنما لا تغضب من أخيك وتقول له : « رقا » أو يا « أحمق » .

١٠ – فإذا قدمت قربانك إلى المذبح ، وهناك تذكرت أن لأخيك شيئا عليك فاترك هناك قربانك واذهب أولا اصطلح مع أخيك .

١١ – قد سمعتم أنه قيل للقدماء « لا تزن » وأما أنا فأقول لكم أن كل من ينظر إلى امرأة ليشتهيها فقد زنا بها في قلبه .

١٢ – قد سمعتم لا تحنث وأما أنا فأقول لكم لا تحلفوا البتة .

١٣ – سمعتم أنه قيل تحب قريبك وتبغض عدوك ، وأما أنا فأقول لكم : أحبوا أعداءكم ، أحسنوا إلى مبغضكم .

١٤ – وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم .. إلخ .

الوصايا القرآنية :

وردت الوصايا القرآنية في أكثر من سورة كسورتي الأنعام والإسراء .

قال تعالى : في آخر سورة الأنعام : ﴿ **قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا . وبالوالدين إحسانا . ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم . ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن . ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون . ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده . وأوفوا الكيل والميزان بالقسط . لا نكلف نفسا إلا وسعها . وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى . وبعهد الله**

أوفوا . ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون . وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله . ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون ﴾[1] .

وجاء في سورة الإسراء : ﴿ وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا .. وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا .. ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا .. ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم إن قتلهم كان خطئا كبيرا . ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة وساء سبيلا . ولا تقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف في القتل إنه كان منصورا ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولا . وأوفوا الكيل إذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خير وأحسن تأويلا . ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا . ولا تمش في الأرض مرحا إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا . كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها ﴾[2] .

هذه هي الوصايا القرآنية والناظر فيها وفي وصايا البوذية واليهودية والنصرانية يرى ضآلتها في الأسلوب والمحتوى والتأثير من وصايا القرآن الكريم حيث كان عرض القرآن الكريم لها بأسلوب أخاذ ، وطريقة فذة ، وحمل في ثنايا هذا العرض ما أجمعت عليه رسالات السماء وما ارتضته الأذواق والفطر المستقيمة ولكنه يعرض كل وصية في موضعها المناسب تارة ويجمعها مع أخواتها في إطار جميل تارة أخرى كما هو واضح لكل ناظر في وصاياه .

---

(١) سورة الأنعام الآية (١٥١ - ١٥٣) .

(٢) سورة الإسراء الآيات (٢٣ - ٣٨) .

وليس المقام مقام مقارنة بين وصايا القرآن الكريم ووصايا غيره من الكتب وإلا سيطول بنا المقام . فأترك الأمر لفطنة القارىء الذي سيجد في كتاب الله دليلا على تفوق القرآن في عرض هذه التعاليم وفي عمومها وشمولها قال تعالى : ﴿ **وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه** ﴾[١] .

لاشك أن التوراة والإنجيل فيهما هدى ونور ، وأدى كل كتاب منهما مهمة خاصة في إرشاد قطاع من الإنسانية إلى طريق الله ولكن هذا القرآن دستور الحياة والأحياء إلى أن تنتهي تلك الحياة .

أتى بوصاياه كما أتى بكل تعاليمه ومبادئه بقفزة في التاريخ البشري لا يدانيه كتاب سابق ، ولا يصل إلى شأوه وعظمته تشريع لاحق) اهـ[٢] .

ذكر الأستاذ سيد[٣] . أن الراجح في الصابئة هم تلك الطائفة من مشركي العرب قبل البعثة الذين ساورهم الشك فيما كان عليه قومهم من عبادة الأصنام فاهتدوا إلى التوحيد ، وقالوا : إنهم يتعبدون على الحنيفية الأولى ، ملة إبراهيم واعتزلوا عبادة قومهم دون أن تكون لهم دعوة منهم فقال عنهم المشركون : إنهم صبأوا - أي مالوا عن دين آبائهم - كما كانوا يقولون عن المسلمين بعد ذلك ومن ثم سموا الصابئة وهذا القول أرجح من القول أنهم عبدة النجوم كما جاء في بعض التفاسير .

وقد خصصت مبحثا كاملا عن الصابئة يرجع إليه للتعرف عليهم أكثر .

---

(١) سورة المائدة الآية (٤٨) .

(٢) انظر كتاب الوصايا العشر - دراسة مقارنة - لآيات من أواخر سورة الأنعام د / عبد الفتاح عاشور طبعة ١ / ١٨٩٨ هـ - ١٩٧٨ م مطبعة الحضارة العربية مصر صـ ٢١٣ - ٢٢٣ .

(٣) انظر في ظلال القرآن الكريم ١ / ٧٥ .

الفصل الثاني

شبهاتهم حول نص القرآن الكريم

المبحث الأول

تعريف القرآن الكريم

المبحث الثاني

شبه المستشرقين حول الوحي

المبحث الثالث

موثوقية النص القرآني وشبههم حوله

الفصل الثاني

شبهاتهم حول نص القرآن الكريم

المبحث الأول :

تعريف القرآن الكريم :

جاء تعريفه في دائرة المعارف البريطانية : (القرآن هو كتاب المسلمين المقدس، ويعده المؤمنون كلمة الحق من ربهم ، وأنه كتاب أوحي به إلى النبي - ﷺ - وجمع في كتاب بعد مماته ، ويعتقدون أنه كتاب أزلي ، وأنه أوجد في اللوح المحفوظ ، ومن المحتمل أن كلمة قرآن مشتقة من كلمة قرأ وهي كلمة سريانية في أصلها وفي قريانة أي القراءة كانت تستعمل في الكنيسة السريانية .

إلى أن قالت الموسوعة : .. وأنه لا مجال لتقليده ، حيث إن هذا هو الجنون بعينه)[1] .

تعليق :

هذا التعريف الذي ذكرته الموسوعة فيه أمور لابد من الوقوف عندها :

فالأمر الأول :

زعمهم أن القرآن جمع بعد ممات الرسول - ﷺ - وهذه المسألة قد تحدثت عنها بتوسع في موضوع الجمع في العهد الأول في حياة رسول الله - ﷺ - .

---

(١) قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية صـ ٢٣ ، وانظر أسرار القرآن صـ ٥ .

أما الأمر الثاني :

فزعمهم أن أصل كلمة قرآن من مصدر سرياني وسأتحدث عن هذه المسألة في موضوع التعريب إن شاء الله .

أما الأمر الثالث :

زعم « جرجس سال » أن كلمة قرآن من تأثير اليهود على المسلمين لأنهم يطلقون قراه أو مقرأة على التوراة وهذا الأمر قد رددت عليه كذلك في فصل المصادر .

أما القرآن الكريم فتعريفه عندنا معشر المسلمين :

(كلام الله - عز وجل - المعجز ، المتعبد بتلاوته ، المنزل على خاتم أنبيائه محمد - ﷺ - بلفظه ومعناه ، المنقول بالتواتر المفيد للقطع والتعيين ، المكتوب بين دفتي المصحف من أول سورة الفاتحة إلى آخر سورة الناس) .

أما الأمر الرابع :

اعتراف المستشرقين بعدم إمكانية محاكاة القرآن والإتيان بمثله ، وهذا أمر يعتبر مما وفقت له دائرة المعارف البريطانية .

فالله سبحانه قد جعل هذا القرآن معجزة نبيه - عليه الصلاة والسلام- التي يمتنع على أحد من خلقه تقليده أو الإتيان بمثله أو بمثل جزء منه قال تعالى : **﴿ فليأتوا بحديث مثله ﴾**[1] وقال تعالى : **﴿ أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات ﴾**[2] وقال سبحانه : **﴿ وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله ﴾**[3] ولكن الله سبحانه أثبت حقيقة حالهم أنهم

---

(١) سورة الطور : ٣٤ .

(٢) سورة هود : ١٣ .

(٣) سورة البقرة : ٢٣ .

لايستطيعون ولو اجتمع إنسهم وجنهم على هذا الأمر قال سبحانه : ﴿ **فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين** ﴾[1] وقد استعمل القرآن ضدهم كل أنواع التحدي ، من إغراء واستفزاز وغير ذلك ؛ ليبذلوا ما شاءوا من محاولات وليبذلوا قصارى جهدهم ولكنهم عجزوا فبانت قدرته سبحانه وبان عجز المخلوقين وظهر أن القرآن كلامه وحده دون سواه لا كما يزعم بعض هؤلاء المستشرقين الذين يعتبرونه كلام بشر سواء جعلوه من صنع محمد نفسه - عليه الصلاة والسلام - أو من كلام سواه .

المبحث الثاني :

شبه المستشرقين حول الوحي :

تقديم :

سبق أن وقف الوثنيون من القرآن الكريم موقفا لا يدل على عقلانية ولا على صدق مع أنفسهم . حيث لم يعتبروا القرآن الكريم وحيا إلهيا واعتبروه من صنع بشر .

وقد اتخذ هذا الموقف صورا عدة منهم ، منها :

قولهم عنه أنه أساطير الأولين ، أو محض اختلاق أو أنه كهانة أو سحر إلى غير ذلك من الأقوال المفتراة .

وكل هذه الأقوال ينقضها العقل ويكذبها الواقع .

وشاء الله - سبحانه - أن يعيد التاريخ نفسه في وقتنا الحاضر فيأتي المستشرقون ليرددوا تلك العبارات الساذجة في كتبهم ومقالاتهم ومحاضراتهم . بل ويزيدوا عليها أقوالا أخرى يكذبها الواقع ويردها العقل المستنير ، والحاضر المتمدن فحاولوا أن يدلسوا على الناس فريتهم ، فكان من أقوالهم أن القرآن من صنع محمد

---

(١) سورة البقرة : ٢٤ .

وتأليفه وبإعانة آخرين له بتبريرات لا تقبل ، وحاولوا جهدهم لتحديد المصدر الذي نبع منه هذا الوحي . فجاءت أقوالهم مختلفة متباينة لعدم وجود رصيد لها من الواقع والتاريخ وسأذكر هذه الشبه التي أتوا بها وأرد عليها إن شاء الله تعالى .

المسألة الأولى :

تعريف الوحي لغة واصطلاحا :

الوحي في اللغة : تقول وحيت إليه وأوحيت إذا كلمته بما تخفيه عن غيره . وأصله الإشارة السريعة .

وقد يكون على سبيل الرمز والتعريض ، وقد يكون بصوت مجرد ، أو بإشارة بعض الجوارح(١) .

فيكون معناه اللغوي : الإعلام الخفي السريع الخاص بمن يوجه إليه بحيث يخفى عن غيره .

أما شرعا : كلام الله تعالى المنزل على نبي من أنبيائه(٢) إما بكتاب ، أو برسالة ملك في منام أو إلهام .

وعرفه الإمام القسطلاني في إرشاد الساري بقوله : [إعلام الله تعالى أنبياءه الشيء إما بكتاب أو برسالة ملك أو منام أو إلهام](٣) .

المسألة الثانية :

أنواع الوحي :

حاول المستشرقون في موسوعتهم أن يبينوا كيفية نزول القرآن على سيدنا محمد - ﷺ - بقولهم : [إن طريقة نزول القرآن على محمد قد ذكرت في

---

(١) انظر المفردات في غريب القرآن - للراغب الأصفهاني صـ ٥١٥ .
(٢) انظر مباحث في علوم القرآن صـ ٣٢ وما بعدها .
(٣) إرشاد الساري لشرح البخاري ١ / ٤٨ كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله - ﷺ - .

القرآن ، فمنها : أن الله خاطب محمدا بشكل إيحائي ومن وراء حجاب أو بوساطة مراسل على صورة ملاك . ولهذا جاءت كلمة وحي لتدل على إيحاء من الله لرسوله على غرار الأنبياء الذين أوحى لهم . كما أن القرآن يستعمل اصطلاحا بأن القرآن نزل على الرسول ، فهذه الطريقة تدل على نوع من الخيال دون أن يكون هنالك صورة مرافقة لتوصيل هذا الخيال .

وأما الطريقة الثالثة في إيصال القرآن للنبي فهي عن طريق ملاك دون أن تذكر أن اسمه كان جبرائيل][1] .

هكذا نلاحظ أن الموسوعة البريطانية قد أخطأت في تصورها لأنواع الوحي الذي نزل على محمد - ﷺ - وهذا الخطأ - يبدو لي - ناتج عن سوء فهمهم لتفسير قوله تعالى : ﴿ **وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل فيوحي بإذنه ما يشاء إنه عليّ حكيم** ﴾[2] .

وتفسير الآية : يبين الله سبحانه وتعالى أن تكليمه لأنبيائه - عليهم السلام - وتبليغ هؤلاء الرسل رسالات الله لا يخرج عن واحدة من طرق ثلاثة :

الطريقة الأولى :

طريق الوحي والمقصود هنا إلهاما وقذفا في القلب منه بلا واسطة . وهو أن يلقي سبحانه في قلب نبيه الذي اختاره من خلقه ما يشاء من الأحكام والمعاني .

الطريقة الثانية :

التكليم من وراء حجاب دون أن يراه كما كلم موسى - عليه السلام - وتتمثل هذه الطريقة بسماع النبي المرسل صوتا دون أن يرى صاحب هذا

(١) انظر كتاب قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية - د / فضل عباس صـ ١٧٢ .
(٢) انظر سورة الشورى آية : ٥١ .

الصوت ، فيسمع النبي المرسل هذا الكلام ، كلام الله عز وجل من وراء جبل أو شجر أو شيء آخر وذلك ما كان لموسى – عليه السلام – ولهذا سمي موسى كليم الله . وجاء هذا المعنى صريحا – في كتاب الله عز وجل بقوله : ﴿**وكلم الله موسى تكليما**﴾[1] .

الطريقة الثالثة :

إرسال الرسول من الملائكة كجبريل – عليه السلام – لأحد من خلقه فيوحي ذلك الرسول إلى المرسل إليه بإذن ربه ما يشاء إيحاءه ، من أمر ونهي وغير ذلك[2] .

وخطأ الموسوعة قادم لظنهم أن هذه الآية خاصة بالرسول– عليه الصلاة والسلام– وأن أنواع الوحي الثلاثة المذكورة في الآية كلها إنما قصد بها النبي وحده والأمر ليس كذلك فالآية تقول : ﴿ **وما كان لبشر** ﴾ أي : أي بشر لأن كلمة « بشر » جاءت نكرة في سياق النفي فتفيد العموم فأي بشر أرسله الله كان وصول الرسالة إليه بإحدى هذه الطرق الثلاث ورسول الله – ﷺ – واحد من هؤلاء البشر المخصوصين بهذه الميزة ولكنه لم ينزل عليه شيء من القرآن إلا بالطريقة الثالثة عن طريق أمين الوحي جبريل – عليه السلام – أما الطريقتان الأوليان فهما عن طريق الوحي لأنبياء الله – عليهم السلام – فلم ينزل بهما ولا بغيرهما شيء من القرآن الكريم قال تعالى : ﴿ **وإنه لتنزيل رب العالمين . نزل به الروح الأمين . على قلبك لتكون من المنذرين . بلسان عربي مبين** ﴾[3] . وقال تعالى : ﴿ **قل من كان عدوا لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله** ﴾[4] .

---

(١) سورة النساء آية ١٦٤ .

(٢) قضايا قرآنية صـ ١٧٢ وما بعدها ، وتفسير القاسمي (محاسن التأويل) دار الفكر – بيروت – ط ٢ ، ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م ، جـ ١٤ / ٣٢٢ وما بعدها .

(٣) سورة الشعراء : ١٩٢ – ١٩٤ .

(٤) سورة البقرة : ٩٧ .

وبقي هناك أمران :

الأمر الأول :

عبارتهم [كما أن القرآن يستعمل اصطلاحا بأن القرآن نزل على الرسول ، فهذه الطريقة تدل على نوع من الخيال دون أن يكون هنالك صورة مرافقة لتوصيل هذا الخيال] .

هذا ناتج عن فهمهم أن الإنزال ليس بوساطة ملك ، وفسروا الإنزال تفسيرا حرفيا ، ولهذا قالوا ما قالوه ولو أنهم فهموا الآية فهما صحيحا لما وقعوا في هذا الخطأ . كما أن كثيرا من علماء الإسلام يفسرون الإنزال بمعنى الإعلام ،(1) فمعنى إنزال الله القرآن إعلام نبيه به .

والإنزال لم يكن خاصية للقرآن وحده وإنما كان عاما للكتب السماوية جميعها قال تعالى : ﴿ **إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور** ﴾(2) وقال سبحانه : ﴿ **وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه** ﴾(3) فالقرآن الكريم كغيره في صفة الإنزال .

أما الأمر الثاني :

عدم تعيين اسم الملاك أنه جبريل وهذا مدعاة للاستغراب والعجب ، فهل كان الأمر تجاهلا أو ناتجا عن سوء فهم ، مع أن القرآن الكريم نفسه ينص عليه صراحة سواء باسمه أو بوصفه قال تعالى : ﴿ **قل من كان عدوا لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله** ﴾(4) وقال تعالى : ﴿ **نزل به الروح الأمين** ﴾(5) والروح هو جبريل – عليه السلام – .

---

(1) انظر كتاب قضايا قرآنية صـ ١٧٤ .
(2) سورة المائدة : ٤٤ .
(3) سورة المائدة : ٤٧ .
(4) سورة البقرة : ٩٧ .
(5) سورة الشعراء : ١٩٣ .

المسألة الثالثة :

النظرة النصرانية للوحي :

إن نظرية الوحي عند النصرانية تتصل اتصالا وثيقا بنظرة المستشرقين إلى وحي القرآن وهي أساس الشبهات التي يثيرونها حول الوحي القرآني فالمراد بالوحي عند النصارى هو إظهار الحقائق الغير ممكن معرفتها بالقوى الطبيعية أما ما يمكن للعقل أن يصل إليه فيسمى إلهاما .

فقول النصارى هذه كلمة الله أو منزل من الله ، أو من عند الله أي أن الله سبحانه هو المؤلف السامي له باختيار مواضيعه ومعانيه ، وإلهام ناقليه وتحريكهم على كتابته بالنوع الذي أراده وعصمته إياهم عن الخطأ في غضون تسطيرها من أولها إلى ختامها . والمعنى أن الله سبحانه إذا أراد كتابة شيء من أسراره حرك كاتبا يختاره فيحثه على كتابة السفر المقصود ثم يمده بنفحته ويلهمه اختيار الحوادث والظروف والأعمال والأقوال التي شاء سبحانه بتبليغها لفائدة عباده[1] قال « جورج بوست » في كتابه (قاموس الكتاب المقدس) : [هو حلول روح الله في الكتاب الملهمين لاطلاعهم على الحقائق الروحية والأخبار الغيبية ، من غير أن يفقد هؤلاء الكتاب بالوحي شيئا من شخصياتهم فلكل منهم نمطه في التأليف وأسلوبه في التعبير][2] .

وقد عرف معجم لاروس الوحي قائلا : [حقيقة فعل يدخل به الهواء في الرئتين ومجازا نصيحة أو إيحاء أو حالة نفسية يوجد عليها الروح عندما يكون تحت تأثير قوة فوق الطبيعة كوحي موسى والأنبياء][3] .

ومن هنا لا يفقد المتكلم أو الكاتب شيئا من شخصيته وإنما يؤثر فيه الروح

---

(١) انظر القرآن والمستشرقون صـ ٣٥ - ٣٨ .
(٢) مباحث في علوم القرآن - صبحي الصالح صـ ٢٥ .
(٣) انظر القرآن والمستشرقون صـ ٣٨ .

الإلهي . ومن هنا نرى في كل مؤلف من الكتاب ما امتاز به من المواهب الطبيعية ونمط التأليف وما شابه ذلك .

وقولهم هذا في الوحي أبعد ما يكون عن الصعيد الديني المتصل بالله وأقرب إلى مدلول الكشف الذي عرفت البشرية ألوانا صافية منه لدى الشعراء الملهمين والمتصوفين العارفين وألوانا عكرة كدرة لدى الكهان والعرافين ، وأكثرهم من الدجاجلة الكذابين .

فمن السهل إثبات الكشف لكل من يدعيه ، ثم ننكر عليه مدلول الوحي ولو ظل يدعيه ، وغالبا ما يكون هذا ثمرة من ثمار الكد والجهد ، أو أثر من أثار الرياضة الروحية ، أو نتيجة للتفكير الطويل ، فلا ينشىء في النفس يقينا كاملا أو شبه كامل بل يظل أمرا شخصيا ذاتيا لا يتلقى الحقيقة من مصدر أعلى وأسمى[1] .

المسألة الرابعة :

الوحي في أسفار العهد القديم :

تعبر أسفار العهد القديم عن الوحي « بكلام الرب » وقد تعبر بلفظة الوحي عن « الرؤيا » كقوله مثلا : (وكلم الرب موسى قائلا)[2] وقوله في سفر ملاخي (الوحي الذي رآه حبقوق النبي) .

من هذا يتضح أن أنبياء بني إسرائيل كانوا يتلقون الكلام الإلهي إما مباشرة من الله سبحانه ، أو عن طريق (رجل الرب) ، أو عن طريق الرؤيا .

ومن هنا تختلف نظرية الوحي في الإسلام عنها في اليهودية والنصرانية حيث لا مجال عندهما لاتصال روحي بين الملأ الأعلى وبين رسل الله .

---

(١) مباحث في علوم القرآن - صبحي الصالح صـ ٢٦ .

(٢) سفر التكوين ٦ / ٣ - ٢٣ ، الإصحاح ٧ / ٣ - ٥ ، الإصحاح ١٢ / ١ - ٤ .

ولذلك جاءت تصوراتهم عن الوحي في قالب كلام مباشر من الرب إلى الأنبياء وهم يتصورون الرب في صورة إنسان أو يلهمهم إلهاما عن طريق تأثير قوة فوق الطبيعة ولكن التصور الإسلامي عن الوحي يختلف عن تصوراتهم تمام الاختلاف فهو يرد عن طرق عدة وهي :

١ - الرؤيا الصادقة :

وهي أول مرتبة من مراتب الوحي وأول ما نزل به القرآن ، وقد كانت هذه الرؤيا توجب التكليف أحياناً كما جاء في قصة الخليل - عليه السلام - في قصة الفداء، عن عائشة رضي الله عنها قالت: « كان أول ما بدىء به رسول الله- ﷺ - من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح »[١] .

٢ - ما كان يلقيه الملك في روعه وقلبه :

وهذه المرتبة هي الثانية من مراتب الوحي وهي ما كان ينفثه الملك في روع الرسول بأمر الله تعالى ، فكان بذلك وحيا ، منه قوله - ﷺ -: « إن روح القدس نفث في روعي لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها »[٢] .

٣ - مخاطبة الملك :

وهي المرتبة الثالثة فقد كان يتمثل له رجلا على صورة دحية الكلبي وغيره فيخاطبه حتى يعي ما يقول له . من ذلك حديث عمر الطويل[٣] .

---

(١) صحيح مسلم - كتاب الإيمان جـ ١ / ١٣٩ - ١٤٠ (طبعة دار الفكر) بيروت .

(٢) انظر الفتح الكبير - للسيوطي ١ / ٣٩٣ ونسبه لأبي نعيم في حلية الأولياء وانظر كشف الخفاء ١ / ٢٣١ .

(٣) صحيح البخاري ١ / ١٨ كتاب الإيمان باب ٣٧ ، سؤال جبريل النبي - ﷺ - عن الإسلام والإيمان والإحسان .. إلخ .
قال العلماء : لم يثبت تلقي رسول الله - ﷺ - شيئا من القرآن من جبريل وهو على هذه الصورة ، وإنما كان يعلمه بعض أمور دينه ويبلغه بعض أوامر ربه كل ذلك حتى لا يلتبس على الناس أن الذي يعلمه بشر اهـ .

٤ - مخاطبة جبريل له مثل صلصة الجرس :

وهذه هي المرتبة الرابعة وقد كانت أشدها على رسول الله - ﷺ - عن عائشة - رضي الله عنها - قالت : « إن الحارث بن هشام سأل رسول الله - ﷺ - كيف يأتيك الوحي ؟ قال : أحيانا يأتيني مثل صلصة الجرس ، وهو أشدها علي فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال ، وأحياناً يتمثل لي الملك رجلا ليكلمني ، فأعي ما يقول . قالت عائشة : ولقد رأيته ينزل عليه الملك في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه ، وإن جبينه ليفصد عرقا »(١) .

وهذه المرتبة يحصل فيها مخالطة الروح لروع وجسد الرسول - ﷺ - ويخاطبه بصوت قوي صارخ ، فيه عنف كعنف صلصلة الجرس ، يسمعه رسول الله - ﷺ - ولا يسمعه غيره ، ويحس في نفسه ولا يحس غيره ، ويكلمه بكلام مفهوم، ويحدث على جسمه ثقلاً جسميا ضاغطا على ما يكون رسول الله - ﷺ - جالسا عليه .

٥ - رؤيته الملك في صورته التي خلق عليها :

وهذه المرتبة هي المرتبة الخامسة ولم تقع له إلا مرتين فقط .

المرة الأولى :

وهي التي جاء ذكرها في حديث جابر بن عبد الله الأنصاري حيث قال : « قال رسول الله - ﷺ - وهو يحدث عن فترة الوحي .. فبينا أنا أمشي سمعت صوتا من السماء ، فرفعت رأسي ، فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالسا على كرسي بين السماء والأرض .. » الحديث(٢) .

---

(١) انظر إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري ١ / ٥٧ - ٥٨ .

(٢) صحيح مسلم - كتاب الإيمان - باب بدء الوحي ١ / ١٤٣ .

والمرة الثانية :

عندما عرج به إلى السموات العلا كما جاء ذكره في حديث أنس بن مالك - رضي الله عنه - الطويل .

وقد وصفت عائشة - رضي الله عنها - جبريل - عليه السلام - بالهيئة التي رآها عليه رسول الله - ﷺ - بقولها عما استوضح عنه أبو عائشة (مسروق) من قوله تعالى : ﴿ **ولقد رآه نزلة أخرى** ﴾[(١)] حيث قالت : أنا أول هذه الأمة سأل عن ذلك رسول الله - ﷺ - فقال : « إنما هو جبريل ، لم أره على صورته التي خلق عليها غير هاتين المرتين رأيته منهبطا من السماء ، ساداً عظم خلقه ما بين السماء إلى الأرض .. » الحديث[(٢)] .

روى الإمام أحمد بن حنبل في مسنده عن أنس بن مالك أن مالك بن صعصعة حدثه أن نبي الله - ﷺ - حدثهم عن ليلة أسري به قال : بينا أنا في الحطيم قال قتادة : في الحجر مضطجع إذ أتاني آت .. ثم أتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار أبيض قال : فقال الجارون : هو البراق يا أبا حمزة قال : نعم . يقع خطوه عند أقصى طرفه قال : فحملت عليه فانطلق بي جبريل - عليه السلام - حتى أتي بي السماء الدنيا فاستفتح فقيل : من هذا ؟ قال : جبريل قيل : ومن معك ؟ قال : محمد . قيل : أوقد أرسل إليه ؟ قال نعم : قيل : مرحبا به ونعم المجيء جاء . قال ففتح .. ثم صعد حتى أتى السماء الأولى .. الثانية .. الثالثة ... ... السابعة .

قال : ثم رفعت إلى سدرة المنتهى .. فقال : هذه سدرة المنتهى قال : وإذا أربعة أنهار نهران باطنان ونهران ظاهران . فقلت : ما هذا ياجبريل ؟ قال : أما الباطنان نهران في الجنة ، وأما الظاهران فالنيل والفرات .. إلخ[(٣)] .

---

(١) سورة النجم : ١٣ .

(٢) انظر : صحيح مسلم - كتاب الإيمان - باب بدء الوحي ١ / ١٤٣ .

(٣) انظر مسند الإمام أحمد ٤ / ٢٠٧ - ٢١٠ / ٢ / ١٦٤ .

٦ – ايحاؤه سبحانه له من وراء حجاب :

وهو فوق السموات السبع في معراجه وهي المرتبة السادسة لقوله تعالى : **﴿ ما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب .. ﴾**الآية[١] .

والجدير بالذكر أن هذه المراتب لم ينزل عن طريقها قرآن قط إلا ما كان عن طريق جبريل – عليه السلام – وإنما كان ينزل عليه بهذه المراتب غير القرآن الكريم . حتى لا يلتبس ما هو قرآن بغيره من التوجيهات النبوية . كما سبق الإشارة إليه .

المسألة الخامسة :

الشبه على ظاهرة الوحي :

عجزت عقول المستشرقين ومختبراتهم العلمية أن توصلهم إلى كنه ظاهرة الوحي . فاختلفوا في هذه الظاهرة على أقوال متباينة مجافية للحق ، مجانبة للصواب ، وكل ذلك سببه تصورهم ظاهرة الوحي في النصرانية وقياس ظاهرة الوحي في الإسلام عليها .

وسأجمل أقوالهم في ظاهرة الوحي في نقاط محدودة .

١ – الوحي النفسي ، والإلهام السمعي .
٢ – بتأثير انفعالات عاطفية .
٣ – لأسباب طبيعية عادية كباعثة النوم (التنويم الذاتي) .
٤ – تجربة ذهنية فكرية .
٥ – كحالة الكهنة والمنجمين .
٦ – حالة صرع وهستيريا .

وغير ذلك من الأقوال التي فاقت سذاجة الجاهلين الأوائل .

---

(١) سورة الشورى : ٥١ .

الشبهة الأولى :

الوحي النفسي :

قالوا : نحن لا نشك في صدق محمد في خبره عما رأى وسمع ولا نشك في كونه مصلحا اجتماعيا ، وعبقريا فذا ، وإنما نقول أن منبع ذلك إلهام من نفسه وليس فيه شيء جاء من عالم الغيب الذي يقال : إنه وراء عالم المادة والطبيعة الذي يعرفه جميع الناس . فإن هذا الغيب شيء لم يثبت عندنا وجوده ، كما أنه لم يثبت عندنا ما ينفيه ، ويلحقه بالمحال .

فمنازع نفسه العالية وسريرتها الطاهرة ، وقوة إيمانه ، وخياله الواسع وإحساسه العميق ، وعقله الكبير ، وذكاؤه الوقاد ، وذوقه السليم ، مما كان لذلك التأثير بأن يتجلى في ذهنه ، ويحدث في عقله الباطن الرؤى والأحوال الروحية فيتصور أن ما يعتقده إلهيا نازلا عليه من السماء بدون وساطة ، أو عن طريق رجل يتمثل له يلقنه ذلك ، أو يسمعه يقول له شيئا في المنام ، والقرآن شيء من هذا الذي يراه ويتخيله وإنما كل ذلك نابع من نفسه ، ومن عقله الباطن ، وصورة لأخيلته ووجدانه التي انطبعت في نفسه بما يحيط بها من شائعات في بيئته على حد تعبير « جب » فامتلأ بها عقله الباطن ففاضت بذلك نفسه ثم صاغها بأسلوبه المؤثر، وخياله الخصيب، نتيجة لخلواته الخاصة بغار حراء، وتأملاته العميقة.

واستدلوا على ذلك بقصة الفتاة الفرنسية « جان دارك » في القرن الخامس عشر الميلادي التي اعتقدت أنها مرسلة من عند الله لإنقاذ وطنها ، ودفع العدو الإنكليزي عنه ، وادعت أنها تسمع صوت الوحي ، فأخلصت في دعوتها ، وتوصلت بصدق إرادتها وحسن سيرتها إلى رياسة جيش صغير تغلبت به على العدو ثم خذلها قومها فوقعت في يد عدوها فألقوها في النار حية فماتت غب انتصارها ، وقد ذهبت تاركة وراءها اسما يذكره التاريخ[1] .

---

(١) انظر المدخل لدراسة القرآن الكريم لأبي شهبة صـ ٩٠ ، والوحي المحمدي صـ ٨٩ ، وشبهات مزعومة =

الجواب :

لما كان الوحي هو الأساس الذي يترتب عليه جميع حقائق الإسلام بعقائده وتشريعاته ، وهو المدخل للتصديق بكل ما جاء به الرسول - ﷺ - من إخبارات غيبية وأوامر تشريعية من أجل هذا وغيره اهتم أعداء الإسلام بالتلبيس والتشكيك في حقيقة الوحي الإلهي ليشككوا المسلمين في دينهم ويحولوا بين غير المسلمين وخاصة الأوربيين وبين الإسلام[1]، لذا زعموا أن الوحي ناتج عن سبب من هذه الأسباب التي لخصناها من الشبه آنفة الذكر .

وقد قامت الأدلة النقلية والعقلية على بطلان هذه المزاعم . فمن الأدلة النقلية :

١ - قوله تعالى: ﴿ **وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى** ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿**إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده**﴾[3].

٢ - ووصفه - ﷺ - لكيفية إتيان الوحي إليه . كما ورد في حديث عائشة - رضي الله عنها - عندما سأله الحارث بن هشام : « أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشده علي فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال وأحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فأعي ما يقول .. » الحديث[4].

وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : « أول ما بديء به رسول الله - ﷺ - من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم .. » الحديث[5] .

أما الأدلة العقلية فكثيرة كذلك . ولكني سأقتصر على رد عام على فريتهم هذه.

= حول القرآن الكريم للقمحاوي صـ ٤١ ، ومقدمة القرآن ، صـ ٢٠ .

(١) انظر توثيق نص القرآن الكريم - خالد عبد الرحمن العك صـ ٢٧ - ٢٨ .

(٢) سورة النجم ٣ - ٤ .

(٣) سورة النساء : ١٦٣ .

(٤) انظر صحيح البخاري كتاب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ، بشرح إرشاد الساري .

(٥) نفس المرجع ١ / ٦١ .

فالمستشرقون بنوا هذه الشبهة على مقدمات مبناها أن فكرة الوحي تكونت نتيجة تشبع العقل الباطن بما في البيئة من ثقافات وعقائد وغير ذلك مما جعل نفسه الصافية تفيض بما فيها من ذخائر وقد فصلت القول في كل ما زعموه كركائز للوحي النفسي من ثقافة يهودية ونصرانية ووثنية ومجوسية وزرادشتية وغير ذلك في فصل المصادر المزعومة للقرآن الكريم فليرجع إليها هناك .

وعلى إثر سقوط هذه المقدمات تسقط النتيجة التي توصلوا لها في تفسير ظاهرة الوحي أنها (وحي نفسي) أو ناتج عن رياضات روحية وتفكير طويل كإلهام الواصلين ، وكشف العارفين[1] .

ولكن لابد من كلمة عامة على هذه الشبهة ، فالناظر لهذا الدين وحقيقته يجده فريدا متميزا صافيا بكل ما جاء به من عقائد وشرائع عما كان موجودا في وسطه الذي كان يعيش فيه - عليه الصلاة والسلام - .

فقد جاء هذا الدين عاما شاملا لكل نواحي الحياة ، سهلا في عبادته ، دقيقا في معاملاته ، رادعا في حدوده ، فذا في نظمه الاقتصادية والسياسية وغيرها ، عظيما في أخلاقه وآدابه ، إلى غير ذلك من المزايا والفضائل أكل هذه العقائد والنظم والتشريعات كانت مذكورة مدخرة في نفس محمد - ﷺ - ابن البيئة المختلفة العقائد ، والفقيرة الموارد ، المختلفة الأنظمة ، المضطربة الأخلاق والآداب ؟ .

فهذا الإسلام بعظمته ، والقرآن بربانيته يبطل كل هذه المزاعم ، والعلم يكشف كل يوم لنا من أسرار آياته في الأنفس والآفاق مما يؤكد أنه من تنزيل إلهي ، وليس فيه أدنى شيء لعقل بشري ، لأنه أعجز من أن يؤلف شيئا من مثل آياته فكيف تأتي هذه الفرية لتزعم أن هذا القرآن فيض بشري ووحي نفسي لمحمد - ﷺ - .

(١) مباحث في علوم القرآن - صبحي الصالح صـ ٢٦ .

وقد كان الوحي يفتر عنه فترات وهو بأشد الحاجة إليه ولا يجد جوابا لما سألوه، أو بما تحدوه. كما أن الوحي ليس إلهاما فقط بل هو إخبار من الله سبحانه لنبيه - ﷺ - بواسطة أو بدون واسطة، ويكون قلبيا أو قلبيا وسمعيا، أو قلبيا وسمعيا وبصرياً.

روى السيوطي في كتابه لباب النقول في أسباب النزول حيث قال:

أخرج ابن جرير من طريق ابن إسحاق عن شيخ من أهل مصر عن عكرمة عن ابن عباس قال: «بعثت قريش النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط إلى أحبار اليهود بالمدينة فقالوا لهم سلوهم عن محمد وصفوا لهم صفته، وأخبروهم بقوله فإنهم أهل الكتاب الأول وعندهم ما ليس عندنا من علم الأنبياء، فخرجا حتى أتيا المدينة، فسألوا أحبار اليهود عن رسول الله - ﷺ - ووصفوا لهم أمره، فقالوا لهم: سلوه عن ثلاث إن أخبركم بها فهو نبي مرسل وإن لم يفعل فالرجل متقول.

سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ما كان أمرهم فإنه كان لهم أمر عجيب، وسلوه عن رجل طواف بلغ مشارق الأرض ومغاربها ما كان نبؤه، وسلوه عن الروح ما هو. فأقبلا حتى قدما على قريش فقالا قد جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد. فجاءوا رسول الله - ﷺ - فسألوه: فقال: أخبركم غدا بما سألتم عنه ولم يستثن، فانصرفوا ومكث رسول الله - ﷺ - خمس عشرة ليلة لا يحدث الله في ذلك إليه وحيا، ولا يأتيه جبريل حتى أرجف أهل مكة وحتى أحزن رسول الله - ﷺ - مكث الوحي عنه وشق عليه ما تتكلم به أهل مكة ثم جاءه جبريل من الله بسورة أصحاب الكهف فيها معاتبته إياه على حزنه عليهم، وخبر ما سألوه عنه من أمر الفتية والرجل الطواف وقول الله يسألونك عن الروح»[1].

---

(١) كتاب النقول في أسباب النزول حاشية على تفسير الجلالين - طبعة عبد الحميد حنفي مصر ص ٢٢٩ - ٢٣٠.

فكيف إذن يعجز محمد - ﷺ - أن يأتيهم بجواب وهو صاحب العقل الباطن المملوء بالمعارف ، وصاحب الوجدان الملتهب ، والنفس المتوثبة ، والقريحة المتوقدة ، والبديهة الحاضرة .

ماذا إلا لأن القرآن تنزيل من حكيم حميد لا دخل لرسول الله - ﷺ - بشيء منه .

كما ينقض هذه الفرية كون العقل الباطن على ما يقول علماء النفس إنما يفيض بما فيه في غفلة من العقل الظاهر ، ولذلك لا يظهر ما فيه إلا عن طريق الرؤى والأحلام ، والأمراض كالحمى مثلا ، وفى الظروف غير العادية ، والقرآن الكريم لم ينزل شيء منه في هذه الحالات وإنما نزل على نبي الله - ﷺ - يقظة لا مناما ، وفي اكتمال من عقله وبدنه ، في تمام صحة نفسه فهكذا يظهر لنا جليا أن فريتهم الوحي النفسي التي أتى بها لإبطال الوحي الإلهي مكشوفة وما استندوا إليه من مقدمات باطلة مردودة ونتائجهم غير صائبة .

فبهذا يثبت الحق أن الوحي الإلهي من الله سبحانه وحده دون تدخل بشري[(١)] .

والله تعالى أعلم .

أما ما استدلوا به لهذه الفرية بقصة الفتاة الفرنسية (جان دارك) فباطلة ، لأن (جان دارك) لم تدع النبوة ، ولو أنها ادعت لما صدقت ، لأن دعوى النبوة لا تثبت إلا بدليل وهي المعجزة ، ولم يظهر من هذا على يدها .

والفتاة لاشك أنها كانت قوية القلب ، مرهفة الحس ، أصيبت بهيجان عصبي لما أصاب قومها من اضطهاد وظلم مما حرك وجدانها بسبب شعورها الديني ، فاستنهضت قومها للقتال ، وقادتهم للخلاص من ذل الاستعباد . وهذا أمر متكرر في كل البيئات والأوقات أن يوجد في مثل هذه الظروف مثل هذه

---

(١) انظر المدخل لدراسة القرآن الكريم صـ ٩٩ - ١٠٠ .

الفتاة من رجال أو نساء .

حيث تلاقي دعواتهم هوى في نفوس أقوامهم فيهبوا وراءهم لنصرة صاحب فكرة الخلاص .

وشبيه بهذا أصحاب دعوة المهدي المنتظر ، أو دعوى الباب الإيراني ، والبهاء والقادياني وغيرهم في التاريخ كثير ، مما زعموا أنه يوحى إليهم حيث وجدوا من يغتر بدعواتهم الكاذبة فأين دعوة هؤلاء جميعا من دعوة المصطفى - ﷺ - التي غيرت تاريخ أمة فجعلتها فريدة في عقيدتها وشريعتها وهدايتها الربانية قامت على كل ذلك حضارة لها طابعها الخاص بمدة قياسية .

أما (جان دارك) فإنها لم تصنع بدعوتها أمة و لم تقم بها حضارة فأين الثرى من الثريا . فلا قياس[(١)] .

الشبهة الثانية :

زعم نولديكة أن ظاهرة الوحي كانت بسبب تأثير النوبات الانفعالية الطاغية التي كانت تسيطر عليه مما كان يدعو محمدا - ﷺ - إلى الشعور بأنه تحت تأثيرات إلهية[(٢)] حيث قال :

[كانت نبوة محمد نابعة من الخيالات المتهيجة والإلهامات المباشرة للحس أكثر من أن تأتي من التفكير النابع من العقل الناضج . فلولا ذكاؤه الكبير لما استطاع الارتقاء على خصومه .. مع هذا كان يعتقد أن مشاعره الداخلية قادمة من الله بدون مناقشة][(٣)] .

الجواب :

هذه الشبهة لها قرب من الشبهة الأولى وتدل على تجن ، وسوء فهم واضح ،

---

(١) انظر المدخل لدراسة القرآن الكريم صـ ١٠٣، انظر الوحي المحمدي لمحمد رشيد رضا صـ ٨٩-٩٤.

(٢) انظر مقدمة القرآن - واط صـ ١٨ .

(٣) تاريخ القرآن - نولديكة ١ / ٥ .

ويرد ذلك الوقوف على سيرته - ﷺ - وعلى كيفية نزول الوحي عليه .

فالواقف على ذلك يجد أن الوحي كان يأتي رسول الله - ﷺ - في أوقات عدة وبأشكال مختلفة فقد كان يأتيه في ظروف اعتيادية ، ويقطعه في ظروف عصيبة وهو بأشد الحاجة إليه . فكل ذلك يدل على أن الوحي خارج عن ذاته وليس له فيه أدنى تدخل . فهاهم المنافقون يخوضون في عرضه الشريف في قصة الإفك التي افتريت ضد زوجه المصون ويشتد الأمر عليه ويتمنى لو يجد شيئا يقوله ليبرىء زوجه أو يثبت مايقولونه فيرتاح مما هو فيه ولكن الأمر ليس بيده، ولم يستطع أن يقول شيئا حتى نزل من صاحب هذا القرآن وهو الله سبحانه ما يبرىء هذه الزوجة الطاهرة النقية ويرد كيد المنافقين .

وما حصل معه في سؤال المشركين له عن ثلاثة الأسئلة المذكورة في قصة أهل الكهف وقد ذكرت القصة بطولها أثناء ردي على الشبهة الأولى مما بينت أن الرسول - ﷺ - لم يستطع أن يأتيهم بجواب حتى خاض المشركون في أمر الرسول - ﷺ - ما طاب لهم من قول حتى نزلت الإجابة من السماء .

كل ذلك يؤكد أن الوحي أمر خارج عن إرادة نبينا محمد - ﷺ - وعن رغبته وأنه ما كان يظهر عليه أثناء نزول الوحي عليه أثر للانفعالات الطاغية المزعومة عند « نولديكة » فقد كان يأتيه أحيانا بصورة رجل كبقية الرجال حتى أنه لا يستطيع أن يميز جبريل -عليه السلام- أحد من الحاضرين إلا رسول الله - ﷺ - فيدارس الرسول - ﷺ - قواعد الإسلام وأصوله كما حصل فيما رواه « عمر » في حديثه الطويل . كما أنه أحيانا كان ينفث في روعه شيئا من أمور الإسلام .

وأشد ما كان يلاقيه عند نزول جبريل - عليه السلام - بصوت كصلصلة الجرس وهذا الصوت كان يثير في رسول الله - ﷺ - عوامل الانتباه فتهيأ نفسه بكل قواها لتلقي القول الثقيل الذي جاء به من الله - سبحانه وتعالى - وهذه الكيفية شدتها ناتجة لما يحصل من ممازجة جبريل - عليه السلام - لروح محمد -

ﷺ – ويخاطبه بصوت قوي يشبه صوت الجرس يفهمه هو دون غيره .

وسبب المعاناة والتعب والكرب عند نزول الوحي ، لأنه أمر طارىء على الطباع البشرية .

وقال في الإمتاع : جعل الله تعالى لأنبيائه – عليهم السلام – الانسلاخ من حالة البشرية إلى حالة الملكية في حالة الوحي فطرة فطرهم عليها ، وجبلة صورهم فيها ، ونزههم عن موانع البدن وعوائقه ماداموا ملابسين لها بما ركب في غرائزهم من العصمة والاستقامة فإذا انسلخوا عن بشريتهم وتلقوا في ذلك ما يتلقونه عادوا على المدارك البشرية لحكمة التبليغ للعباد . فتارة يكون الوحي كسماع دوي كأنه رمز من الكلام يأخذ منه المعنى الذي ألقي إليه فلا ينقضي الدوي إلا وقد وعاه وفهمه . وتارة يتمثل له الملك رجلا فيكلمه ويعي ما يقوله والتلقي من الملك والرجوع إلى البشرية وفهمه ما ألقي إليه كله يتم في لحظة واحدة ، بل أقرب من لمح البصر ، ولذا سمي وحيا .

وإنما كان التعب والشدة في حالة النزول ليبلو صبره فيرتاض لاحتمال ماكلفه من أعباء النبوة .

وفائدة هذه الشدة ما يترتب على المشقة الناتجة عن تلقي الوحي من زيادة الزلفي ورفع الدرجات(١) .

فصور الوحي كلها تدل أن رسول الله – ﷺ – كان في حالة تلقيه الوحي يكون في قمة الهدوء وسلامة الأعصاب و لم يكن يظهر عليه أي انفعالات عاطفية طاغية ، وهيجان أحساسيس كما زعم « نولديكة » .

الشبهة الثالثة :

زعم بعضهم أن منشأ الوحي من أسباب طبيعية عادية كباعثة النوم أو

---

(١) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري ١ / ٥٨ – ٦٠ .

ما سماه « واط » (التنويم الذاتي)[1] .

الجواب :

هذه فرية من جملة مفترياتهم حيث إن البعد شاسع بين الوحي وبين عارض السبات الطبيعي الذي يعتري المرء حيث إن ظاهرة الوحي كانت تعتريه قائما أو قاعدا ، أو سائرا ، أو راكبا ، وبكرة أو عشيا ، ليلا أو نهارا ، وفي أثناء حديثه مع أصحابه أو مع أعدائه ، وكانت تعتريه فجأة وتزول عنه فجأة ، وتنقضي عنه أحيانا في لحظات يسيرة لا بالتدريج الذي يعرض للوسنان . وكانت تصاحبها تلك الأصوات الغريبة التي تشبه صلصة الجرس والتي لا تسمع عند النوم وغيره . فمن هنا يظهر أنها كانت تباين حال النائم في كل أوضاعها وأوقاتها وأشكالها. فقد صور لنا الإمام البخاري –رحمه الله تعالى– بسنده إلى رسول الله – ﷺ – صورة من هذه الصور عندما طلب يعلى من عمر بن الخطاب – رضي الله عنهما – أن يريه النبي – ﷺ – حين يوحى إليه .

قال الإمام البخاري : فبينما النبي – ﷺ – بالجعرانة ومعه نفر من أصحابه جاءه رجل فقال : يارسول الله كيف ترى في رجل أحرم بعمرة وهو متضمخ بطيب ؟ فسكت النبي – ﷺ – ساعة فجاءه الوحي ، فأشار عمر – رضي الله عنه – إلى يعلى ، وعلى رسول الله – ﷺ – ثوب قد أظل به فأدخل رأسه فإذا رسول الله – ﷺ – محمر الوجه ، وهو يغط . ثم سري عنه . فقال : أين الذي سأل عن العمرة ؟ فأتي برجل فقال : اغسل الطيب الذي بك ثلاث مرات ، وانزع عنك الجبة ، واصنع في عمرتك كما تصنع في حجتك[2] .

فهذا يبين أن ظاهرة الوحي ليس لها تحضير مسبق من قبل رسول الله – ﷺ – كما زعم ذلك « واط » بل هي ظاهرة خارجة عن ذاته الشريف وبغير

---

(١) وحي الله – د / حسن عتر صـ ١٤١ .

(٢) انظر صحيح البخاري ، كتاب الحج – باب غسل الخلوق من الثياب انظر إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري ٣ / ١٠٤ – ١٠٥ .

إرادته وأعراضها لا تستجلب ولا تدفع .

والذي يزيد هذه الحقيقة وضوحا سماع صوت دوي كدوي النحل عند وجه الرسول -ﷺ- يسمعه من حوله كما في حديث عمر بن الخطاب- رضي الله عنه -: « كان رسول الله - ﷺ - إذا نزل الوحي يسمع عند وجهه كدوي النحل .. » الحديث[1] .

فهل من كان في سبات يسمع عند وجهه مثل هذا الدوي ؟ كل ما ذكرت يدل على بطلان هذا الرأي الذي زعمه « واط » ومن معه وفساده[2] .

كما يبين جليا التغاير الواضح بين الظاهرتين . ظاهرة الوحي وظاهرة « التنويم الذاتي » كما سماها بعض المستشرقين .

الشبهة الرابعة :

زعم بعض المستشرقين أمثال « بل » و « واط »[3] أن الوحي كان تجربة ذهنية فكرية وأن النبي - ﷺ - أدرك ما أدرك نتيجة قدرته على التركيز واستدامته ذلك على مستوى تجريدي لا يطيقه غيره لذا كان يختار له ساعات الليل لأنها أدعى للفكر وأصفى للروح ، وأكثر استجابة لعواطفه .

الجواب :

١ - هذا هو الفكر المادي الذي لا يعترف بتكامل بين الروح والمادة ولا يؤمن إلا بالمحسوس الذي يدخل تحت عدسات المجهر والتحليل المخبري .

فالنبوة لا تخضع لمثل هذه الدراسات . فالإنسان مهما جرب وركز بكامل قواه العقلية ليصبح نبيا لا يمكن أن يصبح نبيا ولا يصل لرتبتها . وأبرز ظواهر النبوة الوحي . وهذا الوحي لا يمكن تحضيره ولا استحضاره وإنما يأتي

---

(١) سنن الترمذي - كتاب التفسير - باب ومن سورة المؤمنون .

(٢) وحي الله د / حسن عتر صـ ١٤٢ - ١٤٥ .

(٣) انظر مقدمة القرآن - واط صـ ١٨ .

فجأة وبإذن من صاحبه فقط وهو الله سبحانه ، وبلحظات خاطفة كما بينت خلال ردي على الشبهة السابقة ، فهو إذا ليس نتيجة فيضان نفسي ، أو كبت لمجموعة من التأملات احتشدت وتفجرت في نفس النبي - ﷺ - لأن النبوة اصطفاء رباني علوي مسبوق ببعض الإرهاصات ، لا يعرف التدرج إلى ما يسمى النضج في النهاية .

٢ - أمر نبوة محمد - ﷺ - ليس أمرا بدعيا وإنما هو حلقة في سلسلة النبوة ، ولبنة في صرحها العظيم يعرفه كل أصحاب الديانات لذا فعندما سمع ورقة ابن نوفل من رسول الله - ﷺ - خبر الوحي قال له : هذا هو الناموس الذي أنزله الله على موسى - عليه السلام -(١) .

قال الأستاذ قحطان الدوري : [إن الوحي أمر خارج عن النفس وهو الأساس الذي يبنى عليه الاعتقاد بالنبوات ، وهو الطريق الذي جاءت به العقائد .. ولذلك اهتم الأعداء بإثارة الشكوك حول الوحي ، والوحي أمر ثقيل لا يستطيعه إلا من ارتاض جسده على تحمل عبء النبوة](٢) .

٣ - الواقع التاريخي وسيرته - ﷺ - تكذب وتبطل هذه الفرية :

أ - من ذلك ما نقلته لنا كتب السير قدوم عبد الله بن أم مكتوم يطلب من رسول الله - ﷺ - أن يعلمه مما علمه الله في الوقت الذي كان جالسا يخاطب فيه زعماء قريش ويناجيهم طمعا في إسلامهم ، فانصرف عنه وعبس في وجهه . فعاتبه الله عز وجل على ذلك بصدر سورة عبس(٣) .

وكذلك حادثة(٤) أخذه الفدية بدلا من قتل الأسرى في عقب غزوة بدر فنزل عتابه بقوله تعالى : ﴿ **ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في**

---

(١) إرشاد الساري لشرح البخاري - كتاب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله - ١ / ٦٥ .

(٢) انظر تصحيح المفاهيم - أنور الجندي صـ ٥٤ - ٥٦ .

(٣) أسباب النزول للواحدي صـ ٣٣٢ (طبعة مكتبة المتنبي - القاهرة) .

(٤) نفس المرجع صـ ١٧٨ .

الأرض .. ﴾[1]

وحادثة مجادلة خولة بنت ثعلبة وشكواها زوجها لرسول الله - ﷺ - فنزل صدر سورة المجادلة قبل مفارقتها المجلس[2] .

فما نزل من هذه الوقائع كان في حينه وقبل أن ينهض رسول الله - ﷺ - من مجلسه أحيانا مما يؤكد أنه ليس نتيجة إجهاد ذهن أو طول تفكير بساعات الليل لصفائها على حد زعم بعض المستشرقين .

وقصة إرسال قريش للنضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط لأحبار اليهود بالمدينة وسؤالهم الأحبار عن محمد - ﷺ - عن أمر الفتية ، والرجل الطواف ، والروح ، فأخبرهم أنه سيجيبهم في الغد ولم يستثن ولكن الوحي انقطع خمس عشرة ليلة حتى أرجف أهل مكة لانقطاع الوحي وكثر اللغط في حق الرسول - ﷺ - فنزل صدر سورة الكهف[3] .

فلو كان نبينا محمد يأتي بهذا القرآن من بنات فكره ، وبلمسة فكرية سحرية منه أو بإطالة تأمل فما الذي كان يمنعه من أن يأتي بشيء منه للإجابة على أسئلتهم مع أنه في أشد الحاجة إليه وخاصة في مثل هذه الظروف .

ولكنه ما كان ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله[4] وصدق ربنا إذ يقول : **﴿ ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين فما منكم من أحد عنه حاجزين ﴾**[5] .

ب - آيات كثيرة عاتب الله سبحانه فيها نبينا محمدا - ﷺ - عتابا عنيفا، ونقده نقدا مرا على إثر تصرف معين منه كقوله تعالى على إثر تحريم رسول الله -

---

(١) سورة الأنفال : ٦٧ .

(٢) نفس المرجع صـ ٣٠٤ .

(٣) انظر ردنا على الشبهة الأولى .

(٤) النبأ العظيم - دراز صـ ٢٣ - ٢٤ .

(٥) سورة الحاقة : ٤٤ - وما بعدها .

ﷺ - شيئا على نفسه دون تحريم الله له : ﴿ يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك تبتغي مرضات أزواجك ﴾[1]

وكقوله تعالى على إثر موقفه -ﷺ- من زينب بنت جحش أم المؤمنين - رضي الله عنها - زوج متبناه زيد بن حارثة - رضي الله عنه - ﴿ **وتخفي في نفسك ماالله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه** ﴾[2] وعتابه له سبحانه لما بدى منه إعراض في حق ابن أم مكتوم كما ذكر ذلك في سورة « عبس »[3].

أرأيت لو كانت هذه التقريعات المؤلمة صادرة عن وجدانه ؟! ومعبرة عن ندمه ، ووخز ضميره ، حين بدا له خلاف رأيه الأول أكان يعلنها عن نفسه بهذا التهويل والتشنيع والعتاب المر والتأنيب الشديد . أليس في سكوته ستر على نفسه ، واستبقاء لحرمة آرائه . فلو كان القرآن صادرا عن نفسه لكان أولى شيء بالكتمان مثل هذه الآيات[4].

ج - لقد كان يجيئه الأمر أحيانا بالقول المجمل أو الأمر المشكل الذي لايستبين هو ولا أصحابه تأويله حتى ينزل الله عليه بيانه ، فأي عاقل ياترى توحي إليه نفسه كلاما لا يفهم هو معناه ، وتأمره أمرا لا يعقل هو حكمته ، أليس ذلك من الأدلة الواضحة على أنه ناقل لا قائل ، وأنه مأمور لا آمرا ،[5] وأن القرآن ليس من تأملات فكره ، ولا من صنيع خياله ، بل تنزيل من حكيم حميد .

الشبهة الخامسة :

[زعم أصحاب الموسوعة البريطانية أن أسلوب الوحي المحمدي جاء نثرا مقفى ، أو ما يسميه العرب بالسجع ، وقد استعمل هذا الأسلوب سابقا من

(١) سورة التحريم : ١ .
(٢) سورة الأحزاب : ٣٧ .
(٣) انظر سورة عبس .
(٤) النبأ العظيم صـ ٢٥ بتصرف .
(٥) نفس المرجع صـ ٢٨ .

قبل الكهنة ، ومن قبل المنجمين ..][1] اهـ .

وقد اعتبر بعضهم أن الوحي من حالات هؤلاء الكهنة والمنجمين والسحرة .

الجواب :

إن كون أسلوب القرآن مشابها لأساليب الكهنة والمنجمين أو السحرة من قبل أمر لم يقبله العرب الذين لم يكونوا أقل حقدا ، ولا أقل كراهية للإسلام ممن جاء بعدهم بعامة ومن كتاب الموسوعة بخاصة ، ولم يزعموا كما زعم المستشرقون أن الوحي صادر عن حالة من حالات الكاهن أو الساحر أو المنجم . وها هو الوليد وعتبة بن ربيعة وغيرهما يردون بكل حزم ويرفضون بكل إنصاف أن يكون أسلوب القرآن مشابها لأسلوب الكهان وسجعهم أو المنجمين وكلامهم ، أو السحرة ونفثهم ، ولم يقولوا إن حالة صدور الوحي عنه كحالة هؤلاء مع إنهم معاصرون له ، ومن أكثر الناس خبرة بذلك .

ولقد روت لنا كتب الأدب والتاريخ شيئا من هذا السجع ، أعني سجع الكهان والمنجمين ، وأفعال السحرة وكلامهم ، وعن أحوالهم حين صدور ذلك عنهم . فالمنصف لا يرتاب في أن أسلوب القرآن ونظمه ، والحالة التي يكون فيها ناقله للناس عليه الصلاة والسلام يختلف كلية عن أولئك المذكورين ، لذا نفى سبحانه أن تكون حالته كحالتهم أو كلامه ككلامهم قال سبحانه : ﴿ **فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون إنه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون** ﴾[2] .

ذكر مقاتل أن سبب نزول هذه الآيات أن الوليد قال: إن محمدا – ﷺ – ساحر ، وقال أبو جهل : شاعر ، وقال عتبة : كاهن ، فرد الله تعالى عليهم بهذه

---

(١) انظر قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية ، د / فضل عباس صـ ٤٢ .
(٢) سورة الحاقة : ٣٨ – ٤٢ .

الآيات[1] هذه المزاعم والأكاذيب ؛ لأن عدم مشابهة القرآن الشعر أمر بين لا ينكره إلا معاند . بخلاف مباينته للكهانة فإنها تتوقف على تذكر أحواله - ﷺ - ومعاني القرآن المنافية لطريق الكهانة ومعاني أقوالهم[2] وكل ذلك كان واضحا جليا ومعروفا لدى معاصريهم . فهذا النبي - ﷺ - يزجر أحد السائلين بأسلوب الكهان وسجعهم حين قال : [يارسول الله ، كيف أغرم من شرب ولا أكل ، ولا نطق ولا استهل ؟[3] فمثل ذلك يطل][3] فقال رسول الله - ﷺ - « إنما هذا من إخوان الشياطين »[4] من أجل سجعه الذي سجع فقد اعتبر رسول الله - ﷺ - من يسجع بأسلوب الكهان من إخوان الشياطين ، لذا نهى أن يفعل أحدهم فعلهم ، أو يقول بقولهم .

ولكن المستشرقين والمبشرين على حد سواء جهدهم وهمهم أن يوجهوا إلى هذا القرآن كل مطعن بقطع النظر عن المقاييس النقدية ، والأسس المنطقية ، والمنهج العلمي ، كما هو الحال في هذه الموسوعة التي جانبت الحق في هذه المزاعم[5] وألقت الكلام دون تدقيق .

ولكن الله سبحانه اقتضت حكمته أن لا يسوي بين الصادق والكاذب نقل الأستاذ حسن عتر حفظه الله عن الإمام ابن تيمية قوله : (فإنه يمتنع في حكمة الرب وعدله أن يسوي بين هؤلاء خيار الخلق ، وبين هؤلاء شرار الخلق لا في سلطان العلم وبراهينه وأدلته ولا في سلطان النصر والتأييد . بل يجب في حكمته أن يظهر الآيات والبراهين الدالة على صدق هؤلاء وينصرهم ويؤيدهم ويعزهم ويبقي لهم سلطان الصدق ، ويفعل ذلك بمن اتبعهم ، وأن يظهر الآيات

(١) انظر تفسير روح المعاني للآلوسي - طبعة دار إحياء التراث العربي - بيروت ٢٩ / ٥٢ - ٥٥ .
(٢) معاني القرآن - للآلوسي ٢٩ / ٥٣ - ٥٤ .
(٣) ولا استهل : ولا صاح عند الولادة ليعرف به أنه مات بعد أن كان حيا ، ويطل : يهدر ولا يضمن .
(٤) صحيح مسلم - للإمام مسلم بن الحجاج النيسابوري ، كتاب القسامة- باب (دية الجنين) .. إلخ ٣ / ١٣١٠ حديث رقم ١٦٨١ .
(٥) قضايا قرآنية صـ ٤٢ - ٤٦ .

المبينة لكذب أولئك ويذلهم ويخزيهم ويفعل ذلك بمن اتبعهم ، كما قد وقع في هؤلاء وهؤلاء ، وقد دل القرآن على الاستدلال بهذا في غير موضع) اهـ[1] .

فالكاذب المدعي النبوة رجل شرير فاجر ، شره المطامع ، دنيء المطالب ، فالكاهن والساحر والمنجم نفوسهم وضيعة مريضة شريرة خبيثة . ونفوسهم تكون مأوى للشياطين فلا ينتج عن هذا الاتصال إلا كل شر وخبث ومكر ووقيعة بين الناس ، لم يحمله على الدعوة إلا نفسه الخبيثة وأغراضه الخسيسة ، لذلك فإنه إذا تظاهر في البداية بالتدين والصلاح للتغرير بالبعض فإنه لا يطيق في البقاء عليه صبرا .. ولا يلبث أن يفتضح أمره وتظهر حقيقته لأعين الملأ . قال زهير بن أبي سلمى :

ومهما تكن عند امرىء من خليقة   وإن خالها تخفى على الناس تعلم[2]

لذا سرعان ما افتضح للناس أمر مسيلمة الكذاب ، والأسود العنسي وغيرهما[3] .

أما القلوب الطاهرة النظيفة كقلوب الأنبياء فلا تكون مأوى إلا للنور الإلهي وحكمته ، فلا يخرج منها إلا كل طهر ونبل وحكمة ، وأغراضه من دعوته نبيلة .

أما النبي - ﷺ - في الصلاح والتقى والخيرية ثابت ومؤيد من الله بالدلالة على صدقه بمعجزاته وهو خير أهل زمانه بلا منازع في كل أحواله .

لذا فالمعجزات عامة ، والقرآن الكريم خاصة ليست من قبيل السحر والشعوذة والتنجيم حتى لو كان هؤلاء السحرة والكهنة والمنجمون يأتون

---

(١) انظر كتاب بينات المعجزة الخالدة د / حسن عتر - دار النصر سوريا ط ١، ١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥م. صـ ٣٩ - ٤٧ .

(٢) شرح المعلقات السبع - للزوزني صـ ١٥٩ - مكتبة المعارف - بيروت .

(٣) بينات المعجزة الكبرى - حسن عتر صـ ٣٩ - ٤٧ .

بالعجائب والغرائب لأن أفعالهم لها قواعد معروفة ، وفنونها تدرس ، وفيها كتب مؤلفة يمكن لأي إنسان أن يدرسها ويبرع فيها كما برع غيره وأكثر . أما الوحي والنبوات فهبة من الله تعالى ، واصطفاء لأهلها ، فالفرق بين وواضح بين معجزة موسى - عليه السلام - وبين ما أتى به سحرة فرعون فالوحي حقيقة لاخيال ، وصدق لا كذب ، ولا يحصل عليه حريص وإلا لنالها أمية بن أبي الصلت الذي ترهب ولبس المسوح لينال شرف النبوة ولكنه لم ينلها ، ولم يحصل عليها وذلك لأنها فضل من الله تعالى يؤتيه من يشاء(1) .

الشبهة السادسة :

[زعم كثير من المستشرقين والمبشرين أمثال « الويز سبرنجر » و « جوستاف فايل » وغيرهم أن الحالة التي كانت تصيب رسول الله - ﷺ - حالة صرع يغيب فيها عن الناس وعما حوله ويظل ملقى على إثرها بين الجبال لمدة طويلة ، يسمع له على إثرها غطيط كغطيط النائم ، ويتصبب عرقه ، ويثقل جسمه .

وبعضهم اعتبرها حالة هستيرية ، وتهيجا عصبيا ، يظهر عليه أثرها في مزاجه العصبي القلق ، ونفسه كثيرة العواصف بشكل غامض ، حتى كان يصل به الأمر أن لا يفرق بين تعاقب الليل والنهار ، وقد هزل على إثرها جسمه ، وشحب لونه ، وخارت قواه](2) .

الجواب :

هذه المزاعم والمفتريات ليس لها سند من الواقع التاريخي فرسول الله - ﷺ - عاش ومات وهو بكامل صحته وعافيته ولم يظهر عليه أي عارض نفسي أو عصبي على ما يزعمون .

---

(1) انظر كتاب الوحي والقرآن الكريم ، د / محمد حسين الذهبي صـ28 بتصرف .

(2) انظر مقدمة القرآن - مونتجمري ، واط صـ 17 - 18 ، ومقدمة القرآن لـ بل صـ 29 - 30 ، وكتاب العقل المسلم صـ 41 ، كتاب حياة محمد هيكل ، صـ 45 .

لذا كان عاقلا ذكيا فطنا ، يمتاز بسرعة البديهة ، وحصافة الرأي وسداد التفكير ، واستقرار النفس ، قويا في جسمه وذاكرته ، سليما في كل أعضائه . ويشهد لذلك جهاده الطويل ، وسياسته الحكيمة ، وتخطيطاته الحربية الناجحة ، وتنظيماته الاجتماعية الكاملة ، وكمال الدين الذي دعا له .

لذا نفى الله سبحانه عنه صفة الجنون لأنها تناقض هدي النبوة وتخل بشرف الرسالة . قال سبحانه : ﴿ **وما صاحبكم بمجنون** ﴾(١) ويأبى الله إلا أن يظهر الحق حتى على ألسنة أعدائه .

فهذا أحد المستشرقين وهو « أميل درمنغم » يصف هذا النبي العظيم : [وقد غفل المشتغلون بأمور النفس الحضريون الذين افترضوا وجوده من الصرع والاستيحاء والخيال المتقد ، عن حياة الخيام في الصحراء ، وعما يجب أن يبديه الرجل فيها من الحذق والدهاء ليبقى زعيم عصبة من الأعراب ، وحياة محمد كانت منتظمة موزونة قبل بعثته ، وما انفكت تكون كذلك بعدها إلا في حالات الوحي] .

قال « أرميا » : [انسحق قلبي في وسطي ، ارتخت كل عظامي ، صرت كإنسان سكران ، ومثل رجل غلبته الخمر من أجل كلام الرب ومن أجل كلام قدسه] .. ولم تنشأ رؤى محمد ووحيه من مرض فيه ، بل كانت تبدو عليه علائم المرض بسبب الرؤى والوحي ، وهنالك ظواهر مشتركة بين مريض الأعصاب أو المهوس وبين الموحى إليه الصادق ، فالأول منفعل غير فاعل . والآخر مبدع فاعل ، وهذا إلى أن من الجائز أن يقال : إن البنية المريضة قليلا تساعد على التصوف ويزيدها التصوف مرضا .

والحق أن محمداً كان مبرأ من مثل هذه الأمراض على الدوام ، فقد كان تام الصحة إلى أن بلغ سن الكمال ، ولم تبد العوارض عليه بعد هذه السن إلا

---

(١) سورة التكوير : ٢٢ .

عند تقبل الوحي . وأنت إذا ما استثنيت المرض الذي استولى عليه في الستين من عمره ، رأيته لم يصب بغير وجع الرأس مرتين أو ثلاث بسبب أسفاره الطويلة تحت وهج الشمس ، ذلك الوجع الذي عولج بوضع المحاجم على رأسه .. وكان النبي - ﷺ - إذا نزل عليه الوحي يتحدر جبينه عرقا في البرد كأنه الجمان ،[١] وكان يحمر الوجه وهو يغط كما يغط البكر[٢] وكان إذا ما خرج من نوبة الوحي يتلو ما أوحي إليه والآيات ، فكان بعضَ المسلمين يحفظونه عن ظهر قلب أو يكتبونه كما يمليه عليهم ..][٣] .

ومع تحفظنا على بعض ما ورد في كلامه فلا نحسبه كتبه من دافع الحب للإسلام وأهله . بل هو لا يقل عن غيره من المستشرقين تعصبا ضد الإسلام ونبيه - عليه الصلاة والسلام - ، فإن كتابه هذا مليء بالغمزات المسمومة والوخزات المخدرة ، ولكنه لم يستطع أن يخفي مثل هذه الحقيقة الواضحة .

كما أن التفرقة بين تخبطات المجانين والصرعى ، وبين هزات الانتشاء الروحي ، والإشراق النفسي ليس بالأمر العسير الذي يحتاج إلى علم غزير ، وإلى دراسات عميقة .. إذ أن شقة الخلاف بين الحالين بعيدة ومدى التفاوت بينهما طويل ممتد ، وبأدنى نظر يستطيع المرء أن يعرف الحق من الباطل ، والسليم من السقيم ، فهذا رسول الله - ﷺ - لما نظر لابن صياد عرف أنه يهودي دعي كاذب ، قد ركبته جنة ، فجعل يخبط ويخرف فتند منه بعض كلمات تبرق فيها بوارق يحسبها كثير من الناس من متنزلات الغيب وما هي في حقيقتها إلا لمعات الخبل والجنون ، وكم للخبل والجنون من لمعات .. ولكنها أشبه بلمعان السراب ، يحسبه الظمآن ماءا حتى إذا جاءه لم يجده شيئا[٤] .

---

(١) الجمان : اللؤلؤ .

(٢) البكر : الفتى من الإبل .

(٣) انظر حياة محمد - أميل درمنغم صـ ٢٤٥ - ٢٤٧ .

(٤) كتاب النبي محمد - عبد الكريم الخطيب صـ ١٤٨ (بتصرف) .

وهـذه الفـرية ترد بما يلي :

١ - كما ذكرت سابقا أن رسول الله - ﷺ - كان يتلقى الوحي في أكثر من حالة ولكنه لم يكن يظهر عليه أي مظهر من مظاهر الاضطراب النفسي أو القلق ، وقد جاء وصف حالات الوحي في أكثر من حديث منها حديث الحارث بن هشام - رضي الله عنه - عندما سأل رسول الله - ﷺ - عن كيفية إتيان الوحي إليه .

٢ - الثابت علميا أن المصروع يتعطل تفكيره ، وإدراكه تعطلا تاما ، فلا يدري أثناء نوبته عما يدور حوله ، ولا ما يجيش في نفسه ، ويغيب عن صوابه . وتعتريه تشنجات تتوقف فيها حركة الشعور عنده ، ويصبح المريض بلا إحساس وأبرز سمة عنده تكون النسيان ولكن الرسول - ﷺ - لم يكن يظهر عليه شيء من ذلك . فكان يبقى في تمام وعيه قبل وخلال وبعد حالة الوحي فكان يفصم عنه وقد وعي كل ما قاله له جبريل - عليه السلام - من آيات بينات ، وتشريعات محكمات ، وعظات بليغات ، وأخلاق عظيمة ، وكلامٍ بلغ الغاية القصوى في الفصاحة والبلاغة والإعجاز حتى طأطأ لإعجازه أقدر الناس فصاحة وبلاغة فرادا أو مجتمعين وفي كل الأزمان .

٣ - وسائل الطب الحديث ، والأجهزة المتقدمة في التشخيص والعلاج ، أثبت هذا الطب أن نوبات الصرع ناتجة عن تغيرات فسيولوجية عضوية في المخ . حيث أمكن تسجيل تغيرات كهربائية في المخ أثناء النوبات الصرعية مهما كان مظهرها الخارجي . كما أثبت الطب الحديث أن هناك مظاهر عديدة ومختلفة لنوبات الصرع وذلك تبعا لمراكز المخ التي تبدأ فيها التغيرات الكهربائية ، وتبعا لطريقة انتشارها وسرعته .

وأهم نوبات الصرع ، النوبات الصرعية النفسية .

وفي هذه الحالة من نوبات الصرع فإنه تمر بذهن المريض ذكريات قديمة ، وأحلام مرئية أو سمعية أو الاثنان معا ، وتسمى « بالهلاوس » وهذه الذكريات

يكون قد عاشها المريض نفسه ثم احتفظ بها مخه في ثناياه ، استدعتها للخروج من مكانها الحالة الصرعية التي انتابته . وقد أمكن طبيا إجراء عملية التنبيه لها بواسطة تيار كهربائي صناعي سلط على جزء خاص في المخ فشعر المريض بنفس « الهلاوس » التي تنتابه في أثناء نوبة الصرع ، وبتطبيق ما قرره الطب الحديث في حقائق الصرع على ما كان يعتري النبي - ﷺ - نجده يردد آيات لم يسمعها من قبل في حياته أخبره بها الله جل وعلا . ولما كانت هذه الأحاديث والآيات والأحوال لم تمر به - ﷺ - من قبل فهي إذا لم تختزن بالتالي في مخه لتثيرها وتخرجها نوبات صرعية فيتذكرها وينطق بها .

فيظهر جليا أن ما كان يعتري رسول الله - ﷺ - هي حالة نفسية وجسدية لتلقي وحي الله سبحانه فبالتالي فهناك فرق شاسع بين الحالتين : حالة الصرع التي تنتاب المصروعين ، وحالة الوحي التي تعتري أنبياء الله - صلوات الله وسلامه عليهم - ولاشك أن الطعن في الوحي الذي نزل على محمد - ﷺ - طعن في كل ما نزل على أنبياء الله من قبل ، وهذا لا يكون من مؤمن بالله وأنبيائه ، ولا يكون إلا من ملحد لا ديني أحيل بين قلبه وبين الإيمان . فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم[1] .

٤ - يرد فريتهم أن الوحي أثر لمرض الهستريا الذي هو كما بينه كل من الأساتذة «كريكيه» و « الأندوز » و « شاركو » أنه مرض عصبي عضال، وهو وراثي أكثر أصابته في النساء ، ومن أعراضه شذوذ في الخلق ، وضيق في التنفس إلى حد الاختناق ، ويظهر عليه ضيق في الصدر ، واضطراب في الهضم، وقد تصحب هذه الأعراض كذلك بحركة واضطراب في اليدين والرجلين إلى حد الشلل في بعض الأعضاء ، فإذا تابع المرض تقدمه جاء دور التشنج فيسبقه بكاء وعويل ، وكرب عظيم وهذيان ، ينتهي إلى حد الإغماء ، فإذا تجاوز هذه المرحلة فإن المريض يرى أشباحا تهدده وتسخر منه ، وأعداء تحاربه ويسمع أصواتا لا

---

(١) انظر المدخل لدراسة القرآن الكريم ، صـ ١٠٣ - ١٠٨ ، نقلا عن مجلة منبر الإسلام عدد ٩ لسنة ١٩ رمضان ١٣٨١ هـ فبراير ١٩٦٤ م (بتصرف) .

وجود لها في الحس والواقع .

وفي هذا الدور يقع المريض بحركات مضطربة ، وقفز من مكان لمكان على صورة تلقي الذعر في قلب كل من يراه[1] .

هذا الوصف لأعراض هذا المرض لم يكن يظهر منه شيء على رسول الله - ﷺ - الذي كان يتمتع بشهادة الأعداء قبل الأصدقاء بصحة جيدة وعقل رصين ، ونفسية هادئة ، وخلق كريم وحركات متزنة ، ويشهد لصحته وقوته صرعه « لركانة بن عبد يزيد » الذي كان أقوى عصره[2] ويشهد لرجاحة عقله وسلامته ، فصله في خصومة قريش في شرف وضع الحجر الأسود في مكانه[3] . والطب لم يخرج لنا مريضا واحدا مصابا بمثل هذا المرض وقال كلاما معقولا وآراء راجحة .

قال المستشرق الفرنسي « ماسينيون » : [إن محمدا كان على تمام الاعتدال في مزاجه] .

وهذا يناقض ما قاله « كارليل » : [إن محمدا كان حاد الطبع ناري المزاج] .

وقال « ماكس ما يرهسوف » في كتابه (العالم الإسلامي) :

[لقد أراد بعضهم أن يرى في محمد رجلا مصابا بمرض عصبي ولكن تاريخ حياته من أوله إلى آخره ليس فيه شيء يدل على هذا . كما أن ما جاء به فيما بعد من أمور التشريع والإدارة يناقض هذا القول] ويقول « بلاتونوف » في (تاريخ العالم): [وغاية ما نقدر أن نجزم به هو تبرئة محمد من الكذب والمرض][4] .

---

(١) انظر القرآن والمستشرقون - رابح جمعة - صـ ٢٧ ومناهل العرفان للزرقاني ١ / ٧٤ .

(٢) انظر الاستيعاب في تمييز الأصحاب ١ / ٥١٥ - ٥١٦ .

(٣) انظر السيرة النبوية للذهبي - صـ٣٢-٣٣ طبعة دار الكتب العلمية - بيروت ط ١ - ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م .

(٤) القرآن والمستشرقون صـ ٢٦ - ٢٧ .

٥ - أثبت الطب الحديث أن المصاب بالصرع يشعر بالآم حادة في كافة أعضاء جسمه ، ويبقى حزينا كاسف البال بسببها ، وكثيرا ما يحاول مرضى الصرع الانتحار من قسوة ما يعانون من آلام في النوبات ، فلو كان ما يعتري النبي - ﷺ - عند حالة الوحي صرعا ، لأسف لذلك وحزن لوقوعه ، ولسعد بانقطاع الوحي عنه ، ولكن الأمر كان على خلاف ذلك لقد فتر الوحي عن الرسول - ﷺ - مدة من الزمن فحزن حزناً شديدا ، وكان يذهب إلى غار حراء ، وقمم الجبال عسى أن يعثر على الملك الذي جاءه بحراء أول مرة حرصا عليه ، وأسفاً على قليه وهجرانه له .

قال الزهري : عن عروة عن عائشة : « وفتر الوحي فترة حتى حزن رسول الله - ﷺ - حزنا شديدا وغدا مرارا كي يتردى من شواهق الجبال وكلما أوفى بذروة ليلقي نفسه تبدى له جبريل فقال : يا محمد إنك رسول الله حقا ، فيسكن لذلك جأشه وتقر نفسه فيرجع فإذا طالت عليه فترة الوحي غدا لمثل ذلك فإذا أوفى بذروة جبل تبدى له جبريل فقال مثل ذلك »[1] .

الخلاصة :

يظهر لنا من خلال هذه المناقشة والأقوال أن ظاهرة الوحي ربانية المنشأ ، ملائكية النقل ، بشرية التبليغ ، فرسولنا - ﷺ - مبلغ فقط ، لذا كان يحرص عليها كنعمة مهداة ، له من الله سبحانه وتعالى بقوله : « اللهم يامصرف القلوب صرف قلبي على طاعتك ، اللهم يامقلب القلوب ثبت قلبي على دينك »[2] .

و لم يكن نتيجة ترو فكري . يدل على ذلك حرصه على حفظه قال تعالى : ﴿ **لا تحرك به لسانك لتعجل به** ﴾[3] .

---

(١) انظر السيرة النبوية للإمام الذهبي - صـ ٦٤ .

(٢) انظر مسند الإمام أحمد ٢ / ١٦٨ .

(٣) سورة القيامة : ١٦ .

ويدل أن القرآن الكريم ليس منه تصدير كثير من الآيات بلفظة « قل » والعتاب الشديد على بعض تصرفاته قال تعالى : ﴿ **عفا الله عنك لم أذنت لهم ..** ﴾ الآية[1] .

وهدده إن غيَّر فيه شيئا بقوله تعالى : ﴿ **ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين فما منكم من أحد عنه حاجزين** ﴾[2] .

ويشهد لانفصال ظاهرة الوحي عن شخصه الفرق بين أسلوب وخصائص القرآن الكريم والأحاديث النبوية والقدسية[3] .

فالقرآن الكريم له مزايا وخصائص يتفرد بها عن غيره منها :

١ – القرآن الكريم معجزة باقية على مر الدهور ، محفوظة من التغيير والتبديل ، فتواتر اللفظ في جميع الكلمات والحروف والأسلوب .

٢ – يحرم روايته بالمعنى .

٣ – يحرم مسه لمحدث ويحرم تلاوته من جنب .

٤ – تعينه في الصلاة .

٥ – تسميته قرآنا .

٦ – التعبد بقراءته فقراءة كل حرف منه بعشر حسنات .

٧ – تسمية الجملة منه آية . ومقدار مخصوص من الآيات سورة .

٨ – القرآن الكريم لفظه ومعناه من عند الله عز وجل قال تعالى : ﴿ **إن هو إلا وحي يوحى** ﴾[4] .

---

(١) سورة التوبة : ٤٣ .

(٢) سورة الحاقة : ٤٤ وما بعدها .

(٣) انظر مبحث الإعجاز – القضية الخامسة .

(٤) سورة النجم : ٣ .

أما الحديث القدسي :

فهو ما كان لفظه من عند رسول الله - ﷺ - ومعناه من عند الله تبارك وتعالى ، بالإلهام أو المنام ، وقد يكون بوحي جلي ، أي ينزل به الملك من عند الله تعالى بلفظه ، في حين أن الأحاديث القدسية لا تنحصر في كيفية من كيفيات الوحي . بل يجوز أن ينزل بأي كيفية من كيفياته كرؤيا النوم ، والإلقاء في الروع، وعلى لسان الملك . ويجوز روايته بالمعنى لأن لفظه من الرسول - ﷺ - ولا يجزىء في الصلاة ، بل يبطلها .

أما الحديث النبوي الشريف :

فهو قول رسول الله - ﷺ - أو فعله أو إقراره ، وهو لفظا ومعنى من الرسول - عليه الصلاة والسلام - فهو لا يقول إلا حقا وباجتهاده ولكنه لا يقر على اجتهاد خطأ . فهو إذن قد يكون بوحي أو باجتهاد منه[(1)] قال - ﷺ - :

« إلا إني أوتيت الكتاب ومثله معه »[(2)] .

فالعاقل من يمسك عن كنه الوحي لأن ذلك لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى والتفكير في ذلك سيوصل الإنسان إلى ما وصل إليه الجاهليون من قبل لما أعياهم التفريق بين الذات الملقية والذات المتلقية . فردوا مصدر القرآن لرؤى النائم أو شطحات المجنون ، أو افتراءات المختلق ، وتخرصات الكذوب .

ثم تحداهم بأن يأتوا بمثل هذا القرآن أو ببعضه ، فعجزوا وسلموا عجزا وضعفا مع بذلهم كامل الجهد . وكلما تقدم العصر وأهله سلم العلم وأهله بحقائقه لهذا القرآن العظيم قال تعالى : ﴿ **سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق** ﴾[(3)] .

---

(1) انظر : أصول الحديث د / محمد عجاج صـ ٢٩ - ٣٠ .

(2) انظر سنن ابن ماجه الجزء (٢) حديث ٢٤٤٢ .

(3) سورة فصلت : ٥٣ .

لذا كان لزاما على كل صاحب عقل وصاحب علم أن يدرك أن الوحي حقيقة لا خيال ، صدق لا كذب ، تنزيل من حكيم حميد .

والله تعالى أعلم ..

المبحث الثالث :

موثوقية النص القرآني وشبههم حولها :

ما زال أعداء الله منذ القدم يوجهون للقرآنِ الكريم سهامهم المسمومة من طعن وتشكيك وافتراءات محضة محاولين إضعاف تمكن هذا القرآن من نفوس أهله ليسهل السيطرة عليهم وعلى خيرات بلادهم .

ومعظم ما استند إليه أعداء الله روايات إما واهية أو مختلقة اشتملت عليها بعض الكتب الإسلامية أو شبه أوردها بعض الكاتبين في علوم القرآن وبعضها صحيحة ولكن لها محامل صحيحة ، ومخارج مقبولة . فالتقط المبشرون والمستشرقون هذه الروايات وزادوا عليها من خيالاتهم وأوهامهم وسموم حقدهم محاولين بذلك إدخال الريب في نفوس المسلمين .

والإحالة بين قومهم وبين هذا الدين العظيم . ومن بين الشبه التي أثاروها شبه حول موضوع النص القرآني من حيث كونه ثقة أم يمكن الشك في سلامته بزيادة أو نقصان .

ومن بين من أثار هذه الشبهة (موثوقية النص القرآني) أصحاب دائرة المعارف الإسلامية و « تيودور نولديكة » و « اجنتس جولد تسيهر » و « ريجي بلاشير » و « ريتشارد بل » وغيرهم .

وقد حاول أن يرسخ هذه الشبهة بطريق التساؤل « بل » في مقدمته حيث قال : [لو أن شخصا سأل ما الضمان القائم على أن القرآن الذي تم جمعه في عهد عثمان تسجيل صحيح للتنزيلات كما تم تلقيها وإعلانها بواسطة محمد..][1] .

---

(١) مقدمة القرآن – بل صـ ٥٠ .

وقد صرح بهذه الشبهة باضطراب وعدم سلامته « جولد تسيهر » في مقدمة كتابه مذاهب التفسير الإسلامي حيث قال :

[فلا يوجد كتاب تشريعي اعترفت به طائفة دينية اعترافا عقديا على أنه نص منزل أو موحى به ، يقدم نصه في أقدم عصور تداوله مثل هذه الصورة من الاضطراب وعدم الثبات ، كما نجد في نص القرآن][1] .

وقد رد هؤلاء أسباب هذا الاختلاف والاضطراب لعدة أمور منها :

١ – الاعتماد في حفظ القرآن على صدور الصحابة .

٢ – الكتابة بوسائل بدائية يصعب المحافظة عليها .

٣ – نسيان شيء من القرآن استنادا للنصوص العامة من القرآن والسنة التي ذكرت هذا الأمر .

٤ – وجود منسوخ التلاوة .

٥ – اختلاف مصاحف الصحابة في عدد السور والآيات ووجوه القراءات والاختلاف في الرسم .

٦ – النقصان والزيادة في القرآن الكريم للمصلحة .

وسأتناول هذه الشبهة بالعرض والتفنيد إلا ما خصص له مبحث مستقبل كشبههم على الرسم والكتابة والقراءة فسأتركه لمكانه .

الشبهة الأولى :

قالوا : إن القرآن الكريم قد زيد فيه ما ليس منه بدليل ما ورد أن عبد الله ابن مسعود كان لا يكتب الفاتحة والمعوذتين في مصحفه .

وفي رواية كان يحك المعوذتين من مصحفه ويقول إنما أمر النبي – ﷺ –

---

(١) مذاهب التفسير الإسلامي – طبعة دار اقرأ – بيروت ط ٢، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م صـ ٤ .

أن يتعوذ بهما – ويقول إنهما ليست من كتاب الله[١] .

الجواب :

هذه الرواية مما اختلف في ثبوتها عن ابن مسعود فممن أنكر ثبوتها عنه الإمام الباقلاني في كتابه نكت الانتصار[٢] والإمام النووي أثناء شرحه لصحيح مسلم ، وابن حزم في كتابه القدح المعلى تتميم المحلى[٣] .

ولكن والحق يقال : إن هذه الرواية وهي إثبات كون المعوذتين قرآنا مما ثبت وصح نسبتها لابن مسعود – رضي الله عنه – فقد أثبتها عنه الإمام البخاري في صحيحه والإمام أحمد في مسنده . وأبو يعلى في مسنده وهم من هم علما ومعرفة بحديث الرسول – ﷺ – وهذه رواية البخاري كما في صحيحه .

روى البخاري بسنده إلى زر بن حبيش قال : سألت أبي بن كعب قلت : أبا المنذر إن أخاك ابن مسعود يقول كذا وكذا فقال أبي : سألت رسول الله – ﷺ – فقال لي : قيل لي فقلت : قال : فنحن نقول كما قال رسول الله – ﷺ –[٤]

ونص رواية الإمام أحمد في مسنده بسنده إلى زر بن حبيش قال : قلت لأبي بن كعب : إن ابن مسعود كان لا يكتب المعوذتين في مصحفه فقال : « أشهد أن رسول الله – ﷺ – أخبرني أن جبريل – عليه السلام – قال له : قل أعوذ برب الفلق »[٥] .

وعنه في رواية عبد الرحمن بن يزيد قال : كان عبد الله يحك المعوذتين من مصاحفه ويقول : إنهما ليستا من كتاب الله تبارك وتعالى .

---

(١) انظر مقدمة القرآن – واط صـ ٤٦ .
(٢) نكت الانتصار صـ ٧٥ .
(٣) المدخل لدراسة القرآن صـ ٢٨٨ .
(٤) انظر صحيح البخاري ٦ / ٩٦ كتاب تفسير القرآن الكريم .
(٥) انظر مسند الإمام أحمد ٥ / ١٢٩ – ١٣٠ .

لكن مع صحة هذه الرواية لعبد الله بن مسعود فإنه لا ينقص ذلك من فضله ولا من علمه بكتاب الله شيئا وهو القائل : « والله لقد أخذت من في رسول الله - ﷺ - بضعا وسبعين سورة » وقل أن يحصل هذا لكثير من الصحابة كما أن رسول الله - ﷺ - قال في حقه « .. خذوا القرآن من أربعة من عبد الله بن مسعود وسالم ومعاذ وأبي بن كعب »[1] ولكن هذه الروايات مع ثبوتها وصحتها لكنها توجه وتحمل على محامل ووجوه صحيحة بإذن الله تعالى .

١ - إن عدم كتابة ابن مسعود للمعوذتين وسورة الفاتحة لا يستلزم إنكار كونهما من القرآن الكريم لأن ابن مسعود كان ينكر إثباتها في المصحف فقط لأنه كان لا يرى إثبات شيء من القرآن إلا إن كان النبي - ﷺ - أذن فيه ، وكأنه لم يبلغه الإذن في ذلك فقال ما قال[2] .

٢ - ويحتمل أنه ما كان يكتبها اعتمادا على حفظ الناس وشهرتها وأنها أصبحت مما لا يمكن أن ينسى ، لأن كتابة القرآن خوفا من أن ينقص منه شيء أو يزاد .

٣ - وهناك احتمال قوي وهو ما ذكره أحمد في مسنده أنه كان يظن أنهما عوذة ورقية لأنه كان يرى رسول الله - ﷺ - يعوذ بهما الحسن والحسين فظن أنهما كقوله - ﷺ - « أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة .. وكسائر الرقى »[3] .

٤ - يحتمل أنه قال ذلك في باديء الأمر لعدم سماعه لها من النبي - ﷺ - ولكن لما بلغه قول الجماعة وتأكدت قرآنيتها عنده رجع لهذه السور الثلاث وقال بقول الجماعة وأقرأها لتلاميذه وهذا ما أرجحه ، وذلك لما بلغنا من أسانيد القرآء الصحيحة لابن مسعود بقراءتهم القرآن بطريقه ومن ضمن ما

(١) انظر فتح الباري ٩ / ٤٦ .
(٢) الفتح الرباني - للبنا ١٨ / ٣٥١ وما بعدها .
(٣) تأويل مشكل القرآن الكريم صـ ٤٣ - ٤٤ .

تلقوه عنه المعوذات الثلاثة الفاتحة والفلق والناس . فممن روى القراءة عنه كل من :

١ - عاصم بن أبي النجود عنه حفص بن سليمان ، وعنه أبو بكر بن عياش عن زر بن حبيش عن ابن مسعود عن رسول الله - ﷺ - ومن ضمن ما تلقوه عنه ، المعوذتان والفاتحة[١] .

٢ - حمزة بن حبيب الزيات أحد القراء السبعة الذي أخذ القراءة عرضا عن سليمان الأعمش الذي كان يجود حرف ابن مسعود والذي أخذه عن رسول الله - ﷺ - وفيه المعوذتان والفاتحة[٢] .

٣ - أبو الحسن علي بن حمزة الكسائي الذي تلقى قراءة القرآن عن حمزة بسنده إلى ابن مسعود عن رسول الله - ﷺ - وفيه المعوذتان والفاتحة[٣] .

٤ - أبو محمد خلف بن هشام أبو محمد الأسدي البزار البغدادي أحد القراء العشرة والروايات عن سليم بن حمزة الذي تنتهي قراءته إلى ابن مسعود إلى رسول الله - ﷺ - وفيه المعوذتان والفاتحة[٤] .

هكذا نرى أن الراجح إثبات ابن مسعود للمعوذتين والفاتحة ورجوعه لها والقول بقرآنيتها بعد أن كان لا يثبتها في مصحفه مما يرد ما نسب إليه من هذا الأمر .

ويشهد لصحة ما قلناه أن تأليف السور الثلاث من نفس تأليف القرآن العظيم ومن نفس نظمه البديع الذي أعجز البلغاء ودان له الفصحاء واعترف له بالعظمة والجلال الإنس والجان كما قد أثبت قرآنيتهن برسم الإمام عثمان وانعقاد الإجماع على ذلك فتم بذلك العلم اليقين ولا يضرنا قول من قال من هؤلاء

---

(١) غاية النهاية في طبقات القراء ١ / ٣٤٧ - ٣٤٨ .
(٢) نفس المرجع ١ / ٢٦١ - ٢٦٢ .
(٣) نفس المرجع ١ / ٥٣٥ - ٥٤٠ .
(٤) نفس المرجع ١ / ٢٧٣ .

المنكرين الملحدين .

الشبهة الثانية :

زعموا أن القرآن نقص منه بعض السور مستدلين على ذلك بكتابة بعض الصحابة كأبي بن كعب بعض السور ولم تكتب في القرآن الحالي ويقصدون بذلك سورتي الخلع والحفد كما يحلو لهم تسميتهما وهو ما يطلق عليه عندنا دعاء القنوت : « اللهم إنا نستعينك ونستهديك ونستغفرك ونتوب إليك .. »[(١)] أو غيرهما مما تلقفوه من أقوال الشيعة المردودة في حق القرآن الكريم .

الجواب :

هذه القضية وسابقتها من القضايا الهامة لتعلقها بجوهر القرآن وكماله وتمام نصه . والمستشرقون بنزوات خيالهم وجنوح فكرهم وما جبلت عليه نفوسهم يطيب لهم أن يتهموا القرآن الكريم هذا الجوهر المصون ، فيدعون أن النص الموجود في مصاحف المسلمين نص غير كامل ويزعمون – للبرهنة على ذلك – بمثل هذه الأدلة غير الصحيحة ، وبما نسبوه للشيعة من أقوال أن القرآن دخله النقص والزيادة . ولكن لحسن الحظ فقد قيض الله لهذا الإسلام من ينفي عنه زيغ المبطلين وتأويل الجاهلين وزيف المنحرفين وأهواء الضالين . قال – ﷺ –: « يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين »[(٢)] .

وخلو القرآن من الزيادة والنقصان والتحريف أمر لا يشك فيه مسلم سواء كان متدينا أو من غير المتدينين فالكل منهم يعترفون أن القرآن الكريم هو الوثيقة الربانية التي حفظت من التغيير والتبديل والتي لايأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها تنزيل من حكيم حميد »[(٣)] .

---

(١) انظر مذاهب التفسير الإسلامي – جولد تسيهر صـ ٢ .

(٢) انظر التمهيد لابن عبد البر ج ١ / ٥٩ ، طبعة المطبعة الملكية المغربية .

(٣) انظر قضايا قرآنية د / فضل عباس ، دار البشير عمان صـ ٢١٦ وما بعدها .

قال الإمام الطبري : (أما الزيادة في القرآن فمجمع على بطلانها وأما النقصان فهو أشد استحالة)[1] .

١ – فالناظر لما زعموه من كون دعاء القنوت قرآنا أمر غير مسلم به ترده حقائق العلم الثابتة والروايات الصحيحة المنسوبة إلى أبي بن كعب كما ذكر ذلك عنه أبو الحسن الأشعري – رحمه الله – حيث قال : (قد رأيت أنا مصحف أنس بالبصرة عند قوم من ولده ، فوجدته مساويا لمصحف الجماعة ، وكان ولد أنس يروي أنه خط أنس وإملاء أبي)[2] .

وكتابة أبي لهذا الدعاء لو صحت لا يدل على قرآنيتها لأن مصاحف الصحابة لم تكن قاصرة على المتواتر من القرآن فقط بل كان بعضها مشتملا على الآحادي منه ، وعلى منسوخ التلاوة ، وعلى بعض التفسيرات والتأويلات والأدعية ، وعلى بعض المأثور ومن ذلك هذا الدعاء الذي يقنت به بعض الأئمة في الوتر فلعله إذا أثبته على أنه دعاء لا استغناء عنه .

٢ – كما أن الناظر لدعاء القنوت يجده مباينا لنظم سائر القرآن ولا يعدو أن يكون من معدن أقوال الرسول – ﷺ – .

٣ – والمعروف أن أبيا كان من أقرأ علماء الصحابة وقد ذكره الرسول – ﷺ – من ضمن الأربعة الذين حض على أخذ القرآن عنهم وذلك بقوله : « خذوا القرآن من أربعة .. وأبي بن كعب » .

لذا لا يمكن لمن كانت هذه منزلته ومكانته العلمية ومعرفته الكبيرة بكتاب الله عز وجل أن يجهل كون دعاء القنوت ليس قرآنا . ولكني أريد أن أبين صفة كان أبي يمتاز بها أنه كان إذا سمع شيئا من رسول الله – ﷺ – لا يرجع عنه حتى لو أخبره غيره أن تلاوته نسخت . قال عبد الله بن عباس – رضي الله

(١) انظر شبهات مزعومة حول القرآن الكريم – القمحاوي صـ ١٥٠ .
(٢) نكت الأنصار لنقل القرآن الباقلاني صـ ٨١ .

عنه – : قال عمر : أبي أقرؤنا ، وإنا لندع من لحن أبي وأبي يقول : أخذته من في رسول الله – ﷺ – فلا أتركه لشيء قال الله تعالى : ﴿ **ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها** ﴾[1] .

هذا كله يؤكد عدم قرآنية دعاء القنوت وعدم ثبوته عن أبي بن كعب .

ويزيد هذا وضوحا وتأكيدا ما بلغنا من القراء الذين أخذوا القرآن بسندهم إليه . رضي الله عنه ولم يكن من بين ما تلقوه عنه هاتان السورتان المزعومتان .

ومن هؤلاء الأئمة :

١ – نافع بن أبي نعيم المدني من طريق الأعرج عن أبي هريرة عن أبي ابن كعب عن النبي – ﷺ –[2] ولم يكن فيما تلقاه هاتان السورتان .

٢ – عاصم بن أبي النجود الذي أخذها عن زر بن حبيش عن أبي عبد الرحمن السلمي والذي أخذها عن أبي بن كعب عن رسول الله – ﷺ – ولم يكن منها هاتان السورتان[3] .

٣ – أبو الحسن علي بن حمزة الذي تلقى القراءة عن طريق إسماعيل ويعقوب ابني جعفر قراءة نافع والذي بدوره أخذ قراءة أبي بالسند السابق[4] .

٤ – خلاد أبو عيسى خالد الشيباني بالولاء الذي تلقى قراءة عاصم والتي سندها يتصل إلى أبي بن كعب بالسند السابق[5] .

فهؤلاء القراء كلهم وغيرهم قد تلقوا القراءة عن أبي بن كعب – رضي الله عنه – ولم يكن فيما تلقوه هاتان السورتان المزعومتان مما يدل على عدم ثبوت

---

(١) سورة البقرة : ١٠٦ .

(٢) غاية النهاية في طبقات القراء ١ / ٣١ .

(٣) غاية النهاية في طبقات القراء ١ / ٥٣٥ – ٥٤٠ .

(٤) غاية النهاية في طبقات القراء ١ / ٥٣٥ .

(٥) غاية النهاية في طبقات القراء ١ / ٢٧٤ .

ذلك عنه . ويؤكد هذا أن القرآن الكريم قد انتشر واشتهر وثبت تدوينه وحددت سوره بمصحف عثمان القطعي و لم يكن هاتان السورتان المزعومتان فيه ، والثابت في حق هذا المصحف وأمثاله أنه قد حرق فقد روى محمد والطفيل ابنا أبي بن كعب أنهما قالا لوفد أصحاب عبد الله عندما طلب مصحف أبيهما : إن عثمان قد قبضه منه)[1] .

فهذا كله يؤيد كونه دعاء فحسب ويرد نسبة إثبات هذا الدعاء على أنه قرآن في مصحفه – رضي الله عنه – .

والله تعالى أعلم .

أما ما زعموه كذلك أن سورا بكاملها ناقصة من القرآن الكريم أو بعض الآيات القرآنية مستدلين على ذلك بما عند الشيعة من روايات ساقطة وحجج واهية زاعمين أن الدافع من وراء ذلك مصلحة بعض الصحابة فسأذكر بعض هذه الأمثلة التي ذكروها والرد عليها .

١ – ما نسب للإمام علي من حذفه آية المتعة .

٢ – حذف من القرآن ما يتعلق بفضائل آل البيت وولايتهم كحذف سورة الولاية التي كانت ٧ آيات . وكما فعل بسورة الأحزاب التي كانت لا تقل طولا عن سورة البقرة – ٢٨٦ آية .

٣ – حذف جزء من سورة « لم يكن » كان فيها أسماء سبعين رجلا من قريش .

٤ – الحذف من سورة النور التي كانت أكثر من مائة آية ، وسورة الحجر التي كانت تحوي ١٩٠ آية وسورة النورين التي كانت ٤١ آية .

٥ – مصحف فاطمة وعلي الخاص بهما .

---

(١) انظر حاشية كتاب تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة صـ ٤٧ ، ونكت الأنصار لنقل القرآن صـ ٨٠ .

الجواب :

هذه الترهات والأقاويل تلقفها المستشرقون والمبشرون من بعض فرق الشيعة كالإنثى عشرية ومن الغلاة منهم على وجه أخص أمثال الوري ميزا حسين الطبرسي صاحب كتاب (فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب) المطبوع في إيران سنة ١٢٨٩ هـ والذي جمع فيه مئات النصوص عن علماء الشيعة ومجتهديهم في مختلف العصور لإثبات دخول الزيادة والنقص للقرآن الكريم . وقد أثار هذا الكتاب ضجة كبرى لأنهم لا يريدون لكذبهم أن يفضح فألف كتابا آخر سماه (رد بعض الشبهات عن فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب)[١] .

والمفيد في كتابه (تحريف القرآن) والمجلسي في كتابه (تذكرة الأئمة) والقمي في تفسيره الذي خص فيه التحريف في آيات الولاية والكليني في كتابه (الأصول من الكافي) و (روضة الكافي) وأبو القاسم الكوفي على بن أحمد ابن موسى في كتابه (الاستغاثة) وغير هؤلاء كثير[٢] .

فهؤلاء جميعا بشكل خاص والشيعة على وجه العموم إلا بعض الفرق كالزيدية يعتقدون أن القرآن الكامل الذي أنزله الله سبحانه كان أطول كثيرا من القرآن المتداول في أيدينا ، ومن قرآنهم أيضا .

وقد نقل هذا الأمر « جولد تسيهر » في كتابه (مذاهب التفسير الإسلامي) و « جارسان دي تاسي » و « مرزا كاظم بك » في (المجلة الآسيوية سنة ١٨٤٢ اللذان نشرا سورة من هذه السور المتداولة في دوائر الشيعة كما اعتنى بجمع هذه الزيادات الشيعية « كلير تسدال » باللغة الإنجليزية[٣] .

---

(١) انظر الشيعة وتحريف القرآن – محمد مال الله ، صـ ٥٧ .
(٢) تعريف بمذهب الشيعة الإمامية صـ ٨٣ – ٨٤ .
(٣) مذاهب التفسير الإسلامي صـ ٢٩٤ .

والمعروف أن الشيعة بذلوا جهدهم لإثبات هذه المسألة في سبيل أن يجدوا لعقيدتهم الدينية والسياسية مستندا من القرآن الكريم . وهذه العقيدة تتمثل في رفض الشيعة خلافة أهل السنة ، وتقديس علي والأئمة ، ورجعة الإمام المهدي المحتجز الذي يعيش في الخفاء . ومن هذا المنطلق كان التحريف الشيعي للروايات والافتراءات التي بها محاولة إثبات النقص في كتاب رب العالمين .

وقد أنكر على الشيعة هذه الافتراءات أحد عقلائهم « الإمام الطبرسي » صاحب (كتاب مجمع البيان لعلوم القرآن) و « الشريف المرتضى » .

قال الإمام الطبرسي : « أما الزيادة في القرآن فمجمع على بطلانها وأما النقصان فهو أشد استحالة . ثم قال : إن العلم بصحة نقل القرآن كالعلم بالبلدان والحوادث الكبار والوقائع العظام ، والكتب المشهورة وأشعار العرب المسطورة فإن العناية اشتدت والدواعي توفرت على نقله وحراسته ، وبلغت إلى حد لم يبلغه شيء في الوجود لأن القرآن معجزة النبوة ، ومأخذ العلوم الشرعية والأحكام الدينية ، وعلماء المسلمين قد بلغوا في حمايته الغاية القصوى حتى عرفوا كل شيء اختلف فيه من تفسيره وأحكامه وإعرابه وقراءاته ورسمه وضبطه وعدد آياته وعدد نقطه وحركاته فكيف يتخيل عاقل بعد تلك العناية الفائقة بالقرآن الكريم ، أن يحصل فيه نقص أو زيادة مع هذا الضبط الشديد »[1] .

والذين ينسبون هذا الفعل للصحابة لا يعرفون مقدار حب الصحابة لهذا الكتاب العظيم الذي فاق حبه عندهم الأهل والولد .

لذا لا يعقل أن تتفق هذه الأمة التي أحبت هذا الكتاب وقدسته ، أن تتفق على مثل هذا العمل المفترى دون أن يقوم من ينكر ذلك ، مع أن الصدق والأمانة في الأداء والدقة في النقل كانت السمة البارزة لهم حتى إنهم اشترطوا لجمعه موافقة المحفوظ في الصدور لما هو عندهم مكتوب في السطور . بل إن

---

(١) انظر شبهات مزعومة حول القرآن الكريم صـ ١٥٠ - ١٥١ .

زيدا عندما فرغ منه راجعه ثلاث مرات ثم راجعه أمير المؤمنين عثمان - رضي الله عنه - مرة رابعة فلما اطمأن قلبه له حمل الناس عليه . لذا لقد نال هذا الكتاب من العناية والضبط ما لم ينله كتاب آخر وأي مصلحة في إسقاط شيء من كلام الحكيم الخبير الذي لم يجعل لهم عليه سلطانا فأرجع حفظه له وحده وتكفل ذلك بنفسه قال تعالى : ﴿ **إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون** ﴾[1] .

وإذا كان شعر النابغة أو شعر زهير بن أبي سلمى لا يستطيع أحد أن يزيد فيه شيئا أو ينقص منه شيئا لأن أمره سيفتضح فمن باب أولى هذا القرآن العظيم الأكثر اشتهارا .

فالدفاع عنه والمحافظة عليه مقدم على مثل هذه الأشعار. كما أن الصحابة - رضوان الله عليهم - كانوا يحتاطون لأحاديث الرسول - ﷺ - فلا يسمحون بالزيادة فيها أو الإنقاص منها والقرآن الكريم أولى منها بلا شك .

روي عن أبي سعيد الخدري قال : « كنت جالسا في مجلس من مجالس الأنصار ، فجاء أبو موسى فزعا فقالوا : ما أفزعك ؟ قال : أمرني عمر أن آتيه فأتيته فاستأذنت ثلاثا فلم يؤذن لي فرجعت فقال : ما منعك أن تأتينا فقلت : إني أتيت فسلمت على بابك ثلاثا فلم تردوا علي، فرجعت. وقد قال رسول الله - ﷺ - « إذا استأذن أحدكم ثلاثا فلم يؤذن له فليرجع »[2] .

قال عمر : لتأتيني على هذا بالبينة ، فقال عمر لأبي موسى : إني لم أتهمك ولكنه الحديث عن رسول الله - ﷺ - وفي رواية أخرى وذكر أن عمر قال لأبي موسى : أما إني لا أتهمك ، ولكنني أحببت أن أتثبت »[3] .

فإذا كان هذا حال الصحابة مع الحديث النبوي الشريف من التحقق

---

(١) سورة الحجر الآية ٩ .

(٢) انظر صحيح البخاري ٧ / ١٣٠ كتاب الاستئذان باب ١٣ التسليم والاستئذان ثلاثا .

(٣) انظر تاريخ القرآن وغرائب رسمه وحكمه ، محمد طاهر الكردي ط ٢ ، ١٣٧٢ هـ ١٩٥٣ م ، صـ ٦٣ وما بعدها .

والتثبت مع أنهم كلهم عدول أمناء أوفياء لا يجرؤن أن يكذبوا على رسول الله - ﷺ - لا بزيادة ولا بنقصان لا لمصلحة خاصة لأحدهم ولا عامة كما يزعم الشيعة فكيف إذن لايكونون أشد تحققا وتثبتا في كلام رب العالمين الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه من الحديث النبوي الشريف أو غيره .

قال المستشرق الأمريكي « ر. ف. بودلي » في كتابه (الرسول : حياة محمد) عن القرآن الكريم : [فبين أيدينا كتاب معاصر فريد في أصالته وفي سلامته لم يشك في صحته كما أنزل أي شك جدي ، وهذا الكتاب هو القرآن . وهو اليوم كما كان يوم كتب لأول مرة تحت إشراف محمد ، وعلى الرغم من أن الأفكار قد دونت في الرقاع وسعف النخل والعظام في لحظات غريبة ، فالسور والآيات الأصلية قد حفظت .. ثم يقول : وإن الحسنة الوحيدة في طريقة زيد أنها كانت أمينة فوق الشبهات فلم يفعل شيئا ليضيف فقرات ، أو يضع جمل ربط ، أو بحذف أو ينسخ تفاصيل تشين الإسلام ، لقد عمل بإخلاص لا يمكن تصوره حتى إنه لما انتهى من نشر القرآن، كان الكتاب من عمل مؤلفه خالصا ومؤلفه فقط) - أي الله سبحانه وتعالى - .

ثم يقول : والمهم أن القرآن هو العمل الوحيد الذي عاش أكثر من اثني عشر قرنا دون أن يبدل فيه ، ولا يوجد شيء يمكن أن يقارن بهذا أدنى مقارنة ، لا في الديانة اليهودية ولا في الديانة المسيحية)[1] .

والآن سأعرض لبعض هذه المزاعم للرد عليها .

المسألة الأولى :

ما نسبوه لعلي - رضي الله عنه - أنه أسقط آية المتعة .. إلخ فهو محض كذب وافتراء ولا أدري ماذا يريد الطاعن بالمتعة فإن أراد نكاح المتعة فالآية التي يستدل بها بعض القائلين بإباحته موجودة في سورة النساء لم يحذفها علي كما زعموا

---

(١) تاريخ القرآن - الكردي صـ ٦٨ - ٦٩ .

وهي قوله تعالى : ﴿ **فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن فريضة** ﴾[1] ونكاح المتعة أحل في أول الإسلام للضرورة ثم حرم إلى قيام الساعة[2] .

وأما إذا قصدوا آية أخرى فعليهم البيان والبراهين .

والشيعة ليست حجة على القرآن وأهله لانحرافتهم العقدية الخطيرة والتي منها نسبة النقص إلى كتاب الله سبحانه وتعالى مع أن التواتر قد قام والإجماع قد انعقد على أن الموجود بين دفتي المصحف كتاب الله من غير زيادة ولا نقصان ولا تغيير ولا تبديل .

المسألة الثانية :

ما زعموه أن القرآن الذي جاء به جبريل إلى محمد - ﷺ - كان سبعة عشر ألف آية مع أن آياته ستة آلاف ومائتان وثلاث وستون آية . وما زعموه من رواية منسوبة لمحمد بن نصر أن سورة (لم يكن) كان فيها اسم سبعين رجلا من قريش بأسمائهم وأسماء آبائهم . وما نسب لمحمد بن جهم الهلالي وغيره عن أبي عبد الله أن لفظ « أمة هي أربى من أمة » سقطت من سورة النحل على حد زعمهم . وما زعموه من سقوط سورة « الولاية » بتمامها . وما زعموه من سقوط أكثر سورة « الأحزاب »[3] .

هذه الترهات وأمثالها مما افتراه الشيعة لإثبات مذهبهم ومقصدهم المنحرف ، مع أنها روايات مكذوبة ينقضها العقل والتاريخ . وهي مجرد ادعاءات لم يقم عليها دليل ولا شبهة دليل ، ولو أن كل دعوة تقبل من غير دليل لما ثبتت حقيقة ، ولما توصل الناس إلى علم ومعرفة . وصدق من قال : [أصحاب الدعاوى أدعياء ما لم يقيموا عليها دليلا] فمثلا زعمهم أن سورة الأحزاب كانت توازي سورة البقرة طولا ومن ضمنها آية الرجم وأن الصحابة أسقطوها لوجود

---

(١) سورة النساء آية : ٢٤ .

(٢) المدخل لدراسة القرآن الكريم صـ ٢٩٤ - ٢٩٥ .

(٣) الشيعة والقرآن - إحسان إلهي ظهير صـ ٣١ .

فضائل أهل البيت فيها ناسبين ذلك للصحابي الجليل أبي بن كعب . فالناظر إليه من أول وهلة يشم منه رائحة الكذب والافتراء حتى قال الإمام الباقلاني في ذلك : [هذا شيء لا يصح عن أبي ولو صح فمعناه أنها نسخت تلاوتها وأزيلت ، لأنه لم يقل فرطنا فيها ولا ضيعناها ، وكيف يصح أن يضيع أو يفرط وهو الذي أدخل في مصحفه القنوت الذي ليس هو قرآنا من شدة احتياطه وقوة اجتهاده[1] كما ذكر المستشرقون .

وقد أخذ هذه الافتراءات المستشرقون كأمور مسلمات فرحين بها وكأنها صيد سمين وهذه الأقوال وأمثالها دعت الشيعة للاعتقاد الفاسد أن القرآن لم يجمع لصحابي من الصحابة أو لمسلم من المسلمين قط، وإنما جمع فقط لعلي – رضي الله عنه– ولأئمتهم لذا قال صاحب الكافي: (باب أنه لم يجمع القرآن كله إلا الأئمة – عليهم السلام – وأنهم يعلمون علمه)[2] وذلك كله ليستدلوا منه على نقص القرآن الكريم لذا نقل « بيرتون في كتابه (جمع القرآن) رواية نسبها لابن عمر متأثرا بأقوال الشيعة حيث قال : [لا تجعلوا أحدكم يقول : لقد حصلت على مجمل القرآن فكيف يتسنى له أن يعرف ماذا كان ذلك المجمل ؟ إن كثيرا من القرآن قد ذهب فليقل بدلا من ذلك : لقد حصلت على ما ظل موجودا] .

ونقل عن زيد : [لقد مات النبي ولم يكن قد تم جمع القرآن في أي مكان][3] .

كل ذلك ليؤكدوا أن القرآن أصابه النقص ولم يجمع بتمامه .

وهذه الفرقة التي اعتمد أقوالها المبشرون والمستشرقون على السواء طاعنين في كتاب الله سبحانه نشأت بعد موت النبي – ﷺ – بخمس وعشرين سنة ، وقد انتشرت المصاحف في الأصقاع الإسلامية وحفظها الصغار قبل الكبار دون

---

(١) انظر نكت الأنصار صـ ٩٥ – ٩٦ .

(٢) تعريف بمذهب الشيعة الإمامية صـ ٨٢ .

(٣) جمع القرآن لبيرتون صـ ١١٧ – ١١٨ .

اختلاف . وقد كانت من الكثرة مما لو حاول بعضهم أن يحصيها لآواخر عهد عثمان – رضي الله عنه– لما استطاع ، وآلت الخلافة والسلطة للإمام علي – رضي الله عنه – الذي سار على طريق من سبقه من الخلفاء ، فلو كان نقص أو زيادة في القرآن وعلمه لما وسعه إلا إبرازه ولأعاده لما ينبغي أن يكون عليه من الصواب . بل قد نقل عنه أقوال تدافع عن عثمان وجمعه وأنه ما صدر إلا عن موافقة الصحابة – رضوان الله عليهم وعلى رأسهم علي نفسه – رضي الله عنه – .

ولما كان هذا موقفه تبين زيف الشيعة ومن ورائهم زمرة المبشرين والمستشرقين وبطلان دعواهم بوجود النقص والزيادة في كتاب الله سبحانه وأنه لم يجمع إلا للأئمة الأعلام من الشيعة وعلى رأسهم الإمام علي – رضوان الله عليه – وقد علق على موقف الشيعة من القرآن الكريم « بل ، وواط » حيث بينا أن هذه التهم لا تقوم على أسانيد منطقية ولا تنسجم مع أسس النقد الحديث وأن القرآن لا يشك في موثوقيته[1] .

وقد حاول المستشرقون إيجاد بعض الأدلة ليدعموا هذه المزاعم التي تلقفوها من الشيعة للإيهام أن في القرآن نقصا وعلى رأس هؤلاء المستشرقين « جرجس صال » ومن هذه الأدلة :

١ – قول الرسول – عليه الصلاة والسلام – : « رحم الله فلانا أذكرني كذا كذا آية أسقطتها من سورة كذا وكذا وفي رواية « أنسيتها » كنت نسيتها »[2] .

٢ – قوله تعالى : ﴿ **سنقرئك فلا تنسى** ﴾[3] .

---

(١) انظر مقدمة القرآن – لمنتجمري واط ص ٥١ .

(٢) انظر فتح الباري شرح صحيح البخاري ٩ / ٨٤ – ٨٥ ، كتاب فضائل القرآن باب نسيان القرآن وهل يقول نسيت آية كذا وكذا ؟ .

(٣) سورة الأعلى : ٦ .

٣ - ضياع بعض الأدوات التي كتبت عليها القرآن .

٤ - سقوط بعض الآيات لفظا وبقاؤها حكما[١] .

الجواب :

١- بالنسبة للحديث المذكور سابقا فهو حديث صحيح رواه الإمام البخاري في صحيحه وقد جاءت كلمة « أنسيتها » في الرواية الثانية تفسيرا لما في الرواية الأولى قوله : « أسقطتها » لتدل على أن الإسقاط كان بطريق النسيان لا العمد ورسول الله - ﷺ - بشر ينسى كما ينسى بقية بني البشر ولكنه محفوظ من الله سبحانه وتعالى بتذكيره . لذا لا يضره هذا النسيان ما دام سيحصل له التذكر إما من نفسه أو من مذكر خارجي كما في الحديث وقد وضح الإمام ابن حجر هذا النوع من النسيان بقوله : والنسيان من النبي - ﷺ - لشيء من القرآن يكون على قسمين :

أحدهما : نسيانه الذي يتذكره عن قرب ، وذلك قائم بالطباع البشرية وعليه يدل قوله - ﷺ - في حديث ابن مسعود في السهو : « إنما أنا بشر مثلكم أنسى كما تنسون »[٢] .

الثاني : أن يرفعه الله عن قلبه على إرادة نسخ تلاوته وهو المشار إليه بالاستثناء في قوله تعالى : ﴿ **سنقرئك فلا تنسى إلا ما شاء الله** ﴾ وهو المشار إليه في النقطة الرابعة السابقة .

وأما القسم الأول فعارض سريع الزوال لظاهر قوله تعالى : ﴿ **إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون** ﴾[٣] .

وأما الثاني فداخل في قوله تعالى : ﴿ **ما ننسخ من آية أو ننسها** ﴾[٤] .

---

(١) انظر كتب أسرار القرآن جرجس صال صـ ٢٣ ومقدمة القرآن لبلاشير صـ ١٦ - ١٧ .

(٢) انظر فتح الباري ٩ / ٨٦ .

(٣) سورة الحجر آية : ٩ .

(٤) سورة البقرة آية : ١٠٦ .

على قراءة من قرأ بضم أوله من غير همزة .

فالنسيان عارض بشري يجوز على الأنبياء فيما ليس طريقه البلاغ من أمور الدين والشريعة ، أما ما كان من أمور الدين والشريعة مما هو واجب البلاغ فيجوز لكن بشرطين :

أحدهما : أنه بعد ما يقع منه تبليغه .

والآخر : أنه لا يستمر على نسيانه بل يحصل له تذكرة إما بنفسه وإما بغيره[1] .

وأما قبل التبليغ فلا يجوز أصلا وهذا ما قام عليه الدليل العقلي إذ لو جاز النسيان قبل التبليغ أو بعده بدون أن يتذكر أو يذكره الغير لأدى إلى الطعن في عصمة الأنبياء ولجاز ضياع بعض الشرائع والأديان[2] ومثل هذا النوع من النسيان لا يزعزع الثقة بالرسول - ﷺ - ولا يشكك في دقة جمع القرآن ونسخه وليس في هذا الخبر الذي ذكروه رائحة أن هذه الآيات لم تكن بالمحفوظات التي كتبها كتاب الوحي ، وليس فيه ما يدل على أن أصحاب الرسول كانوا قد نسوه جميعا حتى يخاف عليها وعلى أمثالها الضياع ويخشى عليها السقوط عند الجمع واستنساخ المصحف الإمام ، كما يفتري هؤلاء الخراصون ، وعلى رأسهم « جرجس صال » و « بلاشير » بل الرواية نفسها تثبت صراحة أن في الصحابة من كان يقرؤها وسمعها منه الرسول - ﷺ - كما حصل ذلك من قراءة عباد بن بشر لها وسمعها منه رسول الله - ﷺ - فتذكرها ورسول الله قد حفظها قبل هذا الصحابي الجليل واستكتبها كتاب الوحي ، وبلغها للناس فحفظوها عنه ومنهم رجل الرواية عباد بن بشر - رضي الله عنه - .

ونسيان رسول الله - ﷺ - لهذه الآيات أمر طبيعي يقع مع كل بني

(١) انظر فتح الباري ٩ / ٨٦ .

(٢) .انظر المدخل لدراسة القرآن الكريم صـ ٢٩٣ .

البشر إذا كان يقرأ نصا قرآنيا واشتغل ذهنه بغيره مع أنه مخزون في حافظته يظهر إذا دعاه داعٍ يستعرضه ويستحضره ثانية ومثل هذا النسيان لا يعني إمحاءه من حافظته مطلقا لأن في ذلك إخلالا بوظيفة الرسالة والتبليغ[1] وهي بلا شك مما كتب في المصحف ولم تنقص منه كما يظن هؤلاء[2] .

كما أن الأحاديث الصحيحة أشارت إلى أن جبريل - عليه السلام - كان يعارض رسول الله - ﷺ - القرآن في كل رمضان مرة واحدة .

عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أنه قال : « كان رسول الله - ﷺ - أجود الناس ، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل ، وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن » الحديث[3] .

وفي آخر رمضان من حياته عارضه مرتين والمقصد من هذه المعارضة هي تثبيت حفظ رسول الله - ﷺ - وحذف منسوخ التلاوة ، والإبقاء على النص القرآني صافيا محددا منضبطا فبكل هذه الأدلة يتضح لنا سلامة النص القرآني من الزيادة والنقصان وعدم تأثير ما كان يطرأ عليه من سهو ونسيان .

٢ - أما دليلهم الثاني : وهو قوله تعالى : ﴿ **سنقرئك فلا تنسى إلا ما شاء الله** ﴾ استدل المستشرقون بهذه الآية على نسيان رسول الله - ﷺ - القرآن ومرجع ذلك عندهم الجهل لمراد الله سبحانه وتعالى في الآية الكريمة فسبب نزول هذه الآية هو أن النبي - ﷺ - كان يتذكر القرآن في نفسه مخافة أن ينسى ، فأزال الله خوفه بهذه الآية .

أما الاستثناء : فالمحققون من العلماء على أنه ليس بحقيقي وإنما هو صوري يراد منه تأكيد عدم النسيان بتعليق الشيء على ما هو مستحيل وقوعه وليدل على استحالته بالبرهان وقد ضمن الله لنبيه تحقيقه له فكيف يشاء إنساءه له ؟

---

(١) انظر مناهل العرفان ١ / ٢٥٩ - ٢٦٠ .

(٢) انظر مناهل العرفان للزرقاني ١ / ٢٥٨ .

(٣) انظر إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري ١ / ٧٢ .

قال تعالى : ﴿ **لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه** ﴾[1] والذي يدل أن الاستثناء صوري .

١ – ما جاء في سبب النزول وهو أن النبي – ﷺ – كان يتعب نفسه بكثرة قراءة القرآن حتى وقت نزول الوحي مخافة أن ينساه ويفلت منه فأراد الله تطمينه .

٢ – إن قوله ﴿ **إلا ما شاء الله** ﴾ فيه تعليق وقوع النسيان على مشيئة الله والمشيئة لم تقع بدليل قوله تعالى : ﴿ **إن علينا جمعه وقرآنه** ﴾[2] .

أما الغرض من الاستثناء فهو :

١ – تعريفه – ﷺ – أن عدم النسيان من فضل الله تعالى عليه فيدين له بالشكر والعبادة والذكر في كل وقت .

٢ – تعريف أمته على ذلك حتى لا يخرجوه – ﷺ – من مقام العبودية إلى مقام الألوهية كما فعل ذلك اليهود والنصارى بأنبيائهم .

وأيا ما يكن معنى الاستثناء فإنه لا يفهم منه أن الرسول – ﷺ – نسي حرفا واحدا مما أمر بتلاوته وتبليغه للخلق وإبقاء التشريع على قراءته من غير نسخ وذلك على أن المراد من النسيان المحو التام من الذاكرة .

ولا يمنع هذا من أن يشاء الله أن ينسيه ما أراد سبحانه نسخه فيذهب من قلبه قال تعالى : ﴿ **إلا ما شاء الله** ﴾ وأيا كان فإن المراد من الآية لا يشهد لدعواهم فالقصد نفي النسيان رأسا[3] وما ورد من أنه نسي شيئا كان يذكره فإن صح ذلك فهو في غير ما أنزل الله من الكتاب والأحكام التي أمر بتبليغها ، وقل ما يقال سوى ذلك فهو من مدخلات الملحدين التي جازت على عقول

---

(١) سورة القيامة آية (١٦ – ١٨) .

(٢) مناهل العرفان ١ / ٢٦١ .

(٣) المدخل لدراسة القرآن الكريم ٢٩٣ – ٢٩٤ .

الجاهلين المغفلين .

٣ - أما الدليل الثالث : ضياع بعض الأدوات التي كتب عليها القرآن فسأناقشه في موضوع الجمع القرآني بإذن الله تعالى[١] .

٤ - وأما الدليل الرابع : سقوط بعض الآيات لفظا وبقاؤها حكما فسأناقشه في موضوع النسخ في القرآن الكريم إن شاء الله تعالى[٢] .

المسألة الثالثة :

استدلالهم على الزيادة والنقصان بوجود مصحف خاص لعلي وزوجه فاطمة رضوان الله عليهم .

الجواب :

لا أحد ينكر أن كثيرا من الصحابة كان لهم مصاحف خاصة بهم لأنفسهم خلطوا فيها بين ألفاظ القرآن وما كان شرحاً لها وبيانا لمغزاها . وبين بعض القراءات وإن لم تكن متواترة و لم تثبت في العرضة الأخيرة وهذه المصاحف تختلف عن المصحف الإمام بالزيادة تارة وبالنقصان تارة أخرى ومرة بالتقديم ومرة بالتأخير وهكذا . لذا فلا يجوز القراءة بهذه المصاحف لمخالفتها ما أجمع عليه الصحابة رضوان الله عليهم وهذه أمثلة من هذه المصاحف .

١ - جاء في مصحف عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - في سورة الفاتحة : « صراط من أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم وغير الضالين » وفي سورة المدثر « في جنات يتساءلون يا فلان ما سلكك في سقر » .

٢ - وجاء في مصحف علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - « آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه وآمن المؤمنون » .

---

(١) انظر صـ ٣٣٠ .
(٢) انظر صـ ٤٥١ .

وفي مصحف عائشة أم المؤمنين – رضي الله عنها – في سورة الأحزاب : « إن الله وملائكته يصلون على النبي والذين يصلون في الصفوف الأولى » .

فلهذا السبب ولغيره اتفقت الأمة بموافقة عثمان – رضي الله عنه – على الاجتماع على مصحف واحد وتحريق ما سواه حتى لا تكون هذه المصاحف سببا للفتنة وضياع النص الإلهي الصحيح[1] .

ومن هنا يظهر أن وجود مصحف خاص بعلي وبزوجه فاطمة مع وجود بعض المخالفات بينها وبين المصحف الإمام ، ليس دليلا كافيا على وجود النقص والزيادة في الكتاب العزيز لأن الحجة في الكتاب نفسه على غيره لا العكس .

المسألة الرابعة :

استدلالهم على الزيادة والنقصان في القرآن الكريم بعمل الحجاج[2] إلى غير ذلك لإثبات خلافة بني أمية ، وإبطال خلافة ولد علي والعباس على حد زعمهم .

الجواب :

هذه القضية من جملة الأدلة الواهية التي يستدلون بها على مثل هذا الأمر الخطير . وهذه القضية ينقضها الواقع ويكذبها التاريخ ، وهي تتلخص في أن الناس لما فسدت ألسنتهم باختلاف ألفاظهم ، وتغير طباعهم ، بدخول اللحن على كثير من خواص الناس وعوامهم ، حدث تغيير وتحريف في نص القرآن الكريم ، طلب أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان على إثر ذلك من الحجاج بن يوسف الثقفي واليه على العراق ، بإعجام المصاحف ليزول اللحن والخطأ في كتاب الله عز وجل . قال الإمام أبو عمرو الداني موضحا هذا الأمر في كتابه المحكم في نقط

---

(١) كتاب شبهات مزعومة حول القرآن الكريم صـ ١٥٢ – ١٥٤ .

(٢) أسرار عن القرآن – سال صـ ٣٤ ، والمدخل لدراسة القرآن الكريم صـ ٢٩٥ – ٢٩٦ ، ومناهل العرفان ١ / ٢٦٦ – ٢٦٧ .

المصاحف : [اعلم أيدك الله بتوفيقه أن الذي دعا السلف – رضوان الله عليهم – إلى نقط المصاحف بعد أن كانت خالية من ذلك وعارية منه وقت رسمها . وحين توجيهها إلى الأمصار ، للمعنى الذي بيناه والوجه الذي شرحناه ، ما شاهدوه من أهل عصرهم ، مع قربهم من زمن الفصاحة ومشاهدة أهلها من فساد ألسنتهم ، واختلاف ألفاظهم ، وتغير طباعهم ، ودخول اللحن على كثير من خواص الناس وعوامهم ، وما خافوه مع مرور الأيام ، وتطاول الزمان من تزيد ذلك ، وتضاعفه فيمن يأتي بعد ، ممن هو – لاشك – في العلم والفصاحة والفهم والدراسة دون من شاهدوه ، ممن عرض له الفساد ، ودخل عليه اللحن لكي يرجع إلى نقطها ، ويصار إلى شكلها ، عند دخول الشكوك وعدم المعرفة ويتحقق بذلك إعراب الكلم ، وتدرك به كيفية الألفاظ ..][1] .

وقد جاءت إشارات لمحاولات تيسيرية لبعض الصحابة في بعض المواطن كأهل المدينة وأهل مكة الذين تركوا نقطهم وتبعوا أهل البصرة[2] ولكن الأمر لم يصبح له قواعد وقانون إلا في عهد عبد الملك بن مروان الخليفة الأموي وقد اختلفوا في أول من نقط المصاحف على أقوال :

قيل : إنه أبو الأسود الدؤلي أراد أن يعمل كتابا في العربية يقوم به ما فسد من كلام الناس .. فقال : أرى أن ابتدىء بإعراب القرآن فجعل الفتحة نقطة فوق الحرف ، والكسرة نقطة تحت الحرف ، والضمة نقطة أمام الحرف والتنوين نقطتين .

وقيل : كان عمله بطلب من زياد بن أبيه والي البصرة سنة ٤٨ .

وقيل : بل كان عمل نصر بن عاصم الليثي سنة ٨٠ هـ بأمر من الحجاج

---

(١) انظر المحكم في نقط المصاحف – لأبي عمرو الداني طبعة دار الفكر ط ٢ ، ١٤٠٧ / ١٩٨٦ م صـ ١٨ – ١٩ .

(٢) انظر كتاب النقط لأبي عمرو الداني صـ ١٢٤ – ١٢٥ وكتاب المحكم في نقط المصاحف صـ ٢ وما بعدها .

وأنه الذي خمس وعشر .

وقيل : بل كان عمل يحيى بن يعمر ، وأن الخليل أتم عمله بجعل الهمز والتشديد والروم والإشمام .

فيحتمل أن يكون أول من ابتدأ بالنقط كنظام له قواعد أبو الأسود الدؤلي ، ثم تبعه نصر بن عاصم ويحيى بن يعمر ، ثم جاء بعدهم بقرن تقريبا الخليل بن أحمد فابتدع علامات أخرى . بهذا أصبح للنقط نظام له قواعد وأصول تتبع .

فيجمع بين هذه الأقوال أن عمل أبي الأسود الدؤلي كان شكلا بطريقة النقط ، أما نقط الحجاج بلجنته المكونة من نصر بن عاصم ويحيى بن يعمر ، والحسن البصري فهو بالاصطلاح المعروف اليوم ، وكان طابعها طابعاً رسميا .

أما ما نسب من عمل كهذا ليحيى بن يعمر وابن سيرين فيكون عملا فرديا[1] والآن سأعرض الحروف التي غيرها الحجاج كما ذكرها ابن أبي داود في كتابه المصاحف[2] قال ابن أبي داود : [كانت في البقرة (س ٢ ، آ ٢٥٩) « لم يتسن وانظر » بغير هاء فغيرها « لم يتسنه » بالهاء[3] . وكانت في المائدة (س ٥ ، آ ٤٨) « شريعة ومنهاجا » فغيرها « شرعة ومنهاجا »[4] وكانت في يونس (س ١٠ ، آ ٢٢) « هو الذي ينشركم » فغيره « يسيركم »[5] وكانت في يوسف (س ١٢ ، آ ٤٥) « أنا آتيكم بتأويله » فغيرها « أنا أنبئكم

(١) انظر اللآلىء الحسان في علوم القرآن صـ ٦٩ – ٧١ (بتصرف) .

(٢) أي في كتابه المصاحف صـ ٥٩ ، والباقلاني في كتابه نكت الانتصار لنقل القرآن صـ ٢٩٩ – ٣٠٠ .

(٣) والقراءتان سبعيتان كما ذكرهما ابن زنجلة في حجة القراءات صـ ١٤٢ – ١٤٣ حيث قرأ حمزة والكسائي « لم يتسن » بحذف الهاء في الوصل وقرأ الباقون « لم يتسنه » بإثبات الهاء في الوصل .

(٤) قرأ النخعي وابن وثاب بفتح الشين وقرأ الجمهور بكسرها (وشرعة) ولم أجد أحداً أشار لقراءة (شريعة) .

(٥) والقراءتان سبعيتان ذكرهما ابن زنجلة في كتابه حجة القراءات صـ ٣٢٩ حيث قرأ ابن عامر : (هو الذي ينشركم) بالنون والشين . وقرأ الباقون (يسيركم) .

بتأويله »[1] .

وكانت في المؤمنين (س ٢٣ ، آ ٨٥) « سيقولون لله ... لله ... لله » فجعل الآيتين « الله ... الله »[2]. وكانت في الشعراء في قصة نوح. (س ٢٦ ، آ ١١٦) « من المخرجين »، وفي قصة لوط (آ ١٧٦) «من المرجومين »[3] . وكانت الزخرف (س ٤٣ ، آ٣٢) « نحن قسمنا بينهم معايشهم » فغيرها « معيشتهم »[4] . وكانت في الذين كفروا (س ٤٧ ، آ ١٥) « من ماء غير ياسن » فغيرها « من ماء غير آسن »[5] . وكانت في الحديد (س ٥٧ ، آ ٧) « فالذين آمنوا منكم واتقوا لهم أجر كبير » فغيرها « وأنفقوا »[6] . وكانت إذا الشمس كورت (س ٨٨ ، آ ٢٤) « وما هو على الغيب بظنين » فغيرها « بضنين »[7] .

هذه القراءات كما لاحظت من الصحيح المتواتر الثابت الذي يجوز القراءة به على أية وجه رسم به ومنها ما لم أجده ثابتاً مما يدعو للشك في نسبته للحجاج ، وخاصة أنه لم يكن بمعزل عن الأمة ، بل ما كان لأحد من المسلمين في عصره ليسمح بتغيير أو بتبديل شيء ثابت عن رسول الله - ﷺ - قرآنا

---

(١) قرأ الحسن (أنا آتيكم) بهمزة مفتوحة ممدودة بعدها تاء مكسورة وباء ساكنة ، وقرأ وصلا نافع وأبو جعفر (أنا أنبئكم) كما ذكر ذلك أحمد عبد الغني الدمياطي في كتابه إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر ٢٦٥ .

(٢) القراءات سبعيات كما ذكر ذلك ابن زنجلة في حجة القراءات صـ ٤٩٠ ، حيث قرأ أبو عمرو (سيقولون الله) سيقولون الله بالألف فيهما وقرأ الباقون (لله ... لله) ولم يختلفوا في الأولى .

(٣) لم أجد أحداً أشار لما ذكره المؤلف .

(٤) قراءة الجمهور معيشتهم على الإفراد . وقرأ عبد الله والأعمش ، وابن عباس وسفيان معائشهم على الجمع كما ذكر ذلك أبو حيان في البحر المحيط ٨ / ١٣ .

(٥) قرأ السبعة ما عدا ابن كثير غير آسن بالمد ، أما قراءة ياسن فهي قراءة شاذة ذكرها أبو حيان في تفسيره بلفظ قيل .
انظر حجة القراءات لابن زنجلة صـ ٦٦٧ ، وتفسير البحر المحيط ٨ / ٧٩ .

(٦) لم أجد من أشار لهذه القراءة .

(٧) قرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي وريس وابن مهران عن روح بالظاء ، وقرأ الباقون بالضاد ، وكذا في جميع المصاحف (انظر النشر في القراءات العشر ٢ / ٣٩٨ - ٣٩٩) .

كان أو حديثا . فهذا كله يرد دعاوى هؤلاء المستشرقين . ومما يؤكد صحة ما ذهبت إليه عدة أمور منها :

١ - كون الحجاج من شيعة عثمان ، وكان يؤاخذ كل من قصر في نصرته يوم الدار ، فكيف لمن هذا حاله أن يطعن في عثمان ومصحفه ويغيره .

٢ - أن المصحف العثماني انتشر في الآفاق وكثرت نسخه في عهد عثمان وعلي لغاية أنه لو أراد أحد إحصاءها لما استطاع ، فكيف بعددها في عهد الخلافة الأموية فلاشك أنه بلغ أكثر من ذلك كما أن الحجاج ما كان إلا واليا لولاية من ولايات الدولة الإسلامية المترامية الأطراف ، والمتباعدة النواحي فإذا استطاع تغيير المصاحف في ولايته فأنى له أن يصل للمصاحف في الولايات الأخرى وهي بالآلاف .

والتاريخ لم يذكر تناقضا بين المصاحف في العراق وبين المصاحف في غيرها .

والمعروف أن الحفظ لهذا الكتاب العظيم كما كان حفظا في المصاحف كان حفظا في الصدور فإذا استطاع الحجاج أن يصل لحفظ السطور فأنى له أن يصل لحفظ صدور الآلاف من المسلمين .

٣ - والمعروف كذلك أن الدولة العباسية قامت على أنقاض الدولة الأموية وقد غيروا كثيرا من سياسات بني أمية في إدارة شئون الدولة ، ولم يدخروا وسعا في تبيين مثالب بني أمية ، والتقرب إلى الرعية بإبراز العدالة والإنصاف والدفاع عن الحق .

فلو وجد العباسيون شيئا من هذا التغيير في المصحف الشريف لكانت من أعظم الفرص المواتية لبني العباس ليظهروا ذلك باعتباره مثلبا كبيرا في حق بني أمية ، وإضفاء للشرعية والعدل والحق على حكمهم .

الفصل الثالث

جمع القرآن الكريم وشبههم حوله

المبحث الأول

أ - تسمية الجمع تنقيحا

ب - المرحلة الأولى من الجمع القرآني وشبهاتهم حولها

المبحث الثاني

المرحلة الثانية من الجمع القرآني وشبهاتهم حولها

المبحث الثالث

المرحلة الثالثة من الجمع القرآني وشبهاتهم حولها

الفصل الثالث

جمع القرآن الكريم وشبههم حوله

المبحث الأول :

أ - تسمية الجمع تنقيحا :

أطلق « بلاشير » على عملية جمع القرآن الكريم تنقيحا[(1)] .

الجواب :

أن هذه التسمية من المستشرقين مقصودة وذلك ليوحوا أن القرآن الكريم كأي جهد بشري قابل للزيادة والنقصان والتبديل والتغيير للوصول به لما هو أفضل كما هو في المقياس البشري . والذي دفعهم لمثل هذا اللون من التفكير ما نقل من جهود الصحابة - رضوان الله عليهم - وفي عهد التابعين من إعادة كتابة القرآن الكريم وجمعه حفاظا على النص القرآني من التحريف والتغيير والنقص والزيادة ، واختلاف اللهجات فيه فظنوا أن ذلك كان من باب التنقيح للنص القرآني والتعديل فيه .

ولكن الله سبحانه قد تكفل حفظ هذا القرآن الكريم من أي تبديل وتغيير أو نقص وزيادة فأودع حفظه في صدور المسلمين ، وفي السطور قال تعالى : ﴿ **إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون** ﴾[(2)] فلم يدخله ما زعمه « بلاشير » التنقيح بمفهومهم فهو ما زال غضا طريا كما نزل ، وسنذكر فيما يلي أهم النقاط التي أبرزوها حول جمع القرآن الكريم ، وانطلقوا منها لبناء شبهاتهم .

---

(١) انظر مقدمة القرآن - بلاشير صـ ٣٢ - ٣٥ .

(٢) سورة الحجر : ٩ .

ب - المرحلة الأولى من الجمع القرآني وشبهاتهم حولها :

تاريخ جمع القرآن الكريم :

حاول بعض المستشرقين مثل « بلاشير » و « كازانوفا » التشكيك في تاريخ جمع القرآن الكريم وأول من جمعه فبعضهم اعتبر أول جامع له رسول الله - ﷺ - وبعضهم اعتبره أبو بكر ، عمر ، سالم ، عثمان ، علي ، الحجاج[1] .

الجواب :

مر القرآن الكريم بثلاث مراحل أساسية وهي :

أ - الجمع النبوي للقرآن الكريم .
ب - جمع أبي بكر - رضي الله عنه .
ج - جمع عثمان - رضي الله عنه .

والجمع له معنيان :

أ - يطلق تارة ويراد به حفظه وتقييده في الصدور . وأحيانا يراد به الكتابة في الصحف والسطور .

ب - والمعنى الثاني وهو المقصود في مراحل الجمع الثلاث الآنفة الذكر .

المسألة الأولى :

المرحلة الأولى : الجمع فى عهد الرسول - ﷺ - :

أثار المستشرقون على هذه المرحلة عدة شبهات منها :

الشبهة الأولى :

أن الرسول - ﷺ - لم يجمع القرآن بنفسه ، و لم يأمر أحداً بجمعه وإنما

(١) انظر مقدمة القرآن - بلاشير صـ ٣٢ - ٦٨ ، وجمع القرآن - بيرتون صـ ١٢١ ، القرآن .

كان ذلك بجهد شخصي من بعض الصحابة وفي بعض المناسبات ، وأن الجمع الفعلي كان في المدينة المنورة بعد هجرته - ﷺ - تأثرا باليهود .

وقد استدلوا على ذلك بعدة أدلة منها :

١ - رواية عبد الله بن عمر أنه قال : « لا تجعلوا أحدكم يقول : لقد حصلت على مجمل القرآن ، فكيف يتسنى له أن يعرف ماذا كان ذلك المجمل ؟ إن كثيرا من القرآن قد ذهب . فليقل بدلاً من ذلك : لقد حصلت على ما ظل موجوداً » .

٢ - رواية منسوبة لزيد بن ثابت حيث قال فيها :

« لقد مات النبي - ﷺ - ولم يكن قد تم جمع القرآن في أي مكان »[(١)] .

الجواب :

يحمل الجمع النبوي في عهده - ﷺ - معنيين : الحفظ في الصدور : وحفظ السطور .

أما الأول: فيدل عليه قوله تعالى: ﴿**إن علينا جمعه وقرآنه**﴾[(٢)] فقد ضمن حفظ هذا القرآن في صدره- عليه الصلاة والسلام- وصدر مجموعة من صحابته فإن كان عدد الحفظة لكل ما كان ينزل بالعشرات ، فإن حفظة الأجزاء منه والسور والآيات يعدون بالمئات ، وكان عددهم في ازدياد باستمرار لما لهذا القرآن عند المسلمين من قدسية ومحبة ، ولأنهم كانوا يعتبرونه من أعظم الطرق التي تقربهم إلى الله سبحانه وتعالى .

---

(١) انظر جمع القرآن لبيرتون صـ ١١٧ ، ومقدمة القرآن - بلاشير صـ ٤١ ، ومقدمة القرآن واط صـ ٥١ ، والقرآن والمستشرقون - رابح جمعة صـ ٧٨ ، والموسوعة البريطانية نقلا عن كتاب قضايا قرآنية صـ ٢١٦ .

(٢) سورة القيامة : ١٧ .

أما حفظه في السطور فالمعروف أن رسول الله - ﷺ - كان أميا لم يكتب بيده الشريفة شيئا ولكنه كان قد اتخذ كتبة لكافة أغراضه واحتياجاته للوحي والمراسلات والخطابات بلغوا الأربعين ونيفا[1] .

فكان إذا نزل شيء من القرآن على رسول الله - ﷺ - استدعى بعض كتبته وأمر بتسجيلها ثم حفظها لبعض صحابته[2] وكانت كتابتهم للقرآن الكريم على اللخاف ، والعسب ، والأكتاف ، والأقتاب ، وقطع الأديم .

أما الأدلة التي استدلوا بها فلنا عليها تعليق .

هذه الروايات مما استدل به الشيعة على نقصان القرآن الكريم وإسقاط شيء منه فرواية عبد الله بن عمر إن صحت الرواية فالمراد بها النهي عن حفظ كل ما نزل من القرآن ناسخه ومنسوخه ، لأن من القرآن ما نسخت تلاوته بعد نزوله فالواجب أن يقول حفظت من القرآن غير منسوخ التلاوة . وأيدوا أدلتهم المدعاة بدليل آخر وهو قولهم : « ما عندنا إلا كتاب الله وما في هذه الصحيفة » فالمقصود بالصحيفة هنا الأحكام التي كتبها عن النبي - ﷺ - .

ولم ينف أن عنده أشياء أخرى من الأحكام التي لم يكن كتبها أو أراد : ما ترك مما يتعلق بالإمامة ، أي لم يترك شيئا يتعلق بأحكام الإمامة إلا ما هو بأيدي الناس . وهذا رد صريح على دعاوي الرافضة ومزاعم المستشرقين الذين تلقفوا إفكهم هذا وهو حذف شيء من القرآن الكريم لمصلحة تخصهم[3] والشاهد في قوله : « ما ترك إلا ما بين الدفتين » أي من القرآن الذي يتلى لأن ما سواه مما نسخت تلاوته في حياة النبي - ﷺ - .

---

(١) انظر كتاب النبي - ﷺ - د / محمد الأعظمي .

(٢) انظر كتاب صحيح البخاري ٥ / ١٨٣ كتاب التفسير وفتح الباري ٩ / ٢٢ .

(٣) انظر فتح الباري لشرح صحيح البخاري ٩ / ٦٤ - ٦٥ ، طبعة دار المعرفة بيروت (بتصرف) .

الرواية الثانية :

التي استدلوا بها على عدم جمع القرآن في عهده الشريف الرواية المنسوبة لزيد بن ثابت وهي قوله :

« لقد مات النبي – ﷺ – ولم يكن قد تم جمع القرآن الكريم في أي مكان » .

فقد ذكرها السيوطي في إتقانه ونقل توضيح الخطابي لمقصودها حيث قال : « إنما لم يجمع – ﷺ – القرآن في المصحف لما كان يترقبه من ورود ناسخ لبعض أحكامه أو تلاوته ، فلما انقضى نزوله بوفاته ألهم الله الخلفاء الراشدين ذلك وفاء بوعده الصادق بضمان حفظه على هذه الأمة فكان ابتداء ذلك على يد الصديق بمشورة عمر »[(١)] .

أما ما أخرجه الإمام مسلم من حديث أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله – ﷺ – « لاتكتبوا عني ، ومن كتب عني غير القرآن فليمحه وحدثوا عني ولا حرج ، ومن كذب علي – قال همام : أحسبه قال : – متعمدا – فليتبوأ مقعده من النار »[(٢)] .

قال « القاضي » : كان بين السلف من الصحابة والتابعين اختلاف كثير في كتابة العلم . فكرهها كثيرون منهم ، وأجازها أكثرهم . ثم أجمع المسلمون على جوازها وزال ذلك الخلاف . واختلفوا في المراد بهذا الحديث الوارد في النهي .

فقيل : هو في حق من يوثق بحفظه ويخاف اتكاله على الكتابة إذا كتب . وتحمل الأحاديث الواردة بالإباحة على من لا يوثق بحفظه كحديث « اكتبوا لأبي شاة » .. وحديث أن ابن عمرو بن العاص كان يكتب ولا أكتب .. وغير

---

(١) الإتقان – للسيوطي ١ / ٥٧ .

(٢) صحيح مسلم ٤ / ٢٢٩٨ – ٢٢٩٩ كتاب الزهد والرقائق .

ذلك من الأحاديث .

وقيل : إن حديث النهي منسوخ بهذه الأحاديث . وكان النهي حيث خيف اختلاطه بالقرآن فلما أمن ذلك ، أذن في الكتابة .

وقيل : إنما نهى عن كتابة الحديث مع القرآن في صحيفة واحدة لئلا يختلط فيشتبه على القارئ[1] .

فالنهي يكون عن كتابة مخصوصة وبصفة مخصوصة . أما القرآن الكريم فالشواهد على كتابته وملازمتها للحفظ واردة بأحاديث كثيرة منها حديث زيد نفسه والبراء بن عازب – رضي الله عنهما – في صحيح البخاري قال : « لما نزلت لا يستوي القاعدون من المؤمنين قال النبي – ﷺ – ادعوا فلانا – فجاءه ومعه الدواة واللوح أو الكتف فقال : اكتب « لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله » وخلف النبي – ﷺ – ابن أم مكتوم . فقال : يارسول الله أنا ضرير فنزلت مكانها ﴿ **لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله** ﴾[2][3] .

وزيد نفسه هو الذي قال : « كنا عند رسول الله – ﷺ – نؤلف القرآن من الرقاع .. »[4] .

وهذا نص صريح يدل على أن القرآن كان مكتوبا على أشياء متعددة وفي أماكن مختلفة ولكنه لم يكن مرتب السور ولكنه مرتب الآيات بدليل رواية عثمان – رضي الله عنه – قال : « كان رسول الله – ﷺ – مما يأتي عليه الزمان ، وهو تنزل عليه السور ذوات العدد ، فكان إذا نزل عليه الشيء منه دعا بعض من كان يكتب فيقول : « ضعوا هذه الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا »

---

(١) حاشية صحيح مسلم ٤ / ٢٢٩٨ كتاب الزهد والرقائق حديث رقم (٣٠٠٤) .
(٢) سورة النساء : ٩٥ .
(٣) انظر صحيح البخاري ٥ / ١٨٣ كتاب التفسير ، تفسير سورة النساء .
(٤) انظر المستدرك للحاكم ٢ / ٢٢٩ كتاب التفسير .

وإذا نزلت عليه الآية يقول : « ضعوا هذه الآية في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا ... » الحديث[1] .

فمن مجموع الروايات أن الكتابة كانت منتشرة في عهده - ﷺ - وعلى رأس ذلك القرآن الكريم فكان حفظ الصدور ملازما لحفظ السطور في كل الأحوال مع أن الأصل الحفظ أما الكتابة فكانت للتوثيق ولكن لما كان بعض الصحابة يكتبون مع القرآن غيره في صحيفة واحدة نهوا عن ذلك لئلا يختلط مع القرآن سواه فلما أمن الاختلاط أذن لمن كان عنده الحرص والرغبة في الكتاب أو كان ضعيف الحفظ أن يكتب بنفسه أو يكتب له شيء من السنن والأحكام كنصوص شرعية يجب معرفتها والعمل بها .

وهذا كله يرد دعوى المستشرقين وعلى رأسهم أصحاب الموسوعة البريطانية حيث قالوا : « إن حفظ القرآن في الصدور وكتابته كانت الطريقة المعتادة لحفظه وضبطه من الضياع ، وكانت تكتب في بعض المناسبات فقط »[2] ويؤكد سلامة القرآن من الزيادة والنقصان والتغيير والتبديل ليومنا هذا حتى أنه يقرأ غضا طريا كأنه الساعة أنزل بتلقيهم إياه بطريق إجازات الحفاظ لطلبتهم .

والذي يؤكد سلامة القرآن مما وجه إليه من افتراءات وجود بعض قطع من القرآن الكريم متطابقة مع القرآن الحالي فيما عدا بعض النقاط الطفيفة جدا التي لا تغير شيئا من المعنى العام حسب شهادة الأستاذ موريس بوكاي . قال الأستاذ « موريس » في كتابه (القرآن والكتب المقدسة) :

[يقول الأستاذ حميد الله ، توجد اليوم بطشقند واستامبول نسخ تنسب إلى عثمان . وإذا نحينا جانبا ما قد يكون من أخطاء النسخ ، فإن أقدم الوثائق المعروفة في أيامنا والتي وجدت في كل العالم الإسلامي تطابق كل منها الأخرى تماما . كذلك الأمر أيضا بالنسبة للمخطوطات التي في حوزتنا في أوربا [توجد

(١) انظر سنن أبي داود ١ / ٢٠٩ كتاب الصلاة باب من جهر بالبسملة (وهو بلفظ قريبا) .
(٢) قضايا قرآنية صـ ٢١٦ .

بالمكتبة الوطنية بباريس قطع يرجع تاريخها ، حسب تقدير الخبراء ، إلى القرنين الثامن والتاسع الميلاديين أي إلى القرنيين الثاني والثالث من الهجرة] .

إن هذا الحشد من النصوص القديمة المعروفة متطابق كله فيما عدا بعض النقاط الطفيفة جدا التي لا تغير شيئا من المعنى العام للنص برغم أن السياق قد يقبل أحيانا أكثر من إمكانية للقراءة ، وذلك يرجع إلى أن الكتابة القديمة أبسط من الكتابة الحالية[1] .

وهذا تصديق لقوله تعالى : ﴿ **إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون** ﴾[2] .

وكما قال بعض المنصفين من الأوربيين : إن القرآن إذا جرد من الشكل والتنقيط ، وبعض التعليقات عند أول كل سورة من كونها مكية أو مدنية ، ومن ذكر عدد آياتها ، يكون تماما هو القرآن الذي أنزل على النبي - ﷺ -[3] .

فهذه الأدلة كلها من مصدرها الإسلامي تارة وأقوال المستشرقين أنفسهم تارة أخرى تؤكد سلامة القرآن الكريم من أي نقص أو زيادة ، وترد أقوال المفترين من المستشرقين ، ومن قبلهم المنحرفين المغالين من الشيعة ، والمجانبين لدقة البحث العلمي كأعضاء الموسوعة البريطانية الذين ينقصهم التوثيق ويعوز كلامهم الأدلة . وصدق الله إذ يقول : ﴿ **وإنه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد** ﴾[4] .

الشبهة الثانية :

أ - عدد الحفظة للقرآن الكريم .

ب - ونزاهة الكتبة وشبههم حولهم .

---

(١) الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة صـ ١٢٣ .

(٢) سورة الحجر آية : ٩ .

(٣) قضايا قرآنية صـ ٢١٩ .

(٤) فصلت : ٤١ - ٤٢ .

أ – عدد الحفظة للقرآن الكريم :

أثار كثير من المستشرقين شكوكاً حول عدد الحفظة ليصلوا بذلك لعدم رواية القرآن بالتواتر وأن قلتهم أدى إلى ضياع شيء من القرآن بموت بعضهم وعلى رأسهم « بلاشير » الذي زعم أنه حقق المسألة ووجد أن عددهم سبعة وفي قول آخر : إنهم تسعة أشخاص .

أما « شيفالي » فذكر أنهم اثنان فقط[1] .

مستندين على روايات ذكرت بعض الحفظة كما في طبقات ابن سعد وهم :

١ – ابن مسعود .
٢ – سالم .
٣ – معاذ بن جبل .
٤ – أبي بن كعب .
٥ – زيد بن ثابت .
٦ – أبو يزيد .
٧ – أبو الدرداء .

الجواب :

كان النبي – ﷺ – ينزل عليه القرآن الكريم فيقرؤه على صحابته بتؤدة وتمهل كي يحفظوه ويفهموه « كنا نحفظ العشر فلا نتجاوزها حتى نحفظها ونعمل بها »[2] قال عمر بن الخطاب – رضي الله عنه –: كان رسول الله – ﷺ – إذا نزل عليه الوحي سمع عند وجهه كدوي النحل فأنزل عليه يوما فمكث ساعة فسري عنه فاستقبل القبلة ورفع يديه وقال : « اللهم زدنا ولا تنقصنا وأكرمنا ولا تهنا ، وأعطنا ولا تحرمنا ، وآثرنا ولا تؤثر علينا ، وارضنا وارض عنا » ثم

---

(١) انظر مقدمة القرآن بلاشير صـ ٢٨ ، ومقدمة القرآن واط صـ ٤١ .
(٢) ....

قال : أنزل علي عشر آيات من أقامهن دخل الجنة ثم قرأ ﴿ **قد أفلح المؤمنون** ﴾ حتى ختم عشر آيات[1] .

وقد جعل الصحابة - رضوان الله عليهم - القرآن الكريم في المقام الأول في العناية والاهتمام فتنافسوا في حفظه وفهمه ، فكانوا يكثرون من قراءته وترداده آناء الليل وأطراف النهار .

عن أبي موسى قال : قال رسول الله - ﷺ -

« إني لأعرف أصوات رفقة الأشعريين بالقرآن ، حين يدخلون بالليل ، وأعرف منازلهم من أصواتهم ، بالقرآن بالليل ، وإن كنت لم أر منازلهم حين نزلوا بالنهار .. »[2] الحديث .

وكان الصحابة - رضوان الله عليهم - يتفاخرون بحفظ شيء من سور القرآن الكريم من فم رسول الله - ﷺ -

روى الإمام مسلم في صحيحه بسنده إلى عبد الله أنه قال : ﴿ **ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة** ﴾[3] ثم قال : على قراءة من تأمروني أن أقرأ ؟ فلقد قرأت على رسول الله - ﷺ - بضعا وسبعين ولقد علم أصحاب رسول الله - ﷺ - أني أعلمهم بكتاب الله . ولو أعلم أن أحدا أعلم مني لرحلت إليه »[4] .

وكان اعتمادهم في الحفظ على التلقي والسماع من الرسول - ﷺ - فكان من خصائص هذه الأمة حفظهم كتاب ربهم في صدورهم فوضعوا « أناجيلهم في صدورهم » فلا عجب والحال كما سمعت أن يحفظه الجم الغفير من الصحابة - رضوان الله عليهم - فكان على رأسهم الخلفاء الأربعة وكان منهم : حذيفة بن

---

(١) رواه الترمذي في كتاب تفسير القرآن من سورة المؤمنون حديث رقم ٣١٧٢ .

(٢) انظر صحيح مسلم ٤ / ١٩٤٤ كتاب فضائل الصحابة حديث رقم ٢٤٩٩ .

(٣) سورة آل عمران : ١٦١ .

(٤) صحيح مسلم ٤ / ١٩١٢ كتاب فضائل الصحابة حديث ٢٤٦٢ .

اليمان ، وسالم مولى أبي حذيفة ، وعبد الله بن مسعود ، وأبو هريرة ، وعبد الله ابن عباس ، وعبد الله بن الزبير ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن عمرو بن العاص ، وأبوه . وزاد بعضهم طلحة ، وسعدا ، ومعاوية بن أبي سفيان ، وعبد الله بن السائب قارىء مكة ، وغيرهم من المهاجرين .

وذكر من الأنصار : أبي بن كعب ، وزيد بن ثابت ، ومعاذ بن جبل ، ومن أزواج النبي - ﷺ - عائشة ، وحفصة وأم سلمة ولاشك أن بعض من ذكرنا أكثر في القراءة وأعلى من بعض وإنما خصصنا بالتسمية كل من وصف بالقراءة ، وحكي عنه منها شيء[1] .

وقد ذكرت هذا الجم الغفير من الصحابة لأنقض مزاعم كل من « بلاشير » و « شيفالي » و « نولديكة » حيث زعم بعضهم أن إيداع الحفظ لحافظة الصحابة أدى لاضطراب النص القرآني ضد المرتدين ، خاصة إذا علم أنه مات من القراء في معركة اليمامة « خمسمائة من الصحابة ، وسبعون من القراء في يوم « بئر معونة » كما جاء في صحيح البخاري عن أنس - رضي الله عنه - قال : « بعث النبي - ﷺ - سبعين رجلا لحاجة يقال لهم : القراء . فعرض لهم حيان من بني سليم رعل وذكوان عند بئر يقال له : « بئر معونة » فقال القوم : والله ما إياكم أردنا ، إنما نحن مجتازون في حاجة للنبي - ﷺ - فقتلوهم . فدعا النبي - ﷺ - عليهم شهرا في صلاة الغداة ، وذلك بدء القنوت وكنا نقنت »[2] .

فالروايات التي استنتج منها « بلاشير » أن العدد محصور بسبعة أو تسعة لم يقصد منها الحصر كقوله - ﷺ - :

« خذوا القرآن من أربعة : من ابن أم عبد - فبدأ به - ومعاذ بن جبل ، وأبي بن كعب ، وسالم مولى أبي حذيفة »[3] .

---

(١) انظر المرشد الوجيز لأبي شامة صـ ٤١ - ٤٢ .
(٢) انظر صحيح البخاري ٥ / ٤١ - ٤٢ كتاب المغازي .
(٣) انظر صحيح مسلم ٤ / ١٩١٣ كتاب فضائل الصحابة حديث رقم (٢٤٦٤) .

وما كان من ألفاظها للحصر فللعلماء فيها تأويلات منها :

١ - أنه لم يجمع جميع القرآن عن رسول الله - ﷺ - ويأخذه من فيه تلقيا ، غير تلك الجماعة ، فإن أكثرهم أخذوا بعضه عنه ، وبعض القرآن عن غيره .

٢ - منها أنه لم يجمعه على عهد رسول الله - ﷺ - ممن ظهر به وأبدى ذلك من أمره وانتصب لتلقينه ، وأصبح يقصد للتلقي عنهم بالإشارة من رسول الله - ﷺ - وأحيانا لشهرتهم بين الصحابة في تعليم القرآن الكريم .

وقيل : فيها تأويلات أخرى .

٣ - ومنها أنه لم يجمعه مكتوبا لنفسه غير هؤلاء ..

أما الروايات التي اعتمد عليها المستشرقون وعلى رأسهم « بلاشير » في تحديد العدد بسبعة أو تسعة هما روايتان عن أنس - رضي الله عنه - وبعض الروايات التي ذكرها ابن أبي داود في كتابه المصاحف .

فالرواية الأولى عن أنس من طريق ثمامة : « مات النبي - ﷺ - ولم يجمع القرآن غير أربعة: أبو الدرداء ، ومعاذ بن جبل ، وزيد بن ثابت، وأبو زيد، قال : ونحن ورثناه » .

والرواية الثانية رواها عن أنس من طريق قتادة حيث سئل عن من جمع القرآن على عهد النبي - ﷺ - قال : أربعة كلهم من الأنصار : أبي بن كعب ، ومعاذ بن جبل ، وزيد بن ثابت ، وأبو زيد » .

فالملاحظ أن رواية ثمامة خالفت رواية قتادة من وجهين :

أ - التصريح بصيغة الحصر في الأربعة .
ب - ذكر أبي الدرداء بدلاً من أبي بن كعب .

فعلى هذا فالروايتان مضطربتان .

قال المازري : لا يلزم من قول أنس لم يجمعه غيرهم أن يكون الواقع في نفس الأمر كذلك ؛ لأن التقدير أنه لا يعلم أن سواهم جمعه ، أو لم يكن حاضرا في ذهنه سواهم . وإلا فكيف الإحاطة بذلك مع كثرة الصحابة وتفرقهم في البلاد .. لذا فإنا لا نسلم حمله على ظاهره ، لكن لا يلزم من كون كل واحد من الجم الغفير لم يحفظه كله أن لا يكون حفظه مجموعة الجم الغفير ، وليس من شرط التواتر أن يحفظ كل فرد جميعه بل إذا حفظ الكل الكل ولو على التوزيع كفى . ويكفى أن نشير أن من قتل يوم بئر معونة في عهده - ﷺ - سبعون قارئا ليبين تهافت حمل هذا الحديث على ظاهره[1] .

وقد علق الإسماعيلي على الحديثين بقوله : هذان الحديثان مختلفان ، ولا يجوز أن في الصحيح مع تباينهما بل الصحيح أحدهما .

وقد جزم البيهقي أن ذكر أبي الدرداء وهم والصواب أبي بن كعب .

وقال الداودي : لا أرى ذكر أبي الدرداء محفوظا .

ولاشك أن أبا الدرداء ممن حفظ برواية ذكرها ابن أبي داود برواية حسنة مرسلة .

المهم أن صيغة الحصر لم يقصد منها حصر العدد فيهم فقط ونفيه عن غيرهم لأن الواقع أثبت عكسه .

وفي هذا رد قوي على مزاعم المستشرقين الذين حاولوا تقييد العدد لإضعاف صفة التواتر عن القرآن الكريم وإثبات نقصه بموت بعضهم .

ب - نزاهة كتبة الوحي :

استغل المستشرقون حادثة ردة عبد الله بن أبي السرح[2] ليشككوا في نزاهة كتبة القرآن الكريم حتى زعم بعضهم أنه زاد في القرآن بما يزيد عن خمس

(١) انظر فتح الباري ٩ / ٥٢ (بتصرف) .

(٢) هو عبد الله بن سعد بن أبي السرح أخو عثمان بن عفان - رضي الله عنه - من الرضاعة كانت =

حجم المنزل . كما زعم « كازانوفا » أن الأرض لفظت كاتبا آخر ليوحي أن عدم النزاهة لم تقتصر على واحد[1] .

الجواب :

إن عمل عبد الله بن أبي السرح لم يتكرر من أحد سواه ، ولم يثبت لنا التاريخ ، ولا كتب السير أن واحدا فعل صنيعه على عكس مزاعم المستشرقين . ورسول الله - ﷺ - لم يترك هذه القضية دون اهتمام بل لما كشف له إساءة عبد الله بن أبي السرح وحكم بكفره أوقفه عن كتابة الوحي وأهدر دمه لبشاعة فعله وسوء أدبه مع خالقه ، وظنه السيىء برسول الله - ﷺ - حتى فر من المدينة المنورة إلى مكة المكرمة[2]، ولم يشفع له إلا صدق توبته وحسن ندامته التي كانت بإلحاح من أخيه في الرضاعة عثمان بن عفان - رضى الله عنه - ورسول الله - ﷺ - لم يكن ليبقي أي تغيير حصل في كتاب الله سبحانه وإن أبقى شيئا فيكون لجواز إنزال القرآن بما سبقت به يد الكاتب كموافقات عمر لربه عز وجل . قال عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -: « وافقت الله في ثلاث ، أو وافقني ربي في ثلاث : قلت : يارسول الله لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلى ، وقلت : يارسول الله يدخل عليك البر والفاجر فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب فأنزل الله آية الحجاب ، قال : وبلغني معاتبة النبي - ﷺ - بعض نسائه فدخلت عليهن قلت : إن انتهيتن أو ليبدلن الله رسوله - ﷺ - خيرا منكن حتى أتيت إحدى نسائه قالت : ياعمر : أما في رسول الله - ﷺ - ما يعظ

= أمه أشعرية . استعمله عثمان رضي الله عنه على مصر ، وكان محموداً في ولايته شارك في كثير من معارك الإسلام منها : معركة ذات الصواري وقد سهل على يديه فتح أفريقية عنوة ، وغيرها من الثغور .

كان أبوه سعد من المنافقين الكفار . أسلم عبد الله ثم ارتد فأهدر رسول الله - ﷺ - دمه ، ولما فتح رسول الله - ﷺ - مكة رجع إليها آويا إلى بيت أخيه عثمان - رضي الله عنه - الذي طلب له الأمان من رسول الله - ﷺ - ، فقبل فيه شفاعة عثمان ، وحسن إسلامه ، مات سنة ٥٩ هـ انظر الإصابة ٢ / ٢٠٩ .

(١) انظر مقدمة القرآن - وهامشه - بلاشير ١٢ - ١٣ ، والقرآن والمستشرقون صـ ٨٥ - ٨٦ .

(٢) القرآن والمستشرقون صـ ٨٥ .

نساءه حتى تعظهن أنت »[1] .

ومع هذا لم يخرج ابن الخطاب عن دائرة الإيمان . بل اعتبر هذا مكرمة من الله سبحانه أن يوافقه في مراده فحمد الله سبحانه على ذلك .

والجدير بالذكر أن عبد الله بن أبي السرح لم يكن الكاتب الوحيد لرسول الله - ﷺ - بل لقد بلغوا الأربعين ونيفا من الكتاب[2]. كما أن الكتابة كانت عملية توثيقية خوف النسيان لا أكثر ، أما الاعتماد فبالدرجة الأولى كان على حفظ الصحابة - رضوان الله عليهم له بالتلقين من فم رسول الله - ﷺ - أو من بعضهم بعضا .

بل إن الحافظ الأول لهذا الكتاب العزيز هو الله سبحانه ﴿ **إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون** ﴾[3] .

وقد تكفل بهذا في صدر رسوله ﴿ **إن علينا جمعه وقرآنه** ﴾[4] ولدوام هذا الحفظ كما أنزل منه سبحانه جعل جبريل يدارسه القرآن في رمضان من كل عام مرة وفي العام الأخير عارضه إياه مرتين .

لذا كان رسول الله - ﷺ - دائم القراءة له في الصلوات والمناسبات ، ومواطن الدرس للصحابة رضوان الله عليهم . لذا فلا يعقل بعد كل هذا أن يبقى شيء من تغيير وتبديل في القرآن الكريم خاصة بعد ردة عبد الله بن أبي السرح ، فما كان موافقا لمراد الله أبقى وما خالف نسخت تلاوته وأحكم باقيه .

والمعروف عن الصحابة - رضوان الله عليهم - ، حرصهم الشديد أن لا

(١) انظر إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري ٧ / ١٤ كتاب التفسير .
(٢) كتاب الوحي صـ ٦٤ وما بعدها .
(٣) سورة الحجر : ٩ .
(٤) سورة القيامة : ١٧ .

يبدلوا ولا يغيروا شيئا من القرآن ، وكانوا يحرصون على تلقيه منه شخصيا ، وحادثة إنكار عمر بن الخطاب على هشام بن حكيم مشهورة عندما سمع ابن الخطاب هشاما يقرأ سورة على غير الوجه الذي سمعه من رسول الله - ﷺ - فأخذ بتلابيبه وذهب به إلى رسول الله - ﷺ - حتى سمع قراءتهما وصوبهما فإذا كان هذا الشأن بحرف فكيف بتغييرات ابن أبي السرح التي أدت لزيادة خمس القرآن - على حد زعم بعضهم - .

اللهم إن هذا إلا اختلاق وحسد من عند أنفسهم . مما يؤكد بطلان مزاعم المستشرقين ونزاهة كتبة الوحي ، وسلامتهم من أي شبهة تنسب إليهم كمزاعم « بلاشير » في مقدمته .

أما الرواية الثانية التي استدل بها « كازانوفا » للطعن في نزاهة الكتبة وهي أن الأرض لفظت كاتبا آخرا غير أمين من كتبة الوحي لتغييره في القرآن[٤] .

فهذه الرواية أوهى من سابقتها من حيث الاحتجاج ، لأنها رواية ضعيفة لم تثبت تاريخيا ، ولم تنسب لأحد معروف ، وذكرها في « كتاب المصاحف » لابن أبي داود ليس حجة لأن الكتاب فيه الصحيح والضعيف والموضوع ، وصاحبه كان كحاطب ليل همه جمع كل ما قيل في موضوعه ولم يميز فيه بين ما صح من الروايات وغيره .

وحتى ابن أبي داود الذي أثبت أن هناك من لفظت الأرض جثته لم يثبت أنه لعدم أمانته في كتابة الوحي بل قال : [أما الآخر الذي لفظته الأرض لوجه غير هذا][٢] .

لذا فلم يشر « كازانوفا » ولا « بلاشير » الذي نقل قوله لمرجع موثق ذكر هذه الرواية ولم أجدها إلا في كتاب المصاحف لابن أبي داود باللفظ المذكور سابقا ، والله تعالى أعلم .

---

(١) انظر مقدمة القرآن - بلاشير وهامشه صـ ١٢ - ١٣ ، والقرآن والمستشرقون صـ ٨٥ - ٨٦ .
(٢) المصاحف لابن أبي دواد صـ ٧ - ٨ .

الشبهة الثالثة :

صحيفة أخت عمر بن الخطاب .

زعم « بلاشير » أن صحيفة أخت عمر بن الخطاب التي كانت عند ختنه غير صحيحة ؛ وذلك ليثبت أن القرآن الكريم لم تبدأ كتابته إلا في المدينة المنورة سنة (٦٢٢ م) تأثرا باليهود . بناء على ما كان يرجحه « بلاشير »[(١)] .

الجواب :

هذه القضية من جملة أخطاء المستشرقين التاريخية التي تفضحها كتب التاريخ والسير ليحاولوا إثبات أن الكتابة لم تبدأ في مكة المكرمة وأن بدايتها كان في المدينة المنورة تأثرا باليهود الذين كان لهم كتاب فرغب رسول الله - ﷺ - أن يكون له كتاب مثلهم فشرع بها .

أما مسألة تأثر الرسول - ﷺ - باليهود فإن التاريخ يكذبه ، بل كان حريصاً كل الحرص أن يكون الإسلام فريدا في كل شيء غير مقلد أو محاكٍ لأي من الدينين في شيء فلما كثر ذلك منه - ﷺ - أثار هذا حفيظة اليهود فصرحوا بقولهم : [ما يريد محمد إلا خلافنا] .

كما أني قد ذكرت سابقا أن أمر الكتابة كان معروفا في مكة لكونها بلدا تجاريا ، وإن كان على نطاق ضيق . وقد ذكرت كذلك أن الكتابة بطريق رسمي بأمر من رسول الله - ﷺ - كانت ملازمته لحفظ الكتاب العزيز من أجل التوثيق ، كما أن الصحابة - رضوان الله عليهم - لحرصهم على حفظ ما ينزل كان كثير منهم ممن يجيد الكتابة ينسخ له نسخة خاصة يرجع إليها وقت حاجته ، ويكتب عليها بعض تعليقاته من حكم ، أو تفسير غريب أو غير ذلك . واشتهر

---

(١) انظر مقدمة القرآن - بلاشير صـ ١٥ .

من أصحاب المصاحف الخاصة عمر بن الخطاب ، وعلي بن أبي طالب ، وأبي ابن كعب ، وعبد الله بن مسعود ، وعبد الله بن عباس ، وعبد الله بن الزبير ، وعبد الله بن عمرو ، ومصاحف أزواج النبي - ﷺ - عائشة ، وحفصة ، وأم سلمة - رضوان الله عليهم أجمعين -[1] .

فهذه المصاحف تشهد أن كتابة القرآن كانت منتشرة منذ العهد النبوي وأن مازعمه « بلاشير » وغيره لم يكن صحيحا ، بل ينقصه التوثيق والتدقيق العلميان . أما بالنسبة لصحيفة أخت عمر التي شككوا في صحتها فقد أثبتها الإمام ابن سعد في طبقاته خلال سرده لقصة إسلام عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قال ابن سعد : [أخبرنا إسحاق بن يوسف الأزرق قال : أخبرنا القاسم بن عثمان البصري عن أنس بن مالك قال : خرج عمر متقلدا السيف ، فلقيه رجل من بني زهرة ، قال : أين تعمد ياعمر ؟ فقال : أريد أن أقتل محمدا ، قال : وكيف تأمن في بني هاشم وبني زهرة وقد قتلت محمدا ؟ قال : فقال عمر : ما أراك إلا قد صبوت وتركت دينك الذي أنت عليه ، قال : أفلا أدلك على العجب ياعمر ؟ إن ختنك وأختك قد صبوا وتركا دينك الذي أنت عليه . قال : فمشى عمر ذامرا حتى أتاهما وعندهما رجل يقال له : خباب . قال : فلما سمع خباب حس عمر توارى في البيت ، فدخل عليهما . فقال : ما هذه الهينمة التي سمعتها عندكم ؟ قال : وكانوا يقرءون « طه » فقالا : ماعدا حديثا تحدثناه بيننا . قال : فلعلكما قد صبوتما ؟ قال : فقال له ختنه : أرأيت ياعمر إن كان الحق في غير دينك ؟ قال : فوثب عمر على ختنه فوطئه وطأً شديداً ، فجاءت أخته فدفعته عن زوجها ، فنفحها بيده نفحة فدمى وجهها فقالت وهي غضبى ياعمر : إن كان الحق في غير دينك أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله . فلما يئس عمر قال : أعطوني هذا الكتاب الذي عندكم فأقرأه . قال : وكان عمر يقرأ الكتب . فقالت أخته : إنك رجس ولا يمسه إلا المطهرون ، فقم فاغتسل أو توضأ . قال : فقام عمر فتوضأ ثم أخذ الكتاب فقرأ « طه » حتى

(١) انظر كتاب المصاحف لابن أبي داود صـ ٦٠ وما بعدها .

انتهى إلى قوله ﴿ إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري ﴾(١) قال : فقال عمر : دلوني على محمد .. فجاءه في الدار الذي في أصل الصفا فأسلم](٢) .

هذه القصة تثبت وجود شيء مكتوب من القرآن الكريم في مكة المكرمة وهي مبطلة زعم « بلاشير » أن الكتابة لم تبدأ إلا في المدينة المنورة سنة (٦٢٢ م) .

أما بالنسبة للكتابة في مكة للقرآن الكريم كانت على نوعين :

الأول : الكتابة الرسمية وهي التي كانت بأمر من الرسول - ﷺ - لكتبة الوحي .

الثاني : الكتابة الفردية وهي كتابة بعض الصحابة لصحف خاصة بهم لحاجتهم الشخصية لها .

والنوع الأول فقط الذي يعتمد عليه ويوثق به . أما النوع الثاني فالثقة به أقل لأن كتابتهم لم تقتصر على القرآن وحده بل دخله غير القرآن من تفسير ، أو أحكام أو تفسير غريب أو غير ذلك من تعليق خاص بالصحابي صاحب المصحف أو صاحب النسخة .

والنوع الأول يبطل زعم « واط » أن الكتابة كانت فردية فقط(٣) فبهذا التوضيح نرد مزاعم المستشرقين وعلى رأسهم « بلاشير » و « واط » .

خلاصة الجمع في المرحلة الأولى :

نزل القرآن الكريم على النبي - ﷺ - نجوما في ثلاث وعشرين سنة ، وكان كلما نزل منه شيء تلاه على صحابته ودعا أحد كتبته فيمليه عليه ، فيكتبه

---

(١) سورة طه آية : ١٤ .

(٢) طبقات ابن سعد ٣ / ٢٦٧ - ٢٦٩ (بتصرف) .

(٣) مقدمة القرآن - واط صـ ١٥ .

فيما تيسر من وسائل الكتابة في عصرهم كالرقاع ، واللخاف ، والعسب ، والأقتاب ، وغير ذلك . ولم يمت رسول الله - ﷺ - إلا والقرآن محفوظ في الصدور والسطور .

وكان الباعث على كتابته حرص الصحابة - رضوان الله عليهم - على تبليغ الوحي على الوجه الأكمل ، وحرصا على عدم ضياع شيء منه ، أو نسيان بعضه - عكس ما زعم « بلاشير » أن الجمع كان لكثرة الموانع المادية[1] ثم تسجيله لأن الكتابة أبقى ولا يتطرق إليها ما يتطرق للمحفوظ من نسيان فيكون بهذا قد اجتمع للحفظ عاملان : الحفظ والكتابة .

مميزات جمع القرآن الكريم على عهده - ﷺ - :

١ - إنه لم يكن مجموعا في مصحف واحد ، بل كان مفرقا في الرقاع واللخاف ، والعسب ، والأكتاف ، وغيرها .

٢ - إنه لم يكن مرتب السور والآيات كتابة ، لأنه كتب أولا بأول على حسب نزوله .

٣ - إنه كان مكتوبا بما يحتمل القراءة بالأحرف السبعة التي نزل عليها .

٤ - كتب بعض الصحابة مصاحف خاصة بهم وكانت تتضمن منسوخ التلاوة من الآيات ، لعدم بلوغه الناسخ .

أما عدم جمع القرآن مرتبا كتابة في مصحف واحد فكان لتوقع نزول المزيد من الآيات على الرسول - ﷺ - ولعدم اكتمال الوحي فلو أنه رتب وبدل مرة تلو المرة كلما نزل لأدى لتبديل وتغيير كثير في القرآن الكريم[2] .

---

(١) مقدمة القرآن - بلاشير صـ ١٥ .

(٢) انظر الوحي والقرآن الكريم - للذهبي طبعة مكتبة وهبة - مصر لسنة ١٤٠٦ / ١٩٨٦ م . صـ ١٢٩ - ١٣٠ .

المسألة الثانية :

المرحلة الثانية من الجمع القرآني وشبههم حولها :

جمع القرآن الكريم في عهد خليفة رسول الله - ﷺ - أبي بكر الصديق - رضي الله عنه -:

أثار المستشرقون مجموعة من الشبهات على الجمع في عهد أبي بكر الصديق - رضي الله عنه -.

الشبهة الأولى :

ذكر « بلاشير » عدة أقوال في أول جامع للقرآن . زعم « بلاشير » : أن الجمع بدأ في عهد أبي بكر ، وتم في عهد عمر ، وقال : بل هو أول جامع للقرآن عمر نفسه . وقول آخر الجامع هو سالم . وقول آخر : إن أول من جمع هو علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - وزعم « كازانوفا » أن الجمع تم في عهد الحجاج[1] .

الجواب :

لما تولى الخلافة أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - بعد وفاة رسول الله - ﷺ - كان أول عمل قام به محاربة المرتدين . فلما وقعت « موقعة اليمامة » سنة اثنتي عشرة للهجرة استحر القتل في الصحابة ومات من حفاظ القرآن الكريم خلق كثير قيل : خمسمائة ، وقيل : سبعمائة . فخشي الفاروق عمر - رضي الله عنه - أن يكثر القتل في القراء في بقية المواطن . وربما يضيع شيء من القرآن بموتهم ، لذا أشار عمر الفاروق على أبي بكر - رضي الله عنهما - أن يجمع القرآن في مكان واحد فلما رأيا المصلحة وقواعد الدين تدعو لذلك ، أوكلا أمر جمعه لزيد بن ثابت - رضي الله عنه - .

---

(١) مقدمة القرآن - بلاشير صـ ٣٣ - ٣٤ ، ٦٨ والقرآن والمستشرقون صـ ١١٩ - ١٢٠ .

روى البخاري في صحيحه بسنده إلى زيد بن ثابت – رضي الله عنه – وكان ممن يكتب الوحي قال : أرسل إليَّ أبو بكر مقتل أهل اليمامة وعنده عمر . فقال أبو بكر : أن عمر أتاني فقال : أن القتل قد استحر يوم اليمامة بالناس وإني أخشى أن يستحر القتل بالقراء في المواطن فيذهب كثير من القرآن إلا أن تجمعوه ، وإني لأرى أن يجمع القرآن . قال أبو بكر : قلت لعمر : كيف أفعل شيئا لم يفعله رسول الله – ﷺ – فقال عمر : هو والله خير فلم يزل عمر يراجعني فيه حتى شرح الله لذلك صدري ، ورأيت الذي رأى عمر . قال زيد بن ثابت : وعمر عنده جالس لا يتكلم . فقال أبو بكر : إنك رجل شاب عاقل ولا نتهمك ، كنت تكتب الوحي لرسول الله – ﷺ – فتتبع القرآن فاجمعه . فوالله لو كلفني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل علي مما أمرني به من جمع القرآن . قلت : كيف تفعلان شيئا لم يفعله النبي – ﷺ – فقال أبو بكر : هو والله خير فلم أزل أراجعه حتى شرح الله صدري للذي شرح الله له صدر أبي بكر وعمر فقمت فتتبعت القرآن أجمعه من الرقاع والأكتاف والعسب وصدور الرجال حتى وجدت من التوبة آيتين مع أبي خزيمة الأنصاري لم أجدهما مع أحد غيره ﴿ **لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم** .. ﴾[1] إلى آخر السورة وكانت الصحف التي جمع فيها القرآن عند أبي بكر حتى توفاه الله ، ثم عند عمر حتى توفاه الله ، ثم عند حفصة بنت عمر[2] .

فالناظر في رواية البخاري يجد أن الذي أشار بالجمع هو عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – والمنفذ الفعلي لهذا الجمع هو أبو بكر – رضي الله عنه – والدافع الفعلي لذلك خوفا من ضياع شيء من القرآن لموت كثير من القراء في المعارك ، والواضح من ظاهر الروايات أن الجمع ابتدأ وتم في عهد أبي بكر – رضي الله عنه – والمقصود من الجمع المنسوب لعمر – رضي الله عنه إشارته بذلك ، قال « بيرتون » : [إن الجمع إذا استخدم بالنسبة لعمر فهو يعني أشار بجمعه أو نصح

---

(١) سورة براءة : ١٢٨ .

(٢) انظر صحيح البخاري ٥ / ٢١٠ كتاب تفسير القرآن – تفسير سورة التوبة ٩ .

بذلك] .

وهذا يدل قول « شيفالي » الذي أنكر هذا المعنى حيث قال : [إن جمع : أشار بجمعه معنى اعتباطيا][1] وهذا يدل على جهل « شيفالي » بالعربية ، لأن من أساليب العربية عندما نقول كتب الملك إلى فلان معناه : أشار بالكتابة إليه ولا يشترط القيام بذلك .

والذي يؤيد أن الجامع أبو بكر وأنه تم في عهده قول علي – رضي الله عنه – : « أعظم الناس أجرا في المصاحف أبو بكر – رحمه الله تعالى –، وهو أول من جمع بين اللوحين »[2] .

أما عمر – رضي الله عنه – فكان أحد المكلفين بواجب الجمع بأمر من الخليفة أبي بكر – رضي الله عنه – .

روي أن أبا بكر قال لعمر وزيد : اقعدا على باب المسجد فمن جاءكما بشاهدين على شيء من كتاب الله فاكتباه[3] .

وقد جاء في تفسير الشاهدين أقوال :

١ – الحفظ والكتابة أو المراد أنهما يشهدان على أن ذلك المكتوب كتب بين يدي النبي – ﷺ – .

٢ – أو المراد أنهما يشهدان على أن تلك الوجوه هي مما نزل بها القرآن . والمعروف أن عمر وزيدا كانا يحفظان القرآن ، ويجيدان القراءة والكتابة .

أما زعمهم أن سالما هو أول من جمع ، وأول من سماه مصحفا . فهذا لا يصح لأن كونه أول من جمع يخالف ما جاء في صحيح البخاري حسب الرواية سابقة الذكر .

---

(١) جمع القرآن – بيرتون صـ ١٢٣ .

(٢) المصاحف لابن أبي داود صـ ١١ .

(٣) انظر صحيح البخاري بشرح فتح الباري ٩ / ١٤ كتاب فضائل القرآن .

وأما كونه أول من سماه مصحفا ، فهذا كذلك ليس صريحا في حقه ، وإن كان لا يمنع فقد روى « ابن أشته » في كتابه (المصاحف) عن طريقه تسميته مصحفا .

قال « ابن أشته » : عن ابن شهاب قال : « لما جمعوا القرآن فكتبوه على الورق ، قال أبو بكر : التمسوا له اسما . فقال بعضهم : « السفر » قال ذلك تسمية اليهود . فكرهوا ذلك . وقال بعضهم : فإن الحبشة يسمون مثله « المصحف » فاجتمع رأيهم على أن سموه « المصحف »[1] .

فمن هنا يظهر أن التسمية كانت بعد تمام الجمع وباتفاق الجميع .

أما زعمهم أن الجامع هو الحجاج بن يوسف الثقفي والي العراق في عهد الخليفة الأموي . فهو مما يرده التاريخ والروايات الصحيحة لأن الجمع تم كما ذكرت في عهد أبي بكر بإشارة من عمر وبعمل من زيد بن ثابت وبمساعدة عمر وبعض الصحابة معه - رضوان الله عليهم - .

أما عمل الحجاج فكان مجرد رد بعض الأحرف إلى مكانها عندما دخلها اللحن . وقد ذكر ابن أبي داود الأحرف التي أعادها الحجاج لما كانت عليه في كتابه « المصاحف »[2] وقد سبق ذكرها .

وقام بإدخال تحسينات على المصحف لتلاشي الخطأ في كتاب الله سبحانه كالإعجام . فألف لذلك لجنة وأمر بعض العلماء بتولي هذا الأمر العظيم وكان ذلك بأمر من أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان الذي كان الحجاج أحد ولاته وبقي هذا الحال للمصحف ليومنا هذا .

أما زعم « بلاشير » أن أول من جمع القرآن علي بن أبي طالب . استند « بلاشير » في قوله هذا على رواية ابن أبي داود في كتابه المصاحف حيث روى

---

(١) انظر صحيح البخاري بشرح فتح الباري ٩ / ١٤ كتاب فضائل القرآن .
(٢) انظر مباحث في علوم القرآن للشيخ مناع القطان صـ ٧٨ .

بسنده لمحمد بن سيرين قوله : « لما توفي النبي - ﷺ - أقسم على أن لايرتدي برداء إلا لجمعة حتى يجمع القرآن في مصحف . ففعل . فأرسل إليه أبو بكر بعد أيام . أكرهت إمارتي يا أبا الحسن ؟ قال : لا ، والله . إلا أني أقسمت أن لا أرتدي برداء إلا لجمعة .. فبايعه ثم رجع »[(١)] .

والشاهد في الرواية « أنه أقسم أن لايرتدي برداء إلا لجمعة حتى يجمع القرآن في مصحف ففعل » .

وهذا الحديث ضعيف لا يعتمد عليه لأن فيه أشعث ، وهو لين الحديث كما ذكر ذلك ابن أبي داود نفسه[(٢)] .

وقد ضعف الحديث كذلك ابن حجر لانقطاع في سنده كما في فتح الباري[(٣)] .

أما الجمع الذي جاء في الحديث لو صح لحمل على حفظ الصدور لا على كتابته في صحف .

أما ما جاء في رواية أخرى « حتى جمعته بين اللوحين »[(٤)] فتناقض رواية « علي » وهي قوله : « رحم الله أبا بكر ، هو أول من جمع القرآن بين لوحين » وفي رواية « .. أول من جمع كتاب الله »[(٥)] .

فخلاصة هذا القول : أن الجمع المقصود به هو حفظ الصدر لاكتبه له .

---

(١) انظر المصاحف لابن أبي داود صـ ٥٩ .
(٢) المصاحف لابن أبي داود صـ ١٦ .
(٣) فتح الباري ٩ / ١٣ .
(٤) المرجع السابق ٩ / ١٣ .
(٥) فتح الباري ٩ / ١٣ .

الشبهة الثانية :

دافع أبي بكر للجمع :

زعم بعض المستشرقين أن الدافع لأبي بكر – رضي الله عنه – في جمع القرآن كان لغرض خاص به وهو أن لا يكون أقل من بعض الصحابة الذين كانوا يملكون مصحفا خاصا بهم ولم يكن هو يملك ذلك(١) .

الجواب :

لقد بينت سابقا أن الجمع لم يكن ابتداءا من أبي بكر – رضي الله عنه – بل كان بإشارة من عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – وقد ذكرت رواية البخاري أن أبا بكر تمنع في باديء الأمر خوفا من أن يفعل شيئا لم يفعله رسول الله – ﷺ – لذا قال لعمر : (.. كيف تفعل شيئا لم يفعله الرسول – ﷺ ..) قال ابن بطال مبينا سبب تمنع أبي بكر – رضي الله عنه – وتمنع زيد بادىء الأمر : لأنهما لم يجدا رسول الله – ﷺ – فعله فكرها أن يحلا أنفسهما محل من يزيد احتياطه للدين على احتياط الرسول – ﷺ – وزال هذا التحرج عندما أقنعهما عمر – رضي الله عنه – بفائدة ذلك : وهو خشية أن يتغير الحال في المستقبل إذا لم يجمعا القرآن فيصير إلى الخفاء بعد الشهرة(٢) .

فالدافع إذا خوفه من ضياع شيء من القرآن الكريم بموت حفظته في معارك الإسلام أو تلف شيء من القطع التي كتب عليها القرآن مع مر السنين . لا كما زعم بعض المستشرقين وعلى رأسهم « واط » و « بلاشير » أن الدافع كان مباهاة من أبي بكر ليتساوى مع من عنده نسخة خاصة به من هذا المصحف .

---

(١) مقدمة القرآن – واط صـ ٤١ ، ومقدمة القرآن – بلاشير صـ ٤١ .
(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري ٩ / ١٣ .

الشبهة الثالثة :

وضع الصحف عند حفصة عمل غير رسمي :

حاول بعض المستشرقين التشكيك في الصحف التي كانت في حيازة أم المؤمنين حفصة بنت عمر بن الخطاب - رضي الله عنهما - بحجة أن هذه الصحف لم تكن في الحيازة الرسمية ولا أماكن الحفظ الخاصة بالدولة(١) .

الجواب :

بعد جمع القرآن الكريم في الصحف ، وضعت هذه الصحف عند أبي بكر الصديق ، ثم عند عمر بن الخطاب - رضي الله عنهما - ولما توفي عمر - رضي الله عنه - وضعت الصحف عند ابنته حفصة أم المؤمنين - رضي الله عنها - كما بينت ذلك رواية البخاري في صحيحه والآنفة الذكر واستصحب الحال على ما كان عليه عندما تولى الخلافة .

فليس هناك مهمة أو عمل رسمي أوكل إلى حفصة - رضي الله عنها - كل ما في الأمر أنها أمانة مباركة وتراث مقدس كان يشرف عليه أولئك الذين يحفظونه في بيوتهم ، وهذه جزئية ليست جوهرية ، ولكن كان لابد من التنبيه عليها(٢) .

وحفصة من أجدر الناس لهذه المهمة العظيمة كيف لا ؟! وهي زوج رسول الله - ﷺ - وأم المؤمنين - رضي الله عنها - والحافظة لكتاب الله تعالى ، وهي من أوصى عمر أن تكون الصحف عندها ، وهي متمكنة بالقراءة والكتابة . ففيها - رضي الله عنها - كل المقومات التي يصان عندها تراث مقدس كهذه الصحف خاصة إذا أضفنا لذلك حرصها الشديد عليها حتى أنها لم تعطها

---

(١) انظر مقدمة القرآن - واط صـ ٤٢ - ٤٣ ، وانظر قضايا قرآنية صـ ١٧١ ، دائرة المعارف الإسلامية ١١ / ١١٣٠ .

(٢) قضايا قرآنية صـ١٧١ .

للخليفة الثالث عثمان بن عفان – رضي الله عنهما – عندما أراد اعتمادها كأصل لكتابة مصحفه العثماني إلا بعد اشتراطها عليه أن يرجعها لها بعد نسخه للصحف وبقيت عندها – رضي الله عنها – إلى أن توفيت . ثم طلبها مروان بن الحكم من عبد الله بن عمر – رضي الله عنه – فسلمها له فغسلها وأحرقها ، خوفا أن تسبب شكا في نفوس بعض المسلمين إن شيئا منها لم يكتب[١] .

وقد حاول « بلاشير » أن يثير زوبعة من الشكوك حول هذه الصحف وأنها لا تصلح أن تكون أساساً لجمع عثمان على اعتبار أنه لا فرق بينها وبين أي صحف خاصة بالصحابة – رضوان الله عليهم[٢] .

هذا الكلام يخلو من الدقة العلمية ، والوثائق التوثيقية . لأن هذه الصحف التي هي مصحف أبي بكر تعتبر مصحفا رسميا ؛ لأنها تضافرت عليها الجهود وتوفرت لها العوامل لتكون في أعلى مراتب التوثيق والدقة مما لا يتطرق إليها الشك ولا الارتياب . حيث اعتمدوا على الأمور التالية عند تدوين هذه الصحف :

١ – حفظ اللجنة المكلفة للجمع لكتاب الله سبحانه وتعالى – وعلى رأسها زيد بن ثابت ، وعمر بن الخطاب – رضي الله عنهما –.

٢ – سلامة الأدوات التي كتب عليها النص كاللخاف ، والعسب ، والرقاع ، والعظام ، وغيرها من الأدوات المستعملة في ذلك العصر للكتابة .

٣ – حفظ الصحابي لما عنده من قرآن في صدره .

٤ – كتابة نفس القطعة المكتوبة بين يدي رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وبأمره من قبل كتبة الوحي .

٥ – شهادة شاهدين على أن المكتوب كتب بين يدي رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وهذا على قول أن الشاهدين رجلان .

هذه الأمور التوثيقية التي نالتها هذه الصحف لم تنلها أي صحف خاصة

---

(١) انظر فتح الباري ٩/١٦ ، ومباحث في علوم القرآن – صبحي الصالح صـ ٧٧ .

(٢) نفس المرجع ٩/٢٠ كتاب فضائل القرآن ، وكتاب المصاحف صـ ٣٣ .

بأي صحابي . لذا كانت تستحق أن تكون أصلا للمصحف العثماني .

الشبهة الرابعة :

الآيتان اللتان في آخر سورة براءة :

طعن المستشرقون في تواتر القرآن الكريم لذكر أبي خزيمة الوحيد لآيتي سورة التوبة(١) .

الجـواب :

جاء ذكر هاتين الآيتين في رواية زيد بن ثابت في صحيح البخاري حيث قال : (.... فتتبعت القرآن أجمعه .... فوجدت آخر سورة «براءة» مع خزيمة بن ثابت ﴿ **لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم ..** ﴾(٢) الآيتان(٣) .

وزاد في رواية (لم أجدها مع أحد غيره) قال ابن حجر « أي مكتوبة كما ذكرت أن أصل كان توافق الكتابة للمحفوظ ولا يكتفي بأحدهما دون الآخر. وهذا ما فسره ابن حجر « للشاهدين » في قول أبي بكر لعمر وزيد (فمن جاءكما بشاهدين على شيء من كتاب الله فاكتباه) حيث فسر الشاهدين : بالحفظ والكتابة . وعدم وجودها مكتوبة عنده لا ينفي تواترها شفاها وحفظا في الصدور عند كثير من الصحابة ، لأنه جاء عن زيد بن ثابت : (كنت أسمع قراءة رسول الله – ﷺ – لها كثيرا) فتلاوة رسول الله – ﷺ – يقتضي حفظ جمع من الصحابة لها . فهذا يؤكد تفسير ابن حجر أن عدم وجودها عند أحد غيره أي مكتوبة .

---

(١) مقدمة بلاشير صـ ٥٧–٥٨، ومقدمة القرآن واط صـ ٤١–٤٢ .

(٢) سورة براءة ١٢٨ ، ١٢٩ .

(٣) انظر فتح الباري ٩ / ١٥ كتاب فضائل القرآن ، وكتاب المصاحف صـ ١٣ – ١٤ .

والذي يؤكد أن هاتين الآيتين كانتا محفوظتين عند كثير من الصحابة أن عهدة التبليغ التي هي مطلوبة من الرسول - ﷺ - تقتضي أن يكون التبليغ عاما ، وليس خاصا بصحابي واحد كأبي خزيمة لأن الواحد يجوز عليه النسيان والغفلة والإهمال في التبليغ .

وهذا ممتنع في حق الجمهرة من الناس . ولا يمكن الخروج من عهدة التبليغ إلا بتحقيق الغاية والمراد منه .

وكتابتهما دليل على وجودهما عند جمهرة من الصحابي(١) .

الخلاصة :

مما تقدم يتضح لنا أن الجمع الذي تم على يد زيد بن ثابت في خلافة أبي بكر - رضي الله عنه - إنما هو جمع ماكت ، وكان مفرقا في حياة النبي - ﷺ - على الألواح ، والأقتاب ، والعسب وغيرهم ، فنسخه في مصحف واحد ، وهو أشبه ما يكون بكتاب مفرق الأوراق في بيت فجمعت الأوراق بعضها إلى بعض وربطت بخيط .

مميزات هذا الجمع :

١ - أنه اقتصر على مةاثبتت قرآنيته تواترا ، ولم تنسخ تلاوته .
٢ - أنه جمع بين دفتي مصحف واحد .
٣ - أنه جمع رتبت فيه الآيات والسور على ما كانت عليه التلاوة في عهده - ﷺ - .
٤ - أنه كان مكتوبا بشكل يحتمل القراءة بالأحرف السبعة التي نزل بها القرآن(٢) .

---

(١) انظر فتح الباري ١٩ - ١٤ - ١٦ كتاب فضائل القرآن (بتصرف) ومباحث في علوم القرآن - صبحي الصالح صـ ٧٦ .

(٢) انظر الوحي والقرآن الكريم - الذهبي صـ ١٣٢ ، والمدخل لدراسة القرآن الكريم لأبي شهبة صـ ٢٧٣ .

المسألة الثالثة :

المرحلة الثالثة من الجمع :

الجمع في عهد عثمان – رضي الله عنه – ورد الشبهات التي أثيرت عليه .

الشبهة الأولى :

زعم « بلاشير » أن دافع عثمان لجمع القرآن الكريم كان دافعا ارستقراطياً ، ولمصلحة الطبقة المكية الارستقراطية التي كان يمثلها[1] .

الجواب :

هذه الشبهة المزعومة من جملة أباطيلهم وتهمهم التي لا تقوم على دليل علمي . لأن الروايات الصحيحة أكدت سلامة نوايا عثمان في جمعه ، فقد روى البخاري في صحيحه بسنده إلى أنس بن مالك : « أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان ، وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق ، فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة فقال حذيفة لعثمان : يا أمير المؤمنين ، أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى ، فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك . فأرسلت بها حفصة إلى عثمان ، فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص ، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها من المصاحف . وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة : إذا اختلفتم في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنما نزل بلسانهم ، ففعلوا . حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف رد عثمان الصحف إلى حفصة ، فأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا ، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق »[2] رضي الله عنهم أجمعين .

---

(١) مقدمة القرآن – بلاشير صـ ٥٧ – ٥٨ .
(٢) انظر فتح الباري شرح صحيح البخاري ٩ / ١١ كتاب فضائل القرآن .

فالدافع لعثمان إذن لم يكن حاجة شخصية في نفسه ولم يكن لنزعته الارستقراطية كما زعم « بلاشير » وإنما كان بسبب اختلاف الصحابة -رضوان الله عليهم - في قراءة القرآن حسب تعليم معلميهم حسب الحرف الذي تلقوه من رسول الله - ﷺ - حتى بلغ بعضهم أن يفضل قراءته على قراءة غيره ، وأن يكفر من لا يقرأ بقراءته[1] .

أما وصف المجتمع الإسلامي بأنه فيه طبقات منها الطبقة الارستقراطية التي كان يمثلها عثمان - رضي الله عنه - على حد تعبير بلاشير المزعوم فهذا غير صحيح ؛ لأنه فهم ينطبق على المجتمع الغربي لا على المجتمع الإسلامي لأن المجتمع الإسلامي لا يعرف الطبقية فالناس فيه سواء لا فرق فيه بين الحاكم والمحكوم ، ولا بين عربي ولا عجمي إلا بالتقوى . فالناس فيه سواسية كأسنان المشط .

الشبهة الثانية :

لجان الجمع القرآني :

١ - القضية الأولى : نزاهة أفراد اللجنة المكلفة بالجمع :

شكك « بلاشير » في اللجان التي أنيط بها مهمة جمع القرآن الكريم وأن تكليفها كان لاعتبارات خاصة لا لكفاءة اللجنة ، كما زعم أن بعض اللجان كانت خيالية ، كما زعم أن بعض اللجان الفرعية بلغت اثني عشر رجلا[2] .

الجواب :

إن الاعتبارات الخاصة التي نسبها « بلاشير » للجنة الرئيسية التي كونها عثمان وهي من القرشيين الثلاثة الذين اتهمهم « بلاشير » بأنهم طبقة ارستقراطية : عبد الله بن الزبير ، وسعيد بن العاص ، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، والمتزلف المتملق زيد بن ثابت - على حد تعبيره -[3] .

---

(١) نفس المرجع ٩ / ١٨ كتاب فضائل القرآن .
(٢) مقدمة القرآن - بلاشير صـ ٥٦ - ٥٨ .
(٣) نفس المرجع والصفحة .

فما زال « بلاشير » يزعم أن المجتمع المسلم مجتمع ارستقراطي قياسا على المفهوم الغربي مع أنه مجتمع فريد ، لا يفرق فيه بين غني وفقير ، ولا بين حاكم ومحكوم ، وتعاليم الإسلام مازالت فيه غضة طرية جعلت الناس فيه طبقة واحدة ، طبقة لا يخضعون إلا لله الواحد في كل عباداتهم ، وأحكامهم ، ومعاملاتهم ، فهم في صلاتهم على بساط واحد يصومون في وقت واحد ، ويحجون في وقت واحد ، وأماكن واحدة ، وعلى هيئة واحدة ، فمن هنا يظهر سوء فهم المستشرقين للمجتمع المسلم وروحه .

أما الدافع لعثمان لتكليف هؤلاء بهذا العمل العظيم فلم يكن لما ذكره « بلاشير » من الاعتبارات ، وإنما لدافع كفاءة أفرادها دون مكانتهم الاجتماعية أو صلاتهم الخاصة .

والذي يؤكد ذلك أن ناقدي عثمان الكثر في عهده لم ينتقدوه بمثل هذه الأقوال المكذوبة بأن استعمال لجنة جمع القرآن كان لدافع نفعي ، أو غرض شخصي ، أو مصاهرة مختلقة . فهؤلاء الصحابة كانوا يتمتعون بصفات تؤهلهم لهذا العمل الجليل ، فهم من صحابة رسول الله - ﷺ - ممن رضي الله عنهم ورضوا عنه ، ومن ثقات الصحابة وأفاضلهم ، وممن شهد لهم بالإيمان والخيرية والورع والإخلاص والأمانة التامة والنزاهة المطلقة .

فسعيد بن العاص - الذي زعم بلاشير أن مشاركته كانت مشاركة فخرية فقط لا فعلية ، لأنه كان آنذاك أميرا على الكوفة سنة ثلاثين من الهجرة (٣٠ هـ)[1] مع أن الصواب أن سعيدا لم يكن بعد قد عين أميرا على الكوفة ، بل كان أحد أعضاء اللجنة الرباعية الرئيسيين وسعيد هذا فقد كان أفصح الناس ، وأشبههم لهجة برسول الله - ﷺ - وقد أدرك تسع سنين من حياة رسول الله - ﷺ - ولم يعلم عنه إلا كل خير . وقد استعمله عثمان - رضي الله عنه - على الكوفة واستعمله من بعده معاوية على المدينة . وما عرف عنه إلا الخير

(١) مقدمة القرآن - بلاشير صـ ٥٦ - ٥٨ .

والاستقامة . وكان من أجواد قريش وحلمائها ، حتى قال فيه معاوية : لكل قوم كريم ، وكريمنا سعيد . كانت وفاته بالمدينة سنة سبع أو ثمان أو تسع وخمسين للهجرة .

أما زيد بن ثابت - رضي الله عنه - فاختياره كان لأنه أكتب الناس وصاحب خبرة في الأمر ، حيث كان كاتبا لرسول الله - ﷺ - لذا كان توجيه عثمان - رضي الله عنه - « فليمل سعيد ، وليكتب زيد »[1] وكان جامعا للصحف لأبي بكر - رضي الله عنه - الذي زكاه بقوله له : « إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك ، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله - ﷺ - فتتبع القرآن فاجمعه »[2] فحدد أبو بكر - رضي الله عنه - الصفات التي امتاز بها « زيد » على غيره ومن أجلها اختاره للقيام بمهمة جمع القرآن الكريم .

١ - كونه شابا قويا ليكون أنشط لما يطلب منه .

٢ - كونه عاقلا فطنا ليكون أوعى له ، والعقل جماع الفضائل لأنه يحفظ العمل من النقص أو الخلل .

٣ - وكونه أمينا ، تقيا ، لتركن النفس إليه وتطمئن لعمله ، وتثق به .

٤ - وكونه كان يكتب الوحي لرسول الله - ﷺ - ليكون صاحب خبرة في الأمر مما يدعوه للإتقان[3] .

والذي يرد زعم « بلاشير » أنه كان [متكلفا ، متملقا] أن زيدا لم يطلب هذا الأمر بنفسه ، ولم يسع إليه ، بل كان تكليفا له من خليفة رسول الله - ﷺ - عندما قال له : (فتتبع القرآن فاجمعه) وقد أظهر ثقل هذه المسؤولية على نفسه مما دعاه للتمنع والتردد يقصد [أي أبا بكر] فقد قال زيد - رضي الله

---

(١) انظر فتح الباري ٩ / ١٩ كتاب فضائل القرآن .

(٢) نفس المرجع ٩ / ١٠ كتاب فضائل القرآن .

(٣) نفس المرجع ٩ / ١٣ كتاب فضائل القرآن .

عنه - : (فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل علي مما أمرني به من جمع القرآن . قلت : كيف تفعلون شيئا لم يفعله رسول الله - ﷺ - ؟ قال : هو والله خير ؟ فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر - رضي الله عنهم)[1] .

فأين هذا التملق والتكلف المزعوم من قبل هؤلاء المستشرقين ؟؟ .

أما عبد الله بن الزبير فهو الصحابي الجليل ، أول مولود ولد في الإسلام بالمدينة من قريش ، وقد حضر وقعة اليرموك ، وشهد خطبة عمر بالجابية ، وبويع له بالخلافة عقيب موت يزيد بن معاوية سنة (٦٤ هـ) وقيل سنة خمس وكانت ولايته تسع سنين ، وقد سمع - رضي الله عنه - من النبي - ﷺ - وحفظ عنه ، وهو الذي حمى البيت الحرام من فعل الحجاج واعتداءاته عليه ، قتل على يد الحجاج صابرا محتسبا مقبلا غير مدبر بعد أن خذله عامة أصحابه - رحمة الله تعالى عليه - ومناقبه كثيرة تحتاج لسفْر خاص به[2] فرجل هذه صفاته ألا يكون فوق شبهات هؤلاء المستشرقين .

أما عبد الرحمن بن الحارث بن هشام بن مخزوم اختلف في صحبته : فقد عده الحاكم من الصحابة ، والبقية رجحوا ولادته في زمن النبي - ﷺ - وعدم سماعه منه ، فيكون من التابعين ، وممن عده ابن حبان الذي قال عنه هو : من ثقات التابعين ، وأثنى عليه ابن سعد : « كان عبد الرحمن من أشراف قريش »[3] .

هذه هي صفات هؤلاء الأربعة - رضوان الله عليهم - الذين زعم « بلاشير » أن اختيارهم لعملية الجمع إما بسبب أنهم من طبقة ارستقراطية أو لأن بعضهم كان متملقا « كزيد » - رضي الله عنه - ولكن الصواب أن الاختيار

---

(١) فتح الباري ٩ / ١٠ - ١١ فضائل القرآن .
(٢) تهذيب التهذيب ٥ / ٢١٤ .
(٣) تهذيب التهذيب ٦ / ١٥٦ - ١٥٨ .

كان لمحض كفاءاتهم لاعتبارات العمل ، لا لاعتبارات خاصة كما زعم هؤلاء المستشرقون .

ب - القضية الثانية :

ما ذكره « بلاشير » من تعداد اللجان وعدد أفرادها مما يدعو لعدم الدقة في الأمر ، والاضطراب الذي يدعو لعدم الثقة فيها ، على حد تعبير بعض المستشرقين[(١)] .

الجواب :

هذه الروايات ليس بينها تعارض لأنه يمكن التوفيق بينها ، فيمكن أن تكون قد عينت ثنائية زيد بن ثابت كاتبا ، وسعيد بن العاص ممليا حسب رواية مصعب[(٢)] .

ثم لما وجدوا أن العمل كثير ، ويحتاج لزمن طويل ، ضموا لهم من يعينهم ويساعدهم . فضم إليهما عبد الله بن الزبير ، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام . وهنا أصبحت رباعية وهي التي ذكرها البخاري في صحيحه وهي الرواية المشهورة عند أهل العلم[(٣)] .

ثم لما أرادوا تعداد النسخ عن المصحف العثماني الذي جمعته اللجنة الرباعية لتكون مصاحف رسمية للآفاق ضموا إليهم لجانا فرعية تساعدهم وتنسخ معهم . وقد بلغ عدد أفراد هذه اللجان اثني عشر رجلا[(٤)] وهي التي اعتبرها « بلاشير » خيالية - على حد زعمه -[(٥)] مع أن هذه اللجنة حقيقية . وقد أحصيت مع أفراد الرباعية أحد عشر رجلا منهم وهم : زيد بن ثابت ، وسعيد بن العاص ،

---

(١) مقدمة على القرآن بلاشير صـ ٥٦ - ٥٨ ، والقرآن والمستشرقون صـ ١٠٩ .
(٢) انظر فتح الباري ٩ / ١٩ وكتاب المصاحف لابن أبي داود صـ ٣٢ .
(٣) انظر فتح الباري ٩ / ١١ كتاب فضائل القرآن .
(٤) انظر فتح الباري ٩ / ١٩ ، كتاب فضائل القرآن ، وكتاب المصاحف لابن أبي داود صـ ٣٣ - ٣٤ .
(٥) مقدمة على القرآن - بلاشير صـ ٥٦ .

وعبد الرحمن بن الحارث ، وعبد الله بن الزبير ، ومالك بن أبي عامر جد مالك ابن أنس الذي كان كاتبا ، وكثير بن أفلح ، وأبي بن كعب ممليا ، وأنس بن مالك ، وعبد الله بن عباس ، وهذيل وكان يملي ، وثقيف الذي كان كاتبا ، فهؤلاء أحد عشر رجلا ، ولعل عثمان بن عفان الذي كان المشرف على جميع العاملين بهذه المهمة والمتعاهد لهذا العمل الجليل فيكون تكملة الاثني عشر رجلا .

هذه الأسماء حسب روايات ابن حجر وابن أبي داود[(١)] .

أما حكم « بلاشير » على اللجنة التي ذكر فيها أبيا أنها خيالية لزعمه هذا الاعتبار أن أبيا لم يشارك في هذا العمل الشريف وذلك لظنه بموته قبل بداية العمل سنة خمس وعشرين هجرية بينما كان العمل سنة ثلاثين للهجرة[(٢)] .

فهذا الفهم والحكم خطأ وذلك لأن تاريخ وفاة أبي مختلف فيه كثيرا ، وقد رجح الإمام الواقدي وفاته في خلافة عثمان - رضي الله عنه -سنة اثنتين وثلاثين للهجرة . وقد ذكر ابن سعد في طبقاته بإسناد رجاله ثقات لكن فيه إرسال أن عثمان أمره أن يجمع القرآن الكريم . وهذا يؤكد روايات ابن حجر وابن أبي داود التي ذكرته من بين المكلفين بهذا العمل الجليل[(٣)] . كما أن « بلاشير » قد ناقض نفسه وأثبته ممليا في إحدى اللجان بعد إنكاره عمله مع اللجان[(٤)] .

الشبهة الثالثة :

موقف بعض الصحابة من الجمع العثماني لاستثنائهم من العمل :

زعم « بلاشير » أنه قد حصل انفجار واعتراض من بعض الصحابة الذين

---

(١) انظر فتح الباري ٩ / ١٩ ، وكتاب المصاحف صـ ٣٣ - ٣٤ ، وكتاب القرآن والمستشرقون صـ ١٠٩ ، وكتاب مباحث في علوم القرآن - صبحي الصالح ٧٩ .

(٢) مقدمة على القرآن - بلاشير صـ ٥٦ .

(٣) انظر تهذيب التهذيب ١ / ١٨٧ - ١٨٨ .

(٤) مقدمة على القرآن - بلاشير صـ ٦٢ .

استثنوا من العمل « كعلي بن أبي طالب ، وعبد الله بن مسعود ، وأبي بن كعب ، وآخرين »[1] ليؤكد ما زعمه على أن العمل كان لاعتبارات خاصة وينقصه التجرد والأهلية .

الجواب :

هذا الانفجار المزعوم من قبل « بلاشير » مرفوض لتحميله النصوص والمواقف أكثر مما تحتمل .

فبالنسبة لأبي بن كعب قد بينت سابقا أنه قد شارك فعليا في اللجنة ، ولم ينقل عنه أي اعتراض .

أما موقف علي فهو على غير ما صوره « بلاشير » فلم يكن قد سجل عليه أي اعتراض على اللجنة ، بل كان من المباركين لعملها ، المترحمين على عثمان - رضي الله عنه - لقيامه بهذا العمل العظيم حيث قال : « رحم الله عثمان لو وليته لفعلت ما فعل في المصاحف » وفي رواية « لو لم يصنعه عثمان لصنعته »[2] . وقد بين الإمام علي أن عثمان - رضي الله عنهما - لم يجمع القرآن إلا بموافقة ومرأى من الصحابة - رضوان الله عليهم - حيث قال : « لا تقولوا في عثمان إلا خيرا ، فوالله ما فعل الذي فعل في المصاحف إلا عن ملأ منا »[3] .

فمن هنا يظهر دفاع الإمام علي - رضي الله عنه - ، عن عمل أمير المؤمنين عثمان - رضي الله عنه - ومباركته له والترحم على صاحبه وعدم اعتراضه عليه ويؤكد هذا أن الخلافة قد آلت إلى علي - رضي الله عنه - ولم يظهر أي نقض ولا أي اعتراض لهذا العمل الجليل ، ولم يغير شيئا من القرآن الكريم . مما يدل على فساد غرض المستشرقين من هذا الكلام ، ووضوح افتراءاتهم .

أما بالنسبة « لعبد الله بن مسعود » -رضي الله عنه - فهو الوحيد من

---

(١) مقدمة على القرآن - بلاشير صـ ٥٨ - ٦٣ .

(٢) كتاب المصاحف صـ ١٩ - ٣٠ .

(٣) فتح الباري ٩ / ١٨ فضائل القرآن .

بين الصحابة الذي نقل عنه اعتراض على تولية زيد بن ثابت وإبعاده عن هذا العمل فقد نقل اعتراضه ابن حجر حين قال : [يامعشر المسلمين أعزل عن نسخ كتابة المصاحف ويتولاها رجل ، والله لقد أسلمت وإنه لفي صلب رجل كافر ؟] .

وقوله : [.. لقد أخذت من في رسول الله - ﷺ - سبعين سورة ، وإن زيد بن ثابت لصبي من الصبيان ، أفأنا أدع ما أخذت من في رسول الله - ﷺ -] .

وعبد الله بن مسعود -رضي الله عنه - لم يكن معترضا على عمل زيد وهو جمع القرآن الكريم وكل ما يدل عليه أقواله أنه كان يرى أحقيته من زيد بهذا العمل العظيم لسابقته في الإسلام، وتلقيه سبعين سورة من في رسول الله - ﷺ - وكان كلامه هذا في ساعة غضب لأنه عندما زال عنه الغضب ندم على ما قال واستحيا من موقفه ، وأدرك حسن اختيار عثمان ومن معه من الصحابة - رضوان الله عليهم - لزيد لهذه المهمة . وقد أشار (أبو وائل) « لندم عبد الله بعد ذكره لموقفه حيث قال : [.. إن عبد الله استحيا مما قال فقال : ما أنا بخيرهم ثم نزل عن المنبر][1] .

هذا شأن المستشرقين المغرضين أن يقطعوا النصوص ولا يبينوها بتمامها تحقيقا لما في نفوسهم .

أما أهلية زيد وكفاءته فقد بينته من قبل والموقف ليس موقف تفضيل وإنما هو تبيين كفاءة وأهلية . وتعيين عثمان لزيد - رضي الله عنهما - لرئاسة هذه اللجنة لأن زيدا كان في المدينة حين الشروع في هذا العمل بينما كان عبد الله ابن مسعود في الكوفة ، ولم يكن لعثمان أن يؤخر ما عزم عليه حتى يحضر عبد الله من الكوفة .

---

(١) انظر كتاب مقدمتان في علوم القرآن صـ ٩٥ .

كما أن زيدا كان هو الجامع لصحف أبي بكر – رضي الله عنه – في خلافته والكاتب بين يدي رسول الله – ﷺ – فكان صاحب أولوية على غيره للقيام بهذه المهمة .

والحق أن عبد الله كان الأصل أن يوجه غضبه على أبي بكر وعمر – رضي الله عنهما – لا على زيد ، لأنهما أول من وليا زيدا بهذا العمل ، فزيد كان مأمورا لا آمرا . لذا قال زيد لما سمع قول عبد الله بن مسعود فيه (من يعذرني من ابن مسعود، يغضب علي ، أن لم أوله نسخ القرآن فهلا غضب علي أبي بكر وعمر وهما وليا زيد بن ثابت ؟) .

وقد كره أصحاب رسول الله من موقف عبد الله و لم يقبلوه من حين بلغهم قوله : (أأعزل عن المصاحف ؟ ..)[1] .

لذا كان الواجب على أي باحث علمي كما يصور المستشرقون أنفسهم أن لا يثيروا مثل هذه القضايا ولا يكبروها وذلك لتراجع أصحابها ، ووضوح مواقفهم . إلا إذا كانوا أصحاب نوايا غير سليمة من الإسلام .

هذا هو الانفجار الذي صوره المستشرقون من موقف عبد الله السابق وقد وضحته وبه يكون قد بان بطلان دعواهم وظهر سوء نواياهم .

الشبهة الرابعة .

منهج اللجنة في العمل :

زعم « بلاشير » أن منهج اللجنة لم يكن دقيقا ولا محكما . بل كان عشوائيا . مما سبب دخول روايات غير إرادية في النص القرآني فيما بعد[2] .

الجواب :

هذه التهمة من جملة الافتراءات التي لم يقدموا عليها أي دليل علمي أما

(١) انظر كتاب مقدمتان في علوم القرآن صـ ٩٥ .

(٢) مقدمة على القرآن صـ ٧٩ .

الواقع والروايات التاريخية فتثبت عكس هذه الافتراءات والآن سأعرض منهج الإمام عثمان - رضي الله عنه - الذي وضعه للجنة للالتزام به .

١ - اختار عثمان- رضي الله عنه - أعضاء اللجنة من الحفظة لكتاب الله- عز وجل - لضمان النظام والترتيب والضبط والحصر للآيات .

٢ - جعل أصل الجمع النسخة الموثقة الرسمية التي جمعها أبو بكر وكانت محفوظة عند حفصة ، وأشبههم لهجة برسول الله - ﷺ - وهما عمدة العمل . وكذلك من وضعوا مساعدين لهم كانوا أصحاب كفاءة عالية .

٣ - كانت اللجنة لا تكتب شيئا من القرآن إلا بحضرة حافظه ، ويؤخرون ما كان صاحبه غير حاضر حتى ساعة حضوره .

فكان الأمر فيه التروي البالغ لذا امتاز بالدقة ليسلم من الخطأ .

٤ - طلب عثمان أن يكتبوا ما يتفقون عليه ، فإذا اختلفوا في شيء منه عليهم أن يكتبوه بلسان قريش لنزول أغلب القرآن به .
ومثال ذلك : اختلافهم في كلمة « التابوت » .

فقال القرشيون تكتب « التابوت » بتاء مفتوحة . وقال زيد : بل تكتب « التابوه » فرفع اختلافهم لعثمان فرجح كتابتها بلهجة قريش « التابوت » وهكذا فجعل القرآن بلسانهم ؛ لأنه سيد الألسنة ؛ ولأنهم أفصح الناس فكتب القرآن على حرفهم وتركت بقية الأحرف لليونة ألسنتهم بالقرآن . هذا هو سبب اختيار لغتهم ولسانهم على غيرهم لا كما زعم « بلاشير » أن سبب ذلك لأنهم كانوا الطبقة الحاكمة[(١)] .

٥ - لم يكتبوا شيئا إلا بعد عرضه أكثر من عرضة ، وبعد التأكد أنه مما أقر في العرضة الأخيرة فجردوا القرآن مما ليس متواترا[(٢)] .

---

(١) انظر القرآن والمستشرقون صـ ١٠٩ - ١١٢ .
(٢) انظر فتح الباري ٩ / ٢٠ كتاب فضائل القرآن .

إن هذه الطريقة التي وضعها عثمان - رضي الله عنه - تعتبر من أدق طرق البحث العلمي ، ومن مناهجه وهي قريبة من منهج التحقيق عند العلماء حيث اعتبروا العمل نسخة كأصل ، وقابلوا معها النسخ الأخرى ، وأرجعوا كل جزء من القرآن لصاحبه ، وأقر المتفق عليه وأبعد المختلف فيه ليبقى المتواتر من القرآن فقط ، ويحذف الآحاد من شروح وتفسير ، فأي دقة مثل هذه الدقة مع أنها قبل ألف وأربعمائة عام تدل على نضج العقل المسلم مبكرا قبل أن ترى الحضارة الغربية النور ، ليحقق الله الحق ويبطل باطل المستشرقين وترهاتهم ، وأكاذيب الشيعة الذين كانوا أصل هذه الأكاذيب والافتراءات جميعا .

الشبهة الخامسة :

كازانوفا وجمع القرآن :

زعم « كازانوفا » في كتابه (محمد ونهاية العالم) أن جمع عثمان للمصحف قصة وهمية أحكم نسجها في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان توطئة للمبالغة في شأن التحسينات التي أدخلت على رسم المصاحف في عهد الخليفة المذكور[1] .

الجواب :

إن هذا الرأي الذي أقدم عليه « كازانوفا » من أغرب الآراء في علم الدراسات القرآنية حيث يتناقض مع بدهيات الروايات التاريخية والواقع ، وقد عرضت خلال ردي على الشبهات الماضية في الجمع القرآني بمراحله الثلاث من الأدلة الكافية على فساد هذا الرأي ،[2] وتبدد هذا السراب الخادع .

وكما قيل : الحق ما شهدت به الأعداء . فقد نقض « بلاشير » هذا

---

(١) مقدمة على القرآن - بلاشير صـ ٦٨ ، والقرآن والمستشرقون صـ ١١٩ - ١٢٠ ، ومباحث في علوم القرآن - صبحي صـ ٨٧ .

(٢) انظر باب جمع القرآن - مراحل الجمع .

الرأي[1] قائلا : [إننا لا نستطيع أن نتبع كازانوفا في هذا الافتراض الجسور الذي يتناقض مع المسلمات الإيجابية][2] .

ففي هـذا كفـاية في الـرد على هذا القول المتهافت الذي لاتسنده أدلـة .

الشبهة السادسة :

الصحف الخاصة وموقف المستشرقين منها :

اعتبر « بلاشير » المصاحف الخاصة بالصحابة أداة من أدوات المعارضة للمصحف العثماني مع محاولة إثبات صور من الخلاف بينها وبين هذا المصحف سواء في ترتيب السور أو أسمائها ، ليظهر تناقضا بين النصوص القرآنية وهو ما دفع عثمان - رضي الله عنه - لحرق هذه المصاحف[3] حتى لا يظهر اضطراب مصحفه .

الجواب :

لإثبات هذه الدعاوي حاول المستشرقون أن يجدوا أيا من هذه المصاحف ليثبتوا أن القرآن فيه تناقض وتباين ليصلوا بالتالي أنه ليس الكتاب الرباني الذي حفظ مع التغيير والتبديل ، فصوروا النسخ الخاصة مصاحف جمعت لروح المعارضة التي كانت بين الصحابة ، لذا جاءت مباينة لهذا المصحف الإمام . حتى ادعوا أن « لويس » و « فنجانا » قد تمكنا من الوصول لبعضها في السويس عام (١٨٩٥م) كما ذكر ذلك « بلاشير »[4] .

كما حاولوا بكل جهدهم أن يثبتوا أن هذه المصاحف كانت موجودة فعلا بعد ما ذكر عن حرقها . فقد نقل « بلاشير » أن ابن كثير قد شاهد مصحف

---

(١) انظر مقدمة القرآن - بلاشير صـ ٦٨ .

(٢) نفس المرجع صـ ٦٨ .

(٣) مقدمة على القرآن « بلاشير » صـ ٣٦ - ٤٨ .

(٤) نفس المرجع ٣٦ - ٣٧ .

أهل الشام في جامع دمشق عند الركن الشرقي من المعمورة بذكر الله حيث نقل لها من طبرية وبقي فيها لسنة ٣١٠ هـ .

كما أشار « بلاشير » لوجود مصحف عثمان الذي عليه دمه في القاهرة في بداية القرن الرابع الهجري[١] .

كما أشار « بلاشير » أن ابن بطوطة رأى أثناء رحلته المشهورة بعض أوراق قديمة من هذه المصاحف في طرسوس ، وقرطبة ومراكش والبصرة[٢] .

كما زعموا إيجادهم مصحف أبي في البصرة .

فمن المستشرقين الذين اهتموا بهذا الجانب المستشرق « كواتدمير » وقد بنى على ما وصلت إليه دراسته كل من « كازانوفا » و « بلاشير » أخطر الاستنتاجات كما استدركا على دراسته ما وصلت إليه بحوثهما .

وقد بذل هؤلاء المستشرقون جهدهم لإيجاد أي اختلاف بين المصحف الإمام وهذه المصاحف وبين المصحف الإمام والمصحف الحالي . سواء كان هذا الاختلاف في القراءة أو الرسم أو ترتيب السور .

والآن سأرد على هذه الشبهة :

فبالنسبة لنسخة الشام الآنفة الذكر فقد ذكر « بلاشير » أنه مصحف أهل الشام مما يدل أنه المصحف الذي نسخ عن المصحف العثماني الأم ، إذن فلا يكون بينهما أي اختلاف ، وما زعم من اختلاف فهو غير صحيح .

كما أن ابن كثير – رحمه الله – ذكر أن هذا المصحف قد احترق سنة (٣١٠ هـ) في الحريق الذي أصاب المسجد الأموي في دمشق . ولكن المستشرقين يأبون إلا إثبات وجوده ويحاولون إثبات أن بينهما فروقا .

---

(١) انظر مباحث في علوم القرآن صبحي الصالح صـ ٨٩ .

(٢) مقدمة على القرآن – بلاشير صـ ٦٧ – ٦٨ .

وكذلك المصحف الذي وجد في مصر وعليه دم عثمان فقد ذكر « بلاشير » نفسه أنه مصحف عثمان نفسه بإشارة وجود دمه عليه . إذا فلن يكون هناك بينهما أي خلاف لأنه مصحف الإمام نفسه . هذا على فرض صحة ما ذكر . ولكن هذا المصحف كان مزينا بزركشات ونقوش ، ومبينا عليه الأعشار مما يدل على فساد قولهم لأن هذه الأمور لم توضع على المصاحف إلا في وقت متأخر ، ولم توضع على مصاحف العهد الراشد الأول .

أما إيجاد مصحف أبي في البصرة في نهاية القرن الرابع الهجري مع وجود خلاف بينه وبين المصحف الإمام في ترتيب أسماء السور . فلا دليل عليه ولم تثبته الوثائق التاريخية . فلو صح الأمر لكان مصحفا خاصا بهذا الصحابي الجليل كتب قبل كتابة المصحف الإمام .

وهذه المصاحف فيها المتواتر من القرآن والآحادي الذي لايقطع بقرآنيته وفيه مخالفة للمصحف العثماني . وقد أحرقت جميعها بأمر من الخليفة الراشد الثالث عثمان . وأطولها عمرا النسخة الأصل صحف أبي بكر التي أودعت عند حفصة وقد أتلفها مروان بن الحكم والي المدينة في عهد معاوية بعد موتها - رضي الله عنها - .

أما ما ذكروه عن مصحف طرسوس السويس أو القاهرة الذي وجده « لفنجانا ولويس » سنة ١٨٩٥ م واشترياه من هناك ، وذكرا أن فيه بعض الاختلاف مع المصحف العثماني . فقد أنكر أقدميتها « بلاشير » لسوء خطها ، وصعوبة قراءته ، ولأنه يضم كتابات مسيحية باللغة العربية تبدو على ما يبدو للقرن العاشر الميلادي الرابع الهجري[١] .

فمن هنا يظهر بطلان هذه الشبه لأنها مجرد فروض وخيال لا حقيقة لها من الواقع وكل أدلتها واهية . فبهذا تسقط كل استنتاجاتهم .

---

(١) انظر مقدمة القرآن - بلاشير ص٣٦ - ٣٧ - ٤١ .

وعدم وجود نسخ قديمة للمصحف الحالي لا يضره بشيء لأن هذا المصحف وجد له من دواعي السلامة والدقة مما هو فوق الشبهات ، ورافقه حفظ الصدر في كل مراحله قبل تدوينه وبعدها . وفوق هذا الحفظ البشري فقد تكفله الله سبحانه بعنايته فحفظه حتى قيام الساعة قال تعالى : **﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾**[1] .

أما بالنسبة لحرق عثمان للمصاحف الخاصة فقد ذكرت سابقا أن حرقها لم يكن لغرض شخصي لتبقى الساحة خالية أمام مصحفه كما زعم بعضهم . بل إن حرقها كان بموافقة الصحابة رضوان الله عليهم بعد استشارة عثمان لهم وهذا ما بينه الإمام علي – رضي الله عنه – حيث قال مبينا غرض عثمان من الجمع ومدافعا عنه :

[ألا يا معشر الناس ، اتقوا الله ، وإياكم والغلو في عثمان وقولكم حراق المصاحف، فوالله ما حرقها إلا عن ملأ منّا أصحاب رسول الله – ﷺ –][2] .

وكان الداعي لذلك اختلاف الصحابة – رضوان الله عليهم – في قراءة القرآن فأبقى حرفا واحدا في المصحف العثماني دفعا لدابر الخلاف . والقاعدة الشرعية تقول : « درء المفاسد أولى من جلب المصالح » .

فمن هنا يظهر تهافت كل دعاوي هؤلاء المستشرقين ، ويتكشف عوار بحوثهم ، ويظهر زيف وصفها بالأمانة والنزاهة العلمية ليعرف الناس هذا الصنف من الناس فتسقط لافتاتهم البراقة ويقف الناس على حقيقتهم وعن الانخداع بهم .

---

(١) سورة الحجر آية : ٩ .

(٢) انظر فتح الباري ٩ / ١٨ كتاب فضائل القرآن .

الفصل الرابع

شكل القرآن الكريم ومضمونه وشبههم حوله

المبحث الأول

تقسيم القرآن الكريم إلى ثلاثين جزءا

المبحث الثاني

عناصر السورة وما أثير حولها من شبهات

المبحث الثالث

ترتيب سور القرآن الكريم

الفصل الرابع

شكل القرآن الكريم ومضمونه وشبههم حوله

المبحث الأول :

تقسيم القرآن الكريم إلى ثلاثين جزءا :

زعم المستشرقون أن القرآن الكريم من أجل سهولة تلاوته قسم ثلاثون جزءا لتتلاءم مع عدد أيام شهر رمضان - حسب تعبير الموسوعة البريطانية - .

وقال « بلاشير » : إن تقسيمه كان لمجرد الباعث العملي وتسهيلا لتلاوته في الاحتفالات الدينية[1] .

الجواب :

هذا الكلام بجملته بعيد كل البعد عن الدقة والموضوعية فتقسيم القرآن الكريم إلى ثلاثين جزءا كان إجراءا متأخرا كثيرا عن نزول القرآن . أما فرضية رمضان ، ونافلة التراويح كان ذلك في عهد الرسول - ﷺ - ولا ريب أن المسلمين كانوا يحفظون القرآن ، ولا يجدون في ذلك صعوبة ولا عسرا قبل أن يجزأ القرآن إلى أجزاء ، وكانوا لا ريب كذلك يصلون التراويح وهي النافلة الرمضانية قبل أن يجزأ القرآن كذلك .

فربط التجزئة بشهر رمضان أو المواسم الدينية بعيدة عن الحقيقة والمنطق والتطبيق العملي ، بل بعيد حتى عن روح هذا الدين لأن اهتمامه دائما بالجوهر لا بالشكليات . والمسلمون مطلوب منهم أن يقرءوا القرآن في صلاتهم وفي صلاة

---

(١) قضايا قرآنية صـ ٣٣ ، والقرآن - لبلاشير طبعة دار الكتاب اللبناني - بيروت صـ ٣٨ .

التراويح في رمضان وغيرها من العبادات وأوقات الفراغ بقدر نشاطهم ، وظروف القارىء والمصلين من بعده لأن هذا الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه[1] .

أما تجزئة القرآن لأجزاء ، وأحزاب ، وأرباع ، وسور ، وآيات ، ففي ذلك فوائد كثيرة لايدركها أمثال هؤلاء المستشرقين وقد ذكرها العلماء في مؤلفاتهم ، من هذه الفوائد التي ذكروها :

١ - أن التجزئة للقرآن الكريم يدل على مقدار الاهتمام والعناية التي بذلت لهذا القرآن الكريم فيزداد المسلم له طمأنينة . وهي خاصية امتازت بها هذه الأمة في اعتنائها بكتاب ربها عز وجل بعكس الأمم السابقة .

٢ - تعرف المسلم على بداية كل جزء ونهايته ، وأنصاف القرآن وأرباعه .. إلخ وهذا تسهيل عليه لحفظه فيزداد المسلم رغبة في تلاوته . لأنه كلما أنهى سورة أو جزءا كان أنشط له للدخول في التي تليها فيزداد في التحصيل من الحفظ لكتاب الله سبحانه ويسهل عليه الوقوف على معانيه والعمل به .

٣ - أن الحافظ إذا حفظ السورة اعتقد أنه أخذ من كتاب الله طائفة مستقلة بنفسها فيعظم عنده ما حفظه ، ومنه حديث أنس - رضي الله عنه - « كان الرجل إذا قرأ البقرة وآل عمران جد فينا »[2] إلى غير ذلك من الفوائد التي لم أذكرها خيفة من الإطالة .

المبحث الثاني :

عناصر السورة وما أثير حولها من الشبه :

المسألة الأولى : حول معنى كلمة سورة :

زعم « بلاشير » أن معنى كلمة سورة لفظة غامضة نجدها في بعض الآيات

---

(١) (قضايا قرآنية) بتصرف صـ ٣٣ - ٣٤ .

(٢) مسند الإمام أحمد ٣ / ١٢٠ .

المكية[1] .

الجواب :

كلمة « سورة » كلمة معروفة في العربية ولا غموض فيها كما زعم « بلاشير » .

والسورة : فيها لغتان بالهمز وبدونه وهو الأشهر .

وقيل : في معناها أقوال منها : أنها من السور وهو حائط المدينة المشتمل عليها كذلك .

إن كلمة « سورة » القرآنية ليست غامضة ، بل هي مشتقة من كلمة سور ، كأن كل مجموعة من الآيات محاطة بسور معنوي لا يسمح لنقطة أو لحرف من غيرها بالدخول فيها ، أو بشيء منها بالخروج منها ، وهذا كناية عن الحفظ والعصمة[2] .

وهذا هو الاسم القرآني سورة مما امتاز به هذا القرآن العظيم على ما كان معهودا عند العرب .

نقل السيوطي عن الجاحظ قوله : [سمى الله كتابه اسما مخالفا لما سمى العرب كلامهم على الجمل والتفصيل :

سمى جملته قرآنا كما سموا ديوانا ، وبعضه سورة كقصيدة وبعضها آية كالبيت ، وآخرها فاصلة كقافية] .

وذهب الإمام السيوطي – رحمه الله – أن أسماء السور توقيفية[3] .

---

(١) القرآن – بلاشير صـ ٢٨ .
(٢) نفس المرجع (المعلق) ولمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير محمد الصباغ المكتب الإسلامي صـ ٤٣ .
(٣) نفس المرجع – (المعلق) ولمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير صـ ٤٣ .

المسألة الثانية : عناوين السور :

ذكر أصحاب الموسوعة البريطانية : [أن السورة تحتوي على العناصر الآتية :

١ – العنوان وهذا مشتق من كلمة واضحة جلية في السورة مثل البقرة والنحل والشعراء ، وحيث لا يدل العنوان على محتويات السورة[١] .

الجواب :

عبارة « العنوان » لا يدل دائما على محتويات السورة فهو بحاجة إلى بيان فبعض العلماء يعتبر أسماء السور توقيفية ، أي لا مجال فيها لاجتهاد ، ولا يمنع أن يكون هناك أسماء توقيفية استنبطها العلماء من موضوع السورة كتسمية سورة النحل بسورة النعم ، وذلك لما ذكر فيها من نعم الله الكثيرة على الناس . وتسمية سورة الحجرات بسورة الآداب ، وذلك لأنها اشتملت في معظمها على توجيهات وآداب لابد منها للأفراد والجماعات ..

وإذا كانت عناوين هذه السور لا تدل لأول وهلة على محتويات هذه السور ، فمما لا ريب فيه أن عنوان السورة إنما يشير إلى قضية بارزة فيها تدور جميع موضوعات السورة حولها . فسورة براءة مثلا كانت في معظمها حديث عن المشركين والمنافقين ، الذين لابد أن يتبرأ منهم المسلمون ، وذلك لأسباب كثيرة ذكرتها السورة ، وسورة نوح كانت كلها حديثا عنه مع قومه عليه السلام ، وسورة الجن كانت حديثا عن الجن ، وهكذا .. فكثير من السور عنوانها يدل على محتواها .

أما ما يجده بعض الناس من عناوين لبعض السور لا تدل على موضوعاتها فإن ذلك يحتاج منهم إلى إمعان نظر وإجالة فكر فيجدوا هناك نقطة أو قضية أرادت السورة إبرازها والتأكيد عليها لأنها من الأهمية بمكان ، لذا عنونت بها .

---

(١) قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية صـ ٣٨ .

فسورة البقرة مثلا إشارة إلى قصة البقرة التي ذكرت لتخدم غرض السورة الرئيسي وهو قدرة الله سبحانه على إحياء الموتى فجاءت قصة إبراهيم عليه السلام وقصة عزير لتخدما هذا الغرض الرئيسي نفسه .

كما أن السورة ذكرت موقف بني إسرائيل من هذه القصة ومن غيرها ، فذكرت أمورا لم تذكرها كتب بني إسرائيل ، وصورت نفسيتهم خير تصوير وموقفهم من أنبيائهم ؛ وذلك ليتعرف المسلمون على هؤلاء القوم وأخلاقهم فيعرفون كيف يتعاملون معهم .

وسورة آل عمران إذا أمعنا النظر فيها نجدها نتحدث عن آل عمران في أكثر أجزائها ، مريم ، والمسيح – عليهما السلام – .

وسورة النساء كانت أبرز موضوعاتها النساء وحقوقهن أيا كانت هذه الحقوق وهكذا بقية هذا الصنف من السور .

فاسم السورة – العنوان – ليس كما يقول المستشرقون لا يدل على محتويات السورة بل كل عنوان أشار إلى موضوعات السورة تمام الدلالة . أو أشار إلى جوانب بارزة في السورة يريد الله سبحانه إبرازها وإظهارها[1] .

وقدكان « بلاشير » أكثر صراحة منهم حيث قال : [لقد ترسخت العادة منذ زمن بعيد أن يطلق على كل سورة عنوان يستخرج غالبا من أول آية فيها ، أو من قصة موسعة ، أو من عنصر راسخ أو من إشارة عرضية موجودة في السورة ، كما في السورة الثانية المسماة « البقرة » ويبدو أحيانا أن تسميات مختلفة قد أطلقت على السورة الواحدة تبعا للاهتمامات الدينية والأخلاقية المختلفة][2] .

وهكذا نجد أن عنوان السورة لم يكن عبثا ، وإنما وضع واختير لغاية ولهدف مقصود مما يدل أن دوائر المعارف تتبنى الأقوال التي فيها إساءة للإسلام في بعض القضايا مع وجود أقوال أكثر اعتدالا .

---

(١) انظر كتاب أستاذي د / فضل عباس قضايا قرآنية صـ ٣٩ – ٤١ (بتصرف) .
(٢) القرآن – بلاشير صـ ٤٠ – ٤١ .

المسألة الثالثة :

الحروف المقطعة :

زعم « جرجس سال » أن هذه الحروف لغو لا فائدة فيها وهذا يخالف كون القرآن الكريم هدى وبيان . وقد غاب معناها حتى عن الراسخين في العلم فالخطاب بها كالخطاب بالمهمل .

وذكر بعضهم أن هذه الحروف مما وضعه كتبة محمد من اليهود .

وذكر أصحاب دائرة المعارف البريطانية أنها اختصار لكلمات أو أن لها أهمية سحرية[1] .

وكل كلامهم هذا ليستدلوا منه أنه ليس بكلام الله سبحانه[2] .

أما بعض المستشرقين فقد اعتبر أن هذه الحروف لها معان ودلالات فقد زعم « هيرشفيلد » و « نولديكة » وغيرهما أنها اختصار لأسماء الأشخاص الذين سبق لهم تدوين بعض السور ، أو جمع شيء من القرآن .

١ - أما « أدوارد جوستر » فزعم أن هذه الحروف اختصارات لعناوين لم تعد تستعمل لتلك السور[3] .

الجواب :

هذه الحروف قد نالت عند العلماء من التوضيح والشرح والعناية ما تستحق . فهي ليست كما زعم « سال » لغو لا معنى لها ، أو لها أهمية سحرية فحسب على رأي أصحاب الموسوعة البريطانية . بل إن العلماء وبعض السلف - رضوان الله عليهم - كابن عباس من رواية أبي ظبيان ، والشعبي ، والثوري ،

---

(١) قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية صـ ٤١ .
(٢) أسرار عن القرآن صـ ٤٧ - ٤٨ .
(٣) مقدمة القرآن واط صـ ٦٣ .

وبعض علماء الخلف كأبي حيان ، والسيوطي ، والشوكاني ، عدوها من المتشابه الذي انفرد الله بعلمه ، وخفي على الخلق معرفته ، ومع هذا فقد أثبتوا لها معنى خفي على الخلق معرفته وأسره الله عنده ابتلاءا واختبارا لإيمانهم، وهذا في حد ذاته لون من ألوان البيان والهدى ، ففيه يُعرف المؤمنون من المنافقين لأن الإيمان بالغيب والمتشابه من القرآن من أركان الإيمان .

إلا أن « سال » ومن قال بقوله من المستشرقين يزعمون أن هذه الحروف لا معنى لها بلا دليل علمي . أو لفهمهم معنى المتشابه فهما خطأ .

وقد ذكر علماء المسلمين لهذه الحروف ما يقرب من واحد وعشرين قولا أشهرها :

١ - إسم الله الأعظم إلا أنا لا نعرف تأليفه منها وهو منسوب لابن عباس - رضي الله عنهما - .

٢ - سر من أسرار هذا الكتاب ، والقرآن كتاب سماوي لابد أن يكون له أسرار كأي كتاب سماوي .

٣ - اعتبرها ابن جني للفصل بين السور[1] .

٤ - أسماء للسور القرآنية .

٥ - للتنبيه « كياء النداء » والتحدي وذلك لما أعرض المشركون عن سماع القرآن أنزل الله هذه الحروف ليستغربوها لعدم تعودهم عليها فيفتحوا أذانهم لها ولما بعدها من القرآن الكريم ، وأما جانب التحدي فيها فلأن هذه الحروف منها يتكون كلام العرب ومع هذا عجزوا أن يأتوا بمثل هذا القرآن . أو بشيء منه فثبت عجزهم وقامت عليهم الحجة .

وهذا قول المبرد وقطرب[2]. وهذا القول هو أرجحها . والله تعالى أعلم .

---

(١) براعة الاستهلال في فواتح القصائد والسور د. محمد بدري صـ ٩٨ .

(٢) انظر التفسير الكبير للرازي ٧/٢ ، والمحرر الوجيز لابن عطية ٩٥/١ .

أما قول «هيرشفيلد» وغيره إنها اختصار لأسماء الأشخاص الذين سبق لهم تدوين بعض السور أو جمع شيء من القرآن فيرد عليه بما يلي :

إن العمدة في فهم ومعرفة هذه المعاني وهذه الحروف يعتمد على النقل وعلى ملاءمته لروح العربية .

٢ - لم يستطع أصحاب هذا الرأي أن يجدوا اسما لكل حرف في (ألم) فأطلقوها على شخص واحد هو المغيرة وهذا خروج عن القاعدة المطردة عندهم أن كل حرف يطلق على شخص كـ (ص) لحفصة ، و (ن) لعثمان وهكذا[١] .

فهذا ينقض دعواهم ويبطل قولهم ، ويظهر التناقض في آرائهم .

٣ - لو كان هذا الأمر صوابا كما زعم « هيرشفيلد » ومن قال بقوله لما تأخر اكتشافه ، ولجاء على لسان السلف والخلف من علماء الإسلام الذين بذلوا قصارى جهدهم في كشف أسرارها والتعرف على معانيها .

أما نولديكة فقد كان يقول برأي « هيرشفيلد » أنها أسماء ، لجمعة القرآن ، ثم عدل عن هذا القول لرأي « سال » أنها سحرية ولا معنى لها ، ثم استقر به الرأي في مقالاته المتأخرة ، أنها تقليد لكتابة الكتاب السماوي الذي كان ينقل إلى محمد من اليهود[٢] .

فقوله الأول أنها أسماء لجمعة القرآن ، والثاني أنها سحرية لا معنى لها قد رددنا عليهما ولا دليل عليه ، بل هي من جنس حروف الهجاء ، فهي معروفة لكل عارف بالعربية . أما تعليقي على القول الثالث :

فالناظر في كتاب (تاريخ القرآن الكريم) لـ« نولديكة » يجد أنه يحاول أن يرد كثيرا من تعاليم الإسلام لليهودية . وقد رددت على هذا الرأي في باب

---

(١) انظر مقدمة القرآن - واط - صـ ٦٣ .
(٢) انظر مقدمة القرآن - واط - صـ ٦٤ .

المصادر .

والذي يزيد هذا القول بطلانا أن هذه الحروف لم تنزل في كتاب سماوي سبق نزوله القرآن الكريم ، فهي مما تفرد به هذا القرآن الكريم .

ولو كانت معروفة عند اليهود – كما زعم نولديكة – لما سكت عن ذلك اليهود ولكشفوا هذه السرقات من كتبهم . كما أن هذه الحروف كان نزولها في مكة قبل اختلاط المسلمين باليهود[1] .

إلا إذا قصد « نولديكة » ما كان معروفا عند اليهود « بحساب الجمل » بأن يحولوا الحروف العربية لأرقام حسابية والذي تأثر به بعض المفسرين المسلمين الذين تأثروا بالثقافة اليهودية فهذا قول باطل على كل من قال به . وقد رده كثير من المفسرين والعلماء من المسلمين . والمعروف أن الصحابة – رضوان الله عليهم – كانوا شديدي الحرص على كتاب الله سبحانه فلا يسمحوا بدخول شيء إليه من اليهودية أو غيرها ولا بنقصان شيء منه .

أما ما ذكره « أدوارد جوستر » أن هذه الحروف اختصارات لعناوين سور لم تعد تستعمل اليوم فهذا القول ليس جديداً بل هو لزيد بن أسلم كما ذكره عنه أبو حيان في تفسيره[2] . وهو قول قرره أكثر المتكلمين فهو اختيار الخليل ١٧٥ هـ وسيبويه ١٨٠ هـ . حتى إنه عقد له سيبويه بابا لأسماء السور ، وقال به يونس ١٨٧ هـ ، وذهب إليه أبو عبيدة وابن قتيبة ٢٧٦ هـ والرازي ودافع عنه وذكره ابن جرير ٣١٠ هـ ورأى أن من اعتبرها أسماء للسور مصيب وذلك لأنه يجوز التسمية بالكلمة الواحدة وبالجملة وبالبيت من الشعر .

وقال ابن قتيبة : فإن كانت أسماء للسور فهي أعلام تدل على ما تدل عليه الأسماء من أعيان الأشياء ، وتفرق بينها فإذا قال : قرأت (المص) دل على ما قرأ .

---

(١) المدخل لدراسة القرآن الكريم صـ ٢٥٠ .

(٢) انظر المحرر الوجيز ١ / ٩٥ ، وتفسير البحر المحيط ١ / ٣٤ .

كما أن حجتهم أن بعض العرب سمى ببعض هذه الحروف أسماء أشخاص كتسمية والد حارثة (لام) والطائي (زَ) فهذا القول يرده الواقع المنقول والتاريخي لأسماء السور ومعاني هذه الحروف .

فالأقوال التي وردت في كونها أسماء للسور لو صح قولهم هذا فإن هذه الحروف ستطلق على عدة سور لذا فسيصعب التمييز بين السور المتشابهة بين هذه الحروف[1] .

أما زعمهم أن هذه السور قد جاء لها أسماء أخرى حجبت هذه التسمية المزعومة وكانت الشهرة لها والذي يرد هذا القول كذلك أن هذا القول لم ينتشر عنها بل الثابت أن الرسول - ﷺ - كان كلما نزل عليه شيء من الوحي قال : ضعوا هذه في سورة كذا في مكان كذا ، ولم نعلم أنه كان يذكرها كأسماء لهذه السور .

فالراجح فيها إذن ما سبق أن ذكرته .

وهو يظهر بطلان أقوال المستشرقين ، ويبين أن إلقاءهم أقوالهم كان بلا دليل علمي ، ولا مستند عقلي . ويؤكد أن لا حرف في كتاب الله سبحانه إلا وله معنى ، فلا شيء فيه لغو لا فائدة منه ، فالله غالب على أمره ولو كره الكافرون .

المبحث الثالث :

ترتيب سور القرآن الكريم :

زعم بعض المستشرقين أن القرآن الكريم لم يكن مرتبا وأنه كان مختلطا في عهد الرسول - ﷺ - وقد رتبه أبو بكر - رضي الله عنه - لذا استحلوا لأنفسهم أن يجعلوا له ترتيبا خاصا يختلف عن ترتيب المصحف الحالي في كثير من السور[2] معتمدين في ذلك على طريقة الأسلوب ومحتويات السورة . وكان

---

(١) انظر كتاب براعة الاستهلال في فواتح القصائد والسور صـ ١٥٢ وما بعدها .
(٢) انظر أسرار القرآن - جرجس سال صـ ٢١ .

من هؤلاء المستشرقين « غريم » و « ويل » و « بل » و « رودويل » و « بلاشير » و « نولديكة » .

فمثلا « تيودور نولديكة » نشر كتابا بعنوان (تاريخ القرآن) سنة ١٨٦٠ م حيث نظم فيه السور إلى أربع مجموعات معتمدا في ذلك على ثلاث فترات زمنية في مكة وفترة رابعة في المدينة[١] وقد أثنى على هذا التقسيم « بلاشير » كثيرا لأنه في نظره يجعل قراءة المصحف سهلة بل ممتعة[٢] ..

الجواب :

لقد شغلت هذه القضية علماء المسلمين ابتداء من عصر الصحابة – رضوان الله عليهم – ولا عجب في ذلك أن يخصوها بجهد عظيم وبحث جاد لأنها تتصل اتصالا مباشرا بأقدس كتاب حرص المسلمون أن يدفعوا عنه كل شبهة .. وكان بحثهم مبنيا على أسس من المنطق العقلي والدليل النقلي ويمكن تلخيص منهجهم بعبارة نصها : (إن كنت ناقلا فالصحة ، أو مدعيا فالدليل) منهج خاضع لقواعد علمية نقدية ما زال فخرا للمسلمين . فعناية المسلمين إذن بكتابهم كانت تعتمد على الروايات بعد نخالتها وتمييز غثها من سمينها فيذهب الزبد جفاء ، ويطرح الضعيف والموضوع منها ، وتؤخذ الرواية الصحيحة التي تثبت بعد درس وتمحيص .

أما المستشرقون فكان جهدهم معتمدا على جهود العلماء السابقين ، ولكن تخليطهم ناتج من عدم قدرتهم على التمييز بين الروايات فأخذوا بكثير من الروايات الضعيفة والموضوعة . كما ترجع كثير من أخطائهم لجهلهم باللغة العربية ولأن عملهم نابع من أهداف نفسية ودينية خاصة بهم ، والمستشرقون يسوقون الاحتمالات العقلية مساق الحقائق المسلمة ، وهم يجمعون الآراء والظنون والأوهام والتصورات ويعتبرونها أصلا يصلح للفحص والدراسة والاستنتاج منه لقضايا من

(١) قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية صـ ١٨٠ .
(٢) القرآن – بلاشير صـ ٤٤ .

أخطر القضايا في الإسلام[1] .

فهذه النقاط تعتبر هي أهم أسباب أخطاء المستشرقين في كثير من القضايا الإسلامية عامة والقضايا القرآنية على وجه الخصوص .

فمما يدل على فساد منهجهم واختلال ميزانهم اختلافهم في القضية الواحدة كترتيب المصحف مثلا على عدة أقوال : فبعضهم قسمه إلى ست مراحل . وبعضهم إلى خمس . وبعضهم إلى أربع . وبعضهم إلى غير ذلك . ومن هذه القضايا : قضية ترتيب السور القرآنية ترتيبا زمنيا .

وسأعرض لمحاولاتهم في ترتيب سور القرآن الكريم ، ودراسة مراحله التاريخية لهذا الترتيب الذي صنعوه باختصار والتي بلغت عشر محاولات في أوربا :

١ - محاولة الأستاذ « هيوبرت غريم » :

الذي حاول أن يبحث الموضوع بطريقة لا تختلف كثيرا عن طريقتنا فاعتمد في محاولته على الروايات الصحيحة والضعيفة والموضوعة . وفي نهاية الأمر تخلى عن المنهج الذي اشترطه على نفسه من احترام الروايات ليصدر في نهاية المطاف في مواطن مختلفة عن رأي المستشرق « نولديكة » في وصف المراحل المتعاقبة على الوحي القرآني[2] .

وقد قسم « غريم » السور لثلاث مجموعات معتمدا على الروايات الحديثة بصحيحها وضعيفها وأسلوب النص القرآني . وهذه المجموعات هي :

أ - السور التي تمتاز بجرس وإيقاع مميز جدا كالتي تتكلم عن التوحيد والبعث .. إلخ .

ب - السور ذات الجرس والإيقاع الأكثر تحررا والتي يركز موضوعها على نعم الله سبحانه ، وتتضمن بعض قصص الأولين .

---

(١) قضايا قرآنية صـ ١٨٢ .

(٢) قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية صـ ١٨٤ .

جـ - سور مدنية ذات المضمون الثانوي والتنظيمي ، والتي تناولت شيئا عن يوم الحساب والانتقام من المكذبين . فكان تركيزه على خصائص السور العقدية[1] .

٢ - محاولة السير « وليم موير » :

كانت هذه المحاولة منه من المحاولات العشر في منتصف القرن التاسع عشر . وقد قسم « موير » القرآن الكريم لست مراحل : خمس في مكة وسادستها في المدينة . وكانت دراسته قائمة على السيرة النبوية والحديث النبوي الشريف وقد حشد لدراسته النقدية الكثير من المعلومات التاريخية ، ولكنه وقع مع ذلك - مثل غريم - في أخطاء عديدة ، وأخذ بروايات واهية مردودة . مما جعل محاولته كمحاولة « غريم » فاشلة[2] .

٣ - محاولة « ويل » :

التي بدأها سنة ١٨٤٤ م ولم تتخذ صورتها النهائية إلا سنة ١٨٧٢ م . ولم يقم « ويل » وزنا للروايات والأسانيد الإسلامية لذلك كانت في نظر « بلاشير » (الطريقة الوحيدة المثمرة حقا) وكانت من قبله في نظر « نولديكة » نقطة الانطلاق في إجراء محاولة لترتيب القرآن الكريم ، فبها أخذ « نولديكة » وعلى كثير من أسسها بنى دراسته .

ولم يعتبر « ويل » التاريخ الإسلامي هاديا يعتمد عليه . لذا أضاف له معايير أخرى ثلاثة ينبغي استخدامها من أجل ترتيب القرآن في نظره وهي :

أ - تلميحات القرآن إلى حوادث معروفة .
ب - مضمون النص القرآني .
جـ - أسلوب النص القرآني .

---

(١) مقدمة القرآن - بلاشير صـ ٢٥١ .
(٢) مباحث في علوم القرآن - صبحي الصالح صـ ١٧٦ - ١٧٧ وقضايا قرآنية صـ ١٨٥ .

وعلى هذه القواعد التي وضعها « ويل » لنفسه قسم القرآن الكريم إلى أربع مراحل : ثلاث في مكة ، ورابعة في المدينة .

وقد تابعه في طريقته هذه كل من « نولديكة » سنة ١٨٦٠ م ولكن مع بعض التعديلات الطفيفة كترتيب بعض السور في كل فترة . و « شيفالي » في طبعة كتاب « نولديكة » (تاريخ القرآن) الثانية سنة ١٩١٩ م مع بعض التعديلات الطفيفة كذلك ، كما تأثر بطريقته كل من « ريتشارد » و « روديل » و « بلاشير » و « ديرنبورج »[1] .

٤ - محاولة « هـ . ديرنبرج » :

كانت محاولة الأستاذ « ديرنبورج » أستاذ علم الأديان والدراسات الإسلامية في القرن الثالث عشر - منطلقة من محاولة الأستاذ « ويل » وتتفق مع طريقة الأستاذ نولديكة » كثيرا : وقد وضع لنفسه أربع قواعد يرجع إليها عمله وهي :

أ - الرؤى السماوية التي يصعب تأريخها ولكنها قديمة .

ب - القصص التي ينافح بها النبي خصومه ، وتحتوي على وصف يوم الحساب .

جـ - النصوص التي تتضمن قصصاً ثابتة .

د - النصوص المدنية[2] .

٥ - محاولة « تيودور نولديكة » وتلميذه « شفالي » :

تأثر « نولديكة » في طريقته في هذه الدراسة بمحاولة « ويل » إلا أنه خالفه في ترتيب بعض السور القرآنية مما أدى إلى اختلاف ترتيب بعض السور بعض الشيء في داخل كل فترة .

---

(١) قضايا قرآنية صـ ١٨٥ - ١٨٦ ومقدمة القرآن - بلاشير صـ ٢٤٩ .

(٢) مقدمة القرآن - بلاشير صـ ٢٥١ .

وقد تابعه في طريقته « شفالي » . وقد أفاد « نولديكة » كثيرا بترتيب أبي القاسم عمر بن محمد بن عبد الكافي[١] .

وقد ظهرت دراسة « نولديكة » الذي كان مقتنعا بضرورة ترتيب القرآن زمنيا في كتابه (تاريخ القرآن الكريم) في طبعته الأولى سنة ١٨٦٠ م ، وظهرت دراسة « شيفالي » في خلال طبعة كتاب « نولديكة » الثانية سنة ١٩١٩ م ، والذي أعيد طباعته كذلك سنة ١٩٣٨ م .

وقد وضع « نولديكة » لها طريقة مخالفة للطريقة الإسلامية . وقد كانت طريقته منطلقا لكل من جاء بعده من المستشرقين حيث تأثروا بها كثيرا وعلقوا عليها أخطر النتائج في عالم الدراسات القرآنية .

وممن تأثر بها كثيرا « بلاشير » حيث أثنى عليها في كتابه (القرآن) قائلا : [وتدل التجربة فيما يبدو أن التقيد بالمراحل الزمنية للترتيب الذي اقترحه نولديكة ، وأخذ به بعض المترجمين يجعل قراءة المصحف سهلة بل ممتعة][٢] .

أما طريقته فكانت تعتمد على دراسة تطور الأسلوب القرآني من الفقرات الشعرية الخيالية في السنوات الأولى إلى التنزيل النثري المطول فيما بعد .

قسم « نولديكة » السور القرآنية إلى قسمين رئيسيين :

سور مكية وسور مدنية ، ثم قسم المكية إلى ثلاث فترات :

سور الفترة المكية الأولى وهي عنده تمتاز في معظمها بالقصر ، وبلغة إيقاعية ومليئة بالخيالات ، وظهور صيغ القسم فيها عند بداية الفقرات .

أما الفترة الثانية فهي فترة انتقال بين الحماس المهيب في الفترة المكية الأولى والهدوء الأعظم في الفترة الثالثة ونادرا ما يستخدم فيها أسلوب القسم وغالبا ما تميل فيها السور للطول .

---

(١) قضايا قرآنية صـ ١٨١ – ١٨٥ .
(٢) القرآن – بلاشير صـ ٤٤ .

أما الفترة الثالثة فقد ذكر فيها أن « كلمة الرحمن » قد أوقف استخدامها . ويكثر فيها تكرار القصص النبوي مع تغيير طفيف في الموضوع التي تركز عليه القصة .

أما سور الفترة المدنية فالاهتمام فيها على الموضوعات وتعليمات المجتمع أكثر من الأسلوب و « نولديكة » في عمله هذا ينظر للسورة كوحدة متكاملة ذات تاريخ نزول واحد .

وهذا من الأسباب الذي جعل عمله يظهر ضعيفا لأن كثيرا من السور تحوي آيات ذوات تواريخ متعددة(١) .

٦ - محاولة « هيرتوج هيرشفيلد »:

ظهرت محاولة « هيرشفيلد » في أوائل القرن العشرين في كتابه (أبحاث جديدة في تركيب وتفسير القرآن) .

وقد اعتمد « هيرشفيلد » في عمله على مضمون السور القرآنية وعلى خصائص الفقرات المنفصلة باعتبارها وحيا أصيلا للتأكيد أو الرفض ، أو القصص ، أو الوصف ، أو التشريع .. إلخ .

وقد أعطى « هيرشفيلد » اهتماما ثانويا للتسلسل الزمني ومع هذا فهو لا يخرج عن مسلمات « نولديكة » .

وهذه الطريقة من الصعوبة بمكان على الرجل الغربي الذي لا يستطيع فهم روح النص القرآني ، ولا إتقان لغته بدرجة تؤهله لمثل هذا العمل الخطير ؛ لذا عجز « هيرشفيلد » عن رؤية التجانس في بعض الموضوعات لبعض السور مما دعاه أن يضع لها موضوعات من عنده ، ويضعها في أماكن حسب رؤيته الخاصة . لذا لم يلق عمله القبول لدى الغربيين أنفسهم وخطورة هذه الطريقة أنها تسبب تفككاً في السور وبالتالي فإنها تسبب تفتيتا كاملا للقرآن الكريم كما أن هذه الطريقة

---

(١) مقدمة على القرآن – واط صـ ١٠٩ – ١١٢ ، ومقدمة القرآن – بلاشير صـ ٢٤٩ .

تؤدي إلى تحريف معاني بعض الأحكام العامة[1] .

٧ - محاولة « أ. رودويل » :

ظهرت محاولة « رودويل » في كتابه (القرآن) الذي طبع في لندن سنة ١٨٧٦ م .

وقد رتب فيه السور القرآنية حسب الترتيب الزمني فإذا استثنينا من عمله تنزيلات الفترة الأولى في مكة نجد عمله لا يخرج عن عمل « نولديكة »[2] .

٨ - محاولة « ريجي بلاشير » :

ظهرت محاولته في كتابيه (ترجمة القرآن الكريم) و (مقدمة القرآن الكريم) .

قسم « بلاشير » سور القرآن الكريم زمنيا وخالف في طريقته « نولديكة » في بعض المواضع وقبلها في تقسيمه للفترة المكية لثلاث فترات وقسم السور القرآنية لثلاثة أنواع :

أ - سور مكية مقسمة على ثلاث مراحل كتقسيم « نولديكة » .

ب - سور مدنية .

ج - سور بين بين .

وكانت طريقته تعتمد على :

١ - تجميع النصوص القائمة على خاصيات غالبا تكون كموضوعات سائدة في الوعظ ، والأسلوب ، واللغة ، ومرتبطة ببعض المسلمات التاريخية التي أوردها القرآن الكريم .

٢ - تطور تجربة محمد الدينية على ضوء الشهادات القرآنية فإذا اختلط

---

(١) انظر مقدمة القرآن - واط صـ ١١٢ .

(٢) مقدمة القرآن - بلاشير صـ ٢٤٩ - ٢٥٠ .

عليه الأمر كان ينظر للأسلوب كمعيار حاسم بالإضافة لبعض المسلمات التاريخية التي أوردها القرآن الكريم نفسه ، ومستعينا بالروايات الحديثة من جهة أخرى ، ومراعيا الحالات النفسية التي نزل فيها النص القرآني .

ومن عيوب طريقة « بلاشير » هذه أنه لم يعتمد في السيرة النبوية إطلاقا سواء التي ألفها المسلمون أو الغربيون[١] .

٩ - محاولة « ريتشارد بل » :

ظهرت محاولته في ترجمته التي نشرت سنة ١٩٣٧ م ، ١٩٣٩ م وكان عمله قائما على الوحدة الأصلية للتنزيل وهي الفقرة القصيرة ، لذا قام بتشريح كل سورة للأجزاء ، التي تتكون منها مراعيا الأسلوب ليستدل منها على التاريخ النسبي للفقرات . حيث اتفق مع « نولديكة » على أن الآيات القصار الحاسمة السجع المدروس عادة تنتمي إلى مرحلة أكبر من المرحلة التي تنتمي إليها الآيات الطويلة الممتدة . والسجع الذي يتكون بطريقة ألية من خلال النهايات النحوية .

وكان عمله هذا أخطر ما قدمه عالم غربي حيث شكك في النص القرآني بصورة لا يرضاها من ينظر في النص القرآني نظرة علمية حيادية مجردة من كل ميل . لذا اعتبر بعض المواطن ناقصة من أجل ذلك أضاف الجمعة لها (تكملات بديلة) أي فقرات لسد النقص وترقيعات واضحة كما هو واضح في آيات البعث[٢] .

ولكن « واط » مع ما وضعه لنفسه من ضوابط إلا أنه عجز في كثير من المواطن عن حل بعض المعضلات[٣] .

وقد اعتمد « واط » في عمله في ترقيم الآيات على ترتيب « فلوجل »

---

(١) مقدمة القرآن - بلاشير صـ ٢٦٤ .
(٢) مقدمة القرآن - واط صـ ١٢٣ .
(٣) مقدمة القرآن - واط صـ ١١٢ - ١١٣ .

المشهور[1] .

التعليق :

هذه تسع محاولات غربية لترتيب القرآن الكريم ترتيبا مخالفا للمصحف العثماني ، معتمدين في ذلك إما على : الروايات التاريخية بأنواعها ما صح منها وما جانب الصحة ، أو على : الاحتمالات العقلية مراعين سياق الآيات وأسلوبها وجرسها ونهاياتها النحوية (الفاصلة القرآنية) .

وقد عرضتها عرضا موجزا ولم أقف عند كل محاولة إلا لماما مكتفيا برد عام عليها .

فهذه المحاولات جهد ضاع دون كثير جدوى ، بل جلها لا تستحق المداد والورق الذي كتبت عليه ، لما فيها من عبث بالقرآن الكريم ينزع عنه حصانته الربانية . ولاصطدامها مع واقع الأحداث ومسلمات العقل ، وصحيح الرواية وقد كان وضعهم القرآن الكريم في مختبراتهم تحت مشرحتهم الخاضعة لعقليتهم الغربية مما أذهب جمال القرآن الكريم من نفوسهم ، لأن الأمر بطريقتهم تعدى ترتيب السور القرآنية إلى تقطيع النصوص القرآنية الموصولة وظهر هذا واضحا في محاولة « هيرشفيلد » ، أو بترقيع بعض النصوص القرآنية بطريقة (التكملات البديلة) بإقحامات مرفوضة كما ظهر ذلك جليا في طريقة « بل » وعقليتهم الغربية أعجز من أن تصل إلى كنه هذا الكتاب الرباني ، والسر في ترتيبه بتناسق عجيب وسلاسة أخاذة ، وفاصلة مرتبطة مع السياق ارتباطا وثيقا .

هذه الأمور هي التي تشعر القارىء المتفحص لهذا الكتاب بالانسجام بالآيات القرآنية ، والترابط المحكم والتناسق الفني بين الآيات والسور بعضها مع بعض .

أما سبب الخطأ الرئيسي عند هؤلاء المستشرقين عدم اعتمادهم في عملهم

---

(١) مقدمة القرآن - واط صـ ١٣١ .

على الصحيح من الحديث النبوي الشريف ، والسيرة النبوية .

ومن اعتمد منهم ذلك مثل « هيوبرت غريم » فإنه أخذ بالصحيح منها والضعيف والموضوع وعجز عن التفريق بين ما صح من الحديث وغيره .

ومن أسباب خطئهم جهلهم بالعربية مما أعجز بعضهم أن يضع بعض الآيات تحت مواضيع معينة كما هو في محاولة « هيرشفيلد » .

ومن الأسباب التي أدت لضعف عملهم كذلك جهلهم بالأهداف التربوية التي من أجلها نزلت الآيات القرآنية .

كما أن من هذه الأسباب اعتمادهم على المرجوح من أقوال العلماء المسلمين وعلى المرفوض عند المحققين منهم .

ولو أن هؤلاء المستشرقين أفادوا مما قرره علماء المسلمين فاعتمدوا على صحيح الروايات ، ودرسوا القضايا القرآنية دارسة موضوعية مراعين في ذلك الأهداف التربوية التي من أجلها نزلت الآيات مع عدم تجزئة النصوص القرآنية لوصلوا إلى نتائج غاية في الدقة والإبداع والروعة[1] .

أما موقف العلماء المسلمين من ترتيب السور القرآنية كما هي عليه في المصحف الحالي فعلى ثلاثة آراء :

الرأي الأول :

وهو أرجحها أن ترتيب السور توقيفي تولاه النبي - ﷺ - كما أخبره به جبريل - عليه السلام - عن رب العزة جل جلاله وهو مذهب جمهور العلماء منهم أبو جعفر النحاس ، والكرماني ، وأبو بكر بن الأنباري ، والطيبي في أحد قوليه .

قال أبو بكر بن الأنباري : [أنزل الله القرآن كله إلى السماء الدنيا ثم

(١) قضايا قرآنية - صـ ١٩١ (بتصرف) .

فرقه في بضع وعشرين سنة ، فكانت السورة تنزل لأمر يحدث ولآية جوابا لمستخبر ، ويوقف جبريل النبي - ﷺ - على موضع الآية والسورة . فاتساق الآيات والحروف كله عن النبي - ﷺ - فمن قدم سورة أو آخرها فقد أفسد نظم القرآن الكريم](١) .

وقال الكرماني في البرهان : [ترتيب السور هكذا هو عند الله في اللوح المحفوظ على هذا الترتيب وكان - ﷺ - يعرض على جبريل كل سنة ما كان يجتمع عنده منه وعرضه عليه في السنة التي توفي فيها مرتين ..](٢) .

وقال الطيبي : [أنزل القرآن أولا جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا ثم نزل مفرقا على حسب المصالح ، ثم أثبت في المصاحف على التأليف والنظم المثبت في اللوح المحفوظ](٣) .

واستدل هؤلاء بأدلة منها :

أ - إجماع الصحابة على ترتيب المصحف الذي كتب في عهد عثمان ولم يخالف في ذلك أحد منهم حتى من كان عنده مصاحف مكتوبة على ترتيب آخر .

ب - مما يدل على التوقيف أن الحواميم رتبت ولاء أي متتابعة وكذلك المفصل في حين المسبحات قد فرقت في القرآن . كما فصل بين طسم الشعراء ، وطسم القصص ، بطس النمل مع أنها أقصر منها . فلو كان الترتيب اجتهاديا لما حصل التفريق بين المتماثلات من هذه السور .

قال أبو جعفر النحاس : المختار أن تأليف السور على هذا الترتيب من رسول الله - ﷺ - لحديث واثلة « أعطيت مكان التوراة السبع الطوال »(٤) .

سئل أصحاب رسول الله - ﷺ - كيف تحزبون القرآن ! قالوا : نحزبه

---

(١) انظر الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ١ / ٦٢ .
(٢) نفس المرجع ١ / ٦٢ .
(٣) نفس المرجع ١ / ٦٢ .
(٤) مسند الإمام أحمد ٤ / ١٠٧ .

ثلاث سور وخمس سور وسبع سور وتسع سور وإحدى عشرة وثلاث عشرة وحزب المفصل من ق حتى نختم[1] .

فهذا يدل على أن ترتيب السور على ما هو عليه في المصحف الحالي كان على عهد رسول الله - ﷺ - .

الرأي الثاني :

إن الترتيب كان باجتهاد من الصحابة - رضوان الله عليهم - وعليه جماعة العلماء . منهم : أبو بكر السيوطي ، والإمام مالك بن أنس ، والقاضي أبو بكر الطيب في أرجح قوليه ، وأبو حسن أحمد بن فارس ، واستدلوا على ذلك بعدة أدلة :

أ - اختلاف ترتيب مصاحف الصحابة قبل الجمع العثماني . فمصحف الإمام علي - رضي الله عنه - كان مرتبا على حسب أسباب النزول .

وترتيب مصحف عبد الله بن مسعود كان مبدوءاً بالبقرة ثم النساء ثم آل عمران ثم الأعراف .. إلخ .

أما ترتيب مصحف أبي فقد كان مبدوءا بالفاتحة ثم بالبقرة ، ثم النساء ثم آل عمران ، ثم الأنعام .. إلخ .

وأجاب أصحاب الرأي الأول عن هذه الآراء بما يلي :

١ - أن مصاحف الصحابة كانت خاصة بهم جمعت إلى جانب القرآن بعض المسائل العلمية ، والتفسيرية ، فهي إلى كتب العلم أقرب من كونها مصاحف .

٢ - يقال : إن اختلافهم كان قبل العلم بالتوقيف ، فلما علموا ذلك رجعوا للترتيب العثماني ، ولم يعترضوا عليه .

---

(١) سنن ابن ماجه ١ / ٤٢٨ حديث رقم ١٣٤٥ كتاب إقامة الصلاة .

ب – وقد حاول الإمام الزركشي ، والإمام مالك ، وأبو جعفر بن الزبير ، أن يجعلوا الخلاف بين الفريقين لفظيا[1] لأن القائل بالترتيب الاجتهادي رمز إليهم ذلك لعلمهم بأسباب نزوله ومواقع كلماته . لذا قال مالك : إنما ألفوا القرآن على ما يسمعونه من النبي – ﷺ – مع قوله بأن ترتيب السور باجتهاد منهم فآل الخلاف إلى أنه هل هو بتوقيف قولي ؟ أو بمجرد إسناد فعلي ؟ بحيث يبقى لهم مجال للنظر وسبقه إلى ذلك أبو جعفر بن الزبير . اهـ .

وقد صرح الإمام ابن تيمية بأن ترتيب السور مفوض إلى اجتهاد الصحابة[2] .

الرأي الثالث :

أن كثيرا من السور القرآنية علم ترتيبها بالتوقيف وبعضها كان ترتيبها باجتهاد من الصحابة وقد حدده بعضهم بسورتي الأنفال والتوبة .

قال ابن عطية : [.. وظاهر الآثار أن السبع الطوال ، والحواميم ، والمفصل كان مرتبا في زمن النبي – ﷺ – وكان في السور مالم يرتب فذلك هو الذي رتب وقت الكتب][3] .

وممن حددهما بالأنفال والتوبة أمثال الإمامين البيهقي والسيوطي ويدل على هذا الحديث الذي رواه أصحاب السنن منهم الإمام أبو داود في سننه » .. قال عثمان : وكانت الأنفال من أول ما أنزل عليه بالمدينة وكانت براءة من أخر ما نزل من القرآن ، وكانت قصتها شبيهة بقصتها فظننت أنها منها ، فمن هناك وضعتها في السبع الطوال ولم أكتب بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم][4] .

---

(١) الإتقان في علوم القرآن ١ / ٦٢ ، والبرهان في علوم القرآن ١ / ٢٥٧ ، والمدخل لدراسة القرآن الكريم صـ ٣٣١ .

(٢) عنوان البيان في علوم القرآن – مخلوف صـ ٧٤ – ٧٥ .

(٣) مقدمتان في علوم القرآن – مقدمة ابن عطية صـ ٢٧٤ – ٢٧٥ .

(٤) سنن أبي داود ١ / ٢٠٩ كتاب الصلاة ، باب من جهر بها .

والذي ينشرح له الصدر ما انشرحت له صدور الجم الغفير من أن ما بين اللوحين الآن موافق لما في اللوح المحفوظ من القرآن الكريم ، وحاشا أن يهمل - ﷺ - أمر القرآن وهو نور نبوته وبرهان شريعته ، فلابد إما من التصريح بمواضع الآيات والسور ، وإما من الرمز إليهم بذلك ، وإجماع الصحابة في المآل على هذا الترتيب وعدولهم عما كان أولا من بعضهم على غيره من الأساليب ، وهم الذين لا تلين قناتهم لباطل ، ولا يصدهم عن اتباع الحق لوم لائم ، ولا قول قائل أقوى دليل على أنهم وجدوا ما أفادهم علما ولم يدع عندهم خيالا ولا وهماً، وخاصة إذا علمنا أن دليل القول الثالث أنه توقيفي سوى الأنفال والتوبة فيه « يزيد الفارسي » وهو مجهول الحال مما دعا الإمام الترمذي وهو أحد رواة الحديث أن يحكم عليه أنه « حسن غريب » لا نعرفه إلا من حديث « عوف عن يزيد الفارسي » مما يضعف هذا الدليل وأنه دليل القول الثاني (أنه باجتهاد الصحابة) مردود من ثلاثة أوجه :

١ - أن المصاحف المذكورة كانت مرتبة قبل العرضة الأخيرة للقرآن الكريم وبعد العرضة الأخيرة التي استقر بها القرآن رتبت المصاحف وفقا لمقتضاها بأمر النبي - ﷺ - وقد عارض جبريل رسول الله - ﷺ - القرآن بعد تمامه على ما هو عليه اليوم في عام وفاته مرتين . فدل أنه كان مرتبا من الفاتحة إلى الناس .

٢ - الأدلة التي ذكرتها عن أهل المعرفة بهذا الشأن والتي تؤيد القول بتوقيف ترتيب سور القرآن الكريم كاملة .

٣ - أن « زيد بن ثابت » الذي أسند إليه الخليفة « عثمان بن عفان » رياسة اللجنة التي تولت كتابة المصاحف كان من كتاب الوحي ، وعلم ترتيب السور من رسول الله - ﷺ - .

ومما يؤيد صحة ما ذهبت إليه إجماع الصحابة - رضوان الله عليهم - على

العمل الذي قام به « زيد بن ثابت » ورفاقه[1] ومن قال من الصحابة أن ترتيب سور القرآن اجتهاديا لم يعبث بترتيب آياته كما فعل المستشرقون . والذي ينظر فيما حاوله المستشرقون . بترتيبهم يجده عبثا في قدسية القرآن الكريم لم يسبقهم له أحد حيث وضعوا لترتيبهم مقاييسهم الغربية وكلها باءت بالفشل حيث لم يستطيعوا توزيع كل سور القرآن ومحتوياتها على منهج كل ترتيب وضعوه . والله خير حافظا لهذا الكتاب العظيم من عبث العابثين ، وحقد الحاقدين ليوم الدين .

---

(١) انظر تاريخ القرآن الكريم ، د / محمد سالم محيسن صـ ٦٤ - ٧٢ وكتاب عنوان البيان في علوم التبيان للشيخ محمد حسنين مخلوف صـ ٧٥ - ٧٦ .

الفصل الخامس

القراءات القرآنية وشبه المستشرقين حولها

المبحث الأول

سبب اختلاف القراءات القرآنية في نظر المستشرقين

أ - شبهات مرجعها الحرية الفردية في القراءاة في نظرهم .
ب - شبهات مرجعها الرسم والكتابة القرآنية .

المبحث الثاني

نولديكة ورسم المصحف

الفصل الخامس

القراءات القرآنية وشبه المستشرقين حولها

المبحث الأول :

سبب اختلاف القراءات القرآنية في نظر المستشرقين :

جاء في الموسوعة البريطانية (إن طبعة القرآن العربية لم تكن كاملة ، وذلك لوجود حروف ساكنة متعددة تثير كثيراً من البلبلة في الفهم ، كما لم يكن هناك طريقة بواسطتها تتبين أن حروف العلة من الممكن أن تميز بين معاني مختلفة ومتأصلة في مجموعة خاصة من الحروف الساكنة .

ولتكون الطبعة صحيحة لابد من حفظها في الصدور دون كتابتها ، إلا أن هذه الطريقة أثارت اختلافا نتيجة لتعدد القراءات ، إلا أنه أخيرا أدخلت تحسينات على الطبعة العربية حيث أدخلت إشارات لتميز الحروف المتشابهة في الشكل ، وحروف العلة الطويلة دلل عليها بالحرف (ألف) بدل (ا) ، و (واو) بدل (يو) و (يا) بدل (ي) كما أن إشارات حروف العلة وضعت فوق أو تحت الحرف حيث أعطت لونا خاصا لا علاقة له بلب القرآن)[1] .

حاول المستشرقون والمبشرون أن ينالوا من القرآن من خلال الطعن في القراءات القرآنية والرسم العثماني . والمؤسف جدا أن هذه الشبهات تلقفها أدعياء البحث العلمي من مستشرقين دافعهم الحقد على الإسلام والطعن فيه كما نرى هنا سير أصحاب الموسوعة البريطانية تبعا لأراء « جولد تسيهر » في القراءات كما وردت في كتابه (مذاهب التفسير الإسلامي) .

---

(١) قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية صـ ٢٢٠ .

قال « جولد تسيهر » في كتابه المذكور : [.. وتجاه هذه القراءات يسود الميل إلى التسامح .. وترجع نشأة قسم كبير من هذه الاختلافات إلى خصوصية الخط العربي الذي يقدم هيكله المرسوم مقادير صوتية مختلفة ، تبعا لاختلاف النقاط الموضوعة فوق هذا الهيكل أو تحته ، وعدد تلك النقاط . بل كذلك في حالة تساوي المقادير الصوتية ، يدعو اختلاف الحركات الذي لا يوجد في الكتابة العربية الأصلية ما يحدد إلى اختلاف مواقع الإعراب للكلمة ، وبهذا إلى اختلاف دلالتها .

وإذا فاختلاف تحلية هيكل الرسم بالنقط ، واختلاف الحركات في المحصول الموحد القالب من الحروف الصامتة ، كانا هما السبب الأول في نشأة حركة اختلاف القراءات في نص لم يكن منقوطاً أصلا ، أو لم تتحر الدقة في نقطة أو تحريكه][1] .

وقد سلك « جولد تسيهر » لهدفه مسالك متعددة :

١ - اعتماده على روايات ضعيفة شاذة لا تصح .

٢ - إرخاء العنان لقلمه وفكره ليستنتج ما شاء ويكتب ما شاء دون نظر إلى الأسس الصحيحة للرواية ، ولا إلى المنهج العلمي في بحثه .

٣ - عدم التمييز بين القراءة الصحيحة وغيرها[2] .

٤ - حاول أن يقرر في كتابه أن اختلاف القراءات يعود لأمرين تقريبا :

أ - الحرية الفردية الفكرية للصحابي جعله يضع ملاحظاته الموضوعية موضع التنفيذ .

ب - خصوصية الخط العربي وخطأ النساخ في كتابة المصحف .

---

(١) مذاهب التفسير الإسلامي صـ ٩٧ .

(٢) وقد رد على جولد تسيهر أكثر من عالم في كتابه القراءات في نظر المستشرقين والملحدين أمثال الشيخ عبد الفتاح القاضي ، والأستاذ شلبي في كتابه رسم المصحف العثماني .

مدخل للرد :

إن الاختلاف في الأحرف السبعة ليس اختلاف تضاد ، فلا يوجد حرف منها يناقض الحرف الآخر . فلا يوجد حرف يثبت عقيدة ، أو تشريعا ، أو مبدأ أخلاقيا ، وحرف آخر ينفيه .

وهذا الاختلاف في القراءات لا يخرج عن ثلاثة أحوال :

أ - أن تختلف القراءتان في اللفظ وتتفقا في المعنى .

ومن هذا النوع ما يرجع الاختلاف فيه للغات .

مثال ذلك : كلمة (الصراط)[1] بالصاد ، أو بالسين[2] .

وكلمة (البخل)[3] بضم الباء وسكون الخاء ، أو بفتحهما[4] .

ب - أن تختلف القراءتان في اللفظ والمعنى معا مع صحة المعنيين جميعا ، ولا يمكن الجمع بينهما ، ولكن ليس بين المعنيين تناقض وتعارض .

ومثال ذلك قوله تعالى : ﴿ **وانظر إلى العظام كيف ننشزها ..** ﴾[5] .

قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو (ننشرها) بالراءِ أي نحييها .

وقرأ الباقون : (ننشزها) بالزاي أي نرفعها ونضم بعضها إلى بعض حتى تلتئم وتجتمع .

والمعنيان مع اختلافهما لا يتناقضان . بل يكمل بعضها بعضا . لأن الله تعالى إذا أراد بعث الخلائق ضم عظامهم بعضها إلى بعض حتى تجتمع ثم يحييها للجزاء .

---

(١) سورة الفاتحة آية (٦) .

(٢) حجة القراءات لابن زنجلة صـ ٨٠ وكلها قراءات سبعية .

(٣) سورة النساء آية : (٣٧) .

(٤) حجة القراءات صـ ٢٠٣ .

(٥) سورة البقرة آية : (٢٥٩) .

قال ابن قتيبة : الإنشار : الإحياء . والإنشاز : التحريك للنقل ، والحياة حركة ، فلا فرق بينهما[1] .

جـ – أن يختلف المعنيان ولكن يمكن الجمع بينهما مثال ذلك : قوله تعالى : ﴿ **ولا يضار كاتب ولا شهيد** ﴾[2] بفتح الراء في (يضار) وبضمها .

(فلا) على قراءة الفتح ناهية جازمة . و (يضار) مجزوم وحرك بالفتح لكونه مضعفا .

و (لا) على قراءة الضم نافية . و (يضار) فعل مضارع مرفوع و (لا) على قراءة تعطي معنى خاصا ، إلا أنه يمكن الجمع بين هذين المعنيين ، إذ المقصود منهما عدم إلحاق الضرر بالكاتب ولا الشهيد والأمثلة كثيرة .

قال ابن قتيبة –رحمه الله – :

(.. الاختلاف نوعان) : اختلاف تغاير ، واختلاف تضاد .

(فاختلاف التضاد) لا يجوز ، وليست واحدة بحمد الله في شيء من القرآن إلا في الأمر والنهي من الناسخ والمنسوخ .

(واختلاف التغاير)[3] جائز .. فاختلاف القراءات إنما هو اختلاف تنوع وتغاير لا اختلاف تعارض وتضارب . فإن هذا لا يتصور أن يكون في كلام العقلاء من البشر فضلا عن أن يكون في كلام رب العالمين وإذا كان الأمر كذلك استحال على النص القرآني أن يعتوره قلق ، أو ينزل بساحته اضطراب[4] .

- وهذه القراءات لم يتسامح بها كما زعم « جولد تسيهر »[5] ولم تكن

---

(١) انظر حجة القراءات صـ ١٤٤ ، وتأويل مشكل القرآن صـ ٤١ .
(٢) سورة البقرة (٢٨٢) .
(٣) تأويل مشكل القرآن صـ ٤٠ .
(٤) القراءات في نظر المستشرقين والملحدين صـ ١٨ .
(٥) مذاهب التفسير الإسلامي صـ ٧ .

عشوائية بل كانت بالتلقي ، وحسب قوانين ثابتة ، وقواعد منضبطة فقد عدها بعض العلماء ثلاث قواعد :

١ - أن تكون القراءة موافقة للعربية ولو بوجه .

٢ - أن تكون موافقة لأحد المصاحف العثمانية ولو احتمالا .

٣ - أن تكون القراءة مع ذلك صحيحة الإسناد[١] .

فمن خرجت من القراءات عن هذه القواعد الثلاث لا تعتبر مقبولة وترد .

أما عدم النقط والشكل فكان مراعيا فيه مصلحة القراءات ، ليحتمل الرسم أكثر من قراءة فتبقى القراءات حسب الرسم الموجود .

أما عمل عثمان - رضي الله عنه - فلم يكن قاصدا منه توحيد النص القرآني كما زعم « جولد تسيهر » خروجا من مشكلة تعدد القراءات[٢] .

بل كان جمعا للناس على حرف واحد مع إبقائه لما تواتر من قراءات فيه بسبب اختلاف الناس في قراءة القرآن ، وتفضيل كل قارئ قراءته على قراءة غيره . حتى بلغ الأمر تكفير الطلبة بعضهم بعضا للمخالفة في القراءة .

ومن هنا يظهر ضعف قول « جولد تسيهر » أن سبب الاختلاف في القراءة يرجع لأمرين :

الأمر الأول :

الحرية الفردية الفكرية لبعض العلماء أو المفسرين .. إلخ بالتصرف في القراءة بالتغيير والتبديل تبعا لبعض الملاحظات الموضوعية .

---

(١) منجد المقرئين ومرشد الطالبين - لابن الجزري دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م صـ ١٥ .

(٢) مذهب التفسير الإسلامي صـ ٥ .

الأمر الثاني :

خصوصية الخط العربي ، أو خطأ النساخ .

أما هذه النقطة فسأرد عليها إن شاء الله في قسم الرسم والكتابة .

والآن ساتناول الرد على النقطة الأولى في سبب الخلاف كما يرى ذلك « جولد تسيهر » وغيره من المستشرقين إجمالا مكتفيا لكل قضية أساسية يثيرونها بمثال أو أكثر . حتى لا يخرج الموضوع عن غايته الأساسية .

المبحث الثاني :

أ - شبهات مرجعها الحرية الفردية في القراءة في نظر « جولد تسيهر » .

الأمر الأول :

أرجع « جولد تسيهر » سبب الخلاف في القراءات القرآنية للحرية الفردية لبعض العلماء والمفسرين وغيرهم تبعا لبعض الملاحظات الموضوعية منها :

المسألة الأولى :

١ - دفع شبهة دينية كتنزيه للذات أو لنبي من الأنبياء أو غيرهم ومثال ذلك :

أ - تنزيها للذات الإلهية فقد غير بعض العلماء القراءة كلمة (شهد) إلى (شهداء) في قوله تعالى : ﴿ **شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم** ﴾[1] .

حيث ذكر « جولد تسيهر » أن بعض العلماء لما رأى أن هذا المعنى غير مقبول حيث فيه شهادة الله لنفسه وذكره مع بعض المخلوقين كالملائكة وأولي العلم

---

(١) سورة آل عمران آية : ١٨ .

على أنهم شاهدون معه غيروا القراءة إلى (شهداءُ الله)[1] خروجا من هذا الإشكال[2] .

الجواب :

١ - أن هذه القراءة التي ذكرها « جولد تسيهر » لم تثبت لذا فهي من القراءات الشاذة .

٢ - ويرد هذا الفهم أيضا قوله تعالى في سورة النساء ﴿ **لكن الله يشهد بما أنزل إليك أنزله بعلمه والملائكة يشهدون** ﴾[3] . لأنه لو صح ما قاله « جولد تسيهر » للزم أن يغير القراءة في هذه الآية الثابتة . لأن الشهادة مشتركة من قبل الله وملائكته لصدق ما نزل على محمد - ﷺ - .

٣ - مناقضة « جولد تسيهر » نفسه حيث قرر هنا أن تغيير القراءة كان لدافع تنزيهي في حين نقض هذا الكلام في صـ (٢٨) حيث قال : [ولما كان الحديث هنا عن الله فقد يمكن أن نرى من هذا أن رعاية اجتناب العبارات التي ربما بدت غير لائقة بمقام الألوهية لم تكن مقصودة دائما في اختلاف القراءات][4] .

ب - تنزيها للرسل - عليهم السلام - ومثاله قوله تعالى : ﴿ **حتى إذا استيئس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجي من نشاء ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين** ﴾[5] .

قال «جولد تسيهر»: [والمعضلة هنا في الكلمات (وظنوا أنهم قد كذبوا)

---

(١) مذاهب التفسير الإسلامي جولد تسيهر صـ ٣٢ - ٣٣ .
(٢) هذه القراءة الشاذة أشار إليها أبو حيان في تفسيره البحر المحيط ٢ / ٤٠٣ . والزمخشري في الكشاف ١ / ٤١٩ .
(٣) سورة النساء آية ١٦٦ .
(٤) مذاهب التفسير الإسلامي صـ ٢٨ .
(٥) سورة يوسف آية : ١١٠ .

بالبناء للمعلوم ، أي صدر عنهم الكذب ، إذ لاشك أن هذه القراءة الأصلية .. بيد أن الأنبياء قد (كذبوا) أي صدر عنهم الكذب أمر لا يستطيع مؤمن صادق الإيمان أن يتحمله ويتقبله .. فقد قرأ بعضهم بدلا من كذبوا بالبناء للمعلوم ، (كذبوا) أو (كذبوا) بالتخفيف والتشديد على البناء للمجهول][1] وقد حاول أن يؤكد كلامه بقصة سعيد بن جبير وسؤال فتى من قريش له حول هذه الآية .

الجواب :

في هذه القراءة أفصح « جولد تسيهر » عن حقيقته العلمية حيث أخذ بالرواية الشاذة (كَذَبوا) بالبناء للمعلوم وقدمها على القراءات الصحيحة المتواترة مما يدل على عدم نزاهته العلمية ، ولا تجرده في البحث العلمي .

والملاحظ أن « جولد تسيهر » ابتدع لنفسه مصطلحا جديدا للقراءات حيث كان يطلق على ما يرجح منها في نظره بالقراءات (الأصلية) والتي لا ترجح (غير أصلية) وهذا المصطلح لم يصدر عن أحد من علماء القراءات وإنما كانوا يطلقون على القراءة التي تثبت بطرق التواتر (قراءة متواترة) ، والتي تنال ذيوعا واستفاضة وقبولا وصحة في السند (قراءة مشهورة) وغيرهما تعتبر (قراءة شاذة) وهذه لا تعتبر قرآنا .

والقراءة المتواترة في هذه القراءة بناؤها للمجهول بالتخفيف والتشديد .

فقد قرأ عاصم وحمزة والكسائي الكوفيون (كذبوا) بالتخفيف أما الباقون فقد قرأوا (كذبوا) بالتشديد .

وهاتان القراءتان مع تواترهما إلا أن « جولد تسيهر » اعتبرهما قراءتين غير أصليتين .

---

(١) مذاهب التفسير الإسلامي صـ ٤١ - ٤٢ .

أما القراءة الثالثة وهي التي رجحها « جولد تسيهر » وأطلق عليها القراءة المتواترة (كذبوا)[1] فهي قراءة شاذة ولا تعد قرآنا ، ويحرم القراءة بها . ولا نوجهها لهذا السبب .

أما توجيه القراءتين المتواترتين :

فقراءة التخفيف (كذبوا) تعني أن المرسل إليهم ظنوا أنهم قد كذبوا فيما أتتهم به الرسل ، فالظن بمعنى الشك أو اليقين .

أما قراءة التشديد (كذبوا) فتعني أن الرسل تلقاهم قومهم بالتكذيب . والظن بمعنى اليقين .

والضمير (هم) في (أنهم) في الأولى تعود على المرسل إليهم وفي الثانية على الرسل[2] .

أما استدلال « جولد تسيهر » لتصويب القراءة الشاذة وترجيحها بقصة مسلم بن يسار مع سعيد بن جبير أنه سأله كيف تقرأ هذا الحرف فإني إذا أتيت عليه تمنيت ألا أقرأ هذه السورة . فلما أجابه فرح وقام وعانقه لأنه كان يظن أن فاعل التكذيب الرسل لا المشركون .

فمسلم بن يسار إذن كان سائلا لسعيد بن جبير[3] عن شبهة علقت في ذهنه لسوء فهمه لهذه الآية الكريمة وهي أن الله أخلف وعده لرسله وذلك بإعادة الضمير في (ظنوا) للرسل . فأجابه مزيلا شبهته أن المرسل إليهم هم الذين ظنوا أن الرسل كذبتهم . ففاعل الظن المشركون لا الرسل فلما زالت الشبهة قام مسلم ابن يسار وعانق سعيد بن جبير فلا دليل إذن « لجولد تسيهر » في هذه القصة ولا حجة لشبهته .

---

(١) نسب هذه القراءة الشاذة أبو حيان في تفسيره ٥ / ٣٥٥ لكل من ابن عباس ومجاهد والضحاك .
(٢) الكشف عن وجوه القراءات ٢ / ١٥ .
(٣) انظر تفسير الطبري ١٣ / ٥٥ .

وتأكد لنا أن القراءات الصحيحة المتواترة تكون معانيها دقيقة وواضحة كل الوضوح ولا تعارض بينها ولكن قد يصعب فهم سرها على أمثال هؤلاء المستشرقين لجهلهم بهذا العلم الدقيق .

جـ - تنزيها لنبي من الأنبياء - عليهم السلام - أو لأبنائهم أو أتباعهم مثالها قوله تعالى : ﴿ **وما كان لنبي أن يغل** ﴾[1] .

قال « جولد تسيهر » : [إن بعضهم شك في أن النبي عمل عملا لم يخل من المؤاخذة تماما في بعض أمور يفسح المجال لأدنى افتراض ينسب إلى الرسول عملا بقراءة الفعل (يُغَل) مبنيا للمجهول ..] .

الجواب :

هاتان القراءتان متواترتان ثبت قراءتهما عن النبي - ﷺ - فقد قرأ بالبناء للمعلوم (يَغُل) ابن كثير وأبو عمرو وعاصم . وقرأ الباقون بالبناء للمجهول (يُغَل) ولفظة (الغل) تفيد الخيانة في خفاء .

قال بعض اللغويين هي مأخوذة من الغلل . وهو الماء الجاري في أصول الشجر والدوح .

قال أبو عمرو : تقول العرب : أغل الرجل يغل إغلالا : إذا خان ولم يؤد الأمانة ومنه قول النمر بن تولب :

جزى الله عني جمرة ابنة نوفل   جزاء مغل بالأمانة كاذب

أو تقول من (الغل) الذي هو الضغن . غل يغل بكسر الغين ويقولون في الغلول من الغنيمة غل يغل بضم الغين . والغلول في الآية في كلا القراءتين لاينسب للرسول - ﷺ - كما ظن ذكر « جولد تسيهر » بل لمن أخذ من الغنيمة من المسلمين خفاء قال ابن عباس وعكرمة وسعيد بن جبير : فُقدت قطيفة حمراء

---

(١) سورة آل عمران : ١٦١ .

من المغانم يوم بدر. فقال بعض مع من كان مع النبي - ﷺ -: لعل رسول الله - ﷺ - أخذها فنزلت .

وروي أن المفقود سيف . وقيل في نزولها غير ذلك .

فمن قرأ (يَغُل) بالبناء للمعلوم فحجته في ذلك ما جاء من هذه الصيغة في التنزيل وبالإسناد للفاعل كقوله تعالى : ﴿ **ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء** ﴾[1] .

وقوله تعالى : ﴿ **وما كان الله ليضل قوما بعد إذ هداهم** ﴾[2] .

فمعنى الآية على هذه القراءة : ما كان لنبي أن يخون أصحابه فيما أفاء الله عليهم وذلك لأن الغلول معصية . والنبي - ﷺ - معصوم من المعاصي فلا يمكن أن يقع في شيء منها .

أما المعنى على القراءة الثانية : يغل بالبناء للمجهول يكون : ما كان لنبي أن يخونه أصحابه في الغنائم يأخذهم منها خفية دون إذنه وقبل القسمة فتكون لنهي الناس عن الغلول في المغانم . وخص النبي - ﷺ - بالذكر وإن كان ذلك حراما مع غيره ؛ لأن المعصية بحضرة النبي أشنع لما يجب من تعظيمه وتوقيره كالمعصية بالمكان الشريف واليوم المعظم .

ومن هنا يظهر صحة هاتين القراءتين وسلامة معناهما على غير ما فهمه « جولد تسيهر » وغيره من المستشرقين .

د - تنزيها لأبناء الرسل أو أتباعهم . قوله تعالى في حق الحواريين : ﴿ **إذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة ..** ﴾[3] .

---

(١) سورة يوسف : ٣٨ .
(٢) سورة التوبة : ١١٥ .
(٣) سورة المائدة : ١١٢ .

قال « جولد تسيهر » : [ومثل هذا السؤال لا يكون صدَر على لسان الحواريين لهذا قرأ بعضهم مع اقتصار للتركيب :

(هل تستطيع ربك) بمعنى هل تستطيع سؤال ربك أي أن تجعله يفعل ذلك بناء على سؤالك إياه][1] .

الجواب :

القراءتان سبعيتان متواترتان .

قرأ الكسائيُ من القراء السبعة (هل تستطيع ربَك) بالتاء خطابا لعيسى ونصب لفظ (ربك) وقد قرأ بها علي ومعاذ بن جبل ، وابن عباس ، وعائشة ، وابن جبير ، وجماعة .

والمعنى : هل تستطيع يا عيسى سؤال ربك أن ينزل علينا مائدة وقرأ الباقون : (هل يستطيعُ ربُك) بياء الغيبة ورفع لفظ (ربك) والمعنى : هل يطيع ربك فيجيب سؤالك بإنزال مائدة من السماء .

وليس سؤال الحواريين لعيسى – عليه السلام – سؤال شك بل سؤال اطمئنان وهذا كما يقول الإنسان لصاحبه : هل تستطيع أن تقوم معي وهو يعلم أنه مستطيع له ولكنه يريد هل يسهل عليك .

أو أن الأمر بغاية الوضوح لا يجوز لعاقل أن يشك فيه فالاستفهام يريد التقرير . فلا شك في الاستطاعة[2] . فهم عالمون باستطاعته علم دلالة وخير ، فأرادوا بسؤاله علم معاينة كذلك كما قال إبراهيم – عليه السلام –: ﴿ **رب أرني كيف تحيي الموتى** ﴾[3] .

---

(١) مذاهب التفسير الإسلامي صـ ٣٦ – ٣٧ .
(٢) انظر تفسير البحر المحيط ٤ / ٥٣ – ٥٤ ، والجامع لأحكام القرآن – للقرطبي ٦ / ٣٦٥ . والكشف عن وجوه القراءات السبع ١ / ٤٢٢ ، وانظر تفسير روح المعاني ٤ / ٥٩ .
(٣) سورة البقرة : ٢٦٠ .

فعلى هذا فالقراءتان متواترتان وواضحتان في معانيهما وليس في أحدهما أي شبهة بنسبة الشك للحواريين–عليهم السلام–[1] على ما زعم «جولد تسيهر».

المسألة الثانية :

٢ – إقحام بعض الزيادات من أجل مذهب فقهي قاصدين بذلك تحديدا أقرب لأمر تشريعي يبدو غامض التعبير في النص المشهور .

أ – مثال ذلك قوله تعالى : ﴿ **فما استمتعتم به منهن فأتوهن أجورهن فريضة** ﴾[2] .

فزاد المجيزون لنكاح المتعة بعد قوله : (منهن) [إلى أجل مسمى] لتصبح القراءة : « فما استمتعتم به منهن [إلى أجل مسمى] فأتوهن أجورهن فريضة » تقوية لتأسيس جواز هذا النوع من عقد النكاح[3] .

الجواب :

هذه القراءة منسوبة إلى أبي وابن مسعود وابن عباس ولكنها قد نسخت ، وهي من آحاد التلاوة لم تبلغ التواتر . فهي إذن من قبيل القراءة التفسيرية .

ودليل نسخ هذه القراءة وتحريم زواج المتعة خلافا للشيعة الإمامية . ما رواه مسلم بسنده عن الربيع بن سبرة الجهني ، أن أباه حدثه أنه كان مع رسول الله – ﷺ – فقال : « يا أيها الناس إني قد كنت أذنت لكم في الاستمتاع من النساء . وإن الله قد حرم ذلك إلى يوم القيامة . فمن كان عنده منهن شيء فليخل سبيله ، ولا تأخذوا مما آتيتموهن شيئا »[4] .

أما من نسب ذلك لابن عباس من إجازته له فذلك لسوء فهمه لفتواه .

---

(١) انظر الجامع لأحكام القرآن ٦ / ٣٥٦ .
(٢) سورة النساء آية (٢٤) .
(٣) مذاهب التفسير الإسلامي صـ ٢٣ .
(٤) صحيح مسلم ٢ / ١٠٢٥ كتاب النكاح – باب نكاح المتعة .

لأنه كان يفتي بجوازه للحاجة والضرورة فقط ولم يبحه مطلقا ، وكان إحلاله له مثل ما أحل الله من الميتة والدم ولحم الخنزير في ساعة الاضطرار ، وكان ذلك منه قبل بلوغه التحريم[1] .

وقد صار تحريمه أشبه بالإجماع إلا عن بعض الشيعة وهم الإمامية حيث أباحوه مخالفين في إباحته جمهور الأمة ومخالفين في ذلك قواعدهم حيث لا يصح في قواعدهم مخالفة علي – رضي الله عنه – وقد صح عنه نسخه وتحريمه لنكاح المتعة .

روى مسلم في صحيحه بسنده إلى علي –رضي الله عنه– أن رسول الله – ﷺ – « نهى عن متعة النساء يوم خيبر ، وعن أكل لحوم الحمر الإنسية »[2] .

والآية على نقيض ما ذكره « جولد تسيهر » نزلت في عقد النكاح الصحيح كما يدل عليه سياقها ، وترتبت عليها أحكام فقهية قررها الفقهاء ، فلا علاقة لها بنكاح المتعة المحرم[3] .

ب – والمثال الثاني : قوله تعالى في كفارة حنث يمين اللغو : ﴿ **إطعام عشرة مساكين .. أو كسوتهم أو تحرير رقبة فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام** ﴾[4] .

زعم « جولد تسيهر » أن الأحناف أقحموا في النص كلمة (متتابعات) لتأييد رأيهم الفقهي القائل باشتراط التتابع في صيام الكفارة[5] ثم نسب « جولد تسيهر » هذه القراءة لأبي وابن مسعود – رضي الله عنهما – .

---

(١) انظر فقه السنة – السيد سابق ٢ / ٤٢ .
(٢) صحيح مسلم ٢ / ١٠٢٧ كتاب النكاح – باب نكاح المتعة .
(٣) حاشية مذاهب التفسير الإسلامي صـ ٢٣ بقلم الدكتور عبد الحليم النجار .
(٤) سورة المائدة آية : (٨٩) .
(٥) مذاهب التفسير الإسلامي صـ ٢٦ .

الجواب :

هذا من غرائب آراء « جولد تسيهر » حيث نص أن هذه الزيادة مما أقحمه الأحناف لتأييد رأيهم الفقهي ، ولبيان ضعف وجهة نظر من تساهل من أصحاب المدارس الأخرى . والمعروف أن هذه القراءة كانت قبل وجود المدارس الفقهية سواء الحنفية أو غيرها .

ومما يؤكد سبقها للمدارس ما ذكره « جولد تسيهر » نفسه أنها قراءة أبي وابن مسعود – رضي الله عنهما – .

ولكن نقول إذا كان سند هذه القراءة صحيحا فتكون مما استأنس به الأحناف لدعم رأيهم الفقهي لاهم اخترعوها كما زعم « جولد تسيهر » وهذه القراءة لم تصل حد التواتر بل هي تمثل رأي عبد الله بن مسعود الذي بنى الأحناف مدرستهم على أسسه في الأحكام الفقهية .

أما إذا لم يصح سند هذه الرواية لابن مسعود فقد كفينا الرد عليها إلا أن يوجه ذلك بما ذكرنا من أن زياداته كانت تفسيرا لا قرآنا[1] .

كل هذا يبطل ظنون وتخيلات « جولد تسيهر » .

المسألة الثالثة :

٣ – تغيير بعض القراءات مراعاة لبعض القواعد النحوية .

ومثال ذلك قوله تعالى : ﴿ **وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم** ﴾[2] حيث ضعف « جولد تسيهر » قراءة ابن عامر (زين) مؤيدا قوله بما نقل عن الزمخشري وغيره بتضعيف هذه القراءة للفصل بين المصدر وفاعله المضاف إليه بالمفعول ؛ للتشتيت في التركيب . ناسبا الجهل

---

(١) حاشية مذاهب التفسير الإسلامي صـ ٢٦ .
(٢) سورة الأنعام : ١٣٧ .

للزمخشري في معرفة أن هذه القراءة متواترة قرأها النبي - ﷺ - على جبريل - عليه السلام - .

الجواب :

هاتان القراءاتان متواترتان ، صح قراءة رسول الله - ﷺ - لهما على جبريل -عليه السلام- كما صح تلقي الصحابة - رضوان الله عليهم - لهما عنه - ﷺ - فقراءة الجمهور : أهل الحرمين وأهل الكوفة وأهل البصرة (زين) بفتح الزاي والياء .

ولم يخالف قراءة الجمهور إلا ابن عامر الذي قرأ (زين) بضم الزاي وكسر الياء . وقراءة ابن عامر على ما لم يسم فاعله (قتل) بالرفع على أنه مفعول لزين (أولادهم) بالنصب أعمل فيه القتل ، (شركائهم) بالخفض على إضافة القتل إليهم لأنهم الفاعلون ، فأضاف الفعل إلى فاعله على ما يجب في الأصل لكنه فرق بين المضاف والمضاف إليه فقدم المفعول وتركه منصوبا على حاله ، إذ كان متأخراً في المعنى ، وأخر المضاف وتركه مخفوضا على حاله إذ كان متقدما بعد القتل .

وقد نسب بعضهم الضعف لهذه القراءة بسبب التفريق بين المضاف والمضاف إليه . ولكنهم جوزوه في الشعر فقط ، وعدوا إجازته في القرآن بعيدا .

وقد نقل الإمام « ابن الجزري » رأي جمهور نحاة البصرة في ذلك على أن التفريق بين المضاف والمضاف إليه لا يجوز إلا في ضرورة الشعر .

أما أهل الكوفة فيجوزون التفريق بين المضاف والمضاف إليه على الإطلاق . وقد ذكروا أن الفصل بينهما فقاعدة صحيحة ، ولكنها قليلة الاستعمال وعليها شواهد عدة[1] .

---

(١) خزانة الأدب - للبغدادي ٢ / ٢٥١ فما بعدها وانظر حاشية حجة القراءات صـ ٢٧٣ ، بقلم سعيد الأفغاني .

فمن هذه القاعدة تكلم الزمخشري في هذه القراءة . والذي حمله على ذلك كما قال « ابن الجزري » إنه رأى في بعض المصاحف (شركائهم) مكتوبا بالياء . ولو قرأ بجر (الأولاد والشركاء) لكان الشركاء هم المؤودون لأنهم شركاء في النسب والمواريث أو لأنهم قسيموا أنفسهم وأبعاض منها وجد في ذلك مندوحة .

وعلق ابن الجزري على قول الزمخشري قائلا : « والحق في غير ما قاله الزمخشري . ونعوذ بالله من قراءة القرآن بالرأي والتشهي وهل يحل لمسلم القراءة بما يجد في الكتابة من غير نقل ؟! بل الصواب جواز مثل هذا الفصل بين المصدر وفاعله والمضاف إليه بالمفعول في الفصيح الشائع لذاته اختيارا ، ولا يختص ذلك بضرورة الشعر . ويكفي على ذلك دليلا هذه القراءة الصحيحة المشهورة التي بلغت التواتر . كيف وقارئها ابن عامر من كبار التابعين الذين أخذوا القراءة عن الصحابة كعثمان بن عفان وأبي الدرداء – رضي الله عنهما – وهو مع ذلك عربي صريح من صميم العرب ، فكلامه حجة ، وقوله دليل لأنه كان قبل أن يوجد اللحن ويتكلم به ، فكيف وقد قرأ بما تلقى وتلقن وروى وسمع ورأى إذ كانت كذلك في المصحف العثماني المجمع على اتباعه . وقارئها لم يكن خاملا ولا غير متبع ولا في طرف من الأطراف ليس عنده من ينكر عليه إذا خرج عن الصواب فقد كان في دمشق التي هي إذ ذاك دار الخلافة وفيها الملك والمأتي إليها والناس يقصدونها من كل أقطار الأرض في زمن خليفة هو أعدل الخلفاء وأفضلهم بعد الصحابة الإمام « عمر بن عبد العزيز » – رضي الله عنه – أحد المجتهدين المتبعين الأتقياء العدول .

وهذا الإمام القارىء أعني ابن عامر مقلدا في هذا الزمن الصالح قضاء دمشق ومشيختها وإمامة جامعها الأعظم الجامع الأموي . ولقد بلغنا عن هذا الإمام أنه كان يجلس في حلقته أربعمائة عريف يقومون عنه بالقراءة و لم يبلغنا عن أحد من السلف – رضي الله عنهم – على اختلاف مذاهبهم وتباين لغاتهم وشدة ورعهم أنه أنكر على ابن عامر شيئا من قراءته ولا طعن فيها ولا أشار إليها بضعف ، ولقد كان الناس بدمشق وسائر بلاد الشام حتى الجزيرة الفراتية

وأعمالها لا يأخذون إلا بقراءة ابن عامر ولا زال الأمر كذلك إلى صدر الخمسمائة من الهجرة .

وأول من نعلمه أنكر هذه القراءة وغيرها من القراءات الصحيحة وركب هذا المحذور « ابن جرير الطبري » بعد الثلاثمائة ، وقد عد ذلك من سقطات ابن جرير ، حتى قال « السخاوي » : « قال لي شيخنا أبو القاسم الشاطبي : إياك وطعن ابن جرير على ابن عامر » .

ولله در إمام النحاة أبي عبد الله بن مالك – رحمه الله – حيث قال في كافيته الشافية :

وحجتي قراءة ابن عامر فكم لها من عاضد وناصر

وهذا الفصل الذي ورد في هذه القراءة منقول من كلام العرب ، من فصيح كلامهم جيد من جهة المعنى أيضا ، فقد ورد في أشعارهم كثيرا حيث أنشد من ذلك سيبويه والأخفش وأبو عبيد وثعلب وغيرهم ما لا ينكر مما يخرج به كتابنا عن المقصود . وقد صح من كلام رسول الله – ﷺ – « فهل أنتم تاركوا لي صاحبي » ففصل بالجار والمجرور بين اسم الفاعل ومفعوله مع ما فيه من الضمير المعنوي ففصل المصدر بخلوه من الضمير أولى بالجواز .

وقرىء : ﴿ فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله ﴾[1] .

وأما قوته من جهة المعنى فقد ذكر « ابن مالك » ذلك في ثلاثة أوجه :

أحدها : كون الفاصل فضلة فإنه لذلك صالح لعدم الاعتداد به .

الثاني : أنه غير أجنبي معنى لأنه معمول للمضاف هو والمصدر .

الثالث : أن الفاصل مقدر التأخير لأن المضاف إليه مقدم التقديم . لأنه فاعل في المعنى ، حتى إن العرب لو لم تستعمل مثل هذا الفصل

(١) سورة إبراهيم آية : ٤٧ .

لاقتضى القياس استعماله ؛ لأنهم قد فصلوا في الشعر بالأجنبي كثيرا فاستحق الفصل بغير أجنبي أن يكون له مزية فيحكم بجوازه مطلقا . وإذا كانوا قد فصلوا بين المضافين بالجملة في قول بعض العرب « هو غلام – إن شاء الله – أخيك ، فالفصل بالمفرد أسهل .. » .

أما قراءة الجمهور : (زين) بفتح الزاي والياء على ما يسمى فاعله ، ونصبوا (قتل) بـ(زين) وخفضوا (الأولاد) لإضافة (قتل) إليهم ، حيث أضافوه للمفعول . ورفعوا (شركاؤهم) بفعلهم التزيين فهو الأصل ، والمصدر يضاف إلى المفعول به أو إلى الفاعل ، لأنه هو أحدثه ولأنه لا يستغنى عنه ، ويستغني عن المفعول ، وإنما جاز أن يضاف إلى المفعول كما جاز أن يقوم المفعول مقام الفاعل . ولا يحسن أن يرتفع (الشركاء) بالقتل لأن فعل (زين) يبقى بغير فاعل . و (الشركاء) ليسوا قاتلين إنما هم مزينون ، والقاتلون هم المشركون حيث زين لهم شركاؤهم قتل أولادهم[1] .

فعلى هذا يظهر لنا صحة القراءتين : أما طعن « جولد تسيهر » بالقراءة السبعية ومن قبله « الزمخشري » ليس بحجة على ثبوت قراءة صحيحة أو عدم ثبوتها فالقراءة عندنا سنة متبعة إن ثبتت لا حجة لأحد لإبطالها عقلا أو لغة أو غير ذلك فالقراءة الصحيحة حجة على اللغة وغيرها لا العكس .

المسألة الرابعة :

٤ – التناقض في القراءة لتحقيق إحدى العلاقات التاريخية :

استشهد « جولد تسيهر » لهذه القاعدة بقوله تعالى في سورة الروم : ﴿ **غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون** ﴾ حيث قال : [وقد يحدث أن يستبعد المعنى المفهوم من النص المشهور تماما ، ويوضع مكانه ما هو نقيضه . ويقدم مطلع سورة الروم ذكرا لإحدى العلاقات التاريخية

(١) النشر في القراءات العشر – لابن الجزري ٢ / ٢٦٣ – ٢٦٥ .

المعاصرة .. ثم قال : ونرى أن في القراءة المشهورة والقراءة المخالفة لها تأويلين متغايرين تغايرا بعيدا . فالمنتصرون في القراءة المشهورة هم المنهزمون في القراءة المخالفة . والفعل المبني للفاعل في الأولى مبني للمفعول في الثانية ، وإذا فهما قراءاتان وتأويلان لجملة واحدة من كلام الله متعارضان إلى أبعد مدى ..] .

الجواب :

هذه الآية فيها قراءتان :

الأولى : « غُلِبت .. سيَغْلِبون » وهذه القراءة متواترة .

أما القراءة الثانية « غَلَبت .. سيُغلبون » فهي قراءة شاذة وهذه القراءة منسوبة للإمام علي بن أبي طالب وأبي سعيد الخدري – رضي الله عنهما – .

فمعنى القراءة المتواترة أن الروم الذين هزمهم الفرس موعودون بالنصر في مرة أخرى على أعدائهم .

أما معنى القراءة الشاذة : أن الروم الذين انتصروا على بعض القبائل العربية على الحدود السورية ، سيهزمهم المسلمون في بضع سنين . فالمعنى في كلا القراءتين واضح لا لبس فيه ولا تناقض بينهما كما فهم « جولد تسيهر » .

أما الصواب فهو القراءة المتواترة والذي يؤيدها سبب نزولها الذي رواه الإمام الواحدي في كتاب (أسباب النزول) عن ابن أبي حاتم عن ابن شهاب قال: بلغنا أن المشركين كانوا يجادلون المسلمين وهم بمكة قبل أن يخرج رسول الله– ﷺ – فيقولون : الروم يشهدون أنهم أهل كتاب وقد غلبهم المجوس وأنتم تزعمون أنكم ستغلبوننا بالكتاب الذي أنزل على نبيكم . فكيف غلب المجوس وهم ليسوا أهل كتاب فسنغلبكم كما غلب فارس الروم فأنزل الله ﴿ **الم غلبت الروم ..** ﴾[1][2] .

---

(١) سورة الروم : ١ – ٣ .

(٢) أسباب النزول ، الواحدي ٢ / ٣٥ .

والإخبار في الآية على سبيل القطع واليقين وإخبار الواثق لأنه وحي إلهي كريم يعكس ما ظنه « جولد تسيهر » أنه رجاء وأمل أن يتم ذلك ؛ لذا حدد الفترة التي سيتم فيها النصر - في بضع سنين - وعدم تحديد سنة بعينها مع علمه بذلك لأن الناس منهم من يحسب بالشمس ، ومنهم من يحسب بالقمر ، ومنهم من يكمل الكسور ، ومنهم من يلغيها ، فكان مقتضى الحكمة التعبير باللفظ الصادق على كل تقدير . ليكون أقطع للشبهة وأبعد عن كل جدل ومكابرة .

فحينئذ تكون الآية من الإخبار بالمستقبل المغيب الخاص علمه بالله تعالى ، وتكون من البراهين الدالة على صدق نبوة سيدنا محمد - ﷺ - وصدق المنزل عليه[1] .

بعث كسرى جيشا إلى الروم واستعمل عليهم رجلاً يسمى (شهريراز) فسار إلى الروم ، بأهل فارس فظهر عليهم فقتلهم ، وخرب مدائنهم ، وقطع زيتونهم ، وقد كان قيصر بعث رجلا يدعى « يحنس » فالتقى مع « شهريراز » بأذرعات وبصرى ، وهي أدنى الشام إلى أرض العرب ، فغلب فارس الروم ، وبلغ ذلك النبي - ﷺ - وأصحابه بمكة ، فشق ذلك عليهم ، وكان النبي - ﷺ - يكره أن يظهر الأميون من المجوس على أهل الكتاب من الروم ، وفرح كفار مكة وشمتوا ، فلقوا أصحاب النبي - ﷺ - فقالوا : إنكم أهل الكتاب ، والنصارى أهل كتاب ، ونحن أميون ، وقد ظهر إخواننا من أهل فارس على إخوانكم من الروم وإنكم إن قاتلتمونا لنظهرن عليكم ، فأنزل الله تعالى : ﴿ **ألم . غلبت الروم في أدنى الأرض** ﴾ إلى آخر الآيات . فخرج أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - إلى الكفار فقال : أفرحتم بظهور إخوانكم على إخواننا فلا تفرحوا ولا يقرن الله أعينكم فوالله ليظهرن الروم على فارس أخبرنا بذلك نبينا - ﷺ - فقام إليه أبي بن خلف ، فقال : كذبت يا أبا فضيل ، فقال أبو بكر - رضي الله عنه - : أنت أكذب ياعدو الله أناحيك عشر قلائص مني وعشر

---

(١) القراءات في نظر المستشرقين والملحدين صـ ١١٣ - ١١٧ .

قلائص منك فإن ظهرت الروم على فارس غرمت وإن ظهرت فارس على الروم غرمت إلى ثلاث سنين ثم جاء أبو بكر إلى النبي - ﷺ - فأخبره . فقال : ما هكذا ذكرت إنما البضع ما بين الثلاث إلى التسع فزايده في الخطر وماده في الأجل فخرج أبو بكر فلقي أبيا فقال : لعلك ندمت فقال : لا فقال : أزايدك في الخطر وأمادك في الأجل ، فاجعلها مائة قلوص إلى تسع سنين قال : قد فعلت . فأظهر الله الروم على فارس عند رأس البضع سنين وهذا كان من قمارهم الأول .. » .

بهذا التوضيح يظهر بطلان زعم « جولد تسيهر » أن القرآن الكريم فيه تناقض وتعارض مراعاة لإحدى العلاقات التاريخية .

المسألة الخامسة :

٥ - زيادات دخلت القراءات كتكملات مفسرة دفعا للاضطراب ، أو لإزالة غامض ، أو لإزالة شبهة دينية ، أو تحديد مسألة فقهية .. إلخ . وقد جعل عمدة هذه الزيادات الصحابيان الجليلان عبد الله بن مسعود ، وأبي بن كعب - رضي الله عنهما - وقد ذكرت بعض هذه الزيادات في النقطة الأولى والثانية وقد علق « جولد تسيهر » على هذه المسألة قائلا : [وليس بواضح حقا ما قصد من هذه الزيادات : هل قصد أصحابها من ذلك إلى تصحيح حقيقي للنص ، أو إلى إضافة تعليقات موضحة فقط لا تغير النص في شيء .. بل موضحة لنص الوحي][(١)] .

الجواب :

إن مكانة هذين الصحابيين تمنع جهلهما بشيء من هذه القراءات وخاصة أنهما ممن تلقيا من رسول الله - ﷺ - القراءة وحث الرسول - ﷺ - الناس بتلقي القرآن عنهما قال - ﷺ - : « تعلموا القرآن من أربعة : عبد الله بن

(١) مذاهب التفسير الإسلامي صـ ١٦ وما بعدها .

مسعود ، وسالم مولى أبي حذيفة ، وأبي بن كعب ، ومعاذ بن جبل »[(١)] .

فمكانتهما العلمية ، وشهادة رسول الله - ﷺ - تنزههما عن تغيير نص قرآني ، وما كان منهما أنهما كانا كبقية الصحابة - رضوان الله عليهم - يحتفظون بنسخ خاصة بهم فيها القرآن المتواتر ، والآحادي ، والزيادة التفسيرية الموضحة للنص ، وهذه الزيادة في القراءة أشبه ما تكون بالمدرج في الحديث .

ومن هذه الأمثلة التي ذكرها « جولد تسيهر » كالقراءة التي نسبها لابن مسعود - رضي الله عنه - في قوله تعالى : ﴿ **وامرأته قائمة** ﴾[(٢)] [وهو قاعد][(٣)] .

وهذه وأمثالها من باب الزيادة التفسيرية ، وهو مفهوم من النص ضمنا وهو ليس قرآنا بل من آحادي التلاوة .

فهذه الأمثلة لا تصلح حجة لـ« جولد تسيهر » وغيره من المستشرقين لاتهام الصحابة - رضوان الله عليهم - بتغيير النص القرآني تشهيا ، أو لحريتهم الفكرية أو لجرأتهم المعهودة .

وإنما الأمر مرده لتلقي الصحابة القراءة عن رسول الله - ﷺ - والزيادات منهم كانت كناحية تفسيرية ، أو ضبطا لحكم فقهي ، أو مسألة علمية جعلوا كل هذا نصا قرآنيا جديدا تلاعبت أيدي الصحابة بالنص الأصلي حتى صار هكذا .

---

(١) خرجه الإمام البخاري في صحيحه جـ ٤ / ٢٨٨ باب مناقب الأنصار ، مناقب أبي بن كعب ١٦ بلفظ (خذوا القرآن من أربعة : من عبد الله بن مسعود ، فبدأ به وسالم مولى أبي حذيفة ومعاذ ابن جبل ، وأبي بن كعب) .
(٢) سورة هود : (٧١) .
(٣) مذاهب التفسير الإسلامي صـ ٢٢ .

المسألة السادسة :

٦ – تغيير في القراءة قصد منها حسم قضية جاءت في النص القرآني غير حاسمة ومثال ذلك قوله تعالى : ﴿ **اتقوا الله وكونوا مع الصادقين** ﴾[(١)] حيث غير الصحابي الجليل منطوق النص بتغيير « مع » إلى « من »[(٢)] .

الجواب :

القراءة المتواترة جاءت بـ « مع » أما القراءة الثانية بـ « من » فهي قراءة شاذة ، وهي منسوبة لابن عباس وابن مسعود – رضي الله عنهما –[(٣)] .

فمعنى القراءة المتواترة : اتقوا الله في الدنيا بامتثال أوامره واجتناب نواهيه ، وكونوا مع الصادقين في نواياهم ، المخلصين في أعمالهم لربهم سبحانه لتكونوا مع الصادقين في الجنة .

أما القراءة الثانية فمعناها كونوا مع الصادقين في حديثكم كما كان يتأولها هذان الصحابيان .

و « من » أعم من « مع » فعبر بـ« مع » ليظهر فضيلة الصدق ، ومن كان من قوم فهو معهم في المعنى المأمور به ولا ينعكس ذلك . فالإنسان إذا اجتهد بأخلاق الصادقين يصبح الإنسان من الصادقين ثم يصبح مع الصادقين . فهذه القراءة إذن قراءة آحاد لم تثبت قرآنيتها فهي شاذة ولكنها تفسد معنى تفسيريا لا غير . والمرجع في القراءات كلها النقل والرواية لا أشخاص من قالها .

المسألة السابعة :

٧ – تغيير القراءة بلفظ مرادف يحمل نفس المعنى للفظ صحيح .

---

(١) سورة التوبة : (١١٩) .
(٢) مذاهب التفسير الإسلامي صـ ٤٥ .
(٣) انظر تفسير البحر المحيط جـ٥ / ١١١ .

وقد نقل « جولد تسيهر » لهذا مثالا وهو قوله تعالى : ﴿ **نفس عن نفس** ﴾[1] حيث قرأ أبو السرار[2] الغنوي « نسمة عن نسمة »[3] .

الجواب :

هذه القراءة من شواذ القراءات ، لم تثبت قرآنيتها . وقارئها أبو السرار الغنوي من الذين لا يؤخذ لهم في القرآن برأي ولا يُعد قولهم فقها .

المسألة الثامنة :

٨ - تغير بعض القراءات أدى التغيير لمسخ القراءة .

واستشهد « جولد تسيهر » لذلك بقوله تعالى : « يطاف عليهم بكأس من معين . صفراء لذة للشاربين »[4] .

حيث قرأ ابن مسعود بدلا من « بيضاء » « صفراء » واعتبر « جولد تسيهر » هذا التغيير مسخا للقراءة[5] .

الجواب :

ذكر هذه القراءة الشاذة الآلوسي في تفسيره[6] ونسبها لعبد الله بن مسعود . ولكن الأمر ليس كما تصور « جولد تسيهر » أن قراءة عبد الله مسخت القراءة الأصلية . بل إن قراءة الجمهور « بيضاء » جاءت وصفا إما للكأس الذي يصب فيه خمر الجنة . أو وصف لخمر الجنة قبل عصرها ووصفها بالبياض جاء

---

(١) سورة البقرة : (٤٨) .

(٢) أبو السرار الغنوي : قال عنه الدكتور عبد الحليم النجار كان أبو السرار الغنوي كرؤبة وغيره من أجلاف العرب ومتأخريهم الذين لا يؤخذ لهم في القرآن برأي ولا يعد قولهم فقها . انظر حاشية مذاهب التفسير الإسلامي صـ ٢٧ بقلم الدكتور عبد الحليم النجار .

(٣) مذاهب التفسير الإسلامي صـ ٢٦ - ٢٧ .

(٤) سورة الصافات آية : (٤٥ - ٤٦) .

(٥) مذاهب التفسير الإسلامي صـ ٢٩ .

(٦) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم ١٢ / ٨٧ .

على لسان الحسن – رضي الله عنه – « إن خمر الجنة أشد بياضا من اللبن » .

أما قراءة عبد الله « صفراء » فهي وصف لخمر الدنيا بعد المزج وإلا فهي قبله حمراء .

وجاء وصفها بالصفار بقول أبي نواس :

صفراء لا تنزل الأحزان ساحتها   لو مسها حجرُ مسته سراءُ

وجاء وصفها قبل المزج « بالحمار » بقول الشاعر :

وحمراء قبل المزج صفراء بعده   آتت في ثيابي نرجس وشقائق
حكت وجنة المحبوب صرفا فسلطوا   عليها مزاجا فاكتست لون عاشق[1]

فمن هنا يظهر أن الوصفين جاءا للخمر أحدهما قبل مزجها والآخر بعده فقراءة الجمهور « بيضاء » جاءت لأحدهما ، والوصف الثاني « صفراء » جاء للوصف الثاني منهما .

فلا مسخ للقراءة . والذي يؤخذ به من القراءتين قراءة الجمهور وهي السبعية المتواترة . ولأن القراءة تؤخذ بالرواية لا بالاجتهاد .

أما قراءة ابن مسعود فهي لم تثبت فهي تعتبر آحادية التلاوة « تفسيرية للنص » فلا تعد قرآنا .

بهذا الرد يظهر لنا جليا سوء نوايا « جولد تسيهر » في أقواله في القراءات ، كما يظهر انجرار أصحاب الموسوعة البريطانية خلفه حيث تبنوا أقواله في هذا الأمر الخطير .

والأمر الذي ناقشته كون الاختلاف في القراءات ناتج عن اجتهاد من الصحابة لجرأتهم وحريتهم الفكرية في الخروج عن النص فوضحت أن القراءة « سنة متبعة » لا يجوز فيها الاجتهاد والتشهي وإنما مدارها على النقل والرواية الصحيحة .

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ١٥ / ٧٨ ، وروح المعاني ١٢ / ٨٧ .

كما وضحت أن القراءات الصحيحة لا يكون بينها أي تناقض أو تدافع يحيل المعنى ويرده .

وقد تبين أن أقوال « جولد تسيهر » كانت إما لجهل أو تجن لتحقيق غرض في نفسه .

وقد جعلت ردي عليه مجملا موزعا أقواله لقضايا عامة وزع عليها القراءات القرآنية مكتفيا بمثال أو أكثر لإبطال هذه القواعد التي انطلق منها للتشكيك في قراءات القرآن الكريم وبقية الأمثلة متشابهة وموزعة تحت هذه القواعد لا تخرج عنها .

وقد أكثر « جولد تسيهر » من ضرب الأمثلة بالقراءات الشاذة ، كما أورد بعض القراءات المتواترة إلا أنه صرفها عن المعنى المتبادر الصحيح إلى بعض الوجوه البعيدة في دلالتها وفي النماذج التي أوردتها غناء عن تتبع كل ما أورده .

ولله الحمد والمنة ..

المسألة التاسعة :

موقف المستشرقين من القراءة بالمعنى .

زعم « بلاشير » و « جولد تسيهر » وغيرهما على جواز قراءة القرآن بالمعنى ، وأنه لا يهم مطابقته لحرفية اللفظ .

واستدل « جولد تسيهر » على زعمه بما نسبه لعثمان – رضي الله عنه – من قراءة آية آل عمران « ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر[1] * ويستعينون الله على ما أصابهم » وبما نسبه لابن مسعود بقراءته « اهدنا الصراط المستقيم»[2] «ارشدنا الصراط المستقيم» مغيرا

(١) سورة آل عمران : ١٠٤ .

(٢) سورة الفاتحة : ٦ .

الكلمة بمرادفها ، واستدل بقول ابن مسعود - رضي الله عنه - كذلك : لقد سمعت القراء ووجدت أنهم متقاربون فاقرؤا كما علمتم فهو كقولكم : هلم وتعال .

ونسب لعبد الله بن المبارك أنه كان لا يرد على أحد حرفا إذا قرأ مخالفا للقراءة المشهورة .

واستدل « جولد تسيهر » بتعدد القراءات على حرية القراءة للنص بالمعنى ممثلا على ذلك بقوله تعالى : ﴿ **لقد جاءكم رسول من أنفسكم** ﴾[1] بضم الفاء وفتحها . وقد علق على فرية القراءة بالمعنى « بلاشير » قائلا : [خلال الفترة التي تبدأ من مبايعة « علي » - رضي الله عنه - عام ٣٥ هـ حتى مبايعة الخليفة الأموي الخامس « عبد الملك » عام ٦٥ هـ كانت جميع الاتجاهات تتواجه ، فالمصحف العثماني قد نشر نفوذه في كل البلاد إذ كان مؤيدا بنفوذ من شاركوا في عمله ..

فبالنسبة إلى بعض المؤمنين لم يكن نص القرآن بحرفه هو المهم وإنما روحه . وهذه النظرية (القراءة بالمعنى) تعد من أخطر النظريات لأنها تكل تحديد النص إلى هوى كل إنسان وفهمه][2] .

ومن المؤسف أن الدكتور « مصطفى مندور » قد انساق لهذا الرأي فخصص له فصلا في رسالته العلمية المقدمة لكلية الآداب - باريس بعنوان « الشواذ » حيث قال : [هنالك على الأخص نقطة وقع عليها اتفاق كثيرين هي أن القرآن ربما قرىء بأوجه كثيرة ، ولكن الأساس هو أن يُحتَرم المعنى ..] .

وقد استدل بقول عمر بن الخطاب « والقرآن كله صواب ما لم تجعل مغفرة عذابا ، أو عذابا مغفرة » وبقول ابن مسعود القريب منه : « لقد سمعت القراء ووجدت أنهم متقاربون فاقرؤا كما علمتم فهو كقولكم هلم وتعال » .

---

(١) سورة التوبة : ١٢٨ .

(٢) تاريخ القرآن - عبد الصبور شاهين صـ ٨٤ ، ٨٥ .

ثم استدل بقصة كاتب الوحي عبد الله بن أبي السرح واستدل بعدها بقصص وأخبار استقاها من (كتاب الأغاني) كلها من باب النوادر .

واستدل ببعض القراءات التي مرجعها الاختلاف اللهجي الناتج عن الرسم العثماني[1] .

الجواب :

تخيل كثير من المستشرقين أن للصحابة والتابعين القدرة على التدخل في النص القرآني ، من أن يجعلوه أكثر وضوحا ، أو من أجل أن يقيموا خطأه في الشكل أو الصيغة ، أو من أجل أن يضمنوه بعض الاتجاهات العقائدية أو اللاهوتية . على حد تعبير المستشرقين بزعمهم .

فالباعث لهم في عملهم هذا في نظر هؤلاء المستشرقين غموض النص أو استعماله غير الأفصح في الشكل أو الصيغة ، أو استغلال القرآن لمصالحهم وأهدافهم الدينية . وهذا كله يدل على جهل هؤلاء المستشرقين بحقيقة القراءات القرآنية . لأنهم كانوا يستشهدون بالروايات الشاذة أحيانا وأحيانا يستشهدون بما صح منها ولكنها لم تصل إلى حد التواتر ، أو يستشهدون بما تواتر منها ولكنهم يحملون المعنى على غير ما تحتمله القراءة . وخير دليل على ما أقول ما استشهد به المتبنون لهذه الفرية من أدلة ، كآية سورة آل عمران السابقة الذكر « ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر[2] * ويستعينون الله على ما أصابهم » المنسوبة لعثمان - رضي الله عنه - وهذه القراءة هي قراءة آحاد لا يعتد بها ولا تعتبر قرآنا لعدم استيفائها شرط التواتر ويؤكد ردها إحراق عثمان - رضي الله عنه - المنسوبة له هذه القراءة لكل مصحف احتوى أمثال هذه القراءات .

---

(١) نفس المرجع صـ ٩٣ - ٩٤ .

(٢) سورة آل عمران : ١٠٤ .

قال « أبو حيان » معلقا على هذه القراءة : « ولم تثبت هذه الزيادة في سواد المصحف فلا تكون قرآنا وفيها إشارة إلى ما يصيب الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر من الأذى كما قال تعالى : ﴿ **وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك** ﴾[1] .

ومثلها قراءة « أرشدنا » في الفاتحة عن ابن مسعود . وقراءة « أنفَسكم » بفتح الفاء .

وقد حمل العلماء هذه القراءات على أنها قراءات تفسيرية . وذلك لأنها أحاد وخالفت سواد المصحف أراد الصحابي من ذكرها توضيح معنى النص بمرادفه في اللفظ أو توضيح المقصود منه من حيث المعنى .

وقراءة الآحاد لا تعتبر قرآنا حتى لو نسبت لمحمد أو آل بيته - عليهم السلام - كقراءة « أنفسكم » فكونها قراءة آحاد لا يجوز الأخذ بها لعدم توافر شروط الرواية الصحيحة لها .

وكل ما استشهدوا به في هذا الموطن من قراءات تحمل على أنها تفسيرية. قال أبو حيان عند قوله تعالى : ﴿ **فأزلهما الشيطان عنها** ﴾ قال : « هذه القراءة مخالفة لسواد المصحف المجمع عليه ، فينبغي أن تجعل تفسيرا . وكذا ما ورد عنه وعن غيره مما خالف سواد المصحف .. »[2] .

وكما ينبغي أن يعلم أن مخالفة المروي للقرآن المتواتر ، أو لما اشتهر من السنة الصحيحة ، أو لإجماع العلماء مما يقلل الثقة بالرواية ويجعلها في عداد الروايات الواهية التي لا يحتج بها[3] .

أما استناد بعضهم بجواز القراءة بالمعنى اعتمادا على نزول القرآن بأحرف سبعة باطل .

---

(١) تفسير البحر المحيط ٣ / ٢١ .

(٢) البحر المحيط ١ / ١٦١ .

(٣) المدخل لدراسة القرآن الكريم - بتصرف صـ ٢٠٢ - ٢٠٣ .

نحن لا نشك ولا ننفي أن القرآن نزل على سبعة أحرف توسعة على العرب الذين ما كانت ألسنتهم تلين بغير حرفها . وقد جمع عثمان - رضي الله عنه - الناس على حرف واحد ألا وهو حرف قريش فلا يجوز أن يعد اليوم قرآنا سواه .

والأحرف السبعة لم تكن تتبع هوى الصحابة بحيث يقرأون كيف ما يشاءون كما صور ذلك « بلاشير » بل كانت في حدود المسموع المتلقى عن رسول الله - ﷺ - وهذا هو ما أجمع عليه العلماء المحققون[1] . لذا كانت إجابته - ﷺ - لكل من عمر بن الخطاب ، وهشام بن حكيم عقب سماعه منهما سورة الفرقان على إثر خلاف نشب بينهما لاختلافهما في الحرف « هكذا أنزل »[2] .

أما قصة عبد الله بن أبي السرح الذي ارتد ثم رجع للإسلام وتغييره فواصل الآيات مثل : ﴿غفور رحيم﴾ بـ ﴿سميع بصير﴾ فقد توسعت في الحديث عنه في موضع آخر من الرسالة[3] وذكرت أن تغيير الفواصل لا يجوز بإجماع المسلمين ، لأنه يذهب إعجاز القرآن .

قال الأستاذ أبو شهبة - رحمه الله تعالى - : « وإن لنا لوقفة عند هذا الرأي الأخير ، المجوز لتبديل فواصل الآي بعضها ببعض مما هو من صفات الرب ، فإن هذا خلاف الإجماع ، ويؤدي إلى ذهاب الإعجاز ، فإن من إعجاز القرآن هذا التناسب والترابط القوي بين الآية وخاتمتها ، فلو جاز إبدال خاتمة بأخرى لعاد بالخلل على إعجاز القرآن » .

قال القاضي عياض : نقلا عن المازري : « وقول من قال المراد خواتيم الآي فيجعل مكان « غفور رحيم » « سميع بصير » فاسد أيضا للإجماع على منع تغيير القرآن للناس »[4] .

---

(١) نفس المرجع صـ ٢٠٧ .

(٢) نفس المرجع ٢١٠ وانظر الحديث في مسند الإمام أحمد ١ / ٤٠ .

(٣) انظر صـ ٣٢٠ من الرسالة .

(٤) المدخل لدراسة القرآن الكريم صـ ٢٠١ .

أما دعواه أن بعض الصحابة كعبد الله بن مسعود كان يجيز القراءة بالمعنى لسماعه قراءة القراء فوجدها قريبة كقول أحدنا : « هلم وتعال » فهذا مردود على المستشرقين .

قال القاضي أحمد بن عمر الحموي : « أما ما نقل عن الصحابة بأنهم يجيزون القراءة بالمعنى دون اللفظ كالذي نسب لابن مسعود لا يصح[1] .

وقال ابن تيمية - رحمه الله - « وأما من قال عن ابن مسعود أنه كان يجوز القراءة بالمعنى فقد كذب عليه وإنما قال : نظرت إلى القراء فرأيت قراءتهم متقاربة وإنما هو كقول أحدكم : أقبل ، وهلم ، وتعال ، فاقرءوا كما علمتم أو كما قال »[2] .

فلا شك أن معنى القراءات الصحيحة في الآية الواحدة متقاربة ومنسجمة ولا تناقض بينها . ومما يؤكد أن مقصوده الاتباع في القراءة والتلقي لا الاجتهاد والتشهي قوله : « فاقرءوا كما علمتم » وهذا كله يبطل دعوى هؤلاء المستشرقين .

وقد ذكر الإمام البغوي في شرح السنة أن ما خالف المصحف العثماني يعد منسوخا قال - رحمه الله -: المصحف الذي استقر عليه الأمر هو آخر العرضات على رسول الله - ﷺ - فأمر عثمان بنسخه في المصاحف وجمع الناس عليه ، وأذهب ماسوى ذلك قطعا لمادة الخلاف فصار ما يخالف خط المصحف في حكم المنسوخ والمرفوع كسائر ما نسخ ورفع من القرآن الكريم ، فليس لأحد أن يعدو في اللفظ إلى ما هو خارج عن الرسم[3] .

أما استدلاله بموقف عبد الله بن المبارك - رحمه الله - أنه كان لا يرد على أحد حرفا ، فلا دليل لهم فيه لجواز أن من كان يقرأ عليه كان يعتمد على قراءة صحيحة الرواية ، لذا فلا يجوز منه أن يرده عن قراءته السبعية بل يصحح لمن

---

(١) القواعد والإشارات في أصول القراءات - أحمد بن عمر الحموي طبعة دار القلم دمشق صـ ٢٨ .
(٢) مجموع الفتاوي ١٣ / ٣٩٧ .
(٣) فتح الباري ٩ / ٣٠ .

يخطىء في القراءة السبعية لا غير .

وهناك أمور لابد من ذكرها تؤكد ما نقول به وهو عدم جواز قراءة القرآن بالمعنى .

١ - أن الصحابة - رضوان الله عليهم - كانوا يحرصون أن يرووا حديث النبي - ﷺ - بلفظ ولا يجيزون قراءته بمعناه حتى إن أنس بن مالك - رضي الله عنه - كان إذا حدث عن النبي - ﷺ - يقول : « أو كما قال » محترزا بذلك . خوفا من أدائه على غير لفظه فإذا كان هذا موقفهم من الحديث النبوي الشريف فمن باب أولى القرآن الكريم[1] .

٢ - كان من الأدلة التي اعتمدوها في دعم أقوالهم بعض القصص التي تقال للتندر بها لإضحاك السامع ، ورجالها مجهولون وهي مأخوذة من بعض الكتب غير الموثقة والتي لا تصلح أن تكون دليلا لمثل هذه القضايا القرآنية الخطيرة أمثال كتاب الأغاني للأصفهاني ، وكتاب الحيوان للجاحظ . والأولى أن تكون رواياتهم وأدلتهم مأخوذة من كتب معتمدة لأن المسألة متعلقة بكتاب الله - عز وجل - الذي توفرت له كل وسائل الثبوت واليقين والتحوط العلمي[2] .

هكذا نرى تهافت دعوى هؤلاء المستشرقين ببطلان أدلتهم وسقوطها وإقامة الأدلة القوية على عدم جواز قراءة القرآن بالمعنى ولزوم قراءته بالنص كما أنزل ، لأن القراءة « سنة متبعة » .

٣ - ومما حاول أن يستند إليه « جولد تسيهر » من شواهد ليستدل منها أن القراءة تجوز بما يريده الصحابي وعلى حسب اختياره ما نقل عن ابن شنبوذ ، وأبي بكر العطار الذين حاول « جولد تسيهر » إبرازهم في أكثر من موضع وذلك لأنهم اهتموا بالقراءات الشاذة .

---

(١) نكت الانتصار لنقل القرآن - الباقلاني صـ ٣٢٩ .
(٢) المدخل لدراسة القرآن صـ ٢١٠ .

مع أن هؤلاء قوبلوا بالإنكار الشديد من جمهور المسلمين ، وأقيمت عليهم الحجة ببطلان مذهبهم ، واستتيبوا فرجعوا عن مذهبهم وكتب محضر بتوبتهم . فالأصل في الحرية في القراءة أن تكون مقيدة بالأثر والرواية ، وصحة النقل ، وبالاعتماد على المشافهة فللقارىء أن يختار ما يشاء من القراءات في حدود المقبول المتواتر منها، وليس له تغيير شيء منها . بل عليه التقيد بما نقل منها عن رسول الله – ﷺ –[1] .

الأمر الثاني :

الاختلاف الناجم عن طبيعة الخط العربي :

زعم « بلاشير » و « جولد تسيهر » و « نولديكة » و « آرثر جيفري » وأصحاب الموسوعة البريطانية وغيرهم أن سبب الاختلاف في كثير من القراءات يعود إلى خصوصية الخط العربي الذي كان مجردا من الشكل والنقط والذي كتب به المصحف العثماني[2] .

الجواب :

أرجع هؤلاء المستشرقون سبب الاختلاف في القراءة لسببين رئيسيين :

الأول : تجرد المصحف من النقط .

الثاني : عدم وجود الحركات النحوية ، وفقدان الشكل في الخط العربي .

ماذا يقصد هؤلاء المستشرقون برسم المصحف ؟ .

أرادوا برسم المصحف القواعد التي ارتضاها الخليفة عثمان – رضي الله

---

(١) انظر كتاب القراءات – للقاضي صـ ١٧٩ – ١٨٢ .

(٢) انظر مذاهب التفسير الإسلامي صـ ٩٠٨ ، تاريخ القرآن – عبد الصبور شاهين صـ ٢١٠ وما بعدها ، وقضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية صـ ٢٢٠ .
المدخل لدراسة القرآن الكريم صـ ٣٦٦ ، ومقدمة كتاب المصاحف لابن أبي داود صـ ٧ بقلم (آرثر جيفري) .

عنه – ومن كان معه من الصحابة في كتابة القرآن الكريم ، ورسم حروفه في المصاحف التي وجهها للآفاق ، وفي المصحف الإمام الذي احتفظ به لنفسه .

وعلم الرسم علم اهتم به علماء الإسلام قديما وحديثا . حيث ألف فيه بعضهم عدة مؤلفات : فمن القدماء الإمام أبو عمر والداني ، والمراكشي ، ومن المحدثين محمد بن أحمد الشهير بالمتولي ، ومحمد خلف الحسيني ، والشيخ محمد حبيب الله الشنقيطي وغيرهم .

وقد اختلف في جواز كتابته برسمنا الحالي .

أما شبهتهم السابقة فيردها عدة أمور :

١ – أن المستشرقين قد بنوا شبهاتهم على إغفال الحقيقة التاريخية التي تؤيدها النقول المتواترة التي لا يتطرق إليها أي شك وهو أن القرآن الكريم تلقاه رسول الله – ﷺ – من أمين الوحي جبريل – عليه السلام – وعلمه بدوره لصحابته الكرام – رضوان الله عليهم – فحفظوه في صدورهم . فمن هنا يظهر أن القراءة كانت سابقة لكتابة القرآن الكريم .

٢ – أننا نجد حرفا في القرآن الكريم يتكرر برسم واحد لا يختلف في السور ، التي ورد فيها ، ومع ذلك نجد القراء يختلفون في قراءته في بعض المواضع ، ويتفقون في قراءته في مواضع أخرى .

مثال ذلك :

اتفقوا في قراءة ﴿ **مالك الملك** ﴾(١) و ﴿ **ملك الناس** ﴾(٢) في حين اختلفوا في قراءة ﴿ **مالك يوم الدين** ﴾(٣) فقرأ بعضهم بالألف وقرأ آخرون بدون الألف في حين أن مثيلتها « مالك » و « ملك » السابقتين في المصحف واحد

---

(١) سورة آل عمران : ٢٦ .

(٢) سورة الناس : ٢ .

(٣) سورة الفاتحة : ٣ .

غير مختلف[1] .

٣ – نجد في المصحف ﴿ إنما أنا رسول ربك لأهب لك ﴾[2] فرسم كلمة « لأهب » بالهمزة في كل المصاحف وقد قرأ بها كل القراء إلا ورشا وأبا عمرو خالفا. وقرىء « ليهب » بالياء لاعتمادهم في ذلك على النقل وثبوت الرواية . وحتى لو خالفا رسم المصاحف[3] لأن القراءة سنة متبعة لا تأثير للرسم عليها .

٤ – نجد أن بعض القراء يقرءون على قارىء واحد ورسم مصحفهم واحد ومع هذا فبعضهم يكثر في الإمالة ، وبعضهم يقل بها كراويي عاصم : أبي بكر ، وحفص ، وراويي نافع : قالون ، وورش[4] .

حتى أن حفصا لم يمل من جميع القرآن إلا قوله تعالى ﴿ مجريها ﴾[5] من سورة هود[6] .

٥ – نجد أن بعض الكلمات رسمها واحد وقراءة القراء لها مختلفة مثال ذلك : كلمة ﴿ يحزن ﴾[7] في القرآن الكريم فأبو جعفر قرأها (يُحزن) بضم الياء وكسر الزاي في الأنبياء فقط . مع أنه فتح الياء وضم الزاي في باقي القرآن . أما نافع فإنه قرأها (يُحزِن) بضم الياء وكسر الزاي في جميع القرآن إلا في الأنبياء فإنه فتح فيها الياء وضم الزاي[8] .

وفي هذا دليل واضح كذلك أن الاختلاف راجع للتلقي والنقل لا للرسم لأنه واحد .

---

(١) انظر حجة القراءات صـ ٧٧ .
(٢) سورة مريم : ١٩ .
(٣) رسم المصحف العثماني – شلبي – طبعة دار الشروق صـ ٣٣ – ٣٤ .
(٤) رسم المصحف صـ ٤٤ .
(٥) سورة هود : ٤١ .
(٦) انظر رسم المصحف صـ ٤٤ – ٤٥ .
(٧) سورة الأحزاب : ٥١ .
(٨) نفس المرجع صـ ٤٥ .

٦ - كما أن عثمان - رضي الله عنه - لما كتب المصاحف ، لم يكتف بإرسالها وحدها . بل أرسل مع كل مصحف مقرئا يعلم الناس القراءة كما تلقاها من الحضرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام . ولم يكتف بالمرسوم فيها مما يدل أن التلقي والنقل هو الأساس ولا يكفي الرسم[١] .

ويكفي أن هذا الكتاب أوكل حفظه لله سبحانه وتعالى ولم يملك أحد فيه أي تغيير ولا تبديل حتى رسول الله - ﷺ - قال تعالى : ﴿ .. **قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاىء نفسي إن اتبع إلا ما يوحى إليَّ . إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم** ﴾[٢] فمن باب أولى أن لا يملكه الصحابة أو التابعون أو القراء من بعده . والذي يريد المزيد من هذه الأدلة فعليه بكتاب الأستاذ شلبي (رسم المصحف العثماني) .

فهذه الأدلة تظهر بطلان مزاعم القائلين بهذا الرأي ويظهر صحة الروايات القرآنية الثابتة بطريق التواتر ، ويعتبر كل قراءة منها قرآنا يثبت فيه الإعجاز . ولا يقبل منها الشاذ ولا الضعيف الواهي الذي اختل فيه ركن من أركان القراءة الصحيحة وهي :

١ - موافقة العربية ولو بوجه .

٢ - موافقة رسم أحد المصاحف العثمانية .

٣ - صحة السند .[٣]

والآن بقي أن أرد على بعض الأمثلة التي دلل بها هؤلاء المستشرقون على أقوالهم لأبين خطأها وأوجهها التوجيه الأقوم .

فمن الأمثلة التي استدل بها هؤلاء على أن سبب الاختلاف عدم تحلية الهيكل المرسوم بالنقط .

---

(١) القراءات في نظر المستشرقين والملحدين صـ ٤٨ .

(٢) سورة يونس : ١٥ .

(٣) منجد المقرئين صـ ١٥ - ١٧ .

المثال الأول :

قوله تعالى : ﴿ **ونادى أصحاب الأعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم . قالوا ماأغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون** ﴾[1] والرسم يحتمل في « تستكبرون » قراءة أخرى هي « تستكثرون » لذا جاء فيها القراءاتان .

والمثال الثاني :

قوله تعالى : ﴿ **وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه** ﴾[2] بالمثناة التحتية ، وقرأ حماد الراوية « أباه » بالباء الموحدة[3] .

وهاتان القراءتان اللتان استشهد بهما « جولد تسيهر » من شواذ القراءات ومنكرها ، فلا حجة إذن فيهما مع أن كلتا القراءتين يحتملهما الرسم ، والثانية سائغة المعنى ، ومروية عن الحسن وحماد الراوية ، وابن السميقع وأبي نهيك وأبي معاذ القارىء[4] ولكنها رُفضت واعتبرت شاذة لعدم ثبوتها عن رسول الله ـ ﷺ ـ لأن القراءة سنة متبعة لا على ما يحتمله الرسم[5] .

كما استدل بقراءتين أخريين[6] ليدلل على صحة زعمه .

أولهما :

قوله تعالى : ﴿ **وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته** ﴾[7] وقرأ بعضهم بدلا من « بشراً » بالباء « نشرا » بالنون .

---

(١) سورة الأعراف : ٤٨ .
(٢) سورة التوبة : ١١٤ .
(٣) انظر مذاهب التفسير الإسلامي صـ ٩ .
(٤) انظر تفسير البحر المحيط ٥ / ١٠٥ .
(٥) انظر كتاب القراءات في نظر المشركين والملحدين صـ ٩٩ – ١٠٠ .
(٦) انظر مذاهب التفسير الإسلامي صـ ٩ – ١٠ .
(٧) سورة الأعراف : ٥٧ .

وثانيهما :

قوله تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمنا** ﴾[1] حيث أشار « جولد تسيهر » أن بعض الثقات قرأ بـ« فتثبتوا » وهاتان القراءتان متواترتان صح وثبت نقلهما عن رسول الله – ﷺ – فسبب الاختلاف فيهما إذن ليس احتمال الرسم للقراءات بل بسبب ثبوت ذلك عن رسول الله – ﷺ – وتعليمه صحابته وجوه القراءة .

فالآية الأولى قرأ بـ« نُشُرا » بالنون المضمومة وبالشين المضمومة الإمام نافع وابن كثير . وقرأ ابن عامر وأبو عمرو « نُشْرا » بضم النون وسكون الشين . وقرأ حمزة والكسائي « نُشَرا » بضم النون وفتح الشين . وقرأ عاصم « بُشْرا » بالباء المضمومة والشين الساكنة[2] فهذه القراءات جميعها متواترة صحيحة المعنى ويسهل توجيهها مع العربية .

أما الآية الثانية فقد قرأ حمزة والكسائي بالثاء « فتثبتوا » من التثبيت في هذا الموضع ، وفي سورة الحجرات كذلك وقرأ الباقون « فتبينوا » بالياء ، من التبيين[3] .

فهذه القراءات كما قلت صحيحة متواترة ثابتة في النقل والرواية عن رسول الله – ﷺ – وهو سبب الاختلاف فيها لا احتمال الرسم كما زعموا .

الخلاصة :

ظهر من خلال ردنا على القراءات السابقة أن كلام هؤلاء المستشرقين لا يستند إلى دليل علمي ولا نظرة مجردة من الحقد والهوى والسطحية .

---

(١) سورة النساء : ٩٤ .

(٢) انظر الكشف عن وجوه القراءات – مكي ١ / ٤٦٥ .

(٣) نفس المرجع ١ / ٣٩٤ .

لأنه كما بينت أن الاختلاف في القراءات سببه النقل والرواية والتلقي والمشافهة ، لا احتمال الرسم لها فقط ، كما أنه لا مجال للرأي والاختيار فيها . وأن هذه القراءات نشأت قبل كتابة القرآن الكريم وجمعه ، وقبل عمل عثمان - رضي الله عنه - لمصحفه ، وهو ما ينسبون الاختلاف لرسمه فالاختلاف إذن لم ينشأ عن إغفال المصاحف من نقط الحروف وشكلها ، ولا من هيئتها ورسمها ، ولكنه يعود لما تلقاه رسولنا - ﷺ - من أمين الوحي جبريل - عليه السلام - فعلمه بدوره لصحابته - رضوان الله عليهم - .

المبحث الثالث :

نولديكة ورسم المصحف :

أ - اعتبر « نولديكة » أن اختلاف المصاحف في رسم بعض الكلمات يعتبر نوعا من الخطأ . وذلك كرسم التاء في بعض المصاحف مفتوحة ورسمها في آخر مربوطة وكإثبات الألف في بعضها وحذفها في آخر . وزيادة الواو في كلمة في مصحف وحذفها من مصحف آخر . وإثبات التنوين كسرتين في مصحف ، وكتابتها نونا في آخر .. وهكذا[1] .

الجواب :

إن مرجع الشبهة عند « نولديكة » عدم إدراكه لقواعد الرسم العثماني ولا لأسرارها فاختلاف حال الكلمة في الخط بحسب اختلاف أحوال معاني كلماتها . وأن فيها فوائد بلاغية ، ولغوية ونحوية . وقد ألف الإمام أبو العباس أحمد الأزدي الشهير بابن البناء المراكشي كتابه أسرار الرسم العثماني والذي سماه القسطلاني (الدليل من مرسوم التنزيل)[2] والأصل في المكتوب أن يكون موافقا للمنطوق من غير زيادة ولا نقص ولا تغيير ولا تبديل مع مراعاة الابتداء به والوقف عليه ،

---

(١) تاريخ القرآن - الجزء الثالث - الفصل الأول .
(٢) انظر رسم المصحف غانم قدودي صـ ٢٢٣ .

والفصل والوصل . وقد خالف المصحف الإمام في بعض الحروف لحكم وأسرار لا يدركها إلا العالمون .

وينحصر أمر الرسم في ست قواعد :

١ - قاعدة الحذف :

وذلك مثل حذف الألف من ياء النداء في ﴿ **يأيها الناس** ﴾[(١)] وتحذف الياء مثلا من كل منقوص منون رفعا وجرا مثل : ﴿ **غير باغ ولا عاد** ﴾[(٢)] . وتحذف الواو كذلك ومثال ذلك : إذا وقعت مع واو أخرى نحو ﴿ **لايستوُن** ﴾[(٣)] .. إلخ[(٤)] .

٢ - قاعدة الزيادة :

وذلك مثل زيادة الألف بعد آخر اسم مجموع أو ما في حكمه مثلا ﴿ **يلاقوا** ﴾[(٥)] و ﴿ **مائة** ﴾[(٦)] .

وتزداد الياء في نحو ﴿ **نباى المرسلين** ﴾ وغيرها ..

وتزداد الواو في نحو « أولوا » وغيرها[(٧)] .

٣ - قاعدة الهمز :

فالهمزة الساكنة فالأصل فيها أن تكتب بحرف حركة ما قبلها أولا ، أو وسطا ، أو آخرا نحو : ﴿ **ائذن لي** ﴾ .

---

(١) سورة البقرة : ٢١ .

(٢) سورة البقرة : ١٧٣ .

(٣) سورة التوبة : ١٩ .

(٤) المدخل لدراسة القرآن الكريم صـ ٣٤١ - ٣٤٢ ، والمقنع في رسم مصاحف الأمصار للداني صـ ٢٠ وما بعدها .

(٥) سورة الزخرف : ٨٣ .

(٦) سورة البقرة : ٢٥٩ .

(٧) المدخل لدراسة القرآن الكريم صـ ٣٤٢ ، والمقنع صـ ٥٩ وما بعدها .

أما الهمزة المتحركة فإن كانت من أول الكلمة أو اتصل بها حرف زائد كتبت بالألف مطلقا أي سواء كان فتحا أو ضما ، أو كسرا ، نحو : ﴿ **أيوب** ﴾ و ﴿ **إذا** ﴾ .

وإن كانت الهمزة وسطا فإنها تكتب بحرف من جنس حركتها نحو : ﴿ **سأل** ﴾ سورة المعارج آية (١) .

﴿ **سئل** ﴾ سورة البقرة آية (١١٨) ﴿ **نقرؤه** ﴾ سورة الإسراء آية (٩٣) ، وغير ذلك من الأمثلة[١] .

٤ - قاعدة البدل :

كتبت في الرسم الألف واوا للتفخيم أو التهويل أو التقطيع في مثل : ﴿ **الصلوٰة** ﴾ سورة البقرة آية ٣ .

وكتبت ياء في كل ألف منقلبة عنها نحو ﴿ **يتوفيٰكم** ﴾ سورة الأنعام آية (٦٠) في اسم أو فعل اتصل به ضمير أم لا ، بقي ساكنا ، أم تحرك . إلخ[٢] .

٥ - قاعدة الفصل والوصل :

وردت بعض الألفاظ في رسم المصحف تارة موصولة وتارة مفصولة ، وورد بعضها في الرسم على حالة واحدة وذلك مثل : « أن » بفتح الهمزة حيث توصل بكلمة « لا » إذا وقعت بعدها ويستثنى من ذلك عشرة مواضع منها قوله تعالى : ﴿ **أن لا تعبدوا إلا الله** ﴾ سورة هود آية (٢٦) وكلمة (من) توصل بكلمة (من) مطلقا[٣] .. إلخ .

---

(١) المدخل لدراسة القرآن الكريم صـ ٣٤٣ ، والمقنع صـ ٦٥ وما بعدها .
(٢) المدخل لدراسة القرآن الكريم صـ ٣٤٣ - ٣٤٤ ، ومناهل العرفان ١ / ٣٦٤ .
(٣) المدخل لدراسة القرآن الكريم صـ ٣٤٤ - ٣٤٥ ، ومناهل العرفان ١ / ٣٦٥ والمقنع صـ ٧٣ وما بعدها .

٦ - قاعدة ما فيه قراءتان :

خلاصتها أن الكلمة إذا قرئت على وجهين تكتب برسم أحدهما ، غير القراءات الشاذة ومثال ذلك : ﴿ **فلك** ﴾ سورة البقرة (١٦٤) و ﴿ **يخدعون** ﴾ سورة البقرة[١] .

وهذه القواعد لم تكن بشكل عشوائي بل كانت لحكم وأسرار خفيت على « نولديكة » وغيره من المستشرقين حتى أن جمهور العلماء اعتبروا التقيد بهذا الرسم أمرا واجبا وقد ألف في هذه المسألة الشيخ محمد حبيب الله الشنقيطي كتابا سماه (إيقاظ الأعلام لوجوب اتباع رسم المصحف الإمام عثمان بن عفان - رضي الله عنه -) .

قال في حكم هذه المسألة : « اعلم أن رسم القرآن سنة متبعة باتفاق الأئمة الأربعة . بل بإجماع سائر المجتهدين .. فهو أمر إجماعي كما طفحت به الدفاتر حتى صار من المتواتر وإن خفي ذلك على بعض أبناء الزمان في البلاد المشرقية .. »[٢] .

وسأذكر بعض الفوائد لهذا الرسم العثماني .

١ - الدلالة في القراءات المتنوعة في الكلمة الواحدة بقدر الإمكان ، بحيث تكتب الكلمة بصورة تحتمل هذه القراءات ، فإن كان الحرف الواحد لا يحتمل ذلك جاء الرسم على الحرف الذي هو خلاف الأصل ، وذلك ليعلم جواز القراءة به وبالحرف الذي هو الأصل . وإذا لم يكن في الكلمة إلا قراءة واحدة بحرف الأصل رسمت به[٣] .

---

(١) المدخل لدراسة القرآن الكريم صـ ٣٤٥ ، ومناهل العرفان ١ / ٣٦٥ .
(٢) إيقاظ الأعلام لوجوب اتباع رسم المصحف الإمام عثمان بن عفان طبعة مكتبة المعرفة سورية ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢ م صـ ١٢ .
(٣) مناهل العرفان ١ / ٣٦٦ .

٢ - إثبات اتصال السند للقرآن الكريم برسول الله - ﷺ - وحمل الناس على تلقيه من صدور الثقات ، ولا يتكلوا على الرسم العثماني وحده فلا يقرؤه أحد إلا بروايته بسند متصل .. ففواتح السور هيئة النطق بها يختلف عما رسمت به[(١)] .

٣ - الدلالة على أصل الحركة ككتابة الكسرة ياءاً ، والضمة واواً نحو : ﴿ **وإيتاي ذي القربى** ﴾[(٢)] .

أو الدلالة على أصل الحرف ككتابة الصلاة بالواو بدلا من الألف[(٣)] .

٤ - الدلالة على معنى خفي دقيق كزيادة الياء في قوله تعالى : ﴿ **والسماء بنيناها بأييد** ﴾[(٤)] للإيماء إلى قدرة الله سبحانه[(٥)] .

٥ - إفادة بعض المعاني المختلفة لطريقة الإخفاء فيها وذلك نحو قطع كلمة « أم » في قوله تعالى : ﴿ **أم من يكون عليهم وكيلا** ﴾[(٦)] ووصلها في قوله تعالى : ﴿ **أمن يمشي سويا على صراط مستقيم** ﴾[(٧)] فقطع الأولى للدلالة على أن « أم » المنقطعة بمعنى : (بل) أما وصل الثانية للدلالة على أنها المتصلة[(٨)] .

وهكذا نجد أن هذه القواعد كانت لأسرار وفوائد جهلها « نولديكة » وأمثاله من المستشرقين واعتبروا أن هذا من باب الاختلاف بين النسخ القرآنية وأن الرسم كان السبب في اختلاف كثير من القراءات .

---

(١) المدخل لدراسة القرآن صـ ٣٥٢ . ومناهل العرفان ١ / ٣٦٦ .
(٢) سورة النحل ٩٠ .
(٣) مناهل العرفان ١ / ٣٦٨ .
(٤) سورة الذاريات : ٤٧ .
(٥) مناهل العرفان ١ / ٣٦٧ .
(٦) سورة النساء : ١٠٩ .
(٧) سورة الملك : ٢٢ .
(٨) مناهل العرفان ١ / ٣٦٧ .

ب – الأخطاء الناتجة عن خطأ النساخ في رسم المصحف – في زعم نولديكة – :

الشبهة الأولى :

زعم « نولديكة » أن بعض القراءات كان سبب الاختلاف فيها يعود لخطأ النساخ أثناء نسخهم للمصحف العثماني ، أو لأنه لحن وترك في القرآن لأن العرب ستقيمه بألسنتها ، وأكد هذا بذكر بعض الروايات المنسوبة لبعض الصحابة – كعثمان وابن عباس وعائشة – رضوان الله عليهم –[1] .

والآن سأعرض للأدلة التي اعتمد عليها لشبهته للرد عليها :

١ – زعم أن المسلمين الأوائل وجدوا في المصحف العثماني أخطاء بدليل أن عثمان – رضي الله عنه – لما وجد بعض هذه الأخطاء قال للجنة : (لا تغيروها لأن العرب ستصححها بألسنتها . ولو كان الكاتب من ثقيف والمستكتب من هذيل لما وجدت فيه هذه الأشكال) (التعابير)[2] .

الجواب :

هذا الحديث جاء بروايتين ضعيفتي الإسناد مضطربتي المتن تذهب الثقة بهما وتردهما .

أما الرواية الأولى فهي من طريق عكرمة عن عثمان – رضي الله عنه – والرواية الثانية من طريق يحيى بن يعمر عن عثمان – رضي الله عنه – وكلاهما لم يسمعا من عثمان – رضي الله عنه – شيئا ولم يرياه .

وهذا الحديث قد رده أكثر من عالم منهم أبو القاسم الشاطبي ، والجعبري ، وأبو عمرو الداني الذي قال في المقنع معلقا عليه : « هذا الخبر عندنا لا تقوم بمثله حجة ولا يصح به دليل من جهتين :

---

(١) تاريخ القرآن – نولديكة ٣ / ٢ وما بعدها .

(٢) تاريخ القرآن – نولديكة ٣ / ٢ وما بعدها .

إحداهما :

أنه مع تخليط في إسناده واضطراب في ألفاظه مرسل لأن ابن يعمر وعكرمة لم يسمعا من عثمان شيئا ولا رأياه .

وأيضا :

فإن ظاهر ألفاظه ينفي وروده عن عثمان - رضي الله عنه - لما فيه من الطعن عليه مع محله في الدين ومكانه في الإسلام ، وشدة اجتهاده في بذل النصيحة ، واهتمامه بما فيه الصلاح للأمة فغير ممكن أن يتولى لهم جمع المصحف مع سائر الصحابة الأخيار الأتقياء الأبرار نظرا لهم ليرتفع الاختلاف في القرآن بينهم ثم يترك لهم فيه مع ذلك لحنا وخطأ يتولى تغييره من يأتي بعده ممن لاشك أنه لايدرك مداه ، ولا يبلغ غايته كمن شاهده . هذا ما لا يجوز لقائل أن يقوله ، ولا يحل لأحد أن يعتقده »[1] .

وعلق على هذا الخبر الباقلاني قائلا : « الحديث عن عثمان إنما رواه قتادة مرسلا ، ولعل من أرسله ممن لا يقبل خبره ولا يلتفت إليه ، ولو كان الخبر صحيحا وسلم من الاضطراب الذي هو ثابت فيه لم يجب القطع به والعمل عليه .

والرواية المسندة من قتادة في هذا عن نصر بن عاصم عن عبد الله بن فطيمة عن يحيى بن يعمر قال : قال عثمان : في القرآن لحن تقيمه العرب بألسنتها وهو غاية في الاضطراب والضعف .

وابن فطيمة هذا مجهول ، خامل الذكر ، لا يقبل خبره[2] .

والمعروف أن عثمان - رضي الله عنه - كان يشرف بنفسه على جمع المصحف ، ويزيل أي خطأ حتى لو كان في الرسم فقد روى عبد الرحمن بن هاني مولى عثمان - رضي الله عنه - قال : كنت عند عثمان وهم يعرضون

(١) المقنع للداني صـ ١١٥ - ١١٦ .
(٢) نكت الانتصار لنقل القرآن صـ ١٢٧ .

المصاحف فأرسلني بكتف شاة إلى أبي بن كعب فيها « لم يتسن »[1] وفيها « لا تبديل للخلق » وفيها « فأمهل الكافرين »[2] فدعا بدواة فمحا أحد اللامين وكتب « لخلق الله » ومحا « فأمهل » وكتب ﴿ فمهل ﴾[3] وكتب ﴿ لم يتسنه ﴾ فألحق فيها الهاء .

قال ابن الأنباري معلقا على هذا العمل من عثمان – رضي الله عنه – : فكيف يدعي عليه أنه رأى فسادا فأمضاه ؟ وهو يقف على ما يكتب ويرفع الخلاف الواقع من الناسخين فيه فيحكم بالحق ، ويلزمهم إثبات الصواب وتخليده[4] .

أبعد كل هذا يبقى زعم « لنولديكة » وغيره ببقاء لحن وخطأ في القرآن وبمعرفة عثمان وأنه أبقاه لتقيمه العرب بألسنتها ! إن هذا لشيء عجاب .

أما وعلى فرض صحة الأثر فيمكن أن نؤوله بما يتفق مع حرص عثمان على سلامة المصاحف أن المقصود بلفظ « لحنا » على معناها في اللغة فيكون المعنى أن في رسم القرآن وكتابته في المصحف وجها في القراءة لا تلين به ألسنتهم جميعا إلا بالمرانة ، وكثرة تلاوة القرآن بهذا الوجه[5] .

أما توجيه قوله : « لو كان الكاتب من ثقيف والمملي من هذيل لم توجد فيه هذه الحروف » لو صح الأثر .

قال أبو عمرو الداني : [معناه : أي لم توجد فيه مرسومة بتلك الصورة المبنية على المعاني دون الألفاظ المخالفة لذلك إذ كانت قريش ومن ولي نسخ المصاحف من غيرها قد استعملوا ذلك في كثير من الكتابة ، وسلكوا فيها تلك الطريقة .

---

(١) سورة البقرة : ٢٥٩ .

(٢) سورة الروم : ٣٠ .

(٣) سورة الطارق : ١٧ .

(٤) مناهل العرفان ١ / ٣٨٠ .

(٥) المدخل في دراسة القرآن الكريم صـ ٣٦٩ .

ولم تكن ثقيف وهذيل مع فصاحتها يستعملان ذلك فلو أنهما وليتا أمر المصاحف ما وليه من تقدم من المهاجرين والأنصار لرسمتا جميع تلك الحروف على حال استقرارها في اللفظ ووجودها في المنطق دون المعاني والوجوه إذ ذلك المعهود عندهما والذي جرى عليه استعمالهما . هذا تأويل قول عثمان عندي لو ثبتت وجاء مجيء الحجة وبالله التوفيق][1] .

إذن فلا حجة « لنولديكة » لزعمه القرآن فيه أخطاء بحجة ما نسبه من أثر لعثمان بن عفان – رضي الله عنه – .

الشبهة الثانية :

زعم « نولديكة » أن عائشة – رضي الله عنها – في معرض تعليقها على كتابة بعض الآيات التي فيها أخطاء لغوية نسبت ذلك للكتاب بقولها : « هذا عمل الكتاب أخطأوا في الكتابة »[2] وضرب على ذلك أمثلة منها :

١ – الصابرون بدلا من الصابرين[3] .

٢ – والمقيمين بدلا من والمقيمون[4] .

٣ – والصابئون بدلا من والصابئين[5] .

٤ – إن هذان لساحران بدلا من إن هذين لساحران[6] .

هذه الشبهات مرجعها جهل هؤلاء المستشرقين بلغات العرب ومذاهبهم في الخطاب ، وأساليبهم في البيان .

---

(١) انظر المقنع – للداني صـ ١١٦ – ١١٧ .
(٢) تاريخ القرآن – نولديكة ٣ / ٢ .
(٣) سورة البقرة : ١٧٧ .
(٤) سورة النساء : ١٦٢ .
(٥) سورة المائدة : ٦٩ .
(٦) سورة طه : ٦٣ .

وقد جاء القرآن بلغات العرب وإن كانت اللغة القرشية هي السائدة فيه وسواء كانت من الفصيح أو الأفصح . والسر في ذلك أن الله سبحانه شاء أن يكون القرآن الكريم كتاب العربية الأكبر وجامعة العرب الكبرى بكافة فئاتهم ، ومرجعهم الأوثق في معرفة أساليب العرب في البيان ، ومذاهبهم في التعبير فكان الأليق والأوفق أن يأتي مشتملا على المقبول السهل منها غير المستهجن والمستثقل ، ليجد العرب فيه ما يرضي أذواقهم وملكاتهم[1] ، والآن سأتناول الرد على ما نسب للسيدة عائشة - رضي الله عنها - .

١ - قوله : والصابرين بدلا من « والصابرون » وهي في سورة البقرة في قوله تعالى : ﴿ **ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب .. والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء ..** ﴾[2] .

بالنسبة لقراءة النصب « والصابرين » هي المتواترة والثابتة عن رسول الله - ﷺ - أما قراءة الرفع « والصابرون » فهي قراءة الحسن والأعمش ويعقوب .

توجيه القراءتين :

فبالنسبة لقراءة الرفع غير السبعية فهي معطوفة على « الموفون » أما قراءة النصب فهي منصوبة على المدح والقطع إلى الرفع .

والنصب في صفات المدح والذم ، والترحم ، وعطف الصفات بعضها على بعض مذكورة في علم النحو[3] كقول الشاعر :

إلى الملك القرم وابن الهمام ... وليث الكتيبة في المزدحم
وذا الرأي حين تغم الأمور ... بذات الصليل وذات اللجم

فنصب « ليث الكتيبة » « وذا الرأي » على المدح . والاسم قبلهما مخفوض

(١) المدخل لدراسة القرآن الكريم صـ ٣٨٣ .
(٢) سورة البقرة : ١٧٧ .
(٣) تفسير البحر المحيط ٢ / ٧ .

لأنه من صفة واحدة[1] .

وكقول الخرنق بن قيس :

لا يبعدنّ قومي الذين هم سم العداوة وآفـة الجزر
النـازلين بكـل معتـرك والطيبـون معاقـد الأزر

ونصب « النازلين » على المدح بين مرفوعات .

وقد عقد لهذا النوع سيبويه في كتابه (كتاب سيبويه)[2] فصلا تحت عنوان « باب ما ينتصب على التعظيم والمدح » .

قال الفارسي : [إذا ذكرت الصفات الكثيرة في معرض المدح والذم فالحسن أن تخالف بإعرابها ، ولا تجعل كلها جارية على موصوفها لأن هذا الموضع من مواضع الإطناب في الوصف ، والإبلاغ في القول . فإذا خولف بإعرابه الأوصاف كان المقصود أكمل ، لأن الكلام عند الاختلاف يصير كأنه نوع من الكلام ، وضروب من البيان ، وعند الاتحاد في الإعراب يكون وجها واحدا ، أو جملة واحدة][3] .

كان لإظهار ميزة الصبر في الشدائد وفي مواطن القتال على سائر الأعمال ولبيان مكانة الصبر من البر وتغيير الأسلوب أفضل من الناحية النفسية ؛ لأنه يجذب الانتباه ويوقظ الشعور ، ويحمل العقول على التساؤل والبحث ، فتتمكن المعاني في النفس أفضل تمكن[4] .

أما الآية الثانية :

وهي قوله : ﴿ **والمقيمين** ﴾ بدلا من « والمقيمون » وهي قوله تعالى

---

(١) انظر تفسير الطبري ٣ / ٣٥٣ .
(٢) انظر كتاب سيبويه ١ / ٢٠٢ طبعة عالم الكتب .
(٣) تفسير البحر المحيط ٢ / ٧ – ٨ .
(٤) الكشاف – الزمخشري ١ / ٣٣١ .

﴿ .. لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل إليك ، وما أنزل من قبلك . والمقيمين الصلاة ، والمؤتون الزكاة .. ﴾[(١)] .

وهذه الكلمة كذلك قرئت بالنصب « والمقيمين » وهي قراءة الجمهور . أما قراءة الرفع « والمقيمون » فهي قراءة ابن جبير ، وعمرو بن عبيد ، والجحدري وعيسى بن عمر ، ومالك بن دينار ، وعصمة عن الأعمش ، ويونس ، وهارون عن أبي عمرو[(٢)] .

وهو كذلك في مصحف ابن مسعود وأبي في قول .

توجيه القراءتين :

قراءة الرفع « والمقيمون » نسقا على الأول .

أما قراءة النصب ﴿ **والمقيمين** ﴾ منصوبا على القطع المفيد للمدح والتعظيم وفي هذا بيان لفضل الصلاة ومنزلتها من شرائع الدين .

وقد سبق الإشارة في الرد السابق على هذا النوع من الأسلوب في العربية .

وقد علق الإمام أبو حيان على هذه الفرية المنسوبة للسيدة عائشة – رضي الله عنها – تحت هذه الآية فقال : [.. وذكر عن عائشة وأبان بن عثمان أن كتبها بالياء من خطأ كاتب المصحف ولا يصح عنهما ، ذلك لأنهما عربيان فصيحان ، وقطع النعوت أشهر في لسان العرب وهو باب واسع ذكر عليه شواهد سيبويه وغيره وعلى القطع خرج سيبويه ذلك][(٣)] .

وقال الزمخشري : [« والمقيمين » نصب على المدح لبيان فضل الصلاة ، وهو باب واسع قد ذكر سيبويه عليه أمثلة وشواهد ولا يلتفت على ما زعموا من وقوعه لحنا في خط المصحف . وربما التفت إليه من ينظر في الكتاب ولم

---

(١) سورة النساء : ١٦٢ .

(٢) تفسير البحر المحيط ٣ / ٣٩٥ ، إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر صـ ١٩٦ .

(٣) تفسير البحر المحيط ٣ / ٣٩٥ – ٣٩٦ .

يعرف مذاهب العرب وما لهم من النصب على الاختصاص من الافتنان ، وخفي على السابقين الأولين الذين مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كانوا أبعد همة في الغيرة على الإسلام ، وذب المطاعن عنه من أن يتركوا في كتاب الله ثلمة ليسدها من بعدهم وخرقا يوفوه من يلحق بهم][1] .

وفي هذا بلاغ لإبطال مزاعم « نولديكة » وبيان جهله بالأساليب العربية ، وفنون كلامهم .

الآية الثالثة :

قوله : « والصابئون » بدلا من « والصابئين » من قوله تعالى : ﴿ **إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر** .. ﴾[2] الآية .

الجواب :

ذكر في كلمة « الصابئون » قراءتان بالواو وبالياء . قرأ بالياء « والصابئين » عثمان وأبي وعائشة وابن جبير والجحدري ونسبها الزمخشري لابن كثير[3] ولم أجد أحداً سواه نسبها له وهي قراءة ابن محيصن[4] .

وقرأ بالرفع « والصابئون » الحسن والزهري ، وهي قراءة القراء السبعة وعليه مصاحف الأمصار والجمهور[5] .

وفي توجيه قراءة الرفع وجوه أقواها ما ذهب إليه سيبويه والخليل ونحاة البصرة أنه مرفوع بالابتداء ، وهو منوي به التأخير ونظيره إن زيدا وعمرو قائم . والتقدير إن زيدا قائم وعمرو قائم فحذف خبر عمرو لدلالة خبر إن عليه والنية

---

(١) الكشاف ١ / ٥٨٢ .
(٢) سورة المائدة : ٦٩ .
(٣) الكشاف ١ / ٦٣٢ - ٦٣٣ .
(٤) إتحاف فضلاء البشر صـ ٢٠٢ .
(٥) تفسير البحر المحيط ٣ / ٥٣١ .

بقوله وعمرو التأخير ويكون عمرو قائم بخبره هذا المقدر معطوفا على الجملة من إن زيدا قائم وكلاهما لا موضع له من الإعراب .

وهناك وجوه أخرى ذكرها أبو حيان في تفسيره[1] ومن الشواهد على هذه القراءة قول الشاعر :

نحن بما عندنـــــا وأنت بما عنـدك راض والـرأي مختلـف[2]

فحذف خبر الأول لدلالة الثاني عليه وتقديره نحن بما عندنا راضون أما قراءة الياء فهي عطفا على لفظ اسم إن قبل[3] .

فمن هنا يظهر صواب قراءة الرفع وأنها السبعية المتواترة التي صح نقلها عن رسول الله – ﷺ – .

أما قراءة النصب فهي قراءة آحاد لم تتوافر فيها شروط القراءة المتواترة فلا تعد قرآنا . ورسمها بالياء في المصاحف التي لا يجوز الرجوع إليها ولا الاعتماد عليها لمخالفتها للمصحف الإمام . ولم يثبت ما زعمه « نولديكة » أن عائشة – رضي الله عنها – اعتبرت الرسم بالواو من خطأ الكتاب . فهي من جملة افتراءات هؤلاء المستشرقين .

الآية الرابعة :

قوله : « إن هذان لساحران » بدلا من « إن هذين لساحران » وهي من قوله تعالى : ﴿ **قالوا إن هذان لساحران يريدان أن يخرجاكم من أرضكم بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى** ﴾[4] .

هذه الآية جاء فيها قراءات متعددة :

---

(١) تفسير البحر المحيط ١ / ٥٣١ .
(٢) تفسير أبي السعود ٣ / ٦٢ .
(٣) إتحاف فضلاء البشر صـ ٢٠٢ .
(٤) سورة طه : ٦٣ .

قرأ ابن كثير وحفص « قالوا إنْ » بتخفيف إن .

وشددها الباقون . « إنَّ » .

وقرأ أبو عمرو « هذين » بالياء . وقرأ الباقون بالألف (هٰذان)[1] وشدد ابن كثير النون فيها « هذانّ » .

فمن قرأ بالياء حجته أن تثنية المنصوب والمجرور بالياء من لغة فصحاء العرب ، وهي اللغة المستعملة ، لكنه خالف الخط فضعف لذلك .

ومن قرأ بالألف حجتهم أنها مكتوبة كذلك في المصحف الإمام ، وأجرى « هذان » في النصب بألف على لغة لبني الحارث بن كعب يلفظون بالمثنى بألف على كل حال ، وأنشد النحويون في ذلك قول الشاعر « هوير الحارثي » :

تزود منا بين أذناه طعنة   دعته إلى هابي التراب عقيم

فأتى بالألف في موضع الخفض .

وقد قيل : إن « هذا » لما لم يظهر فيه الإعراب في الواحد والجمع أجريت التثنية على ذلك ، فأتى بالألف على كل وجه من الإعراب كما كان في الواحد والجمع . وقيل غير ذلك[2] .

كما أن رسم الآية « إن هذين لسحران » يحتمل هذه القراءات كلها ولم يثبت دعواه من نسبة عائشة – رضي الله عنها – الخطأ لرسم المصحف من الكتبة . وإذا رجحت عائشة – رضي الله عنها – قراءة من هذه القراءات فتكون قد تبنت إحدى القراءات المتواترة . وهذا لا يقدح في القراءات المتواترة الأخرى .

فبهذا يظهر زيف دعوى « نولديكة » وأن لا دليل عليها .

---

(١) الكشف عن وجوه القراءات السبع ٢ / ٩٩ – ١٠٠ .

(٢) الكشف عن وجوه القراءات لمكي ٢ / ٩٩ – ١٠٠ .

الشبهة الثالثة :

حاول « نولديكة » أن يثبت دعواه أن هناك أخطاء من كتاب المصاحف في المصحف ببعض الأدلة . زاعما أن سبب قبولها لدى المسلمين يعود لسذاجتهم في تقديس هذا القرآن الكريم . زاعما أن النبي - ﷺ - نسب بعض الأخطاء في القرآن الكريم للكتاب وأن هذا بدوره أدى لوجود القراءات القرآنية ودخول التحريف للقرآن الكريم .

والأمثلة التي ذكرها « نولديكة » ونسبها لابن عباس - رضي الله عنه - وهي :

١ - « تستأنسوا » بدلا من « تستأذنوا » .
٢ - « ييئس » بدلا من « يتبين » .
٣ - « وقضى » بدلا من « ووصى » .
٤ - « مثل نوره كمشكاة » بدلا من « مثل نور المؤمن كمشكاة »[1].

الجواب:

المعروف أن الصحابة - رضوان الله عليهم - كان اهتمامهم بالقرآن عظيما حتى أثنى عليهم الله - عز وجل لمعرفتهم به نتيجة هذا الاهتمام وكانوا يحرصون أن يتلقوه من رسول الله - ﷺ - مباشرة ، أو ممن تلقاه منه إن تعذر لهم الأول . ولم يسمحوا لأنفسهم أن يلحنوا بشيء منه ، وقصة خلاف عمر بن الخطاب وهشام بن حكيم - رضي الله عنهما - مشهورة لمّا ظن عمر - رضي الله عنه - أن هشاما أخطأ في تلاوته لسورة الفرقان لقراءته بحرف غير حرفه . وعثمان - رضي الله عنه - لم يترك في المصحف حروفا رسمت فيها خطأ حتى إنه أمسك الدواة وأصلحها ، والشواهد على هذا كثيرة وسبق الإشارة لها[2] وقبل كل هذا

---

(١) تاريخ القرآن - نولديكة ٣ / ٢ - ٤ .
(٢) انظر صـ ٣٩٩ من الرسالة .

حفظ الله – سبحانه وتعالى – هذا الكتاب حتى إنه جعل جبريل – عليه السلام – يدارسه للرسول – ﷺ – مرة في كل عام . وقد ثبت مدارسته له في آخر سنة من حياته مرتين . كل هذا ليبقى هذا القرآن خاليا من الزلل والخطأ ، ويقرأ غضا طريا كيوم نزوله أول مرة فأين دعوى السذاجة المزعومة عند الصحابة ؟ وأين ما نسبه « نولديكة » لرسول الله – ﷺ – من ادعاء أنه نسب بعض الأخطاء للكتبة ، أو ما نسبه لبعض الصحابة – رضوان الله عليهم – .

والآن سأناقش الأمثلة التي استدل بها « نولديكة » لإظهار عوارها .

المثال الأول :

« تستأنسوا » والصواب « تستأذنوا » من قوله تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون** ﴾[1] .

نسب « نولديكة » هذا المثال لابن عباس – رضي الله عنه – وأنه أخطأ قراءة « تستأنسوا » وصوّب « تستأذنوا » وهذه الدعوى بحد ذاتها افتراء على ابن عباس – رضي الله عنه – قال أبو حيان : [ومن روى عن ابن عباس أن قولة « تستأنسوا » خطأ من الكاتب أو وهم من الكاتب وأنه قرأ « تستأذنوا » فهو طاعن في الإسلام ملحد في الدين وابن عباس بريء من هذا القول][2] .

وقال الخازن – رحمه الله – : [وفي هذه الرواية نظر ، لأن القرآن ثبت بالتواتر][3] .

وقد صح الإجماع والقراءة المتواترة الصحيحة بـ« حتى تستأنسوا » لذا لا يجوز خلافها ، وإطلاق الخطأ والوهم على الكاتب في لفظ أجمع الصحابة عليه وأخذوه بالتلقي قول لا يصح .

---

(١) سورة النور : ٢٧ .

(٢) تفسير البحر المحيط ٦ / ٤٤٥ .

(٣) تفسير الخازن ٥ / ٦٦ .

قال الأستاذ أبو شهبة : وقد روى هذا الخبر عن ابن عباس ابن جرير في تفسيره ، ولا يخلو إسناده من مدلس أو مضعف .

ورواه الحاكم وصححه وقال : على شرط الشيخين ولم يخرجاه .

وتصحيح الحاكم غير معتبر عند أئمة الحديث إذا انفرد ؛ لأنه متساهل في الحديث .

وحتى لو سلمنا للحاكم فإن مخالفة الرواية للمقطوع الثابت من رواية المصحف يردها وتعتبر شاذة . ووجودها في مصحف أبي وابن مسعود لا يشفع بقرآنيتها ، لأنها مصاحف خاصة .

ويؤيد عدم صحة الرواية عن ابن عباس ما رواه ابن أبي حاتم وابن الأنباري في المصاحف وابن مردويه وغيرهم عن ابن عباس أنه فسر « تستأنسوا » بتستأذنوا وقوله : ومن يملك الإذن من أصحابها[1] .

ويرد ما نسب لابن عباس - رضي الله عنهما - أن ابن عباس كان قد تلقى القراءة عن زيد بن ثابت وهو عمدة الذين جمعوا القرآن في المصاحف بأمر عثمان - رضي الله عنه - والقراءة المتواترة على قراءته وما نسب لابن عباس وأبي ابن كعب بقراءة « حتى تستأذنوا » فمحمول على أنها قراءة تفسير وتوضيح . كما أن قراءة « تستأنسوا » متمكنة في باب الإعجاز من القراءة المزعومة « تستأذنوا » . فالاستئذان ينصرف إلى الاستئذان بالقول أما الاستئناس فيشمل القول وغيره من الأفعال التي تؤذن بالقدوم كالتسبيح والتحميد والتنحنح وما شابه ذلك . كما أن الاستئناس يقصد به الأنس وإزالة الوحشة وعدم إيلام المستأذن عليه . بعكس لفظ الاستئذان فقد يكون مصحوبا بالخشونة والإيحاش والإيلام[2] .

---

(١) انظر المدخل لدراسة القرآن الكريم صـ ٣٧١ .

(٢) المدخل لدراسة القرآن الكريم صـ ٣٧٢ .

بهذا يظهر لنا بطلان ما نسب لابن عباس - رضي الله عنهما - وثبوت قراءة « حتى تستأنسوا » والله تعالى أعلم .

٢ - ييئس بدلا من يتبين :

قال « نولديكة » روي عن ابن عباس أنه قرأ « أفلم يتبين الذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا » فقيل له : إنها في المصحف ﴿ **أفلم ييئس الذين آمنوا** .. ﴾(١) الآية فقال : أظن الكاتب كتبها وهو ناعس(٢) .

الجواب :

هذا القول لا يصح نسبته لابن عباس - رضي الله عنه - وإنما الذي هو ثابت في حقه تفسيره لها بـ« أفلم يتبين » .

ويؤكد هذا ما علق عليه الإمام أبو حيان على هذه الرواية قائلا : [وأما قول من قال : إنما كتبه الكاتب وهو ناعس فسوى أسنان السين فقول زنديق ملحد](٣) .

وابن عباس وغيره من الصحابة - رضوان الله عليهم - كانوا يفسرون كلمة « أفلم ييئس » أفلم يتبين . لذا فهي قراءة تفسيرية .

قال الزمخشري : [إن عليا وابن عباس وجماعة من الصحابة والتابعين قرءوا أفلم يتبين وهو تفسير « أفلم ييئس » .

أما زعمه أن الكاتب كتبها وهو ناعس فهو مما لا يعقل ولا يصدق على كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وكيف يخفى مثل هذا . حتى يبقى ثابتا بين دفتي المصحف الإمام وكان متقلبا في أيدي أولئك الأعلام المحتاطين في دين الله المهيمن عليهم لا يغفلون عن جلائله ودقائقه ،

---

(١) سورة الرعد الآية ٣١ .
(٢) تاريخ القرآن لنولديكة ٣ / ٢ - ٤ .
(٣) تفسير أبي حيان ٥ / ٣٩٣ .

خصوصا عن القانون الذي إليه المرجع والقاعدة التي عليها البناء ، هذه والله فرية ما فيها مرية][1] .

ويؤكد بطلان هذه الفرية أن نافع بن الأزرق في مسائله لابن عباس سأله عن هذه الآية حيث قال له : أخبرني عن قوله تعالى : ﴿ **أفلم ييئس الذين آمنوا** ﴾ قال ابن عباس معناه : أفلم يعلم بلغة بني مالك . قال نافع : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال ابن عباس : نعم . أما سمعت مالك بن عوف يقول :

لقد يئس الأقوام أني أنا ابنه وإن كنت عن أرض العشيرة نائيا[2]

كما أن أبا عمرو البصري كان يقرأ بقراءة زيد بن ثابت من طريق سعيد ابن جبير ومجاهد بن جبير ، وعكرمة مولى ابن عباس . والمعروف أن ابن عباس تلقى القراءة عن زيد بن ثابت - رضي الله عنهما -[3] .

فلا يعقل أن يقرأ ابن عباس بخلاف قراءة زيد . لذا فلا تحمل قراءته إلا أن تكون تفسيرية . ولو صحت لكانت قراءة آحاد لا يحكم بقرآنيتها ولا تقف أمام القراءة المتواترة السبعية الصحيحة .

ففي هذا رد كاف على « نولديكة » في بطلان ما نسبه للصحابي الجليل عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - .

٣ - « وقضى » بدلا من « ووصى » :

من قوله تعالى : ﴿ **وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا ..** ﴾[4] الآية .

حيث زعم « نولديكة » أن هذا الخطأ ناتج عن سيلان الحبر الزائد من

---

(١) تفسير الكشاف ٢ / ٣٦٠ - ٣٦١ (بتصرف) .
(٢) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ١ / ١٢١ .
(٣) غاية النهاية في طبقات القراء ١ / ٢٨٩ ، ٣٠٥ ، ٥١٥ ، ٢ / ٤١ .
(٤) سورة الإسراء : ٢٣ .

الكاتب على الورقة .

الجواب :

هذا القول من أغرب الأقوال التي أتى بها « نولديكة » لإثبات التحريف في كتاب الله سبحانه بسبب خطأ الكتّاب . وهذا القول يناقضه الواقع والروايات التاريخية التي حفظ بها هذا القرآن العظيم ، وما بذل مَن أجله من جهد وتدقيق وتحقيق مما فاق أي كتاب آخر .

كيف لا وهو كتاب رب العالمين - سبحانه - .

لاشك أن هذه الآية جاء فيها عدة قراءات بين قراءات متواترة وقراءات آحاد .

فقد قرأ الجمهور : « وقضى » فعلا ماضيا من القضاء وهو ما رسم به المصحف العثماني ، وعليه بقية مصاحف الأمصار ليومنا هذا .

وقرأ بعض ولد معاذ بن جبل « وقضاء ربك » مصدر قضى . وهذا مرفوع على الابتداء وخبره « أن لا تعبدوا » ، وذكر أنه كان مرسوما « ووصى » من التوصية في مصاحف بعض الصحابة كابن مسعود وابن عباس - رضي الله عنهما - وبعض التابعين كسعيد بن جبير والنخعي ، وميمون بن مهران[(1)] رحمهم الله .

وهذه القراءات سوى قراءة الجمهور قراءات آحاد لمخالفتها للقراءة المتواترة ، وسواد المصحف الإمام .

كما أن بعض العلماء قد ضعفها كالإمام ابن الأنباري - رحمه الله - حيث قال : [إن هذه الروايات ضعيفة ، والضعيف لا يحتج به ، ولا يؤخذ به في دون هذا فما بالك في شيء يتعلق بالقرآن الكريم][(2)] .

---

(١) انظر تفسير البحر المحيط ٦ / ٢٥ .

(٢) المدخل لدراسة القرآن الكريم صـ ٣٧٥ .

والجدير بالذكر أن المستفيض من القراءة عن عبد الله بن عباس وعبد الله ابن مسعود – رضي الله عنهما – القراءة بـ « وقضى » وهذا ما ثبت من سند بعض القراء السبعة لهما كأبي عمرو البصري – رحمه الله تعالى – .

كما أن ابن عباس كان يفسر « وقضى » بـ « أمر » وهذا التفسير كذلك منسوب للحسن البصري وقتادة .

مما يؤكد ثبوت قراءته بـ « وقضى » وضعف ما نسب له بقراءته « ووصى » وافتراء ما زعم أنه زيادة في سيلان الحبر على ورقة الكاتب .

إن هذا إلا اختلاق . لأن المعروف أن الأصل في حفظ هذا القرآن في الصدور قبل تفريغه في السطور .

٤ – « مثل نوره كمشكاة » بدلا من « مثل نور المؤمن كمشكاة » :

وهي في قوله تعالى : ﴿ **الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح ..** ﴾[1] الآية .

وقد زعم « نولديكة » أن ابن عباس –رضي الله عنهما – قد اعتبر هذا خطأ عهدته على الكاتب . لأن الله أكبر من أن يقارن بنور المصباح .

الجواب :

قراءة الجمهور ﴿ **الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة ..** ﴾ وقرأ أبي بن كعب « مثل نور المؤمن » قراءة تفسيرية وهو قول سعيد بن جبير والضحاك كذلك[2] .

ولم يثبت ولا من طريق واحد نسبة هذه القراءة لابن عباس – رضي الله عنهما –..

---

(١) سورة النور : ٣٥ .

(٢) انظر التفسير الكبير ٢٣ / ٢٣٦ .

أما الشبهة التي انقدحت في ذهن « نولديكة » ظنه أن الله ذاته – سبحانه – هو النور كما في ظاهر الآية « الله نور » والآية لا تدل على هذا وفهمه لها كان على غير الوجه الصحيح . لأن هذه الآية مثل قولك : زيد كرم وجود . ثم تقول كقولك ينعش الناس بكرمه وجوده . فعلى هذا فمعنى الآية أن الله ذو نور السموات والأرض . ويؤكد هذا قوله تعالى : ﴿ **وجعل الظلمات والنور** ﴾[1] حيث صرحت الآية بأن ماهية النور مجعولة لله تعالى ؛ لذا يستحيل أن يكون الإله بذاته نورا فيكون توجيه الآية على أمور :

١ – أن النور هنا الهداية . فقوله : « الله نور السموات والأرض » أي هادي أهل السموات والأرض وجاعل لهم ما به يهتدون لطريقه سبحانه قال تعالى : ﴿ **أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا** ﴾[2] وهذا القول هو قول ابن عباس والأكثرين – رضي الله عنهم – .

٢ – مدبر السموات والأرض .

أي بحكمته البالغة ، وبحجة نيرة . وهو اختيار الأصم والزجاج .

٣ – ناظم السموات والأرض على الترتيب الأحسن فإنه قد يعبر بالنور على النظام .

٤ – منور السموات والأرض وهو مروي عن أبي بن كعب والحسن وأبي العالية .

والأقرب والأرجح هو الأول لأن قوله في آخر الآية « يهدي الله لنوره من يشاء » يدل على أن المراد بالنور الهداية إلى العلم والعمل[3] .

ولأنه سبحانه ذكر قبل هذه الآية ﴿ **ولقد أنزلنا إليكم آيات**

---

(١) سورة الأنعام : ١ .

(٢) سورة الأنعام : ١٢٢ .

(٣) انظر التفسير الكبير ٢٣ / ٢٢٤ – ٢٢٥ .

مبينات ﴾[1] فإذا كان المراد بقوله « مثل نوره » أي مثل هداه وبيانه كان ذلك مطابقا لما قبله ، كما أن تفسيرنا لقوله تعالى : ﴿ **الله نور السموات والأرض** ﴾ بأنه هادي أهل السموات والأرض ، فإذا فسرنا قوله : « مثل نوره » بأن المراد مثل هداه كان مطابقا لما قبله كذلك[2] .

هذا يرجح أن ما نسب لابن عباس – رضي الله عنهما – محض افتراء والشبهة التي ذكرها « نولديكة » غير واردة وثبت أن القراءة المتواترة صحيحة ، معناها واضح لا لبس فيه .

أما قراءة أبي فهي قراءة آحاد لا تثبت قرآنا لمخالفتها الصحيح المتواتر .

الخلاصة :

بعد هذا التوضيح والبيان لما ذكره « نولديكة » من أدلة مفتراة منسوبة لبعض الصحابة ليثبت أن الرسم كان سببا من أسباب الاختلاف في القراءات القرآنية وأن القرآن دخله التحريف لأخطاء الكتّاب فيه ، مما يرفع عنه الحصانة الإلهية ، والتقديس الموجود له في قلوب المسلمين فظهر لنا أن كل ما ذكر محض افتراء ، ليس له أدنى درجات الصحة وينقصه الدقة في النقل ، والأمانة في التوجيه ، كما أنه ظهر منه نوايا هذا المستشرق الذي ما أراد من أقواله إلا الطعن في القرآن الكريم ركيزة الإسلام الأولى والأخيرة والذي يؤسف له أن هذه الأقوال كانت من أستاذ كبير يعتبر من أساطين الغرب وعمدتهم في الدراسات الإسلامية وخاصة كتابه (تاريخ القرآن) الذي وضع أصوله في رسالة علمية في باريس . ولنا مع كتابه وقفات في غير هذا الموضع من الرسالة إن شاء الله تعالى .

جعلنا الله من الذابين عن كتابه ، والمبطلين لمزاعم أعدائه ، والكاشفين القناع عن وجوه أمثال هذا المستشرق ومن يتسترون تحت راية العلم ورسالته . ويتمسحون به .

---

(١) سورة النور : ٣٤ .

(٢) انظر التفسير الكبير ٢٣ / ٢٣٦ .

فبهذا الفصل نكون قد رددنا على أغلب شبهات المستشرقين في موضوع القراءات القرآنية ورسم المصحف العثماني .

ولله الحمد والمنة ..

الفصل السادس

الأسلوب القرآني وشبه المستشرقين حوله

المبحث الأول

أسلوب القرآن المكي والمدني

المبحث الثاني

طول الآيات وقصرها وعددها وشبههم حول هذا المبحث

المبحث الثالث

الفاصلة القرآنية

المبحث الرابع

أسلوب القصة في القرآن الكريم

المبحث الخامس

التعريب

الفصل السادس

الأسلوب القرآني وشبه المستشرقين حوله

المبحث الأول :

أسلوب المكي والمدني :

الشبهة الأولى :

قالت الموسوعة البريطانية : [.. إن أسلوب الوحي المحمدي جاء نثرا مقفى ، أو ما يسميه العرب بالسجع ، وقد استعمل هذا الأسلوب سابقا من قبل الكهنة ، ومن قبل المنجمين .

فالسور الأولى تتصف آياتها بالقصر وبقوتها الشعرية وبتعبيرها الحيوي . أما السور الأخيرة فجاءت آياتها طويلة ، مفصلة ومعقدة نثرية في مظهرها ولغتها ، ومما تسبب عنها اختلاف في ترقيم الآيات][1] .

الجواب :

هذه العبارات تناولت عدة قضايا :

١ - الأسلوب المكي والمدني .
٢ - صلة هذا الأسلوب بأسلوب الكهان والمنجمين .
٣ - الآيات طولا وقصرا .

أما بالنسبة للنقطة الثانية فقد تكلمت عنها بتوسع[2] خلال ردي على

---

(١) قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية صـ ٤٢ .
(٢) انظر صـ ٢٨٢ من الرسالة .

شبهات ظاهرة الوحي (الشبهة السادسة) تنظر هناك .

وسأقصر ردي هنا على النقطتين الأولى والثالثة .

أقول وبالله التوفيق ..

أولا : الأسلوب المكي والمدني :

التفرقة بين الأسلوب المكي والمدني أمر كانت له أبعاده ومقدماته ونتائجه ، وهي قضية طالما تعرض لها رجال التبشير والاستشراق على السواء وردها تلامذتهم كثيرا .

إن الغاية من تقسيم القرآن إلى أسلوبين - عند المستشرقين والمبشرين - إثبات أن هذا القرآن كان خاضعا للبيئات المختلفة فهو في مكة كان ذا أسلوب شعري يتفق مع لغة القوم وثقافتهم العربية المحدودة ، ولكنه في البيئة المدنية كان متأثرا بأهل الكتاب الذين كانوا هناك من اليهود والذين كان لهم من الثقافة ما لم يكن لهؤلاء ، وعلى هذا فالقرآن كان يخضع لأمزجة مختلفة ، وثقافات متغايرة ، فليس نسقا واحدا ، فآياته في مكة قصيرة ذات أسلوب وإيحاء قوي ، ولكنها في المدينة كانت طويلة ذات أسلوب معقد . وهذه فرية من جملة أكاذيبهم التي لا تقوم على دليل[1] .

إن القرآن المكي جاء ليعالج موضوع العقيدة بشكل رئيسي ، وما يتصل بها من أخلاق فاضلة لذا سخر لذلك كل شيء حتى القصص القرآني . أما القرآن المدني فكان تركيزه على إيجاد نظام شامل لكل متطلبات الحياة . واختلاف الموضوع قد ينتج عنه تنوع في الأسلوب من حيثية معينة ولكنه يحافظ على الجودة وحسن الصياغة .

فطبيعة الموضوع نفسه تقتضي شيئا من التغير في العرض فالأسلوب فيهما إذاً يمتاز بجودة النظم ، وروعة الأسلوب ، وعلو الشأن وبديع الصنع ، والتناهي

---

(١) انظر قضايا قرآنية صـ ٤٣ (بتصرف) .

في البلاغة .. إلخ[1] .

الشبهة الثانية :

زعم بعض المستشرقين [أن أسلوب السور المكية يؤدي إلى تقطيع الفكرة ، واقتضاب المعاني[2] . ووصف أصحاب الموسوعة البريطانية السور المدنية بأنها تتناول مواضيع مختلفة تتحدث عنها مواضع مختلفة من السورة، وكان القرآن يعطي للقارىء انطباعا بأنه مجرد إنشاء جاء بطريقة عشوائية ، ويؤكد صحة ذلك طريقة ختم هذه الآيات بآيات مثل ﴿ **إن الله عليم** ﴾ ﴿ **إن الله خبير** ﴾ ﴿ **إن الله يعلم وأنتم لا تعلمون** ﴾ وإن هذه الأخيرة لا علاقة لها مع ما قبلها وإنها وضعت فقط لتتميم السجع والقافية][3] .

الجواب :

هذه الفقرات تحتاج مني لوقفتين رئيسيتين مع الأسلوب القرآني .

١ - أسلوب القرآن وخصائصه الأدبية .

٢ - الفاصلة القرآنية .

القضية الأولى :

أسلوب القرآن وخصائصه الأدبية :

القرآن الكريم نزل في أمة كانت بضاعتها المفضلة الكلام حتى أقامت له أسواقا أدبية يتبارى فيها الأدباء والخطباء والشعراء ويدركون كل هذا بفطرتهم السليمة ، وعقولهم الألمعية الذكية ، وبأذواقهم الرفيعة . ومع كفرهم بالقرآن العظيم إلا أنه كان له على نفوسهم تأثير وهيمنة وسلطان . ولما خشوا من تأثيره عليهم وهم يرونه يسلب اللبيب قلبه ، ويأخذ عليه مجامع نفسه وعقله قال بعضهم

---

(١) انظر قضايا قرآنية صـ ٤٤ (بتصرف) .

(٢) المدخل لدراسة القرآن الكريم صـ ٢٣٤ .

(٣) قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية صـ ٧٤ .

لبعض ﴿ **لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون** ﴾[1] .

ولله در الأستاذ محمد دراز إذ يقول واصفا هذا الأمر [أما ما يبدو أنه فوق طاقة البشر حقا في الأسلوب القرآني ، فهو أنه لا يخضع للقوانين النفسية التي بمقتضاها نرى العقل والعاطفة لا يعملان إلا بالتبادل وبنسب عكسية . بحيث يؤدي ظهور إحدى القوتين إلى اختفاء الأخرى ففي القرآن لا نرى إلا تعاونا دائما في جميع الموضوعات التي يتناولها بين هاتين النزعتين المتنافرتين .

وبالإضافة إلى الموسيقى الخالدة التي تعلو الأسلوب المتنوع نرى أن الكلمات ذاتها بمعناها المجازي سواء أكانت وصفا أو استدلالا أو عن قاعدة في القانون أو في الأخلاق – تسعى بقوة وتجمع في نفس الوقت بين التعليم والإقناع والتأثير ، وتمنح القلب والعقل نصيبه المنشود ، وعلاوة على ذلك فإن هذا الكلام الرباني وهو يؤثر على هذا النحو ، في قوانا المختلفة ، يحتفظ دائما وفي أي موضع بهيبة مدهشة وبجلالة قوية لا تتأرجح ولا تضطرب ...

فالعربي الأصيل الذي تسري في دمه غريزة اللغة ، ليس في حاجة إلى هذا التحليل لكي يقدر بنفسه طابع النص القرآني الفريد . وما يستفاد من هذه الدراسة البطيئة المنطقية ، يدركه هو بفطنته وفطرته فهو يشعر بالقرآن وكأنه آتٍ من السماء ينفذ إلى القلوب ، ويبهر الأبصار . ولقد أدرك الكفار هذا التأثير في عهد الرسول – ﷺ – واختلفوا في التماس التفسير والتعليل له ، إذ وجدوه ظاهرة غريبة إلى درجة أن أطلقوا عليه « سحرا » وحتى في عصرنا الحاضر ورغم بعد الزمن واختلاط الأجناس ، وانحراف فطرة اللغة نجد العرب على اختلاف دياناتهم يعترفون بالسمو والجلال والهيبة التي ينفرد بها النص القرآني بالنسبة للأدب العربي بوجه عام ، وبالنسبة لأحاديث الرسول – ﷺ – المعروفة ببلاغتها الرفيعة[2] .

والقرآن المكي والمدني على حد سواء في متانة الأسلوب ، وترابط المعاني

---

(١) سورة فصلت آية : ٢٦ .

(٢) مدخل إلى القرآن الكريم صـ ١١٧ .

وأداء المعنى الكثير في اللفظ القليل دون تقليل يخل أو تطويل يمل .

والقرآن الكريم كما هو معجز في حقائقه العلمية والتاريخية هو معجز في أسلوبه وبيانه الذي يظهر في حسن ترتيب السورة وإحكام نسقها .

وهذا أمر فطن له علماء أفذاذ منذ القدم ، لذلك كانت لهم عناية في كشف اللثام عن متانة الترابط ، وإحكام الصلة بين أجزاء كل سورة من سور القرآن العظيم . من هؤلاء : العالم الجليل « البقاعي » في كتابه النفيس (نظم الدرر في تناسب الآي والسور) والأستاذ الدكتور محمد عبد الله دراز في كتابه (النبأ العظيم) الذي حلل فيه سورة البقرة مع طولها وأظهر الاتساق بين أجزائها ، وما فيها من وحدة موضوعية .

وشيخي الدكتور فضل حسن عباس في كتابه (إعجاز القرآن) حيث درس فيه عدة سور من القرآن الكريم منها المدني ومنها المكي بنفس الطريقة[1] حيث أظهر ما يربط السور القرآنية من نظام بديع ومعان مترابطة وافية ، ووحدة تامة بين أجزاء السورة الواحدة مع تعدد موضوعاتها كما أن كثيرا من كتب البلاغة والتفسير قد اهتمت بهذا الجانب .

أما المستشرقون فإن فاتهم هذا الإدراك ، وهذا الحس فلبعدهم عن العربية ، ولجهلهم بها وبأساليبها ، وحكمهم عليها كان حكما فطيرا خاليا من التأمل والتروي وقد حاولوا تعليل هذه القضية بعلل غير مقبولة منها : أنه يعود لسذاجة الأسلوب وركاكته ، أو لركاكة المعنى ، أو لخطأ من الصحابة – رضوان الله عليهم – بأنهم لم يحسنوا ترتيب الموضوعات في السورة الواحدة بل جمعوها بطريقة عشوائية . كل هذه الأقوال تتبدد عندما يعلم هؤلاء أن سورة كالبقرة نزلت نجوما في عشر سنين ، ومع هذا فهي لوحة فنية تأخذ بالألباب بجمالها ، وروعة أسلوبها ، وترابط أفكارها ، وتمام معانيها ، ووحدة موضوعاتها مع تعدادها وكان الأولى أن يظهر الضعف والإطناب الممل ورداءة الذوق على حد تعبير « دوزي »

---

(١) ذكر ذلك في كتاب قضايا قرآنية صـ ٨٠ .

(أن القرآن كتاب ذو ذوق رديء للغاية ولا جديد فيه إلا القليل ، وفيه إطناب بالغ وممل إلى حد بعيد)[1] .

هذا الكلام الملقى جزافا يرفضه عقل الطفل قبل الرجل السوي لأنه الكتاب الذي لا تمله الأسماع ، ولا تعافه النفوس ولا يخلق عن كثرة الرد لأنها تجد فيه متعتها وأنسها وسلوة أحزانها ، وإشباع فكرها ، وصقل ذوقها ، وقوامة أخلاقها ، وكمال حاجتها من الشرائع والقوانين .

الشبهة الثالثة :

زعم بعضهم أن القرآن المكي تأثر بالأوساط التي نزل فيها من حيث التأدب في اللفظ وعدمه . فالمكي تجد فيه الألفاظ النابية أما المدني فتجد فيه رفعة في العبارة وبعدا عن هذه الألفاظ[2] .

إيحاءاً منهم بالتأثر بالأدب اليهودي في المدينة – على حد زعمهم – .

الجواب :

هذه الأوصاف التي يطلقها المستشرقون على القرآن الكريم عارية عن الصحة . أما إن قصدوا بها الوعد والوعيد والتقريع والتهديد للكفار في بعض الآيات ، أو صفحا وعفوا في غيرها فهذا النوع من الآيات لا يسمى سبابا ولا شتما بل هو لون من ألوان الأسلوب العربي . والقرآن الكريم نزل بلغة العرب وعلى أساليبهم وأفانين الكلام عندهم .

وهذا النوع من الأسلوب ليس في السور المكية فقط – على حد زعمهم – بل هو موجود كذلك في السور المدنية قال تعالى في سورة البقرة : ﴿ **إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا أولئك ما يأكلون في بطونهم إلا النار ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب**

(١) الاستشراق والخلفية الفكرية – د / محمد حمدى زقزوق صـ ٩٤ ، وقضايا قرآنية صـ ٧٤ – ٧٨ .
(٢) مناهل العرفان في علوم القرآن ١ / ٢٠٦ ، والمدخل لدراسة القرآن الكريم صـ ٢٣٦ .

أليم ﴾[1] .

أما الأسلوب الرفيع البعيد عن البذاءة – على حد تعبيرهم – ويقصدون به العفو والصفح وأنه غير موجود في السور المكية فهي مجرد دعوى وآيات العفو والصفح كما هي في السور المدنية فهي في السور المكية ومثال ذلك ما جاء في سورة الأعراف **﴿ خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين ﴾**[2] وقوله تعالى في سورة فصلت : **﴿ ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن ﴾**[3] الآية .

فمن هنا يظهر أن مسلك القرآن الكريم في كل هذه الألوان من الأساليب من وعد ووعيد ، وترغيب وترهيب ، وعفو وصفح وتهديد ، راجع لمقتضى المقام وهذا هو الأسلوب الحكيم .

ويرحم الله القائل :

فقسا ليزدجروا ومن يك حازما　　　فليقس أحيانا على من يرحم

والقائل :

ووضع الندى في موضع السيف بالعلا　　　مضر كوضع السيف في موضع الندى[4]

وهناك أمر لابد من التنبيه عليه وهو أن نزول القرآن بمثل هذا النوع من الأسلوب كان من باب المشاكلة لأقوال المشاركين المعاندين مثال ذلك : نزول سورة المسد كان سبب نزولها أن رسول الله – ﷺ – صعد ذات يوم على الصفا فنادى يا صباحاه . فاجتمعت إليه قريش . قال : أرأيتم لو أخبرتكم أن العدو مصبحكم أو ممسيكم أكنتم تصدقوني . قالوا : بلى قال : فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد . فقال أبو لهب : تبا لك ألهذا جمعتنا ؟ فأنزل الله سبحانه وتعالى :

---

(١) سورة البقرة آية : ١٧٤ .

(٢) سورة الأعراف آية : ١٩٩

(٣) سورة فصلت آية : ٣٤ .

(٤) المدخل لدراسة القرآن الكريم صـ ٢٣٦ – ٢٣٨ .

﴿ **تبت يدا أبي لهب وتب ..** ﴾[1] إلى آخرها[2] .

كما أن من الأسباب الداعية للإكثار من هذا الأسلوب في السور المكية كان بسبب موقف القرشيين من الأوثان والموروثات القديمة وهو التمسك بها والحرص عليها وترك الحق من أجلها مع ذكائهم وشدة فطنتهم فجاءت الآيات المكية قصيرة مؤثرة ، لاذعة لمشاعرهم ، هازة لوجدانهم ، ليستفيقوا من سباتهم ، وتشعر أحاسيسهم فيزول التبلد عنها . من أجل كل هذه الأمور مجتمعة وغيرها كان هذا التنوع في الأسلوب . لا تأثراً بأسلوب الأدب اليهودي كما يزعمون ؛ لأن اليهودية أعجز من أن تأتي بمثل هذا الأسلوب القرآني البديع الرفيع : وردي على هذه الفرية سيكون بتوسع تحت اليهودية كمصدر في باب المصادر[3] .

الشبهة الرابعة :

وصف أصحاب الموسوعة البريطانية أسلوب القرآن بأنه دراماتيكي[4] . أما بعض المستشرقين فقد وصفوا القسم المكي منه بالهروب من المناقشة وبالخلو من المنطق والبراهين والهدوء والإقناع[5] .

الجواب :

يقصد أصحاب الموسوعة بأسلوب دراماتيكي أي أن القرآن الكريم كما يعرض وجهة نظر الخصوم واعتراضاتهم ، ثم يرد عليهم بحجج قوية مناوئة لهم وهذا بحد ذاته يناقض الرأي الثاني الذي وصف القرآن المكي بأنه يتسم بالهروب أما الخصوم وعدم إقامة الحجج عليهم. وهذا الأمر ينقضه أي مسلم يقرأ القرآن ويتمعن فيه . فالقرآن الكريم كان يعرض لقضايا معينة يريد تثبيتها كالتوحيد ،

---

(١) سورة المسد .

(٢) انظر إرشاد الساري لشرح البخاري ٧ / ٤٣٧ ، وأسباب النزول للواحدي صـ ١٤٧ طبعة عبد الحميد حنفي – حاشية على تفسير الجلالين .

(٣) انظر صـ ٢٣٧ من الرسالة .

(٤) انظر قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية صـ ٥٥ .

(٥) المدخل لدراسة القرآن الكريم صـ ٢٤١ .

والرسالة ، واليوم الآخر وبعض الهدايات والأخلاق الفاضلة . وقد سخر لهذه القضايا عدة أساليب منها أسلوب القصة أو المحاورة ، أو التقرير ، أو التقريع ، أو الترغيب ، أو الترهيب . قد عرضها مع الأدلة التي تثبتها وتؤكدها وكانت هذه الأدلة منتزعة إما من النفس ، أو الكون ، أو المشاهدات ، أو غير ذلك . قال تعالى : ﴿ **وفي الأرض آيات للموقنين . وفي أنفسكم أفلا تبصرون** ﴾(١) .

ولقد بلغ القرآن الكريم الذروة في تقرير حجج خصومه بكل دقة وأمانة ، وردها بأبلغ رد وأحكمه وأوفاه وهذا الأمر بعرضه ورده لا يملك منها رسول الله - ﷺ - شيئا لأنه كتاب نزل عليه من الله سبحانه قال تعالى : ﴿ **قل لو شاء الله ما تلوته عليكم** ﴾(٢) وقال سبحانه : ﴿ **وما كنت ترجو أن يلقى إليك الكتاب إلا رحمة من ربك** ﴾(٣) .

والقرآن المدني والمكي على حد سواء يعرض أدلته بهدوء وإقناع بالِغْين . وما دامت التهمة موجهة للقرآن المكي من قبل المستشرقين فسأعرض آيات من السور المكية فيها الحجة على ما يزعمون .

فهذه سورة النمل مكية عرضت لموقف المشركين من اليوم الآخر وتقيم الأدلة بأسلوب هادىء مقنع على ضرورة الإيمان بالله والانقياد لهذا الإله العظيم . قال تعالى : ﴿ **إن الذين لا يؤمنون بالآخرة زينا لهم أعمالهم فهم يعمهون** ﴾(٤) وضرب لهم مثلا في موقفهم من القرآن بموقف قوم موسى من الحق ﴿**فلما جاءتهم آياتنا مبصرة قالوا هذا سحر مبين . وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين**﴾(٥) .

---

(١) سورة الذاريات آية : ٢٠ - ٢١ .

(٢) سورة يونس آية : ١٦ .

(٣) سورة القصص آية : ٨٦ .

(٤) سورة النمل آية : ٤ .

(٥) سورة النمل آية ١٤ .

ومن أجل إقناعهم بخطأ موقفهم من القرآن والإيمان أنزل لهم هذه الآيات : ﴿ **قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى ءآلله خير أم ما يشركون . أم من خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها أءله مع الله بل هم قوم يعدلون أم من جعل الأرض قرارا وجعل خلالها أنهاراً وجعل لها رواسي وجعل بين البحرين حاجزا أءله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون** ... ﴾[1] إلى آخر الآيات .

ولتنظر سورة الأنعام ، والأنبياء ، ويس ، والغاشية ، فكلها عرضت الأمر بأسلوب بديع هادىء مقنع للكافرين .

أبعد هذا الأسلوب الهادىء أسلوب ؟! وبعد هذه الأدلة المقنعة أدلة ؟!...

أما استشهادهم على قولهم بسورة الكافرين فلا حجة لهم فيها لأن هذه السورة نزلت تيئيسا للكافرين ومفاصلة لهم من عبادة رسول الله - ﷺ - لمعبوداتهم عندما طلبوا منه أن يعبد معبوداتهم سنة ويعبدوا إلهه سنة فنزل قوله تعالى : ﴿ **قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون . ولا أنتم عابدون ما أعبد .. لكم دينكم ولي دين** ﴾[2] .

في هذا بلاغ وبه الحجة الكافية على هؤلاء المستشرقين المزيفين للحق الحائدين عنه . والله غالب على أمره .

الشبهة الخامسة :

زعموا أن السور المكية خالية من التشريعات والقوانين التفصيلية لضعف الثقافة عند المكيين بعكس السور المدنية فقد ذكرت هذه القضايا تأثرا بالثقافة اليهودية[3] .

(١) سورة النمل آية ٥٩ - ٦١ .

(٢) سورة الكافرون .

(٣) المدخل لدراسة القرآن الكريم صـ ٢٤٣ .

الجواب :

قبل الإسلام تمكنت في نفوس العرب شعائر الجاهلية ، ومازجت أرجاسها عقولهم ، وكان العسير اجتثاثها من نفوسهم دفعة واحدة .

فاقتضت الحكمة الإلهية التدرج بهم شيئا فشيئا على مراحل عدة ، وصور متعددة .

وخلاصة الأمر : أن القرآن الكريم وجد قوما في مكة ينكرون أصول العقائد والإيمان فكان أول ما نزل منه يعالج هذا الأمر ، فدعا لتوحيد الله سبحانه وإفراده في الطاعة والعبادة ، وتحذيره من عبادة الأوثان والشرك بالله سبحانه وساق لذلك القصص والشواهد لتثبيت هذه العقيدة الإسلامية بنقائها وصفائها . فلما رسخت العقيدة في النفوس ، وأصبح أصحابها قادرين على تنفيذ أوامر الله سبحانه . خاصة بترك العادات الموروثة كشرب الخمر ، والربا ، والزنا ، وغير ذلك عند هذا الحد نزلت الآيات المتعلقة بأصول الشريعة كالصلاة ، والزكاة ، والصيام ، والأخلاق الفاضلة ، والآداب الحميدة ، وذم سيء الأخلاق ، حتى إذا ارتفعت النفوس شيئا فشيئا ، وملكت قوة التقبل والامتثال ، تعاقبت التفاصيل في الشرائع والأحكام الإسلامية .

حتى إذا جاء دور التشريعات الإسلامية العامة كالحدود والقصاص والعلاقات الدولية وكان لابد لها من سلطة تنفيذية تنفذ الشريعة الإسلامية جاء دور المجتمع المدني ، والقرآن المدني نزل لتنفيذ هذه المرحلة .

فجاءت التشريعات المدنية مسهبة ومستقلة عن أي تأثير بل طبيعة المرحلة هي التي اقتضت ذلك . ولكن بحكم وجود اليهود في المدينة حيث كان لهم تشريعاتهم الخاصة بهم وأسلوبهم الخاص في التعامل مع الناس وقفت الشريعة الإسلامية لتظهر شخصيتها في هذا المقام وتبين موقفها من أخلاق اليهود وأسلوبهم المعوج في التعامل .

لذا ظن المستشرقون أن التشريعات الإسلامية في المدينة كانت بتأثير من اليهود وهذا مجانب للصواب فالشريعة الإسلامية وقرآنها متميزان في العهدين المكي والمدني على السواء ،[1] ومنشأهما ربانيان دون التأثر بأحد .

وخير ما نذكره من الشواهد على ما ذكرت حديث السيدة عائشة - رضي الله عنها - « إنما نزل أول ما نزل منه - أي القرآن الكريم - سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام ، نزل الحلال والحرام . ولو نزل أول شيء لاتشربوا الخمر . لقالوا : لا ندع الخمر أبدا ، ولو نزل : لا تزنوا لقالوا : لا ندع الزنا أبدا »[2] .

الشبهة السادسة :

زعموا أن الوسط المكي الساذج أثر على أسلوب القرآن المكي فأكثر من القسم بالمخلوقات الجامدة بما يناسب البيئات الساذجة المتأخرة[3] .

الجواب :

يحاول المستشرقون دائما وصف أهل مكة بالسذاجة والتأخر ليصوروا المجتمع المدني مجتمعا متقدما وذلك لمخالطته اليهود الذين يحاولون أن يصفوا أنفسهم أو يوصفوا من قبل أتباعهم أنهم أهل التقدم ، والذكاء والدهاء وأهل الاصطفاء . من الله سبحانه مع أنهم على غير هذا وبشهادة التاريخ والواقع ، وبوصف القرآن لهم . ووصف أهل مكة بالسذاجة خلاف الواقع فأهل مكة كانوا أذكى عقولا ، وأرهف حسا ، وأوفى ذوقا ، من أهل المدينة . والقرآن الكريم قد بين كثيرا من مناقشاتهم العقلية وقد خرج منهم القائد للجيوش والحاكم للشعوب ، والعالم بكل فن .

---

(١) خصائص القرآن الكريم - د / فهد الرومي - صـ ٧٨ .
(٢) صحيح البخاري ٦ / ١٠١ ، كتاب فضائل القرآن باب ٦ تأليف القرآن .
(٣) المدخل لدراسة القرآن الكريم صـ ٢٤٥ .

والقرآن الكريم قد أقسم بالمحسوسات والمعقولات والأحياء فأقسم سبحانه بالشمس والملائكة والنفس ، وبحياة الرسول - ﷺ - وبذاته سبحانه .. إلخ وقسمه كان كلون من ألوان الخطاب كان دارجاً بين المخاطبين والقرآن الكريم نزل بأسلوبهم وعلى طريقة الخطاب عندهم .

فالحال والمقام اقتضى القسم بهما . ثم إن القسم بهذه الأشياء ليس لتعظيمها - كما يظن المستشرقون - إنما لتنبيههم إلى ما تشتمل عليه من إحكام في الخلق والصنعة ، وما تنطوي عليه من أسرار وعجائب وما تذكر به من نعم وآلاء على المخلوقين . فيؤدي النظر فيها والتمعن للإيمان بخالقها ومنشئها سبحانه ، والإذعان والانقياد لشرعه وتعاليمه حسب ما جاء به رسوله - ﷺ - .

ولأهمية هذا الموضوع فقد خصه بعض العلماء بالتأليف كابن القيم في كتابه (التبيان في أقسام القرآن) وغيره[1] .

المبحث الثاني :

طول الآيات وقصرها وعدها :

شبههم حول هذا المبحث :

الشبهة الأولى :

ذكرت دائرة المعارف البريطانية في هذا الشأن (أن السور الأولى تتصف آياتها بالقصر ، وبقوتها الشعرية ، وبتعبيرها الحيوي ، أما السور الأخيرة فجاءت آياتها طويلة مفصلة ومعقدة نثرية في مظهرها ولغتها ، بحيث إنه أصبح من الصعب التمييز أين تنتهي الآية ، مما تسبب عنه اختلاف في ترقيم الآيات)[2] .

---

(١) المدخل لدراسة القرآن صـ ٢٤٦ - ٢٤٧ .

(٢) قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية صـ ٥٠ .

الجواب :

إن مما يؤسف أن تجد مراجع علمية كالموسوعة البريطانية تكتب أمورا إسلامية ، وقضايا قرآنية دون تمحيص ودقة علمية مما يجعلها تأتي بكل غريب ونشاز .

فقضية قصر الآيات وطولها أمر توقيفي لا اجتهادي عينه المصطفي - ﷺ - وكان مراعيا فيه لمقتضى حال المخاطبين وليس لتأثره بالبيئة المكية أو المدنية . وكان مراعيا كذلك أفانين الكلام عند العرب في كلا البيئتين ، حيث كان عندهم أسلوب الإطناب والإيجاز ، فجاءت الآيات على الأسلوبين سواء في مكة أو في المدينة ، وأهل مكة لم يكونوا شعراء فقط بل كانوا كذلك أدباء بلغاء لا يقلون في الإبداع عن كونهم شعراء أفذاذ ، لأن الكلام بضاعتهم في كل نواحيه ، وقد اشتهر منهم في مكة أدباء أصحاب نثر بديع كما اشتهر فيهم شعراء مبدعون .

وهناك أمر هام وهو أن السور المكية لم تكن كلها ذات آيات قصيرة ، وكذلك لم تكن المدنية كلها ذات آيات طويلة كما يظن المستشرقون . فمن السور المكية من آياتها طوال وهي كثيرة العدد أكثر من بعض السور المدنية كما هو الحال في سورة الأنعام ، وغيرها .

ومن السور المدنية قصيرة الآيات ، قليلة العدد كسورتي النصر والإنسان ، وغير ذلك كثير .

إذن فمسألة القصر والطول أمر رباني ومسألة توقيفية روعي فيها مقتضي حال المخاطبين على غير ما يتصوره المستشرقون[١] .

كما أن الإتيان بالمعاني العظيمة في الأسلوب الموجز يعتبر أبلغ مما لو جاء بها في الأسلوب المسهب قال السخاوي : [.. والقرآن الكريم على أيهما جاء فهو

---

(١) مناهل العرفان في علوم القرآن ١ / ٢٠٩ .

على قرى واحد ، لا تعثر فيه على اختلاف ، ولا أنت لتقصير واجد ، فلا يشك في صحة نزوله من عند الله – عز وجل – ذو بصيرة ، ولا قدرة لأحد من البشر أن يأتي بمثله في أحكام معانيه ، وانتظام ألفاظه ، وبديع منهاجه وأسلوبه ..][1] .

والقرشيون في مكة كانوا في الذؤابة من قبائل العرب ، ذكاءً وألمعية ، وفصاحة ، وبلاغة ، وشرفا ، وشجاعة ، لذا خاطبهم القرآن الكريم بالقصير من سوره وآياته ، ولا يقدح في مزايا المكيين هذه أنهم كانوا أميين لم يستنيروا بثقافة المدنيين ، فللثقافة والاستنارة ميدان ، وللذكاء والتمهر في البيان ميدان آخر . وأما أهل المدينة لم يكونوا على استنارتهم ليبلغوا شأن قريش في تلك الخصائص والمزايا ، وكان منهم أهل كتاب درجوا على ألا يستفيدوا إلا بالتطويل ولا يقنعوا إلا ببسط الكلام ، لذا جاء القرآن المدني طويلا في آياته وسوره . لذا كان كلا الأسلوبين مراعى فيه حال المخاطبين ، وهذا هو عين البلاغة والإبداع ، وتأدية للمهمة التي نزل بها القرآن ألا وهي البلاغ لا كما يتصور المستشرقون ويتخيلون .

فالخلاصة :

أن القوم في مكة كانوا في سبات عميق وغفلة من أمر تدبر ما في السموات والأرض ، أبطرهم المال والجاه .

فجاءت الآيات المكية في صدر الدعوة كالصعق الكهربائي لإعادة التفكير واليقظة إليهم .

لذا جاء الأسلوب يهز العواطف والمشاعر هزا عنيفا لافتا النظر إلى ما يحيط به من بديع النظام الكوني .

أما في المرحلة المدنية فقد كانت تشريعات الدول من المعاملات والاتفاقات الدولية في حالة السلم والحرب وآداب الأسرة وتنظيم سائر شؤون الحياة هو

---

(١) جمال القرآن وكال الإقراء صـ .

الغالب . والمجتمع مجتمع إسلامي عميق الشعور والتفكير في خالق الكون وشرائعه مذهب المتقصي لمثل الأسلوب السابق .

أما القضية الثانية :

قضية عد الآي وعلاقتها بطول الآيات وقصرها فهو تصور خاطىء منهم ، ولا يدل على نضوج علمي بقدر ما يتبع الهوى والتشهي وقصد الإساءة للقرآن الكريم . أما عد الآيات فهو أمر توقيفي لا اجتهاد فيه ، مرجعه رسول الله – ﷺ – الذي بينه لصحابته خلال تلاوته للآيات القرآنية أمامهم .

وقد كان رسول الله – ﷺ – يبين عدد آيات بعض السور أو تعيين عدد آيات مقطع من سورة معينة مثال ذلك : سورة الملك وتعيين عدد آياتها بالثلاثين ، روى أبو داود في سننه بسنده لأبي هريرة عن النبي – ﷺ – قال : « سورة من القرآن ثلاثون آية[1] تشفع لصاحبها حتى يغفر له ﴿ **تبارك الذي بيده الملك** ﴾[2] .

وعن عبد الرحمن بن يزيد قال : سألت أبا مسعود وهو يطوف بالبيت فقال : قال رسول الله – ﷺ – « من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه »[3] .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : قال رسول الله – ﷺ – : « من قام بعشر آيات لم يكتب من الغافلين ، ومن قام بمائة آية كتب من القانتين ، ومن قام بألف آية كتب من المقنطرين[4] »[5] هذا يؤكد أن آيات القرآن الكريم

---

(١) سنن أبي داود ٢ / ١١٩ كتاب الصلاة باب في عد الآي .
(٢) سورة الملك : ١ .
(٣) سنن أبي داود ٢ / ١١٨ كتاب الصلاة باب تحزيب القرآن .
(٤) المقنطرين : أي أعطي قنطارا من الأجور ، وجاء في الحديث : أن القنطار ألف ومائتا أوقية ، والأوقية خير مما بين السماء والأرض انظر النهاية في غريب الحديث والأثر ٤ / ١١٣ .
(٥) انظر سنن أبي داود ٢ / ٥٥ .

كانت معروفة العدد . وأن ذلك كان بتحديد رسول الله - ﷺ - له ، وليس السبب الرئيسي في الخلاف كون الآيات المدنية نثراً معقدا يصعب معرفة نهاياتها لذا صعب عدها على حد تعبيرهم . وإنما هو ناشيء من وقوف النبي - ﷺ - أحيانا على بعض الكلمات في آية من الآيات ، فكان يعدها بعضهم رأس آية . فكان لا يقف عندها في قراءة أخرى فلا يعدونها رأس آية لذا كان يقع الخلاف في عدد آيات بعض السور .

والقرآن الكريم كان أخذه بالتلقي لذا كان الصحابي يقرأ كما سمع رسول الله - ﷺ - يقرأ ، ويقف مكان وقوفه . وكان الخلاف غير مقتصر على السور المدنية بل كان كذلك في السور المكية على حد سواء . وسأضرب مثالا على ذلك من سورتين واحدة مدنية والأخرى مكية وكلاهما فيه خلاف لأدلل على أن المستشرقين يلقون كلاما غير دقيق لإثبات فكرة في أذهانهم غير مراعين احترام البحث العلمي .

فالسورة الأولى سورة آل عمران التي بلغت مواطن الخلاف فيها سبعة مواضع .

١ - اختلافهم في ﴿ **الم** ﴾[(١)] حيث عدها بعضهم آية وبعضهم لم يعدها كذلك . كما جاء في سورة البقرة .

٢ - قوله سبحانه : ﴿ **وأنزل التوراة والإنجيل** ﴾[(٢)] حيث عدها الأكثرون آية ولكن بعضهم وهو الشامي لم يجعلها آية ولكنه جعلها جزءاً من آية .

٣ - قوله : ﴿ **وأنزل الفرقان** ﴾[(٣)] عدها غير الكوفي آية ولكن الكوفي جعلها جزءا من آية .

---

(١) سورة آل عمران آية : (١) .
(٢) سورة آل عمران آية : (٣) .
(٣) سورة آل عمران آية : (٤) .

٤ - قوله عن المسيح ﴿ ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل ﴾[(١)] فلقد انفرد الكوفي في عد هذه آية ، وذهب غيره أن هذه جزء من آية .

٥ - قوله : ﴿ ورسولا إلى بني إسرائيل ﴾[(٢)] فلقد عدها بعضهم آية مثل البصري ، وذهب الأكثرون إلى أنها ليست آية مستقلة .

٦ - قوله سبحانه : ﴿ لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ﴾[(٣)] عدها بعضهم رأس آية ، وذهب آخرون إلى أن الآية تنتهي عند قوله ﴿ عليم ﴾ .

٧ - قوله سبحانه : ﴿ فيه آيات بينات مقام إبراهيم ﴾[(٤)] عدّها بعضهم آية ، وذهب الأكثرون إلى أن الآية تنتهي عند قوله سبحانه : ﴿ ومن كفر فإن الله غني عن العالمين ﴾ .

أما السورة المكية التي اخترتها سورة الماعون فلقد عد بعضهم قوله سبحانه : ﴿ الذين هم يراءون ﴾[(٥)] آية ﴿ ويمنعون الماعون ﴾[(٦)] آية ثانية . وذهب الأكثرون إلى أنهما آية واحدة وليستا بآيتين[(٧)] . والأمثلة غير هذين المثالين كثيرة .

المبحث الثالث :

الفاصلة القرآنية :

زعم المستشرقون كما في دائرة المعارف البريطانية أن القرآن الكريم ألف

---

(١) سورة آل عمران آية : (٤٨) .
(٢) سورة آل عمران آية : (٤٩) .
(٣) سورة آل عمران آية : (٩٢) .
(٤) سورة آل عمران آية : (٩٦) .
(٥) سورة الماعون آية : (٦) .
(٦) سورة الماعون آية : (٧) .
(٧) قضايا قرآنية صـ ٥٤ .

بطريقة عشوائية والذي يدل على ذلك ويؤكد صحته ختم آياته بفواصل وضعت لغير حكمة ولا فائدة وإنما وضعت لتتميم السجع والقافية للآيات[1] .

الجواب :

الفواصل : حروف متشاكلة في المقاطع توجب حسن إفهام المعاني والفواصل بلاغة ، والأسجاع عيب . وذلك أن الفواصل تابعة للمعاني ، وأما الأسجاع فالمعاني تابعة لها وهو قلب توجبه الحكمة في الدلالة[2] .

وفواصل القرآن كلها بلاغة وحكمة لأنها طريق إلى إفهام المعاني التي يحتاج إليها في أحسن صورة يدل بها عليها .

والفواصل على وجهين : أحدهما على الحروف المتجانسة كقوله تعالى : **﴿ طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى إلا تذكرة لمن يخشى ﴾**[3] .

والآخر على الحروف المتقاربة فكالميم من النون كقوله تعالى : **﴿ الرحمن الرحيم . مالك يوم الدين ﴾**[4] وإنما حسن في الفواصل الحروف المتقاربة . لأنه يكتنف الكلام من البيان ما يدل على المراد في تمييز الفواصل والمقاطع ، لما فيه من البلاغة وحسن العبارة .

وأما القوافي فلا تحتمل ذلك لأنها ليست في الطبقة العليا من البلاغة . وإنما حسن الكلام فيها إقامة الوزن ومجانسة القوافي فلو بطل أحد الشيئين خرج عن ذلك المنهاج ، وبطل ذلك الحسن الذي في الأسماع ، ونقصت رتبته في الأفهام .

والفائدة في الفواصل دلالتها على المقاطع ، وتحسينها الكلام بالتشاكل وإبداؤها في الأي بالنظائر[5] .

---

(١) انظر قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية صـ ٨٢ .
(٢) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني صـ ٨٩ .
(٣) سورة طه (١ - ٣) .
(٤) سورة الفاتحة (٢ - ٣) .
(٥) ثلاث رسائل صـ ٩٠ - ٩١ .

وما ذكرته من نفي السجع في القرآن الكريم هو رأي مجموعة من العلماء كالرماني مثلا ولكن من أجازه في القرآن احتج أن القرآن نزل بلغة العرب وعلى عرفهم ، وعادتهم .

وحمل قول الرماني ومن تابعه أنه جنب القرآن لفظ السجع تنزيها له عن الوصف اللاحق بغيره من الكلام المروي عن الكهنة وغيرهم .

وقد نقل يحيى بن حمزة العلوي في كتابه الطراز موقف العلماء من التسجيع حيث قال : التسجيع فيه مذهبان :

المذهب الأول :

وهذا هو الذي عول عليه علماء أهل البيان ، والحجة على ذلك هي أن كتاب الله تعالى والسنة النبوية وكلام أمير المؤمنين مملوء منه .

والمذهب الثاني :

استكراهه ، وهذا شيء حكاه ابن الأثير ولم أعرف قائله ، ولا وجدته فيما طالعت من كتب البلاغة[1] .

فالفاصلة القرآنية إذن هي النهايات التي ختمت بها الآيات وهي تعادل القافية في الشعر . قال الجاحظ : [سمى الله تعالى كتابه اسما مخالفا لما سمى العرب كلامهم على الجمل والتفصيل .

سمى جملته قرآنا كما سموا ديوانا .. وآخرها فاصلة كقافية][2] .

ونظام الفاصلة القرآنية فريد متميز خاضع لنظام رباني دقيق ، فهي متسقة ومتناسبة كل التناسب مع معنى الآية وموضوعها وسياقها الذي تتحدث فيه ، وغرضها الذي جاءت من أجله ، وهي دليل وبرهان صادق أن هذا القرآن تنزيل من حكيم حميد .

---

(١) نفس المرجع صـ ١٧٦ .

(٢) لمحات في علوم القرآن – محمد الصباغ المكتب الإسلامي صـ ٤٤ .

وأهل العربية يحسون جمال الفاصلة القرآنية بفطرتهم وذوقهم السليم ، فقد ذكر الجاحظ في البيان والتبين قصصا تؤكد هذا فقد روى قائلا [حدّثوا أن رجلا في عهد عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – قرأ « فإن زللتم من بعد ما جاءتكم البينات فاعلموا أن الله غفور رحيم »[1] فقال أعرابي لا يكون ، وفي رواية أخرى أنه قال : إن كان هذا كلام الله فلا يقول كذا الحكيم ، لا يذكر الغفران عند الزلل ، لأنه إغراء عليه][2] .

هكذا تعليق أعرابي عرف الفاصلة بفطرته وطبعه وسليقته وسجيته ولم يتخرج من جامعات هؤلاء المستشرقين الذين يزعمون أن القرآن مجرد إنشاء جاء بطريقة عشوائية مستدلين على صحة دعواهم بالفواصل القرآنية وأن بعضها لا حاجة لها ، ولا علاقة لها بما قبلها ، وإنما وضعت لتتميم السجع والقافية – على حسب زعمهم – ونحن لاننكر أن بعض النهايات قد ختمت بما ختمت به الأخرى كقوله تعالى : ﴿ **ما عندكم ينفد وما عند الله باق . ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون** ﴾ ﴿ **من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون** ﴾[3] .

ولكن أمثال هذه الفواصل خاضعة لنظام دقيق ، حيث إن كل فاصلة قرآنية جاءت متسقة ، متناسبة كل التناسب مع معنى الآية وموضوعها ، وسياقها الذي تتحدث فيه ، وغرضها الذي جاءت من أجله كما ذكرت وليس هذا من باب العبث والعشوائية .

والفاصلة القرآنية من حيث إدراك سر الختم بها على أنواع :

فمنها سهلة الفهم ، ولا تحتاج لجهد كبير ، وعناء كثير ، ومثال ذلك قوله تعالى : ﴿ **إذ قال له قومه لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين** ﴾[4] .

---

(١) سورة البقرة : ٢٠٩ .

(٢) قضايا قرآنية صـ ٨٠– ٨١ .

(٣) سورة النحل : (٩٦ – ٩٧) .

(٤) سورة القصص : (٧٦) .

وقوله تعالى : ﴿ **ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين** ﴾[١] .

وهناك نوع آخر من الفواصل القرآنية بحاجة إلى نوع من الفكر ، وسيجد الفكر فيه ضالته وكلا النوعين من مظاهر الإعجاز وآيات البيان ، ومثال هذا النوع قوله تعالى : ﴿ **واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذي واثقكم به إذ قلتم سمعنا وأطعنا واتقوا الله . إن الله عليم بذات الصدور . يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون** ﴾[٢] .

فلما تحدثت الآية الأولى عن الميثاق الذي أخذه الله عليهم ، وهو أن يتقوه ويعبدوه ، وتلك قضية خاصة بكل فرد ، ترجع إلى ما في قلبه وإلى باطنه ، ولذا ختمت ﴿ **إن الله عليم بذات الصدور** ﴾[٣] .

أما الآية الثانية فقد أمر الله سبحانه فيها المؤمنين بالعدل مع أعدائهم وتلك قضية ظاهرة يطلع عليها الناس ، ولذا ختمت بقوله : ﴿ **خبير بما تعملون** ﴾[٤] .

وسأنقض شبههم على بعض الآيات فقد زعم بعض المستشرقين أن الفاصلة القرآنية : ﴿ **والله يعلم وأنتم لا تعلمون** ﴾ أو ﴿ **إن الله يعلم وأنتم لا تعلمون** ﴾ لا علاقة بينها وبين ما قبلها ، وأنها وضعت فقط لتتميم السجع والقافية[٤] .

فلا يوجد منصف وعاقل يدعي أن هذه الفاصلة غير متصلة بما قبلها ، أو أن أي فاصلة يمكن أن تصلح بدل هذه الفاصلة . فالله سبحانه يخاطب المؤمنين وقد كتب عليهم القتال والجهاد ويبين أن أمر المستقبل لا يدركونه هم ، فربما يكرهون شيئا يكون فيه خيرهم ، وربما يحبون شيئا تكون نهايته شرا لهم ووبالا

---

(١) سورة القصص : (٧٧) .
(٢) سورة المائدة : (٧ - ٨) .
(٣) قضايا قرآنية صـ ٨٧ .
(٤) قضايا قرآنية صـ ٧٤ .

عليهم . إن الله وحده هو الذي يعلم ذلك ، فأي فاصلة تصلح لهذه الآية غير التي ختمت بها ﴿ **والله يعلم وأنتم لا تعلمون** ﴾ .

فلم تكن عبثا ولا أمرا عشوائيا لا صلة لها بما قبلها كما زعم المستشرقون . بل جاءت متسقة منسجمة مع موضوع الآية وسياقها مما يدل على إعجاز هذا القرآن وأنه تنزيل من حكيم حميد .

أما قوله تعالى : ﴿ **ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم والله يعلم وأنتم لا تعلمون** ﴾[(١)] .

لما قال أهل الكتاب إن إبراهيم – عليه السلام – كان يهوديا أو نصرانيا مع أن إبراهيم – عليه السلام – كان قبل وجود اليهودية والنصرانية . فكان ختمها بهذه الفاصلة في مكانه المناسب ﴿ **والله يعلم وأنتم لاتعلمون** ﴾ .

أما ختمها في قوله تعالى : ﴿ **فلا تضربوا لله الأمثال إن الله يعلم وأنتم لا تعلمون** ﴾[(٢)] فمن صنع الحكيم الخبير كيف لا وإنه لعجيب أن تنحرف الفطرة إلى هذا الحد ، فيتجه الناس بالعبادة إلى مالا يملك لهم رزقا ، وما هو بقادر في يوم من الأيام ، ولا في حال من الأحوال أن يقدم لهم ضرا أو نفعا . ويدعون الله الخالق الرازق ، الضار النافع ويتركون آلاءه . وهي بين أيديهم لا يملكون إنكارها ، ومع هذا فـهم يجعلون لله الأشباه والأمثال ، فناسب جدا أن يذيل قوله تعالى : ﴿ **فلا تضربوا لله الأمثال** ﴾ بقوله تعالى : ﴿ **إن الله يعلم وأنتم لا تعلمون** ﴾[(٣)] .

أما تذييلها بقوله تعالى : ﴿ **إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون** ﴾[(٤)] فتذييل

---

(١) سورة آل عمران : (٦٦) .
(٢) سورة النحل : (٧٤) .
(٣) في ظلال القرآن ٥ / ٢٦٣ دار إحياء التراث العربي – بيروت .
(٤) سورة النور : (١٩) .

هذه الآية بهذه الفاصلة لاشك أنه لحكمة بليغة لا يدركها هؤلاء المستشرقون .

قال أبو السعود[1] – رحمه الله – : [وجاء التذييل بقوله تعالى : ﴿ **والله يعلم وأنتم لا تعلمون** ﴾ ليبين سبحانه أنه يعلم جميع الأمور التي من جملتها ما في الضمائر من المحبة المذكورة وهي إشاعة الفاحشة في الذين آمنوا] . وقوله ﴿ **وأنتم لا تعلمون** ﴾ أي ما يعلمه تعالى . بل إنما تعلمون ما ظهر لكم من الأقوال والأفعال المحسوسة لذا فابتلوا أموركم على ما تعلمونه وعاقبوا في الدنيا على ما تشاهدونه من الأحوال الظاهرة والله سبحانه هو المتولي للسرائر فيعاقب في الآخرة على ما تكنه الصدور . هذا إذا جعل العذاب الأليم في الدنيا عبارة عن حد القذف أو منتظما له كما أطلق عليه الجمهور .

أما إذا بقي على إطلاقه فإنه يراد بالمحبة نفسها ، من غير أن يقارنها التصدي للإشاعة وهو الأنسب بسياق النظم الكريم . فيكون ترتيب العذاب عليها تنبيها على أن من يباشر الإشاعة ويتولاها أشد وأعظم ويكون الاعتراض التذييلي أعني قوله تعالى : ﴿ **والله يعلم وأنتم لا تعلمون** ﴾ تقديرا ليكون العذاب الأليم لهم وتعليلا له .

فهذه الآيات التي ختمت بهذه الفاصلة أحكمت إحكاما ووضعت في مكانها المناسب ، وكان ارتباطها بما قبلها ارتباطا وثيقا ، ولا تجد فاصلة أنسب منها في هذا المقام[2] .

ومن شبههم كذلك ما نسبه « سال » للقرآن من الخطأ مراعاة للروي وضرب على ذلك بعض الأمثلة منها قوله تعالى : ﴿ **سلام على إل ياسين** ﴾[3] وقوله : ﴿ **وطور سينين** ﴾[4] والوجه ﴿ **سيناء** ﴾[5] .. إلخ[6] .

(١) انظر تفسير أبو السعود ٦ / ١٦٤ .
(٢) انظر قضايا قرآنية صـ ٨٠ – ٨٦ .
(٣) سورة الصافات : ١٣٠ .
(٤) سورة التين : ٢ .
(٥) سورة المؤمنون : ٢٠ .
(٦) انظر أسرار عن القرآن صـ .

فهذه الأمثلة التي ذكرها « سال » تدل على جهله بالعربية وعدم فهمه للقرآن الكريم فـ« آلِ ياسين » بفتح الهمزة وكسر اللام مع المد وهي قراءة نافع وابن عامر ، والقراءة الثانية « إل ياسين » بإسكان اللام وكسر الهمزة ، وبغير مد وهي قراءة الباقين[1] .

و « ياسين » اسم أعجمي سرياني عربته العرب فقطعت همزته تارة ، ووصلتها تارة أخرى .

والأسماء الأعجمية تأتي على لفظين أو أكثر ، والأكثر على أن وجه الوصل أن أصله (ياس) دخلت عليه ال المعرفة كما دخلت على اليسع فمن أخذ بالابتداء كسر همزته ومن مده وفتح همزته بسبب رؤيته له في المصحف منفصلة من ياسين استدل على أن (ال) كلمة و (ياسين) كلمة أضيفت (ال) إلى (ياسين) وهو أبو إلياس النبي – عليه السلام – فسلم على أهله وأهل دينه ومن اتبعه مؤمنا به . وحذفت ياء النسب كراهة التضعيف .

أما حجة من كسر الهمزة ولم يمد لأنه جعله اسما واحدا جمعا منسوبا إلى (إلياس) النبي – عليه السلام – فيكون السلام واقعا على من نسب إليه نفسه – عليه السلام –[2] .

أما بالنسبة لـ ﴿ **طور سينين** ﴾[3] و ﴿ **طور سيناء** ﴾ كلمتان أعجميتان « سنين » من أصل حبشي و « سيناء » من أصل سرياني . فكلمة « سينين » أو « سيناء » كلاهما تطلقان على مكان حسن مبارك هو الجبل الذي فيه شجر مثمر . وهما المكان الذي حصل فيه كلام الرب سبحانه لموسى – عليه السلام – وهما قراءتان . فبالأولى « سنين » قرأ ابن الخطاب وعبد الله وطلحة والحسن . أما

(١) الكشف عن وجوه القراءات لمكي ٢ / ٢٢٧ .

(٢) الكشف عن وجوه القراءات ٢ / ٢٢٧ – ٢٣٠ ، والبحر المحيط ٧ / ٣٧٣ وإتحاف فضلاء البشر صـ ٣٧٠ .

(٣) سورة التين : آية (٢) .

« سيناء » فقد قرأ بها عمر وزيد بن علي وأبو رجاء وهي لغة بكر وتميم[(١)] .

لذا فلا خطأ وقع في القرآن مراعاة للروي كما زعم « سال » بل القراءة بهما جائزة لأنهما مما درج على ألسنة العرب من غير العربية فعرب بالاستعمال فمن هنا يظهر سلامة القرآن من أي خطأ مزعوم كأقوال « سال » .

المبحث الرابع :

أسلوب القصة في القرآن :

جاء في الموسوعة البريطانية : [كما أن الآيات القصصية موجزة ومقتضبة إلا أن قصص الأنبياء والأشخاص المذكورين في التوراة ينوه عنها وكما أن السامعين والمخاطبين يعرفونها ، إلا أن الغاية من سرد القصص يعود إلى العبر التي تستفاد منها وليس لمجرد ذكر القصة وإذا دققنا النظر في بعض السور القليلة نجد أنها متشابهة جدا في أسلوبها ومضمونها][(٢)] .

الجواب :

ما جاء في الموسوعة البريطانية منه الصواب ومنه الخطأ .

فالقصة في القرآن الكريم لها مكان ومكانة وهدف تربوي وأخلاقي أما من حيث المساحة التي أخذتها القصة القرآنية فهي تزيد عن ربع القرآن الكريم ليس كما زعم المستشرقون [أن الآيات القصصية موجزة ومقتضبة] .

أما مكانتها فعظيمة وذلك لأنها أحد طرق الدعوة إلى الله سبحانه وأسلوب لتثبيت المؤمنين وتخويف خصومهم بالمصير المحتوم للكافرين من خلال سرد قصصهم ليكون عبرة للمعتبرين .

والدارس للقصة القرآنية والمحلل لها من حيث عوامل التأثير فيها ومن حيث

---

(١) التفسير الكبير للرازي ١٦ / ٦ - ١٠ وتفسير البحر المحيط ٨ / ٤٩٠ .
(٢) قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية صـ ٦٠ .

منهجها القصصي ، ومصادر المعرفة فيها ، ودورها في التوجيه والتربية وغرس الإيمان ، وتحليل عناصرها من حوار وأحداث وأشخاص كما يمكن الوقوف على ما فيها من إبداع فني يكشف عن أسرار إعجازها البياني ، وإقناع عقلي يلتزم بالجدة ويهدي إلى الحق وتأثير وجداني يغذي المشاعر ويسمو بالنفس .

وأسلوب القصة محبوب للنفس وهو أحد الأساليب العربية التي درج عليها أهل هذه اللغة . كما أن القصة من الآداب العالمية عبَر التاريخ .

ولا زال الأسلوب القصصي يلعب دورا هاما في الآداب العالمية ويجد فيه أصحاب المباديء والأفكار الأسلوب الناجح في ترسيخ المفاهيم وتقريرها ، أو محاربة بعضها والتنفير منها حيث تمتزج العاطفة بالعقل والمتعة الذهنية بالخيال المجنح ، وتفعل القصة فعلها وتؤدي دورها التربوي على أحسن وجه .

والقصة القرآنية قد جاءت في كل أنواع الآيات القرآنية القصيرة والمتوسطة والطويلة حسب السورة والسياق التي تكون فيه ببراعة لا مثيل لها وكل موضع هي فيه كأنه قصة جديدة وبثوب جديد .

والقصة القرآنية امتازت على غيرها بأمور منها :

١ - أهم غرض ركزت عليه القصة القرآنية الغرض الديني المحض الذي لا تزيغ به الأهواء ولا تشوبه الأوهام ، وإنما يسلك سبيل الصواب ويرسخ في النفس الإنسانية دعامة الكيان الروحي ، ويؤصل في روعها التوجيهات الدينية الرائدة مع عدم خضوعه لاتجاهات القصة الأدبية الحديثة . ومع هذا يلحظ بيان القصص القرآني السامي الذي يصب في قوالب الإعجاز .

٢ - تفردها بقصص لم تذكرها الكتب السابقة للقرآن الكريم . لأنها ربانية المصدر .

٣ - كما أن القصة القرآنية إذا اتفقت مع بعض الكتب السابقة ببعض القصص فإنها تتفرد بأمور يقف عندها أهل الكتب الأخرى مدهوشين .

٤ – كون القصة موجودة بين أمم قبل نزول القرآن الكريم لا يعني هذا استمداد القصة القرآنية لقصته منهم . لأن القصة غير القرآنية مليئة بالخرافة والخيال وعدم الواقعية . بعكس القصة القرآنية فهي مرجع تاريخي موثق يشهد لها العلم بأنواعه .

٥ – يظن بعض المستشرقين أن القصص القرآني متشابه من حيث الأسلوب والمضمون فهو نوع من التكرار . وهذا بحد ذاته خطأ سببه الجهل بالعربية وعدم فهم طبيعة هذا الدين وإلا فإننا لا نجد كلمة في جملة أو جملة في آية ، أو آية في سورة ، أو قصة في موضع يمكن أن تكون جاءت بدون معنى وهدف وبالتالي يمكن أن يغني عنها غيرها ، وهذا الأمر يعرفه العالمون بهذا الكتاب الكريم[١] .

٦ – استخدام القصة القرآنية سلاحاً نفسياً في الدعوة المحمدية إلى عقيدة التوحيد ، وفي إقناع المخالفين عن طريق الجدل والحوار بسمو هذه العقيدة ونبل أهدافها .

ولذا كانت القصة القرآنية من أمضى الوسائل التي استخدمت في العهد المكي .

٧ – من مميزات القصة القرآنية أنها ملتزمة وذلك من دعوتها للتوحيد وما تحث عليه من خلق قويم ، ونهيها عن الفساد والشرك ، وما تثبته من أدلة على صدق ما جاء به رسول الله – ﷺ –[٢] قال تعالى : ﴿ **فاقصص القصص لعلهم يتفكرون** ﴾[٣] .

٨ – ينفرد القرآن الكريم بأسلوبه المعجز في عرض قصص الأنبياء والأمم السالفة ، ويتميز هذا الأسلوب بخصائص جلية تعطي للنسق القصصي روعة

---

(١) انظر كتاب قضايا قرآنية صـ ٦٠ – ٦٥ (بتصرف) .
(٢) سيكلوجية القصة في القرآن د / التهامي ، فقرة صـ ٨٥ .
(٣) سورة الأعراف : ١٧٦ .

ووضوحا ، وتكون لها آثارها العميقة في النفس[١] .

٩ – من خصائص أسلوب القصص القرآني انتقاء الألفاظ وحسن اختيارها ووضعها في موضعها وهو ما يسمى (إصابة المعنى)[٢] .

١٠ – ومن خصائصه تخير الأسلوب المناسب للفكرة ، وتنويعه لنظام الفواصل والقوافي من حيث الطول والقصر وطريقة بنائها وتخير الحرف الذي تختم به بتنوع الموضوع الذي يعرضه[٣] .

١١ – من أسلوب القصة القرآنية أنها تختار لقطات حية من الوقائع التاريخية ، ولا يثقلها بما هو تافه من الجزئيات والتفاصيل التي تصرف الفكر عن التدبر والاعتبار ، ويستخدم أسلوبا يبعث فيها الحياة فتتخطى القرون ، ويجعلها كأنها ماثلة[٤]. انظر مثلا قصة لوط – عليه السلام –[٥] .

١٢ – جاء القصص القرآني في أوائل الدعوة الإسلامية جله يمتاز بعرض أحداث القصة في منتهى الإيجاز وبالفواصل القصيرة ، والجرس اللفظي ، والاقتصار على ذكر من نزل عليه العذاب ، دون التعرض غالبا إلى أسماء أنبيائهم ، وما دار بينهم من حوار ؛ لأن الغرض الأول في هذه المرحلة يتمثل في تحذير مشركي مكة من العناد والتكذيب والإصرار على الباطل ، وتخويفهم أن يصيبهم ما أصاب من سبقهم من المكذبين . كقوله تعالى : ﴿ **ألم تر كيف فعل ربك بعاد إرم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد ..** ﴾[٦] .

وحين تطورت الدعوة ، ودخل الناس في دين الله أفواجا ، واحتد الخصام

---

(١) الإعجاز اللغوي في القصة القرآنية – محمود السيد صـ ٦٧ .
(٢) نفس المرجع صـ ٧٠ .
(٣) نفس المرجع صـ ٧٤ .
(٤) سيكلوجية القصة صـ ٨٧ .
(٥) سورة هود آية : ٧٧ – ٨٣ .
(٦) سورة الفجر ٦ – ٨ .

واشتد الصراع ، أخذ يبرز عنصر الحوار في موضوعات الدعوة كالوحدانية ورسالات الأنبياء والبعث فتظهر أسماء الرسل وهم يحاورون أقوامهم ، فتكثر الآيات من التبسط والتفصيل ، وتأتي آياتها أكثر طولا ، لأنها تتجه إلى إثارة التفكير والتأمل والتروية فيما جرى على الأمم من قبل . كقصة موسى وفرعون في سورة طه[١] .

١٣ - ومن سمات القصص القرآني أن العناصر المألوفة للقصة من أحداث وأشخاص وحوار وارتباط مكاني وترتيب زماني وعقدة .. لا نجدها مجتمعة في القصة القرآنية ولا موزعة توزيعا يجعل لكل منها دورا يختل بانعدامه توازن القصة ، لأن المقاصد التي يوحي بها السياق هي التي توجه أسلوب العرض ، وتتحكم في ترتيب الأحداث وتسلط الأضواء على العنصر المراد إبرازه .

فإن كان القصد الإنذار والترهيب مثلا برز عنصر الأحداث وإن كان القصد تثبيت الرسول والمؤمنين على الحق الذي يدعون إليه رغم ما يلقون في سبيله من أهوال ، فيبرز عنصر الأشخاص تميزهم الأحداث التي ألمت بهم ، وما كانت لهم من عاقبة يطمئن إليها المجاهدون[٢] .

١٤ - امتاز القرآن بما يطويه في قصصه من مراحل ، وما يعرض عنه من جزئيات ، وما يتركه من فجوات ، هو أخص ما يمتاز به منهجه القصصي الذي يختلف شكلاً ومضموناً عن منهج التوراة والإنجيل[٣] .

١٥ - انتفاء الرمزية والتي تعني فيضا عن مشاعر ذاتية والأسطورة في القرآن الكريم التي تعني الخرافة لأنه كلمة الله[٤] قال تعالى : **﴿ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ﴾**[٥] .

---

(١) سيكلوجية القصة صـ ٩٢ .

(٢) سيكلوجية القصة صـ ٩٣ - ٩٤ .

(٣) سيكلوجية القصة صـ ٩٩ .

(٤) نفس المرجع صـ ١٥٩ .

(٥) سورة فصلت : ٤٢ .

١٦ – ومما امتازت به القصة القرآنية التكرار في مواضع شتى التكرار الذي لا يتناول القصة كلها ، ولا بنفس الأسلوب كما ظن المستشرقون إنما كان تكرارا لبعض حلقاتها مركزا على موطن العبرة في ذلك وللعظة الدينية التي هي مقدمة الغاية القصصية الفنية ، أو السرد التاريخي وبأسلوب يختلف عنه في الأول وكأنه عرض جديد لم يسبق[1] ذكر القصة .

١٧ – ما تضمنته قصصه من أخبار القرون الخالية وقصص الأمم السالفة وما تحدى به أهل الكتاب كان على ما ذكره أنبياؤهم وتضمنته كتبهم[2] .

أهم القضايا التي ركز عليها القصص القرآني واهتم بها :

١ – تعميق العقيدة في النفوس وتبصير العقول وإحياء القلوب بها ، فيسلك بذلك أحسن الطرق إمتاعا وإقناعا .

٢ – السمو بهذا الإنسان روحيا وخلقيا ونفسيا حتى يمتاز عن الحيوان الذي يشترك معه في بعض الصفات .

٣ – تركيزه على الرقي المادي وأسبابه ، وأسباب القوة بمقدار اعتنائه بالمعنويات .

٤ – عنايته الخاصة ببيان أسباب الهلاك التي يمكن أن تصيب الأمم والجماعات والأفراد وتفصيل ذلك تفصيلا عجيبا كالتركيز على الترف والطغيان ، والبطر والظلم ، والاستعباد الفكري ، والإرهاب والسخرية والرضا بالذل .. إلخ الذي بث في كل ثنايا القصص القرآني .

٥ – ارتباط التدين الحق بالحياة العملية وعدم انفصاله عنها .

٦ – تفصيله في أسباب السعادة الروحية التي بها تتم سعادة المؤمنين وعرض ذلك في القصص القرآني .

---

(١) التعبير الفني في القرآن د / بكري شيخ أمين صـ ٢١٩ .

(٢) روائع الإعجاز في القصص القرآني – محمود السيد حسن – صـ ٣٠ .

٧ – عرض كثير من الحقائق العلمية المتعلقة بالكون في هذا القصص القرآني[١] .

المبحث الخامس :

التعريب :

زعم « سال » : [أن القرآن الكريم ليس فصيحا وذلك لوجود لغات أخرى فيه مثل أسماء بعض الأنبياء وأسماء بعض الأشياء مثل إستبرق وغيرها مع أن الله قادر أن يخلق الألفاظ بالعربية][٢] .

الجواب :

القرآن الكريم نزل للبشرية جمعاء بكامل أجناسها ، وعلى اختلاف لغاتها بعكس الكتب السابقة فقد نزلت خاصة لأقوام بأعيانهم .

أما قضية الألفاظ التي ليست عربية في كتاب الله سبحانه فقد كان للعلماء قديما وحديثا فيها وقفات وعناية تامة ، فمنهم من رأى أن في القرآن كلمات هي في أصلها غير عربية كأسماء الأنبياء وأسماء بعض المسميات كسندس وإستبرق ونمارق وغيرها .

ولكن القرآن لم يستعملها كذلك ، لأن هذه الكلمات قبل نزول القرآن بأزمنة انتقلت إلى العرب فأجرى عليها العرب تعديلات تتفق مع قواعدهم ومقاييسهم اللغوية ، وأخضعوها لمنطقهم اللغوي وشذبوها وهذبوها وصبغوها بالصبغة العربية فأصبحت منسجمة في أوزانها ونطقها مع القواعد والمقاييس العربية . وهذه الكلمات قليلة بالطبع لا كما يصورها بعض المستشرقين أمثال « آرثر جيفري » الذي ألف كتابا سماه (الكلمات الأجنبية في القرآن) .

---

(١) القصص القرآني – إيحاؤه ونفحاته – د / فضل حسن عباس صـ ١٠ – ١١ .

(٢) أسرار عن القرآن صـ ٨٠ .

وهؤلاء العلماء أصحاب هذا الرأي مجمعون أن هذه الكلمات لا تخرج القرآن في تراكيبه وأساليبه عن العربية . ولم تخرجه عن كونه بليغا فصيحا معجزا بل لا يستطيع أحد أن يستخدمها بأسلوب القرآن كما استخدمها القرآن الكريم[1] .

أما الرأي الثاني فهو يرى أن هذه الكلمات عربية في أصلها ونشأتها ، تواردت عليها اللغات ، والتشابه بينها لأن أمها واحدة وهي السامية ، ويؤيد هذا القول أن جرس الكلمات في العربية يختلف عنه في اللغات الأخرى ومن هؤلاء العلماء القائلين بهذا الرأي الإمام الشافعي وابن جرير الطبري ، وأبو عبيدة والقاضي أبو بكر وابن فارس ، وابن عطية ، ومن أقوالهم في هذا الشأن :

قال أبو عبيدة : فمن زعم أن في القرآن غير العربية فقد أعظم القول . وقد نص على هذا القول الإمام الطبري في مقدمة تفسيره ودافع عنه بقوة .

أما بالنسبة للتشابه في الأعلام بين لغات العالم فلا تصلح دليلا للقائلين بوجود كلمات غير عربية في القرآن الكريم .

كما أن هناك كلمات كثيرة ذكر بعضهم أن أصلها سرياني ، أو حبشي أو نبطي أو غير ذلك مع أن لها أصلا في الاشتقاق العربي .

من ذلك كلمة إبليس فهي مشتقة من مادة (بلس) بمعنى يأس وانقطع من الرجاء . قال تعالى : ﴿ **أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون** ﴾[2] أي آيسون انقطع رجاؤهم .

وقد رد قول ابن جرير ابن عطية وقد وضح رأيه في هذه المسألة وكان رأيا يمتاز بالدقة والمنهج العلمي حيث قال : [والذي أقوله إن القاعدة والعقيدة هي أن القرآن نزل بلسان عربي مبين فليس فيه لفظة تخرج عن كلام العرب فلا

---

(١) قضايا قرآنية صـ ٩٥ – ٩٦ ، ومعترك الأقران في إعجاز القرآن – للسيوطي ١ / ١٩٥ وما بعدها .
(٢) سورة الأنعام : ٤٤ .

تفهمها إلا من لسان آخر . فأما هذه الألفاظ وما جرى مجراها ، فإنه قد كان للعرب العاربة التي نزل القرآن بلسانها بعض مخالطة لسائر الألسنة بتجارات وبرحلتي قريش ، وكسفر مسافر بن أبي عمرو بن أمية بن عبد شمس إلى الشام ، وسفر عمر بن الخطاب وسفر عمرو بن العاص ، وعمارة بن الوليد إلى أرض الحبشة وسفر الأعشى إلى الحيرة وصحبته لنصاراها مع كونه حجة في اللغة فعلقت العرب بهذا كله ألفاظا أعجمية ، غيرت بعضها بالنقص من حروفها ، وجرت إلى تخفيف ثقل العجمية ، واستعملتها في أشعارها ومحاوراتها حتى جرت مجرى العربي الصحيح ، ووقع بها البيان ، وعلى هذا الحد نزل بها القرآن ، فإن جهلها عربي ما فلجهله الصريح بما في لغة غيره ، كما لم يعرف ابن عباس معنى « فاطر » إلى غير ذلك .

فحقيقة العبارة عن هذه الألفاظ أنها في الأصل أعجمية ، لكن استعملتها العرب وعربتها فهي عربية من هذا الوجه .

وما ذهب إليه « الطبري » من أن اللغتين اتفقتا في لفظه فذلك بعيد بل أحدهما أصل والأخرى فرع في الأكثر ، لأنا لا ندفع أيضا جواز الاتفاق قليلا شاذا][(١)] .

والذي يرد مزاعم هؤلاء المستشرقين من أن العرب حافظوا على لغتهم بكل ما منحوا من براعة وقوة . وتتمثل هذه المحافظة بوسيلتين :

١ - بالمحافظة على العربية بحيث لا يتسرب لها ما هو بعيد عنها وأجنبي منها .

٢ - بالمحافظة عليها بالعناية بمفرداتها والرجوع بها لأصل اشتقاقها .

لذا لم يحتجوا بكلام إلا من سلم لسانه من اللحن والعجمة .

---

(١) المُحَرَّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز - لابن عطية الأندلسي ١ / ٣٦ - ٣٧ .

وقد وضع العلماء ضوابط لمعرفة أصل أي لفظة ، وأصل اشتقاقها قال الأستاذ العقاد : [فإذا التبس علينا أمر كلمة من الكلمات ، فلم نعلم في ظاهر الأمر أهي من الألفاظ الأصلية أم من الدخيل عليها ؟ فلدينا هذا المقياس الحاضر نقيس به دلالة الكلمة ونردها إلى حياة العرب وإلى المعهود من تعبيرها عن معالم تلك الحياة فلا يطول لنا العناء في الرجوع بها إلى أصل معقول نطمئن إليه .

قيل مثلا : إن كلمة « قلم » مأخوذة من « كلموس » اليونانية ، ولا يعزو الأستاذ في هذا القول إلى مرجع من مراجع التاريخ المحقق بل إلى الظن القائم على التشابه في مخارج اللفظين ، وهو لا يدل على السابق إلى وضع الكلمة من اللغتين . ولكننا نستطيع أن نرد الكلمة إلى القلم والتقليم من القلامة في اللغة العربية فنرى أنها أصيلة في هذه اللغة بهذا المعنى فأصل مادة القاف والميم وما يتوسطها مطردة في الدلالة على الشق والقطع فمنها : قحم ، قرم ، قسم ، قصم ، قضم قطم ، وقلم وهي آخرها .

ونعود إلى الشيء الذي « يقلم » فنعلم أن القناة والقصبة والريشة مما يقلمه العرب ويتخذونه أمام لفظ أصيل في لغة العرب لا ينقلونه من لفظ آخر في لغة أجنبية .

وهكذا ممكن معالجة كلمة (قرآن) التي زعموا أن أصلها سرياني فالقاف والراء والحرف المعتل يدل على الجمع كما يقول ابن فارس في كتابه (معجم مقاييس اللغة) . ومنه القرية وهي التي يجتمع الناس فيها والقرو : وهو الحوض الذي يتجمع فيه الماء وترده الإبل للشرب منه . والقرآن : من هذا القبيل يدل على الجمع حيث تتجمع فيه آيات القرآن الكريم .

الفصل السابع

شبهات المستشرقين حول إعجاز القرآن الكريم :

لما كان إعجاز القرآن الكريم أول دليل على مصدر القرآن الإلهي وبه ثبوت صدق رسالة النبي - ﷺ - لذا وجه المستشرقون له معاول هدمهم وتشكيكاتهم بالطعن في ربانية مصدره تارة وفي ترابطه وتناسقه وجمال أسلوبه وبلاغته وفصاحته تارة أخرى ، مرددين ماردده المشركون الأوائل ، ومضيفين لافتراءات أولئك ماأسعفهم به ذكاؤهم وعلمهم ، لذا تعددت أقوالهم وافتراءاتهم حول هذه القضية القرآنية الخطيرة .

وقد اختلف المستشرقون كذلك في القدر المعجز من القرآن الكريم واعتبر « سال » أن من يقول بإعجاز الكلمة والكلمتين منه نوع من الشطط ، وزعم أنه يترتب على هذا اعتبار أن ماجاء به على لسان آخرين هو معجز كما أنه اعتبر أن الإعجاز في سبك معانيه لا في لفظه(١) .

فبالنسبة للمقدار المعجز من القرآن الكريم قد سبق المستشرقين في هذا الاختلاف علماء مسلمون وكانوا على أقوال عدة :

١ - الجمهور اعتبر أن الإعجاز يتحقق بالسورة القرآنية طويلة كانت أو قصيرة . وقد اعتبروا أن هذا القدر هو الذي تؤيده الأدلة القرآنية ، وظاهر مراحل التحدي .

٢ - بعض المعتزلة قال : إن الإعجاز يتعلق بجميع القرآن الكريم لا ببعضه . وهذا يعارض آيات التحدي بعشر سور أو بسورة واحدة .

---

(١) أسرار عن القرآن صـ ٥١ .

٣ - ذهبت طائفة أن الإعجاز يتحقق بالقليل والكثير من القرآن الكريم دون التقيد بسورة ، مستدلين بظاهر قوله تعالى : ﴿ **فليأتوا بحديث مثله** ﴾[١] مفسرين الحديث أنه أي كلام يفيد معنى سواء كان آية أو أكثر أو أقل[٢] .

فمن هنا يظهر لنا جليا أن « سال » قد تبنى رأيا مرجوحا وبنى عليه نتائج يريد تحقيقها ، فعبارته [أنه يترتب عليه أن ما ورد فيه من حكاية قول الآخرين معجز ضاهوا به فصاحة ما يزعم أنه قرآن][٣] .

يريد « سال » أن يؤكد أن في القرآن صنعة بشرية معتمدا على ما حكي على لسان بعض الناس أو المخلوقات في القرآن إخبارا من الله سبحانه وتعالى بما كان يحصل في هذه المواقف بين الرسل وأقوامهم أو غير ذلك من آيات فيما بعد . حيث يظهر لنا أن كل ما بين دفتي المصحف هو كلام رب العالمين . سواء كان على لسان شخص أو سواه .

أما اعتبار « سال » أن الإعجاز في سبك المعاني لا في الألفاظ[٤]. فهذا الرأي غير دقيق لأن كل شيء في القرآن معجز فهو معجز في بلاغته وفصاحته وفي جزالة ألفاظه ، وحسن معانيه وفي نظمه البديع ، باختياره الكلمة ووضعها في المكان الذي تقوم به بوظيفتها على أحسن وجه وأتمه .

لذا فإعجاز القرآن الكريم بلفظ القرآن ومعناه الذي منهما تظهر الصور البلاغية والبيانية البديعة التي تفرد بها القرآن الكريم .

قال عبد القاهر الجرجاني : [أعجزتهم مزايا ظهرت لهم في نظمه وخصائص صادفوها في سياق لفظه ، وبدائع راعتهم من مبادىء آيه ومقاطعها ، ومجاري ألفاظها ومواقعها .. وبهرهم أنهم تأملوه .. فلم يجدوا في الجميع كلمة

---

(١) سورة الطور : (٣٤) .
(٢) مباحث في إعجاز القرآن الكريم د / مصطفى مسلم . دار المنارة - بيروت صـ ٣٥ .
(٣) أسرار عن القرآن صـ ٥١ .
(٤) أسرار عن القرآن صـ ٥١ .

ينبو مكانها ، ولفظة ينكر شأنها ، أو يرى أن غيرها أصلح هناك أو أشبه ، أو أحرى وأخلق . بل وجدوا اتساقا بهر العقول ، وأعجز الجمهور ، ونظاما والتئاما وإتقانا وإحكاما ، لم يدع في نفس بليغ منهم ولو حك بيافوخه السماء ، موضع طمع ، حتى خرست الألسن عن أن تدعي وتقول ..] إلخ[1] والألفاظ أوعية المعاني .. فإذا وجب لمعنى أن يكون أولا في النفس ، وجب للفظ الدال عليه أن يكون مثله أولا في النطق[2] .

ولا يتصور أن تعرف للفظ موضعا من غير أن تعرف معناه وتتوخى ترتيب المعنى قبل ترتيب الألفاظ .

وإذا كنا ننكر على غير ذوي الاختصاص من أهل اللغة أن يخوضوا فيما لم يعرفوا من أسرار القرآن وبلاغته ، فلنحن أشد إنكارا على أولئك المستشرقين الذين عدموا الذوق العربي والحس اللغوي ، وإشراق الروح وصفاء النفس أن يقحموا أنفسهم في ميدان ليسوا من فرسانه وأهله ليخرجوا على الناس بآراء في قمة الغرابة في إعجاز القرآن الكريم وفي الأسلوب القرآني البديع[3] .

والآن سأعرض لمجمل شبههم التي ارتكزوا عليها في إبطال قضية إعجاز القرآن الكريم من خلال ما ذكر « سال » في هذه القضية في كتابه (أسرار عن القرآن) .

القضية الأولى :

زعم « سال » أن القرآن الكريم ليس آية في الفصاحة والبلاغة بسبب طريقة كتابته وجمعه والتي أدت لسقوط كثير من الآيات منه واضطراب نظام الكثير منها .

---

(١) دلائل الإعجاز صـ ٣٩ .
(٢) نفس المرجع صـ ٥٢ .
(٣) أسرار عن القرآن صـ ٣٣ – ٣٥ .

هذه الشبهة قد ناقشتها في فصل جمع القرآن الكريم وفصل القراءات القرآنية[1] .

القضية الثانية :

زعموا أن القرآن فيه كلام متعارض مما يدل على أنه ليس من عند الله - سبحانه - في شيء لأن الله لا يعارض نفسه ، ولا ينقض بعض كلامه بعضا ، ومصنف القرآن نفسه يقول عن كتابه أنه لو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ونحن نجد فيه اختلافا كثيرا مما يدل أنه ليس من عند الله[2] . واستدل « سال » لذلك ببعض الأمثلة سأرد عليها بعد قليل - إن شاء الله - .

الجواب :

جاء القرآن الكريم معجزة لنبينا محمد - ﷺ - ليشهد على صدقه وصحة نبوته لذا اشتمل القرآن الكريم على ثلاثة أمور دالة على صدق محمد - ﷺ - :

١ - فصاحته .

٢ - اشتماله على الإخبار عن الغيوب .

٣ - سلامته عن الاختلاف[3] .

قال تعالى : ﴿ **أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا** ﴾[4] .

فمن تدبر القرآن الكريم وجده سليما من الاختلاف ، لا منافاة ولا مناقضة بين شيء من آياته ومعانيه البتة . مع أنه كتاب كبير مشتمل على كثير من المعاني

---

(١) انظر كتاب دراسات حول القرآن الكريم ، د / إسماعيل الطحان ، طبعة مكتبة الفلاح صـ ٩٨ وما بعدها .

(٢) أسرار عن القرآن صـ ٣٥ .

(٣) انظر التفسير الكبير للرازي ١٠ / ٢٠٢ .

(٤) سورة النساء : (٨٢) .

على نفس الرتبة من الفصاحة لا فرق بين مكيه ومدنيه ، ولا آيات عقائده أو آيات تشريعاته .. إلخ .

فلما كان هذا القرآن نسجا واحدا في فصاحته ، وبلاغته ، ونظمه ، وكان كله بالغا حد الإعجاز علم أنه ليس إلا من عند قادر على مالا يقدر عليه غيره ، عالم بما لا يعلمه أحد سواه ، وهو الله سبحانه وتعالى[(١)] وعدم وقوف بعض الناس على هذا الجانب في كتاب الله - سبحانه - عائد لعجزهم وضعفهم وقصور علمهم لا لضعف في كتاب الله ، ولا تدافع وتناقض في آياته .

وعلى رأس هؤلاء الذين أعجزتهم فصاحته ، وغلبت أفهامهم بلاغته ، وأبهرهم حسن نظمه ومعانيه ، المبشرون والمستشرقون ، من أجل ذلك نسبوا له التناقض والتدافع والتعارض بين آياته ليدفعوا جانب الإعجاز فيه فبذلوا وسعهم في الاستدلال على زعمهم بأدلة لم يفهموا معانيها و لم يقدروا على الجمع بين آياتها وسأبين وجه الصواب فيها .

المثال الأول :

قال الله تعالى في سورة النحل عن القرآن : ﴿ **لسان عربي مبين** ﴾[(٢)] . والمبين مالا يحتاج إلى تأويل .

فنقض ذلك بقوله في سورة آل عمران[(٣)] أنه فيه آيات متشابهات وأنه لا يعلم تأويله إلا الله[(٤)] .

الجواب :

الآيتان ليس بينهما تناقض فالآيات قسمان :

---

(١) الكشاف ١ / ٥٤٦ .

(٢) سورة النحل : (١٠٣) .

(٣) سورة آل عمران : (٧) وهي قوله تعالى : ﴿ هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات .. ﴾ الآية .

(٤) أسرار عن القرآن صـ ٣٥ - ٤٤ .

قسم محكم : وهو البين والواضح الذي لا يحتمل تأويلا وهذا يؤيده آية النحل السابقة .

وقسم متشابه : وهو الذي يحتمل أكثر من وجه وهذا الذي يخفى على كثير من الناس ولا يعلم تأويله إلا العالمون . ويؤيده آية آل عمران قال تعالى : **﴿ هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات .. ﴾**[1] فالحكمة اقتضت أن تكون آيات الكتاب قسمين ، قسم يفهمه عامة الناس ، وقسم لا يفهمه إلا العالمون .

والحكمة في تنزيل المتشابه من الآيات لإظهار فضل العلم والعلماء ومن أجل التنافس في تعلم كتاب الله - عز وجل - وابتلاء واختبارا لإيمان الناس **﴿ فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ﴾**وأما العالمون المؤمنون به **﴿ يقولون آمنا به كل من عند ربنا ﴾** .

قال الإمام الزمخشري : [فإن قلت فهلا كان القرآن كله محكما ؟ قلت لو كان كله محكما لتعلق الناس به لسهولة مأخذه ، ولأعرضوا عما يحتاجون فيه إلى الفحص والتأمل من النظر والاستدلال . ولو فعلوا ذلك لعطلوا الطريق الذي لا يتوصل إلى معرفة الله وتوحيده إلا به . ولما في المتشابه من الابتلاء والتمييز بين الثابت على الحق والمتزلزل فيه ، ولما في تقادح العلماء وإتعابهم القرائح في استخراج معانيه ورده إلى المحكم من الفوائد الجليلة ، والعلوم الجمة ، ونيل الدرجات عند الله ولأن المؤمن المعتقد أنه لا مناقضة في كلام الله ولا اختلاف فيه إذا رأى فيه ما يتناقض في ظاهره وأهمه طلب ما يوفق بينه ويجرية على سنن واحد ، ففكر وراجع نفسه وغيره ، ففتح الله عليه وتبين مطابقة المتشابه المحكم ازداد طمأنينة إلى معتقده وقوة في إيمانه][2] .

---

(١) سورة آل عمران : ٧ .
(٢) الكشاف ١ / ٤١٢ - ٤١٣ .

كما أن الله – سبحانه وتعالى – بين أن في كتابه آيات يحتاج الناس لمن يبينها لهم كبيان رسول الله – ﷺ – لصحابته قال تعالى : ﴿ **وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم** ﴾[1] .

وقد وضح ابن عباس – رضي الله عنه – هذا الأمر بقوله : [التفسير على أربعة أوجه : وجه تعرفه العرب من كلامها ، وتفسير لا يعذر أحد بجهالته وتفسير يعلمه العلماء ، وتفسير لا يعلمه إلا الله تعالى][2] .

وكان يشكل بعض معاني القرآن الكريم على بعض الصحابة فيلتجئون لبعض علماء الصحابة لتوضيح ما غمض وأشكل عليهم فقد روى البخاري بسنده إلى سعيد أن رجلا قال لابن عباس إني أجد في القرآن أشياء تختلف عليّ قال : ﴿ **فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون** ﴾[3] ﴿ **وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون** ﴾[4] ... فقال ابن عباس : فلا أنساب بينهم في النفخة الأولى ، ثم ينفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ، فلا أنساب بينهم عند ذلك ولا يتساءلون ، ثم في النفخة الآخرة أقبل بعضهم على بعض يتساءلون .. فلا يختلف عليك القرآن فإن كلا من عند الله[5] .

فمن هنا يظهر لنا بطلان شبهة « سال » بما استدل به من تناقض بين هاتين الآيتين .

المثال الثاني :

قال في سورة يونس خطابا لفرعون وقد اتبع بني إسرائيل بغيا حتى أدركه الغرق ﴿ **فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية** ﴾[6] .

---

(١) سورة النحل : ٤٤ .
(٢) تفسير الطبري – طبعة دار المعارف – مصر ١ / ٧٥ .
(٣) سورة المؤمنون : ١٠١ .
(٤) سورة الصافات : ٢٧ .
(٥) صحيح البخاري ٦ / ٣٥ – ٣٦ . كتاب التفسير .
(٦) سورة يونس : ٩٢ .

ويترتب على هذا الكلام أن الله نجى فرعون من الغرق فنقض ذلك بقوله في سورة الإسراء ﴿ **فأغرقناه ومن معه جميعا** ﴾[(١)] وبقوله في سورة القصص ﴿ **فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم** ﴾[(٢)] .

فالآية تدل على نجاة فرعون من الغرق بعد ما أشرف عليه حتى يكون آية لمن خلفه من المصريين وهذا هو المعنى الذي أراده القرآن وإن كره المفسرون الذين فسروه أنه ألقى بدنه مجردا من الروح على نجوة ليكون آية لبني إسرائيل ..][(٣)] .

الجواب :

هذه الآيات ليس بينها شيء من التناقض فآيتا سورة الإسراء والقصص صريحتان في موت فرعون غرقا ، أما الآية الثالثة التي وقع فيها اللَّبس بالنسبة لـ « سال » فهي موافقة لما في الآيتين من المعنى فهذه الآية جاءت لتصور ما كان في نفوس بني إسرائيل لفرعون من مكانة ومهابة حتى إنهم تصوروا أنه لن يغرق لأنه رب – على حد زعمه – ولم يصدقوا غرقه حتى شاهدوه بأعينهم مقذوفا من البحر على مرتفع من الساحل فكان في ذلك أبلغ العبرة لنصرة الله لهم ، وتأييده للمؤمنين[(٤)] .

فالآية إذن لا توافق فهم « سال » وتعسفه في تفسير النص فيكون معنى ﴿ **لتكون لمن خلفك** ﴾ أي علامة لمن وراءك من بني إسرائيل لأنه طرح على ممرهم من ناحية البحر .

وإذا كان النصارى يمرون بقصة غرق فرعون بصمت ، فإن التوراة قد أشارت لموته فقد جاء في سفر الخروج : [.. فإن ضل فرعون دخلت بمركباته

---

(١) سورة الإسراء : ١٠٣ .
(٢) سورة القصص : ٤٠ .
(٣) أسرار عن القرآن صـ ٣٦ .
(٤) الكشاف ٢ / ٢٥٢ .

وفرسانه إلى البحر ، ورد الرب عليهم ماء البحر ، وأما بنو إسرائيل فمشوا على اليابسة في وسط البحر][1] .

وجاء في الإصحاح الخامس عشر من نفس السفر : [.. مركبات فرعون وجيشه ألقاهما في البحر . فغرق أفضل جنوده المركبية في بحر سوف تغطيهم اللجج قد هبطوا في الأعماق كحجر ..] .

وفي عبارة أخرى : [كالرصاص في مياه غامرة][2] .

فهذا يؤكد ما جاء في القرآن الكريم حيث أشارت التوراة لغرقهم وعلى رأسهم فرعون الذي كان على رأس جيشه ، كما أشارت أنهم ترسبوا في قاع البحر كالرصاص أو الحجارة التي تستقر في قاع البحر ولكن القرآن هو الذي انفرد بالإشارة لطفو جثة فرعون وإلقائه على ساحل البحر على نجوة من ممرهم لتتحقق الآية في ذلك وهو قدرة الله سبحانه وتفرده في ربوبيته وبطلان دعوى فرعون أنه « رب » .

وقد أكد العلم الحديث صدق ما ورد في القرآن الكريم حيث اكتشف علماء الآثار في أواخر القرن التاسع عشر جثث الفراعنة في وادي الملوك في « طيبا » في الضفة المقابلة للأقصر من النيل في مصر ومن بينها جثة فرعون الخروج واسمه « منفتاح » ابن رمسيس الثاني الذي هو فرعون الاضطهاد ، وقد احتفظ بجثة فرعون هذا في صالة المومياء الملكية في المتحف المصري في القاهرة[3] .

وقد قام الأستاذ « موريس بوكاي » مع مجموعة من الأطباء بفحص جثة فرعون فحصا تشريحيا قانونيا ليخرجوا بنتيجة مذهلة وهي وفاة فرعون غرقا ، ونجاة جثته من الرسوب في قاع البحر إلى الطفو والإلقاء على الساحل لتكون آية لمن يأتي بعده من أهل القرآن مخالفا في ذلك لفهم « سال » والأستاذ

---

(١) الكتاب المقدس – سفر الخروج – الإصحاح الرابع عشر .
(٢) الكتاب المقدس – سفر الخروج – الإصحاح الخامس عشر .
(٣) التوراة والإنجيل والقرآن والعلم – موريس بوكاي طبعة دار الكندي صـ ٢٠٤ .

« كوروايبه » الأستاذ في المدرسة التوراتية في القدس حيث قال : [أشار القرآن السورة العاشرة آية ٩ - ٩٢] إلى ذلك فرعون مع جيشه قد غرق حسب الأعراف الشعبية [وهو مالم يقله النص المقدس] واستقر في عمق البحر وتحت سلطة أركان بحريته « الفقمة »[١] .

والنص كما في التوراة [.. مركبات فرعون وجيشه ألقاهما في البحر فغرق أفضل جنوده المركبية في بحر سوف تغطيهم اللجج . قد هبطوا في الأعماق كحجر .. وأما بنو إسرائيل فمشوا على اليابسة في وسط البحر][٢] .

ولكن أين كلام « سال » و « كوروايبه » من كلام الأستاذ « بوكاي » الذي ختم بحثه القيم بقوله عن فرعون [.. الإنسان الذي عرف موسى ، وقاوم عروضه ، ولاحقه في هربه ، ثم فقد حياته في ذلك .

وقد نجت جثته بإرادة الله من العدم ، وأصبحت آية للناس كما قد سجل القرآن ذلك .

يالها من التماعة عجيبة للآيات القرآنية ، تلك المختصة بجسد فرعون المعروض في صالة المومياءات الملكية للمتحف المصري في القاهرة ، والتي تقدم لكل باحث في معطيات الاكتشافات الحديثة براهين صحة الكتابات المقدسة][٣] .

المثال الثالث :

جاء في سورة البقرة : **﴿ إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾**[٤] وهذا تصريح بأن من عمل صالحا من أهل الكتاب فهو ناج .

---

(١) التوراة والإنجيل والقرآن والعلم صـ ٢٠٣ .
(٢) انظر سفر الكتاب المقدس - سفر الخروج الإصحاح (١٥) .
(٣) المرجع السابق صـ ٢٠٦ .
(٤) سورة البقرة: ٦٢ .

وقال فيها أيضا : ﴿ **لا إكراه في الدين** ﴾[1] وهذا حظر صريح عن إكراه الناس على الدخول في دين لا يريدون الدخول فيه .

فنقض ذلك بقوله في سورة آل عمران : ﴿ **ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين** ﴾[2] .

وبقوله في سورة براءة[3] وسورة التحريم : ﴿ **جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم** ﴾[4] .

وبقوله في سورة البقرة : ﴿ **وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله** ﴾[5] والمراد بالفتنة هنا كل دين خالف الإسلام[6] .

الجواب :

هذه الآيات جميعها لا تَناقُضَ بينها وإنما تسير مع مرحلية الإيمان والجهاد فالآية الأولى : ﴿ **إن الذين آمنوا ....** ﴾ الآية . تدل على أن العبرة بحقيقة العقيدة لا بعصبية جنس أو قوم ، وذلك طبعا قبل البعثة المحمدية أما بعدها فقد تحدد شكل الإيمان الأخير وهو الإيمان برسالة سيدنا محمد - ﷺ - وقبول الدين الذي جاء به وهو الإسلام وعدم اختيار غيره وهذا ما قررته سورة آل عمران التي أشار لها « سال » وهي قوله تعالى : ﴿ **ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه ..** ﴾ وذلك لأن دينه ناسخ لما قبله من الأديان ، ورسالته خاتمة الرسالات ، لذا قرر سبحانه أن لا قبول لدين ولا لمعتقد بعد رسالة الإسلام إلا للإسلام فلا تعارض إذن بين الآيتين . فالأولى شكل الإيمان قبل البعثة المحمدية

---

(١) سورة البقرة : ٢٥٦ .
(٢) سورة آل عمران : ٨٥ .
(٣) سورة براءة : ٧٣ .
(٤) سورة التحريم : ٩ .
(٥) سورة البقرة : ١٩٣ .
(٦) أسرار عن القرآن صـ ٦٢ .

والثانية تحديد شكله الأخير بعد البعثة المحمدية . اهـ .[1] .

أما الآيات اللاحقة قوله تعالى : ﴿ **لاإكراه في الدين** ﴾ والآيات الأخرى فقد وقف المستشرقون منها على طرفي نقيض فبعضهم وعلى رأسهم « جرجس سال » يثير أن الإسلام فرض بالسيف في الوقت الذي قرر فيه : أن لا إكراه في الدين ليوحي أن القرآن متناقض ، والإسلام مضطرب في تصرفاته وبعضهم وعلى رأسهم « سيرت » و « أرنولد » صاحب كتاب (الدعوة إلى الإسلام) يتظاهر بأنه يدفع عن الإسلام هذه التهمة ، وهو يحاول في خبث أن يخمد في حس المسلم روح الجهاد ، ويهون من شأن هذه الأداة في تاريخ الإسلام وفي قيامه وانتشاره . ويوحي إلى المسلمين - بطريق ملتوية ناعمة ماكرة - أن لا ضرورة اليوم أو غدا للاستعانة بهذه الأداة وذلك كله في صورة من يدفع التهمة الجارحة عن الإسلام[2] .

وهؤلاء وهؤلاء كلاهما من المستشرقين الذين يعملون في حقل واحد في حرب الإسلام .. لقد انتضى الإسلام السيف ، وناضل وجاهد في تاريخه الطويل لا ليكره أحدا على الإسلام ولكن ليكفل عدة أهداف كلها تقتضي الجهاد :

١ - جاهد الإسلام ليدفع عن المؤمنين الأذى والفتنة التي كانوا يسامونها وليكفل لهم الأمن على أنفسهم وأموالهم وعقيدتهم . وقد كان المسلمون يسامون الفتنة من أجل عقيدتهم ويؤذون ، فقد شهدت كثير من البلاد الإسلامية تعذيبا وحشيا وتقتيلا جماعيا قديما وحديثا من أعداء دينهم كما حصل في الأندلس ، وفلسطين ، والفلبين ، وغيرها من بلاد المسلمين ، فكان لابد لهم أن يدفعوا هذه الفتنة بالجهاد .

٢ - جاهد الإسلام لتقرير حرية الدعوة والعقيدة ، فلا إكراه على عقيدة الإسلام فمن شاء فليؤمن ، ومن شاء فليكفر .ولكن ينبغي قبل ذلك أن تزول

---

(١) انظر في ظلال القرآن - سيد قطب ١ / ٢٩٠ وما بعدها طبعة دار الشروق .
(٢) نقلا عن (في ظلال القرآن) ١ / ٢٩٣ - ٢٩٤ .

العقبات من طريق إبلاغ هذا الخير للناس كافة ، كما جاء من عند الله للناس كافة .

٣ – جاهد الإسلام ليقيم في الأرض نظامه الخاص ويقرره ويحميه .. الذي يحفظ للإنسان الحرية التامة في جميع أشكالها وصورها والذي يجعل الإنسان عبداً لله وحده ، لا لغيره من بني البشر .

لم يحمل الإسلام السيف إذن ليكره الناس على اعتناق عقيدته و لم ينتشر بالسيف على هذا المعنى كما يريده بعض أعدائه ويتهمونه فالإسلام إنما جاهد ليقيم نظاما آمنا يأمن في ظله أصحاب العقائد جميعا ويعيشون في إطاره خاضعين له وإن لم يعتنقوا عقيدته[(١)] .

وعندما شرع لهم الجهاد طلب منهم عدم الابتداء بالاعتداء قال تعالى : **﴿ وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين ﴾**[(٢)] .

فالجهاد إذن أول ما شرع له هو حماية الناس في دينهم وأن لا يتعرضوا لصرف عنه بالقوة والاعتداء والافتتان وهذا ما جاء في قوله تعالى : **﴿ وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله ﴾**[(٣)] .

ولابد أن يكون الردع حاسما وقويا لكل الأعداء سواء كانوا من خارجه كالكفار أو من داخله كالمنافقين وهذا ما قررته الآية الكريمة **﴿ يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ﴾**[(٤)] إذن فلا تعارض بين هذه الآيات جميعا .

المثال الرابع :

قال في سورة فصلت : **﴿ أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في**

---

(١) في ظلال القرآن ١ / ٢٩٤ – ٢٩٥ .
(٢) سورة البقرة : (١٩٠) .
(٣) سورة البقرة : (١٩٣) .
(٤) سورة التحريم : (٩) .

يومين .. – إلى أن قال – وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين فقضاهن سبع سموات في يومين ﴾[1] .

فهذا الكلام يتحصل منه أمران :

أحدهما : أنه خلق الأرض والسموات في ثمانية أيام .

والآخر : أنه خلق السماء بعد الأرض لا قبلها لكن الأول منقوض في سبعة مواضع من القرآن بما معناه أنه خلقهما وما بينهما في ستة أيام لا في ثمانية أيام .

والثاني : منقوض بقوله في سورة النازعات : ﴿ **ءأنتم أشد خلقا أم السماء بناها رفع سمكها فسواها وأغطش ليلها وأخرج ضحاها والأرض بعد ذلك دحاها** ﴾[2] فهذا يثبت التناقض في القرآن الكريم[3] – على حد زعم « سال » – .

الجواب :

إن الله سبحانه أضاف اليومين اللذين دحى فيهما الأرض ، وأخرج منها ماءها ومرعاها إلى اليومين اللذين خلق فيهما الأرض فصارا أربعة أيام[4] .

وعلى هذا فيكون يوما خلق الأرض من جملة الأربعة بعدهما . والمعنى في تتمة أربعة أيام وهي مع يومي خلق السموات ستة أيام . وتفصيلها يوما الأحد والإثنين لخلق الأرض ، ويوما الثلاثاء والأربعاء للجعل المذكور في الآية ويوما

---

(١) سورة فصلت : (١٠ – ١٢) .
(٢) سورة النازعات : ٢٧ – ٣٠ .
(٣) أسرار عن القرآن صـ ٣٩ .
(٤) كشف المعاني في متشابه المثاني لابن جماعة – تحقيق عبد الوهاب المشهداني صـ ٤١٣ ، رسالة ماجستير مقدمة لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .

الخميس والجمعة لخلق السموات[1] ومثال هذا كما يقول : سرت من البصرة إلى بغداد في عشرة أيام ، وسرت إلى الكوفة في خمسة عشر يوما وهو يعني خمسة عشر مع العشرة التي سار فيها من البصرة إلى بغداد فيخبر فيها عن جملة الأيام وقع فيها السير مجتمعة[2] .

أما شبهته الثانية :

من كون السماء خلقت بعد الأرض لا قبلها مخالفة آية النازعات : ﴿ **والأرض بعد ذلك دحاها** ﴾ .

الجواب :

إن الله سبحانه خلق جرم الأرض غير مدحوة ، ثم خلق السماء ، ثم دحا الأرض بعد خلق السماء لذا قال سبحانه : ﴿ **والأرض بعد ذلك دحاها** ﴾ .

وفي إجابة ابن عباس للرجل الذي أخبره أن في القرآن أشياء تختلف عليه ذكر منها قوله تعالى : ﴿ **أم السماء بناها** ﴾ إلى قوله : ﴿ **دحاها** ﴾ فذكر خلق السماء قبل خلق الأرض ثم قال ﴿ **أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين إلى .. طائعين** ﴾ .

فذكر خلق الأرض قبل السماء .

أجاب ابن عباس – رضي الله عنهما – : [أنه خلق الأرض في يومين ثم خلق السماء ، ثم استوى إلى السماء فسواهن في يومين آخرين ثم دحا الأرض ودحوها أن أخرج منها الماء والمرعى وخلق الجبال والآكام ، وما بينهما في يومين آخرين فذلك قوله : ﴿ **دحاها** ﴾] .

---

(١) فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن – لأبي يحيى زكريا الأنصاري تحقيق الشيخ الصابوني طباعة دار القرآن الكريم – بيروت صـ ٥٠٤ .

(٢) درة التنزيل وغرة التأويل في بيان الآيات المتشابهات للأردستاني – دار الآفاق الجديدة بيروت صـ ٤١٦ .

فلا تعارض بين آيات القرآن الكريم لذا كان آخر وصية ابن عباس - رضي الله عنهما- للرجل بقوله: [فلا يختلف عليك القرآن فإن كلا من عند الله][1].

ولكن أي اختلاف يظن وقوعه في القرآن فمرده لقصور فهم الإنسان وعدم قدرته على الجمع بين آيات الله سبحانه وهذا هو حال هؤلاء المستشرقين .

المثال الخامس :

النسخ :

الشبهة الأولى :

زعم « سال » وغيره [أن في القرآن آيات متناقضة يحتج المسلمون عنها بحجة النسخ ويدفعون ذلك بقولهم : إن الله أمر بأشياء كثيرة في القرآن إلا أنها نسخت بعد ذلك لعلة أوجبت نسخها][2] .

الجواب :

تعريف النسخ : النسخ هو رفع التلاوة أو الحكم الشرعي أو هما معا بخطاب شرعي .

فالناظر في شبه المستشرقين حول موضوع النسخ يجدها ناتجة لعدم فهمهم لطبيعة هذا الدين ، ولحكمة الشارع من النسخ .

ونظرية النسخ لم ينفرد بها الإسلام العظيم وإنما ذكرت كذلك في اللاهوت اليهودي واللاهوت المسيحي ومع هذا لم نر واحدا منهم نسب الاضطراب للتوراة ولا للإنجيل .

فالتوراة مثلا نسخت أمورا كثيرة منها :

---

(١) صحيح البخاري ٦ / ٣٥ - ٣٦ كتاب تفسير القرآن .

(٢) أسرار عن القرآن صـ ، ومقدمة على القرآن - بلاشير ٢٤٢ .

إباحة تزوج الإخوة بالأخوات الذي كان مرخصا به في تشريع آدم – عليه السلام – للضرورة الوقتية حيث قالت : « عورة أختك بنت أبيك أو بنت أمك المولودة في البيت أو المولود خارجا لا تكشف عورتها »[١] .

وفي الإنجيل فقد ذكر نسخ إباحة الطلاق كما كان ذلك في الشريعة الموسوية بأي سبب كان زنا أو غيره ، وكما نسخ إباحة تزوج المطلقة ففي التوراة : « إذا أخذ رجل امرأة وتزوج بها فإن لم تجد نعمة في عينيه لأنه وجد فيها عيب شيء كتب لها كتاب الطلاق ، ودفعه إلى يدها وأطلقها من بيته . ومتى خرجت ذهبت وصارت لرجل آخر »[٢] .

فحرم الإنجيل الطلاق إلا بعلة الزنا ، وحرم تزوج المطلقة قال إنجيل متى : « وقيل من طلق امرأته إلا لعلة الزنا يجعلها تزنى ، ومن يتزوج مطلقة فإنه يزني »[٣] .

فمن رحمة الله سبحانه بالإنسانية أن جعل النسخ من التشريعات الإسلامية رحمة ورفقا وتخفيفا واستجابة لتطلعات الدعوة الإسلامية الرشيدة وإلى غير ذلك من الحكم . فالنسخ جاء ليتمشى مع نمو وترقي الأمة الإسلامية من مراحلها الأولى للمراحل الختامية التي تليق بها كأمة قيادية .

فمثلا قد جاء التدرج بحكم الخمر على مراحل أربع ، متدرجا به بما هو ميسور للنفس لما هو ترك بالكامل ليسهل للنفوس الانقياد والامتثال والصبر على تركه فالأجر العظيم على الطاعة في تنفيذ شرع الله سبحانه وأحكامه .

أما إذا كان النسخ من الصعب للسهل فذلك للتخفيف على الناس ، ورحمتهم وإظهار تفضله عليهم : ليزيد حبهم لهذا الدين العظيم الذي يرفع عنهم الإصر والأغلال . أما إذا كان النسخ واقعا بنفس الدرجة بين الناسخ والمنسوخ

---

(١) الكتاب المقدس – سفر اللاويين – الإصحاح الثامن عشر .
(٢) سفر التثنية – الإصحاح الرابع والعشرين .
(٣) إنجيل متى – الإصحاح الخامس – فقرة (٣٢ – ٣٣) .

فالحكمة في ذلك من أجل ابتلاء واختبار الإيمان ليميز الله المؤمن الصادق من دعي الإيمان . أما إذا كان النسخ في الحكم دون التلاوة فذلك ليعرف الناس أن هذا الدين حق وأنه منزل من الله سبحانه ، زيادة على ذلك ما يكتسبه القارىء لهذه الآيات من الأجر والثواب ، ومعرفة ما حوته هذه الآيات المنسوخة من بلاغة وحسن بيان . ومن قيام معجزات بيانية أو علمية أو سياسية بها إلى غير ذلك من فوائد .

أما حكمة نسخ التلاوة مع إبقاء الحكم .

فحكمته تظهر في كل آية بما يناسبها فمثلا فالآية المشهورة عن عمر بن الخطاب وأبي بن كعب – رضي الله عنهما – قالا : كان فيما أنزل من القرآن « الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة » .

فالحكمة في نزولها أن فيها ردعا شديداً لمن تحدثه نفسه من الشيوخ أن يتلطخ بهذه الجريمة الشنعاء حتى إذا ما تقرر هذا الحكم في النفوس نسخ الله تلاوة هذه الآية وأبقى حكمها لحكمة أخرى وهي للإشارة إلى شناعة هذه الفاحشة وبشاعة صدورها من شيخ وشيخة ، حيث سلكها مسلك ما لا يليق أن يذكر فضلا عن أن يفعل ، وسار بها في طريق يشبه طريق المستحيل الذي لا يقع ، كأنه قال : نزهوا الأسماع عن سماعها ، والألسنة عن ذكرها فضلا عن التلوث برجسها(١) .

فمن هنا يظهر أن النسخ لم يكن من أجل الفرار من ظاهرة التناقض في القرآن الكريم كما زعموا ولا ضياع شيء من القرآن الكريم ولكنه شُرع لحكم وفوائد خفيت على هؤلاء المستشرقين .

الشبهة الثانية :

ذكر « سال » كلاما يوحي أن القرآن الكريم يقول بنسخ الأخبار حيث

---

(١) انظر مناهل العرفان ٢ / ٩٠ – ٩٣ .

قال : [وإن قلنا تساهلاً أنها قد تجوز في الأحكام بالشروط التي ستقف عليها فلا تجوز في الأخبار أبدا ، لأن الخبر لا يقبل النسخ ، وإنما هو أمر جرى على وجه معين ، فإن جعلته على وجهين مختلفين فلابد من أن يكون أحدهما كاذبا][1] .

الجواب :

هذا الكلام الموهم أن في القرآن الكريم أخبارا نسخت مع أنه من المعلوم من أقوال العلماء سلفا وخلفا أن الأخبار لا تنسخ .

فهذا الإمام مكي بن أبي طالب – رحمه الله – ينص على ذلك حيث يقول :

« فأما ما لايجوز نسخه فهو كل ما أخبرنا الله تعالى عنه أنه سيكون أو أنه كان أو وعدنا به ، أو قص علينا من أخبار الأمم الماضية ، وما نص عليه من أخبار الجنة والنار ، والحساب والعقاب ، والبعث والحشر ، وخلق السموات والأرضين ، وتخليد الكفار في النار والمؤمنين في الجنة ، هذا كله وشبهه من الأخبار لا يجوز نسخه لأنه تعالى يخبر عن الشيء على غير ما هو به ، وكذلك ما أعلمنا به من صفاته لا يجوز في ذلك كله أن ينسخ ببدل منه ، فأما جواز أن ينسخ ذلك كله بإزالة حفظه من الصدور ونعوذ بالله من ذلك ، فذلك جائز في قدرته تعالى يفعل ما يشاء »[2] .

وقال ابن الجوزي : « فأما الأخبار فعلى ضربين :

الأول : ما كان لفظه لفظ الخبر ، ومعناه معنى الأمر كقوله تعالى :

﴿ **لا يمسه إلا المطهرون** ﴾[3] فهذا لاحق بخطاب التكليف في جواز

---

(١) أسرار عن القرآن صـ ٤١ .

(٢) الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه – لمكي صـ ٥٧ .

(٣) سورة الواقعة : ٧٩ .

النسخ عليه .

والثاني : الخبر الخالص فلا يجوز عليه ، لأنه يؤدي إلى الكذب وذلك محال .

وقد حكي جواز ذلك عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، والسدي وليس بشيء يعول عليه .

وقال أبو جعفر النحاس : وهذا القول عظيم جدا يؤول إلى الكفر لأن قائلا لو قال : قام فلان ثم قال : لم يقم ، فقال : نسخته ، لكان كاذبا .

وقال ابن عقيل : الأخبار لا يدخلها النسخ ، لأن نسخ الأخبار كذب وحوشي القرآن من ذلك . اهـ[1] .

وقد ذكر الأستاذ على حسن العريض أن الجمهور لا يجيزون النسخ في الأخبار سواء كانت ماضية أو مستقبلة : والنسخ يجري في واجبات العقول . بل في جائزاتها . والخبر من الواجبات المؤكدة والنسخ فيه يؤدي للكذب[2] .

فالنسخ في الاخبار أمر لا يتصوره العقل وقد وقع بإجازته خطأً بعض العلماء والمفسرين[3] ومن أجازه من العلماء أرادوا منه المعنى اللغوي لا الاصطلاحي . أو بعض العلماء الذين أرادوا بالأخبار ما فيه الأمر والنهي .

فمن هذا يظهر جليا أن القول الراجح عدم دخول النسخ في الأخبار مما يجعل كلام « سال » لا يُراد منه إلا التشكيك في عظمة هذا القرآن وحفظه من التبديل والتغيير .

القضية الثالثة :

نسب « سال » للقرآن الكريم الغلط في بعض الحوادث التاريخية وأسماء

---

(١) نواسخ القرآن - لابن الجوزي ، طبعة دار الكتب العلمية - بيروت صـ ٢١ - ٢٢ .
(٢) فتح المنان في نسخ القرآن - طبعة مكتبة الخانجي بمصر ط ١ ١٩٧٣ م صـ ٦١ - ٦٢ (بتصرف) .
(٣) مباحث في علوم القرآن - صبحي الصالح صـ ٢٧٠ .

مشاهير رجالها وجهله من أمور الطبيعة ما لاينبغي جهله . كل ذلك يدل على أنه ليس من الله في شيء[1] .

وضرب لذلك مجموعة من الأمثلة منها :

المثال الأول :

تسمية القرآن لأبي إبراهيم « آزر » مع أن اسمه « تارح » .

الجواب :

زعم « سال » أن اسم أبي إبراهيم - عليه السلام - هو « تارح » ولكنه لم يقدم لنا دليلا واحدا صحيحا أنه لا يحتمل إلا هذا الاسم . كما أنه لم يذكر لنا مرجعا إلا التوراة وقد بيَّنت في باب المصادر ما أصاب التوراة من تحريف وتبديل ونقص إلى غير ذلك من العيوب التي تفقدها أهلية التوثيق إذا انفردت .

ونحن نقرر أن القرآن هو المصدر الموثوق به بشهادة التاريخ والواقع والعلم الحديث وقد سماه « بآزر » .

وعلى فرض صحة رواية التوراة فيمكن تبريرها بما يلي :

١ - أن يكون لأبي إبراهيم اسمان الأول « آزر » والثاني « تاريح » أو اسم ولقب « فآزر » اسم و « تارح » لقب . وهذا قول الحسن من المتقدمين .

٢ - أن يكون نطق « آزر » في العبرية « تارح » والأعلام قد يختلف بها بين اللغات اختلافا جوهريا « كشاول » في التوراة هو « طالوت » في العربية » و « مكة » « أم القرى » في العربية يطلق عليها « فاران » بالعبرية مع أن المسمى واحد .

وهكذا فلا حجة لـ« سال » فيما زعمه .

---

(١) أسرار عن القرآن صـ ٤٤ .

المثال الثاني :

دعا مريم العذراء بنت عمران وأخت هارون وهي في الإنجيل بنت هالي وبين مريم العذراء وعمران أبي موسى ألف وستمائة سنة[1] .

الجواب :

كما قلت في المثال السابق أن « سال » لم يأت بدليل صحيح واحد لزعمه سوى الإنجيل . والأناجيل فيها كذلك من الاضطراب الشيء الكثير حتى في نسب من ينبغي أن لا تخطيء فيه وهو عيسى - عليه السلام - وهذا واضح لكل مدقق فيها .

فإنجيل متى مثلا ذكره باسم يسوع بن يوسف النجار بن يعقوب بن متان ابن اليعازر .

وإنجيل لوقا سماه يسوع بن يوسف النجار بن هالي .

وغير ذلك من الأخطاء التي توسعت فيها في « باب المصادر » مما يفقدها الأهلية لأن تقف أمام دقة القرآن فيما جاء فيه من أخبار تاريخية على قلتها .

والقرآن الكريم لم يعتن بهذا الجانب التاريخي إلا بما يحقق غرضه من إنزاله للبشرية أن تكون للعبرة والعظة وأخذ دروس في الهداية منها لا غير . هذا كله من جهة .

ومن جهة أخرى من الذي قال « لسال » : إن القرآن يعتبر « عمران » أبا لمريم ولموسى - عليهما السلام - .

لا .. بل العمرانان مختلفان وإن اتفقا في الاسم ..

فعمران أبو مريم - عليهما السلام - اسمه : عمران بن ماثان بن أسعازار ابن أبي يود بن يوزن .. بن يهوذا بن يعقوب - عليه السلام - .

---

(١) أسرار عن القرآن صـ ٤٥ .

وعمران أبو موسى وهارون - عليهما السلام - اسمه عمران بن يصهَر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب - عليه السلام - وبين العمرانين ألف وثمانمائة سنة[1] .

وكذلك على سبيل المثال فإنجيل متى اعتبر المسيح من أولاد سليمان بن داود أما إنجيل لوقا فاعتبره من أولاد ناثان بن داود . وإنجيل متى اعتبر آباءه إلى جلاء بابل سلاطين مشهورين أما لوقا قال إنهم ليسوا سلاطين ولا مشهورين غير داود وناثان .

وفي إنجيل متى عدد الرجال بين المسيح وداود ستة عشر رجلا أما في إنجيل لوقا فعددهم واحد وأربعون رجلا .. إلخ .

وهكذا من الاختلافات والاضطرابات التي تفقد الأناجيل الثقة في أن تكون وثيقة تاريخية يرجع إليها[2] .

وقد كان عمران أبو مريم - عليهما السلام - رجلا عظيما بين علماء بني إسرائيل وقد توفى وابنته مازالت صغيرة ، فكفلها زوج خالتها زكريا - عليه السلام - وهو المذكور في سورة آل عمران .

لذا فما اعتمد عليه « سال » في تخطئة القرآن الكريم على أساسه ليس بحجة له . فيجب أن يدرك « سال » وزمرته أن القرآن الكريم هو الكتاب السماوي الوحيد الذي حفظ من التبديل والتغيير والأخطاء لأنه سيد الكتب وخاتمها وقائد البشرية لنهاية الحياة الدنيوية وهو المحفوظ من الله عز وجل . لكن أنى للقلوب الحاقدة أن تدرك نور الإسلام وعظمة القرآن الكريم .

المثال الثالث :

تعرض القرآن لتاريخ الإسكندر وقد دعاه بذي القرنين : وقال عنه أنه بلغ

---

(١) انظر تفسير البيضاوي صـ ٧١ .

(٢) قصص الأنبياء - النجار صـ ٣٧٣ - ٣٧٤ .

قوما لا يفقهون قولا وأنه بنى سدا من زبر الحديد وغير ذلك مما لا حقيقة له أصلا . وقد اعتمد « سال » في تخطئته للقرآن الكريم على ما كتب قبله من معلومات تاريخية عن ذي القرنين[1] .

الجواب :

القرآن الكريم كتاب هداية قبل أن يكون كتاباً تاريخيا . لكن مع هذا فمع ما جاء فيه من أمور تاريخية مع قلتها يعتبر من أدق وأوثق الكتب في ذلك . كيف لا وهو كتاب عالم الغيب والشهادة الرحمن الرحيم .

وقصة ذي القرنين قد اختلف فيها المؤرخون والعلماء والمفسرون اختلافا بينا :

فمنهم من أرجع تاريخه إلى ما قبل الرسول - ﷺ - بثلاثمائة سنة . ومنهم من أرجعه إلى ما قبل ذلك بألفي سنة إلى غير ذلك ومنهم من اعتبره الإسكندر الأكبر ، ومنهم من اعتبره شمّر الحميري ، ومنهم من عده كورش الأخميني الفارسي ، ومنهم من اعتبر السد الذي بناه هو سور الصين العظيم ، ومنهم من قال : بل هو سد مأرب إلى غير ذلك .

ولكن المحققين من علماء الإسلام ومؤرخيهم كالأستاذ « أبو الكلام أزاد » وغيره[2] اعتبره كورش الأخميني الفارسي ، وهو ما يسميه اليونانيون « سائرس » وتسميه اليهود « خورس » أو « كورش »[3] كما في التوراة ويذكره مؤرخو العرب باسم « كيخسرو » ورجحوا ظهوره سنة ٥٥٩ ق.م . و « كورش » هذا كان رجلا موحدا صالحا مؤمنا بالبعث ، على الدين الصحيح لزرادشت .

---

(١) أسرار عن القرآن صـ ٤٦ .

(٢) يسألونك عن ذي القرنين صـ ١٢٦ وما بعدها طبعة دار الشعب - القاهرة .

(٣) الكتاب المقدس سفر أشعيا الإصحاح (٤٥) .

كما أنهم رجحوا أن السد الذي بناه موجود للآن بنفس المواصفات القرآنية في إقليم جورجيا السوفياتية المسمى « إقليم داغستان » في مضيق داريال الواقع في جبال القوقاز بين مدينتي دريند وخوزار .

أما الأقوام التي كانت تعبث في الأرض فساداً وسموا بـ « يأجوج ومأجوج » فهم على الأرجح المغول والتتار الذين ما قطع تحركاتهم نحو الغرب إلا هذا السد(١) .

وكما قلت وليس من مهمة القرآن الكريم كل هذه التفاصيل ولا غيرها ، لأن المهم موطن العبرة والعظة من القصة مع الحق والموضوعية والصدق في معلوماته .

أما نسبة « سال » للقرآن الكريم أنه ذكر أن ذا القرنين هو الإسكندر المقدوني فلا يصح . ولعل الوهم جاء لـ « سال » من ترجيحات بعض المفسرين الذين تباينت أقوالهم فيه وتعارضت . والحجة على القرآن بنصه لا بشروحات الشارحين وتفسيرات المفسرين .

فهذه القصة بحد ذاتها معجزة من معجزات الإسلام العظيم ودليل على صحة نبوة نبينا محمد – ﷺ – وصدق رسالته . لأنه نبي أمي لم يقرأ الكتب فمن الذي أخبره عن هذا السد العظيم وبانيه وقد صدقه العلم الحديث بعد قرون طويلة سوى الله – جل في علاه – .

القضية الرابعة :

إن وجود اللغو فيه يدحض دعواهم له بأنه كله بيان وهدى وأنه كلام الله تعالى كالحروف المقطعة في أوائل السور(٢) .

---

(١) انظر كتاب يسألونك عن ذي القرنين صـ ١٤٢ وما بعدها ، وكتاب مفاهيم جغرافية في القصص القرآني – قصة ذي القرنين – د / عبد العليم خضر – دار الشروق بجدة صـ ٣٢٢ وما بعدها وكتاب الأساس في التفسير جـ١ صـ ٣٢١٩ – ٣٢٣٣ للأستاذ سعيد حوى .

(٢) أسرار عن القرآن صـ ٤٧ – ٤٨ .

هذه النقطة قد رددت عليها وبينت ما أشكل على « سال » وغيره فيها في موطن آخر من الرسالة .

القضية الخامسة :

زعمهم أن القرآن الذي يعتبره صاحبه معجزة في الفصاحة والبلاغة قد نفى بالتضمين صفة الإعجاز عن كلامه .

كما أن محمدا نفسه جاء بكلام يضاهي في فصاحته كلام القرآن كقصة سورة النجم[1] .

الجواب :

هذه الافتراءات التي ذكرها « تسدال » خلاف الحقيقة والقرآن الكريم ينقضها . وقوله : [إن قائل القرآن ما كان يرى أنه معجزة] قول عار عن الصحة ، فالقرآن الكريم منذ أن نزل للعرب دعاهم للتوحيد وترك ما ورثوه من عقائد فاسدة ، فلما لم يستجيبوا سفه أحلامهم ، واستثارهم بكل عناصر التحدي واستدرجهم لحلبة الصراع فعجزوا واستسلموا قال تعالى : ﴿ **وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين** ﴾[2] فقد بلغ بهم الغيظ من مقالته حدا تركوا معه أحلامهم الراجحة ، وخرجوا له عن طاعة عقولهم الفاضلة حتى واجهوه بكل قبيح .. فلما أعجزهم مزايا ظهرت لهم في نظمه وخصائص صادفوها في سياق لفظه ، وبدائع راعتهم من مبادىء آيه ومقاطعها .. وبهرهم أنهم تأملوه .. فلم يجدوا كلمة ينبو بها مكانها ، ولفظة ينكر شأنها ، أو يرى أن غيرها أصلح منها أو أشبه أو أحرى وأخلق، بل وجدوا اتساقا بهر العقول، وأعجز الجمهور[3] فأعلنوا له بالإذعان والاستسلام واعترف عقلاؤهم أنه مما لا يقدر عليه البشر .

---

(١) أسرار عن القرآن صـ ٤٩ .
(٢) سورة البقرة : (٢٣) .
(٣) دلائل الإعجاز – الجرجاني صـ ٣٩ ، ٥٧٩ .

واعترف عقلاؤهم أنه مما لا يقدر عليه البشر .

قال الوليد بن عقبة عندما سمع شيئا منه من النبي - ﷺ - [والله إن له لحلاوة ، وإن عليه لطلاوة ، وإن أسفله لمغدق ، وإن أعلاه لمثمر ، وما يقول هذا بشر][1] .

أما ما ذكره « سال » من أن القرآن نفسه تضمن نفي صفة الإعجاز عن كلامه يريد من ذلك بعض الآيات التي يفهم معناها أو حملها على غير مرادها من ذلك قوله تعالى : ﴿ **وإذا تتلى عليهم آياتنا قالوا : قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا إن هذا إلا أساطير الأولين** ﴾[2] .

وهذه الآية هي مقولة النضر بن الحارث قالها عندما جاء بأخبار ملوك فارس يقرأها على قريش زاعما أنها مثل ما يذكره محمد من قصص الأولين .

فقوله : ﴿ **لو نشاء لقلنا مثل هذا** ﴾ . يدل على أنه ما شاء ذلك القول وما قال . فثبت أن النضر أقر أنه ما أتى بالمعارضة . وإنما أخبر أنه لو شاءها لأتى بها وهذا ضعيف . لأن المقصود إنما يحصل لو أتى بالمعارضة ، أما مجرد القول فلا فائدة فيه[3] .

فلو كانوا جادين وصادقين في دعواهم في استطاعتهم الإتيان بمثله لأتوا وكفوا أنفسهم مؤونة القنا والحروب والدماء بسطر واحد كالقرآن العظيم ، ولكنهم ، لما لم يفعلوا ولن يفعلوا عُلِم أن قولهم ادعاء لا رصيد له من الواقع .

أما زعمه [أن محمدا نفسه جاء بكلام يضاهي في فصاحته كلام القرآن] مستدلا على ذلك بقصة الغرانيق .

١ - هذا الكلام خال من الصدق والصحة ، والرسول - ﷺ - لم

(١) نفس المرجع صـ ٥٨٥ .
(٢) سورة الأنفال : (٣١) .
(٣) التفسير الكبير ٨ / ١٦١ - ١٦٢ .

ينسب شيئا منه لنفسه ، فمع سمو كلام رسول الله - ﷺ - في الحديث النبوي أو الأحاديث القدسية ورصانة ألفاظه وبلوغه قمة الفصاحة والبلاغة حيث هو الذؤابة من قريش وأوتي جوامع الكلم .

فمع هذا كله لا يمكن أن يصل لمستوى القرآن الكريم . فالقرآن معجز عجزت الإنس والجن أن يأتوا بمثله . لكن الحديث النبوي الشريف إن أعجز عامة الناس الإتيان بمثله فلا يعجز بعض خاصتهم الإتيان بأسطر منه . خاصة إذا انضم له معين وظهير . فإن عجز مع الظهير والمعين فلن يعجز الإنس والجن مجتمعين . بعكس القرآن الكريم فلن يستطيع أحد من الإتيان بمثله ولو انضم بعضهم لبعض ظهيرا .

ولله در « الجاحظ » في وصفه لكلام رسول الله - ﷺ - : [هو الكلام الذي قل عدد حروفه ، وكثر عدد معانيه ، وجل عن الصنعة ، ونزه عن التكلف .. استعمل المبسوط في موضع البسط ، والمقصور في موضع القصر ، وهجر الغريب الوحشي ، ورغب عن الهجين السوقي ، فلم ينطق عن ميراث حكمة ، ولم يتكلم إلا بكلام قد حُفّ بالعصمة ، وشُدّ بالتأييد ، ويُسّر بالتوفيق ، وهذا الكلام الذي ألقى الله المحبة عليه : وغشاه بالقبول ، وجمع بين المهابة والحلاوة ، وبين حسن الإفهام وقلة عدد الكلام ، هو مع استغنائه عن إعادته ، وقلة حاجة السامع إلى معاودته ، لم تسقط له كلمة ، ولا زلت له قدم ، ولا بارت له حجة ، ولم يقم له خصم ، ولا أفحمه خطيب ، بل يبذ الخطب الطوال بالكلام القصير ، ولا يلتمس إسكان الخصم إلا بما يعرفه الخصم ، ولا يحتج إلا بالصدق ، ولا يستعمل المؤاربة ، ولا يهمز ولا يلمز ، ولا يبطىء ولا يعجل ، ولا يطلب الفلج إلا بالحق ، ولا يستعين بالخلابة ، ولا يسهب ولا يحصر ، ثم لم يسمع الناس بكلام قط أعم نفعا ، ولا أصدق لفظا ، ولا أعدل وزنا ، ولا أجمل مذهبا ، ولا أكرم مطلبا ، ولا أحسن موقعا ، ولا أسهل مخرجا ، ولا أفصح عن معناه ، ولا أبين عن فحواه من كلامه - ﷺ -] (1) .

---

(١) تاريخ آداب العرب للرافعي جـ ٢ صـ ٢٨٢ - ٢٨٣ .

ولا شك أن رسول الله - ﷺ - كان أفصح العرب ونشأ في بني سعد ابن بكر فأخذ عنهم الفصاحة والبلاغة ونال من هواء ديارهم صفاء الذهن وسلامة الفطرة .

٢ - إننا نجد كلام بعض الصحابة والتابعين مشابها للحديث النبوي الشريف حتى لنسمع الحديث فيشبه علينا أمره أمرفوع هو أم قول للصحابي أو التابعين .

أما القرآن الكريم فلا تجد له شبها ولا مثيلا ، ولا يلتبس بغيره ، حتى يميزه الأعجمي عن غيره لميزاته الخاصة به .

٣ - إن القرآن الكريم لو كان كلام محمد - ﷺ - كالحديث الشريف لكان أسلوبهما واحدا لصدورهما عن شخص واحد ، استعداده واحد ، ومزاجه واحد ، وقدراته واحدة ، لكن الواقع غير واحد .

فأسلوب القرآن ضرب وحده تظهر عليه سمات الألوهية التي تجل عن المشابهة والمماثلة ، أما أسلوب الحديث النبوي الشريف فليس من هذا القبيل . فهو يعلو أساليب البشر بجملته لا بتفصيله ، ولا يستطيع أن يصعد إلى السماء إعجاز القرآن الكريم[1] .

٤ - لو كان هذا القرآن من صنع محمد - ﷺ - لما نسب هذا الفضل لغيره ليصل به إلى رقاب الناس وإخضاعهم له .

٥ - لو صح هذا الزعم لعم عنه وانتشر ونسب إليه ممن كان يعرفه حق المعرفة ومن هو ألصق الناس به . ولاستغل أعداؤه هذه المسألة ونشروها ، لاسيما أنهم كانوا يتصيدون له أقل من هذا ليواجهوه به .

أما قصة سورة النجم والتي تسمى قصة الغرانيق التي استدل بها « سال »

---

(١) مناهل العرفان ٢ / ٣٢٧ - ٣٢٨ .

وغيره فهي قصة مكذوبة وقد ناقشتها في غير هذا الموطن من الرسالة[1] .

شبهة :

زعمه أن في القرآن كلاما لبعض الصحابة كأبي بكر وعمر وعبد الله بن أبي السرح وغيرهم من الصحابة - رضوان الله عليهم -[2] وأتى على ذلك ببعض الشواهد منها :

١ - قوله تعالى : ﴿ **وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين** ﴾[3] .

٢ - وقوله تعالى : ﴿ **واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى** ﴾[4] .

٣ - واستشهد بموقف عبد الله بن أبي السرح وأنه كان يغير خواتيم الآيات .

الجواب :

يريد « سال » أن يؤكد من هذه الأدلة أن القرآن دخلته الصنعة البشرية فليس بكلام الله سبحانه ، فليس إذن بمعجز .

فآية آل عمران كان شبهته فيها أنها نزلت في وفاة رسول الله وفيما إذا تعرض للموت كبني البشر . فظن أنها نسبت نزولها له بعد وفاته فإذا لابد أن تكون من قول غيره من قول أبي بكر - رضي الله عنه - .

مع أن هذه الآية على عكس ظن « سال » فإن نزولها كان يوم أحد عندما تعرض رسول الله - ﷺ - للإصابة في رباعيته ، وأشاع كفار قريش موته .

---

(١) انظر صـ .

(٢) أسرار عن القرآن صـ ٥٠ وما بعدها .

(٣) سورة آل عمران : (١٤٤) .

(٤) سورة البقرة (١٢٥) .

ذكر عطية العوفي أنه لما كان يوم أحد انهزم الناس ، فقال بعض الناس : قد أصيب محمد فأعطوهم بأيديكم ، فإنما هم إخوانكم .

وقال بعضهم : إن كان محمد قد أصيب ، ألا تمضون على ما مضى عليه نبيكم حتى تلحقوا به ، فأنزل الله تعالى في ذلك ﴿ **وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين** ﴾(١) .

ومما يدل أنها نعي لرسول الله - ﷺ - قبل موته فقد روي أن « عروة » قال بعد التشهد : « إن الله تبارك وتعالى نعى نبيكم إلى نفسه وهو حي بين أظهركم ، ونعاكم إلى أنفسكم ، فهو الموت لا يبقى أحد إلا الله - عز وجل - قال تعالى : ﴿ **وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ..** ﴾(٢) » .

أما ما حصل يوم وفاة رسول الله - ﷺ - فلهول الحدث وعظم المصاب ، أفقد الناس الصواب ، حتى نسوا آيات الكتاب حتى قام عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - يتوعد بالقتل كل من يقول إن رسول الله - ﷺ - قد مات حتى جاء أبو بكر - رضي الله عنه - الذي آتاه الله الصبر وقوة العزيمة حيث دخل على رسول الله - ﷺ - وهو مغطى بثوب حبرة فكشف عن وجهه فوجده قد مات فقبله وهو يبكي .. فخرج على الناس فقال : اجلس ياعمر . ثم قال : أما بعد : من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت . قال الله تعالى : ﴿ **وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ..** ﴾ الآية .

قال ابن عباس : فوالله لكأن الناس لم يعلموا أن الله أنزل هذه الآية حتى تلاها عليهم أبو بكر ، فتلاها منه الناس كلهم فما أسمع بشرا من الناس إلا يتلوها .

---

(١) سورة آل عمران ١٤٤ .

(٢) دلائل النبوة للبيهقي ٧ / ٢١٨ .

قال سعيد بن المسيب : إن عمر قال : والله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها فعرقت حتى ما تقلني رجلاي وحتى هويت إلى الأرض[1] .

فهذه الآية كانت محفوظة في الصدور ومما يؤكد هذا ما رواه عروة أنه عندما أخذ ابن الخطاب يهدد ويتوعد كان « عمرو بن قيس بن زائدة ابن الأصم ابن أم مكتوم قائم في مؤخرة المسجد يقرأ ﴿ **وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ..** ﴾[2] الآية .

فهذه الآية إذن مما نزل في حياة رسول الله - ﷺ - ومما تلاه على صحابته وحفظوه واستشهدوا بها يوم وفاته - ﷺ - أما موقف عمر - رضي الله عنه - فكان لهول الحدث ، ورجاء أن يكون أغشي عليه وأن يفيق من غيبوبته لذا قال في يوم مبايعة أبي بكر بعد البيعة : إني والله ما وجدت المقالة التي قلت لكم في كتاب أنزله الله ، ولا في عهد عهده إلي رسول الله - ﷺ - ولكني كنت أرجو أن يعيش رسول الله - ﷺ - حتى يدبرنا . أي أن يكون آخرنا[3] .

أما الآيات التي نسبها لعمر بن الخطاب - رضي الله عنه - وزعم أنها مما دخل القرآن من كلام بعض الصحابة .

واستشهد على ذلك بقوله تعالى : ﴿ **واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى** ﴾[4] .

وهذه الآية وأمثالها قرآن سيق معناه على لسان عمر ، قبل نزوله من السماء وسبق لسان عمر بذلك لا يبطل قرآنيته . فهو محفوظ في اللوح المحفوظ قبل نزوله على رسولنا - ﷺ - .

---

(١) انظر ابن كثير ١ / ٤٠٩ .
(٢) دلائل النبوة ٧ / ٢١٨ .
(٣) دلائل النبوة للبيهقي ٧ / ٢١٦ - ٢١٧ .
(٤) سورة البقرة : (١٢٥) .

قال ابن عباس : ﴿ **إنا أنزلناه في ليلة القدر** ﴾[(١)] أي أنزل القرآن في ليلة القدر جملة واحدة إلى سماء الدنيا ، وكان بموقع النجوم ، فكان الله عز وجل ينزله على رسوله - ﷺ - بعضه في إثر بعض .

فهذه الآيات إذن مما وفق به ابن الخطاب وألهمه ووافقه عليه ربه - عز وجل - قال عمر : وافقني ربي في ثلاث . قلت : يارسول الله ، لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلى فنزلت ﴿ **واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى ..** ﴾[(٢)] .

وقد نسب لعمر - رضي الله عنه - أربع عشرة موافقة من هذا القبيل ، وهذا الإلهام في بعض أتباع الأنبياء - عليهم السلام - وافقتهم لمراد الله سبحانه كان في أكثر من أمة وكان من الأمة الإسلامية عمر بن الخطاب - رضي الله عنه الذي خص بهذه الميزة ، وهذا الفضل ، فعن عائشة - رضي الله عنها - قالت : قال رسول الله - ﷺ - : « إن كان في الأمم محدثون فإن يكن في هذه الأمة فهو عمر بن الخطاب »[(٣)] .

وعن علي - رضي الله عنه - قال : « ما كنا ننكر ونحن متوافرون أصحاب محمد - ﷺ - أن السكينة تنطق على لسان عمر - رضي الله عنه - »[(٣)] .

فهذا يدل على مقدار التوفيق الإلهي الذي ناله هذا الصحابي الجليل عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - وذلك ببركة مجالسته للنبي - ﷺ - وإخلاصه لله سبحانه حيث تشربت روحه التشريع الإلهي فكان ينطق بما يوافق مراد الله سبحانه ، وبما سجل في لوحه المحفوظ حتى قيل عنه : إنه ينطق على لسان ملك ، ويتكلم بروح الشريعة[(٤)] فمن هنا يتبين بطلان دعوى « سال »

---

(١) سورة القدر : (١) .

(٢) تفسير ابن كثير ١ / ١٦٩ .

(٣) دلائل النبوة للبيهقي ٦ / ٣٦٩ - ٣٧٠ .

(٤) فقه عمر بن الخطاب د / الزحيلي . جامعة أم القرى الكتاب (٣١) ط ١ ، ١٤٠٣ هـ ، طباعة دار الغرب الإسلامي - بيروت صـ ٢٨ وما بعدها .

وفضح كذبه .

ويتأكد أن كل ما في كتاب الله - سبحانه - هو قرآن كريم وليس من كلام أحد .

أما بالنسبة لما نسب لعبد الله بن سعد بن أبي السرح فقد ناقشته في موضع آخر من هذه الرسالة فيرجع إليه[1] .

القضية السادسة :

زعم « سال » أن مما يبطل إعجاز القرآن الكريم أن فيه مضامين لا يمكن أن تكون مما أوحى به الله سبحانه واستدل على ذلك بعدة أدلة منها :

١ - قوله تعالى : ﴿ **وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا** ﴾[2] وغيرها .

فاعتبر « سال » أن هذا مخالف للعدل الإلهي لأن الله سبحانه لا يأمر بالفسق . فكيف يأمرهم ثم يهلكهم على ذلك فيكون هذا الإهلاك ظلما[3] .

الجواب :

الله سبحانه أحكم الحاكمين وأعدل العادلين منزه عن الظلم قال تعالى : ﴿ **ذلك بما قدمت أيديكم وأن الله ليس بظلام للعبيد** ﴾[4] .

فالله سبحانه لا يصيب أحدا بعذاب دنيوي كان أو أخروي من غير إنذار على أبلغ وجه وآكده بإرسال الرسل ، وإنزال الكتب ، وذلك ليقيم عليهم الحجة وتنقطع الأعذار . قال تعالى : ﴿ **ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزى** ﴾[5] .

---

(١) انظر الرسالة صـ ٣٢٠ .

(٢) سورة الإسراء : (١٦) .

(٣) أسرار عن القرآن صـ ٥٢ .

(٤) سورة آل عمران : ١٨٢ .

(٥) سورة طه : ١٣٤ .

ومعنى الآية إذا تعلقت إرادتنا بإهلاك قوم لإنفاذ قضائنا السابق ، أو دنا وقته المقدر لأخذهم بأسباب الهلاك كثر فيها المترفون فأمرناهم بواسطة الرسول المبعوث إلى أهلها فخرجوا عن الطاعة ، واستمروا في الفسق والعصيان ، ولم يضربوا على أيديهم ولم يدمغوها ، فسلطهم الله عليهم فعم الفسق والعصيان فحقت سنة الله سبحانه - وأصابها الدمار والهلاك ، وأصحاب القرية هم المسؤلون عما حل بهم ، لأنهم لم يضربوا على أيدي المترفين ويمنعوا فسادهم ويصلحوا من علاقاتهم بالله سبحانه وكما هو معروف الرحمة تخص والعذاب يعم قال تعالى : **﴿ واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة ﴾**[1] .

وقال تعالى : **﴿ لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم . ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون . كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون ﴾**[2] .

فمن هنا يظهر عدل الله سبحانه ، وعدم ظلمه لأحد ، لأنهم شركاء في الفسق والعصيان ومخالفة أوامر الله سبحانه ، وانتهاك حرماته . قال تعالى : **﴿ وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ﴾**[3] ويستشهد لهذا بقراءة (أمّرنا) بتشديد الميم بمعنى صيرناهم أمراء[4] .

٢ - ترخيص الشارع لنبيه - ﷺ - بنكث العهد مع أنه لا يجيز ذلك وضرب على ذلك صدر سورة براءة[5] .

الجواب :

لم يكن رسول الله - ﷺ - في يوم من الأيام ناقضا لعهد ، أو ناكثا

---

(١) سورة الأنفال : ٢٥ .
(٢) سورة المائدة : ٧٨ - ٧٩ .
(٣) سورة النحل : ١١٨ .
(٤) البحر المحيط ٦ / ٢٠ وهي قراءة علي والحسن والباقر وغيرهم .
(٥) أسرار عن القرآن صـ ٥٢ .

لوعد و لم يأمره الله سبحانه يوما أن يبدأ أحدا بذلك . ولا يجوز له نقض العهد إلا على ثلاثة أوجه .

١ - أن يظهر له من عدوه خيانة مستورة ، ويخاف ضررهم فينبذ العهد إليهم حتى يستووا في معرفة نقض العهد قال تعالى : ﴿ **وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء** ﴾[١] .

٢ - أن يكون قد شرط لبعضهم في وقت العهد أن يقرهم على العهد فيما ذكر من المدة إلى أن يأمر الله تعالى بقطعه . فلما أمره الله تعالى بقطع العهد بينهم قطع لأجل الشرط .

٣ - أن يكون مؤجلا فتنقضي المدة وينقضي العهد ..

فأما فيما وراء هذه الأحوال الثلاثة لا يجوز نقض العهد البتة ؛ لأنه يجري مجرى الغدر ، وخلف القول ، والله ورسوله بريئان من ذلك[٢] .

أما بالنسبة لصدر سورة براءة فكان سبب نزولها نقض قريش للعهد الذي كان بينها وبينه - ﷺ - بالاعتداء على حليفته قبيلة خزاعة وكانت قريش البادئة بذلك .

ففي عام الحديبية سنة (٦ هـ) صالح رسول الله - ﷺ - قريشا بأن يضعوا الحرب عشر سنين يؤمن فيها الناس فدخلت خزاعة مؤمنها وكافرها في عهد الرسول - ﷺ - وبنو بكر في عهد قريش . وكان لبني بكر دم عند خزاعة قبل الإسلام فاغتنمت بنو بكر غفلة خزاعة وأمدتهم قريش بالسلاح ، فقامت بالاعتداء على خزاعة حتى في الحرم ، فخرج عمرو بن سالم إلى رسول الله - ﷺ - يستغيثه منشدا :

---

(١) سورة الأنفال آية : (٥٨) .

(٢) التفسير الكبير ١٥ / ٢٢٦ .

يارب إني ناشد محمدا حلف أبينا وأبيه الأتلدا
كنت لنا أبا وكنا ولدا ثمت أسلمنا فلن ننزع يدا
فانصر هداك الله نصرا أعتدا وادع عباد الله يأتوا مددا
فيهم رسول الله قد تجردا أبيض مثل الشمس ينمو صعدا
إن سيم خسفا وجهه تربدا في فيلق كالبحر يجري مزبدا
إن قريشا أخلفوك الموعدا ونقضوا ميثاقك المؤكدا
وزعموا أن لست تدعو أحدا وهم أذل وأقل عددا
هم بيّتونا بالحطيم هجدا وقتلونا ركعا وسجدا

فقال رسول الله - ﷺ - : لانصرت إن لم أنصركم ، فتجهز إلى مكة وفتحها سنة ثمان .. ثم خرج إلى غزوة تبوك بعدها وتخلف من تخلف من المنافقين وأرجفوا الأراجيف فجعل المشركون ينقضون عهودهم فأمره الله تعالى بإلقاء عهدهم إليهم وأذن في الحرب[١] .

وكان نزول هذه الآيات المبينة لحالهم وعهودهم سنة تسع ، فلما نزلت كلف عليا أن يلحق بأبي بكر الذي كان أمير للحج ليبلغهم ما نزل من القرآن فلما سمع ذلك المشركون قالوا لعلي - رضي الله عنه - : أبلغ ابن عمك أنا قد نبذنا العهد وراء ظهورنا وأنه ليس بيننا وبينه عهد إلا طعن الرماح وضرب السيوف[٢] فمن هنا يظهر من خلال العرض السابق أن البادىء بالنقض كان القرشيون بمساعدتهم بني بكر بالسلاح للاعتداء على خزاعة . فكان النقض من الرسول - ﷺ - لداعي المعاملة بالمثل ودفع الضرر عن الحليف .

لذا فلا يستقيم الأمر لـ« سال » ودعواه .

---

(١) سيرة ابن هشام ٤ / ٣٦ - ٣٧ ، والدرر في اختصار المغازي والسير لابن عبد البر صـ ٢١١ ، وتفسير البحر المحيط ٥ / ٥ .

القضية السابعة :

وزعم « سال » أن مما يتنافى مع إعجاز القرآن شحنه بأمور محمد الشخصية ، وكثيرا ما نزلت سور منه برقمها فيما لا يهم أحد غيره وغير أهله وقد ذكر على ذلك عدة أمثلة كسورة الأحزاب والتحريم والنور وغيرها[1] .

الجواب :

إن التركيز على ذكر الله سبحانه لحياة نبيه الخاصة والعامة في القرآن الكريم ليس من أجل شخص النبي - ﷺ - ولكن لأن كل جزء من حياته - ﷺ - تعتبر تشريعا فمن أجل ذلك كان التركيز على حياته الخاصة والعامة .

فرسول الله - ﷺ - قوله وفعله وتقريره يعتبر تشريعا ، ولهذا كان أزواج رسول الله - ﷺ - اللواتي شاركنه حياته الخاصة به لا يكتمن شيئا منها ولا يخفينه ، فإذا ما سئلت إحداهن عن أي جانب من جوانب حياته الشخصية - ﷺ - يجبن السائل بكل صراحة ووضوح . مما يدل على فهمهن وتقديرهن لمسؤولياتهن وواجباتهن ومعرفتهن أن حياتهن مع رسول الله - ﷺ - ليس ملكا خاصا لهن وإنما هي ملك للإسلام والمسلمين[2] .

لذا فرسول الله - ﷺ - ليس كأحد من المسلمين وليس نساؤه كأحد من المسلمات ؛ لأنه - عليه الصلاة والسلام - جزء من عقيدة المسلم ، ينطق باسمه في صلاته وكثير من أحواله وعباداته فهو قدوة المسلم وأزواجه المثل الأعلى للبيت المسلم ، بهن تقتدي وعلى طريقهن تسير نساء المسلمين ، لذا خصت نساؤه بكثير من الآيات .

أما ما استشهد به « سال » من قضايا لها علاقة بحياة المصطفى - ﷺ - فذكرها في القرآن الكريم كان لما فيها من دروس تربوية وتشريعات إسلامية ينبغي

---

(١) أسرار عن القرآن صـ ٥٣ .

(٢) النبي وأزواجه في سورة الأحزاب - عبد الحميد طهماز - دار القلم صـ ١٠ .

لكل مسلم أن يتربى عليها .

١ - ذكره لقصة الإفك في سورة النور . لما في إشاعة المنافقين لها من زعزعة ثقة المسلمين بنبيهم وتشكيكهم بأخلاقه التي سما بها على كل خلق ، كما بها أثاروا نار الفتنة في المجتمع المسلم لتفكيك وحدته ، وتوهين قواه .

أما الدروس التربوية في هذه القصة فكثيرة منها :

١ - سد مواضع الخلل وتفقدها في هذا الباب المهم العظيم .

٢ - كانت القصة سببا في وضع أسس النظام الاجتماعي ، وضعا يليق بمكانته .

٣ - التثبت عند سماع الأخبار وعدم رماية الأبرياء .

٤ - أبرزت السورة المنافقين ودورهم الخطير في هدم بنيان وأسس المجتمع الإسلامي .

٥ - أكدت السورة أن الرسول - ﷺ - لا يعلم الغيب[1] .

٦ - التأكيد على أن القرآن الكريم منزل من الله سبحانه وأن الرسول - ﷺ - ليس له فيه إلا البلاغ .

٧ - التأكيد على حرمة أمهات المؤمنين ، ومكانتهن التي ينبغي أن تحفظ لهن .

٨ - من هنا يظهر أن قصة كهذه لا تعتبر أمرا لا يخص إلا النبي وزوجه كما زعم المستشرقون بل هي تخص المسلمين جميعا فمن هنا يظهر مقدار جهل « سال » وسوء افتراءاته .

٢ - أما المثال الثاني الذي استشهد به « سال » قصة زواج رسول الله - ﷺ - من زينب بنت جحش - رضي الله عنها - زوج ابنه بالتبني .

---

(١) الحجاب لأبي الأعلى المودودي - مؤسسة الرسالة صـ ٢٢ - ٣٠ .

لم يكن « سال » وحده الذي أثار هذه القصة حيث أثارها غيره من المستشرقين والمبشرين أمثال « موير » و « أرفنج » و « سبرنجر » و « فيل » و « درمنجهم » و « لامنس » و « مرجليوث » وغيرهم .

حيث جعلوها قصة خيالية غرامية . معتبرا بعضهم أن هذا من سفاح الأقارب .. إلخ[1] .

هذه القصة مما اعتمد عليها المبشرون والمستشرقون كثيرا وهـذه القصة مما خاض فيها مؤرخو الإسلام والسيرة والتفسير كثيرا متأثرين بالروايات الواهية الضعيفة ، ومن هؤلاء الإمام الطبري والنيسابوري والبيضاوي والزمخشري وغيرهم ، وليس هذا الموطن موطن استطراد في هذه القصة ودراستها . وقد قام الأستاذ زاهر الألمعي بدراسة هذه القصة دراسة وافية . مناقشا أدلتها ورواياتها ومبينا ما دخلها من الإسرائيليات والروايات المكذوبة في كتابه القيم (مع المفسرين والمستشرقين في زواج النبي بزينب بنت جحش) والأستاذ محمد حسين هيكل في كتابه (حياة محمد) الفصل السابع عشر . والمهم من هذا كله أن ذكرها كان لتبيين ما في هذه القصة من دروس تربوية والتي من أجلها ذكرها رب العالمين في كتابه الكريم .

فهذه القصة بما دخلها من أكاذيب وصلت إلى حد خدش عصمة الأنبياء فـ « أميل درمغم » زعم أن رسول الله - ﷺ - رآها سافرة شبه عارية فوقعت في نفسه . و « غوستاف لوبون » و « مونجمري واط » كذلك زعما أن حبه لها ساقه ليرقبها فرآها عارية .. وهكذا من الروايات الإسرائيلية المكذوبة التي لا تصون حرمة الأنبياء وتنزع عنهم ثياب الحشمة[2] .

والفوائد في هذه القصة كثيرة منها :

---

(١) أسرار عن القرآن صـ ٦٩ - ٧١ ومع المفسرين والمستشرقين في زواج النبي بزينب بنت جحش للدكتور الألمعي صـ ٢٣ .

(٢) حضارة العرب - غوستاف لوبون صـ ١٤٢ ، ومع المفسرين والمستشرقين صـ ٢٤ .

١ - إبطال نظام التبني غير المشروع الذي كان سائدا في ذلك الوقت فقد اقتضت الإرادة والحكمة الإلهية تحميل نبيه - عليه الصلاة والسلام - مؤونة إزالة أثار هذا النظام بتزوجه من مطلقة متبناه .

٢ - كون رسول الله - ﷺ - هو القدوة دعي لأن يقوم بنفسه بالقضاء على هذه الظاهرة الاجتماعية المنحرفة .

٣ - لتقرير أن زوجة المتبني لا تكون محرمة على متبنيه .

٤ - مكافأة السيدة زينب بنت جحش بطاعتها لله ورسوله وامتثالها لأمره بزواجها من زيد مع الفارق الاجتماعي زوجها - ربنا سبحانه لنبيه- ﷺ - من فوق سبعة أرقعة[(١)] .

أما ما زعم هؤلاء المستشرقون فيرد بأكثر من صورة .

١ - الروايات التي اعتمدوا عليها في خيالاتهم وادعاءاتهم ضعيفة ومردودة .

٢ - رسول الله - ﷺ - من الذين يعرفون زينب بنت جحش معرفة تامة حيث رُبيت وكبرت ودرجت تحت رعايته وعنايته . وكان يراها وخاصة قبل نزول آيات الحجاب . فلا حاجة لأن يسترق النظر ليراها على صورة غير محتشمة فيدعوه ذلك لزواجه منها .

٣ - إن الذي قام بخطبتها لزيد هو رسول الله - ﷺ - وزوجه إياها فلو كان الحب لها في قلبه كما يقولون لخطبها لنفسه بدلا من خطبتها لمولاه وسيكون هذا من أحب الأمور لقلب زيد - رضي الله عنه - لما كان لرسول الله - ﷺ - من حب في قلبه .

٤ - لقد تزوج رسول الله - ﷺ - خديجة وهو في الثالثة والعشرين

---

(١) انظر في ظلال القرآن ٥ / ٢٨٦٨ - ٢٨٦٩ ، ومع المفسرين والمستشرقين صـ ٦٥ - ٦٩ .

من عمره وهي في الأربعين وبقيت زوجة له ثماني وعشرين سنة حتى تخطى الخمسين من عمره ولم يعرف عنه وهو في ريعان فتوته وشرخ شبابه وكمال رجولته أنه كان ممن تغريهم النساء وتأخذ بألبابهم حتى وصل لحد الشهوانية ، كما زعم المستشرقون .

٥ - في الفترة التي خطب فيها زينب كان عنده - ﷺ - خمس زوجات منها عائشة التي كانت أحب نسائه لنفسه ، فمن كان عنده مثل هذا العدد لا تسيطر على فكره امرأة سادسة ، ولا يصل به الأمر ليفتن بها فتون المراهقين كما زعم المستشرقون[1] .

٦ - على ما يقولون : « الحق ما شهدت به الأعداء » .

فقد أبطل مزاعم هؤلاء المستشرقين المستشرق « توماس كارليل » عندما صرح أن اتهام محمد بالشهوانية أمر لا يصح عقلا ولا واقعا . حيث قال : [وما كان محمد أخا شهوات برغم ما اتهم به ظلما وعدوانا ، وأشد ما نجور ونخطىء إذا حسبناه رجلا شهوانيا لا همّ له إلا قضاء مآربه من الملاذ ، كلا فما أبعد ما كان بينه وبين الملاذ أيا كانت ..] .

حقا فلم يكن رسول الله - ﷺ - بالرجل الذي تأسر قلبه المتعة ، وإنما كانت متعته في نجاح دعوته ، وإرضاء ربه - عز وجل - .

٧ - زواجه من زينب أمر طبيعي لأنها بنت عمته والزواج من بنت العمة مشروع في كل القوانين الأرضية والسماوية ولا تعتبر من زواج المحارم كما زعموا . وزيد في الحقيقة هو ابن حارثة ولبس ابن محمد ليكون متزوجا بزوجة ابنه كما زعموا . قال تعالى : ﴿ **وما جعل أدعياءكم أبناءكم ذلكم قولكم بأفواهكم ..** ﴾[2] .

---

(١) انظر « حياة محمد » هيكل صـ ٣٢٦ - ٣٣٦ .

(٢) سورة الأحزاب : (٤) .

٨ - وهناك أمر أخر : إن زواج رسول الله - ﷺ - من زينب بنت جحش مفروض عليه بنص القرآن قال تعالى : ﴿ **ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له** ﴾[١] . وقال تعالى : ﴿ **فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها** ﴾[٢] .

فمجموع هذه الأدلة يظهر زيف وأكاذيب ما جاء به المستشرقون ويظهر مقدار أهمية ذكر مثل هذه القصة الاجتماعية النبوية[٣] ، في القرآن الكريم .

القضية الثامنة :

زعم « سال » أن مما يبطل إعجاز القرآن وجود كلام مبتور في القرآن الكريم وضرب على ذلك بعض الأمثلة من ذلك :

المثال الأول :

قال في سورة الحج ﴿ **إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد** ﴾[٤] .

قال « سال » : فهذه الآية تُعاب من وجهين :

أ - أنه عطف فيها المضارع على الماضي فقال : ﴿ **إن الذين كفروا ويصدون** ﴾ وكان الأفضل في هذا الموطن أن يقول « وصدوا » .

ب - أنه لم يأت بخبر (إن) فلم يتم الكلام بل بقي سامعه منتظرا شيئا[٥] .

---

(١) سورة الأحزاب : (٣٧) .
(٢) سورة الأحزاب : (٣٨ .
(٣) من أراد التوسع في هذه القضية فعليه بكتابي الأستاذ محمد هيكل « حياة محمد » الفصل السابع ، وكتاب الدكتور زاهر الألمعي (مع المفسرين والمستشرقين ..) .
(٤) سورة الحج : ٢٥ .
(٥) أسرار عن القرآن : صـ ٧٢ .

الجـواب :

بالنسبة للشبهة الأولى عطف المضارع على الماضي فقد أجاب عنها العلماء بأقوال منها :

أولـها :

أن يقال فلان يحسن إلى الفقراء ويعين الضعفاء لا يراد به حال ولا استقبال ، وإنما يراد استمرار وجود الإحسان منه في جميع أزمنته وأوقاته فكأنه قيل : إن الذين كفروا من شأنهم الصد عن سبيل الله .

ونظيره قوله تعالى : ﴿ **إن الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله** ﴾[١] .

ثـانيها :

قال أبو علي الفارسي : التقدير :إن الذين كفروا فيما مضى ،[٢] وهم الآن يصدون ، ويدخل فيه أنهم يفعلون ذلك في المآل والمستقبل والإتيان بالفعل المضارع فيه زيادة فائدة وهي إفادته التجدد والحدوث المستمر إذ لم يلحظ منه زمان معين من حال أو استقبال وهذا ما يلحظ في فعل « ويصدون » .

ثالثـها :

أن يقال هو مضارع أريد به الماضي عطفا على كفروا .

رابـعها :

أن يقال هو على إضمار مبتدأ أي وهم يصدون[٣] .

---

(١) سورة الرعد : ٢٨ .

(٢) التفسير الكبير ٢٣ / ٢٤ .

(٣) البحر المحيط ٦ / ٣٦٢ .

خـامسها :

عدها بعضهم من الالتفات من الماضي إلى المستقبل وبالعكس لحكمة وهي أن الكفر لما كان من شأنه إذا حصل أن يستمر حكمه عبر عنه بالماضي ليفيد ذلك مع كونه باقيا أنه قد مضى عليه زمان ، ولا كذلك الصد عن سبيل الله فإن حكمه إنما يثبت حال حصوله يعني بذلك فهو في كل وقت كافر ما لم يأت بالإيمان ولا كذلك الصد عن سبيل الله ومع ذلك فإن الفعل المستقبل فيه إشعار بالكثير فيكون قوله : « ويصدون عن سبيل الله » مشعرا بأنهم في كل وقت كذلك[1] .

أما الشبهة الثانيـة :

وهي زعمه أنه لم يأت بخبر « إن » ، لذا فلم يتم الكلام وبقي السامع منتظرا شيئا فقد أجاب العلماء عنها بما يلي :

أولها :

قدّر ابن عطية : خبر « إن » محذوف بعد « والباد » . وتقديره : خسروا أو هلكوا .

ثانيـها :

قدره « الزمخشري » بعد « الحرام » وتقديره : نذيقهم من عذاب أليم . حيث قال : وخبر « إن » محذوف لدلالة جواب الشرط عليه تقديره : « إن » الذين كفروا ويصدون عن المسجد الحرام نذيقهم من عذاب أليم . وكل من ارتكب فيه ذنبا فهو كذلك »[2] .

---

(١) تفسير الكشاف ٣ / ١٠ .

(٢) كتاب الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان ابن القيم طبعة دار نشر الكتب الإسلامية كوجرانواله باكستان (صـ ٩٩) .

وقد فضل « أبو حيان » تقدير الزمخشري على تقدير ابن عطية لدلالة الجملة الشرطية عليه . وهذا يلحظ من جهة اللفظ أما ابن عطية فقد نظر لها من جهة المعنى لأن من أذيق العذاب خسر وهلك .

ثالثها :

قيل : الواو في « ويصدون » زائدة وهو خبر « إن » وتقديره : إن الذين كفروا يصدون . وقد ضعف ابن عطية هذا الوجه[(١)] .

رابعها :

قيل : « يصدون » حال من فاعل « كفروا » وخبر « إن » محذوف دل عليه آخر الآية أي معذبون[(٢)] .

فيكون المعنى للآية : إن الذين كفروا ومستمرون في صدهم عن سبيل الله معذبون في نار جهنم ، والعياذ بالله من ذلك .

فمن هنا يظهر أن المعنى ليس فيه بتر بل هو تام بالتقدير . ولكن هذا الأمر يصعب فهمه وإدراكه على هؤلاء المستشرقين الذين لا يدركون أسلوب العربية وأسرارها .

المثال الثاني :

أردف « سال » هذه الآية بقوله : **﴿ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم﴾** . هذا أيضا كلام ناقص ، لأنه جاء فيه بفعل متعد وهو يرد ولم يأت بمفعوله .

ثم قال : نذقه من عذاب أليم .

وكان المقام يقتضي أن يقول العذاب الأليم أو عذابا أليما . بحذف « من »

---

(١) البحر المحيط ٦ / ٣٦٢ .

(٢) انظر تفسير البيضاوي صـ ٤٤٢ .

البعضية ، اللهم إلا أن يكون أراد التبعيض فيصح حينئذ من الكلام مبناه لكن يفسد مغزاه . إذ تذهب النكتة المرادة وهي الوعيد الشديد لمن يريد فيه بإلحاد بظلم فيطمع في أنه لا يصيبه إلا بعض العذاب الذي يستحقه[1] .

الجواب :

بالنسبة لمفعول « يرد » . للعلماء فيه أقوال : منها :

١ - قدره أبو عبيدة : هو بإلحاد والباء زائدة في المفعول .

٢ - منهم من قال : فعل « يرد » مما ترك مفعوله ، وذكر حكمة تركه الزمخشري بقوله : وذلك ليتناول كل متناول . كأنه قال : ومن يرد فيه مرادا ما عادلا عن القصد ظالما ﴿ **نذقه من عذاب أليم** ﴾ يعني : أن الواجب على كل من كان فيه أن يضبط نفسه ، ويسلك طريق السداد والعدل في جميع ما يهم به ويقصده[2] .

أما بالنسبة لحرم مكة فمجرد الهم بالمعصية يعذب عليها الإنسان وفي ذلك مبالغة في الزجر والنهي عن الإحداث فيه . وهذا ليس فيه أدنى تشجيع لاقتراف الآثام كما زعم « سال » .

أما بالنسبة لـ« من » ففيها قولان :

القول الأول :

أن تكون « من » للجنس أو للتبعيض . ولكل معنى من المعنيين مغزاه وفوائده .

فإذا كانت « من » للجنس يبقى التهديد والوعيد على أصله وبابه حيث هُدّدوا بإذاقة العذاب الأليم .

---

(١) أسرار عن القرآن صـ ٧٢ .

(٢) الكشاف ٣ / ١٠ ، وتفسير البيضاوي صـ ٤٤٣ .

القول الثاني :

أما إذا كانت « من » للتبعيض فمعناه أن إرادة الظلم والإلحاد والهم بهما أقل من ارتكابهما فعلا . فتبقى عقوبة الإرادة والهم أقل من عقوبة من ظلم . ويناسب الفعل المقام في أن تأتي « من » التبعيضية في السياق فيكون إذاقته « من عذاب أليم » أي بعض أنواع العذاب الأليم .

وهذه خصوصية للحرم دون غيره من الأماكن ؛ لأن الإنسان لا يسأل عن همه وعزمه إلا في الحرم ، ويؤكد هذا ما جاء في الحديث الذي رواه أبو هريرة عن رسول الله - ﷺ - أنه قال : « إذا تحدث عبدي بأن يعمل حسنة فأنا اكتبها له حسنة ما لم يفعل ، فإذا عملها فأنا اكتبها له بعشرة أمثالها . وإذا تحدث بأن يفعل سيئة فأنا أغفرها ما لم يفعلها فإذا عملها فأنا اكتبها له بمثله[1] .

وقد ذكر خصوصية الحرم هذه ابن عباس وغيره : فعن عبد الله قال ما من رجل يهم بسيئة فتكتب عليه ولو أن رجلا بعدن أبان همّ أن يقتل رجلا بهذا البيت لأذاقه الله من العذاب الأليم[2] .

فمن هنا يظهر أن كل تخيلات « سال » باطلة وتدل على جهله بالأسلوب العربي البديع وما يحويه من أسرار ودقائق .

المثال الثالث :

قال تعالى في سورة البقرة : ﴿ **مثلهم كمثل الذي استوقد نارا . فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم ..** ﴾[3] .

علق « سال » على هذه الآية بقوله : قال المفسرون : إن « الذي » بمعنى الذين واستشهدوا لذلك بشاهد من كلام العرب بل بكلام القرآن نفسه كقوله :

---

(١) انظر مسند الإمام أحمد ٢ / ٣١٥ .

(٢) تفسير الطبري ١٧ / ١٠٤ (دار المعرفة) .

(٣) سورة البقرة : ١٧ .

﴿ **وخضتم كالذي خاضوا** ﴾[1] أي كالذين . وهذا احتجاج ضعيف فضلا عن أنه لو أراد بالذي في هذا الموضع معنى « الذين » لقال : الذي استوقدوا كما قال : الذي خاضوا . ولكنه قال : استوقد بالإفراد فبقي الكلام ناقصا لا يفيد ذلك لسقوط جواب « لما » الذي قدروه زاعمين أنه محذوف مع أن بقية الكلام لا تدل عليه[2] .

الجواب :

ما زال « سال » يتخبط في تخيلاته التي تدل على تحامل شديد على القرآن الكريم ومفسريه ، وأخطاؤه تدل على عدم تمكنه من العربية لذا صار يهرف بما لا يعرف كما يقولون .

فهذه الآية قبل أن يقف عندها « سال » وقف عندها علماء التفسير المسلمون .

ولكن « سال » كغيره يأخذون الشبهة ولا يأتون بردود العلماء المسلمين عليها إحياءً لها وتشكيكا في دقة الأسلوب القرآني ونسبة الضعف له .

فبالنسبة للفظة « الذي » كان للعلماء فيها وقفات :

١ - قال أبو حيان : « الذي » اسم موصول للواحد المذكر .

٢ - أما أبو علي الفارسي فقال : بل هو اسم مبهم يجري مجرى « من » في وقوعه على الواحد والجمع ثم قال أبو حيان : يجوز أن تحذف نون « الذين » فيبقى « الذي »[3] .

٣ - أما الأخفش فقال : هو مفرد ويكون في معنى الجمع . كما يكون الإنسان[4] في معنى الناس .

---

(١) سورة التوبة : ٦٩ .

(٢) أسرار عن القرآن صـ ٧٣ .

(٣) انظر تفسير البحر المحيط ١ / ٧٤ - ٧٥ .

(٤) معاني القرآن للأخفش ١ / ٤٩ طبعة الكويت .

أما صاحب التسهيل ابن جزي الكلبي ذكر أن « الذي » على بابه من الإفراد . والأرجح أنه أعيد لضمير الجماعة لأنه لم يقصد بـ « الذي » واحدا بعينه ، إنما المقصود التشبيه بمن استوقد نارا سواء كان واحدا أو جماعة . ثم أعيد الضمير بالجمع ليطابق المشبه ، لأنهم جماعة[1] .

أما سر تمثيل الجماعة بالواحد ففي ذلك وجوه :

١ - أنه يجوز في اللغة وضع « الذي » في موضع « الذين » كقوله تعالى : ﴿ وخضتم كالذي خاضوا ﴾[2] وإنما جاز ذلك لأن « الذي » وصلة إلى وصف كل معرفة مجملة ، وكثرة وقوعه في كلامهم ، ولكونه مستطالا بصلته فهو حقيق بالتخفيف . لذلك أعلوه بالحذف فحذفوا ياءه ، ثم كسرته ، ثم اقتصروا فيه على اللام وحدها في أسماء الفاعلين والمفعولين .

٢ - أن يكون المراد جنس المستوقدين أو أريد به الجمع أو الفوج الذي استوقد نارا .

٣ - أن المنافقين وذواتهم لم يشبهوا بذات المستوقد حتى يلزم منه تشبيه الجماعة بالواحد ، وإنما شبهت قصتهم بقصة المستوقد وقد رجح هذا الوجه الإمام الرازي والطبري في تفسيرهما[3] .

قال الإمام الطبري في تفسيره : [أما في الموضع الذي مثل ربنا - جل ثناؤه - جماعة من المنافقين بالواحد الذي جعله لأفعالهم مثلا فجائز حسن .. وما في تمثيل أجسام الجماعة من الرجال في الطول وتمام الخلق بالواحد من النخيل فغير جائز ولا في نظائره لفرق بينهما .

ومعنى الآية : مثل استضاءة المنافقين بما أظهروه من الإقرار بالله وبمحمد - ﷺ - وبما جاء به قولا وهم به مكذبون اعتقادا كمثل استضاءة الموقد نارا ،

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل ١ / ٦٦ - طبعة دار الكتب الحديثة - مصر .

(٢) سورة التوبة : (٦٩) .

(٣) التفسير الكبير ٢ / ٨٢ . وتفسير الطبري ١ / ١٠٨ - ١٠٩ .

ثم أسقط ذكر الاستضاءة وأضيف المثل إليهم كما قال نابغة بني جعدة :

وكيف تواصل من أصبحت   خلالته كأبي مرحب

يريد كخلالة أبي مرحب فأسقط خلالة إذ كان فيما أظهر من الكلام دلالة لسامعيه على ما حذف منه كذلك القول في الآية][1] .

أما زعم « سال » أن لا شاهد عليه من اللغة فقد استشهد بعض أهل العربية على أن « الذي » تجيء بمعنى « الذين » بقول الشاعر :

وإن الذي حانت بفلج دماؤهم   هم القوم كل القوم يا أم خالد[2]

فعلماء العربية والتفسير يجيزون جعل « الذي » بمعنى « الذين » أما الخلاف فيها هو أن تكون الأشخاص كشخص أو أفعالهم لفعل شخص وعلى الثاني حمل الطبري والرازي معنى المثل المضروب للمنافقين وأمثلته في القرآن كثيرة ذكر الطبري منها أكثر من واحد فمن هنا يظهر ضعف قول « سال » ورجحان ما ذكره علماء اللغة والتفسير .

أما جواب « لما » الذي لم يدركه « سال » فبيانه .

قال ابن عطية في المحرر الوجيز :

قال جمهور النحاة : جواب « لما » ذهب ، ويعود الضمير من نورهم في هذا القول على « الذي » ويصح شبه الآية بقول الشاعر :

وإن الذي حانت بفلج دماؤهم   هم القوم كل القوم يا أم خالد

وعلى هذا القول يتم تمثيل المنافق بالمستوقد ، لأن بقاء المستوقد في ظلمات لا يبصر كبقاء المنافق على الاختلاف المتقدم .

---

(١) تفسير الطبري ١ / ١٠٨ - ١٠٩ .

(٢) تفسير الطبري ١ / ١١٠ .

وقال قوم : جواب « لما » مضمر وهو طفئت ، والضمير في نورهم على هذا للمنافقين والإخبار بهذا هو عن حال تكون في الآخرة وهو قوله تعالى : ﴿ **فضرب بينهم بسور له باب** ﴾[(١)][(٢)] .

ومن حذف الجواب علله للإيجاز وأمن الالتباس كأنه قيل: فلما أضاءت ما حوله خمدت فبقوا في الظلمات خابطين متحيرين خائبين بعد الكدح في إحيائها .

وإسناد الإذهاب إلى الله تعالى إما لأن الكل بخلقه تعالى ، وإما لأن الانطفاء حصل بسبب خفي أو أمر سماوي كريح أو مطر أو للمبالغة كما يؤذن به تعدية الفعل بالباء دون الهمزة لما فيه من معنى الاستصحاب والإمساك .. ولذلك عدل عن الضوء الذي هو مقتضى الظاهر إلى النور ، لأن ذهاب الضوء قد يجامع بقاء النور في الجملة لعدم استلزام عدم القوي لعدم الضعيف والمراد إزالته بالكلية كما يفصح عنه قوله تعالى : ﴿ **وتركهم في ظلمات لا يبصرون** ﴾[(٣)][(٤)] .. إلخ .

القضية التاسعة :

زعم « سال » أن القرآن فيه كلام زائد كثير يخل ببلاغته ، أو يحيل المعنى إلى غير مراد قائله وضرب على ذلك أمثلة منها قوله تعالى : ﴿ **لا أقسم بيوم القيامة** ﴾[(٥)] في سورة القيامة وغيرها من الأمثلة .

الجواب :

يشير « سال » إلى قول بعض المفسرين أن « لا » في قوله تعالى : ﴿ **لا أقسم بيوم القيامة ولا أقسم بالنفس اللوامة** ﴾ . زائدة في الإعراب مع أنها

---

(١) سورة الحديد : ١٣ .
(٢) المحرر الوجيز لابن عطية ١ / ١٣١ - ١٣٢ .
(٣) سورة البقرة : ١٧ .
(٤) تفسير أبي السعود ١ / ٥٠ - ٥١ .
(٥) سورة القيامة : (١) .

جيء بها للتأكيد[1] .

والحقيقة أنه لايوجد في القرآن الكريم شيء زائد بمعنى أنه لا فائدة منه . فالقرآن الكريم منزه عن ذلك .

وقول المفسرين عن الحرف أو الكلمة أنها زائدة أو سيف خطيب أي من حيث الإعراب . ولكنه يحمل معنى ، كالتأكيد أو تقرير شيء وهذا مسلم به عندهم .

فمثلا « لا » التي استشهد بها « سال » من سورة القيامة تعددت أقوال المفسرين فيها على أقوال :

١ - أنها صلة زائدة والمعنى (أقسم بيوم القيامة) وقد ضعف الرازي هذا الرأي لأنه يفضي بالطعن في القرآن .

والعرب تجعل « لا » صلة في كل كلام دخل في آخره جحد ، أو في أوله جحد غير مصرح . فهذا مما دخل آخره جحد فجعلت (لا) في أوله صلة[2] .

٢ - أن معناه : لأقسم بيوم القيامة . فاللام للابتداء ، أقسم خبر مبتدإ محذوف معناه : لأنا أقسم ويعضد هذا الرأي أنه في مصحف عثمان بغير ألف. وقد ذكر الواحدي جواز ذلك عن سيبويه والفراء وضعفه أبو عبيدة والرازي في تفسيره .

٣ - أن « لا » ههنا لنفي القسم كأنه قال : لا أقسم عليكم بذلك اليوم وتلك النفس . ولكني أسألك غير مقسم أتحسب أنا لا نجمع عظامك إذا تفرقت بالموت فإن كنت تحسب ذلك فاعلم أنا قادرون على أن نفعل ذلك وهذا قول أبي مسلم ورجحه الرازي .

ويمكن تقدير هذا القول على وجوه :

---

(١) أسرار عن القرآن صـ ٧٤ .

(٢) معاني القرآن - الفراء ٣ / ١٣٧ .

أحدها :

كأنه تعالى يقول : « لا أقسم » بهذه الأشياء على إثبات هذا المطلوب فهو أعظم وأجل من أن يقسم عليه بهذه الأشياء ، ويكون الغرض من هذا الكلام تعظيم المقسم عليه وتفخيم شأنه .

ثانيها :

كأنه تعالى يقول : « لا أقسم » بهذه الأشياء على إثبات هذا المطلوب ، فإن إثباته أظهر وأجلى وأقوى وأحرى ، من أن يحاول إثباته بمثل هذا القسم ، ثم قال بعده : ﴿ **أيحسب الإنسان أن لن نجمع عظامه** ﴾[1] أي كيف خطر بباله هذا الخاطر الفاسد مع ظهور فساده .

ثالثها :

أن يكون الغرض منه الاستفهام على سبيل الإنكار والتقدير : ألا أقسم بيوم القيامة ألا أقسم بالنفس اللوامة على أن الحشر والنشر حق[2] .

فمن هنا يظهر أنه لا يوجد في القرآن حروف زائدة بمعنى لغو لا فائدة فيها فكل حرف في كتاب الله سبحانه له معناه الدقيق .

القضية العاشرة :

الالتفات من الخطاب إلى الغيبة والعكس وزعم « سال » أن تعيين ما تعود عليه الضمائر إذا تعددت في الجملة الواحدة كثير ، واعتبر هذا فاسدا[3] .

واستشهد على ذلك بعدة أمثلة منها :

قوله تعالى : ﴿ **أفغير الله أبتغي حكما** ﴾[4] وقوله تعالى : ﴿ **ذلكم الله**

---

(١) سورة القيامة : ٣ .

(٢) التفسير الكبير للرازي ١٥ / ٢١٤ - ٢١٥ .

(٣) أسرار عن القرآن صـ ٧٥ .

(٤) سورة الأنعام : ١١٤ .

ربي عليه توكلت وإليه أنيب ﴾[1] وقوله تعالى : **﴿ هو الذي يسيركم في البر والبحر حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف ﴾**[2] وغيرها كثير[3] .

الجـواب :

الذي دفع « سال » لإثارة هذه الشبهة أنه ورد في القرآن الكريم جملة آيات يكون الحديث فيها على لسان الرسول - ﷺ - أو غيره من غير تصريح بنسبتها لله سبحانه ، أو أن يكون الأمر موجها من الله - سبحانه - لرسوله - ﷺ - فمن هذه الآيات ما ذكرها « سال » وغيرها كثير في كتاب الله سبحانه . ولعل بُعد « سال » عن الأساليب البيانية في اللغة العربية هو سبب إثارة مثل هذه الشبهة وأسلوب الالتفات معروف في العربية قبل نزول القرآن .

والالـتفات :

هو نقل الكلام من أسلوب إلى آخر . أعني من التكلم أو الخطاب أو الغيبة إلى آخر منها بعد التعبير بالأول . وفوائده كثيرة منها :

١ - تطرية الكلام ، وصيانة السمع عن الضجر والملل ، لما جبلت عليه النفوس من حب التنقلات ، والسآمة من الاستمرار على منوال واحد ، وفي هذا تنشيط للسامع .

٢ - حث السامع وبعثه على الاستماع حيث أقبل المتكلم عليه وأعطاه فضل عناية وتخصيص بالمواجهة كقوله تعالى : **﴿ ومالي لا أعبد الذي فطرني وإليه ترجعون ﴾**[4] .

---

(١) سورة الشورى : ١٠ .

(٢) سورة يونس : ٢٢ .

(٣) أسرار عن القرآن صـ ٤٩ ، ٧٥ .

(٤) سورة يس : (٢٢) .

فالتفت هنا من التكلم إلى الخطاب .

وكما قيل :

لا يصلح النفس إن كانت مصرفة إلا التنقل من حال إلى حال

قال «الحازم» في (منهاج البلغاء) :

وهم يسأمون الاستمرار على ضمير المتكلم أو ضمير المخاطب فينتقلون من الخطاب إلى الغيبة وكذلك أيضا بتلاعب المتكلم بضميره ، فتارة يجعله تاء على جهة الإخبار عن نفسه وتارة يجعله كافا فيجعل نفسه مخاطبا ، وتارة يجعله هاء فيقيم نفسه مقام الغائب . فلذلك كان الكلام المتوالي فيه ضمير المتكلم والمخاطب لا يستطاب ، وإنما يحسن الانتقال من بعضها إلى بعض ، وهو نقل معنوي لا لفظي[1] .

وللالتفات شروط منها :

١ - أن يكون الضمير في المنتقل إليه عائدا في نفس الأمر إلى (الملتفت) إلى المنتقل عنه ، ولا يلزم عليه أن يكون في أنت صديقي - التفات .

٢ - أن يكون في جملتين[2] .

واستخدامه في الأسلوب العربي القديم عليه أمثلة كثيرة منها : قول امرىء القيس ملتفتا في ثلاثة أبيات ثلاث مرات :

تطاول ليلك بالإثمد ونام الخلي ولم ترقد
وبات وباتت له ليلة كليلة ذي العاثر الأرمد
وذلك من نبأ جاءني ونبئته عن أبي الأسود

فامرؤ القيس تراه في البيت الأول جرد نفسه عنه . وخيل أنه غيرها لتحقيق

---

(١) البرهان في علوم القرآن - الزركشي ٣ / ٣١٤ .

(٢) انظر معترك الأقران في إعجاز القرآن للسيوطي ١ / ٣٧٧ وما بعدها ، وإعجاز القرآن للباقلاني صـ ٩٩ وما بعدها .

معنى الخطاب وتقديره عند نفسه .

ثم في البيت الثاني أكد معنى التجريد حتى تباعدت عن مجلس خطابه وغابت عنه حتى شرع يخبر عنها لسامعيه .

ثم رجع في البيت الثالث إلى ما عليه الحقيقة في نفس الأمر[1] .

وقال « الطيبي » مبينا نكتة الالتفات في أبيات امرىء القيس :

الخطاب تجريد لأن نفسه كان حقها أن تبصر وتثبت في المصائب فعل أمثالها من الملوك . فحين لم تفعل جردها وخاطبها تأنيبا ، وحين رأى التحزن تحزن صدق جعله كالغائب . فلما حقق أن الحزن مخصوص به لا يتعداه بنى على الظاهر[2] .

والقرآن الكريم نزل على مذاهب العرب اللغوية وعلى فنونهم في الحديث . وقد ذكر « سال » عدة أمثلة على ذلك منها :

قوله تعالى : ﴿ **حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة ..** ﴾ الآية .

وفائدة العدول عن خطابهم إلى حكاية حالهم لغيرهم تعجبه من فعلهم وكفرهم إذ لو استمر على خطابهم لفاتت تلك الفائدة .

وقيل : لأن الخطاب أولا كان مع الناس مؤمنهم وكافرهم ، بدليل قوله : ﴿ **هو الذي يسيركم في البر والبحر** ﴾[3] فلو قال : « وجرين بكم » للزم الذم للجميع فالتفت عن الأول للإشارة إلى الاختصاص بهؤلاء الذين شأنهم ما ذكره عنهم في آخر الآية ، فعدل عن الخطاب العام إلى الذم الخاص ببعضهم وهم

---

(١) البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن - الزملكاني - مطبعة العاني - بغداد صـ ٣١٤ .

(٢) التبيان في علم المعاني والبديع والبيان - لشرف الدين حسين الطيبي - طبعة عالم الكتب ، ومكتبة النهضة الحديثة صـ ٢٨٧ .

(٣) سورة يونس : ٢٢ .

الموصوفون بما أخبر به عنهم .

وقيل : لأنهم وقت الركوب حصروا ، لأنهم خافوا الهلاك ، وتقلب الرياح فناداهم نداء الحاضرين . ثم إن الرياح لما جرت بما تشتهي النفوس ، وأمنت الهلاك لم يبق حضورهم كما كان على ما هي عادة الإنسان ، أنه إذا أمن غاب ، فلما غابوا عند جريه بريح طيبة فذكرهم الله بصيغة الغيبة فقال: « وجرين بهم »[1] .

٤ - وقيل : فإنه فخم جرأتهم على الله تعالى حيث أعرضوا عن التعريض له بالدعاء والخضوع والالتجاء إليه فيما إذا جرت الفلك بهم بريح طيبة ، ثم لجأوا عند خوفهم الهلكة والغرق وذلك بأن خاطبهم أولا ، ثم أعرض عن مخاطبتهم منزلا لهم منزلة من لا تجدي فيه الزواجر وأخذ في حكاية حالهم الشنيعة وافشاء أسرارهم القبيحة لغيرهم والنداء عليهم يعود وبال ذلك عليهم[2] .

وهكذا نرى سراً من أسرار هذا الأسلوب العربي القديم ، والأسلوب القرآني البديع الذي لم يدركه « سال » فعده أقوالا دخلت النص القرآني من صنعة بشرية تارة أو فسادا دخل النص تارة أخرى . وعذره في ذلك أنه جاهل بالأسلوب القرآني والعربي وإلا لما وقع في هذا الخطأ الفاضح .

القضية الحادية عشرة :

استعمال القرآن الكريم الألفاظ العربية في غير ما وضعت له ، أو يأتي بالمشترك منها حيث يجب التخصيص .

من ذلك قوله عن دين إبراهيم : « حنيف » ويعني بذلك أنه قويم لكن العرب تعني بالحنف الاعوجاج . ولذلك تسمي عابد الوثن حنيفا لميله عن الدين القويم . و لم تعرف للحنف معنى الاستقامة وإنما هو مما موه به اليهود على مصنف القرآن ليعرقلوه .. إلخ[3] .

---

(١) البرهان في علوم القرآن ٣ / ٣١٨ .
(٢) البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن - صـ ٣١٥ .
(٣) أسرار عن القرآن صـ ٧٥ - ٧٦ .

الجواب :

كما سبق أن ذكرت أن القرآن الكريم نزل على مذاهب العرب اللغوية ، وفنون الأساليب العربية منها « المشترك في اللفظ » .

تعريف اللفظ المشترك : اللفظ الواحد الدال على معنيين مختلفين وقد اختلف فيه علماء اللغة .

١ – فالأكثرون على أنه ممكن الوقوع[١] لجواز أن يقع إما من واضعين بأن يضع أحدهما لفظا لمعنى ثم يضعه الآخر لمعنى آخر . وإما من واضع واحد لغرض الإبهام على السامع حيث يكون التصريح سببا للمفسدة .

٢ – الأكثرون أنه واقع لنقل أهل اللغة ذلك في كثير من الألفاظ .

٣ – منهم من أوجب وقوعه وحجته أن المعاني غير متناهية والألفاظ متناهية فإذا وزع لزم الاشتراك[١] .

والأمثلة من هذا النوع في اللغة كثيرة :

١ – اتفاق اللفظ واختلاف المعنى :

مثاله لفظة العين – عين الإنسان ، وعين الركبة ، وعين الماء ، وعين الشمس ، والعين حرف من حروف المعجم ، وعين الشيء خياره .. إلخ .

٢ – اتفاق اللفظين وتضاد المعنى .

قال ابن فارس : في فقه اللغة من سنن العرب في الأسماء أن يسموا المتضادين باسم واحد نحو الجون للأسود والجون للأبيض[٢] والجلل الشيء الصغير ، والجلل العظيم ، والسدفة في لغة تميم الظلمة والسدفة في لغة قيس الضوء

(١) المزهر في علوم اللغة وأنواعها للسيوطي ١ / ٢١٧ – طبعة مكتبة محمد صبيح – مصر .
(٢) المرجع السابق ١ / ٢٢٨ .

وبعضهم يجعلها اختلاط[1] الضوء والظلمة وقد وقع هذا النوع في القرآن الكريم في أكثر من آية فمثاله كلمة القرء مشترك بين الحيض والطهر ، وعسعس لإقبال الليل وإدباره ، (الند) للمثل والضد (وراء) للخلف وأمام .. إلخ[2] .

المثال الأول :

من ذلك حنيف التي ذكرها « سال » حيث أطلقت على أكثر من معنى حيث أطلقت في القرآن على دين إبراهيم – عليه السلام[3] .

ذكر ابن فارس أن أصل مادة الحاء ، والنون ، والفاء مستقيم ، وهو الميل فقد كان يطلق على الرجل الذي يميل رجله للداخل حنيف تفاؤلا بالاستقامة ثم انتقلت الكلمة من المعنى المحسوس إلى المعنى المجازي فأطلقت على كل « ميل » حسيا كان أو معنويا فأطلقت على كل مائل من خير أو شر أو بالعكس. لذا أطلقت على المسلم الذي يتحنف عن الأديان أي يميل إلى الحق . ومن هذا الباب أطلق على عابد الوثن في الجاهلية حنيفا لميله عن دين الآباء ثم أطلق على المختون ومن يغتسل من الجنابة ومن يحج حنيفا لميله عن دين الجاهلية لدين إبراهيم – عليه السلام – ثم اتسع حتى أطلق على كل من يتحرى الدين المستقيم[4] .

فلما جاء الإسلام أطلقوا على كل من مال عن الشرك للإسلام « حنيفا » فمن هنا تكون هذه الكلمة عربية الأصل وعلى حسب وضع العرب لها لا يهودية كما زعموا وهذه النقطة قد توسعت في الرد عليها في مواطن أخرى من الرسالة[5] .

---

(١) المرجع السابق ١ / ٢٣٠ .

(٢) التحبير في علم التفسير للسيوطي صـ ٢١٤ .

(٣) أسرار عن القرآن صـ ٧٦ .

(٤) انظر معجم مقاييس اللغة لابن فارس ٢ / ١١٠ – ١١٢ ، ولسان العرب لابن منظور ١ / ٧٣٨ – ٧٣٩ .

(٥) انظر الباب الثاني – الفصل الثاني المبحث الخامس (التعريب) من الرسالة صـ ٤٣٦ .

المثال الثاني :

منه قوله تعالى في سورة الكهف : ﴿ **أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأردت أن أعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا** ﴾[١] .

زعم « سال » أن هذا الكلام مردود من وجهين :

أحدهما : أنه استعمل لفظة « وراء » بمعنى قدام .

الثاني : أن تركيبه فاسد لتأخير العلة فيه عن المعلول .

وزعم أن البيضاوي فسر الآية بكلام زاد الكلام إشكالا[٢] .

الجواب :

هذه اللفظة كما ذكرت هي مما اتفق لفظه وتضاد معناه . ولا خلاف عند أهل اللغة أن « وراء » يجوز أن تأتي بمعنى « قدام » وجاء في التنزيل والشعر . فمن أمثلته في الشعر قول لبيد :

أليس ورائي أن تراخت منيتي ... لزوم العصا يحني عليها الأصابع

وجاء في قول سوار بن المضرب السعدي :

أيرجو بنو مروان سمعي وطاعتي ... وقومي تميم والفلاة ورائيا

وجاء في قول آخر :

أليس ورائي أن أدب على العصا ... فتأمن أعداء وتسأمني أهلي

وقال أبو علي الفارسي : إنما جاز استعمال « وراء » بمعنى « أمام » على الاتساع لأنها جهة متقابلة لجهة فكانت كل واحدة من الجهتين وراء الأخرى

---

(١) سورة الكهف : (٧٩) .

(٢) أسرار عن القرآن صـ ٧٨ .

إذا لم يرد معنى المواجهة . ويجوز ذلك في الأجرام التي لا وجه لها مثل حجرين متقابلين كل واحد منهما وراء الآخر وأكثر أهل اللغة أن « وراء » من الأضداد[١] .

وقد جاءت في التنزيل بهذا المعنى في أكثر من آية .

قال ابن الأنباري : [وراء من الأضداد ، يقال للرجل : وراءك أي خلفك ووراءك أي أمامك قال الله – عز وجل – : ﴿ **من ورائهم جهنم** ﴾[٢] أي من أمامهم .

وقوله : ﴿ **وكان وراءهم ملك ..** ﴾ أي أمامهم . واستشهد بقول الشاعر :

ليس على طول الحياة ندم ومن وراء المرء ما يعلم

أي : أمامه[٣] .

وقال الأصمعي :

ومن ذلك وراء تكون في معنى خلف وقدام ففي القرآن في معنى بعد وخلف قوله تعالى : ﴿ **فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب** ﴾[٤] .

وفي القرآن في معنى « قدام » قوله تعالى : ﴿ **وكان وراءهم ملك** ﴾ يعني قدامهم وأمامهم . وقد قرأ ابن عباس : « وكان أمامهم ملك »[٥] .. إلخ .

فهؤلاء علماء العربية يثبتون سلامة هذا الاستخدام لمعنى « وراء » أمام وليس كما زعم « سال » بعدم جواز ذلك وخطأ القرآن في هذا الاستعمال .

---

(١) البحر المحيط ٦ / ١٥٤ .

(٢) سورة الجاثية : (١٠) .

(٣) الأضداد – محمد بن القاسم الأنباري طبعة المكتبة العصرية صـ ٦٨ .

(٤) سورة هود : (٧١) .

(٥) الأضداد للأصمعي – دار الكتب العلمية – بيروت صـ ٨٢ – ٨٣ .

أما زعم « سال » أن التركيب فاسد لتأخر العلة فيه عن المعلول أجاب الزمخشري عن هذه الشبهة بقوله : [النية به التأخير ، وإنما قدم للعناية ، ولأن خوف الغصب ليس هو السبب وحده ، ولكن مع كونها للمساكين فكان بمنزلة قولك : زيد ظني مقيم][1] .

أما ما زعمه أن البيضاوي علق على هذا الإشكال فزاده إشكالا كلام غير صحيح ، ويدل على عدم فهمه لعبارة البيضاوي ، أو يدل أن الحكم مقطوع به من « سال » مسبقا سواء قرأ تفسير البيضاوي أو لم يقرأه ، وعبارة البيضاوي في غاية الجمال والدقة والوضوح ونصها: [وكان حق النظم أن يتأخر قوله : فأردت أن أعيبها عن قوله : وكان وراءهم ، لأن إرادة التعجب مسبب عن خوف الغصب وإنما قدم للعناية .

أو لأن السبب لما كان مجموع الأمرين خوف الغصب ، ومسكنة الملاك رتبه على أقوى الجزئين وأدعاهما ، وعقبه بالآخر على سبيل التقييد والتتميم] .

فزعم « سال » أن القرآن جاء بلفظة مشتركة في موطن ينبغي فيه التخصيص تصور خاطىء ، لأن استخدام اللفظ الذي يحمل معنى مشتركا لون وأسلوب من الأساليب العربية ، وتنوع الأسلوب نوع من الفصاحة والقدرة على التصرف في الألفاظ بأدق استخدام مما يعجز عنه البشر فاستخدام كلمة « وراء » هنا لها دلالتان :

١ – أن تكون بمعنى أمام قاله الفراء فيكون من الأضداد .

٢ – أو يحتمل أن يكون الملك كان من وراء الموضع الذي يركب منه صاحبه وكان مرجع السفينة عليه .

فكان الاستعمال بهذه الطريقة شاملا لكلا المعنيين مما يدل على احتمال اللفظ القرآني لأكثر من وجه .

---

(١) الكشاف ٢ / ٤٩٥ .

وهذا يدل على فساد ما ذكر « سال » في هذا المثال . وإحكام الآيات القرآنية .

القضية الثانية عشرة :

زعم « سال » أن مما يبطل دعوى الإعجاز في القرآن « التكرار » وذلك لأن أهل العلم قالوا : إن تكرار اللفظ بلا ضرورة يخل بالفصاحة والقرآن مشحون بذلك[(١)] .

الجواب :

حقيقة التكرار : أن يأتي المتكلم بلفظ ثم يعيده بعينه سواء كان اللفظ متفق المعنى ، أو مختلفا ، أو يأتي بمعنى ثم يعيده . وهذا من شرطه اتفاق المعنى الأول والثاني .

فالتكرار الذي يأتي ينبغي أن يكون لضرورة وهذا هو الموجود في القرآن الكريم فليس في القرآن تكرار بلا ضرورة ولا فائدة .

فوائد التكرار :

للتكرار فوائد كثيرة :

فإن كان متحد الألفاظ والمعاني فالفائدة في إثباته تأكيد ذلك الأمر وإرادة الإفهام وتقريره في النفس ، وكذلك إذا كان المعنى متحدا . وإن كان اللفظان متفقين والمعنى مختلفا فالفائدة في الإتيان به الدلالة على المعنيين المختلفين[(٢)] .

أقسام التكرار :

١ - ما يتكرر لفظه ومعناه متحد .

٢ - ما يتكرر لفظه ومعناه مختلف .

---

(١) أسرار عن القرآن صـ ٧٩ .
(٢) الفوائد المشوقة إلى علوم القرآن وعلم البيان صـ ١١١ .

٣ - ما يتكرر معنى لا لفظا .

أما ما يتكرر لفظه ومعناه متحد ، فمنه قوله تعالى : ﴿ **فقتل كيف قدر ثم قتل كيف قدر** ﴾[١] .

وشاهده من اللغة قول الشاعر :
ألا يا أسلمي ثم أسلمي ثمت أسلمي .

والغرض من هذا المبالغة في الدعاء لها بالسلامة[٢] .

أما أمثال تكرار المعنى دون اللفظ منه قوله تعالى :

﴿ **حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى** ﴾[٣] .

ذكر في الآية الخاص كذكر العام للتنبيه عليه لفضله .
ومثاله من الشعر[*] وهو فيه كثير :

إذا أكلوا لحمي وفرت لحومهم   وإن هدموا مجدي بنيت لهم مجداً
وإن ضيعوا عهدي حفظت عهودهم   وإن هم هووا غيي هويت لهم رشدا

والغرض من هذا تأكيد الخاص .

وهذا النوع من التكرار وعر المسلك ، دقيق المغزى وبه تحل مسائل ومشكلات من التكرار .

وهناك تكرار يقع في الأسماء أو الأفعال أو الحروف وهو يكون في اللغة على قسمين : منه الحسن ومنه القبيح وليس من القبيح في القرآن شيء . فالقبيح الذي يكسب الكلام عجرفة وقلقا حتى يصعب النطق به ، ويذهب رونق الكلام

---

(١) سورة المدثر : (١٩ - ٢٠) .
(٢) الفوائد المشوق إلى علوم القرآن - ابن القيم صـ ١١٢ .
(٣) سورة البقرة : (٢٣٨) .
(*) الشاعر هو المقنع الكندي :

بسببه . وهذا تكرار يخلو من الفائدة ، وهو إما أن يكون في المعنى وحده أو في المعنى واللفظ معا .

أما الأول فقد عابه بعضهم مطلقا ، وبعضهم فصل فأعابه على الناثر وعلى الناظم إذا فعله في صدر البيت . وأما إذا فعله في عجزه فليس ذلك بعيب إذ قد يضطر لأجل القافية والوزن . والأمثلة في اللغة على هذا كثيرة .

أما القرآن الكريم فليس في كتابه حرف وضع بلا ضرورة ولا فائدة أو أقلق المعنى أو غير ذلك من الأسباب المضعفة للأسلوب العربي ولفصاحته[١] .

فالتكرار في القرآن الكريم له صبغة خاصة اقتضت تفرده على غيره فدواعي التكرار في القرآن دواعي كلية موضوعية أي أنها أشبه ما تكون بالقواعد والقضايا العامة ، ومن هنا اتبع القرآن في التكرار نمطا متميزا لا يمكن لأحد أن ينسج على منواله ، أو يقرب من مجاله .

وقد أضاف هذا النمط المتميز لونا فذا إلى ألوان الإعجاز التي تبث في آيات القرآن الكريم مما طأطأ له رؤوس أعلام البلاغة وأمراء البيان . أما دواعي التكرار في القرآن فكثيرة منها :

١ - أن الله - سبحانه وتعالى - كان إذا كرر القصة زاد فيها شيئا ؛ ألا ترى أنه ذكر الحية في عصا موسى - عليه السلام - وذكرها في موضع آخر ثعباناً ، وفائدة ذلك أن ليس كل حية ثعبانا ، وهذه عادة البلغاء أن يكرر أحدهم في آخر خطبته أو قصيدته كلمة لصفة زائدة .

٢ - أن الرجل كان يسمع من القرآن ثم يعود إلى أهله ، ثم يهاجر بعده أخرون يحكون عنه ما نزل بعد صدور الأولين ، وكان أكثر من آمن به مهاجريا فلولا تكرر القصة لوقعت قصة لقوم ، وقصة إلى آخرين وكذلك سائر القصص ، فكرر سبحانه ليشترك بذلك الجميع فيكون فيها إفادة القوم وزيادة تأكيد وتبصرة

---

(١) الفوائد المشوق إلى علوم القرآن - ابن القيم صـ ١١٤ - ١١٥ (بتصرف) .

لآخرين وهم الحاضرون .

٣ – تسليته لقلب النبي – ﷺ – مما اتفق عليه للأنبياء مثله مع أممهم قال تعالى : ﴿ **وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك** ﴾(١) .

٤ – أن إبراز الكلام الواحد في فنون كثيرة ، وأساليب مختلفة لا يخفي ما فيه من الفصاحة .

٥ – أن الدواعي لا تتوفر على نقلها كتوفرها على نقل الأحكام ، فلذا كررت القصة دون الأحكام .

٦ – أن الله تبارك وتعالى أنزل هذا القرآن وعجز القوم عن الإتيان بمثل آيه لصحة نبوة محمد – ﷺ – ثم بين وأوضح الأمر في عجزهم ، بأن كرر ذكر القصة في مواضع ، إعلاما بأنهم عاجزون عن الإتيان بمثله بأي نظم جاء وبأي عبارة عبروا .

٧ – أنه لما سخر العرب بالقرآن ، قال : ﴿ **فأتوا بسورة من مثله** ﴾(٢) وقال في موضع آخر : ﴿ **فأتوا بعشر سور** ﴾(٣) فلو ذكر قصة آدم مثلا في موضع واحد واكتفى بها لقال العربي بما قال الله تعالى : ﴿ **فأتوا بسورة من مثله** ﴾ « ايتونا أنتم بسورة من مثله » فأنزلها الله سبحانه في تعداد السور دفعا لحججهم من كل وجه .

٨ – أن القصة الواحدة من هذه القصص ، كقصة موسى – عليه السلام – مع فرعون وإن ظن أنها لا تغاير الأخرى فقد يوجد في ألفاظها زيادة ونقصان وتقديم وتأخير ، وتلك حال المعاني الواقعة بحسب تلك الألفاظ ، فإن كل واحدة لابد وأن تخالف نظيرتها من نوع معنى زائد منه لا يوقف عليه إلا

---

(١) سورة هود : ١٢٠ .
(٢) سورة البقرة : ٢٣ .
(٣) سورة هود : ١٣ .

منها دون غيرها ، فكأن الله تعالى فرق ذكر ما دار بينهما وجعله أجزاء ، ثم قسم تلك الأجزاء على تارات التكرار لوجوه متكررة فيها ، ولو جمعت تلك القصص في موضع واحد لأشبهت ما وجد الأمر عليه من الكتب المتقدمة من انفراد كل قصة منها بموضع[١] .

٩ – درج القرآن على مخاطبة العرب بما ألفوه من أساليب الكلام وما اعتادوه من طرائق البيان قال تعالى : ﴿ **إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون** ﴾[٢] .

١٠ – أن هذا القرآن الكريم أنزله الله للناس كافة ، أي أنه كتاب جماهيري بالتعبير العصري الحديث ، وذلك يقتضي تكرار قضاياه ومضامينه ليكون الناس على ذكر بها والتزام لتشريعاتها .

١١ – أن القرآن قد ختمت به وبدينه وبنبيه رسالات السماء وأديانه وكتبه فيلزم تكرار الكثير من موضوعاته ليستوعبها الناس على اختلاف أذواقهم وأفهامهم على اختلاف أزمانهم وأجناسهم .

١٢ – نزل القرآن ليكون كتاب هداية وهذا يستلزم تكرار ما يحتويه من أسرار وحكم وتشريع ليتخذه الناس مثابة لعقولهم وموئلا لألبابهم وهذا الأسلوب من أساليب الدعوة المتبعة من جميع أصحاب الدعوات والأفكار والمبادىء الخيرة والمقصود به التأثير في نفوس المدعوين وبلوغ الغاية من الدعوة بطريقة أو بأخرى وقد قال الشاعر :

أما ترى الحبل بتكراره في الصخرة الصماء قد أثرا[٣]

١٣ – جاءت ظاهرة التكرار لمراعاة ما كان عليه العرب من أمية .

---

(١) القصص القرآني – إيحاؤه ونفحاته صـ ١٧ – ١٩ .
(٢) سورة يوسف : ٢ .
(٣) هل يمكن الاعتقاد بالقرآن – رحماتوف صـ ١٢٥ ورد الأستاذ كنون عليه .

١٤ - تكرر الجملة أو الحرف في القرآن بسبب ما يتعلق بها أو يبني عليها أو يتجدد منها من استنباطات أو دلالات تستخرج من تحري الحكمة في تكرار المكرر[١] .

فالتكرار إذن لون من الأسلوب العربي ، وأحد أنماط الإعجاز اللغوي وأسلوب تربوي بديع امتاز به هذا القرآن العظيم .

ومن الأمثلة التي علق عليها « سال » آماله لتحقيق مطاعنه من هذا الجانب تكرار المثال الأول « إذ » و « إذني » في آية واحدة في سورة المائدة عدة مرات وهي قوله تعالى :

﴿ وإذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل . وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذني فتنفخ فيها فتكون طيرا بإذني وتبرىء الأكمه والأبرص بإذني وإذ تخرج الموتى بإذني وإذ كففت بني إسرائيل عنك إذ جئتهم بالبينات ﴾[٢] .

أما تكرار « إذ » و « إذني » في هذه الآية فلا تخلو من فائدة فـ « إذ » بمعنى الحين أو الوقت .

وبما أن هذه النعم قد امتنها الله سبحانه على عيسى - عليه السلام - عبده ورسوله في أوقات متباينة متطاولة لذا ناسب تكرار « إذ » الحينية حتى لا يتسبب التطاول بين الوقت إلى الوقت لإهمال ونسيان هذه النعم . فتكرارها إذن يشعر باستمرار هذه النعم وشكر المنعم والمتفضل فيها .

أما تكرار كلمة « بإذني » فهي في غاية البيان والدقة وكذلك لا تخلو من فائدة فعندما اعتقد بنو إسرائيل في عيسى أنه « إله » أو « ثالث ثلاثة » لذا كان

---

(١) انظر كتاب ظاهرة التكرار في القرآن الكريم - د / عبد المنعم السيد حسن ط ١ ، ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م صـ ٢٢ - ٣١ .

(٢) سورة المائدة : (١١٠) .

يتبادر إلى أذهان بعضهم أن هذا كله يأتي من عند نفسه وبخاصة أنها من النوع الذي لا تماثله أفعال الناس ولا تقدر عليه طاقاتهم فكان تكرار هذه الكلمة « بإذني » إزالة الوهم .

لأن عيسى – عليه السلام – لم يأت بشيء من خوارقه إلا بإذن الله سبحانه وبتمكينه من ذلك .

إلا أن هذه النكات البلاغية والدقائق اللغوية والأساليب البيانية بعيدة عن حس الملاحدة لا يستشفها إلا المعايشون لهذه الأساليب القرآنية المعتقدون بالهدايات الربانية منها .

أما الحاقدون المحجوبون عن نور الهداية فلا يفقهون إلا ظاهرا من القول .

والمثال الثاني :

استشهد « سال » بقوله تعالى : ﴿ **ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعمواإذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا . ثم اتقوا وأحسنوا . والله يحب المحسنين** ﴾[1] .

وزعم أنه كرر قوله : « وعملوا الصالحات » مرتين « واتقوا » ثلاث مرات بلا ضرورة[2] .

الجواب :

وقف العلماء عند تكرار هذه العبارات وقفات ، مبينين فيها النكتة البلاغية في هذا التكرار .

أما تكرار (العمل الصالح) وذلك لإبراز أهميته . حيث قرر في الآية أن المؤمنين لا جناح عليهم في أي شيء طعموه من المباحات إذا ما اتقوا المحارم وثبتوا

---

(١) سورة المائدة : (٩٣) .

(٢) أسرار عن القرآن صـ ٧٩ .

على الإيمان والعمل الصالح .

وفي ذلك إشارة إلى أن العمل من مستلزمات الإيمان المطلوب المحافظة عليه لأنه أساس العمل المقبول عند الله سبحانه[1] . أما تكرار (الاتقاء) فقد ذكر المفسرون في ذلك عدة أقوال منها :

١ – قول الأكثرين : أن الأول عمل الاتقاء ، والثاني دوامه والثبات عليه ، والثالث اتقاء ظلم العباد مع ضم الإحسان .

٢ – أن الاتقاء الأول اتقاء جميع المعاصي قبل نزول هذه الآية ، والاتقاء الثاني اتقاء الخمر والميسر وما في هذه الآية ، والاتقاء الثالث اتقاء ما يحدث تحريمه بعد هذه الآية .

٣ – اتقاء الكفر ، ثم الكبائر ، ثم الصغائر .

وقيل غير ذلك[2] .

وهكذا نرى أن التكرار أمر لطيف يعرفه أصحاب العربية والمتقنون لأساليبها ويغيب عن أفهام هؤلاء الملاحدة المتعبين أنفسهم في محاولة إيجاد الخلل في هذا الكتاب ولن يستطيعوا إن شاء الله لحفظ الله سبحانه له .

القضية الثالثة عشرة :

زعم « سال » أن مما يبطل إعجاز القرآن المعاياة وفساد المعنى فيه وضرب على ذلك أمثلة منها :

المثال الأول :

قوله تعالى : ﴿ **إن الله لا يستحي أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها ..** ﴾[3] الآية .

---

(١) الكشاف ١ / ٦٤٣ .

(٢) التفسير الكبير للرازي ١٢ / ٨٩ .

(٣) سورة البقرة : ٢٦ .

ثم قال مبينا فساد المعنى في الآية بقوله :

الأمر الأول :

الكلام يوهم أنه ضرب لهم مثلا بالبعوضة لكننا لا نجد ذلك ، لذا فهو كلام لا معنى له .

الأمر الثاني :

كان الأوجه أن يقول بعوضة فما دونها[1] .

الجواب :

الأمثال ضرب رفيع من فصيح الكلام ، ولون من ألوان الكلام العربي الذي جرى عليه القرآن الكريم لتأكيد معنى ، أو بيان غاية ، أو الإقناع بفكرة ، أو تزيين أمر وتقبيح آخر للترغيب بالأول والترهيب من الثاني[2] إلى غير ذلك من الأغراض التي هي من ضمن الأهداف التربوية القرآنية . قال تعالى : ﴿ **وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون** ﴾[3] .

وقد اشتمل القرآن الكريم على ثلاثة وأربعين مثلا[4] .

ولأهمية المثل اعتنت به أكثر من أمة : عربية كانت أو عجمية ، قبل الإسلام وبعده ، بالفصيح من لغاتها وبعامية . أو بالعامية منها . وقد ذكرته كتب سماوية أخرى كالإنجيل .

فقد جاء في الإنجيل عن عيسى – عليه السلام – قوله : « مثل ملكوت السماء كمثل رجل زرع في قريته حنطة جيدة .. » إلى آخر المثل .

---

(١) أسرار عن القرآن صـ ٨١ .

(٢) الأمثال القرآنية عبد الرحمن حبنكة – دار القلم – دمشق – بيروت صـ ٣٩ – ٤٠ .

(٣) سورة العنكبوت : ٤٣ .

(٤) الأمثال في القرآن الكريم – لابن القيم صـ ٥٧ ، دار المعرفة – بيروت .

وقال في مثل آخر : « قلوبكم كالحصاة التي لا تنضجها النار ، ولا يلينها الماء ، ولا تنسفها الرياح .. » إلخ[1] .

والآن سأبين فساد فهم « سال » للمقصود بالآية الكريمة وأوضح أنه لا فساد فيها .

قال تعالى : ﴿ **إن الله لا يستحي أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها ..** ﴾ فبالنسبة للأمر الأول الذي أثاره « سال » ليس بالضرورة أن يكون هناك مثل مضروب في البعوضة لأن المقصود بضرب المثل أن يبين الله سبحانه ما في المضروب من أسرار وحكم . فكما هي موجودة في المخلوق العظيم هي موجـودة كذلك في المخلوق الصغير . وفيها دلالة على عظم قدرة الله سبحانه فسبب نزول الآية أن الله سبحانه أراد أن يبين أنه لا يترك ضرب المثل بالبعوضة ترك من يستحي أن يتمثل لها لحقارتها .

أو يجوز أن تكون هذه العبارة وقعت في كلام الكفرة حيث قالوا : أما يستحي رب محمد أن يضرب مثلا بالذباب والعنكبوت ؟ فجاءت على سبيل المقابلة وإطباق الجواب على السؤال[2] .

أما الأمر الثاني :

أنه كان الأوجه أن يقول (فما دونها) .

فالجواب من وجهين :

أحدهما :

أن يكون المراد فما هو أعظم منها في الجثة كالذباب والعنكبوت والحمار والكلب ولكن هذا القول رده العلماء وضعفوه .

---

(١) التفسير الكبير ١ / ١٤٦ .
(٢) الكشاف ١ / ٢٦٣ .

الثاني :

أراد بما فوقها في الصغر أي بما هو أصغر منها وهذا هو القول الراجح لوجوه :

١ – أن المقصود من هذا التمثيل تحقير الأوثان ، وكلما كان المشبه به أشد حقارة كان المقصود في هذا الباب أكمل حصوَلا .

٢ – أن الغرض ههنا بيان أن الله تعالى لا يمتنع عن التمثيل بالشيء الحقير ، وفي مثل هذا الموضع يجب أن يكون المذكور ثانيا أشد حقارة من الأول ، يقال : إن فلانا يتحمل الذل في اكتساب الدينار ، وفي اكتساب ما فوقه يعني من القلة ، لأن تحمل الذل في اكتساب أقل من الدينار أشد من تحمله في اكتساب الدينار .

٣ – أن الشيء كلما كان أصغر كان الاطلاع على أسراره أصعب ، فإذا كان في نهاية الصغر لم يحط به إلا علم الله تعالى فكان التمثيل به أقوى في الدلالة على كمال الحكمة من التمثيل بالشيء الكبير[١] . فعلى هذا فلا فساد في المعنى ولا معاياة كما زعموا ولكنه الجهل بالأسلوب العربي .

المثال الثاني الذي استدل به :

قوله تعالى : ﴿ **إنما البيع مثل الربا** ﴾[٢] زعم أن الأوجه أن يقول إنما الربا مثل البيع لأنهم مثلوا الربا بالبيع الحلال ليموهوا أنه حلال[٣] .

الجواب :

أجاب الزمخشري عن هذه الشبهة بقوله :

إنهم شبهوا الربا بالبيع فاستحلوه ، وكانت شبهتم أنهم قالوا لو اشترى

---

(١) التفسير الكبير ٢ / ١٤٨ – ١٤٩ .

(٢) سورة البقرة : (٢٧٥) .

(٣) أسرار عن القرآن صـ ٨٨ .

الرجل ما لا يساوي إلا درهما بدرهمين جاز ، فكذلك إذا باع درهما بدرهمين . قلت : جيء به على طريق المبالغة وهو أنه قد بلغ من اعتقادهم في حل الربا أنهم جعلوه أصلا وقانونا في الحل حتى شبهوا به البيع[1] .

فعلى هذا تكون جاءت مصورة لما بلغه اعتقادهم من استحلال الربا تصويرا دقيقا . يعني عن أي تصوير فالمعنى تام وليس فيه أي خلل أو معاياة كما زعم « سال » فشبهته مردودة عليه ويظهر بطلان دعواه وفساد قوله .

القضية الرابعة عشرة :

قال « سال » : إن مما ينافي الفصاحة أن يأتي الكاتب أو الخطيب في أثناء كلامه بجملة تكون أجنبية عما سبقها وهذا مما يعده العلماء تكلفا .

وضرب على ذلك مثالا واحدا وهو آية الكرسي حيث اعتبرها كلاما أجنبيا ، لا ارتباط له بما قبله وما بعده ، فهو كقطعة ديباج رقع بها ثوب كرباس[2] .

الجواب :

لم يك « سال » الوحيد الذي ادعى أن آيات القرآن الكريم لا ارتباط بينها . بل سبقه بذلك « بل » في مقدمته حيث زعم أن سبب عدم هذا الترابط أن جمعة القرآن كانوا يجدون على الورقة التي كتب عليها قرآن شيئا على وجهها وآخر على ظهرها فكان الكاتب يجمع ما كتب على الوجهين مع عدم ارتباطهما وسمى نظريته هذه « التكملات البديلة » وقد انساق وراء « بل » و « سال » أصحاب الموسوعة البريطانية فزعموا أن السور الطويلة ذوات موضوعات متعددة وهي مشتتة ليس بينها صلة .. فالقرآن مجرد إنشاء جاء بطريقة عشوائية .

وهذه الافتراءات من أخطر ما أقدم عليه هؤلاء المستشرقون وذلك لأن

---

(١) الكشاف ١ / ٣٩٩ .

(٢) أسرار عن القرآن صـ ٨٨ – ٨٩ ، وقضايا قرآنية صـ ٧٥ ، ومقدمة بل صـ ٨٤ ، وما بعدها .

الأصل أن لا يصدر على أمثالهم لما نتوسم بهم أن يكونوا عليه من منزلة علمية . وقد بينت خلال معالجتي لبعض القضايا السابقة بطلان هذه الافتراءات وأثبت مقدار التناسب والترابط بين الآيات القرآنية .

والمعروف أن هذا القرآن نزل في أمة فصيحة بضاعتها المفضلة وتجارتها الرابحة الكلام ، حتى عقدوا لها أسواقا لم تسبقَهم لذلك أمة من الأمم وكانوا يدركون مثل هذه القضايا ترابط الكلام وانسجامه بأذواقهم وفطرهم السليمة قبل فطنتهم . وقد اعترفوا أنه جاء قمة لا يصل لشأوه كتاب لا في ألفاظه ولا في أسلوبه يجمع بين حسن الإيجاز والتطويل دون خلل ولا ملل ، ولا ترقيع كما زعم «سال » ، ولم يكن مشتتا•عشوائيا كما زعم أصحاب الموسوعة البريطانية . ولا بالرديء كما زعم « دوزي » حتى أطلقوا على جماله «سحراً» لسموه وجلاله ، وهيبته على نفوسهم ، وأدركوا إعجازه الذي لاحظوه في أسلوبه وبيانه وبلاغته وانسجام ترابطه ولو وجد العرب في نظم سوره أي مأخذ أو ضعف لكان لهم معه شأن آخر .

أما موضوعات السورة القرآنية فالترابط بينها أمر متميز مما دعاهم للاعتراف بإعجازه . فالقرآن الكريم ليس معجزة فقط بحقائقه العلمية والتاريخية التي ما زال العلم يكتشفها يوما بعد يوم . بل كذلك هو معجز في ترابطه وحسن سبكه .

ومن أحكام ترابط هذا الكتاب أنك لو أردت إسقاط كلمة أو إبدالها لاختل النظم وظهر الضعف . وقد تنبه العلماء لهذا السبك وحسن النظم ودقة الربط فكتبوا فيه كتبا ومن هؤلاء الإمام الجرجاني ، والإمام الزملكاني ، في كتابيهما اللذين يبحثان فيهما أمر إعجاز القرآن الكريم . والدكتور محمد عبد الله دراز في كتابه (النبأ العظيم) الذي درس فيه سورة البقرة وأظهر وحدتها الموضوعية وكذلك أستاذي الدكتور فضل حسن عباس في كتابه (إعجاز القرآن) درس فيه مجموعة من السور .

فقد أظهر هؤلاء العلماء الأجلاء مقدار الربط بين السورة الواحدة وبين

السور بعضها مع بعض فكان ترتيب القرآن حسب الوقائع تنزيلا ، وعلى حسب الحكمة ترتيبا[1] .

وقد خُطىء من العلماء من قال : الآيات القرآنية لا رابط بينها . كالإمام عز الدين بن عبد السلام - رحمه الله - والأستاذ محمد فريد وجدي ، وغيرهما ، ومن انساق خلفهم من المستشرقين والمبشرين . حتى قال أبو بكر بن العربي في كتابه (سراج المريدين) عن فضل هذا العلم :

[ارتباط الأي بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة ، متسقة المعاني ، منتظمة المباني ، علم عظيم][2] .

أما بالنسبة للمثال الذي ذكره « سال » ومنه حكم على أن القرآن آياته غير مترابطة وهذا المثال ضربه « سال » في آية الكرسي وعلاقتها بما قبلها وما بعدها . اعلم أن من الأساليب المطردة في القرآن الكريم الجمع في السياق بين علم التوحيد ، وعلم القصص ، وعلم الأحكام . وذكر القصص كان لحكم عظيمة . إما تقرير دلائل التوحيد ، وإما المبالغة في إلزام الأحكام والتكاليف . وهذا الطريق هو الطريق الأحسن لإبقاء الإنسان في النوع الواحد لأنه يوجب الملال ، فأما إذا انتقل من نوع من العلوم إلى نوع آخر فكأنه يشرح به الصدر ، ويفرح به القلب ، فكأنه سافر من بلد إلى آخر ، وانتقل من بستان إلى بستان آخر ، وانتقل من تناول طعام لذيذ إلى تناول نوع آخر .

لما ذكر الله سبحانه أخبار المتقدمين من الرسل مع أقوامهم ، كسؤال قوم موسى - عليه السلام - ﴿ **أرنا الله جهرة** ﴾[3] وكقوم عيسى عليه السلام بعد أن شاهدوا منه إحياء الموتى وإبراء الأكمة والأبرص فكذبوه وراموا قتله ،

---

(١) انظر كتاب الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم - محمد حجازي - دار الكتب الحديثة صـ ١٥ - ١٦ .

(٢) انظر البرهان في علوم القرآن ١ / ٢٧ - طبعة دار المعرفة بيروت .

(٣) سورة النساء : ١٥٣ .

وكذبه بعضهم وبقوا على الكفر ، وما وقع منهم كتكذيب بعضهم طالوت بعد أن طلبوا من الله أن يجعل لهم ملكا فجعله فعزى الله رسوله عما رأى من قومه من التكذيب والحسد فقال : هؤلاء الرسل الذين كلم الله بعضهم ، ورفع درجات بعضهم ، وأيد عيسى - عليه السلام - بروح القدس ، قد نالهم من قومهم ما ذكرناه بعد مشاهدة المعجزات ، وأنت رسول مثلهم فلا تحزن على ما ترى من قومك ، فكان المقصود من هذا كله تسكين رسول الله - ﷺ - على إيذاء قومه له[1] .

ولما كان المال شقيق الروح ، وهو نوع من الجهاد . كما أنه سبق قبل هذه الآيات ذكر آية البر التي جمعت خصال البر كلها ؛ لذا نرى بعدها التنويه بفضيلتي الإنفاق والجهاد يردد في أكثر من آية في مطالع الآيات ومقاطعها ، في إجمالها وفي تفصيلها ترديدا ينادي بأنه هو المقصود الأعظم ،[2] لأنه به تصان العقيدة ويسهل الطريق أمام الدعاة وهو يحفظ ميراث النبوة الأعظم .

فجاءت الآيات مؤكدة هذا المقصود وهذا التشريع الرباني الحكيم . ولما ذكر الاختلاف والاقتتال والبذل في سبيل الله بعد مجيء البينات والإيمان ناسب بعد هذا كله أن يذكر آية تتضمن قواعد التصور الإيماني وتذكر من صفات الله - سبحانه - ما يقرر معنى الوحدانية في أدق مجالاته ، وأوضح سماته وهي آية الكرسي ﴿ **الله لا إله إلا هو الحي القيوم** ﴾[3] .

ثم انتقل لبيان طريق المؤمنين وواجبهم تجاه هذه العقيدة ورسم أفضل السبل في إيصالها للخلق بالحكمة والموعظة الحسنة وبعدم إكراههم عليها ﴿ **لا إكراه في الدين** ﴾[4] لأن الأصل في قضية العقيدة أن تكون اقتناعا بعد البيان

---

(١) التفسير الكبير ٣ / ٢١٠ ، والبحر المحيط ٢ / ٢٧٦ - ٢٧٧ .
(٢) النبأ العظيم - دراز صـ ٢٠٤ وما بعدها .
(٣) سورة البقرة : ٢٥٥ .
(٤) سورة البقرة : ٢٥٦ .

والإدراك ، وليست قضية إكراه وغصب وإجبار[1] .

وهكذا نرى أن الآيات مترابطة وكأنها آية واحدة ، بل كلمة واحدة على غير دعوى وافتراءات المستشرقين .

لذا يبطل كل دعوى ذكرها « سال » و « بل » وأصحاب الموسوعة البريطانية من عدم ترابط آيات القرآن الكريم .

(١) في ظلال القرآن ١ / ٢٨٦ وما بعدها .

الباب الثالث

قضايا تتعلق بتفسير القرآن الكريم

الفصل الأول

التفسير بالمأثور وموقف المستشرقين منه

الفصل الثانى

التفسير بالرأي ورد شبهات المستشرقين حوله

الفصل الثالث

التفسير في ضوء التصوف الإسلامي كما عرضه « جولد تسيهر »

الفصل الرابع

التفسير في ضوء الفرق الدينية وموقف المستشرقين منه .

الفصل الخامس

التفسير في ضوء التمدن الإسلامي

الفصل الأول

التفسير بالمأثور وموقف المستشرقين منه

المبحث الأول :

تمنع بعض الصحابة والتابعين عن تفسير القرآن الكريم .

المبحث الثاني

الوضع والإسرائيليات في التفسير أفقده قيمته والثقة به .

المبحث الثالث

قالوا : التضاد والاختلاف في روايات التفسير بالمأثور يقلل قيمتها ويردها .

المبحث الرابع

الطعن في رجال هذا التفسير .

المستشرقون والتفسير :

التفسير يوصل إلى الحقيقة التي في كتاب الله تعالى .

وتفسير أي نص يأخذ أهميته من النص نفسه ، ولما كان النص القرآني رباني المصدر ، ومشتملا على أبرز ملامح المعارف الإنسانية ، وأغلب معالم الحضارة البشرية ، لذا كان تفسيره ذا أهمية بالغة ولكنه يحتاج لإخلاص خاص ، وتجرد عن كل ما يحرف التفسير عن خطه الصحيح .

والمستشرقون كما اهتموا في دراساتهم بالقرآن الكريم نفسه اهتموا كذلك بتفسيره وبكثير من أنواع علومه .

ولكن هذه الدراسات جاءت متفاوتة على حسب العنصر النفسي الأغلب في شخصية كل منهم ، فمن اتجه اتجاها موضوعيا كان ما قدمه موضوعيا ، ومن كان ذا هوى أو تعصب كان انعكاس ذلك واضحا على كتاباته .

وينبغي التنبيه على أن دراسات المستشرقين للقرآن الكريم وتفسيره غالبا ما تمليها ظروف نفسية أو اجتماعية أو اقتصادية أو نزعات عدائية وقد يكون الدافع لها اهتمامات علمية وأكاديمية .

وقد تعددت دراساتهم للقرآن في أكثر من جانب من جوانبه . فقد كان ممن اهتم بتفسير القرآن الكريم المستشرق المجري « جولد تسيهر » في كتابه (مذاهب التفسير الإسلامي) والمستشرق الفرنسي « ج. جومييه » الذي نشر دراسة له عن تفسير المنار في باريس سنة ١٩٤٥ م . كما كتب بحثا عن طنطاوي جوهري وتفسيره « الجواهر » . والمستشرق الإنجليزي « ج. بالجون » الذي ألف كتابا حول (تفسير القرآن الكريم في العصر الحديث) .

وكان أوفى هذه الكتب هو كتاب المستشرق المجري « جولد تسيهر » الذي سيكون الأساس لدراستي هذه . كما أني سأتناول ما كتبه الأخيران في الفصل الأخير من هذا الباب (باختصار) .

ولا يخفى على أحد اهتمام هؤلاء المستشرقين بهذا العلم خدمة لأغراضهم الخاصة ، وتحقيقا لنواياهم المبيتة .

وقد جاءت هذه الدراسات قاصرة ، وغير منهجية ومشوبة بما لا يتفق مع روح الدين الإسلامي .

وسأقف على آرائهم مع ألوان التفسير الإسلامي عارضا فهمهم له مسلطا الضوء على شبهاتهم ، مبينا وجه الانحراف فيها . والله الموفق .

أما ألوان التفسير التي تناولتها أبحاثهم وكانت لهم آراء حولها :

١ – التفسير بالمأثور وموقفهم منه .
٢ – التفسير في ضوء العقيدة – مذهب أهل الرأي .
٣ – التفسير في ضوء التصوف الإسلامي .
٤ – التفسير في ضوء الفرق الدينية .
٥ – التفسير في ضوء التمدن الإسلامي .

الفصل الأول

التفسير بالمأثور وموقف المستشرقين منه

توطئة :

مر تفسير القرآن الكريم بمراحل وأطوار عديدة ، حتى اتخذ الصورة الحالية التي نجده عليها الآن في بطون المؤلفات والتصانيف ، بين مطبوع ومخطوط .

نشأ هذا العلم مبكرا منذ عصر الإسلام الأول حيث كان النبي - ﷺ - أول شارح للقرآن الكريم يبين للصحابة ما يشكل ويستغلق عليهم فهمه .

قال تعالى : ﴿ **وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم** ﴾[1] .

فقد كان هذا التوضيح هو النواة الأولى لهذا العلم العظيم والذي نقل إلينا على شكل روايات من خلال كتب السنة المطهرة .

وقد كانت هذه الروايات في هذا العهد جدّ قليلة نظرا لنزول القرآن الكريم بلغة القوم وحسن فهمهم له ، ولمعايشتهم لأسباب نزوله ، لذا كانت حاجتهم للتفسير محدودة . ولكن بعد انتقال رسول الله - ﷺ - للرفيق الأعلى وانتشار الإسلام واتساع رقعة دولته دخل في دين الله أناس لغتهم غير العربية ، وولد في ظل الإسلام مواليد خالطوا عجمة القوم مما جعل الحاجة أشد لهذا العلم الذي يجعلهم يعيشون في ظلال القرآن العظيم فكان مطلبا ملحا من الصحابة أن يقوموا بواجبهم بنقل ما تعلموه من رسول الله - ﷺ - لهم . بل ويوضحوا لهم زيادة على ذلك ما فهموه وعايشوه من روح النص القرآني الكريم .

---

(١) سورة النحل : ٤٤ .

وقد كان عدد المفسرين من الصحابة كثيرا ولكن الذين اشتهروا منهم يقاربون العشرة كان من أشهرهم حبر الأمة وعالمها ومفسرها عبد الله بن عباس – رضي الله عنهما جميعاً – وعبد الله بن مسعود وأبي بن كعب – رضوان الله عليهم جميعا .

وبقي التفسير في هذه المرحلة لآيات متفرقة عليه طابع الرواية فتتلمذ على يد هؤلاء الصحابة الذين اشتهروا بالتفسير نفر من كرام التابعين حاملين ما تعلموه لأقطار شتى مكونين في كل بلد نزلوا فيه مدرسة تفسيرية لها روادها وتلاميذها النجباء .

وكان أشهر هذه المدارس التفسيرية :

١ – مدرسة مكة المكرمة وأستاذها حبر الأمة عبد الله بن عباس – رضي الله عنهما .

٢ – مدرسة المدينة المنورة وأستاذها أبي بن كعب – رضي الله عنه – .

٣ – مدرسة الكوفة وأستاذها عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه – وغيرها .

فكانت هذه المدارس صاحبة الفضل بعد الله – سبحانه وتعالى – في نقل هذا العلم لتابعي التابعين تاركة لنا أثرا واضحا وتراثا علميا خالدا في تفسير كتاب الله سبحانه . وقد ظل التفسير محتفظا في هذا العصر كذلك بطابع التلقي والرواية ، ولكن التابعين – بعد دخول كثير من أهل الكتاب في الإسلام ، نقلوا عنهم في التفسير كثيرا من الإسرائيليات . كما ظهر في عهدهم بوادر الخلاف المذهبي نتيجة للنزوع للعقل في فهم الآيات القرآنية الكريمة ، ونتيجة للتصرف في فهم اللغة العربية .

وعن التابعين أخذ تابعو التابعين التفسير ، وكانت حاجتهم له أشد ؛ وذلك لاختلاط اللسان العربي بالعجمة واستغلاق فهم كثير من الآيات القرآنية الكريمة

عليهم ، وفي هذه الفترة بدأ تدوين الحديث النبوي الشريف ، ومنه الروايات الخاصة بتفسير القرآن الكريم حيث دونت كباب من أبواب الحديث سواء كانت مروية عن النبي - ﷺ - أو الصحابة أو التابعين - ملتزمين بذكر إسنادها . وكان من أشهر من اهتم بهذا الجانب من العلم في هذه الفترة :

يزيد بن هارون ، وشعبة بن الحجاج ، وسفيان بن عيينة ، وغيرهم فقد كان هؤلاء إرهاصا لابن ماجه وابن جرير الطبري - الذي يوشك المفسرون من بعده أن يكونوا عالة عليه - وقد جعل هذا الإمام العظيم التفسير بكتاب مستقل ، شاملا القرآن كله ، مرتبا له حسب ترتيب سور المصحف ، جامعا فيه كل أقوال من سبقه من روايات أُثِرت عن النبي - ﷺ - أو الصحابة أو التابعين ، ذاكرا لها بالأسانيد ، مضيفا لها فهمه للنص القرآني فكان بحق مدرسة تفسيرية فريدة .

ثم خطا التفسير بعد عصر الطبري خطوة أخرى اختصر فيها المفسرون أسانيد روايات التفسير ، مضيفين لها أقوال من تقدمهم من المفسرين وكان على رأس هؤلاء العلماء أبو الليث السمرقندي في تفسيره (بحر العلوم) .

كما ظهر في هذه المرحلة تفاسير لغوية تقوم على فهم النص القرآني حسب دلالة اللغة وروحها ومن أشهر أصحابها : الكسائي ، والفراء ، وأبو عبيدة والزجاج ، وغيرهم .

وبعد ذلك اتجه العلماء في تفاسيرهم اتجاهات متباينة فكان ما يسمى بالتفسير بالمأثور الذي هو امتداد للتفاسير السابقة المسندة إلى الصحابة والتابعين وتابعيهم .

وما يسمى (بالتفسير بالرأي) بقسميه المحمود منه والمذموم .

فالمحمود منه التزم أمورا منها : النقل عن رسول الله - ﷺ - وصحابته الكرام بما صح عنهم ، ثم الأخذ بمطلق اللغة ومقتضيات الكلام .

أما المذموم منه فهو الذي ألّفه أصحابه لتأييد مذاهبهم والانتصار به

لأذواقهم ومواجيدهم . وقد ظهر في هذا اللون من التفسير جهل كثير بالعربية وقواعدها ، وصرف لمقتضيات الكلام عما وضع عليه . وخروج عن قواعد الشرع الإسلامي .

وكانت هذه التفاسير مثلا سيئا للتعصب المذهبي للفرق الإسلامية . ومن هذه التفاسير : تفاسير الشيعة ، والمعتزلة ، والخوارج ، والصوفية ، وغيرها .

وبقي التفسير في نموه واتساعه إلى القرن الأخير حيث ظهرت تفاسير عدة تلائم روح هذا العصر . ولا زال علماء المسلمين يكتبون تفاسير للقرآن الكريم يتعرضون فيها لمشاكل العصر ويبرزون فيها هدايات القرآن وأحكامه ويلتمسون علاجه لها كتفسير المنار والجواهر وفي ظلال القرآن .

ومن أبرز من كتب في تاريخ التفسير الإسلامي ومذاهبه من المستشرقين المستشرق المجري « جولد تسيهر » في كتابه (مذاهب التفسير الإسلامي) فكان كتابه شاملا لأفكار الكثير من أمثاله ومرجعا لمن جاء بعده .

ولاشك أن « جولد تسيهر » بذل جهدا كبيرا في الاطلاع على كتب التفسير المختلفة فجاء خليطا بين آراء علمية صائبة تارة وآراء الدافع للقول بها هوى دفين وحقد أسود .

فكان لابد من الوقوف عند هذه الآراء في ألوان التفسير المختلفة والرد عليها .

التفسير بالمأثور وموقف المستشرقين منه :

تعرض « جولد تسيهر » للتفسير بالمأثور بدراسة مطولة وكعادته يرفع الشيء حتى يجعله كالأصل الذي لا يستغنى عنه ، ثم يبدأ بعد ذلك يكيل التهم له والتشكيك فيه .

فمثلا جعله شاملا لكل الجوانب التي يحتاجها المسلم حتى وكأنه لا يحتاج لسواه . ولكنه بدأ بإظهار أفكاره السامة مظهرا نقاط الضعف في هذا النوع من

التفسير – على حد زعمه – منها :

١ – تمنع بعض الصحابة والتابعين والعلماء عن هذا العلم .

٢ – القول المنسوب للإمام أحمد – رحمه الله – : « ثلاثة أشياء لا أصل لها التفسير ، والملاحم ، والمغازي » .

٣ – كثرة الإسرائيليات وكثرة الوضع فيها ، والتضاد والخلاف فيها .

٤ – الطعن في سلسلة رجال روايات هذا التفسير كابن عباس وغيره .

والآن سأتناول هذه الأمور بالرد والتفنيد .

المبحث الأول :

تمنع بعض الصحابة والتابعين عن تفسير القرآن الكريم(١):

الأمر الأول :

زعم « جولد تسيهر » أن بعض الصحابة والتابعين امتنع عن تفسير القرآن الكريم ذكر منهم عمر بن الخطاب وأبا بكر – رضي الله عنهما – وأبا وائل شقيق ابن سلمة ، وعبيدة بن قيس الكوفي ، وسعيد بن جبير ، واللغوي الكبير الأصمعي ، وغيرهم .

الجواب :

إن شرف علم التفسير لا يخفى على كل ذي بصيرة قال الله تعالى : ﴿ **يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا** ﴾(٢) وقد فسر العلماء الحكمة في الآية الكريمة بتفسير القرآن الكريم والفقه فيه(٣) .

ورد هذا العلم الشريف ، وإنكاره ، ومنع الخوض والتبحر فيه يؤدي في

---

(١) انظر مذاهب التفسير الإسلامي صـ ٧٣ – ٧٤ .

(٢) سورة البقرة : (٢٦٩) .

(٣) انظر تفسير المحرر الوجيز لابن عطية ١ / ١٤ .

النهاية لضياع المهمة التي من أجلها نزل القرآن الكريم وهو الوقوف على معانيه من أجل العمل به .

كما يسبب هذا الترك لهذا العلم ضياع كثير من الحقائق الشرعية ، وكثير من المبادىء العامة ، والمسائل الخاصة .

فالمعروف أن الصحابة – رضوان الله عليهم – كانوا يعطون القرآن الكريم وفهمه والعمل به كل جهدهم . أما من امتنع من الصحابة والتابعين من تفسير القرآن الكريم أو بعض آياته فقد كان تورعا واحتياطا لأنفسهم لعدم بلوغه شيء من ذلك عن رسول الله – ﷺ – أو تمنعه خوفا أن يقول شيئا في كتاب الله سبحانه لا يبلغ القول الصائب . والقائل فيه بغير علم قائل على الله ما لا علم له به فيكون مخطئا في فعله وإن أصاب فيه برأيه[1] .

ومما يدل أن هذا العلم لا يجوز فيه إلا القول بعلم : ما رواه ابن أبي مليكة أن ابن عباس – رضي الله عنهما – سئل عن آية لو سئل عنها بعضكم لقال فيها ، فأبى أن يقول فيها .

فهكذا كانوا رضوان الله عليهم لا يتكلمون إلا فيما يعلمون من القرآن[2] ويؤيد هذا كذلك قول أبي بكر – رضي الله عنه – لما سئل عن آية قرآنية قال : « أي أرض تقلني ، وأي سماء تظلني إذا قلت في القرآن ما لا أعلم » .

والجدير بالذكر أن هؤلاء المنسوب إليهم التمنع عن القول في التفسير في بعض الآيات قد ثبت عنهم القول في آيات أخرى مما بلغهم فيها من علم .

فهذا يبطل دعوى « جولد تسيهر » وغيره ممن يحاولون التشكيك في التفسير بالمأثور بمثل هذا الموقف من بعض الصحابة والتابعين وبعض العلماء المخلصين .

---

(١) تفسير الطبري ١ / ٨٩ .

(٢) تفسير الطبري ١ / ٧٩ ، ٨٦ .

الأمر الثاني الذي استند عليه « جولد تسيهر » :

فهو قول الإمام أحمد بن حنبل – رحمه الله – : [ثلاثة أشياء لا أصل لها : التفسير ، والملاحم ، والمغازي][1] .

وظاهر هذا القول أن روايات التفسير لا أصل لها .

وهذا ما فهمه « جولد تسيهر » من هذا القول ورد به التفسير بالمأثور . وهذا فهم خطأ وليس بصحيح وقد وضح العلماء قول الإمام أحمد هذا على أقوال :

١ – قال بعضهم : لا أصل لها : أي لا إسناد . لأن الغالب عليها مراسيل مثل ما يذكره عروة بن الزبير ، والشعبي ، والزهري ، وابن إسحاق ، وموسى ابن عقبة ، وغيرهم[2] .

وقال الزركشي في البرهان : [قال الميموني : سمعت أحمد بن حنبل يقول : ثلاثة كتب ليس لها أصول : المغازي والملاحم والتفسير] .

قال المحققون من أصحابه : ومراده أن الغالب أنها ليس لها أسانيد صحاح متصلة وإلا فقد صح من ذلك كثير[3] .

٢ – قال السيوطي في الإتقان : [وأما القسم الذي يمكن معرفة الصحيح منه فهذا موجود كثير والحمد لله ، وإن قال الإمام أحمد : ثلاثة ليس لها أصل : التفسير والملاحم والمغازي وذلك لأن الغالب عليها المراسيل][4] .

٣ – وفسر بعضهم عبارة الإمام أحمد بأن المقصود ثلاثة كتب . ودليلهم أن رواية الإمام أحمد رويت ثلاثة كتب كما نقلها الزركشي في الرواية السابقة الذكر .

---

(١) مذاهب التفسير الإسلامي صـ ٧٤ – ٧٥ .

(٢) مقدمة أصول التفسير لابن تيمية صـ ٥٩ .

(٣) البرهان في علوم القرآن – الزركشي ٢ / ١٥٦ .

(٤) الإتقان في علوم القرآن ٢ / ١٧٨ طبعة مصطفي البابي الحلبي – مصر .

٤ - وفسرها بعضهم أن المقصود بالرواية أن تفسيرها مبني على علم مصطلح الحديث وذلك أنه لا يلزم من نفي الصحة ثبوت الوضع .

وقد روى عن الإمام أحمد - رحمه الله - : [أربعة أحاديث ليس لها أصل ومنها : للسائل حق وإن جاء على ظهر فرس][١] .

فمن هنا يظهر أن هذه الحجج التي استدل بها منكرو التفسير بالمأثور مردودة عليهم وتدل على سوء نواياهم كهذا المستشرق اليهودي وبعض تلامذتهم مثل الأستاذ « أحمد أمين » الذي قال بناء على قول الإمام أحمد السابق : [وحسبك دليلا على مقدار الوضع ، أن أحاديث التفسير الذي ذكر عنها أحمد ابن حنبل أنه قال : لم يصح عنده منها شيء ، وقدجمع فيها آلاف الأحاديث][٢] .

وهذه العبارة فيها الجهل باصطلاح علماء الحديث واضح وكذلك جهل بمراد العلماء منها ويدل على مقدار تأثر « أحمد أمين » وأمثاله - وهم كثير - بأقوال المستشرقين وانسياقهم وراءها .

فالحذر كل الحذر من هذه الأقوال والافتراءات حتى لو صدرت ممن يحسبون على الإسلام .

المبحث الثاني :

الوضع والإسرائيليات في التفسير أفقده قيمته والثقة به[٣] .

زعم « جولد تسيهر » أن كثرة الوضع والروايات الإسرائيلية في التفسير بالمأثور يفقده قيمته وعدم الثقة به .

---

(١) انظر مسند الإمام أحمد ١ / ٢٠١ .

(٢) فجر الإسلام صـ ٢١١ - ٢١٢ ، ط ١٢ لسنة ١٩٦٩ م الناشر دار الكتاب العربي - بيروت لبنان
نشأة التفسير وتطوره صـ ١٩ .

(٣) انظر مذاهب التفسير الإسلامي صـ ٨٦ وما بعدها صـ ١٢٩ .

الجواب عن هذه النقطة :

وجد المستشرقون والمبشرون في الإسرائيليات والروايات الموضوعة ما يشبع أهواءهم ، ويرضي تعصبهم الممقوت ، ويشفي نفوسهم المريضة الحاقدة على الإسلام ونبيه وقرآنه هذا الحقد والضغن الذي يعتبر امتدادا للحروب الصليبية التي شنوها على الإسلام والمسلمين والتي لا تزال إلى عصرنا هذا تتخذ أشكالا شتى ومظاهر متعددة .

وقد قام المستشرقون والمبشرون تارة بتصحيح الموضوع من الحديث وتارة بالحكم على الصحيح منها بالوضع[1] . ولم يكن خطرهم قاصرا عليهم بل تعداهم لبعض الجهلة من المسلمين خاصة عن طريق تلاميذهم وخريجي جامعاتهم الذين تربوا على موائدهم وفتاتهم . فصاروا أبواقا تردد صدى أصواتهم فسُلبوا الإرادة وعطلوا العقل بتسليمهم قيادها لأعدائهم فكانوا بحق أشد خطرا علينا من المستشرقين أنفسهم كما خطط لهم المستشرقون أن يكونوا ؛ لأن المسلم يحذر عدوه ولكن يركن ويأخذ بسلامة صدره ممن هو من أبناء جنسه ودينه لذا كان لابد من الوقوف عند هذه النقطة التي كانت من ضمن المآخذ في نظرهم على التفسير بالمأثور .

فالرواية الإسرائيلية هي الرواية المأخوذة من مصدر إسرائيلي سواء كانت التوراة أو شروحها وما اشتملت عليه ، أو التلمود وشروحه .. إلخ وهذه الكتب كان فيها الغث والسمين والصدق والكذب .

أما الموضوعات : فهي الرواية المختلقة المكذوبة على رسول الله – ﷺ – أو على من بعده من الصحابة والتابعين .

فالروايات الإسرائيلية دخلت للتفسير عن طريق بعض التابعين الذين كانوا من أهل الكتاب قبل أن يدخلوا في الإسلام والذين كانوا كثيرا ما يسألون عما في

---

(١) الإسرائيليات والموضوعات في التفسير صـ ٥ – ٦ .

كتب أهل الكتاب .

وقد وقف بعض المفسرين من هذه الروايات وقفات حذرة فبعضهم نبه عليها ، وقليل من تساهل فيها وللعلماء منها مواقف :

١ - رد كل الإسرائيليات التي تعارض القرآن ، أو تعارض أصلا إسلاميا مقدرا .

٢ - تعتبر الروايات الإسرائيلية الموافقة للقرآن مقبولة ، ولكن لنا غُنية عنها بما في القرآن .

٣ - أما الروايات التي لا تعارض القرآن الكريم ولا توافقه فينبغي أن يكون موقفنا إزاءها موقف الحذر والأناة والحياد . لا نكذبها خشية أن تكون صحيحة . ولا نصدقها خوفا من أن تكون مكذوبة .

وهذا يصدقه قول رسول الله - ﷺ - فيما رواه البخاري عنه : « .. لاتصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم » .

﴿قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط .. ﴾[1] . الآية .

والشاهد في الحديث الشريف قوله : « لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم »[2] .

قال ابن الملك تعليقا على هذا الحديث : « إنما نهى عن تصديقهم وتكذيبهم لأنهم حرفوا كتابهم ؛ وما قالوه إن كان من جملة ما غيروه فتصديقهم يكون تصديقا بالباطل ، وإن لم يكن كذلك يكون تكذيبهم تكذيبا لما هو حق »[3] .

---

(١) سورة البقرة : ١٣٦ .

(٢) صحيح البخاري - كتاب تفسير سورة البقرة - باب (قولوا آمنا بالله وما أنزل) ج ٥ - صـ ١٥٠ .

(٣) مبارق الأزهار ٢٢٠ نقلا عن لمحات في علوم القرآن - الصباغ صـ ١٨٢ .

وهناك استدراك على هذا النوع الثالث من الإسرائيليات ذكره ابن كثير عند أول تفسير سورة « ق » قال رحمه الله تعالى : [وإنما أباح الشارع الرواية عنهم في قوله : « وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج » فيما قد يجوّزه العقل فأما فيما تحيله العقول ويحكم فيه بالبطلان ويغلب على الظنون كذبه فليس من هذا القبيل][1] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله تعالى – : [.. ولكن هذه الروايات الإسرائيلية تذكر للاستشهاد لا للاعتقاد ، فإنها على ثلاثة أقسام :

أحدها : ما علمنا صحته مما بأيدينا مما يشهد له بالصدق ، فذاك صحيح .

والثاني : ما علمنا كذبه بما عندنا مما يخالفه .

والثالث : ما هو مسكوت عنه (لا من هذا القبيل ، فلا نؤمن به ولا نكذبه وتجوز حكايته لما تقدم ، وغالب ذلك مما لا فائدة فيه تعود إلى أمر ديني) .

وكثير من هذه الإسرائيليات لا فائدة فيها تعود على المكلفين في دينهم وإلا لبينه القرآن الكريم لاتباعه[2] ثم إن ما نزل من القرآن الكريم فيه الغنى عن غيره .

أما الروايات الموضوعة المختلقة التي تسللت للتفسير بالمأثور أو لغيره من العلوم ، فلا يحل روايتها في أي باب من أبواب العلم إلا مقترنة ببيان أنها موضوعة مكذوبة .

ومن رواها من غير بيان وضعها فقد باء بالإثم العظيم وحشر نفسه في عداد الكذابين .

وكثير من العلماء المسلمين لم يتركوا الروايات الإسرائيلية والموضوعة دون بيان كابن كثير في تفسيره رحمه الله ، والأستاذ « أبو شهبة » في كتابه الأخير

---

(١) انظر تفسير ابن كثير ٤ / ٢٢١ طبعة البابي الحلبي .

(٢) لمحات في علوم القرآن صـ ١٨٤ .

(الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير) . وهي لم تشكل أي مشكلة أمام العلماء وإنما هي مشكلة أمام قليلي العلم ، من حيث التمييز بين ما صح منها وغيره .

فبدراسة أسانيد الروايات ، ومعرفة أقطابها كشف حال الصحيح منها من السقيم ، فالرواية التي تنسب لأحد من أقطاب الإسرائيليات كان العلماء يقفون منها موقف الحذر بغلبة الظن أن تكون إسرائيلية إلا إذا دعمت الرواية من طرق أخرى .

فمن هنا يظهر أن هذه الروايات لم تكن خافية على أهل العلم ولم تكن منفردة في تفسير النص القرآني وقد جاء في الصحيح من الروايات ما فيه الغنى عن هذه الروايات فوجودها إذن لا ينقص من قيمة الروايات التفسيرية للنص القرآني فليس إذن كما ظن « جولد تسيهر » وحاول أن يضخمه أن التفسير فقد قيمته بدخول هذه الروايات فيه قاصدا من ذلك إبطال هذا النوع من التفسير القرآني .

المبحث الثالث :

التضاد والاختلاف في روايات التفسير بالمأثور يقلل قيمتها ويردها على حد زعم « جولد تسيهر »[1] .

تلقى الصحابة – رضوان الله عليهم – تفسير القرآن الكريم على النبي – ﷺ – ولذا كان النزاع بين الصحابة في التفسير قليلا ولكنه كثر فيمن أتى بعدهم من التابعين وتابعيهم وذلك لاستخدام أسلوب الاستنباط والاستدلال من الآيات القرآنية ، ولأخذهم عمن أسلم من أهل الكتاب وغالب ما يصح من الخلاف والتضاد فهو اختلاف تنوع وتفنن في العبارة ، لا اختلاف تضاد وتناقض كما فهم ذلك « جولد تسيهر » وغيره من المستشرقين . ومثال ذلك :

---

(١) انظر مذاهب التفسير الإسلامي ١٠٢ .

١ – أن يعبر مفسر عن مراد الله في آية قرآنية بغير عبارة صاحبه تدل على نفس المعنى المراد كتفسيرهم لـ(الصراط المستقيم) على أقوال :

أ – فسره بعضهم بالقرآن لقوله – ﷺ – : « هو حبل الله المتين .. وهو الصراط المستقيم » .

ب – وفسره بعضهم بأنه الإسلام لقوله – ﷺ – : « ضرب الله مثلا صراطا مستقيما .. إلخ » .

فهذان القولان متفقان لا اختلاف بينهما لأن دين الإسلام هو اتباع القرآن ولكن كل منهما نبه على وصف « لمسمى واحد » غير الوصف الآخر .

وقريب من هذا من فسره بالسنة والجماعة أو طريق العبودية أو طاعة الله ورسوله .

فكلهم أشار إلى مسمى واحد وذات واحدة ولكن كل واحد منهم وصف الصراط بصفة من صفاته .

٢ – أن يذكر كل منهم من الاسم العام بعض أنواعه على سبيل التمثيل لا الحصر ، ولتنبيه المستمع على النوع المذكور لا على سبيل الحد المطابق للمحدود في عمومه وخصوصه مثال ذلك :

قوله تعالى : ﴿ **ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنه مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله** ﴾[١] فالمعلوم أن الظالم لنفسه يتناول المضيع للواجبات والمنتهك للحرمات . والمقتصد يتناول فاعل الواجبات وتارك الحرمات والسابق يدخل فيه من سبق فتقرب بالحسنات ، أي النوافل مع الواجبات .

وكذلك الظالمون هم أصحاب الشمال ، والمقتصدون هم أصحاب الجنة والسابقون هم المقربون .

---

(١) سورة فاطر : ٣٢ .

ثم إن كلا منهم يذكر هذا في أنواع من أنواع الطاعات .

كقول القائل : السابق الذي يصلي في أول الوقت . والمقتصد الذي يصلي في أثنائه والظالم لنفسه الذي يؤخر الصلاة للاضطرار . أو كتفسير بعضهم لها بقوله :

السابق : المؤدي للصدقة مع الزكاة .

والمقتصد : المؤدي للزكاة المفروضة .

والظالم : مانع الزكاة .

فالملاحظ من تنوع هذه التفسيرات أنها بسبب الاشتراك في اللفظ أو المعنى لتنوع العبارة أو لتنوع الأسماء والصفات ، أو بسبب ذكر بعض أنواع المسمى . وهو الغالب في تفسير سلف الأمة والقرآن الكريم بطبيعته حمّال للوجوه وللمعاني المتعددة ، ومازال فيه سعة للأجيال القادمة أن يقولوا وجوها أخرى في معنى الآية القرآنية مما يزيد في دلالتها ومعانيها لذا فلا ممسك لما ذكره المستشرقون وعلى رأسهم « جولد تسيهر » في هذه النقطة .

المبحث الرابع :

الطعن في رجال هذا التفسير :

المسألة الأولى :

قام « جولد تسيهر » و « أوتولوث » و « كتياني » و « هـ. لوث » بالطعن في حبر هذه الأمة عبد الله بن عباس – رضي الله عنه – وتلامذته وسلسلة الرواية عنه[٢] .

---

(١) انظر مقدمة التفسير لابن تيمية صـ ٣٨ وما بعدها ، وكتاب الإسرائيليات والموضوعات في التفسير صـ ١١٧ وما بعدها (بتصرف) .

(٢) انظر مذاهب التفسير صـ ٨٤ – ٨٨ .

كانت مادة التفسير في عهد الصحابة –رضوان الله عليهم– قائمة على ما يلي:

أ – تفسير القرآن بالقرآن .

ب – تفسير القرآن بالسنة .

وهذان المصدران كان المفسرون فيهما نقلةً أكثر من ألوان التفسير الأخرى .

جـ – تفسير القرآن بما يستنبطونه من الآيات وكان يعتمد ذلك على قوة فهمهم وسعة إدراكهم في معرفة أوضاع اللغة وأسرارها ، وأحوال الناس وعاداتهم في جزيرة العرب .

د – تفسير القرآن بما كانوا يسمعونه من أنباء أهل الكتاب الذين دخلوا في الإسلام وحسن إسلامهم .

وهذا المصدر أكثر ما تجده محصورا في قصص الأنبياء وقد تكلمت عن هذه النقطة في المبحث الثاني السابق .

وكان من أشهر الصحابة – رضوان الله عليهم – بالتفسير بالمأثور :

١ – عبد الله بن عباس .
٢ – عبد الله بن مسعود .
٣ – علي بن أبي طالب .
٤ – أبي بن كعب .
٥ – أبو بكر الصديق .
٦ – عمر بن الخطاب .
٧ – عثمان بن عفان .
٨ – زيد بن ثابت .
٩ – أبو موسى الأشعري .
١٠ – عبد الله بن الزبير .

وكان حبر هؤلاء والأمة جميعا في تفسير القرآن الكريم هو عبد الله بن عباس – رضي الله عنه – الذي كان مقصد هجوم المستشرقين للتشكيك فيما نُقل عنه من هذا العلم الشريف . قال « جولد تسيهر » في كتابه مذاهب التفسير الإسلامي مهاجما ابن عباس – رضي الله عنهما – بقوله : « وترى الرواية الإسلامية أنه – أي ابن عباس – تلقى بنفسه في اتصاله الوثيق بالرسول – ﷺ – وجوه التفسير التي يوثق بها وحدها . وقد أغفلت هذه الرواية بسهولة – كما في أحوال مشابهة – أن ابن عباس عند وفاة الرسول – ﷺ – كان أقصى ما بلغ من السن ١٠ – ١٣ سنة .

وأجدر من ذلك بالتصديق الأخبار التي تفيد أن ابن عباس كان لا يرى غضاضة أن يرجع في الأحوال التي يخامره فيها الشك إلى من يرجو عنده علمها .

وكثيرا ما ذكر أنه كان يرجع في (كتابه) في تفسير معاني الألفاظ إلى من يدعى « أبا الجَلْد » والظاهر أنه حيلان بن فروى الأزدي الذي كان يثني عليه بأنه (قرأ الكتب) ..

وكثيرا ما نجد بين مصادر العلم المفضلة لدى ابن عباس اليهوديَّيْن اللذين اعتنقا الإسلام « كعب الأحبار » و « عبد الله بن سلام » ولم يعد « أوتولوث » شاكله الصواب إذ يتحدث عن مدرسة ابن عباس ذات المسحة اليهودية ..[(١)] .

الرد على هذه الافتراءات :

١ – ابن عباس ومكانته العلمية :

هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم القرشي ابن عم رسول الله – ﷺ – ولد والنبي – عليه الصلاة والسلام – وأهل بيته بالشعب بمكة وذلك قبل الهجرة بثلاث سنين ، ولازم النبي – ﷺ – في صغره لقرابته منه وتوفي رسول الله – ﷺ – وله من العمر ثلاث عشرة سنة ، وقيل : خمس عشرة

(١) انظر مذاهب التفسير الإسلامي صـ ٨٤ – ٨٨ .

سنة فلازم بعده كبار الصحابة وأخذ عنهم ما فاته من حديث الرسول - ﷺ - وكان على معرفة تامة بلغات العرب وآدابها . ووافقا على أسرارها كل ذلك جعله يعد من العلماء الكبار والمفسرين المشار إليهم بالبنان .

وكان كذلك ببركة دعاء الرسول - ﷺ - له حيث قال : « اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل »[(١)] .

كما ساعد في ذلك مزايا شخصية اجتمعت فيه قلّ أن تجتمع في غيره وهي : ذكاء نادر ، وذهن جوال ، وقريحة وقادة ، ورأي صائب ، ودين متين ، وإيمان راسخ ، وقلب عقول ، ولسان سؤول ، وقد أثنى عليه عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - بقوله : « نعم ترجمان القرآن ابن عباس »[(٢)] .

قيمته في التفسير :

كان ابن عباس - رضي الله عنهما - من أفقه الصحابة رضوان الله عليهم بكتاب الله سبحانه وأعلمهم به حتى كان يلقب بالبحر لسعة علمه به .

قال عنه مجاهد : « إذا فسر الشيء رأيت عليه النور »[(٣)] .

قال علي - رضي الله عنه - مثنيا على تفسيره بقوله : « كأنما ينظر إلى الغيب من ستر رقيق »[(٤)] .

وقال ابن عمر - رضي الله عنه - وطاووس ، وعكرمة ، وجابر بن عبد الله : « ابن عباس أعلم أمة محمد بما نزل على محمد »[(٥)] .

---

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل ١ / ٢٦٦ .

(٢) انظر التفسير والمفسرون للذهبي ١ / ٦٥ ، ولمحات في علوم القرآن للصباغ صـ ١٢٣ مجمع الزوائد ٩ / ٢٧٦ والحديث بلفظ (نعم ترجمان القرآن أنت) وفيه عبد الله بن خراش وهو ضعيف ، انظر طبقات ابن سعد ٢ / ٣٦٦ .

(٣) مقدمة في أصول التفسير صـ ٦١ .

(٤) أعلام الموقعين عن رب العالمين ١ / ٢٠ ، طبعة دار الجيل - بيروت - تعليق عبد الرؤوف سعد .

(٥) انظر تحفة الطائف في فضائل الحبر ابن عباس ووج والطائف للشيخ محمد الهاشمي صـ ١١٧ .

ويدل على علو شأنه في هذا المجال رجوع بعض الصحابة وكثير من التابعين إليه في فهم ما أشكل عليهم من كتاب الله .

وقد أسس ابن عباس - رضي الله عنهما - مدرسة تفسيرية في مكة تعتبر في مقدمة المدارس الأخرى قال عنها ابن تيمية - رحمه الله - : « وأما التفسير فإن أعلم الناس به أهل مكة ، لأنهم أصحاب ابن عباس »[1] .

وكان من تلاميذها مجاهد بن جبر ، وعطاء بن أبي رباح ، وسعيد بن جبير ، وعكرمة مولى ابن عباس - رضي الله عنهم - .

وقد زودت هذه المدرسة سائر الأمصار بعلمها : حتى أن لإعجاب الناس بتفسيره ما كانوا يعدلون إلى قول غيره ، وإذا تعارض قوله مع أقوال غيره من الصحابة كان يقدم قوله كما صرح بذلك الإمام الزركشي[2] .

وقد كثرت الرواية عن ابن عباس - رضي الله عنهما - كثرة كبيرة مما دعا بعض ضعاف النفوس بالكذب عليه - رضي الله عنه - .

وهناك طرق عديدة نقلت عنه - رضي الله عنه - وهي متفاوتة في القوة وسأقتصر على ذكر طريقين قويين وأخرى واهية .

١ - أجود الطرق هي طريق معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس . وابن أبي طلحة غالبا يروي عن مجاهد عن ابن عباس . وهذه الطريق اعتمدها البخاري ومسلم وأحمد وأصحاب السنن .

وقد ركز « جولد تسيهر » بالتعريض بهذه الطريق ورجالها كاعتباره أن عرض مجاهد المصحف على ابن عباس - رضي الله عنهما - ثلاث عرضات من الأساطير .

---

(١) انظر الطبقات لابن سعد ٢ / ٣٦٦ - ٣٧٢ .

(٢) التفسير والمفسرون ١ / ٦٩ - ٧٠ ودراسات في التفسير ورجاله ٦٠ - ٦١ .

فمجاهد بن جبر أعلم تلاميذ ابن عباس بالتفسير حتى قال سفيان الثوري – رحمه الله – « إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به » .

وقد أجمعت الأمة على إمامة مجاهد والاحتجاج به ، وقد خرّج له أصحاب الكتب الستة مما يدل على قبول أقواله في التفسير على عكس ما شكك به « جولد تسيهر » .

ومجاهد – رحمه الله – هو أحد الأعلام الأثبات كان ثقة فقيهاً عالما[1] ورعا عابدا متقنا كثير الحديث توفي بمكة وهو ساجد سنة ١٠٤ هـ على الأشهر .

كما شكك « جولد تسيهر » بطريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في التفسير زاعما أنه لم يسمع منه أصلا – رضي الله عنهما –[2] .

والمعروف أن هذه الطريق من أوثق الطرق عن ابن عباس – رضي الله عنه – وأنه قد رواها عنه معاوية بن صالح .

قال الإمام أحمد –رحمه الله – عن هذه الطريق : « إن بمصر صحيفة في التفسير رواها علي بن أبي طلحة لو رحل رجل فيها إلى مصر قاصدا ما كانت كثيرا » .

وقال ابن حجر – رحمه الله – عن هذه الصحيفة : « .. هذه النسخة كانت عند أبي صالح كاتب الليث ، رواها عن معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس وهي عند البخاري عن أبي صالح ، وقد اعتمد عليها كثيرا هذا الإمام في صحيحه فيما يعلقه عن ابن عباس » .

كما اعتمد هذه الطريق ابن جرير الطبري ، وابن أبي حاتم ، وابن المنذر ، ومسلم ، وأصحاب السنن جميعا .

---

(١) التفسير والمفسرون ١ / ١٠٤ وما بعدها .

(٢) مذاهب التفسير الإسلامي صـ ٩٨ .

وكون علي بن أبي طلحة كان يرسل في هذه الطريق لا يقلل من أهميتها لأنه كان يرسل عن الإمامين مجاهد بن جبر أو سعيد بن جبير وكلاهما ثقة وروايتهما مقبولة . فهذا كله يرد دعوى « جولد تسيهر » فيما أثاره من تشكيك حول هذه الطريق .

وأما زعمه أن ترجمتهما قد أحيطت بهالة من الأساطير خاصة في عرضه القرآن على ابن عباس ثلاث عرضات فقد رد الإمام الذهبي على هذه الشبهة قائلا : « إن هذا ليس بكثير على من بلغ أن يكون وعاءً من أوعية العلم حتى عُدَّ الإمام مجاهد - رحمه الله - أعلم التابعين بتفسير كتاب الله سبحانه[1] .

٢ - وهناك طريق أخرى صحيحة وهي : قيس بن مسلم الكوفي ، عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، وهذه الطريق صحيحة على شرط الشيخين ، ويعتمدها الحاكم في « مستدركه » .

٣ - أما الطريق الواهية الضعيفة فهي :

محمد بن السائب الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس .

ومحمد يروي عن الكلبي محمد بن مروان السدي الصغير . الذي سميت سلسلته بسلسلة الكذب[2] .

أما تفسير ابن عباس - رضي الله عنهما - المطبوع بعنوان : (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) والذي جمعه الفيروز آبادي صاحب (القاموس) فإن روايته كلها تدور حول محمد بن مروان السدي الصغير ، وهو أحد الكذابين من أجل ذلك فلا يطمأن بحال من الأحوال إلى ما ورد في هذا الكتاب[3] .

هكذا نجد أن علماءنا الأفاضل لم يداهنوا أحدا في دين الله حتى لو كان

---

(١) التفسير والمفسرون ١ / ٧٧ - ٧٨ ، وتذكرة الحفاظ - للذهبي ١ / ٩٢ .
(٢) لمحات في علوم القرآن - الصباغ صـ ١٣٣ - ١٣٤ .
(٣) لمحات في علوم القرآن - الصباغ صـ ١٣٤ .

من بيت النبوة لذا بدافع حرصهم على هذا الدين كانوا يميزون بين الرجال العادلين ومجروحيهم ، وبين الصواب والخطأ ، والصدق والكذب لذا أبانوا كل ما نسب لهذا الإمام الجليل إن كان صوابا أو خطأ معدلا أو مجرحا . مما يرد على افتراءات هؤلاء المشككين المفترين من المستشرقين وأعوانهم .

المسألة الثانية :

رواية ابن عباس - رضي الله عنهما - عن أهل الكتاب واستغلال المستشرقين لها لرد التفسير بالمأثور والتشكيك فيه :

كان من أبرز النقاط التي أبرزها كل من « جولد تسيهر » و « كتياني » و « لوث » من المستشرقين خلال طعنهم في ابن عباس أخذه عن أهل الكتاب .

فابن عباس - رضي الله عنه - كغيره من الصحابة الذين اشتهروا بالتفسير يرجعون في فهم معاني القرآن إلى ما سمعوه من رسول الله - ﷺ - وإلى ما يفتح الله به عليهم من طريق النظر والاجتهاد ، مع الاستعانة بما عايشوه من أسباب النزول ، وملابسات الأحداث التي نزلت فيها الآيات القرآنية . وكان أخذهم عن أهل الكتاب في نطاق ضيق في مجال القصص القرآني ، لما توسعت به كتبهم دون القرآن الكريم . وذلك لأخذ العبرة والاعتبار . آخذين بقوله - ﷺ - : « حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج »[(١)] . ولم يكونوا يسألونهم في أمور العقيدة أو فروع الشريعة لكمال شرعنا وتمامه في تنزيه الله سبحانه وعصمة أنبيائه ؛ لذا جاء النهي من رسولنا - ﷺ - عن هذا المجال حيث قال - ﷺ - : « لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء »[(٢)] .

أما الأمر الذي كان يحتمل الصدق والكذب ولم يقم دليل على صدقه ولا على كذبه ، لأنه ربما كان صدقا في نفس الأمر فيكون في تكذيبه حرج ، وربما

---

(١) صحيح البخاري ٤ / ١٤٥ كتاب الأنبياء باب ٥٠ ما ذكر عن بني إسرائيل .

(٢) نفس المرجع ٨ / ١٦٠ كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب ٢٥ قول النبي - ﷺ - لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء .

كان كذبا في نفس الأمر فيكون في تصديقه حرج ، ولم يرد النهي عن تكذيبهم فيما ورد شرعنا بخلافه ، ولا عن تصديقهم فيما ورد شرعنا بوفاقه كما أفاد هذا ابن حجر ونبه عليه الشافعي - رحمه الله تعالى -(١) .

وهذا ما يوافق قوله - ﷺ - « لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم »(٢) .

هذا هو الطريق الوسط الذي رسمه لنا رسول الله - ﷺ - بالتعامل مع أهل الكتاب وتقيد به صحابته - رضوان الله عليهم - وكان على رأسهم ابن عباس - رضي الله عنهما - الذي كان ينكر على من يخالف هذا الطريق بقوله : « يا معشر المسلمين تسألون أهل الكتاب ، وكتابكم الذي أنزل على نبيه - ﷺ - أحدث الأخبار بالله ، تقرؤونه لم يشب ، وقد حدثكم الله أن أهل الكتاب بدلوا ما كتب الله وغيّروا ما بأيديهم من الكتاب . فقالوا هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا . أفلا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مساءلتهم . ولا والله ما رأينا رجلا منهم قط يسألكم عن الذي أنزل عليكم »(٣) .

هذا يوضح جليا طريق ابن عباس - رضي الله عنهما - الذي سلكه بالأخذ عن أهل الكتاب . وأن كل ما ادعاه المستشرقون لم يكن الغرض منه إلا التشكيك برجال هذا التفسير لرده وتشكيك الناس فيه والله خير حافظا لهذا الدين حيث قيض له من يرد عنه تحريف المبطلين وزيف الجاحدين أمثال هؤلاء المبشرين والمستشرقين والملحدين على مدار العصور والدهور .

من هذه الروايات التي ذكرها « جولد تسيهر » عن ابن عباس - رضي الله عنهما - في أخذه عن أهل الكتاب تفسيره للأجل الذي قضاه موسى - عليه السلام - عند نبي الله شعيب عندما نزل في مدين يقصد ما جاء في قوله تعالى :

---

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ٨ / ١٢٠ .

(٢) صحيح البخاري ٨ / ١٦٠ كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب ٢٥ .

(٣) صحيح البخاري ٥ / ١٨٥ كتاب الشهادات انظر فتح الباري .

﴿ قال إني أريد أن أنكحك إحدى ابنتي هاتين على أن تأجرني ثماني حجج فإن أتممت عشرا فمن عندك وما أريد أن أشق عليك ﴾[1] .

فقد روى تفسيرها عن ابن عباس تلميذه سعيد بن جبير حيث قال سعيد : جاءني يهودي من الكوفة وأنا أتجهز للحج فقال : إني أراك رجلا تتبع العلم ، فأخبرني أي الأجلين قضى موسى : قلت : لا أعلم . وأنا قادم على حبر العرب (يعني ابن عباس) فسائله عن ذلك . فلما قدمت مكة سألت ابن عباس عن ذلك وأخبرته بقول اليهودي ، فقال ابن عباس : قضى أكثرهما وأطيبهما ، إن النبي إذا وعد لم يخلف قال سعيد : فقدمت العراق فلقيت اليهودي فأخبرته فقال : « صدق هكذا أنزل أيضا على موسى »[2] .

والملاحظ أن هذه الرواية[3] إن أخذ تفسيرها ابن عباس عن أهل الكتاب فتكون مما تتمشى مع منهج ابن عباس - رضي الله عنهما - في الأخذ في مجال القصص دون مسائل العقيدة والتشريع .

ويحتمل أن تكون باجتهاد منه فوافقت ما عندهم فظن أنه أخذها عنهم والله تعالى أعلم .

وأما ما ذُكر من أخذ ابن عباس - رضي الله عنهما - عن أبي الجلد جيلان ابن فروي الأزدي فإنه لم يثبت أخذه عنه إلا في موضعين فقط حين سأله عن البرق والرعد .

وأما ما أخذه عن كعب الأحبار وعبد الله بن سلام فلم يكن كذلك إلا في موضعين من التفسير كذلك[4] وكل من أشار إليهم « جولد تسيهر » من المذكورين سابقا قد أسلموا وحسن إسلامهم .

---

(١) سورة القصص : ٢٨ .

(٢) مذاهب التفسير الإسلامي صـ ٩٢ - ٩٣ .

(٣) ذكر هذه الرواية الطبري في تفسيره ٢٠ / ٤٣ / ٤٤ .

(٤) هذا التعليق لأستاذي فضيلة الشيخ منّاع القطان أثناء جلسة المناقشة للرسالة .

من هنا يظهر مقدار تعسف هؤلاء المستشرقين بتضخيمهم القضايا الصغيرة وبناء نتائج خطيرة عليها كتكبيرهم مثل هذه القضية ليصموا مدرسة تفسير ابن عباس – رضي الله عنهما – بأنها ذات مسحة يهودية .

المسألة الثالثة :

ابن عباس والشعر :

شكك « جولد تسيهر » في مقدرة ابن عباس – رضي الله عنهما – اللغوية بانيا شبهته على ما نسب لابن عباس من إجابات لأسئلة نافع بن الأزرق الزعيم الخارجي .

جاء في كتابه مذاهب التفسير الإسلامي حول هذه الشبهة « .. وبذلك المبدأ المنهجي المنسوب إلى ابن عباس اقترنت على النمط العربي أسطورة مدرسية عظيمة الإفادة وجدت مدخلا إلى المعجم الكبير للطبراني (ت – ٣٦٠ هـ) وذلك أن الزعيم الخارجي : نافع بن الأزرق سأل ابن عباس عن عدد كبير من مفردات القرآن ، طالبا إليه أن يستشهد على معانيها من الشعر القديم .. إلخ »[1] .

أنزل الله سبحانه هذا القرآن الكريم باللغة العربية التي حفظت في أقوال العرب وشعرهم ؛ لذا كان أحدهم إذا استغلق عليه معنى كلمة أو عبارة فتش عن ذلك في لهجة قبيلة من القبائل أو في كلام شاعر ليصل لمعناها .

فلما نزل القرآن الكريم كان بعضه يفهمه الصحابة بأنفسهم من تفسير القرآن بالقرآن ، أو من السنة ، فإذا لم يجدوا رجعوا للغة العربية وأهلها وعلى رأس ذلك الشعرالعربي « ديوان العرب » وقد بين ابن عباس – رضي الله عنهما – أوجه وتفسير القرآن الكريم بقوله : [التفسير على أربعة أوجه : وجه تعرفه العرب في كلامها، وتفسير لا يعذر أحد بجهالته ، وتفسير يعلمه العلماء وتفسير لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى][2] .

---

(١) مذاهب التفسير الإسلامي صـ ٩٠ .

(٢) مقدمة في أصول التفسير صـ ١١٥ .

وقد كان ابن عباس - رضي الله عنهما - ممن منّ الله سبحانه عليه بالتمكن والتبحر في هذا الجانب . فقد نقل ابن سعد - رضي الله عنهما - أن ابن عباس - رضي الله عنهما - كان يسأل عن القرآن الكريم كثيرا فيقول : كذا وكذا أما سمعتم الشاعر يقول : كذا وكذا »[1] .

ولأهمية هذا الجانب في فهم القرآن الكريم كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - يحث الصحابة بالرجوع للشعر لفهم ما يستغلق عليهم فهمه من القرآن الكريم .

فقد روي أن ابن الخطاب سأل أصحابه عن معنى قوله تعالى : ﴿ **أو يأخذهم على تخوف** ﴾[2] . فيقوم له شيخ من هذيل فيقول له : « هذه لغتنا التخوف : التنقص فيقول له عمر : هل تعرف العرب ذلك في أشعارها ؟ فيقول : نعم ويروي قول الشاعر :

تخوف الرحل منهما تامكا قردا　　　كما تخوف عود النبعة السفن[3]

فيقول عمر - رضي الله عنه - لأصحابه : عليكم بديوانكم لا تضلوا ، قالوا : وما ديواننا ؟ قال : شعر الجاهلية ، فإن فيه تفسير كتابكم ، ومعاني كلامكم[4] .

---

(١) طبقات ابن سعد ٢ / ٣٦٧ .

(٢) سورة النحل : (٤٧) .

(٣) انظر تفسير الطبري ١٤ / ٧٧ . والبيت لزهير بن أبي سلمى .
ومعنى البيت : التامك : هو السنام المرتفع ، والقرد : أي الذي أكله القراد من كثرة أسفارها من تحت الرحل .
وعود النبعة : شجر تتخذ منه القسي ، والسفن : المبرد الحديد الذي تبرى به الخشب .
فمعنى البيت على هذا أن الشاعر قال : تنقص رحلها (سنامها) المرتفع الذي تنقر لكثرة أسفارها كما تنقص المبرد عود النبعة ، وفيه تشبيه بها بالصلابة : (هذا تعليق شيخي منّاع القطان خلال جلسة المناقشة) .

(٤) التفسير والمفسرون ١ / ٤٧ .

وقد امتاز ابن عباس - رضي الله عنهما - بكثرة حفظه من الشعر فقد كان يستحضر معاني الآيات القرآنية من الشعر وقد كان من تمكنه في هذا الجانب أن خصص لمن يريد الشعر من تلاميذه مجلسا من مجالسه يتلقى عنه ذلك .

قال عطاء : « كان ناس يأتون ابن عباس للشعر ، وناس للأنساب ، وناس لأيام العرب ووقائعها ، فما منهم من صنف إلا يعيل عليه بما شاء »[1] .

والذي يدل على قدرته على الشعر واستدلاله على معانيه المناظرة التي حصلت بينه رضي الله عنه وبين الخارجي نافع بن الأزرق في فناء الكعبة والتي كان يريد منها هذا الخارجي إظهار عجز ابن عباس - رضي الله عنه - وإفحامه أمام الحاضرين حيث سأله عن مائتي مسألة في القرآن الكريم طالبا الاستشهاد على أقواله من أشعار العرب مذهلا سامعيه بتبحره وتمكنه . وقد ذكر مبدأ الحوار الذي كان بينهما السيوطي - رحمه الله- في كتابه (الإتقان في علوم القرآن) .

حيث قال : بينما عبد الله بن عباس جالس بفناء الكعبة قد اكتنفه الناس يسألونه عن تفسير القرآن الكريم .

فقال نافع بن الأزرق لنجدة بن عويمر : بنا إلى هذا الذي يجترىء على تفسير القرآن بما لا علم له به ، فقاما إليه فقالا : إنا نريد أن نسألك عن أشياء من كتاب الله فتفسرها لنا ، وتأتينا بمصادقة ذلك من كلام العرب ، فإن الله تعالى : « إنما أنزل القرآن بلسان عربي مبين » . فقال ابن عباس - رضي الله عنهما - : « سلاني عما بدا لكما » إلى آخر المسائل وأجوبتها[2] .

وقد أخرج بعضها ابن الأنباري في كتابه « الوقف والابتداء » وأخرج الطبراني بعضها الآخر في معجمه الكبير .

وسواء ثبتت هذه المناظرة بتمامها أو ببعضها برواية السيوطي وابن الأنباري

---

(١) طبقات ابن سعد ٢ / ٣٦٧ .
(٢) الإتقان في تفسير القرآن ١ / ١٢٠ ، والتفسير والمفسرون ١ / ٨٢ - ٨٣

فإنها تدل على قوة ابن عباس - رضي الله عنهما - في معرفته بلغة العرب ، وإلمامه بغريبها إلى حد لم يصل إليه غيره[٤] مما جعله يصل لمرتبة الإمامة في هذا العلم الشريف ويكون مرجعا للمفسرين الذين جاءوا بعده . وكان رحمه الله واضعا لنواة التفسير اللغوي .

وهذا كله يرد على تشكيكات المستشرقين في قدرة هذا الإمام الجليل بهذا الجانب ومحاولة زعزعة ثقة الناس بهذه المقدرة العالية عنده - رحمه الله - .

---

(١) التفسير والمفسرون ١ / ٧٥ .

الفصل الثاني

التفسير بالرأي ورد شبهات المستشرقين حوله

المبحث الأول

التفسير في ضوء العقيدة – مذهب أهل الرأي –

أ – التعريف بالتفسير بالرأي

ب – حكم التفسير بالرأى

المبحث الثاني

الشبه التي أثيرت حول هذا النوع من التفسير

المبحث الثالث

جولد تسيهر وبعض كتب أهل الرأي المذموم

الفصل الثاني

التفسير بالـــرأي

ورد شبهات المستشرقين حولــه

توطئة :

إن تفسير القرآن بالرأي هو عبارة عن تفسير القرآن الكريم بالنظر المجرد الذي يستعين بقواعد اللغة ، وأساليب البيان من غير أن يخالف تفسيرا ورد عن النبي - ﷺ - أو عن الصحابة ، أو دون أن يتنافى مع أسباب النزول التي صحت طرق إثباتها .

وهذا النوع من التفسير موضع خلاف بين العلماء :

فبعضهم تشدد ومنع أن يفسر القرآن بالرأي ، ويرى أنه لابد من بيانه من علم السنة والعمل بأقوال الصحابة ، وما يجمع عليه التابعون . ومن الذين عارضوا هذا اللون من التفسير شيخ الإسلام ابن تيمية حيث قال : [فأما تفسير القرآن بمجرد الرأي حرام] .

والإمام الغزالي - رحمه الله تعالى - الذي حرمه كذلك كما ذكر ذلك عنه « جولد تسيهر » في كتابه (مذاهب التفسير الإسلامي) وقد استدلوا بقوله - ﷺ - : « من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار »[1] .

---

(1) انظر مسند الإمام أحمد ١ / ٢٦٩ ورواه الترمذي في الجامع الصحيح جـ ٥ / ١٩٩ برقم (٢٩٥٠) .

وقوله – ﷺ – : « من قال في القرآن بالرأي فأصاب فقد أخطأ »[1] .

كما استدل المانعون بموقف بعض الصحابة – رضوان الله عنهم – من نهيهم عن تفسير القرآن الكريم بهذه الطريقة .

كقول أبي بكر – رضي الله عنه – : « أي أرض تقلني وأي سماء تظلني إذا قلت في كتاب الله ما لم أعلم »[2].

وقد استغل أدلة المانعين هذه المستشرقون وعلى رأسهم « جولد تسيهر » ليردوا بذلك التفسير بالرأي وسأرد على هذه النقاط التي أثارها المستشرقون لأظهر سوء نيتهم في التركيز على مثل هذه الأدلة .

وقبل الخوض في الموضوع لابد من معرفة المراد بالرأي فبعض المفسرين اعتبر المراد « بالرأي » هو الهوى ، أو القول بالتشهي ، أو الميل النفسي من غير استناد على دليل وهذا المعنى هو الذي أخذ به المانعون .

ولاشك أن هذا النوع من التفسير هو التفسير بالرأي المذموم وهو لا يجوز ، ويحرم العمل به لأنه يخالف الحق المراد من النص القرآني .

وفريق آخر من العلماء أجاز هذا اللون من التفسير وسيأتي توضيح هذه الآراء بأدلتها بعد قليل إن شاء الله تعالى :

أما التفسير بالرأي الجائز العمل به والأخذ به هو ما استند فيه في فهم كتاب الله سبحانه للعقل مستعينا على فهم ذلك . من غير أن يخالف تفسيرا ورد عن النبي – ﷺ – أو عن صحابته – رضوان الله عنهم – ولا يتنافى مع سبب نزول صح إسناده .

فعلى هذا يحمل النهي الذي ورد ذكره في الأحاديث والأقوال المنسوبة

---

(١) انظر الجامع الصحيح للترمذي جـ ٥ / ٢٠٠ رقم ٢٩٥٢ .

(٢) انظر تفسير الطبري ١ / ٧٨ وتفسير ابن كثير ١ / ٥ .

لبعض الصحابة على من قال في القرآن بهواه ، من غير دليل آخذا بظاهر اللفظ دون الرجوع لصحيح المأثور ، ولا لأقوال من شاهدوا التنزيل ، ولا لما صح عنهم من أسباب النزول . فلا شك أن هذا التفسير مذموم ، وقول في كتاب الله من غير علم ودليل .

وأما تمنع بعض الصحابة - رضوان الله عليهم - من التفسير بالرأي وما اشتهر عن بعضهم في هذا الخصوص كالقول المأثور السابق الذكر المنسوب لأبي بكر - رضي الله عنه - أو قول عمر في تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وأبا ﴾ فإنما كان ذلك منهم تورعا لا تحريما .

ويحتمل أن يكون ذلك منهم إحجاما مقيدا بما لم يعرفوا وجه الصواب فيه . وإلا فقد صح عنهم تفسيرهم لبعض الآيات التي استبان لهم فيها وجه الصواب كتفسير أبي بكر وموافقة عمر - رضي الله عنهما - لمعنى (الكلالة) أنه ما عدا الوالد والولد .

ويمكن أن يقال : إنما أحجم من أحجم منهم لأنه لم يكن يتعين للإجابة وكان هناك أناس يقومون بهذه المهمة ، وإلا فإن لم يكن هناك سواه لشرح كتاب الله وجب عليه التفسير حتى لا يكون كاتما للعلم خاصة إذا كان يملك أدوات التفسير[1] .

المبحث الأول :

التفسير في ضوء العقيدة - مذهب أهل الرأي :

الجواب :

الرأي في اللغة : يطلق على الاعتقاد ، وعلى الاجتهاد ، وعلى القياس ومنه أصحاب الرأي أي أصحاب القياس .

---

(١) لمحات في علوم القرآن - الصباغ صـ ١٩٥ .

أما الرأي في الاصطلاح :

هو تفسير القرآن بالاجتهاد اعتمادا على الأدوات التي يحتاجها المفسر من النقل من حديث رسول الله - ﷺ - ومن أقوال الصحابة - رضوان الله عليهم - وبالأخذ بمطلق اللغة ومراعاة مقتضى الكلام[(١)] .

فمن أخذ بهذه الأمور مجتمعة كان تفسيره جائزا محمودا وإلا فتفسيره مذموم مردود على صاحبه .

حكم التفسير بالرأي :

اختلف العلماء المسلمون من قديم في جواز تفسير القرآن بالرأي ؟ فقوم تشددوا ولم يبيحوا تفسير شيء من القرآن ما لم يرد فيه أثر من المرفوع أو الموقوف .

وقوم لم يروا بأسا من أن يفسروا القرآن باجتهادهم[(٢)] وقد استدل كل من الفريقين بأدلة تدعم رأيهم .

فمن أدلة المجيزين :

١ - أن القرآن نفسه يأمر بالتدبر والاستنباط واستشهدوا بقوله تعالى : **﴿ ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ﴾**[(٣)] فهذه الآية دلت على الاجتهاد عند عدم النص لدى أولي الأمر من أهل العلم والفقه في الدين ، الذين يستخرجون المعاني بفطرتهم ، وما يؤدى إليه ذلك من العلم ، والتفسير بالرأي اجتهاد في فهم معاني القرآن ، فيدخل في عموم الآية .

---

(١) مناهل العرفان في علوم القرآن ١ / ٥١٩ - ٥٢٠ .

(٢) محاضرات في علوم القرآن صـ ١٤٢ .

(٣) سورة النساء : ٨٣ .

وقوله تعالى : ﴿ **أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها** ﴾[1] .
حث الله في هذه الآية على تدبر القرآن والاعتبار به . والتدبر يقتضي التفكير والنظر في معانيه ، وهذا معنى التفسير بالرأى ، فتكون هذه الآية قد حثت على التفسير بالرأي .

٢ – أن القرآن يحتوي على جميع علوم الدين ، بعضها بطريق العبارة ، وبعضها بطريق الإشارة ، والثاني يحتاج إلى التعمق في الفهم ولا يكفي الوقوف عند ظاهر الآيات والتوقف مع المأثور .

فلابد من القول فيه بالعقل والتفكر لبيان معنى ، واستنباط حكم ، وتفسير لفظ ، وفهم مراد لم يقف عنده السابقون لعدم الحاجة إليه في عصرهم .

فإن توقفنا مع المأثور من التفسير فقط تتعطل هذه الأحكام والمعاني وهذا لا يكون إلا بالتفسير بالرأي[2] .

٣ – فسر الصحابة القرآن ، واختلفوا في تفسيره على وجوه ولم يسمعوا كل شيء قالوه من النبي – ﷺ – بل هناك من الأقوال ما سمعوه منه وهناك ما اجتهدوا فيه ، واختلف المفسرون في بعض الآيات فقالوا فيها أقاويل متباينة لا يمكن الجمع بينها ، وسماع جميعها من الرسول – ﷺ – محال . ولو كان بعضها مسموعا وبعضها غير مسموع لوجب رد غير المسموع ، إذاً لابد أن كل مفسر قال بما هداه إليه استنباطه ، ومن أمثلة ذلك اختلاف المفسرين في تفسير فواتح السور .

ورسول الله – ﷺ – لم يبين إلا ما لا يوصل إلى علمه إلا به ، ودعت الحاجة إليه ، وترك كثيرا مما يدركه باب الاجتهاد باجتهادهم . فلم يلزم في جميع تفسير القرآن التوقيف .

---

(١) سورة محمد : ٢٤ .
(٢) الجامع لأحكام القرآن – القرطبي ١ / ٣٧ .

٤ – أن النبي – ﷺ – دعا لابن عباس – رضي الله عنه – قائلا : « اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل » .

ولو كان التأويل مقصورا على السماع والنقل لما كان هناك فائدة في تخصيص ابن عباس بهذا الدعاء. فدل ذلك على أن التأويل الذي دعا به الرسول – ﷺ – لابن عباس أمر آخر سوى السماع والنقل وذلك هو التفسير بالرأي والاجتهاد .

٥ – حث القرآن على التعمق بالفهم فقال تعالى : ﴿ **ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا** ﴾[(١)] .

قال المفسرون : إن الحكمة المقصودة في هذه الآية هي فهم القرآن الذي ينبغي أن يحرص على إدراكها القادر عليها ، لأن الآية اعتبرت فهم القرآن خيرا ينبغي الحرص على فهمه[(٢)] .

وما أحسن قول الإمام « الراغب الأصفهاني » حيث قال : « فمن اقتصر على المنقول إليه فقد ترك كثيرا مما يحتاج إليه ، ومن أجاز لكل أحد الخوض فيه فقد عرضه للتخليط ولم يعتبر حقيقة قوله تعالى ﴿ **ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب** ﴾[(٣)] فالتفسير بالرأي اجتهاد ، والاجتهاد جائز في الشريعة ، فالتفسير بالرأي جائز . لأن التفسير بالرأي يعني الاجتهاد في فهم القرآن وإدراك معانيه واستنباط الأحكام منه . كما أن الاجتهاد في الشريعة بضوابطه دلت عليه نصوص كثيرة ، والمجتهد مأجور أصاب أو أخطأ . وبهذا يكون الاجتهاد بفهم القرآن جائزا وهو التفسير بالرأي[(٤)] .

هذه الأدلة بمجموعها تدل على أن التفسير بالرأي الموافق لكلام العرب

---

(١) سورة البقرة : (٢٦٩) .
(٢) دراسات في التفسير ورجاله صـ ٤٥ .
(٣) سورة ص : (٢٩) .
(٤) هذه من تعليقات أستاذي الشيخ مناع القطان أثناء جلسة مناقشة الرسالة .

وعلى موافقة الكتاب والسنة ولم يتعارض مع المأثور بشيء نوع جديد من التفسير[1] .

هذا كله يرد على تشكيكات المستشرقين في رد التفسير بالرأي . ويدل على جوازه وأن ما أثاره من أدلة « جولد تسيهر » قد رددت عليها ووجهت أدلة المانعين . وما أشرت له من أدلة المجيزين وتوجيه أدلة المانعين يدل أن التفسير بالرأي قسمان : تفسير بالرأي محمود ، وهو ما كان متقيدا بشروط التفسير من استفراغ الجهد في البحث في المأثور ، ثم بعد ذلك إعمال الفكر في الآية متقيداً بضوابط اللغة ومراعاة مقتضى الكلام[2] وغير ذلك من الأمور المهمة لهذا التفسير .

فمن أخذ بكل ذلك كان تفسيره محموداً . أما من خرج عن هذه الضوابط سائرا في تفسيره وراء هواه ، أو قال في القرآن بغير علم لأنه ليس له أهل أو حمّل الآيات مالا تحتمله فتفسيره مذموم كتفاسير أصحاب الفرق الضالة .

أما المانعون فقد استدلوا بعدة أدلة وهي الأدلة التي استغلها « جولد تسيهر » وزمرته من المستشرقين للطعن في هذا النوع من التفسير وذكروا عدم جوازه .

فمن هذه الأدلة والتي لم يتركها المجيزون من الرد والتوجيه :

١ - استدلوا بحديث رسول الله - ﷺ - والذي فيه أنه يخشى على مستقبل أمته من ثلاث :. منها : « رجال يتأولون القرآن على غير تأويله »[3] أو كما قال - ﷺ - .

وقد ذكر الأستاذ عبد الحليم النجار أن هذا مرسل من مراسيل أبي داود - رحمه الله - . فعلى هذا فالحديث ضعيف لا يحتج به .

---

(١) لمحات في علوم القرآن صـ ١٩٦ .

(٢) مناهل العرفان في علوم القرآن ١ / ٥١٩ - ٥٢٠ .

(٣) انظر المراسيل لأبي داود السجستاني صـ ٣٥٨ باب في البدع - مؤسسة الرسالة .

٢ - كما استدلوا بقول أبي بكر - رضي الله عنه - : [أي سماء تظلني وأي أرض تقلني إذا قلت في القرآن برأي أو بما لا أعلم][١] .

هذا القول أرسله عن أبي بكر - رحمه الله - التابعي الثقة أبو معمر عبد الله ابن سبرة الأزدي والحديث لا يفيد المنع لتفسير القرآن بالرأي ، وإنما أراد به التفسير الذي لم يقم عليه دليل ، أو كان المنع تخوفا أن لا يصيب هذا التفسير مراد الله سبحانه ، ويؤيد هذا التخريج أن أبا بكر نفسه لما سئل عن الكلالة قال : أقول فيها برأيي ، فإن يكن صوابا فمن الله سبحانه ، وإن يكن خطأ فمني ومن الشيطان ، والله ورسوله بريئان منه : الكلالة من لا ولد له ولا والد . ولما تولى الخلافة عمر قال : إني لأستحي أن أخالف أبا بكر في رأي رآه .

ووضح الحافظ ابن كثير - رحمه الله - هذا المعنى بقوله : [فهذه الآثار الصحيحة وماشاكلها عن أئمة السلف محمولة على تخرجهم من الكلام في التفسير بما لا علم لهم فيه ، فأما من تكلم بما يعلم من ذلك لغة وشرعا فلا حرج عليه][٢] .

وهذا ما وجدناه من بعض الصحابة - رضوان الله عليهم - بيان ما علموه من معنى كتاب الله سبحانه ، والسكوت فيما ليس لهم به علم تورعا وحيطة لأنفسهم حتى يقولوا في كتاب الله بغير علم ، وأن لا يصيبوا مراد الله وهذا هو الواجب في حق من تصدر لتفسير كتاب الله سبحانه أن لا يقول في كتاب الله سبحانه إلا بما يعلم . قال تعالى : ﴿ **لتبيننه للناس ولا تكتمونه** ﴾[٣] ولقوله - ﷺ - : « من سئل عن علم فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار »[٤] .

فمن هنا وجدنا مجموعة من الصحابة قد اشتهروا في تفسير القرآن الكريم

---

(١) تفسير الطبري ١ / ٧٨ .
(٢) الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير صـ ٨٠ .
(٣) سورة آل عمران : ١٨٧ .
(٤) مسند الإمام أحمد ٢ / ٢٦٣ .

كابن عباس ، وعلي بن أبي طالب ، وعبد الله بن مسعود ، وأبي بن كعب ، وغيرهم كما أنه قد ورد تفسير القرآن عن كثير من تلاميذتهم وهم من خيار التابعين كسعيد بن جبير ، ومجاهد بن جبر ، وعكرمة ، وقتادة الدوسي ، والحسن البصري ، وغيرهم .

فلولا جواز مثل هذا النوع من التفسير لما وجدنا لهم هذا الكم من الأقوال في تفسير كتاب الله سبحانه ، ومن أقوالهم المأثور وغير المأثور . أما من قال في كتاب الله سبحانه دون أهلية ، وبلا علم فإن أصاب برأيه فقد أخطأ بفعله وتجرّئه على كتاب الله سبحانه . فيتناول من يعرف الحق لكنه يميل إلى رأي من طبعه وهواه فيتأول القرآن وفق هواه حتى لو لم يلح له ذلك المعنى في القرآن الكريم ، ومثل هذا إن صادف الحق والصواب في الواقع ونفس الأمر فإنما هو اتفاق من غير قصد ورمية من غير رام . أو يكون ممن أضله الله على علم ناصرا لبدعة ، أو متبعا لهوى كأصحاب الفرق الضالة والمنحرفة .

أما قوله – ﷺ – : « من قال بالقرآن الرأي فأصاب فقد أخطأ فليتبوأ مقعده من النار » وفي رواية « فقد كفر » ذكر الأستاذ شاكر أن هذا الحديث في سنده عبد الأعلى بن عامر الثعلبي وقد تكلموا فيه[1] . وعلى فرض صحة الحديث فالمقصود به أن يفسر كتاب الله – سبحانه –فيجعل رأيه أصلا ، والقرآن تبعا له فيلوي أعناق الآيات لتوافق هواه وتلبي رغباته ومبادئه ويتمثل هذا النوع من التفسير في تفسير أهل الفرق والأهواء الضالة من شيعة ومعتزلة وخوارج ومن تبعهم اليوم من قاديانية وبهائية وبابية وغيرهم من الفرق الباطنية .

والحديث فيه حث وإلزام أن لا يقولوا في القرآن بالرأي وإنما يلزموا أنفسهم بما علموه من كتاب الله – سبحانه – وبما يعرفون من ضوابط تفسيرية وأهلية تجيز لهم القول في كتاب الله – سبحانه – مع مصاحبة المفسر للخشية والصلاح في كل أحواله يدعوه للتريث في تفسير القرآن الكريم وعدم التسرع به .

---

(١) انظر الطبري ١ / ٧٧ بتحقيق أحمد شاكر .

وخير قدوة له ما ذكرنا من موقف الصحابة – رضوان الله عليهم –[1] .

ومجموع أدلة المجيزين وتوجيه أدلة المانعين والرد على شبهات هؤلاء المستشرقين الذين وجدوا في أقوال المانعين وأحوالهم فرصة لنسف هذا النوع من التفسير والتشكيك فيه . وقد حاولت الاقتصار على شبهاتهم لأنه موضوع رسالتنا . أما أدلة المانعين الأخرى فلها كتب أخرى للرد عليها ، فمن كل هذا يظهر مقدار أهمية هذا النوع من التفسير ومقدار الحاجة الملحة له خاصة والقرآن حمال للوجوه ، والبشرية مع تطورها وتقدم علومها الإنسانية ومعارفها البشرية لا تنفك عن الحاجة إليه بما يلائم عصرها وجيلها .

وقد اشتهر من هؤلاء مفسرون عظماء أجلاء كالإمام البيضاوي في تفسيره (أسرار التأويل) ، والخازن في تفسيره (لباب التأويل في معاني التنزيل) ، وأبو حيان في تفسيره (البحر المحيط) وغيرهم كثير . أما من المعاصرين جمال الدين القاسمي في تفسيره (محاسن التأويل) والطاهر بن عاشور في تفسيره (التحرير والتنوير) والأستاذ الشهيد سيد قطب – رحمه الله – في كتابه (في ظلال القرآن) الذي نال شرف السبق فيهم جميعا .

فالخلاصة :

أن تفسير القرآن الكريم بالرأي والاجتهاد نوعان :

النوع الأول :

التفسير بالرأي الممدوح المقبول وهذا ما أجازه المجوزون من جمهور السلف والخلف واستدلوا بجوازه بالأدلة النقلية والعقلية .

وهذا النوع من التفسير مبني على المعرفة الكافية بعلوم العربية ، والقواعد الشرعية والأصولية ، وبالسنة النبوية بحيث لا يعارض نقلا صحيحا ولا عقلا سليما ، ولا علما يقينيا ثابتا مستقراً مع بذل غاية الوسع والجهد في البحث

---

(١) الإسرائيليات والموضوعات صـ ٨٠ – ٨١ .

والاجتهاد ، والمبالغة في تحري الحق والصواب ، مع التريث وعدم العجلة ، وتجريد النفس عن الهوى والاستحسان بغير دليل مع مراقبة الله سبحانه في كل الأحوال .

النوع الثاني :

التفسير بالرأي المذموم المردود :

وهذا النوع من التفسير هو الذي منعه المانعون وهو تفسير من قال في القرآن وهو ليس لذلك أهل ، ولم يملك أدوات المفسر وشروطه الصحيحة فيغلب على تفسيره الجهل ، وتحميل الآيات فوق ما تحتمل ، أو تفسير القرآن بالهوى والاستحسان قاصدا بذلك نصرة مذهب باطل ، أو مبدأ فاسد كأصحاب الفرق الباطلة الذين يلوون أعناق الآيات لتخدم مذاهبهم وأغراضهم . أو تفسير للمتشابه من القرآن الذي لا يعلمه إلا منزله سبحانه ، وأكثر ما يشتمل هذا النوع من التفسير على الأقوال الواهية والضعيفة والإسرائيلية والموضوعة مما لا يليق بمقام كتاب رب العالمين سبحانه[1] . وقد وضع العلماء ضوابط وشروطا لهذا النوع من التفسير ليكون من النوع الأول يرجع لها في موطنها .

المبحث الثاني :

الشبه التي أثيرت حول هذا النوع من التفسير :

من الشبه التي أثارها « جولد تسيهر » على هذا النوع من التفسير .

الشبهة الأولى :

حاول « جولد تسيهر » تصوير التفسير بالرأي انشقاقا عن التفسير بالمأثور ، وحربا عليه واعتبر الدافع لهذا اللون من التفسير الورع والتقوى ، وتنزيه الله – سبحانه – في صفاته التي دخلها التجسيم من التصورات الدينية السائدة عن طريق النقل وقد حاول « جولد تسيهر » أن يبرر قيام مذهب الاعتزال

---

(١) الإسرائيليات والموضوعات صـ ٨٢ .

بأنه كان امتدادا لخط مجاهد بن جبر التابعي الجليل في التفسير[1] ورد فعل للتصورات التجسيمية في صفات الله سبحانه وتعالى .

الرد على هذه الشبهة :

بدأ علم التفسير كما سبق أن ذكرت بالتفسير بالمأثور ، ثم انتقل بعد ذلك ليكون تفسيرا عقليا وهو التفسير بالرأي بنوعيه المحمود منه والمذموم .

فالتفسير بالرأي المحمود ما كان منضبطا بقواعد التفسير التي حددها العلماء .

وهذا النوع من التفسير صنو للتفسير بالمأثور ومكمل لمهمة التفسير بالمأثور لبيان كتاب الله سبحانه للناس .

لذا فلا حرب ولا مخاصمة بين التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي المحمود .

أما المذموم منه فكما قلت هو الذي خالف قواعد علم التفسير الجائز لنصرة مذهب فاسد ، أو مبدأ باطل حيث يفسر أصحابه الآيات حسب أهوائهم ويؤولون الآيات التي تخالف معتقداتهم وتصوراتهم ، فلا شك أن هذا النوع من التفسير لا يقبل لأنه يخالف التفسير بالمأثور وتفسير الرأي المحمود . وعلى رأس هذا النوع من التفسير (تفسير المعتزلة) الذي جاء لخدمة أصولهم العقدية الخمسة التي خالفوا بها عقيدة أهل السنة والجماعة . وقد سخّر المعتزلة لتفسيرهم كل ملكاتهم وقدراتهم العقلية والعلمية وساعدهم على ذلك تمكنهم من العربية وأساليبها ، وتمكنهم في العلوم العقلية والحكمية[2] والفلسفية والمنطقية والكلامية ، ورد كل ذلك للعقل حتى لو خالف الشرع لاعتقادهم أن العقل حجة على الشرع لا العكس فما حسنه العقل عندهم فهو الحسن وما قبحه العقل فهو القبيح[3] .

---

(١) مذاهب التفسير الإسلامي صـ ١٢١ .

(٢) دراسات حول القرآن الكريم – د / إسماعيل الطحان – صـ ١٧٣ – ١٧٤ .

(٣) مناهج التفسير د / مصطفى الجويني صـ ١٠٧ – ١٠٨ .

والذي ينظر في تفسير المعتزلة يجده ينطلق من أصولهم كما ذكرت فمثلا انطلق من مبدأ العدل عندهم مسألة هل الإنسان مخير أم مسير ؟ وحملوا كثيرا من الآيات عليه وناصروه .

أما أصل التوحيد فبحثوا تحته مسألة رؤية البشر لله سبحانه فنفوها وأولوا الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي جاءت صريحة فيها .

وليس غريبا أن يكيل « جولد تسيهر » خاصة والمستشرقون عامة الكثير من الثناء لتفسير المعتزلة لما فيه من خدمة لأغراضهم وهي محاربة أهل السنة والجماعة وتفاسيرهم المعتبرة وعلى رأسها (التفسير بالمأثور) .

كما أن هناك دافعا آخر لهؤلاء المستشرقين وهو أن هذا المذهب يلائم ما عليه الغرب اليوم من تقديس للعقل وإعطائه حرية أكثر مما يستحق .

والغربيون اليوم يعيشون بفسحة من الحرية العقلية جعلتهم يشجعون مثل هذا النوع من التفسير ويصفون أهله بأهل التقى والورع وأنهم الأحرار .. إلخ .

فلا أدري أين هذه التقوى وأين الورع ، وقد خرجوا في تفسيرهم عن جادة الصواب ، ولم يلتزموا به الشرع ولا ظاهر النصوص ولا روح الشريعة السمحاء ، زيادة على تأويلهم كل نص يخالف مذهبهم وقسرهم الآيات على نصرته بشكل غير مقبول إطلاقا .

والمعتزلة لم ينفكوا في مهاجمة أهل السنة والتشنيع عليهم والتنفير من طريقهم . فهذا النظام يوصي تلاميذه أن لا يسترسلوا بالجلوس إلى كثير من المفسرين من أهل السنة وإن نصبوا أنفسهم للعامة وأجابوا عن كل مسألة .

حيث زعم « النظّام » أن كثيرا من هؤلاء المفسرين يقول بغير رواية وعلى غير أساس ، وأنه كلما كان المفسر أغرب كان عند العامة أحب وذكر من بين هؤلاء المفسرين عكرمة ، والكلبي ، والسدي ، والضحاك ، ومقاتل بن سليمان وأبا بكر الأصم ، وغيرهم .

هذا هو موقفهم من القرآن وتفسيره عند أهل السنة .

أما موقفهم من الحديث وأهله فهو أشد وأنكى فقاموا بالوضع فيه تارة ، والتزييف به تارة أخرى ، والطعن في متنه وسنده تارة ثالثة : وباتهامهم له بالتناقض والاختلاف تارة رابعة[1] .

أما كون أساس مذهب الاعتزال هو قول بعض الصحابة والتابعين كمجاهد بن جبر – رحمه الله – فهو قول مرفوض .

فالمعلوم أن الصحابة – رضوان الله عليهم – كان لهم اجتهادات خاصة بهم لم يوافقوا عليها كما هو الحال في بعض اجتهادات التابعي الجليل مجاهد بن جبر – رحمه الله تعالى – كتفسيره مثلا « مسخ بني إسرائيل بقردة وخنازير » أن المسخ وقع على القلوب ، ولم يمسخوا في الأجساد وأن هذا القول كان لمجرد التمثيل فحسب[2] .

وقد رد هذا القول على مجاهد بن جبر الطبري – رحمهما الله تعالى – حيث قال : [هذا القول الذي قاله مجاهد ، قول يظاهر ما دل عليه كتاب الله تعالى ، ومخالف له. وذلك أن الله أخبر في كتابه أنه جعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت . فمن أثبت شيئاً في حقهم وأنكر آخر كقوله في إنكاره هم لم يمسخهم قردة . وقد أخبر جل ذكره أنه جعل منهم قردة وخنازير أو قال : لم يكن شيء مما أخبر الله عن بني إسرائيل أنه كان منهم من الخلاف على أنبيائهم والنكال والعقوبات التي أحلها الله بهم . ومن أنكر شيئا من ذلك ، وأقر بآخر ، سئل البرهان على قوله ، وعورض فيما أنكر من ذلك بما أقر به . ثم يسأل الفرق من خبر مستفيض ، أو أثر صحيح . هذا مع خلاف قول مجاهد قول جميع الحجة التي لا يجوز عليها الخطأ والكذب فيما نقلته مجتمعة عليه وكفى دليلا على فساد

---

(١) مناهج التفسير للجويني صـ ١١٣ – ١١٧ ، وانظر ذلك الملل والنحل للشهرستاني ١ / صـ ٦٤ وما بعدها .

(٢) الاتجاهات المنحرفة في تفسير القرآن الكريم ،افعها ودفعها – الذهبي صـ ٤٩ – ٥٠ .

قول إجماعها على تخطئته[1] .

ولخطورة مذهب المعتزلة وشدة فساده نبه عليه كثير من العلماء وألفوا في الرد عليهم كتبا عدة ، منهم :

١ - الإمام ابن قتيبة الذي نقد مسلكهم في كتابه (تأويل مختلف الحديث) الذي ألفه لتبيين موقفهم من الحديث النبوي الشريف .

قال فيه : وفسر المعتزلة القرآن بأعجب تفسير يريدون أن يردوه إلى مذهبهم ، ويحملوا التأويل على نحلهم . فقال فريق منهم في قوله تعالى : ﴿ **وسع كرسيه السموات والأرض** ﴾[2] أي علمه . يستوحشون أن يجعلوا لله تعالى كرسيا أو سريرا . ويجعلون العرش شيئا آخر .. وهكذا نلاحظ صرف النص إلى معانيه المجازية بدون ضرورة . كما أنكر المعتزلة كثيرا من الحقائق الدينية كالجن ، والسحر ، وكرامات الأولياء ، وغيرها[3] . وذلك بسبب إرجاعهم هذه الحقائق للعقل الذي لم يستطع إدراكها . فاعتبروها مجرد تصورات شعبية وأساطير خرافية كما نقل ذلك عنهم « جولد تسيهر » في كتابه (مذاهب التفسير الإسلامي)[4] .

٢ - ونقدهم كذلك أبو الحسن الأشعري بقوله :

[أما بعد : فإن أهل الزيغ والتضليل تأولوا القرآن على آرائهم وفسروه على أهوائهم تفسيرا لم ينزل الله به سلطانا ، ولا أوضح به برهانا ، ولا عمن رووه عن رسول رب العالمين من الصحابة والتابعين افتراءً على الله ، قد ضلوا وما كانوا مهتدين] .

وكما تكلم عن تفسيرهم بقوله :

---

(١) تفسير الطبري ٢ / ١٧٣ بتصرف .

(٢) سورة البقرة : ٢٥٥ .

(٣) تأويل مختلف الحديث - صـ ٦٧ وما بعدها .

(٤) مذاهب التفسير الإسلامي صـ ١٣٥ .

[إن مثل هؤلاء اعتقدوا رأيا ثم حملوا ألفاظ القرآن عليه وليس لهم سلف من الصحابة والتابعين لهم بإحسان ، ولا من أمة المسلمين لا في رأيهم ولا في تفسيرهم ، وما من تفسير من تفاسيرهم الباطلة إلا وبطلانه يظهر من وجوه كثيرة وذلك من جهتين :

تارة من العلم بفساد قولهم ، وتارة بفساد ما فسروا به القرآن إما دليلا على قولهم أو جوابا على المعارضين لهم][1] .

المبحث الثالث :

« جولد تسيهر » وبعض كتب أهل الرأي المذموم :

أثنى « جولد تسيهر » على مجموعة من كتب المعتزلة ترويجا لها ودفاعا عن باطلها . وهذا ديدن سار عليه المستشرقون أن يظهروا من كتب الخصوم لأهل السنة ككتب الفرق الباطنية الضالة أو الجاهلة من المتصوفة . فمن هذه الكتب :

١ - تفسير أبي علي الجبائي الزعيم القديم لمدرسة الاعتزال[2] . ذكره « جولد تسيهر » من تفاسير المعتزلة التي اعتنت بالنواحي اللغوية وصاحبه من قرية جبى .

قال عنه أبو الحسن الأشعري : [ورأيت : الجبائي ألف في تفسير القرآن ، كتابا أوّله على خلاف ما أنزل الله عز وجل ، وعلى لغة أهل قريته المعروفة بجبى ، وليس من أهل اللسان الذي نزل به القرآن . وما روى في كتابه حرفا عن أحد من المفسرين وإنما اعتمد على ما وسوس به صدره وشيطانه ، ولولا أنه استغوى بكتابه كثيرا من العوام واستنزل به عن الحق كثيرا من العوام ، لم يكن لتشاغلي به وجه][3] .

---

(١) مقدمة في أصول التفسير صـ ٨٥ - ٨٦ .

(٢) مذاهب التفسير الإسلامي صـ ١٣٨ .

(٣) التفسير والمفسرون ١ / ٣٨٦ . وتبيين كذب المفترى لابن عساكر صـ ١٣٨ طبعة التوفيق بدمشق ١٣٤٧ هـ .

٢ – من التفاسير التي أثنى عليها « جولد تسيهر » كثيرا واعتبره من أصحاب التنزيه للذات الإلهية والمدافعين عن عصمة الأنبياء (غرر الفوائد ودرر القلائد) حيث عرف به قائلا : [من هذا العصر المبكر للاعتزال بقي لنا كتاب وإن كان أصغر حجما ، يربط التفسير العقدي ببحوث لغوية وتاريخية أدبية أقصد بهذا محاضرات الشريف العلوي النابه الذكر في الأوساط العلمية والاجتماعية ببغداد ، الملقب بلقب التشريف : علم الهدى المرتضى ، أبي القاسم علي بن طاهر (٩٦٦ هـ – ١٠٤٤ م) تفسير (غرر الفوائد ودرر القلائد) المنزهين للذات الإلهية والمدافعين عن عصمة الأنبياء[١] وأبو القاسم علي بن طاهر الشريف المرتضى شيعي معتزلي تبحر في فنون العلم ، وعرف بالإمامة في الكلام والأدب والشعر ، روى الحديث عن سهل الديباجي (الكذاب) ، له تصانيف عدة منها هذا الكتاب في التفسير الاعتزالي وهو عبارة عن محاضرات ألقاها المؤلف حول آيات عقدية محاولا أن يجمع فيه بين آرائه الاعتزالية وآيات القرآن التي تتصادم معها مستخدما كغيره من المعتزلة نبوغه الأدبي ، ومعرفته بفنون اللغة وأساليبها فيأتي ببعض الألفاظ لتخدم الغرض ، ويخالف ظاهر القرآن صراحة فمثلا حمل قوله تعالى : ﴿ **إلى ربها ناظرة** ﴾[٢] إلى نعمة ربها ؛ لأن الإلى النعم . وفي واحدها أربع لغات : إلى مثل قفا ، وإلى مثل رمي وإلى مثل يعي ، وإلى مثل حسي قال أعشي بكر بن وائل :

أبيض لا يرهب الهزال ولا يقطع رحما ولا يخون إلى

أراد لا يخون نعمه ، فأراد (بإلى ربها) نعمة ربها وأسقط التنوين للإضافة نافيا الرؤية رادا نصوصها الصريحة والآثار التي وردت فيها الصحيحة .

وقال عند قوله تعالى : ﴿ **وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم** ﴾[٣] وقد ظن بعض من لا بصيرة له ولا فطنة

(١) مذاهب التفسير الإسلامي صـ ١٣٦ – ١٣٧ .
(٢) سورة القيامة : ٢٣ .
(٣) سورة الأعراف : ١٧٢ .

عنده أن تأويل هذه الآية أن الله استخرج من ظهر آدم جميع ذريته وهم في خلق الذر ، فقررهم بمعرفته وأشهدهم على أنفسهم ، وهذا التأويل مع أن العقل يبطله ويحيله ، مما يشهد ظاهر القرآن بخلافه وقد حملها على من كان له آباء مشركون حاملا الآية على اختصاصها لبعض ولد آدم[1] .

وقد حاول في أماليه أن يرد أصول المعتزلة لكلام الإمام علي وآل بيته - رضي الله عنه - افتراءا عليهم حيث قال :

[اعلم أن أصول التوحيد والعدل مأخوذة من كلام أمير المؤمنين علي - عليه السلام - وخطبه ..][2] .

فمن هنا يظهر طريقة هؤلاء المعتزلة في تفاسيرهم باستخدامهم الطريقة اللغوية وتسخيرها للّي أعناق الآيات لنصرة مذهبهم الاعتزالي صارفين اللفظ عن ظاهره ، ومأولين الصفات ومعطلين لها .

٣ - الكتاب الثالث (الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل) لـ « محمود ابن عمر الزمخشري المولود سنة (٤٦٧ هـ - ١٠٧٤ م) والمتوفي سنة (٥٣٨ هـ / ١١٤٣ م) من الإقليم الفارسي : خوارزم حيث كان مذهب الاعتزال على عهده لا يزال يجد مأوى خصيبا . وكتابه (الكشاف) . وقد أثنى عليه « جولد تسيهر » بقوله [إنه نموذج للتفسير الاعتزالي وإنه نال الاعتراف بالتقدير من الصديق والعدو وبأنه أحد الكتب الأساسية في التفسير][3] .

التعليق :

من هؤلاء من يكون حسن العبارة فصيحا ويدس البدع في كلامه وأكثر الناس لا يعلمون ، كصاحب الكشاف ونحوه ، حتى أنه يروج على خلق كثير

---

(١) أمالي المرتضى (غرر الفوائد ودرر القلائد) للشريف المرتضى علي بن الحسين الموسوي طبعة إحياء الكتب البابي الحلبي - مصر - لسنة ١٣٧٣ هـ / ١٩٥٤ م ، ج ١ - صـ ٢٨ .

(٢) نفس المرجع ١ / ٤٢٦ .

(٣) مذاهب التفسير الإسلامي صـ ١٤٠ - ١٤١ .

ممن لا يعتقد الباطل من تفاسيرهم الباطلة ما شاء الله وقد رأيت من العلماء المفسرين وغيرهم من يذكر في كتابه وكلامه من تفسيرهم ما يوافق أصولهم التي يعلم أو يعتقد فسادها ولايهتدي لذلك[1] وقد انتقد الشيخ حيدر الهروي الكشاف بعد ذكر قيمته العلمية ، وما حوى من فوائد بقوله : [.. فالتزم في كتابه أمورا أذهبت رونقه وماءه ، وأبطلت منظره ورداءه ، فتكدرت مشاربه منها : أنها كلما شرع في تفسير آية من الآي القرآنية مضمونها لا يساعد هواه ، ومدلولها لا يطاوع مشتهاه ، صرفها عن ظاهرها بتكلفات باردة وتعسفات جامدة ، وصرف الآية بلا نكتة بلاغية لغير ضرورة عن الظاهر وفيه تحريف لكلام الله سبحانه وتعالى ، وليته يكتفي بقدر الضرورة بل يبالغ في الإطناب والتكثير لئلا يوهم بالعجز والتقصير ، فتراه مشحونا بالاعتزاليات الظاهرة التي تتبادر إلى الأفهام .

ومنها : أنه يطعن في أولياء الله المرتضين من عباده ، ويغفل عن هذا الصنيع لفرط عناده .

ومنها : أنه .. أورد فيه أبياتا كثيرة ، وأمثالا غزيرة بني على الهزل والفكاهة أساسها وأورد على المزاح البارد نبراسها وهذا أمر من الشرع والعقل بعيد ، لاسيما عند أهل العدل والتوحيد .

ومنها : أنه يذكر أهل السنة والجماعة وهم الفرقة الناجية بعبارات فاحشة ، فتارة يعبر عنهم بالمجبرة ، وتارة ينسبهم على سبيل التعريض إلى الكفر والإلحاد ..

أما أبو حيان فقد انتقده بقوله : [وهذا الرجل وإن كان أوتي من علم القرآن أوفر حظ وجمع بين اختراع المعنى وبراعة اللفظ ففي كتابه في التفسير أشياء منتقدة ..][2] .

وأما الإمام السبكي فقد قال عن الزمخشري وكتابه الكشاف :

---

(١) مقدمة في أصول التفسير صـ ٨٥ - ٨٦ .

(٢) التفسير والمفسرون ١ / ٤٣٨ .

[واعلم أن الكشاف كتاب عظيم في بابه ، ومصنفه إمام في فنه إلا أنه رجل مبتدع مجاهر ببدعته ، يضع في قدر النبوة كثيرا ، ويسيء أدبه على أهل السنة والجماعة والواجب كشط ما في الكشاف من ذلك كله][1] .

ويقصد بذلك ما قاله في حق رسول الله - ﷺ - في سورة التوبة عند قوله تعالى : ﴿ **عفا الله عنك** ﴾[2] كناية عن الجناية لأن العفو رادف لها ، ومعناه أخطأت وبئس مافعلت .. »[3] .

وقول الزمخشري عند قوله تعالى : ﴿ .. **لم تحرم ما أحل الله لك** ﴾[4] .

وكان هذا زلة منه يقصد الرسول - ﷺ - لأنه ليس لأحد أن يحرم ما أحل الله ، لأن الله - عز وجل - إنما أحل ما أحل لحكمة أو مصلحة عرفها في إحلاله فإذا حرم كان ذلك قلب المصلحة مفسدة[5] .

مع كل ما ذكرت من ملاحظات على تفسير الكشاف فلا أحد ينكر قيمة هذا التفسير العلمية ، وأنه سلطان الطريقة اللغوية بلا منازع وأن هذا التفسير كشف الكثير من وجوه الإعجاز .

وهذا ما جعله يشتهر وينتشر في الآفاق ، ويكون له قبول عند أهل السنة مع سلبياته ، وكان عمدة من جاء بعده من المفسرين في هذا المجال . وحتى يستفاد منه فقد تتبعه أكثر من عالم من علماء أهل السنة فبينوا عوار اعتزالياته أمثال : شرف الدين الحسن بن محمد الطيبي (ت ٧٤٣ هـ) في كتابه (فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب) وفخر الدين الرازي في كتابه (التفسير الكبير) وأحمد ابن محمد بن منصور بن المنير (ت ٦٨٣ هـ) القاضي المالكي من الإسكندرية

---

(١) التفسير والمفسرون ١ / ٤٤٠ .

(٢) سورة التوبة : ٤٣ .

(٣) الكشاف ٢ / ١٩٢ .

(٤) سورة التحريم : ١ .

(٥) الكشاف ٤ / ١٢٥ .

في كتاب له خاص على الكشاف وهو مطبوع بحاشية (تفسير الكشاف) وهو من أشهرها .

وبعد هذا الكتاب صدر كتاب للسيد مرتضى الزبيدي صاحب (تاج العروس) بعنوان (الإنصاف في المحاكمة بين البيضاوي والكشاف) والكتاب كما يبدو يتناول مسائل الخلاف بين أهل السنة والمعتزلة في التفسير[1] .

بعد هذا العرض ظهر لنا جليا موقف المعتزلة من عقيدة أهل السنة وطريقتهم اللغوية في التفسير ، وجرأتهم في صرف اللفظ عن ظاهره دون ضرورة ، وتأويل آيات الصفات ومقام النبوة في بعض الآيات ، كما ظهر تعطيلهم للأحاديث النبوية الشريفة .

وهذا يظهر جليا سوء نية « جولد تسيهر » في عقده لفصل (التفسير في ضوء العقيدة مذهب أهل الرأي) الذي شكك فيه في التفسير بالمأثور ، وإظهار التفسير المحمود من التفسير بالرأي أنه منشق عن التفسير بالمأثور ومخالف له ، كما أنه دافع بحرارة عن التفسير المذموم واعتبره التفسير الأمثل لأنه صادر – في زعمه – عن أصحاب العقل الحر ويقصد بذلك تفسير المعتزلة .

فمن هذا يظهر خطورة تبني المستشرقين مثل هذه التفاسير للفرق الباطنية الضالة .

---

(١) مذاهب التفسير الإسلامي صـ ١٤٦ – ١٤٧ .

الفصل الثالث

التفسير في ضوء التصوف الإسلامي كما عرضه « جولد تسيهر »

المبحث الأول

« جولد تسيهر » وثناؤه على أصحاب هذا الاتجاه من التفسير

المبحث الثاني

وقفات مع بعض كتب التفسير الإشاري وأصحابها التي ذكرها « جولد تسيهر »

الفئة الأولى : أصحاب الاتجاه الإشاري من الصوفية

الفئة الثانية : أصحاب الاتجاه الفلسفي من الصوفية

الفصل الثالث

التفسير في ضوء التصوف الإسلامي كما عرضه « جولد تسيهر »

المبحث الأول :

« جولد تسيهر » وثناؤه على أصحاب هذا الاتجاه :

عرض « جولد تسيهر » هذا الموضوع عرضا ينم على سعة اطلاع على مصادر التصوف : المتطرف منها والمعتدل . متدرجا به من الزهد البسيط إلى التذوق بالشوق المحرم إلى الله ، والحب المضطرم لله ، ثم إلى الحالة المثالية من الاستغراق وفناء الوجود الشخصي صعدا في حقيقة الله لتصب أخيرا في مذهب الحلول .

وقد ربط بين التصوف والمذاهب الإغريقية القديمة كالأفلاطونية(*) الحديثة والغنوصية ، والهلينستية وغيرها .

وفي هذا البحث كان « جولد تسيهر » معجبا ومدافعا بطرف خفي عن المنحرفين من أهل التصوف أمثال « الحلاج » و « ابن عربي » و « إخوان الصفا »(**) ممجدا طريقتهم في التفسير وهو « التفسير الإشاري »[1] .

(*) الأفلاطونية الحديثة : مذهب فلسفي صوفي يستمد من أفلاطون اسم مؤسسها وبعض مميزاته ظهر في القرن الأول بعد الميلاد ، وظهر في الإسكندرية .

(**) إخوان الصفا : جماعة سرية دينية فلسفية سياسية شيعية إسماعيلية باطنية ، اجتمعت وتصافت على القدس بالطهارة والصفا حسب زعمهم فسموا إخوان الصفا وخلان الوفا ولهم خمسون رسالة أو أكثر.

(١)مذاهب التفسير الإسلامي صـ ٢٠١ وما بعدها .

الرد والتوجيه :

١ - الصوفية :

طائفة يرجع ظهورها بهذا الاسم إلى القرن الثاني الهجري ، تقوم على الزهد والتفاني في طاعة الله .

وأول من سمي بالصوفي أبو هاشم الصوفي (ت - ١٥٠هـ) ويعرف هذا اللون بالتصوف العملي .

ثم تولد في غضون هذا القرن وما بعده الفكر الصوفي ، وانتشرت نظرياته التي تواضع عليها الصوفيون ، وقد تأثر الفكر الصوفي بالأفكار الفلسفية ، وصاروا يدينون بمسائل فلسفية لا تتفق ومبادىء الشريعة مما أثار عليهم جمهور أهل السنة ، ويعرف هذا اللون بالتصوف النظري[١] .

وكان للمتصوفة - كغيرهم من طوائف المسلمين - دراسات في القرآن الكريم ، وكان لهم في تفسيره مؤلفات حوتها المكتبة الإسلامية بعضها قديم وبعضها حديث ، وكانت دراسات المتصوفة للقرآن الكريم وشروحهم له عليها طابع التصوف ، فظهر فيها بوضوح أثر التصوف النظري الذي ينبني على مقدمات علمية تنقدح في ذهن الصوفي أولا ثم ينزل القرآن عليها بعد ذلك ، كما ظهر بوضوح - أيضا - أثر التصوف العملي الذي يرتكز على رياضة روحية ، يأخذ بها الصوفي نفسه ، حتى يصل إلى درجة تنكشف له فيها من سجف العبارات إشارات قدسية ، وتنهل على قلبه من سحب الغيب معارف سبحانية ، يشرح بها كتاب الله عز وجل - حسب تعبيرات الصوفية - وهو ما يسمى بالتفسير الإشاري الفيضي .

وإذا ذهبنا نستعرض ما للقوم من تفسير صوفي نظري ، وما لهم من تفسير إشاري فيضي وجدنا فيهما اتجاها منحرفا عن النهج القويم لتفسير القرآن الكريم .

---

(١) دراسات حول القرآن الكريم - الطحان صـ ٢٠٥ .

فالتفسير الصوفي النظري تفسير يخرج بالقرآن - في الغالب - عن هدفه الذي يرمي إليه حيث يقصد القرآن هدفا معينا بنصوصه وآياته ، ويقصد الصوفي هدفا معينا بأبحاثه ونظرياته .

وقد يكون بين الهدفين تنافر وتضاد فيأبى الصوفي إلا أن يحوّل القرآن عن هدفه ومقصده إلى ما يقصده هو ويرمي إليه ، وغرضه بهذا كله أن يروّج لتصوفه على حساب القرآن وأن يقيم نظرياته وآراءه على أساس من كتاب الله سبحانه ، وبهذا الصنيع يكون الصوفي قد خدم فلسفته ونظرياته التصوفية ، ولم يقدم للقرآن شيئا إلا هذا التأويل الذي كله شر على الدين ، وإلحاد في آيات الله . فابن عربي والحلاج وأبو يزيد البسطامي ، وغيرهم من رؤوس التصوف مالوا ببعض الآيات القرآنية إلى ما ذهبوا إليه من القول « بوحدة الوجود » والتي يقصدون بها : أنه ليس هناك إلا وجود واحد ، كل العالم مظاهر ومجال له ، فالله سبحانه هو الموجود بحق وكل ما عداه ظواهر وأوهام ، ولا توصف بالوجود إلا بضرب من التوسع والمجاز .

هذا المذهب الذي دفع الحلاج أن يقول [أنا الله] . وابن عربي أن يقول : [إن عجل بني إسرائيل أحد المظاهر التي اتخذها الله عز وجل وحل فيها] . والذي جره فيما بعد إلى القول بوحدة الأديان وأنه لا فرق بين ما هو سماوي وبين غير السماوي إذ الكل يعبدون الإله الواحد المتجلي في صورهم وصور جميع المعبودات .

وقد حمل ابن عربي كثيرا من الآيات القرآنية على نظريته هذه فمن ذلك تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه** ﴾[1] فقال ما نصه : [فعلماء الرسوم يحملون لفظ « قضى » على الأمر ، ونحن نحمله على الحكم كشفا وهو الصحيح . فإنهم اعترفوا أنهم ما يعبدون هذه الأشياء إلا لتقربهم إلى الله زلفى فأنزلهم منزلة النواب الظاهرة بصورة من انتسابهم ، وما تم صورة الألوهية

(١) سورة الإسراء : ٢٣ .

فنسبوها إليهم ولهذا يقضي الحق حوائجهم إذا توسلوا بها إليه غيرة منه على المقام أن يهتضم ، وإن أخطأوا فما أخطأوا في المقام ..][1] .

وفسر قوله تعالى : ﴿ **فادخلي في عبادي وادخلي جنتي** ﴾[2] قال : [ادخلي جنتي التي هي ستري ، وليست جنتي سواك فأنت تسترني بذاتك الإنسانية فلا أعرف إلا بك ، كما أنك لا تكون إلا بي . فمن عرفك عرفني .. فأنت عبد رأيت ربا ، وأنت رب لمن له فيه أنت عبد ، وأنت رب ، وأنت عبد لمن له في الخطاب عهد][3] .

ومن التفسير الذي تأثر به ابن عربي بنظرياته الفلاسفة ولكنه لا يبلغ في انحرافه مبلغ ما سبق ، لتفسيره لقوله تعالى : ﴿ **ورفعناه مكانا علياً** ﴾[4] في شأن إدريس – عليه السلام – [وأعلى الأمكنة المكان الذي تدور عليه رحى عالم الأفلاك ، وهو فلك الشمس ، وفيه مقام روحانية إدريس وتحته سبعة أفلاك ، وهو الخامس عشر ...] ثم ذكر الأفلاك التي تحت فلك الشمس ، والتي فوقه ثم قال : [وأما علو المكانة فهو لنا أعني المحمديين) كما قال تعالى : ﴿ **وأنتم الأعلون والله معكم** ﴾[5] .

هذه بعض الأمثلة التي تدل على فساد طريقة ابن عربي في التفسير الذي أقامه على نظرية وحدة الوجود وغيرها من النظريات الفلسفية التي تهدم الدين من أساسه ولا توافق شيئاً من مراد الله سبحانه[6] .

أما النوع المذموم من تفسيرهم فهو التفسير الإشاري أو الفيضي فللقوم فيه جولات وشطحات .

---

(١) الاتجاهات المنحرفة في التفسير صـ ٧٣ ، نقلا عن الفتوحات المكية لابن عربي ٣ / .
(٢) سورة الفجر ٢٩ – ٣٠ .
(٣) دراسات حول القرآن الكريم صـ ٢٠٥ نقلا عن ١٩١/١ .
(٤) سورة مريم ٥٧ .
(٥) سورة محمد ٣٥ .
(٦) الاتجاهات المنحرفة في التفسير صـ ٣٥ .

وإذا ما بحثنا عن مستند لهذا الاتجاه في التفسير وجدنا مستندهم الأول والأهم ما ينسب إلى رسول الله - ﷺ - من أن القرآن له ظاهر وباطن[1]. فالظاهر في رأيهم يفهمه أهل الرسوم أما الباطن فلا يفهمه عندهم إلا من صفت نفسه، وتعلق بالله قلبه، حتى أصبح يدركه بعين اليقين.

ومن الأدلة التي استدلوا بها على رأيهم هذا ما رواه ابن أبي حاتم من طريق الضحاك عن ابن عباس: «القرآن ذو شجون وفنون، وظهور وبطون» إلخ. وكما روى الآلوسي عن الحسن قوله: «لكل آية ظهر وبطن ولكل حد مطلع».

فالظاهر في فهمهم ما يظهر من معنى النص القرآني.

أما الباطن فهو ألغاز وأحاجي ومعميات لا يفهمها إلا هم وهذا الفهم يخالف المفهوم من قوله تعالى: ﴿ **ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر** ﴾[2].

والأصل فيما هو مقبول من تفسير القرآن الكريم أن يوافق اللسان العربي ولا يشترط فيه الزيادة على ما جرى عليه هذا اللسان. وكل معنى مستنبط من القرآن وغير جار على اللسان العربي ليس من تفسير القرآن في شيء ومن ادعى غير هذا هو مبطل في دعواه. والعلماء قد اشترطوا لصحة المعنى الباطن شرطين أساسيين:

الشرط الأول:

أن يصح على مقتضى الظاهر المقرر في لسان العرب بحيث يجري على المقاصد العربية.

الشرط الثاني:

أن يكون له شاهد نصا أو ظاهرا في محل آخر يشهد لصحته من غير

---

(١) رواه ابن أبي حاتم نقلا عن روح المعاني ١ / ٧.

(٢) سورة القمر ١٧.

معارض .

فالشرط الأول مظاهر من قاعدة كونه عربيا ، فلو كان له فهم لا يقتضيه كلام العرب ، لما وصف بكونه عربيا .

أما الشرط الثاني فلأنه إن لم يكن له شاهد في محل آخر أو كان له معارض صار من جملة الدعاوي التي لا دليل عليها . فهو مردود باتفاق أهل العلم .

فالمتتبع لأقوال القوم فيما - يدعون من معنى باطن للقرآن نجد منها ما يوافق الشرطين فيكون صحيحا ومنها وما يخالفهما فهو الباطل المردود[١] .

وقد حدد العلماء شروطا لقبول التفسير الإشاري :

١ - أن لا يكون التفسير الإشاري منافيا للظاهر من النظم القرآني .

٢ - أن يكون له شاهد شرعي يؤيده .

٣ - أن لا يكون له معارض شرعي أو عقلي .

٤ - أن لا يدعي أن التفسير الإشاري هو مراد الله وحده دون الظاهر[٢] .

المبحث الثاني :

وقفات مع بعض كتب التفسير الإشاري وأصحابها التي ذكرها « جولد تسيهر » .

الفئة الأولى :

أصحاب التفسير الإشاري من المتصوفة :

١ - تفسير القرآن العظيم لأبي محمد سهل بن عبد الله التستري

(١) الاتجاهات المنحرفة صـ ٧٦ - ٨٢ (بتصرف) .
(٢) التفسير والمفسرون ٢ / ٣٧٧ .

(ت ٣٨٣ هـ)[١] .

رأى بعض المفسرين من الصوفية أن تحديد الباطن يقتضيه أن يمر بمرحلة الظاهر حتى يكون وصوله إلى الباطن مأمون العاقبة سليما ، ومن هنا جمع كثير من الصوفية بين الظاهر والباطن كما صنع ذلك (الغزالي) ومن قبله « التستري »[٢] في تفسيره (تفسير التستري) وهذا التفسير لم يستوعب فيه التستري كل الآيات وإن استوعب السور .

التعريف بالمؤلف :

هو أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن عيسى بن عبد الله التستري ، المولود بتستر سنة (٢٠٠ هـ) وقيل سنة (٢٠١ هـ) كان من كبار العارفين ، لقي الشيخ ذا النون المصري - رحمه الله - بمكة ، كان ورعا وذا اجتهاد في العبادة وافر ، ورياضة عظيمة ، أقام بالبصرة زمنا طويلا وتوفي سنة ٢٨٣ هـ وقيل : سنة ٢٧٣ هـ[٣] .

التعريف بهذا التفسير ومنهج المؤلف فيه :

هذا التفسير مطبوع في مجلد صغير الحجم ، ولم يتعرض فيه مؤلفه لتفسير القرآن آية آية ، بل تكلم عن آيات محدودة ومتفرقة من كل سورة، والذي يظهر أن (سهلا) لم يؤلف هذا الكتاب ، وإنما هي أقوال قالها سهل في آيات متفرقة من القرآن الكريم ، ثم جمعها أبو بكر محمد بن أحمد البلدي المذكور في أول كتابه والذي يقول كثيرا قال أبو بكر : سئل سهل عن معنى كذا فقال : كذا . ثم بين في أول كتابه معنى ظاهر القرآن وباطنه ، فكان خلاصة تعريفاته لهما أنه يرى أن الظاهر هو المعنى اللغوي المجرد ، وأن الباطن هو المعنى الذي يفهم من اللفظ ويريده الله تعالى من كلامه كما يظهر من تعريفاته أنه يرى أن المعاني الظاهرة

(١) مذاهب التفسير الإسلامي صـ ٢٣٨ .
(٢) دراسات حول القرآن الكريم صـ ٢٠٨ .
(٣) التفسير والمفسرون ٢ / ٣٨٠ .

أمر عام يقف عليها كل من يعرف اللسان العربي أما المعاني الباطنة فأمر خاص يعرفه أهل الله بتعليم الله إياهم ، وإرشادهم إليه .

كما أننا نجد سهلا – رحمه الله – لم يقتصر في تفسيره على المعاني الإشارية وحدها ، بل نجده يذكر أحيانا المعاني الظاهرة ، ثم يعقبها بالمعاني الإشارية وقد يقتصر أحيانا على المعنى الإشاري وحده كما يقتصر أحيانا على المعنى الظاهري ، بدون أن يعرج على باطن الآية .

وكان (سهل) يركز كثيرا في كتابه على تزكية النفوس ، وتطهير القلوب والتحلي بالأخلاق والفضائل التي يدل عليها القرآن ولو بطريق الإشارة .

منهجه في التفسير :

وإليك نماذج من هذا التفسير :

قال عند قوله تعالى : ﴿ **واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا له خوار** ﴾[1] عجل كل إنسان ما أقبل عليه فأعرض به عن الله من أهل وولد ولا يتخلص من ذلك إلا بعد إفناء جميع حظوظه من أسبابه ، كما لم يتخلص عبدة العجل من عبادته إلا بعد قتل النفوس .

وقال عند تفسير قوله تعالى : ﴿ **وفديناه بذبح عظيم** ﴾[2] إبراهيم – عليه السلام – لما أحب ولده بطبع البشرية ، تداركه من الله فضله وعصمته حتى أمره بذبحه ، إذ لم يكن المراد مه تحصيل الذبح وإنما كان المقصود تخليص السر من حب غيره بأبلغ الأسباب فلما خلص السر له ورجع عن عادة الطبع فداه بذبح عظيم .

وفي سورة الشعراء عند تفسيره لقوله تعالى حكاية عن إبراهيم – عليه السلام – : ﴿ **الذي خلقني فهو يهدين** – إلى قوله – **والذي أطمع أن يغفر**

---

(١) سورة الأعراف : ١٤٨ .

(٢) سورة الصافات : ١٠٧ .

لي خطيئتي يوم الدين ﴾[1] قال سهل : « الذي خلقني فهو يهدين أي الذي خلقني لعبوديته يهديني إلى قربه .

« والذي هو يطعمني ويسقين » قال : يطعمني لذة الإيمان ويسقيني شراب التوكل والكفاية .

« وإذا مرضت فهو يشفين » قال : يعني اذا تحركت بغيره لغيره عصمني وإذا ملت إلى شهوة من الدنيا منعها عني .

« والذي يميتني ثم يحيين » قال : الذي يميتني ثم يحييني بالذكر .

« والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين » قال : أخرج كلامه على شروط الأدب بين الخوف والرجاء ، ولم يحكم عليه بالمغفرة . اهـ[2] .

وهي كما نرى معان مقبولة ويمكن إرجاعها بدون تكلف إلى اللفظ القرآني بدون معارضة شرعية أو عقلية .

وهو غالب أسلوب – الكتاب كما أشرت لذلك في منهجه .

٢ – تفسير محيي الدين بن عربي الصوفي الأندلسي ولد بالمغرب ثم غادرها لكثير من بلدان العالم الإسلامي الواسع الأطراف مكتسبا في كل مكان شيعة وأتباعا له في تعاليمه البعيدة الأعماق . إلى أن استقر به المقام أخيرا في دمشق وتوفي فيها سنة ٦٣٨ هـ وقبره ما زال على سفح جبل قاسيون . عرض ابن عربي أفكاره في كتب كثيرة على شكل الشعر تارة والنثر تارة أخرى .

وكتبه تفيض بكبرياء لاحد لها ، وذلك لتلقيه هذا العلم في زعمه من كلام الله المباشر الذي حظي به تكرارا حتى قال : [خضنا بحرا وقفت الأنبياء بساحله] ويعتبر نفسه خاتماً للولاية ، وهذا الفهم قادم من فكرة الإشراق الغنوصية .

---

(١) سورة الشعراء : ٧٨ – ٨٢ .

(٢) انظر التفسير والمفسرون ٢ / ٣٨٢ .

كما اعتبر « جولد تسيهر » كتابه هذا من أبرز كتب التفسير الصوفي طابعا وأوسعها انتشارا في الدوائر الإسلامية . طبع طبعات متكررة بالمشرق منها طبعة القاهرة سنة ١٣١٧ هـ[١] .

وقد اختُلِف في نسبة هذا الكتاب لابن عربي . فمن برأه منه اعتبر الكتاب لعبد الرزاق القاشاني السمرقندي وهذا ما رجحه الإمام الشعراني في كتابه [اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر] حيث برأه من عقيدة الحلول والاتحاد وعقيدة وحدة الوجود . وبرأه من تفسير الرمزية الباطنية الباطلة .

كما برأه منه العلامة أحمد بن عبد الغني بن عمر المشهور بابن عابدين الفقيه الحنفي الذي تولى أمانة الإفتاء في دمشق . حيث وضع رسالة في تبرئة الشيخ باسم (تبرئة الشيخ الأكبر مما نسب إليه من القول بالحلول والاتحاد) .

كما أثبت الإمام بهاء الدين محمد مهدي آل خزام الصيادي الرفاعي في كتابه (مراحل السالكين) أن الشيخ محيي الدين قد دس عليه أهل الحلول والاتحاد أباطيلهم وأضاليلهم .

كما برأه كذلك صاحب الدر المختار من هذه العقيدة الباطلة ونسبها لبعض اليهود الذين افتروها على الشيخ[٢] .

وهذا ما رجحه كل من الأستاذ محمد عبده والشيخ الذهبي ورجحا نسبته للقاشاني .

والناظر في هذا التفسير يجده قد جمع نوعي التفسير الصوفي النظري والإشاري ، وقد ملىء بعقيدة الحلول والاتحاد ووحدة الوجود . ولم يتعرض للتفسير بالظاهر بحال من الأحوال .

فالتفسير النظري الذي فيه يقوم على مذهب (وحدة الوجود) وعلى

---

(١) مذاهب التفسير الإسلامي صـ ٢٣٨ - ٢٤٠ .

(٢) أصول التفسير وقواعده - الشيخ خالد العك صـ ٢٤١ - ٢٤٢ .

مذهب الفيوضات والوجدانيات .

أما الإشاري الذي فيه فهو عبارة عن معميات ورموز لا يفهم منها شيء .

فهذا التفسير لا يجوز الأخذ به ولا القول به بحال وهذه بعض الأمثلة من التفسير المنسوب لابن عربي .

قال في تفسير قوله تعالى : ﴿ **واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتيلا . رب المشرق والمغرب ..** ﴾(١) .

قال ما نصه : [واذكر ربك الذي هو أنت ، أي : اعرف نفسك ، واذكرها ولا تنسها فينسك الله ؟ واجتهد لتحصيل كمالها بعد معرفة حقيقتها . « رب المشرق والمغرب » أي الذي ظهر عليك نوره من أفق وجودك بإيجادك ، والمغرب الذي اختفى بوجودك وغرب نوره فيك ، واحتجب بك](٢) .

وقال عند قوله تعالى : ﴿ **وإلهكم إله واحد** ﴾(٣) : [.. إن الله خاطب في هذه الآية المسلمين ، والذين عبدوا غير الله قربة إلى الله فما عبدوا إلا الله ، فلما قالوا : ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى ، فأكدوا ذكر العلة ، فقال الله لنا : إن إلهكم الذي يطلب المشرك القربة إليه بعبادة هذا الذي أشرك به واحد كأنكم ما اختلفتم في أحديته ..](٤) .

وقال عند قوله تعالى : ﴿ **ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام ..** ﴾(٥) لا تأكلوا معارفكم ومعلوماتكم بباطل شهوات النفس ولذاتها ، بتحصيل مأربها ، واكتساب مقاصدها الحسية والخيالية باستعمالها وترسلوا إلى حكام النفوس الأمارة بالسوء(٦) .

---

(١) سورة المزمل : ٨ - ٩ .
(٢) أصول التفسير وقواعده صـ ٢٤٠ .
(٣) سورة البقرة : ١٦٣ .
(٤) أصول التفسير وقواعده صـ ٢٤١ .
(٥) سورة البقرة : ١٨٨ .
(٦) تفسير القرآن العظيم لابن عربي ١ / ١٧٧ . نقلا عن مذاهب التفسير الإسلامي .

ونتيجة لهذا التجوز في صرف المعنى عن ظاهره وصف العلماء الصوفية بالجهل تارة ، وبالكفر تارة أخرى .

قال الإمام الزركشي : [فأما كلام الصوفية في تفسير القرآن الكريم فقيل : ليس تفسيرا ، وإنما هي معان ومواجيد يجدونها عند التلاوة] .

ونقل عن ابن الصلاح في فتاويه : [وقد وجدت عن الإمام أبي الحسن الواحدي أنه قال صنف أبو عبد الرحمن السلمي (حقائق التفسير) فإن كان اعتقد أن ذلك تفسير فقد كفر][1] .

وقد حكم عليهم بالإلحاد وتعطيل الشريعة بالكلية الإمامان النسفي والتفتازاني[2] .

فليس غريبا أن نجد أن المستشرقين يهتمون بمثل هذا النوع من التفسير لما فيه من تعطيل لمهمة القرآن الكريم وهو الوقوف على معانيه وفهم مراد الله فيه وإدراك هداياته ومقاصده ، كما أن في طريقتهم هذه تعطيل للشريعة ، لذا فهو تفسير في أغلبه مردود على صاحبه ولا يقبل منه إلا ما كان حسب الشروط التي سبق ذكرها .

ب – الفئة الثانية التي ذكرها « جولد تسيهر » في هذا الفصل أصحاب المنهج الفلسفي الصوفي في تفسير القرآن الكريم (إخوان الصفا) . أشاد « جولد تسيهر » بهذه الفئة كثيرا وعدهم من أصحاب الفكر الحر وربط بينهم وبين الفلاسفة اليونانيين من الفيثاغوريين والأفلاطونيين والرواقيين[*] والغنوصيين[**]

---

(١) البرهان في علوم القرآن ٢ / ١٧١ – ١٧٢ .

(٢) المبادىء العامة لتفسير القرآن الكريم صـ ٢١٠ .

(*) الرواقية : مدرسة فلسفية أسسها زينون سنة ٢٠٠ ق.م ، ثم هذبها أتباعه ويرى الرواقيون أن الحقيقة مادية تسودها قوة توجهها وهي الله وما دامت الطبيعة تسير وفق العقل فمن الحكمة أن يسير الإنسان وفق الطبيعة .

(**) الغنوصية : نسبة إلى غنوصين وهي المعرفة وهي حركة فلسفية دينية ظهرت في القرن الثاني الميلادي أساسها أن الخلاص يتم بالمعرفة أكثر مما يتم بالإيمان والأعمال الخيرية .

وقد ربط بين الفريقين في تفسيراتهم الرمزية للنصوص وفي طريقتهم في البحث والتفكير والفهم[1] .

الرد والتعليق :

إن نشأة الانحراف في المنهج الفلسفي الصوفي في تفسير القرآن الكريم ترجع إلى الاعتماد على الفكر الفلسفي اليوناني وطريقته في البحث والتفكير والرمزية لظواهر النصوص .

فقد سلك أصحاب الفلسفة الصوفية النظرية منهج التفسير الإشاري الرمزي لآيات القرآن الكريم لاعتقادهم : أن كل آية في القرآن تخفي وراءها معنى باطنا مقصودا لا يكشفه الله إلا للخاصة منهم وأن المعرفة الحقة اليقينية لا تدرك إلا بالتأويل الباطني العميق ، والمجاهدة النفسية في حالات الكشف العليا[2] وأن الوقوف على ظواهر النصوص القرآنية حجاب يمنع من الوصول إلى معرفة حقائق الأمور .

وأن أبرز صور التأويل الباطني الفلسفي تظهر في (رسائل إخوان الصفا) فقد جاء في إحدى رسائلهم : ينبغي لإخواننا أن يعلموا أن ظاهر الشريعة إنما يصلح للعامة فهو دواء للنفوس المريضة الضعيفة . أما العقول القوية فغذاؤها الحكمة العميقة المستمدة من الفلسفة .

أما علوم « إخوان الصفا » ومعارفهم فقد صرحوا بمصادرها بقولهم : [إن علومنا مأخوذة من أربعة كتب :

أحدها : الكتب المصنفة على ألسنة الحكماء والفلاسفة .

الآخر : الكتب المنزلة التي جاء بها الأنبياء .

الثالث : الكتب الطبيعية التي تشرح تركيب الأفلاك وأقسام البروج

---

(١) مذاهب التفسير الإسلامي صـ ٢٠٨ وما بعدها .

(٢) أصول التفسير وقواعده - العك - صـ ٢٣٧ - ٢٣٨ .

وحركات الكواكب .

الرابع : الكتب الإلهية التي لا يمسها إلا المطهرون الملائكة التي هي بأيدي سفرة كرام بررة ، وهي جواهر النفوس وأجناسها وأنواعها وجزئياتها] .

لذا نجدهم يوصون في رسائلهم بعدم معاداة أي مذهب أو اتجاه مبطل ولا أي كتاب فاسد ؛ لأنها جميعا مصدر لعلومهم ومعارفهم .

لذا نجد أنهم أتوا في رسائلهم بتفسيرات رمزية باطنية تصرف الآيات القرآنية عن معانيها ومقاصدها الشرعية إلى مالا يجوز ، ولا يصح من المعاني المتكلفة الباطلة[1] .

وقد تأثر بهذه الفرقة بعض الفرق الباطنية الذين سلكوا مسلكهم كالباطنية الإسماعيلية حيث كان « إخوان الصفا » النظار المتفلسفين لحركة الإسماعيلية الباطنية الدينية السياسية الذين كانوا عنصر إزعاج للخلافة الفاطمية في مصر ، حيث أوصلهم كفرهم للزعم أن الخليفة الحاكم الأخرق كان تجسيما ماديا لله عز وجل وما زالت فرقة الدروز تراه كذلك لليوم[2] .

من تفسيرات « إخوان الصفا » واعتقاداتهم أن فسروا « الجنة » بعالم الأفلاك ، وأن « النار » عالم ما تحت فلك القمر ، وهو عالم الدنيا وأن الملائكة كواكب الأفلاك .

وهم يعتقدون أن نفسَ المؤمن بعد أن تفارق جسده تصعد إلى ملكوت السماء وتدخل في زمرة الملائكة مستشفين هذا الفهم من قوله تعالى : ﴿ **إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه** ﴾[3] .

أما النفوس الشريرة فهي التي تفارق الجسد ، فإن كانت من الجن فهي

---

(١) أصول التفسير وقواعده صـ ٢٣٩ .

(٢) مذاهب التفسير الإسلامي صـ ٢٣٢ .

(٣) سورة فاطر : ١٠ .

تستجن عن إدراك الحواس ، وإن كانت من الإنس فهي متجسدة مستأنسة بالأجساد حاملين على ذلك قوله تعالى : ﴿ **شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا** ﴾[١] .

وهؤلاء الفلاسفة النظار لم ينقل لنا عنهم تفسير كامل للقرآن الكريم ، وإنما فهوم قرآنية لآيات متفرقة وجدت مفرقة في كتبهم التي ألفوها في الفلسفة وأكثر من وجدنا له منهم أثرا في التفسير الرئيس « أبو علي بن سيناء » إذا عثر له على تفسير لسور الإخلاص والمعوذتين وآيات أخر متفرقات[٢] .

فالملاحظ على هذه الفرق الباطنية عموما والصوفية النظريين والفلاسفة خصوصا متفقون على تعطيل الشريعة ، وهدم مقاصد القرآن ، وتحويل ظاهره وحقائقه لرمز وإشارات وأسرار ومعميات خصهم الله بمعرفتها وبالإطلاع على أسرارها دون أحد من خلقه ، وهذه الأفهام كما رأينا بتأثير الفلاسفة عليهم الوثنيين منهم وأصحاب الكتاب خاصة أفلاطون بمذهبه المثالي أو فيلون وأرويجن الكتابي .

أما حرص « جولد تسيهر » على إظهار مثل هؤلاء الصوفيين ، فلإظهار التناقض والتعارض في فهم الكتاب وإخضاعهم لفظ القرآن لسلطانهم وإبراز هؤلاء المعطلة والملاحدة بمظهر أصحاب الفكر الحر واسعي الإدراك والأطلاع .

---

(١) سورة الأنعام : ١١٢ .

(٢) التفسير والمفسرون ٢ / ٤٢١ - ٤٣١ .

الفصل الرابع

التفسير في ضوء الفرق الدينية وموقف المستشرقين منه

المبحث الأول

« جولد تسيهر » وأصحاب هذا الاتجاه

المبحث الثاني

الخوارج وخطهم في التفسير

مع ذكر أشهر كتبهم حسب ذكر « جولد تسيهر » لها

المبحث الثالث

الشيعة وخطهم في التفسير

مع ذكر أشهر كتبهم حسب ذكر « جولد تسيهر » لها

الفصل الرابع

التفسير في ضوء الفرق الدينية

وموقف المستشرقين منه

المبحث الأول :

« جولد تسيهر » وأصحاب هذا الاتجاه :

حاول « جولد تسيهر » في هذا الفصل أن يظهر أن التفسير القرآني كان يتبع مصلحة الفرق الدينية ومبادئهم الأساسية .

حيث إن كل فرقة كانت تحاول إيجاد الدليل على عقيدتها ونظرياتها السياسية من القرآن الكريم وتفسير النصوص القرآنية حسب هذا الغرض الذي أرادوا تحقيقه وإثباته وضرب على ذلك أمثلة كفرقة الخوارج ، والشيعة ، وما تفرع عنهما من الفرق كالإسماعيلية الفاطمية ، والبابية ، وغير ذلك من الفرق[1] .

الرد والتعليق :

هذه الفرق تعتبر ممن انحرف بتفسير القرآن الكريم بشكل بين متكلف لتأييد آرائهم وتثبيت أفكارهم ومذاهبهم الاجتهادية حيث حملوا الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة لنصرة مذاهبهم وحملوها مالا تحتمل .

وسأوضح هذا الانحراف في تفسيرهم من خلال الصفحات القادمة إن شاء الله تعالى .

---

(١) مذاهب التفسير الإسلامي صـ ٢٨٦ وما بعدها .

المبحث الثاني :

الخوارج وخطهم في التفسير مع ذكر أشهر كتبهم حسب ذكر « جولد تسيهر » لها :

من الفرق التي ذكرها « جولد تسيهر » تمثل هذا الاتجاه من التفسير فرقة الخوارج[1] .

نشأت فرقة الخوارج بعد قضية التحكيم لفض الخلاف الذي حصل بين الإمام علي ومعاوية بن أبي سفيان - رضي الله عنهما - على الحكم .

فكان التحكيم أمرا لازما لوقف نزيف الدم الإسلامي ، لكن بعض أتباع الإمام علي - رضي الله عنه - خطّأ عملية التحكيم على اقتناع منه أن الحق بجانب الإمام علي - رضي الله عنه - وأنه أولى بالخلافة بدون منازع فمن أجل هذا انشقوا على الإمام وطالبوه أن ينقض الاتفاق الذي تم ، والاعتراف على نفسه بالكفر منادين (أن لا حكم إلا لله) فخرجوا عليه بالسلاح معلنين الحرب عليه فدخل معهم عدة معارك كانت خاسرة بالنسبة للخوارج فدبروا قتله على يد عبد الرحمن بن ملجم .

وقد تفرق الخوارج لعشرين فرقة كل فرقة لها اعتقاداتها الخاصة بها إلا أنه يجمعها مبدءان أساسيان .

١ - إكفار علي وعثمان ، والحكمين ، وكل من رضي بتحكيمهما وأصحاب الجمل .

٢ - وجوب الخروج على السلطان الجائر .

وهناك مبدأ ثالث يقول به أكثرهم الإكفار بارتكاب الكبائر[2] أما

---

(١) انظر مذاهب التفسير الإسلامي صـ ٢٨٧ .

(٢) التفسير والمفسرون ٢ / ٣٠٠ - ٣٠١ ، وبدع التفاسير في الماضي والحاضر د / رمزي نعناعة مؤسسة الأنوار - الرياض صـ ٦٨ - ٦٩ .

مبدؤهم في الخلافة فينص على أن الخلافة يجب أن تكون باختيار حر من المسلمين ، ولا يشترط في كونه قرشيا وإذا تم اختيار الخليفة فليس له أن يتنازل أو يحكم ، وعليه أن يخضع خضوعا تاما لله سبحانه وإلا وجب عزله[1] .

وكان طبيعيا وقد تعددت فرق الخوارج وكلها تنتسب إلى الإسلام وتعترف بالقرآن ، أن تبحث كل فرقة منهم عن مستند لمبادئهم في القرآن الكريم ولو كان تكلفا . والخوارج لم يكونوا مكثرين في التفسير وقد يكون ذلك لأسباب منها :

١ - أن الخوارج كان أكثرهم من عرب البادية .

٢ - أنهم اشتغلوا بالحروب من أول نشأتهم .

٣ - اعتبارهم الكذب كبيرة موجبة النار . فلعل تورعهم من أن لا يصيبوا مراد الله سبحانه فيكونوا قد اقترفوا كذبا جعلهم يقللون من تفسير آيات الله سبحانه[2] .

والذي ينظر في تفاسيرهم يجدها قيلت خلال جدلهم ومناظرتهم مع خصومهم كما أنه يجد أن المذهب سيطر عليهم حتى جعلهم لا يفهمون القرآن إلا من خلاله صارفين معانيه لنصرة مذهبهم ، مؤولين ما يعارضه من النصوص القرآنية[3] وإليك بعض الأمثلة من طريقتهم في صرف النصوص القرآنية .

١ - قلت : إن الخوارج يكفرون مرتكب الكبيرة ومن أدلتهم القرآنية على ذلك قوله تعالى : ﴿ **ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا .. ومن كفر فإن الله غني عن العالمين** ﴾[4] .

قالوا : إن الله جعل تارك الحج كافرا . واستدلوا على هذا المبدأ كذلك

---

(١) الاتجاهات المنحرفة في التفسير صـ ٦٣ .

(٢) التفسير والمفسرون ٢ / ٣١٧ .

(٣) الاتجاهات المنحرفة في التفسير صـ ٦٤ .

(٤) سورة آل عمران : ٩٧ .

بقوله تعالى : ﴿ **ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون** ﴾[1] حيث قالوا : كل مرتكب للكبيرة قد حكم بغير ما أنزل الله سبحانه[2] .

كما استدل لهذا المبدأ من القرآن محمد بن يوسف أطفيش الأباضي (ت ١٣٣٢) في تفسيره المسمى (هميان الزاد إلى المعاد) من قوله تعالى ، ﴿ **بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون** ﴾[3] .

حيث قال : سيئة : خصلة قبيحة ، وهي الذنب الكبير سواء أكان نفاقا أو شركا . ومن الذنوب الكبيرة الإصرار فإن نفسه كبيرة سواء أكان على الصغيرة أو الكبيرة وهذا يفهم من قوله سبحانه ﴿ **فأولئك أصحاب النار** ﴾[4] .

وقد تجرأ الخوارج على الوضع في الحديث النبوي الشريف لنصرة مذهبهم ، كما أنهم تجرأوا على ذم الصحابة الذين خالفوهم في اعتقاداتهم ، وخالفوا الإجماع في كثير من الأحكام كالوصية والرجم ، وغيرهما[5] .

ومما تقدم نلاحظ أن طريقتهم في التفسير كانت لا تتعدى الفهم السطحي والوقوف عند ظاهر اللفظ دون التعمق في التأويل ولا الغوص وراء معاني القرآن الدقيقة ، كما أنهم لا يراعون أهداف القرآن الكريم وأسراره وهداياته مما أوقعهم هذا المنهج في أخطاء كثيرة منها :

١ - قال بعضهم : لو أن رجلا أكل من مال يتيم فلسين وجبت له النار لقوله تعالى : ﴿ **إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً** ﴾[6] .

---

(١) سورة المائدة : ٤٤ .
(٢) الاتجاهات المنحرفة في التفسير صـ ٦٤ - ٦٥ .
(٣) سورة البقرة : ٨١ .
(٤) الاتجاهات المنحرفة في التفسير صـ ٦٧ .
(٥) التفسير والمفسرون ٢ / ٣١٣ .
(٦) سورة النساء : ١٠ .

ولكنه لو قتل اليتيم أو بقر بطنه لم تجب له النار لأن الله لم ينص على ذلك[1] .

٢ – ومن انحرافاتهم أن « ميمون العجردي » زعيم الميمونية أجاز نكاح بنات الأولاد وبنات أولاد الأخوة والأخوات لعدم ذكرهن في آية المحرمات من النسب[2] – على حد فهمه – فهم بهذا يوافقون المجوس في استحلالهم نكاح المحرمات .

٣ – ومن انحرافات فرقة الميمونية كذلك إنكارهم لسورة يوسف – عليه السلام – بحجة أنها قصة غرامية ينبغي تنزيه القرآن الكريم عنها ومنكر بعض القرآن كمنكر كله[3] ولا غرابة أن نجد بعض المستشرقين قد تبعهم بهذا القول . كيف لا ! وهم يحرصون على تجميع مثل هذه الهفوات .

من أشهر كتب التفسير عند الخوارج :

١ – تفسير عبد الرحمن بن رستم الفارسي من أهل القرن الثالث الهجري .

٢ – تفسير هود بن محكم الهواري من أهل القرن الثالث الهجري .

٣ – تفسير هيمان الزاد إلى دار المعاد للشيخ محمد بن يوسف أطفيش ت ١٣٣٢ هـ .

هذه نبذة موجزة عن نشأة الخوارج وبعض معتقداتهم وبعض نشاطاتهم العلمية ، خاصة فيما يتعلق بتفسير كتاب الله سبحانه . وكان الواجب على من يتعرض لمثل هذه الدراسة أن لا يكون مجرد ناقل ، كما فعل « جولد تسيهر » ليوهم القارىء أن تفسير هذه الفرقة صحيح وأنه لون من ألوان التفسير الجائز . مع أن « جولد تسيهر » لم يعرض منهج التفسير عند أهل السنة والجماعة كما عرض

---

(١) التفسير والمفسرون ٢ / ٣١١ .
(٢) التفسير والمفسرون ٢ / ٢٦٤ – ٢٦٥ .
(٣) الفرق بين الفرق صـ ٢٦٤ – ٢٦٥ .

لتفاسير هذه الفرق الضالة مادحا مبينا المحاسن دون العيوب . أما تفسير أهل السنة والجماعة فقد تناوله بالتشكيك تارة والتشكيك في رجاله تارة ثانية .. إلخ .

مما يدفعنا للشك في نوايا هؤلاء المستشرقين وفي تجردهم العلمي الذي يزعمونه .

المبحث الثالث :

الشيعة وخطهم في التفسير مع ذكر أشهر كتبهم حسب ذكر « جولد تسيهر » لها :

الفرقة الثانية التي تعرض لها « جولد تسيهر » في هذا الفصل هم الشيعة ومنهجهم في التفسير .

وكانت طريقته مع منهج هذه الفئة في التفسير كطريقته مع الفرقة السابقة « الخوارج » عرضا دون تعليق[1] .

التعليق :

الشيعة :

فرقة من الفرق الإسلامية شايعوا عليا وأهل بيته ووالوهم معتقدين أن عليا هو الإمام بعد رسول الله - ﷺ - وأن خلافته ركن الدين وقاعدته وهي حق له بوصية رسول الله - ﷺ - له : وهي لا تخرج عنه في حياته ، لا عن أبنائه بعد وفاته وإن خرجت عنهم فذلك لأمرين :

١ - أن يغتصبها غاصب بغير حق فقد غالى بعضهم حتى اعتبر اغتصابها كفرا ، أما المعتدلون فاعتبروها خطأ .

٢ - أن يتخلى عنها صاحب الحق تقية منه .

---

(١) مذاهب التفسير الإسلامي صـ ٢٩٣ وما بعدها .

وقد أصاب الشيعة ما أصاب غيرهم من الفرق الإسلامية من التمزق والانقسام والاختلاف . فالغلاة منهم كانوا يرفعون « عليا » – رضي الله عنه – لدرجة الألوهية فخرجوا بذلك من الإسلام . أما المعتدلون منهم فهم يرون عليا أفضل من غيره من الصحابة ، وأنه أحق بالولاية منهم .

أما المتوسطون فهم كانوا يعتقدون أنه معصوم وأنه الخليفة بعد رسول الله – ﷺ –[1] .

وكان طبيعيا لكل فرقة منهم ما داموا ينتسبون للإسلام أن يبحثوا عن مستند لهم يؤيد مذهبهم واعتقاداتهم من القرآن ، ويؤولوا الآيات التي تخالف مذهبهم ؛ ليجعلوا لمذهبهم مسوغاً شرعياً ، فيجمعوا له أنصارا .

وكان الشيعة من أكثر الفرق الإسلامية جرأة وتعديا على النص القرآني دعما لاعتقاداتهم . فزعموا أن أهل السنة بدلوه وغيروه وزادوا فيه وأنقصوا منه لإبعاد علي ونسله عن الخلافة . وقد اعتمد المستشرقون على أقوال الشيعة فيما نسبوه للقرآن الكريم من اضطراب وزيادة ونقصان اعتماداً كبيراً .

وقد سبق أن ناقشت هذه المسائل في مكان آخر من الرسالة[2] .

وقد كان الشيعة من أكثر الفرق الإسلامية إنتاجا للتفسير القرآني حاملين نصوصه لدعم اعتقاداتهم ومبادئهم . وخاصة الفرقة الإثنا عشرية التي تزعم أن النبي – ﷺ – قد نص على إمامة الإمام علي من بعده ، وأنها ستكون في ذريته من بعده إلى أن تصل للإمام « محمد المهدي المنتظر » – وهو الإمام الثاني عشر الذي سيخرج يوما من سردابه ليملأ الدنيا عدلا وأمنا كما ملئت ظلما وخوفا –. وهذا الاعتقاد مما يخالف عقيدة أهل السنة والجماعة . ولم يقف الشيعة عند حد هذا الاعتقاد المخالف لأهل السنة بل هم يخالفونهم في كثير من عقائدهم كالعصمة

---

(١) التفسير والمفسرون ٢ / ٣ وما بعدها .

(٢) باب شبه المستشرقين حول النص القرآني مبحث موثوقية النص القرآني .

للأئمة ، والرجعة للنبي - ﷺ - بعد خروج المهدي ، والتقية بإظهار الطاعة للسلطان ، وهم يدعون لإمامهم المختفي ، ولا يتورعون بالخروج على السلطان إذا شعروا بقوتهم[1] .

أما أمثلة انحرافاتهم في التفسير فهي كثيرة جدا منها :

١ - زعم عبد الله العلوي في تفسيره أن من الآيات القرآنية ما نصت على إمامة علي - رضي الله عنه - دون سواه كقوله تعالى : ﴿ **إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون** ﴾[2] .

زعم الشيعة أن الآية نص في إمامة علي - رضي الله عنه - حيث نصت على تصرفه العام في جميع المسلمين المساوي للإمام بقرينة ضم ولايته إلى ولاية الله ورسوله فثبتت إمامته وانتفت إمامة غيره للحصر المستفاد وهو المدعى .

ومؤكدين ذلك بسبب نزول ذكر للآية أن عليا تصدق بخاتمه وهو راكع[3] فنزلت الآية .

والجواب عن ذلك :

أ - أن سبب النزول الذي استدلوا به حديث موضوع بإجماع أهل العلم كما نص على ذلك الإمام ابن تيمية - رحمه الله - في كتاب مقدمة أصول التفسير[4] والآية نزلت في غير علي كعبادة بن الصامت وعبد الله بن سلام وغيرهما .

ب - أن الولاية بالمعنى الذي حمل النص عليه غير مرادة في زمان الخطاب

---

(١) الاتجاهات المنحرفة في التفسير صـ ٥٣ - ٥٥ (بتصرف) .

(٢) سورة المائدة : ٥٥ .

(٣) أسباب النزول للواحدي صـ ١٩٢ . تفسير الطبري جـ ٦ / ١٨٦ .

(٤) مقدمة أصول التفسير صـ ٨٧ .

البتة بالإجماع ، لأن زمن الخطاب عهد النبي - ﷺ - والإمامة نيابة للنبوة بعد موت النبي ، فلما لم يكن زمن الخطاب مرادا لابد أن يكون ما أريد به زمانا متأخراً عن موته - ﷺ - ولا حد للتأخير يدعم دعواهم .

هذا الدليل كما دل على نفي إمامة الأئمة المتقدمين كما قرروا ، يدل على سلب الإمامة عن الأئمة المتأخرين[1] .

فمما تقدم يظهر لنا أن المراد بالولاية هنا النصرة . فالخطاب يبين للمؤمنين أن لا ناصر لهم إلا الله سبحانه ورسوله والذين آمنوا الذين من صفاتهم إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وهم خاشعون لله سبحانه[2] .

فالآية تحدد جهة الولاء (التناصر) الوحيدة التي تتفق مع صفة الإيمان كما بينت لهم من يتولون ليكون الولاء لله خالصا ، والثقة به مطلقة وليكون الإسلام هو الدين ، والتناصر بين العصبة المؤمنة فحسب[3] .

والذي يؤكد هذا سبب النزول المنسوب لعبد الله بن سلام قال جابر بن عبد الله : جاء عبد الله بن سلام إلى النبي - ﷺ - فقال : يارسول الله إن قوما من قريظة وبني النضير قد هجرونا وفارقونا ، وأقسموا أن لا يجالسونا ، ولا نستطيع مجالسة أصحابك لبعد المنازل ، وشكى ما يلقى من اليهود فنزلت هذه الآية[4] .

٢ - زعم البحراني أن قوله تعالى : ﴿ **إنكم لفي قول مختلف** ﴾[5] تنص على ولاية علي - رضي الله عنه - وأن من استقام على ولايته دخل الجنة ومن خالفها دخل النار .

---

(١) مختصر التحفة الأثنى عشرية لشاه عبد العزيز علام حكيم الدهلوي ، الاختصار السيد محمود شكري الآلوسي صـ ١٤١ وما بعدها .

(٢) تفسير الطبري ٦ / ١٨٦ والمرجع السابق صـ ١٤٣ .

(٣) في ظلال القرآن - سيد قطب ٢ / ٩٢٠ .

(٤) أسباب النزول للواحدي صـ ١٢٩ .

(٥) سورة الذاريات : ٨ .

كما زعم أن هذه الآية تفيد عصمة الأئمة من جميع القبائح[1] .

٣ – زعم القمي أن القرآن نص على الرجعة في أمة محمد – ﷺ – بقوله تعالى : ﴿ **وإذ قلتم ياموسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون * ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون** ﴾[2] .

مع أن الآية نص في بني إسرائيل حيث إنه لم يكن في بني إسرائيل شيء إلا وقع في هذه الأمة[3] .

٤ – أما التقية فقد ذكر الحسن العسكري في التفسير المنسوب له من قوله تعالى : ﴿ **وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم** ﴾[4] .

حيث قال : [.. الرحيم بعباده المؤمنين من شيعة آل محمد ، وسع لهم في التقية يجاهرون بإظهار موالاة أولياء الله ، ومعاداة أعدائه إذا قدروا ، ويسرونها إذا عجزوا][5] .

وهذا المثال يظهر قمة التعسف الشيعي في حمل النص القرآني على أصولهم الفاسدة .

من هذه الأمثلة يظهر لنا :

السمة الأولى :

من منهج الشيعة في تفسير القرآن الكريم من صرف المعاني القرآنية ، وتحريف النصوص القرآنية لتأكيد معتقداتهم وتصويب مذهبهم .

---

(١) الاتجاهات المنحرفة في التفسير صـ ٥٧ .
(٢) سورة البقرة : ٥٥ – ٥٦ .
(٣) الاتجاهات المنحرفة في التفسير صـ ٦٠ .
(٤) سورة البقرة : ١٦٣ .
(٥) الاتجاهات المنحرفة في التفسير صـ ٦١ . وسيأتي الحديث عن هذا التفسير في صـ ٥٥١ .

السمة الثانية :

في تفسيرهم ملؤه بالخرافات والأباطيل التي لا يقرها شرع ولا عقل ، كحل رموز القرآن المبهمة من أسماء الأشخاص والأماكن التي بثوا فيها كل حقدهم ونقمتهم على الصحابة الذين خالفوا « عليا » - رضوان الله عليهم - ولم ينصروه ، وعلى المسلمين الذين لم يسيروا حسب مذهبهم ومعتقداتهم من أمثلة هذه السمة :

تفسيرهم الجبت والطاغوت بأبي بكر وعمر - رضي الله عنهما - وتفسيرهم البقرة التي أمر الله بذبحها بعائشة أم المؤمنين - رضي الله عنها - وتفسيرهم الشجرة الملعونة في القرآن ببني أمية . كما فسروا (كهيعص) برواية طويلة منها أن الكاف كربلاء والهاء هلاك العترة ، والياء يزيد ظالم الحسين ، والعين عطشه ، والصاد صبره ، وأنه لما عرف تفسيرها زكريا - عليه السلام - لم يخرج من مسجده ثلاثة أيام مانعا الناس من الدخول عليه .

وهذا التفسير للحروف المقطعة مخالف لما عليه جمهور المفسرين في تفسير الحروف المقطعة[1] .

السمة الثالثة :

تأثر الشيعة بتفسيرات المعتزلة التي لها صلة بعلم الكلام لتتلمذ كثير من شيوخهم على بعض شيوخ المعتزلة .

السمة الرابعة :

اتفق الشيعة مع الفلاسفة والصوفية في جعل ظاهر وباطن للنص القرآني وعدم السماح لأحد بتفسير شيء منه مالم يسمعه من أئمتهم .

---

(١) الاتجاهات المنحرفة في تفسير القرآن الكريم صـ ٦٢ .

السمة الخامسة :

تفسيرهم القرآن بأحاديث وضعوها وافتروها على رسول الله - ﷺ - وآل بيته ، وردوا ما صح من الأحاديث لعدم بلوغه لهم بطريق شيعي عن شيعي . ومن أصح كتب الحديث عندهم (الكافي) لأبي جعفر محمد بن يعقوب الكليني ت ٣٢٨ هـ ، وكتاب (التهذيب) للطوسي[١] .

من أشهر تفاسيرهم والتي ذكرها « جولد تسيهر » في كتابه :

١ - التفسير المنسوب للحسن العسكري ت ٢٥٤ هـ عده « جولد تسيهر » من أقدم تفاسيرهم[٢] .

هذا التفسير ألفه أبو محمد الحسن بن علي الهادي من سلالة الحسين بن علي - رضي الله عنه - .

وقد سلك المفسر في كتابه طريق شيعته بإثبات عقائدهم فيه كالتقية . كما ظهر فيه تأثره بطريق المعتزلة كثيرا ، وعرضه المسائل الفقهية من وجهة نظر الشيعة .

فهذا التفسير خرج من حد الاعتدال إلى التطرف والغلو والتلاعب في النصوص القرآنية ؛ مما يؤكد عدم صحة نسبته لهذا الإمام الجليل المشهور بعلمه وصلاحه وهذا ما رجحه الشيخ الذهبي - رحمه الله - والله أعلم[٣] .

٢ - التفسير الثاني الذي ذكره « جولد تسيهر » .

تفسير (بيان السعادة في مقام العبادة) لسلطان محمد بن حجر البجختي في القرن الرابع الهجري[٤] .

---

(١) التفسير والمفسرون ٢ / ٢٧ - ٢٨ ، وكتاب دراسات حول القرآن الكريم للطحان صـ ١٩٨ .
(٢) مذاهب التفسير الإسلامي صـ ٣٠٣ .
(٣) التفسير والمفسرون ٢ / ٨٦ - ٦٨ .
(٤) مذاهب التفسير الإسلامي صـ ٣٠٤ .

صاحب هذا التفسير من متطرفي الإمامية الاثني عشرية، وهذا التفسير غلب عليه طريقة المتصوفة في صرف المعنى الظاهر للرمز والإشارة والشطحات المعهودة عندهم ، كما أنه خلطه بكثير من الأبحاث الفلسفية الدقيقة لكنه لم ينس أن يدافع عن مذهبه وإثبات عقيدته فيه لدرجة التعصب والغلو والعناد .

أما الفروع فلا يقف عندها كثيرا ، وينقل لها من تفاسير الشيعة وأهل السنة على السواء كالإمام البيضاوي - رحمه الله - ومستخدما بعض العبارات الفارسية كشواهد عما يقول به . ومن الأمور التي يتعرض لها المؤلف أن علم القرآن الكريم كله عند النبي - ﷺ - والأوصياء من الأئمة ، كما ذكر تحريف القرآن الذي يعتقده الشيعة ، وأنه ما نزل إلا في الأئمة ومناصريهم ، وذكر أعدائهم ومخالفيهم .

وظهر تأثر المؤلف بأسلوب المعتزلة في المسائل الكلامية وموافقته لهم أحيانا كما أنه يلحظ اهتمامه ببعض المسائل النحوية وببعض القراءات القرآنية[1] .

٣ - التفسير الثالث الذي ذكره « جولد تسيهر » من تفاسير الشيعة تفسير : (مجمع البيان لعلوم القرآن) « لأبي جعفر ، وقيل : لأبي علي الفضل ابن الحسين الطبرسي المشهدي المفسر الفقيه المحدث الثقة شيعي معتدل له عدة تفاسير هذا أحدها ، وله تصانيف عدة .

هذا التفسير شاهد على تبحر صاحبه بفنون عدة من العلم والمعرفة . وقد ذكر المؤلف في هذا التفسير مقدمات تتعلق بعلوم القرآن ، كما أنه يذكر القراءات وأصحابها ، ويذكر بعض المسائل اللغوية والنحوية والفقهية حسب المذهب الشيعي مثل إجازته لنكاح المتعة ونصه على عدم جواز الزواج من الكتابيات ، كما أنه جمع بين تفسير الآية وتأويلها ، وأحيانا تفسيرها تفسيرا رمزيا حسب طريقة الشيعة .

---

(١) التفسير والمفسرون ٢ / ١٩٩ - ٢٣٤ (بتصرف) .

وقد دافع الطبرسي –رحمه الله – عن القرآن الكريم وسلامته من الزيادة والنقصان مخالفاً عقيدة قومه ، أما أسلوب المؤلف في الكتاب فجميل ، وقوي الحجة ، ودقيق التعليل ، وحسن الترتيب فالكتاب عظيم الفائدة ونافع في بابه . ولكن لابد من التنبيه على بعض الملاحظات العامة على الكتاب :

١ – لم يتخل المؤلف عن عقيدة الشيعة فكان يطرح بعض معتقداتهم كالإمامة لعلي ، الرجعة ، والتقية ، وبعض الآراء الاعتزالية دون مغالاة ولا تطرف .

٢ – روايته لكثير من الأحاديث الموضوعة والواهية .

٣ – تنزيله بعض آيات القرآن بما يتناسب مع اجتهاده الخاص به[١] .

٤ – لم يعتبر الطبرسي الإجماع حجة إلا إذا كان كاشفا عن رأي الإمام ، أو كان الإمام داخلا في جملة المجمعين . لذا رد الأدلة القرآنية التي استدل بها الجمهور على حجية الإجماع[٢] .

فبعد هذا العرض لثلاثة كتب من تفاسير الشيعة يظهر لنا منهج الشيعة في تفسير القرآن الكريم بين معتدلين ومتطرفين والأشد تطرفا فرقة الاثني عشرية.

والشيعة يخالفون أهل السنة في عقائدهم ؛ وينحرفون بهذه العقيدة صارفين لها الآيات القرآنية ، رادين ما يعارضها من الآيات القرآنية وما صح من الأحاديث النبوية . وهم يخالفون أهل السنة في كثير من المسائل الفقهية وغيرها مستخدمين كل أسلوب لنصرة مذهبهم من أخذ بالظاهر ، أو بالتفسير بالرمز أو الجدل الكلامي إلى غير ذلك .

لذا فتفسيرهم من تفاسير أهل الرأي المذموم والذي لا يجوز القول به ولا الأخذ به .

---

(١) التفسير والمفسرون ٢ / ٩٩ – ١٠٥ .

(٢) التفسير والمفسرون ٢ / ١٤٢ – ١٤٤ ، ودراسات حول القرآن – الطحان صـ ٢٠٤ .

ومن هنا كان عرض « جولد تسيهر » لمنهج هذه الفرق في التفاسير ودافعه من وراء ذلك واضح ، وذلك لمخالفتها للتفسير الصحيح عند أهل السنة والجماعة ؛ ولإظهار الخلاف بين فرق المسلمين وكان عرضه بطريقة توحي أن تفسيرهم لون من ألوان التفسير المقبول والجائز . وهذا المنهج مخالف للمنهج العلمي المتجرد مما يبين سوء نية هذا المستشرق وإخوانه في اختيارهم لمثل هذه الموضوعات وفي طريقة عرضهم لها ، ولخطوات منهجهم فيها .

الفصل الخامس

التفسير في ضوء التمدن الإسلامي

المبحث الأول

المدرسة العصرية الهندية

ممثلة في السيد أحمد خان بهادر كما يراها « جولد تسيهر »

المبحث الثاني

المدرسة العصرية المصرية كما يراها « جولد تسيهر »

المبحث الثالث

ج. جومييه ودراسته لكتاب الجواهر

المبحث الرابع

تفسير القرآن الكريم في العصر الحديث في نظر « ج باالجون »

المبحث الخامس

موقف الغرب من العصرية في العالم الإسلامي

الفصل الخامس

التفسير في ضوء التمدن الإسلامي

منذ أن أنزل الله سبحانه كتابه القرآن الكريم على رسوله محمد - ﷺ - والمسلمون يرجعون إليه تلاوة وفهما ودراسة تحليلية يدل ذلك كله على مقدار اهتمامهم بهذا الكتاب العظيم .

ولكن البلاد الإسلامية مرت بفترات اضطراب أدت إلى ركود وجمود في الحركة العلمية إجمالا . وكان آخر ما تعرضت له المنطقة الإسلامية الغزو الثقافي الذي خلف الاستعمار العسكري في المنطقة يمثله التبشير والاستشراق الذي أدى لإنماء التعليم العلماني في المنطقة ، فظهر على أثر ذلك الحركة العصرية في العلوم الدينية التي تحاول جهدها التوفيق بين العلوم الإسلامية وبين المفاهيم والثقافة الغربية . وكان على رأس من تبنى هذه الحركة السيد أحمد خان بهادر في الهند ، وجمال الدين الأفغاني ومحمد عبده في مصر ، ولا يعني هذا أن كلا المدرستين لم يكن لهما جوانب إيجابية ولا تأثير واضح على النهضة العلمية الإسلامية عامة والتفسيرية خاصة .

فمن جوانب الحركة التفسيرية العصرية الإيجابية إنماء روح الابتكار التي شهدتها هذه الحركة ، والتركيز على جانب الهداية الربانية التي من أجلها أرسل الله الرسل ، فلبس التفسير في هذا العصر ثوبا أدبيا اجتماعيا جميلا أظهر روعة القرآن الكريم . وقد اقتصر التفسير في هذه الفترة على الضروري مع مراعاته لمستوى القارىء من كل الفئات . والمدرسة العصرية المصرية أكثر سلامة وأقل انحرافات في مسيرتها من المدرسة العصرية الهندية التي ابتعدت كثيرا في مسيرتها عن طريق أهل السنة والجماعة عقيدة وفهما لكتاب الله سبحانه وسنة نبيه - ﷺ - وقد

ركز « جولد تسيهر » في بحثه الأخير (التفسير في ضوء التمدن الحديث) على المدرستين الهندية ممثلة بشخص « سيد خان بهادر » والمصرية ممثلة بشخص الشيخ « محمد عبده » ليظهر من خلالهما حركة التفسير الحديث بمفهوم العصرية وبانحرافاتها .

وسأركز بحثي وحديثي عن هاتين المدرستين ولا أعدوهما لأنهما المدرستان اللتان اهتم بهما المستشرقون اهتماما خاصا وقدموا دراساتهم عن التفسير الحديث من خلالهما .

وسأبدأ حديثي بالمدرسة الهندية وبرئيسها (سيد خان) .

المبحث الأول :

المدرسة العصرية الهندية ممثلة في السيد أحمد خان بهادر كما يراها « جولد تسيهر » .

المسألة الأولى :

التعريف بالسيد أحمد خان بهادر :

رائد العصرية في العالم الإسلامي هو السيد أحمد خان بهادر ، هندي الأصل عاش بين (١٨١٧ - ١٨٩٨ م) ولد في مدينة (دلهي) من أسرة من علية القوم ، عراقة وذات صلة وطيدة بالحكام المغول وإن كانت فقيرة .

نشأ في جو مشبع بالتصوف ، وقرأ في صغره القرآن وعلوم العربية واللغة الفارسية ، ولكن لم يمض في هذه الدراسة قليلا إلا ورغب عنها ونفض يده منها ، وعلى يد أحد أفراد عائلته أخذ يتعلم الرياضيات وعلم الهيئة ، ولم يكن حظه فيهما إلا كحظه في دراسته الأولى . وانقطع أخيرا في دراسته عن التعلم في سن الثامنة عشرة وعاش في شبابه حياة مرح يحضر حفلات الرقص والغناء الشائعة في طبقته ، وفي سن الثانية والعشرين اضطر بسبب وفاة والده للالتحاق بخدمة الحكومة الإنجليزية في سلك القضاء وعمل في عدد من المدن الهندية .

وبعد فترة ثاب إلى نفسه وبدأ في تغيير حياته وإصلاحها . وأقبل على التعلم من جديد ثم ألف عددا من الكتب في السيرة النبوية والتاريخ وكان لإخفاق الثورة الهندية عام ١٨٥٧ م نقطة تحول في حياته حيث رأى الدمار والخراب الذي لحق بلده فلهذا وقف يناصر الإنجليز ويساعد في حمايتهم ونجى بعض عائلاتهم من القتل .

وقد أيقن أن ولاء المسلمين للإنجليز هو السبيل الوحيد لإنقاذهم كل ذلك لفرط إعجابه بهم لذلك سعى طيلة حياته ليحقق هدفه المنشود وهو تقليد المسلمين للإنجليز والحضارة الغربية في كل شيء حتى وصفه وزمرته التي حوله الصحفي (ماكدونالد) بقوله : (إنجليز في كل شيء باستثناء العناصر الأساسية لعقيدتهم الدينية) والذي زاد من تعلقه بالغرب زيارته لبريطانيا ففي عام ١٨٦٩ م سنحت الفرصة لسيد خان لزيارة انجلترا . وكانت رغبته كما كتب في خطاب قبل سفره أن يطلع بنفسه على العظمة الباهرة للحضارة الغربية في مهدها . لا ليستفيد هو وحده من هذه التجربة بل ليستفيد قومه أيضا . لأنه حين يعود سوف يعلمهم ما تعلمه ويضع نفسه نموذجاً لهم في الاقتباس من الغرب .

ومكث سيد خان في لندن سبعة عشر شهرا كان فيهما ضيفا مبجلا ، وزائرا كريما ، وصديقا عزيزا في الإنجليزية المحترمة ، وحضر المآدب الملكية الفخمة والولائم الارستقراطية التي تمثل الحضارة الأوربية في أروع مظاهرها ، وأخلاق الطبقة الحاكمة وطبقة الأشراف ، ونال الوسام الملكي ولقب الشرف ، وقابل الملكة وولي العهد والوزراء الكبار ، واختير عضوا فخريا في الجمعيات العلمية ذات الشرف الكبير ، وحضر حفلة نادي المهندسين الكبار واطلع على المشاريع والخطط التقدمية التي مرت بها البلاد في الزمن القريب والتي أحدثت ثورة وانقلابا في الأوضاع وفي مستوى البلاد ومكنتها من بسط نفوذها وسيطرتها الفكرية .

وعاد سيد خان إلى بلاده ونفسه ممتلئة إعجابا بما شاهد ورأى وأخذ على عاتقه بعد عودته إلى بلاده أن يفتح أعين المسلمين إلى عظمة الحضارة الغربية وكانت وسيلته إلى ذلك ثلاثة مبادىء :

التعاون في المجال السياسي ، واستيعاب علوم الغرب في المجال الثقافي ، وإعادة تأويل الإسلام في المجال الفكري ليتكيف مع الحضارة الغربية .

فأنشأ مجلة (تهذيب الأخلاق) خدمة لهذا الغرض ، وأنشأ كلية عليكرة المعروفة الآن باسم جامعة عليكرة ، وكان الهدف منها تعليم آداب ولغات الغرب بالدرجة الأولى[1] .

وقد دعا لمبادئه بعدة كتب ومجلة منها :

(ولاء المسلمين في الهند) :

أراد المؤلف بهذا الكتاب إقناع المسلمين في الهند بجواز إعطاء ولائهم لبريطانيا ، مستدلا بموالاة نبي الله يوسف - عليه السلام - لعزيز مصر بكل إخلاص . مع أن عزيز مصر لم يكن على دين[2] يوسف - عليه السلام -. فالكتاب من عنوانه يوضح الخط الذي سارت عليه مدرسة « خان » في الهند .

وكان تأليف الكتاب على إثر إخفاق الثورة الهندية عام ١٨٥٧ م أمام بريطانيا ؛ مما دعاه لمناصرة الإنجليز ومساعدتهم بحمايتهم وإنجائه لبعض عائلاتهم من القتل ، بل وبالدعوة لإعطاء الولاء لهم والاستسلام والانقياد لحكمهم .

ب - مجلة (تهذيب الأخلاق) :

بعد عودته من بريطانيا وكان هدفه من إنشائها إصلاح التفكير الديني للمسلمين - كما يراه - وإزالة ما في الفكر من قيود تمنعهم من التقدم .

ج - (أحكام طعام أهل الكتاب) :

ألفه ليزيل الحاجز النفسي الموجود بين المسلمين والإنجليز ليغير موقف بعض المسلمين وهو امتناع بعض المسلمين من مخالطة الأنجليز ومؤاكلتهم والتشبه بهم في آدابهم وتقاليدهم .

---

(١) مفهوم تجديد الدين - بسطامي صـ ١٢٢ - ١٢٣ .

(٢) مفهوم تجديد الدين - بسطامي صـ ١١٩ - ١٢٢ (بتصرف) .

د - (تبيين الكلام) :

كتاب ألفه شرحا لبعض أجزاء من الإنجيل ليظهر أوجه الشبه بين الإسلام والمسيحية .

هـ - (تفسير القرآن الكريم) :

وهو من أهم مؤلفاته وهو الكتاب الذي اعتمَده « جولد تسيهر » في دراسته وسجل ملاحظاته عنه في الفصل الأخير من كتابه (مذاهب التفسير الإسلامي) فصل (التفسير في ضوء التمدن الإسلامي) و لم يكمل « خان » هذا الكتاب .

وقد أراد من تأليفه أن يثبت أن حقائق الإسلام وتعاليمه لا تتعارض مطلقا مع قوانين الطبيعة ؛ لأن القرآن هو « كلمة الله » وقوانين الطبيعة هي « فعل الله » ولا يتعارض كلامه مع فعله .

فمن أجل ذلك وضع هذا التفسير مخالفا فيه كلام العرب وآراء السلف وإجماعهم لمحاولته تأويل ما ظنه تعارضا بين كلام الله وقوانين الطبيعة . ويقصد بالطبيعة نفس المعنى الذي استعمله علماء أوربا في القرن التاسع عشر للميلاد (نظام كوني مغلق يخضع لقوانين عمياء ليس فيها أي مجال للخرق والاستثناء) .

المسألة الثانية :

بعض آراء السيد خان :

١ - سعى السيد خان لتكييف الإسلام للحضارة الغربية ، فمن أجل ذلك اعتبر القرآن وحده الأساس لفهم الإسلام ، أما الأحاديث النبوية فلا يعتمد عليها - في نظره - مستشهدا بذلك بقول عمر بن الخطاب : « حسبنا كتاب الله » مشيرا بذلك لما رواه ابن عباس - رضي الله عنهما حيث قال : لما حضر رسول الله - ﷺ - وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب فقال النبي - ﷺ - : « هلم أكتب لكم كتابا لاتضلون بعده » فقال عمر: إن رسول الله -

ﷺ – قد غلب عليه الوجع وعندكم القرآن. حسبنا كتاب الله[1] . الحديث. وقد زعم « خان » أنه في ضوء الظروف الجديدة وتوسع المعرفة الإنسانية لا يمكن الاعتماد في فهم القرآن على التفاسير القديمة وحدها التي اشتملت – في رأيه – على كثير من الخرافات ولكن ينبغي الاعتماد على بعض القرآن وحده الذي هو بحق كلمة الله ، ومن خلال معرفتنا وتجاربنا الذاتية يمكن لنا أن نفسر القرآن تفسيرا عصريا[2] .

ويستخدم سيد خان مفهومين لتقديم تفسير عصري للقرآن لا يناقض كما يعتقد قوانين الطبيعة .

أولهما :

مفهوم المحكم والمتشابه الذي جاء في قوله تعالى : **﴿ منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات ﴾**[3] .

فهو يرى أن هذا التقسيم المحكم والمتشابه دليل على أن الإسلام هو دين الطبيعة ، فالآيات المحكمة هي الأساسية وهي التي تشتمل على أساسيات العقيدة أما المتشابهة هي الرمزية وهي التي تساير تطور معارف البشر، فقد تصلح لطور دون طور لذا فلا يجوز التمسك بالفهم القديم لأن هذه الآيات قابلة للتغيير لما يلائم العصر الجديد .

ثانيهما :

يعتبر « خان » القرآن مشتملا على حقائق أساسية هي المقصودة من الحديث ، ولكن هذه المعاني الأساسية تصاحبها معان ثانوية وفرعية مأخوذة من بيئة العرب وظروفهم ، ولا يعني ذكر القرآن لها أنها حقائق[4] وحجته في عدم

---

(١) انظر صحيح البخاري ٨ / ١٦١ كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة – باب ٢٦ كراهية الخلاف . وصحيح مسلم ٣ / ١٢٥٩ كتاب الوصية باب ٥ ترك الوصية لمن ليس له شيء يوصي فيه .

(٢) انظر مفهوم تجديد الدين صـ ١٢٣ – ١٢٤ .

(٣) سورة آل عمران : ٧ .

(٤) انظر مفهوم تجديد الدين صـ ١٢٥ (بتصرف) .

قبول الأحاديث النبوية كأساس لفهم الدين ؛ أن هذه الأحاديث بسبب عدم تدوينها في العهد النبوي – حسب زعمه – وأن التدوين تم في القرن الثاني الهجري الذي كان مضطربا بالصراعات السياسية والاختلافات الدينية مما سبب الوضع في الحديث النبوي الشريف كما أن كثيرا من هذه الأحاديث قد روي بالمعنى فهي تحمل فهم الراوي وليست هي كلمات الرسول – ﷺ – بعينها .

ثم زعم أن نقد الحديث كان للسند دون المتن لذا اقترح أن يطبق على الحديث مقاييس النقد العصرية دون تفصيل لهذه المقاييس وما قَبِله من الأحاديث فقد اعتبره قسمين :

قسم خاص بالأمور الدينية . وقسم خاص بالأمور الدنيوية .

فالقسم الأول هي الملزِمة دون الثانية ، ويستدل على هذا بقصة تأبير النخل وقوله – ﷺ – « أنتم أعلم بأمور دنياكم »[1] .

٢ – كان (سيد خان) يسخر من الذين يقولون إن كل شيء قد اكتمل على أيدي الفقهاء الأقدمين .

وكان يقول : [فمما ينافي العقل أن تكون الأحكام التي ذكروها صالحة لغير زمانهم كما أنهم بشر يخطئون . أما زماننا فحاجاته تختلف فلابد أن تعدل هذه الأحكام لتصبح مكيفة مع ظروفنا وحاجاتنا الحاضرة . ثم يقول نحن أتباع الإسلام لا أتباع زيد وعمرو] .

و « خان » لا يعترف بالإجماع كمصدر من مصادر التشريع الإسلامي فباب الاجتهاد عنده مفتوح لكل المسائل – طبعا حسب أسسه وقواعده الفكرية المنطلقة من التقرب بين الإسلام والغرب –.

أما سبب اتفاقهم فلا يعدو أن يكون ناتجا عن ظروف خاصة ؛ أما

---

(١) انظر صحيح مسلم ٤ / ٤٣ كتاب الفضائل حديث رقم (١٤١) ولكنه بدلا من أمور (أمر) .

الاختلاف في وجهات النظر في ظنه أنها طريق لتقدم الأمة[1] .

فمن الأمثلة على فقهه :

١ - في فقه العبادات كان منهجه أن يفسر ممارسات العبادة تفسيرا عقليا خالصا، فغسل الأعضاء في الوضوء نظافة ورمز للطهارة المعنوية، والقِبْلة- في نظره- كانت في مبدأ الأمر للتفريق بين أهل الكتاب والمسلمين ثم أصبحت تقليدا دائما . والصلاة القصد منها توجيه انتباه المرء لخالقه .. إلخ .

أما الجهاد عنده فهو يشرع فقط للدفاع عن النفس ، وفي حالة واحدة فقط هي اعتداء الكافرين على المسلمين من أجل حملهم على تغيير دينهم ، أما إذا كان الاعتداء من أجل أمر آخر مثل احتلال الأراضي وليس هدفه الدين ، فالجهاد غير مشروع (يقصد بذلك مسالمة الإنجليز) .

أما الربا عنده : هو الربح المركب الذي يدفعه الفقير مقابل دينه كما كانت العادة الشائعة عند العرب . أما الفائدة البسيطة في المعاملات التجارية المعاصرة والبنوك فليس ربا وليست حراما)[2] .

أما الميراث في نظره : هو المرتبة الثانية بعد الوصية التي توزع أولا حسب وصية الموصي بدون قيود ؛ وذلك لأنه لا يعترف بالأحاديث المقيدة لمقدار الوصية . أما تقسيم المال عن طريق نظام الإرث فهو للحالات التي لا توجد فيها وصية[3] .

أما قضية تعدد الزوجات : فإنه يعتبر الأصل في الزواج هو زواج الواحدة ، أما التعدد فهو حالة استثنائية . ويدل على هذا أن الله سبحانه ربط الزواج بالعدل وبما أن العدل غير مستطاع كما ذكر القرآن فلهذا لا يباح تعدد

---

(١) المرجع السابق صـ ١٢٦ .

(٢) مفهوم تجديد الدين - صـ ١٢٩ - ١٣٠ .

(٣) نفس المرجع صـ ١٣٠ .

الزوجات إلا في الحالات النادرة ، ويجب أن يقصر على الظروف الاستثنائية[١] .

أما الحدود ففي نظر « سيد خان » يرفض الأخذ بعقوبة الرجم للزاني بحجة عدم ذكره في القرآن الكريم . وأن الأحاديث على فرض صحتها فهي تحكي عادة شاعت في تلك الأيام تقليدا لليهود في رجم الزاني عندهم . أما الدية عنده : فهي عادة عربية قديمة لا تناسب العصر[٢] .

النتائج العملية لهذا المنهج :

وقد كانت نتيجة هذا المنهج في فهم الدين عند « خان » أن نادى بإعادة تأويل القرآن ، وتطويع مفاهيم الإسلام لموافقة قيم الغرب وآرائه بجرأة وصراحة .

وسألقي الضوء كذلك على فهم « خان » لبعض القضايا القرآنية وبعض القضايا العامة .

١ - كان فهم (سيد خان) (للألوهية) كما هي عند الفلاسفة أنها (العلة الأولى) والله خلق الكون والطبيعة ووضع لها قوانين ولكنه لا يتدخل في هذه القوانين بعد ذلك .

أما فهمه (للنبوة) أنها ملكة إنسانية وموهبة من الطبيعة واستعداد ينميه الفرد كما ينمي الشاعر مواهبه .

أما مفهوم (الوحي) عنده أنه ليس أمرا خارقا من خارج النفس البشرية ولكنه مرحلة عليا من مراحل الإدراك والإحساس والغريزة التي توجد عند كل إنسان حتى عند الحيوان والحشرات[٣] .

أما المعجزات عنده : فهي أمر ليس خارقا لقوانين الطبيعة بل المعجزة عنده حدث موافق لهذه القوانين ، ولكنه يظهر بمظهر الخارق أمام أعين الناس لأنه

---

(١) نفس المرجع صـ ١٣٠ .
(٢) نفس المرجع صـ ١٣٠ - ١٣١ .
(٣) نفس المرجع صـ ١٢٧ .

يخالف المجرى العادي للأمور .

ففي ضوء فهمه هذا للمعجزة فإنه يؤول معجزات الأنبياء الواردة في القرآن فقصة إبراهيم – عليه السلام – هي رؤيا منامية .

أما ضرب موسى – عليه السلام – البحر بعصاه ، فهو مشيه فيه لأنه كان مخاضة ضحلة . أما التقام الحوت ليونس – عليه السلام – فهو إمساكه إياه بضمه فقط لا بالبلع .

أما ميلاد عيسى – عليه السلام – فإنه لم يكن معجزة لأنه كان ميلادا طبيعيا من زواج مريم بالملك – عليهما السلام – ووصفها بإحصان الفرج فذاك وصف لطهارتها من دنس الرذيلة .

وعيسى – عليه السلام – توفي وفاة عادية ومات كبقية البشر و (رفعه) المقصود به رفع منزلته .

أما قصة خلق آدم فقد فسرها في ضَوْء نظرية دارون ، فالماء والطين تفاعلا كيمياويا .

فمما تقدم يظهر لنا بوضوح فكر « سيد خان » ومدرسته في فهم الإسلام عامة وكتاب رب العالمين خاصة ، وقد أفرزت هذه المدرسة عدة تلاميذ مخلصين لها ساروا على نفس النهج الذي رسمه لهم مؤسسها « سيد خان » .

المسألة الثالثة :

أشهر تلاميذ « السيد أحمد خان » والذين ساروا على خطه ومنهجه :

١ – شراغ علي :

صاحب كتاب (الإصلاحات السياسية والقانونية والاجتماعية المقترحة للأمبراطورية العثمانية والدول الإسلامية الأخرى)[١] .

---

(١) مفهوم تجديد الدين صـ ١٣٢ .

٢ - سيد أمير علي : (١٨٤٩ - ١٩٢٨) :

من أشهر كتبه (روح الإسلام) الذي وضعه باللغة الإنجليزية عام ١٩٢٢ م ، وهو كتاب دعوة للتحرر بالمفهوم العصري للمدرسة الهندية[١] .

٣ - مولانا محمد على :

وهو أحد أفراد طائفة القاديانية . والذي حاول في كتبه بتعديل الإسلام وفق الروح الغربية[٢] .

٤ - غلام أحمد برويز :

وهو من أشد منكري السنة النبوية وله طائفة مشهورة في باكستان[٣] لليوم هؤلاء هم أشهر تلاميذ « سيد خان » الذين ساروا على دربه واستناروا بفكره ، وحاولوا جهدهم في ترجمة أفكاره عملياً بالدعوة لها والتأليف فيها بين مصرح بإنكار السنة النبوية وبين داع للتحرر من أحكام الدين بدعوى مسايرة التطور الثقافي والحضاري الغربي إلى غير ذلك من الأفكار .

ولم يقتصر تأثير سيد خان على شبه القارة الهندية بل تعداها لكثير من بلاد العالم الإسلامي وعلى رأسها (مصر) التي حملت دعوته وفكرته بمدرسة المنار وسيظهر هذا جليا عند حديثي عن العصرية في مصر .

المسألة الرابعة :

جوانب الضعف في فكرة سيد أحمد خان :

أولا :

إن أحمد خان لم يفكر في إخضاع الثقافة الغربية للمجتمع الهندي

---

(١) نفس المرجع السابق صـ ١٣٣ .

(٢) نفس المرجع السابق صـ ١٣٤ .

(٣) نفس المرجع السابق صـ ١٣٥ .

الإسلامي ، بل استورد هذا النظام التعليمي من الغرب بتفاصيله وخصائصه وروحه وطبيعته ، واستورد حضارته التي تكتنفه ، وطالب بالتفاعل معها والاستفادة منها ولشدة تعلقه وتأثره بالحضارة الغربية وانبهاره بها اشترط أن يكون عميد جامعة عليكره ومدير الثانوية إنجليزيا وكذلك أن يكون فيهما عدد من المدرسين من الإنجليز وكان لهذا المسلك من « أحمدخان » . أثر على اتجاه المسلمين السياسي وقد اقترنت دعوة « أحمد خان » في القارة الهندية بالحضارة الغربية دون حاجة ماسة لذلك فأوجدت جيلا مثقفا إسلامي الاسم ، غربي التفكير ، إنجليزي الطراز ، مضطرب العقيدة في بعض الأحيان . وخلق مشكلة جديدة في بيوت المجتمع الهندي المسلم .

ثانيا :

تمسك « أحمد خان » في النظام التعليمي بتعليم اللغة والآداب فقط دون تعليم الفنون والعلوم التطبيقية العملية مع أنها هي ثمرة العلم الجديد اليانع ، وسر قوة الأمم الغربية وسيادتها[(1)] .

هذه الدعوة بسلبياتها الكثيرة لم تُتْرك دون اعتراض ونقد . فهذا الشاعر « السيد أكبر حسين الإله آبادي » قد شن عليها حربا لا هوادة فيها . وكذلك السيد محمد إقبال بن نور محمد الذي ما انفك ينتقد ويستعرض هذه الحضارة ومناهج تفكيرها الفاسدة في كتابه (تجديد الفكر الديني) .

هؤلاء الشباب قد لاحظوا جوانب الضعف الأساسية في المنهج التعليمي والحضارة الغربية وتركيبها ، والفساد الذي خالط اتجاهها المادي وثورة أصحابها على الديانات والقيم الخلقية والروحية عند نهضتها . لذا كان داعية للعودة للشريعة الإسلامية السمحاء والحضارة الإسلامية الغراء وداعية للتحرر من الحضارة الغربية وقيمها وأخلاقها .

---

(١) الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية صـ ٧٣ - ٧٥ .

وكان كذلك من بين الناقدين لهذه الفكرة الغربية الجماعة الإسلامية بقيادة أبي الأعلى المودودي مبينين زيف هذه الحضارة الغربية من الوجهة العلمية ، ومعارضين قيمها ومفاهيمها الغربية وأسسها الفلسفية المادية التي قامت عليها هذه الحضارة .

وكان أسلوب أبي الأعلى المودودي – رحمه الله تعالى – الهجوم على الخصوم ، لا الدفاع عن الإسلام الذي انتهجته دعوة (أحمد خان) في الهند ، ودعوة الشيخ محمد عبده وتلاميذه وجماعة الإخوان المسلمين في العالم العربي . فقد كان لهذه الجماعة فضل كبير في إضعاف سلطان الفكرة الغربية وهيمنتها على عقول الشباب ونفوسهم ، ومقاومة مركب النقص فيهم[1] وأبرزت قوة الإسلام الحقيقية وجعلت الشباب يظهرون إلى جانب التحدي بهذا الدين مما دفع الأعداء قاطبة أن يتنبهوا لهذه الجماعة ويخططوا لضربها بين الفينة والفينة .

المبحث الثاني :

المدرسة العصرية المصرية كما يراها « جولد تسيهر » :

المسألة الأولى :

اعتبر « جولد تسيهر » مدرسة الشيخ محمد عبده – كما سماها – رائدة العصرية في العالم العربي والمكملة لخط المدرسة العصرية الهندية .

فقد تعرض « جولد تسيهر » لمنهج الإمام محمد عبده في التفسير ثم تناول جوانب المنهج بشكل غير منتظم ، وبطريقة استطرادية دون وضع نقاط محددة يمكن أن يعتمد عليها في تحديد المنهج . مركزا على إظهار الناحية العصرية في هذه الدعوة ، وإبراز محاولات هذه المدرسة في إثبات عدم التعارض بين الإسلام وحقائق العلم .

فمن النقاط التي أشار لها « جولد تسيهر » في منهج مدرسة محمد عبده .

---

(١) المرجع السابق صـ ٧٣ – ٩٤ .

١ - محاربة البدع والمنكرات والتقليد الأعمى .

٢ - اعتبار هذه المدرسة داعية التجديد الديني الإسلامي في المنطقة .

٣ - إظهار جانب تأثير مؤسسها خلال منفاه بالفكر الأوربي من خلال الاتصال برجال الفكر هناك .

٤ - الدعوة لتحرير البلاد من الاستعمار الأجنبي .

٥ - تأثر هذه المدرسة بآراء ابن تيمية والغزالي .

٦ - اعتماد الطريقة الروحانية العمرانية التي تظهر أن منبع السعادة في القرآن الكريم .

٧ - تفسير القرآن تفسيرا موضوعيا يظهر جمال نظم القرآن الكريم .

٨ - إثبات هذه المدرسة أن القرآن لا يتعارض مع حقائق العلم وذكر بعض الأمثلة .

٩ - إثبات القرآن بأن النمو التاريخي والاجتماعي للأمم يسير بسنن ثابتة .

سأذكر بعض النقاط التي ذكرها « جولد تسيهر » خلال عرضه لمنهج مدرسة محمد عبده مركزا على النقاط السلبية في العرض فقط :

١ - زعم « جولد تسيهر » أن هذه المدرسة كانت تخالف طريقة النظر المأثورة لإثبات الوحدة الموضوعية .

٢ - محاولة إظهار الخلاف بين مدرسة التفسير القديمة ومدرسة الشيخ محمد عبده من ذلك ما ذكره .

دعواه أن محمد عبده يعتبر أن قيمة القرآن تزداد علوا بقلة التأثر بقوانين البلاغة في النظر إلى المترادفات .

والذي ينظر لنظرة « جولد تسيهر » لمدرسة الشيخ محمد عبده ودعوته

الإصلاحية يجدها لأول وهلة موضوعية ولكنها قاصرة ولا منهجية .

كما يلاحظ أن البحث عنوانه واسع ولكن المادة المطروحة تحته قاصرة ومحدودة .

وسأستعرض منهج هذه المدرسة الإصلاحية ذاكرا ما وافقنا فيه « جولد تسيهر » من الصواب .

وسأوضح ما غَمُض عليه أو لم يوضحه « جولد تسيهر » وسأذكر ما جانبت فيه هذه المدرسة الصواب .

المسألة الثانية :

المدرسة المصرية - والعصرية -:

الدعوة الإصلاحية في مصر :

كانت مصر منذ عهد محمد علي باشا وجلاء الفرنسيين ١٧٩٩ م المجال الثالث الرئيسي الذي ظهر فيه صراع الشرق والغرب الفكري والثقافي والحضاري في أبرز مظاهره وأقواها حيث بذرت الحملة الفرنسية بذورا عميقة في التربة المصرية والعقلية الإسلامية العربية . وكانت مصر بخصائصها الكثيرة التي لا يشاركها فيها أحد جديرة بأن تكون ملتقى يُتلقى فيه ما فاقت فيه أوربا بجهدها وكفاحها من العلوم التطبيقية والوسائل الحديثة .

من هذه الخصائص غناها باللغة العربية والعلوم الدينية ووسائل الطبع والنشر ، ووجود الأزهر فيها وأهليتها أن تكون في مركز ثقافي ديني متميز ولطبيعة الشعب من حيث التدين إلى غير ذلك من الخصائص .

ولكن الوضع الذي كانت تعيشه مصر تحت النفوذ الأجنبي والاحتلال البريطاني جعلها تتأخر عن مركز الزعامة والقيادة وساء على إثر ذلك وضع مصر في كل النواحي مما دفع دعاة الإصلاح بالتفكير أن يصلحوا من حال مصر وردها

لمكانتها الطبيعية[1] .

وكانت أول هذه المحاولات من الشيخ جمال الدين الأفغاني مؤسس حركة التجديد في مصر والذي كان من دعاة الوحدة الإسلامية ، وتحرير بلاد الإسلام من الاستعمار - كان له محاضرات في التفسير بأسلوب متسلسل حسب رأي « جولد تسيهر »[2] .

ولد جمال الدين الأفغاني في أسعد آباد في أفغانستان سنة ١٢٥٤ هـ ١٨٣٩ م واسمه محمد بن صغرد . أما جمال الدين فلقبه . ورجح الأستاذ عبد المجيد المحتسب في كتابه (اتجاهات التفسير في العصر الراهن) أنه كان إيرانيا شيعيا جعفري المذهب من مدينة أسد آباد بالقرب من همذان ، وأن بقية أسرته لا تزال في أسد آباد . وأن إخفائه لحقيقة أصله حتى يخفي تشيعه عن الناس في البلاد العثمانية التي تنقل فيها[3] .

طاف جمال الدين الأفغاني أنحاء العالم الإسلامي يدعو إلى اليقظة وإلى إصلاح الواقع المؤلم الذي كان فيه المسلمون فطورد من السلطات الاستعمارية ، وهوجم من قبل كثير من الجامدين وأعظم المراحل في حياته أثرا المرحلة التي قضاها في مصر حيث تتلمذ على يديه عدد من التلاميذ وحين التقى مع الشيخ محمد عبده في باريس وأصدرا جريدة العروة الوثقى .

وبحكم تنقل « الأفغاني » في كثير من بلدان العالم العربي والإسلامي والدولي فقد تأثر بالغرب وثقافته وتقدمه الحضاري والمادي . وقد ظهر اهتمامات جمال الدين الأفغاني بتفسير القرآن الكريم على أثر ما تعرض له « جمال الدين الأفغاني » من تفسير مجموعة من الآيات القرآنية التي نشرها في العروة الوثقى .

---

(١) الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية صـ ٩٤ وما بعدها .

(٢) مذاهب التفسير الإسلامي صـ ٣٤٨ وما بعدها .

(٣) اتجاهات التفسير في العصر الراهن صـ ١١٣ - ١١٤ ، وانظر جمال الدين الأفغاني - د / على عبد الحليم صـ ٣٣ وما بعدها .

وقد كان استخدامه لتفسير الآيات تلك لخدمة أغراضه السياسية . وقد ركز في مقالاته على ما يلهب مشاعر الناس ويدفعهم للتحرر والاقتناع بدعوته ، وأن يتضامنوا مع بعضهم تضامنا إسلاميا فقد طلب منهم التمسك بالقرآن وإلغاء العصبية وطرح التقاليد ، وإعمال الاجتهاد في فهم القرآن ، والملاءمة بينه وبين ظروف الحياة التي يعيش فيها المسلمون ، وطرح الخرافات والبدع التي غيرت من جوهر الإسلام ، والتي جعلته وسيلة سلبية في الحياة بدلا من كونه حقيقة واضحة ، وقوة إيجابية في السيطرة على الحياة وتوجيهها[1] .

والذي يطلع على حياة الشيخ جمال الدين الأفغاني يجده عقلية نابغة وشخصية قوية عرفت الغرب دراسة وسياحة وثقافة وسياسة ولكنها يكتنفها كثير من الغموض .

كان جمال الدين من الرجال المعدودين الذين يؤمل فيهم أن يقوموا لمواجهة حضارة الغرب وفلسفاته المادية ونقدها وصيانة الشرق من سيطرتها وسلطانها الفكري .. ومنعه من الانجراف الذي يسبب ضياع شخصية هذا المجتمع . لذا فقد أحدث نهضة علمية واجتماعية وسياسية وقد تأثر بدعوة الشيخ كثير من التلاميذ وكان أشدهم تأثرا بدعوته العلمية الشيخ « محمد عبده » وبدعوته السياسية مصطفى كمال ، وفريد وجدي ، وسعد زغلول ، وغيرهم[2] .

المسألة الثالثة :

فضل حركة السيد جمال الدين ومدرسته :

كان لجمال الدين الأفغاني دور لا يستهان بقيمته في رفع قيمة الدين والاعتماد على القرآن في عيون النشء الجديد ، وفي إعادة الثقة بصلاحية الإسلام لكل زمان ومكان إلى نفوس الشباب المثقف ، وحال – إلى حد – بين الطبقة

---

(١) لمحات في علوم القرآن – الصباغ صـ ٢١٦ – ٢١٨ ، وكتاب جمال الدين الأفغاني المصلح المفترى عليه ، د / محسن عبد الحميد صـ ٣٥ وما بعدها .

(٢) المدرسة العقلية الحديثة صـ ٨٤ .

المثقفة الذكية في مصر وغيرها ، وبين الإلحاد والثورة على الدين ، وكان له فضل في بقاء نفوذ الإسلام الفكري والعلمي في أوساط الطبقة المثقفة في العالم الإسلامي إلى غير ذلك من الأمور التي زرعتها دعوة جمال الدين الأفغاني في العالم الإسلامي عامة ومصر خاصة .

وكان من الأمور التي ركز عليها « الأفغاني » في دعوته تصحيح فهم المسلمين الخاطىء عن الإسلام كما ركز على رأب صدع المسلمين وجمع شملهم وتحقيق الوحدة بينهم . كما أنه قام بصد الهجوم الفكري الشامل الذي شنه المستعمرون ودوائرهم الثقافية على الإسلام وعقيدته ونبيه ورجال حضارته[1] .

المسألة الرابعة :

جمال الدين الأفغاني على خط الإمام محمد عبده :

أما الرجل الثاني الذي ركز عليه « جولد تسيهر » في فصله الأخير من المدرسة المصرية الشيخ محمد عبده تلميذ جمال الدين الأفغاني ووصفه بقوله : [وبعد الإذن لمحمد عبده بالعودة إلى مصر أكسبه استعداده ، وتبحره في علوم الدين والكلام مكانة رفيعة في المراتب الإسلامية فعين من جديد أستاذا بالأزهر وشيخا[2] لهذه المدرسة ومفتيا لوادي النيل وهذا الوصف ممثلا لأرفع مقام في الحياة الدينية العامة .. هذا التلميذ لجمال الدين ، هو الذي ينبغي عده المؤسس الحقيقي للتجديد الإسلامي الصادر عن مصر ..][3] .

ولد محمد عبده بن حسن خير الله في بحصة شبشير . وهي قرية من قرى المديرية الغربية سنة ١٢٦٥ هـ من القطر المصري .

---

(١) الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية صـ ٩٩ - ١٠٠ ، وجمال الدين الأفغاني المصلح المفترى عليه صـ ٤١ وما بعدها ، وجمال الدين الأفغاني - د / علي عبد الحليم صـ ٣١١ وما بعدها .

(٢) هذا وهم من المؤلف فلم يتول الشيخ محمد عبده مشيخة الأزهر وإنما كان عضوا في مجلس إدارته .

(٣) انظر مذاهب التفسير الإسلامي صـ ٣٥٠ .

ثم تلقى علومه في الجامع الأحمدي ، وفي الأزهر، وتأثر كثيرا بالشيخ الأفغاني حتى عمل مدرسا في الأزهر ، ودار العلوم ومدرسة الألسن ، واشتغل في الصحافة ، حيث كان يذيع آراءه الإصلاحية ونُفي من مصر بعد إخفاق الثورة العرابية سنة ١٢٩٩ هـ فذهب إلى بيروت ثم إلى باريس التي أصدر منها مع شيخه جمال الدين الأفغاني جريدة « العروة الوثقى » التي عطلت بأمر من الحكومة الفرنسية بعد أن صدر منها (١٨) عددا . ولما عاد إلى مصر سنة ١٣٠٦ هـ تولى منصب القضاء ، ثم جعل مستشارا في محكمة الاستئناف ثم شغل منصب مفتي الديار المصرية سنة ١٣١٧ هـ وبقي فيه إلى آخر حياته ، توفي بالسرطان سنة ١٣٢٣ هـ / ١٩٠٥ م[١] .

كان الشيخ محمد عبده - رحمه الله - يستلهم هدى القرآن لإرشاد المسلمين ، وإصلاحهم في كافة جوانب حياتهم وكان ذلك ما عرف بالتفسير الإصلاحي الاجتماعي .

والذي يتفحص كتاباته يجد الشيخ ملما بالأوضاع الاجتماعية العامة والاتجاهات الفكرية المختلفة ، ومشاركا في العلوم الأساسية التي تقوم عليها الحضارة الحديثة ، ومدركا لخصوم الإسلام ومخططاتهم .

تركزت دعوة الشيخ الفكرية في أمرين .

١ - تحرير الفكر من قيد التقليد ، وكان يدعو إلى استئناف الاجتهاد وفهم الدين على طريقة سلف الأمة وبالرجوع إلى الينابيع الأولى .

٢ - إصلاح اللغة العربية .

أما دعوته من الناحية السياسية فقد تركزت في أمرين كذلك :

١ - كان يدعو الأمة إلى معرفة حقها على حاكمها ، وأن عليها النصح للحاكم .

---

(١) لمحات في علوم القرآن - الصباغ صـ ٢١٨ ، وكتاب الإمام محمد عبده ومنهجه في التفسير د / عبد الغفار عبد الرحيم صـ ١٩ وما بعدها .

٢ - كان يدعو الأمة إلى مقاومة الاستعمار ، ومعارضة النفوذ الأجنبي في العالم الإسلامي .

أما دعوته الإصلاحية فكانت كذلك في جوانب متعددة منها :

دعا إلى إصلاح التعليم والأزهر ، وإلى نبذ الفرقة ، والاجتماع ، وترك التعصب المذهبي ، وترك البدع ، وبناء الحياة على أساس الإسلام . ودعا إلى قيام الأمة بالنصح للحاكم وإلى أن تعمل على التحرر من سلطان الاستعمار الغربي[1] .

منهجه في التفسير :

حرص الشيخ محمد عبده أن ينقي تفسير القرآن الكريم من الإسرائيليات والأحاديث الموضوعة والخرافات ، والاستطرادات النحوية ونكت المعاني ، ومصطلحات البيان ، وجدل المتكلمين ، وتخريجات المتصوفين وتعصب الفرق ، وكثرة الروايات والعلوم الرياضية والطبيعية .

ولكن لما شعر أن هذا يحتاج إلى أموال وعلماء وزمن ، رأى أن يبقيه على حاله لما فيه من نفائس وأن يضع نموذجا في التفسير يحتذيه معاصروه ومن بعدهم . فاقترح عليه تلميذه الشيخ محمد رشيد رضا أن يقرأ درسا في التفسير فاستجاب له ففسر للآية (١٢٥) من سورة النساء في خمسة مجلدات وكانت طريقته التوسع فيما أغفله أو قصر فيه المفسرون ، واختصار ما برزوا فيه ويتوكأ في ذلك على عبارة تفسير الجلالين . فكان يقرأ عبارته فينقدها أو يقرها ثم يتكلم بما يفتح الله عليه لطلبة الجمعية الخيرية الإسلامية[2] .

من أهم آثاره في التفسير :

١ - تفسير جزء عم .

٢ - تفسير سورة العصر حيث ألقاها على علماء مدينة الجزائر ووجهائها

---

(١) لمحات في علوم القرآن صـ ٢١٩ - ٢٢٠ وانظر كتاب الإمام محمد عبده ومنهجه في التفسير صـ ٦٥ .
(٢) المدرسة العقلية في التفسير صـ ١٤٣ - ١٤٤ .

سنة ١٣٢١ هـ .

٣ - بحوث تفسيرية كان ينشرها هنا وهناك بطريقة التفسير الموضوعي .

٤ - تفسير المنار من أول القرآن الكريم إلى آية (١٢٦) من سورة النساء . وهذا الأخير مصوغ بأسلوب السيد محمد رشيد رضا الذي كان يحضر الدروس ثم يكتبها بلغته ويدفعها إلى المطبعة ويطلع عليها الأستاذ الإمام بعد جمع الحروف وقبل الطبع[1] .

المسألة الخامسة :

منهج الإمام محمد عبده في التفسير في نقاط :

١ - الاتجاه إلى التفسير الموضوعي والوحدة الموضوعية للسورة .

٢ - عدم تحكيم قوانين البلاغة في النسق القرآني والأخذ منها ومن القواعد النحوية على قدر الضرورة والحاجة فحسب .

٣ - إثبات عدم وجود تعارض بين القرآن والعلم .

٤ - المطالبة من القرآن بدراسة الظواهر الكونية والطبيعية والصناعية .

٥ - الهجوم العنيف على التقليد والخرافة والدعوة إلى احترام العقل .

٦ - استخراجه لبعض نظريات علمية بفهم جديد في القرآن .

٧ - لا يبيح لنفسه تعدي حدود الفهم على أساس الوحي خاصة فيما وراء الحس .

٨ - الإسلام هو دين العقل ، والشريعة هي مصدر الخير والصلاح الاجتماعي وتكرار حملته على الساكتين من العلماء عن الإصلاح .

٩ - جعل القرآن أصلا للعقائد لا العكس .

---

(١) لمحات في علوم القرآن صـ ٢٢٠ - ٢٢١ .

١٠ – التنفير من الإسرائيليات وعدم السماح لتفسير القرآن بها .

١١ – عدم إغفال الوقائع التاريخية في سير الدعوة إلى الإسلام : عند تفسير الآيات التي نزلت فيها .

١٢ – إخضاع حوادث الحياة القائمة في وقته لنصوص القرآن الكريم إما بالتوسع في معنى النص أو بحمل الشبيه على الشبيه[(١)] .

المسألة السادسة :

دعوة الشيخ محمد عبده في الميزان :

كثير الذين تناولوا الشيخ محمد عبده (١٢٢٦ – ١٣٢٣ هـ) (١٨٤٩ م – ١٩٠٥ هـ) بالدراسة والنقد والتمحيص لآرائه وأفكاره وقد بلغت إصلاحاته وآراؤه من الدفاع عن الإسلام ، وإصلاح مناهج التعليم وغيرهما من الشهرة والذيوع بما يغني عن الدخول في تفصيلاتها وتكرارها . ولكن الذي يهمنا هنا الاتجاهات العصرية عند الشيخ محمد عبده والتي ظهرت في كتاباته ، وبالأخص في تفسيره لبعض الآيات القرآنية ، وفي بعض فتاويه مما جعل بعض الباحثين يقرنونها بمدرسة سيد أحمد خان في الهند ؛ لأنها تشابه في بعض نواحيها مدرسة سيد أحمد خان في الهند حتى إن تلميذه رشيد رضا لا يخفي إعجابه بمقالة نشرتها في ذلك الوقت جريدة الرياض الهندية عنوانها : (هل ولد السيد أحمد خان ثانية بمصر وظهرت جريدته تهذيب الأخلاق بشكل المنار)[(٢)] .

ولقد أشار لهذا التشابه بين المدرستين اللورد كرومر في كتابه مصر الحديثة حيث يقول : [إن محمد عبده كان مؤسسا لمدرسة فكرية حديثة في مصر ، قريبة الشبه من تلك التي أسسها السيد أحمد خان في الهند (مؤسس جامعة عليكرة) ثم يقول : إن أهمية السياسة ترجع إلى أنه يقوم بتقريب الهوة التي تفصل بين

---

(١) الإمام محمد عبده ومنهجه في التفسير صـ ١٨٩ وما بعدها (الفصل الثامن) .

(٢) مفهوم تجديد الدين صـ ١٤٢ .

الغربي وبين المسلمين وأنه هو وتلاميذ مدرسته خليقون بأن يقدم لهم كل ما يمكن من العون والتشجيع فهم الحلفاء الطبيعيون للمصلح الأوربي] .

ويقول نيومان في كتابه (بريطانيا العظمى) عن الشيخ محمد عبده وتلاميذه [وكان برنامجهم فوق ذلك يشجع التعاون مع الأجانب لإدخال الحضارة الغربية إلى مصر وهذا هو ما جعل كرومر يحصر فيهم أمله الوحيد في قيام الوطنية المصرية .. وتعيين سعد زغلول باشا وزارة المعارف][1] .

وقد ظهرت هذه النزعة العصرية في دعوته كثيرا :

ففي منهجه لتفسير القرآن الكريم تتجلى نزعته لتفسير القرآن الكريم تفسيرا يتناسب مع المعارف الغربية السائدة في العصر الحديث مستخدما تحكيم العقل في ذلك .

من الأمثلة المشهورة عنه في ذلك تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **وأرسل عليهم طيرا أبابيل . ترميهم بحجارة من سجيل** ﴾[2] بأنها جراثيم الجدري أو الحصبة يحملها نوع من الذباب أو البعوض[3] .

وتفسيره لقوله تعالى : ﴿ **ومن شر النفاثات في العقد** ﴾[4] قال : المراد هنا « النمامون المقطعون لروابط الألفة » .

لأن السحرة المشعوذين يزعمون أنهم يقطعون الأواصر حتى بين المرء وزوجه بسحرهم .

وقد اضطره هذا التفسير إلى إنكاره أن يكون السحر حقيقة ملموسة ، بل هو عنده نوع من الأساليب الماكرة ، وضروب من الحيل الخفية ، ويؤول

---

(١) الصراع بين الفكرة الغربية والفكرة الإسلامية صـ ٩٩ .

(٢) سورة الفيل : ٣ - ٤ .

(٣) التفسير بين الماضي والحاضر صـ ٢٩ .

(٤) سورة الفلق : ٤ .

ما جاء في القرآن عن السحر بأنه من قبيل التمثيل . ويرد الأحاديث الصحيحة فيه[1] .

كما فسر بعض المعجزات والآيات كذلك تفسيرا مجازيا حتى يخضعها لقانون الأسباب والمسببات .

فمثلا ذكر أن الملائكة قوى ترشد إلى الخير وتهتف به في نفس الإنسان وأوّل سجود الملائكة بخضوعها وامتثالها لأمر الله .

وذكر أن معصية آدم حين أكل من الشجرة رمز لقدرته على فعل الخير والشر . وقد برر الأستاذ « سيد قطب » هذا التأويل العقلي من الإمام محمد عبده أنه كان بسبب هجمات المستشرقيين المتكررة على الإسلام وادعائهم أنه دين خرافة فحاول الإمام من أجل ذلك أن يفسر القرآن تفسيرا عقليا مقبولا لهم ولكنه لم يوافقه على هذه التأويلات المخالفة للعقل والنقل ومقتضيات اللغة العربية[2] .

أما بالنسبة لفتاوى الإمام محمد عبده فقد لازم فيها جانب التأويل كذلك لم لا يتلاءم مع روح الحضارة الغربية .

فمن ذلك : أحل الإمام إيداع الأموال في صندوق التوفير وأخذ الفائدة عليها – أما تعدد الزوجات فله فيه موقف حيث قال : بعد تحدثه عن تاريخ التعدد عند الشعوب الأخرى ، وعند العرب قبل الإسلام : إن الإسلام خفف من العادة العربية في الإكثار من الزوجات وأنه وقف عند الأربع نسوة رحمة بالنساء من ظلم الجاهلية . لذا فهويرى أن الآن الظروف والملابسات السائدة في المجتمع ، ولاستحالة العدل بين النساء فلابد من منع تعدد الزوجات ، إلا في حالات استثنائية يقررها القاضي[3] .

---

(١) التفسير والمفسرون ٢ / ٥٧٢ – ٥٧٣ .

(٢) التفسير بين الماضي والحاضر د / عبد الله شحاته – دار الاعتصام صـ ٢٨ – ٢٩ .

(٣) مفهوم تجديد الدين صـ ١٤٣ .

وهكذا يظهر ملامح المنهج العصري وموافقته المدرسة العصرية في الهند لموافقة الحياة الغربية من صرف القرآن الكريم عن معانيه الظاهرة أحيانا بحجة أنها تمثيل وتصوير ورده للسنة الصحيحة أحيانا لمعارضتها ما يظن أنه علوم العصر ، واستخدام المنهج التاريخي لمعالجة قضايا وأحكام الشريعة وربطها بظروف وملابسات مؤقتة . وإذا كانت هذه النزعات عند الشيخ محمد عبده ضعيفة ومصغرة ربما كان ذلك يعود لثقافته الأزهرية إلا أنها ظهرت واضحة قوية في تلاميذه وممن حملوا أفكار هذه المدرسة وتأثروا بها فيما بعد .

وسأذكر بعد قليل بعض هؤلاء التلاميذ باختصار الذين حملوا هذه الأفكار وصرحوا بالدعوة لها .

المسألة السابعة :

خلاصة القول في دعوة الشيخ محمد عبده :

١ - أن الاتجاه الذي تزعمه الشيخ محمد عبده في نهاية القرن التاسع عشر وأوائل العشرين ظهر بين نزعتين : غربية وإسلامية ومحاولة التوفيق بينهما وهذا الاتجاه عرضه لسخط المتفرنجين والداعين بدعوة الإسلام كليهما .

٢ - اتخذ محمد عبده تفسير القرآن الكريم أساسا لنزعته الإصلاحية إصلاح المجتمع والتجديد الديني التي تأثرت بمفاهيم الفكر الغربي .

٣ - يمثل اتجاه الشيخ محمد عبده في تفسير القرآن الكريم مرحلة الدفاع عن الإسلام وكأنه في قفص الاتهام . يلاحظ هذا في كتابيه (الإسلام والرد على منتقديه) وكتاب (الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية) .

٤ - علاقاته المريبة باللورد كرومر والمستشرقيين ورجال الفكر الغربي ويدعم هذه النقطة عدة نقاط منها .

أنه كان يعظم بحوثهم ، وثناؤه على سياسة الإنجليز في التسامح والعدل وفي فتوى من فتاواه أجاز لأهل الهند من المسلمين أخذ القوانين الإنجليزية والخضوع

لأحكام القضاء الإنجليزي .

٥ - تنقسم حياة الشيخ محمد عبده الفكرية والسياسية إلى قسمين :

القسم الأول :

تأثره الكامل بجمال الدين الأفغاني وكان في هذه الفترة يدعو للتأمل والتفكر .

القسم الثاني :

بعد عودته لمصر من منفاه عمل في ظل صداقته بالبريطانيين كرومر والمستر بلنت .

٦ - رفع سلطان العقل في فهمه للقرآن وفي التحسين والتقبيح تأثرا بالمعتزلة .

٧ - إنكاره للسحر وبعض الأحاديث الصحيحة ، وجعله الملائكة قوى لا تعقل ، أباحته لربا الفضل ، وإنكاره تعدد الزوجات للمصريين .. إلخ[١] .

المسألة الثامنة :

محمد رشيد رضا على خط من سبقه .

أما الرجل الثالث الذي ذكره « جولد تسيهر » في هذا الفصل[٢] « السيد محمد رشيد رضا » .

ولد السيد محمد رشيد بن علي رضا في القلمون وهي قرية بجانب طرابلس الشام سنة ١٢٨٢ هـ / ١٨٦٥ م .

تلقى علومه الأولية في بلاد الشام ، ثم رحل إلى مصر سنة ١٣١٥ هـ واتصل بالشيخ محمد عبده ، وأصدر مجلة المنار التي كتب فيها تفسير المنار . توفي فجأة

---

(١) اتجاهات التفسير في العصر الراهن صـ ١٠٩ وما بعدها .
(٢) مذاهب التفسير الإسلامي ٣٥١ وما بعدها .

في مصر سنة ١٣٥٤ هـ / ١٩٣٥ م[1] .

مقدار ما تركه السيد محمد رشيد رضا في التفسير :

كأن ما تركه محمد رشيد رضا في التفسير أكبر من المقدار الذي تركه شيخه محمد عبده حيث فسر القرآن الكريم من أوله إلى ما يقرب من آخر سورة يوسف ، أي أكثر من (١٣) جزءا من القرآن كما فسر سورة الكوثر والكافرون والإخلاص والمعوذتين[2] .

ملاحظات حول تفسير المنار :

١ - القسم الأول من أول القرآن الكريم إلى الآية ١٢٦ من سورة النساء ليس له فيها إلا الصياغة أما الأفكار والمعاني فللأستاذ الإمام .

٢ - كان يعني بتفسير القرآن بالقرآن إن وجد وتفسير القرآن بالسنة ثم بعد ذلك يستعمل عقله المتحرر من كل ما قاله المفسرون .

٣ - عرض ما جاء في القرآن بأسلوب يرشد الناس لما فيه سعادتهم في الدارين الدنيا والآخرة .

٤ - تبع في منهجه في التفسير منهج شيخه محمد عبده ولكنه بعد وفاة شيخه واستقلاله بالعمل خالف هذا المنهج بالتوسع فيما يتعلق بالآية من السنة الصحيحة سواء كان تفسيرا لها أو في حكمها ، وفي تحقيق بعض المفردات أو الجمل اللغوية . والمسائل الخلافية بين العلماء ، وفي الإكثار من شواهد الآيات في السور المختلفة ، وفي بعض الاستطرادات لتحقيق مسائل تشتد حاجة المسلمين إليها بما يثبتهم بهداية دينهم في هذا العصر أو يقوي حجتهم على خصومهم من الكفار والمبتدعة ، أو يحل بعض المشكلات التي يحتاجون لحلها ، كما كان كثير الرد على المفسرين ، وقد يكون عنيفا في رده أحيانا وكان يتصدى بنفسه لكثير

---

(١) لمحات في علوم القرآن صـ ٢٢٣ .

(٢) نفس المرجع صـ ٢٢٤ .

من الآراء المنحرفة التي تتصدى للإسلام[1] .

المآخذ على الرجل في تفسيره :

الاعتداد الزائد بعلمه الذي يجاوز الحد . مما دعاه لمخالفة العلماء في عدد من القضايا . ونقله من الإنجيل على الرغم مما يعرف عنه من إنكار رواية الإسرائيليات ، ومهاجمته المفسرين الذين يتساهلون في هذا الموضوع بعنف شديد[2] .

وقد أفرزت هذه المدرسة عدة رجال اهتموا بعلم التفسير كالشيخ محمد مصطفى المراغي ، وأحمد مصطفى المراغي ، وعبد العزيز جاويش ، وغيرهم .

هذا ماجعل المستشرقين وعلى رأسهم « جولد تسيهر » يهتمون بهذه الحركات الإصلاحية ويربطون بين المدرستين الهندية والمصرية لما فيهما من أفكار تلائم دعواتهم وتحقق أهدافهم ولما فيهما من انحرافات توافق ما ينسبونه للإسلام من افتراءات وادعاءات .

كما أن هذه الحركات الإصلاحية أفرزت اتجاهات إلحادية في التفسير أهدرت دلائل القرآن والسنة .

المسألة التاسعة :

ذكر بعض تلاميذ هذه المدرسة :

لاشك أن فكر الشيخ محمد عبده وشيخه من قبله جمال الدين الأفغاني والخط العصري الذي رسموه للإسلام خلال حياتهم وبعد مماتهم كان له كثير من الأنصار والتلاميذ والذين صرحوا بانحرافاتهم الفكرية في كثير من مقالاتهم ومؤلفاتهم أو في بحوث أو محاضرات لهم ، أو في مؤتمرات إلى غير ذلك من الوسائل التي صرحوا فيها بأفكارهم .

---

(١) لمحات في علوم القرآن صـ ٢٢٤ وما بعدها .

(٢) لمحات في علوم القرآن صـ ٢٢٥ .

وسأذكر بعض هؤلاء التلاميذ باختصار :

١ - قاسم أمين (١٨٦٣ - ١٩٠٨ م) :

الذي نذر حياته لقضية المرأة والدعوة لسفورها وتحررها من كل قيد وضعه عليها الدين ، وطالبها أن تقتدي في حياتها بالمرأة الغربية وقد بث أفكاره هذه في كتابيه (تحرير المرأة) و (المرأة الجديدة)[١] .

٢ - علي عبد الرزاق :

الذي كان أثرا من آثار النزعة الحرة لمدرسة الشيخ محمد عبده الذي تزعم الدعوة لفصل الدين عن الدولة في كتابه (الإسلام) وأصول الحكم) والذي كان صدوره في سنة ١٩٢٥ م بعد عام واحد فقط من إلغاء الخلافة الإسلامية في تركيا . وقد حوكم صاحب الكتاب وصودر كتابه[٢] .

٣ - محمد فتحى عثمان :

وهو صاحب نظرية التطور وقابلية الإسلام والمسلمين لها وكتابه الذي طرح فيه أفكاره لهذه القضية (الفكر الإسلامي والتطور)[٣] .

٤ - محمود الشرقاوي :

دعا لما دعا إليه السابق من عدم معارضة الدين للتطور وأشاد في كتابه الذي بث فيه أفكاره (التطور روح الشريعة الإسلامية) بمؤسس العصرية في الهند « سيد أحمد خان » وتلميذه « أمير علي » واعتبرهما من أصحاب الفهم الواسع للشريعة الإسلامية[٤] .

---

(١) مفهوم تجديد الدين صـ ١٤٣ - ١٤٤ .

(٢) انظر الفكر الإسلامي الحديث - د / محمد البهي صـ ٢٦٥ ، ومفهوم تجديد الدين صـ ١٤٧ .

(٣) مفهوم تجديد الدين صـ ١٦١ .

(٤) المرجع السابق صـ ١٧٠ .

٥ - أمين الخولي :

وهو من دعاة التجديد في كل شيء حتى في الأديان وظهرت أفكاره هذه في كتابه (المجددون)[(١)] .

ففي هذه المجموعة من التلاميذ كفاية ويظهر لنا جليا من خلال هذا الموجز الحدود العامة والخطوط الرئيسية التي التقي عليها العصريون في مصر ومقدار صلتهم بالحركة الأم للعصرية (حركة سيد خان في الهند) .

المسألة العاشرة :

تعليق على بعض الأخطاء في المدرسة العصرية :

من الأخطاء الجسيمة التي وقعت فيها (مدرسة العصرية) الأخطاء العقدية . وأكثر دعاة هذه المدرسة لم تكن عندهم الجرأة في الإفصاح عن عقائدهم في هذا الجانب ولم نجد تصريحا بهذه الآراء إلا من سيد أحمد خان الذي قدم منهجا متكاملا في العقائد الإسلامية اهتم بمنهجه أصحاب الدراسات الإسلامية المعاصرة وخاصة المستشرقون .

ففهمه للألوهية كما فهمتها الفلاسفة هي العلة الغائية وأن الله سبحانه خلق الكون والطبيعة ووضع لها قوانين ولكنه لا يتدخل في هذه القوانين بعد ذلك .

ثم عالج قضايا الوحي والنبوة والمعجزات والملائكة والجن .. إلخ . معالجة مادية بإنكارها أو تأويلها .. إلخ .

١ - فالمعلوم لدى المسلمين الذين منّ الله عليهم بصحة الاعتقاد أن الله سبحانه له أسماء وصفات تليق بمقامه سبحانه وهي من أمور الغيب والتي لا نعلم كنهها ولا كيفيتها، إنما نؤمن بها كما بلغتنا منه سبحانه أو حسب بيانها من رسوله - ﷺ - .

---

(١) المرجع السابق صـ ١٦٢ .

قال أبو عمر بن عبد البر : [أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة ، والإيمان بها وحملها على الحقيقة لا على المجاز ، إلا أنهم لايكيفون شيئا من ذلك ، ولا يجدون فيه صفة محصورة ، وأما أهل البدع من الجهمية والمعتزلة والخوارج فينكرونها ولايحملونها على الحقيقة ، ويزعمون أن من أقر بها مشبه وهم عند من أقر نافون للمعبود لا مثبتون ..][1] .

٢ - كلنا نؤمن يقينا أن الله خلق هذا الكون وما فيه من نواميس وقوانيين ولم يتخل عنه لحظة ولم يتركه إلى القوانين الطبيعية العمياء تتحكم فيه . بل سيره بقانون من قوانينه تتحكم به سلطة مهيمنة وقوة تسير الأشياء وفقه . والذي خلق هذا الكون ونواميسه هو الذي يدبر هذا الكون كيف شاء بهذه النواميس والقوانين أو بغيرها قال تعالى : ﴿ **إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا** ﴾[2] ويسمي الله نفسه (القيوم) لأنه القائم بتدبير خلقه .

٣ - بناء على ما سبق تقريره أن هذا الكون وما فيه من قوانين طبيعية وسنن اجتماعية هي من خلق الله تعالى وتدبيره فما يكون من خرق لسنّة من السنن ، أو قانون من القوانين التي تعارف عليها الناس فهو بأمره سبحانه وتعالى وليس بمستغرب ، ولكن يكون خلقها بأي صورة من الصور أمرا خرافيا أسطوريا كما يتصور العصريون بما أثره عليهم التصور المادي الإلحادي وألجأهم لإنكار المعجزات والخوارق مؤولين لها بتأويلات مختلفة .

وهذا الانحراف قديم وسبب ظهوره بين المسلمين تأثرهم بالفلسفة اليونانية المادية البحتة[3] .

٤ - تسبب عن النظرة المادية في المدرسة العصرانية تأويل كثير من الغيبيات مثل : النبوة على أنها ملكة إنسانية . والوحي حاسة سادسة في البشر

---

(١) فتاوى الإمام ابن تيمية ٥ / ١٩٨ .

(٢) سورة فاطر : (٤١) .

(٣) مفهوم تجديد الدين صـ ٢٢٥ - ٢٢٨ .

ومرحلة عليا من العبقرية . الملائكة قوى الخير في النفس . والشياطين الإغراءات النفسية الشريرة . وحمل النعيم والعذاب على إشارات رمزية ، وغير ذلك من هذه التخيلات التي امتلأت بها كتب المتفلسفة من المسلمين . وبعثت حية في هذا العصر باسم التجديد .

فهذه القضايا لا تُثبَت كما ظن المجددون بالحس والتجربة ، وإنما بالخبر الصادق عن طريق الأنبياء[1] .

المسألة الحادية عشرة :

موقف العصريين من السنة النبوية المطهرة :

موقف العصريين متفاوت باتجاه السنة المطهرة فمنهم من يردها جملة ومنهم من يرد بعضها إذا عارض أفكارهم مرددين حججا واهية رددها الخوارج والشيعة والمعتزلة في القديم وأحياها المستشرقون حاليا وعلى رأسهم « غاستون وايت » ، والمبشرون وتلاميذهم من العصريين في عصرنا الحاضر وعلى رأسهم « أحمد أمين » في كتابه (فجر الإسلام) والدكتور أحمد عبد المنعم البهي وغيرهما فمن افتراءاتهم على السنة :

١ - تأخر كتابة الحديث وتدوينه للعصر الثاني الهجري وهو عصر الاضطرابات السياسية مما أكثر الوضع في الحديث وقلل الثقة فيه والاعتماد عليه .

٢ - زعمهم بأن المحدثين اهتموا بنقد سند الحديث دون متنه .

٣ - زعمهم أن بعض الأحاديث تناقض القرآن الكريم أو تناقض بعضها بعضا ، أو تناقض العقل والتجربة والعلوم البشرية ، أو تناقض حقائق التاريخ الثابتة .

٤ - زعم أن أحاديث الآحاد لا تقوم بها حجة . ومن أجل إظهار قوة

---

(١) نفس المرجع صـ ٢٢٩ (بتصرف) .

اعتراضهم وضع العصريون قواعد عصرية لنقد الحديث ولبيان المقبول منه على ضوئها . ولم يذكروها كاملة ، إلا أن (سيد خان) أشار لبعضها[1] .

هذه الافتراءات والإشكالات التي أوردوها على السنة المطهرة قد رد عليها في كتب متخصصة قديمة وحديثة . بينت تفاهة هذه الاعتراضات والشبه التي أوردوها وسلامة السنة من كل ما افتروه فيرجع إليها ، ولأنها خارج خطة بحثي هذا لم أذكرها ، من هذه الكتب :

- كتاب السنة ومكانتها من التشريع الإسلامي لمصطفى السباعي .

- وتدريب الراوي للسيوطي .

- عناية المحدثين بمتن الحديث كعنايتهم بإسناده والرد على شبهات المستشرقين وأتباعهم لأستاذي الدكتور محمود الطحان .

المسألة الثانية عشرة :

ملاحظات على عمل « جولد تسيهر » في هذا الفصل :

١ - حاول « جولد تسيهر » إلصاق تهمة المذهبية لمدرسة المنار . مع أن المطلع على منهج هذه المدرسة في التفسير يجده بعيدا كل البعد عن المذهبية . بل إن هذه المدرسة كانت قد نبذت المذهبية ودعت للعودة لمنهج السلف في فهمهم لهذا الدين بالرجوع لأصله ومصدره الأصيل (الكتاب والسنة) .

٢ - قصور بحث « جولد تسيهر » على اللون الاجتماعي من التفسير دون الإشارة للاتجاه العلمي في التفسير ، أو الأدبي ، أو البياني مع وجود كل هذه الألوان من التفسير .

٣ - الاقتصار في البحث على مدرستي الهند ومصر في التفسير دون غيرهما من المدارس المنتشرة في كثير من أقطار العالم الإسلامي .

---

(١) مفهوم تجديد الدين صـ ٢٣٤ وما بعدها .

٤ – تركيز « جولد تسيهر » على جانب معين وزاوية ضيقة في مدرسة المنار وهو جانب العصرية وإبرازه جليا وتغاضيه عن بقية الزوايا التي ركزت عليها هذه المدرسة .

٥ – سيره في البحث بطريقة لامنهجية .

المبحث الثالث :

« ج. جومييه » ودراسته لكتاب الجواهر :

أحب أن أنوه على موقف مستشرق آخر من مدرسة المنار كان أكثر اعتدالا في بحثه وهو المستشرق الفرنسي « ج. جومييه » .

كان « جومييه » من المهتمين بالدراسات الإسلامية وقد تركزت دراسته على تفسيري المنار والجواهر .

فبعد موت صاحب المنار بثلاث سنوات في سنة ١٩٤٣ م واكتمال تفسيره الموسوعي اثنا عشر جزءا كبيرا ، برزت العناية بدراسة حركة التفسير في العصر الحديث مرة أخرى لدى المستشرقين وكان من أبرز المهتمين بذلك المستشرق ، « ج. جومييه » الذي نشر دراسته عن تفسير المنار في باريس ١٩٥٤ م بعد أن انقطع على دراسته (١١) عاما .

كما نشر بالمديو بحثا عن « طنطاوي جوهري » وتفسيره « الجواهر » كان يرى « جومييه » أن مصر بقيت مشدودة للماضي حتى في الجانب العقدي مقيسا المجتمع الإسلامي على المجتمع الغربي وظانا أنه صورة مكررة له[(١)] .

كان « جومييه » يرى أن تفسير مدرسة المنار والتفاسير التي عاصرته لم يتجه أي منها إلى استخدام وسائل النقد الحديثة في التفسير بل اتجه أصحابها بمنهجهم السلفي في النقد الخارجي ثم دعموه بإشارات مقتضبة من التحليل الداخلي

(١) اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم في مصر صـ ٨٤ – ٨٥

للنص فهو إذن استمداد لأعمال السابقين من أمثال الطبري والزمخشري وغيرهما ، واستبعد أن تنجح المناهج التقليدية السلفية والموروثة عن القدماء بعد أن تناولتها أيدي المحدثين في تقديم نتائج حديثة تماما وهي التي ظلت (١٤) قرنا من الزمان ثابتة لاتتغير[١] .

كما أكد « جومييه » أن مدرسة المنار أكدت على تقدير القرآن للعقل والحث على التأمل والنظر .

كما اعتبرت مدرسة المنار التاريخ والسنن الاجتماعية من أهم المسائل التي يجب الاستفادة منها وأن تجعل في خدمة التفسير .

دافع « جومييه » عن تفسير المنار برد التهمة التي وجهها إليه بعض المستشرقين أمثال « جولد تسيهر » من أن هذه المدرسة انغمست في التفسير العلمي ثم ذكر « جومييه » موقف أصحاب هذه المدرسة من قضية الاجتهاد والسلفية فكانت دراسة « جومييه » أكثر نضوجا وصوابا من دراسة « جولد تسيهر » الفجة اللامنهجية خاصة في بحثه في الفصل الأخير من كتابه (مذاهب التفسير الإسلامي)[٢] .

ملاحظات على دراسة « جومييه » :

أثار « جومييه » عدة قضايا عريضة تتعلق بهذا التفسير وتتطلب تفصيلا طويلا ، ولكنه مسها مسا خفيفا ، واكتفى في ذكرها بمجرد العرض .. ولكنه أتى بهذا العرض مصبوغا ببعض الأفكار والأغراض الذاتية التي تنأى عنها أمانة البحث وهذه بعض النقاط التي بينها « جومييه » .

١ - بين « جومييه » أن طريقة طنطاوي في تفسيره كانت باتباع الخطة القديمة ، ولكنه لم يكن يتتبع النص كلمة كلمة وآية آية كما كانوا يفعلون حيث

---

(١) نفس المرجع صـ ٨٦ .

(٢) نفس المرجع صـ ٨٩ - ٩٠ .

كانت طريقتهم تقسيم السورة لأجزاء متعددة كبيرة كان يتناولها جزءاً بعد جزء[1] .

وهذه النقطة لم يصب فيها « جومييه » لأن طنطاوياً كان بعد كتابة مجموعة من الآيات يتتبعها آية آية وكلمة كلمة .

٢ - اعتبر « جومييه » أن تفسير الجواهر لم يعد أن يكون انطباعات حيوية للمؤلف تجاه ما يتناوله النص القرآني من أسرار الكون ، وهذا ليس بصحيح كذلك ، لأن موضوع التفسير العلمي قضية قديمة مختلف فيها فمن بين من كان يراها ويؤيدها الإمام الغزالي ، والإمام السيوطي - رحمهما الله تعالى - اللذان اعتبراه لونا آخر من ألوان التفسير وطريقا للإعجاز العلمي . وقد تجلى هذا اللون من الإعجاز أخيرا على يد بعض المهتمين بالدراسات القرآنية كالشيخ عبد المجيد الزنداني - وفقه الله وغيره - .

٣ - حاول « جومييه » بالتقليل من أهمية هذا التفسير بتشكيكه في مصادره حيث جعل منها مصادر ذات أساطير ، أو انحرافات عقدية كرسائل إخوان الصفا وكتاب ألف ليلة وليلة .. إلخ[2] .

كلمة في الكتاب :

الذي ينظر في كتاب الشيخ طنطاوي جوهري يجد أنه حوى كثيرا من الفوائد ، وأخذ عليه كثير من المآخذ .

فالكتاب لم يغفل جانب التفسير للآيات القرآنية فإنه كان يفسر الآيات تفسيرا لفظيا مختصرا صحيحا ، وكان يعرض في كتابه لكثير من المباحث العلمية ليثبت للناس وعلى رأسهم علماء الغرب أن الإسلام بكتابه العظيم سبق المدارس العلمية الحديثة في كثير من قضايا العلم . وياليته مس هذا الموضوع مسا خفيفا كما فعل ذلك الأستاذ سيد قطب - رحمه الله - في كتابه العظيم (في ظلال

(١) نفس المرجع صـ ٩٠ - ٩١ .
(٢) نفس المرجع صـ ٩٣ وما بعدها .

القرآن) لكان بلغ المراد والغاية من تأليف هذا الكتاب . ولكن الشيخ « طنطاوي » -رحمه الله - استطرد في هذا الجانب حتى أخرج الكتاب عن الغرض الذي أحببنا أن يحققه وخاصة أنه زوده بالرسوم والصور التي تنافي قدسية القرآن العظيم حتى لكأنك تظن أنك مع كتاب علوم لا كتاب تفسير فكان هذا الأمر أكبر مأخذ على هذا الكتاب وكذلك تبني الشيخ « طنطاوي » لبعض النظريات العلمية القابلة للتغيير يجعل الناس يشككون في مقدار صحة هذا القرآن العظيم ، والقرآن منزه عن ذلك .

المبحث الرابع :

تفسير القرآن الكريم في العصر الحديث :

في نظر « ج. بالجون » :

في سنة ١٩٦١ نشر في ليدن بانجلترا كتاب المستشرق « ج. بالجون » وفيه تحدث عن حركة التفسير - في العصر الحديث خلال المدة بين عامي ١٨٨٠ - ١٩٦٠ م . فتتبع أكثر الجهود الجديدة في التفسير في أغلب البلاد الإسلامية كمصر والهند وباكستان وإيران .

ويبدو من هذا أن المؤلف لم يأل جهدا في سبيل الاطلاع على مصادر التفسير الحديثة حيثما وجدت فاستعان بتفاسير كتبت بالأوردية والفارسية والعربية . ومع هذا فهو يأسف كثيرا لعدم تمكنه من الاطلاع على تفاسير كتبت بالتركية لعلها تمثل - في نظره - أهمية خاصة في تصوير الطابع العام لحركة التفسير في العصر الحديث[1] .

وقد اعتبر « بالجون » في كتابه أن شاه ولي الله ١٧٠٣ - ١٧٦٣ م كان رائد التفسير الإسلامي بالمعنى الصحيح لاستجابته للظروف الجديدة متفاعلا معها .

---

(١) اتجاهات التجديد في تفسير القرآن صـ ٩٥ .

فلسعة عمل الباحث ولسعة الرقعة الزمانية والمكانية جاء عمله فجا غير نضيج حيث قصر بحثه من الإنتاج المصري على كتاب (الفن القصصي في القرآن الكريم) .

لذا اضطر المؤلف إزاء هذا التناول المجمل أن يكتفي بالوقوف عند كليات عامة لا تمثل حركة التفسير تمثيلا دقيقا ، أو جزئيات خاصة قد تستنكرها بيئة أخرى استنكارا تاما .

أما اهتمام كل من « بالجون » و « جومييه » بهذا الكتاب لاستفادة صاحبه من علم النفس الحديث ، وذلك لتأثره بالثقافة الغربية .

كما أظهر « بالجون » إعجابه بمقال الدكتور « كامل حسين » واعتبره من الممثلين لنهضة التفسير في مصر .

لذا جاء حكمه على النهضة التفسيرية في مصر قاصرة لحصره دراسته في هذين المؤلفين مع أن التفاسير المؤلفة في عصره كانت كثيرة .

ومع هذا فقد كانت نظرته مع قصورها أكثر صوابا من « جولد تسيهر » عندما اعتبر أن الدافع الأساسي لتفسير النص القرآني وألوانه لإيجاد مستند لهم في كل ما يجدّ من أحداث في الحقيقة القرآنية .

وهذا المنهج دفع المؤلف للوقوع في عدة أخطاء منها :

١ – زعم « بالجون » أن المسلمين كلما ازدادوا اتصالا بالحضارة الأجنبية ازدادوا حاجة في إعادة النظر في كتابهم المقدس فكان نتيجة هذا التأثر أن أصبحت الأمة الإسلامية متباينة في عقيدتها ومختلفة في وحدتها[1] .

٢ – يرى « بالجون » أن خطة التفسير العصري ومناهجه الابتعاد عن الإسرائيليات اكتفاء منهم بتفسير القرآن بطريقة قدماء المفسرين وهو تفسير القرآن بالقرآن .

(١) اتجاهات التجديد في تفسير القرآن صـ ٩٧ – ٩٨ .

وقد حاول « بالجون » أن يضع اتجاهات التفسير الحديثة بين خيارين إما الطريقة القديمة وهي بالتمسك بالقديم والعقيدة الواحدة وهنا سيكون التفسير مجرد ترداد للقديم واجترار للماضي فهو جامد ومتخلف ولا جديد فيه .

وإما أخذ بمبادىء الحضارة الغربية والاستجابة لنداء النهضة الحديثة والإيمان بأساطيرها ونظرياتها وفلسفاتها فيكون نتيجة لذلك فساد في القيم وتباين في العقائد واضطراب في النصوص القرآنية وهذا هو ما يريدونه ويدعون إليه باسم الإسلام العصري بمفهومهم للتجديد .

وقد زعم « بالجون » أن الإسلام وحده هو الذي عنده القابلية للسير في هذا الطريق لطبيعته اللينة أما الكتب السابقة فهي ثابتة لا تتغير ودائمة مع طول السنين التي مرت عليها وهذا مخالف لما عرفنا من الكتب السابقة حيث تعرضت لنفس المطلب لإصلاح الناس ومسايرة علومهم ومعارفهم لروح العصر[(١)] .

أما التفسير الحديث فليس كما زعم « بالجون » جامدا لا جديد فيه بل حمل في طياته روح الابتكار ، وركز على جانب الهداية الربانية التي من أجلها أرسل الرسل فلبس التفسير ثوبا أدبيا اجتماعيا جميلا أظهر روعة القرآن وكشف عن مراميه الدقيقة وأهدافه السامية ووفق بين القرآن والنظريات العلمية بحذر بالغ فمن أجل هذا حذفت الاستطرادات التي تصرف النص عن غايته[(٢)] واقتصر على الضروري منه مع مراعاة مستوى القارىء لتستفيد منه كل الفئات[(٣)] .

المبحث الخامس :

موقف الغرب من العصرية في العالم الإسلامي :

يرقب الغرب الإسلام بعيون كثيرة ، ولدوافع وأهداف متعددة منها :

---

(١) نفس المرجع صـ ٩٩ .

(٢) نفس المرجع صـ ١٠٤ .

(٣) اتجاه التفسير في العصر الحديث – محمد الطير صـ ٢٨ .

العداء الديني التاريخي ، ومنها المصالح الغربية الحيوية في العالم الإسلامي والخوف من منافس يزيل سيادة الغرب عن المنطقة .

فمن أجل هذا أو غيره فإن الغرب يرصد كل حركة في العالم الإسلامي فإن كانت لصالحه وخدمة لأهدافه باركها وشجعها ودعمها ، أما إن كانت حربا على مصالحه وأهدافه في المنطقة ، وجه كل طاقاته لإبادتها في مهدها ، وذلك بتوجيه أزلامه في المنطقة لضربها وسحقها .

فحركة التجديد الإسلامي مثلا بلا شك أنها وقعت منه موقع القبول والرضا لذا باركها ورعاها ومكن لأصحابها فسأذكر الموقف من العصرية في العالم الإسلامي من خلال ثلاثة مناظير هي : التبشير والاستشراق والإعلام .

أما موقف التبشير من العصرية فقد بينه « هاري درمان » في كتابه الذي ألف لبيان خطة التبشير على ضوء دراسة الاتجاهات المعاصرة في الجدل بين الإسلام والنصرانية واهتمام التبشير بتجديد الإسلام وإصلاحه من داخله .

يقول المؤلف : « يتوقع من المبشرين في الأقطار الإسلامية في ظرف عدة أعوام أن تثمر جهودهم في تجديد الإسلام وتطويره ، أكثر من تطوير عقلية المسلمين وتغييرهم .. » .

ويدعو الكاتب المبشرين إلى تدعيم صلات التعاون مع حركات التجديد الإسلامي متى كان الظرف مواتيا ومناسبا لما يمكن أن تؤديه من خدمة للتبشير[1] .

وكان نفس هذا الاتجاه قد برز في مؤتمر المبشرين في أول هذا القرن الذي انعقد في القاهرة سنة (١٩٠٦) موضوع (الإسلام الجديد) .

وأبدى حماسه لحركات الإصلاح الدينية مثل حركة « سيد أحمد خان »

---

(١) الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية صـ ١٩٢ ، ومفهوم تجديد الدين صـ ١٨٣ – ١٨٤ .

في الهند والشيخ « محمد عبده » في مصر فقد جاء في وثائق المؤتمر [أن حركة التحرر في الإسلام لم تتطور هنا في مصر كما هي الحال في الهند ، ولا يزال المسلمون هنا بعيدين بدرجة كبيرة عن الإسلام الجديد الذي نما في الهند ، ولكن مع ذلك فإنه قد بدأت تنشأ في مصر حركة إصلاح تزداد أهميتها كل يوم ، والذي يقود هذه الحركة هو المفتي الأكبر السابق « محمد عبده » الذي يدعو إلى العودة إلى القرآن مع عدم قبول الحديث كحجة في مسائل العقيدة ، ويقال : إن له تأثيرا في صغار المشايخ والأفندية ، إلا أن المشايخ كبار السن ينظرون له بعين الشك .. وبالرغم من كل شيء فقد ترك آثارا ويوجد الآن كثير من الشباب ممن تلقوا تعليما غربيا يحملون آراءه ويطورونها .. ولكن أهلية وذكاء أمثال هؤلاء الرجال الجدد تجعلنا نتحقق من ضرورة رعايتهم ، رعاية شاملة ومخصوصة مع جهد ومثابرة متواصلة للاتفاق معهم][1] .

أما موقف الاستشراق من العصرية :

ينظر الاستشراق لهذه الحركة نظرة تفاؤل كنظرة المبشرين لها ويحاول الاستشراق بكل جهده دفع المسلمين للسير في هذا الاتجاه وقبوله وخير من يبين موقفهم من هذه الحركة المستشرق اليهودي « جولد تسيهر » في كتابيه (العقيدة والشريعة في الإسلام) و (مذاهب التفسير الإسلامي) في الفصل الأخير لكل منهما .

حيث قال في كتابه (العقيدة والشريعة في الإسلام) :

[إن اتصال المسلمين الوثيق بالمدنية الغربية ، وخضوع الملايين الفقيرة منهم لدول غير إسلامية ، .. قد أحدث أثراً عميقا في الطبقات الإسلامية المستنيرة ...من حيث التوفيق بالتوفيق بين الحياة والفكر الإسلامي ، وبين مطالب الحضارة الغربية التي نفذت إليهما ، شايعها على الأخص المستنيرون من مسلمي

(١) مفهوم تجديد الدين صـ ١٨٤ – ١٨٥ .

الهند ، وعضدوا نشاطها الاجتماعي والأدبي ، وساهموا في جهودها الخصبة المنتجة ، فالسيد « أمير علي » والسيد « سيد أحمد خان بهادر » وأضرابهما من الشخصيات البارزة في الأخذ في العالم الإسلامي ، كانوا قادة هذه الحركة الروحية التي تومي إلى إحياء الإسلام وإعادة تنظيمه .. وهذه الروح العصرية التي بدأ ظهورها في الهند قد أثرت في التفكير الديني في البلاد الإسلامية الأخرى مصحوبة بغيرها من المؤثرات ، ومع ذلك فالأثر الهندي لا يزال ضعيفا إلى اليوم ومن البلاد الإسلامية التي تأثرت بنزعة التجديد مصر وتونس ، والجزائر ، والأقطار التتارية الخاضعة للحكم الروسي][1] .

وقد بين « جولد تسيهر » الطريقة التي يتطور بها الإسلام .

١ - بفتح ثغرة في قدسية القرآن الكريم وحصن السنة المنيع في نفوس المسلمين .

٢ - تجاوز ما تقرر في عصور الإسلام الأولى من عادات وتقاليد .

٣ - مفهوم المصلحة الذي به يمكن التخلي عن القواعد التي قررتها الشريعة إذا ما ثبت أن مصلحة الجماعة تتطلب حكما يغاير حكم الشرع .

٤ - تبعية الأحكام للأحوال التي بها يمكن اتخاذ أحكام جديدة في الظروف التي تتغير[2] .

وقد أخذ هذا الموضوع كذلك جانب الاهتمام في التأليف من قبل هؤلاء الغربيين وتلاميذهم حيث كان منهم :

١ - « جب » صاحب كتاب (الاتجاهات الحديثة في الإسلام) .

والكتاب بكامله عن موضوع التجديد العصراني في الإسلام . فقد اعتمد الكتاب على الأسلوب التحليلي ، والكتاب عبارة عن ست محاضرات ألقاها المؤلف

---

(١) نفس المرجع صـ ١٨٥ - ١٨٦ .

(٢) نفس المرجع صـ ١٨٦ - ١٨٧ (بتصرف) .

في جامعة شيكاغو في عام ١٩٤٦ م ضمن برنامج محاضرات عن الأديان المقارنة .

٢ - « تشارلز آدمز » وكتابه بعنوان (الإسلام والتجديد في مصر) .

وهو أسبق من كتاب « جب » حيث ظهر في عام ١٩٣٣ م .

٣ - « ويد فريد كانتول سميث » وكتابه (الإسلام المعاصر في الهند) نشر ١٩٤٣ م .

أما موقف الإعلام الغربي من العصرانية .

فلم يقل دوره عن دور الكتب .

فمثلا نشرت مجلة الأيكونوميست البريطانية في يناير ١٩٨١ م مقالا بعنوان (المسلمون والعالم المعاصر) لـ« جودفري جانس » والموضوع يعالج قضية الصراع بين الإسلام والغرب .

ونقاط الاتفاق والخلاف بينهما وإلى أي مدي تجاوب الإسلام مع الحضارة الغربية[1] .

وهكذا نرى مقدار اهتمام الغرب بموضوع العصرانية ومقدار ما عقدوا عليها من آمال في تحقيق أغراضهم . مما يدعونا للوقوف بحذر أمام دعاتها في عالمنا الإسلامي اليوم .

---

(١) نفس المرجع صـ ١٩٣ - وما بعدها .

الخاتمـــــة

من خلال هذه الدراسة توصلت لعدة نتائج منها ضخامة الإنتاج الاستشراقي والدعم المادي الهائل له من قبل الحكومات الغربية ممثلة بالمؤسسات التبشيرية والمراكز العلمية وعلى رأسها الجامعات الغربية . وبالمقابل عدم الالتفات لهذا النتاج الاستشراقي من قبل المسلمين وخاصة مؤسساتهم التعليمية والمراكز الإسلامية ، لذا نجد هذه الكتب الاستشراقية لم تترجم من لغاتها إلى اللغة العربية وهي أكبر مشكلة تواجه علماء المسلمين إذا أرادوا التصدي لها والرد عليها .

وهذا الجهد الذي قمت به جهد متواضع وخاصة أنه جهد فردي لذا والأمر على هذه الضخامة فإنه يحتاج منا لتضافر الجهود من قبل الحكومات الإسلامية ممثلة في المؤسسات والمراكز العلمية والدعوية فيها ؛ لوضع حد للحملات الدعائية ضد الإسلام العظيم والقادمة من الغرب باسم التبشير تارة والاستشراق تارة أخرى ، وغير ذلك من المسميات . فيقومون برصدها واستيعاب نتاج هذه الحركات ثم نقده نقدا علميا صحيحا ودحض ما يتضمنه من تهافت وزيف .

ولي بعض المقترحات أحب أن أذكرها وأنا أعرف أنه سبقني للدعوة لبعضها أساتذة فضلاء غيورون على الإسلام ولكني أذكرها من باب الذكرى فحسب :

١ - إن الجهد الفردي لأعجز من أن يقف أمام مد الهجوم الاستشراقي على الإسلام ، فالأمر إذن يتطلب أن تكون هناك كليات خاصة ملحقة بالجامعات الإسلامية تتابع هذه الحركة ونتاجها وترصدها وترد عليها ، على غرار الأقسام الموجودة في جامعات الغرب لرصد الإسلام ككلية الدراسات الآسيوية الأفريقية

في جامعة لندن التي ترصد كل ما في الشرق من عقائد وشرائع وفكر وحركات .. إلخ .

وجدير بالذكر أن جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية قد أحسنت صنعا حين فتحت قسما خاصا بالاستشراق في المعهد العالي للدعوة الإسلامية بالمدينة المنورة .

وآمل أن تزيد جامعتنا الموقرة في دعمها لهذا القسم بالمال والعلماء وأن تزوده بكل نتائج الغرب عن الإسلام قديما وحديثا ليتمكن من القيام بواجبه تجاه هذه الحركة الخطيرة .

كما وآمل أن تحذو جامعات أخرى حذوها في فتح أقسام خاصة لرصد حركة التبشير والاستشراق ونتاجهما العلمي الذي يغلب عليه العداء للإسلام العظيم عامة والقرآن الكريم خاصة .

٢ - إقامة مؤسسة علمية عالمية إسلامية محايدة لا تنتمي بالولاء لأي قطر ، يرصد لها الأموال الكافية لتغطية نفقاتها ، وعليها أن تستقطب كبار العلماء والمفكرين في العالم الإسلامي على غرار الحركات الاستشراقية .

فتقوم بإصدار الكتب والموسوعات والنشرات والدوريات عن الإسلام وترجمات معاني القرآن الكريم للغات العالمية رادين فيها على شبهات المستشرقين والمبشرين وافتراءاتهم ، ومقدمين الإسلام بطريقة سهلة واضحة ما يجعله يصل لقلوب أبناء العالم الغربي .

كما أنه يطلب من هذه الحركة إرسال الدعاة للعالم الغربي لعرض عقائد الإسلام وتشريعاته وفكره بما يتلاءم مع عظمته كدين عالمي . وعليهم مناقشة هؤلاء المستشرقين وبيان عوار أفكارهم وتصوراتهم عن الإسلام .

كما أن على عاتق هذه المؤسسات تنقية تراثنا الإسلامي مما دخله على أيدي لعابثين وأصحاب النوايا السيئة في شتى الفنون ، لأن هذا التراث كان الركيزة كفكر هؤلاء المستشرقين وأبحاثهم .

٣ – كما أنه يلزم إرسال الأساتذة الدعاة للجامعات الغربية لإلقاء المحاضرات والندوات ولقاءات التحاور لتوضيح الفكرة الإسلامية ناصعة محفوظة من التشويه للعالم الغربي .

٤ – تعديل مناهج التعليم في الدول الإسلامية لتكون بعيدة عن الروح الغربية ، وصياغتها بما يلائم روح الإسلام وعقيدته وشريعته .

٥ – عقد مؤتمرات إسلامية سنوية للمفكرين والعلماء والدعاة من المسلمين لمتابعة المستجدات في الحركة الإسلامية ، فيضعوا الخطط الكفيلة برد مد هذه الحركة ، ووضع الردود المناسبة للجديد من شبهاتها .

وهذا المطلب على غرار مؤتمرات المستشرقين المتتابعة . والجدير بالذكر أنه قد عقد في السنوات الأخيرة مؤتمر استشراقي خاص بالقرآن وتفسيره وذلك في جامعة كلكاوي في كندا .

٦ – جعل المراكز الإسلامية في العالم الغربي تقوم بواجباتها باتجاه المد الاستشراقي وذلك برصد مقالاتهم وكتاباتهم وتزويدنا بها . ثم تشجيع المفكرين والعلماء المسلمين بالرد عليها ثم ترجمة الردود باللغات الغربية ونشرها هناك عن طريق هذه المراكز . أو عن طريق شراء صحيفة ومجلة أو غيرها من وسائل الإعلام لتقوم بنشر هذه الردود .

٧ – إقامة دورات للمبتعثين لديار الغرب للتخصصات الضرورية لتحصينهم من أفكار المستشرقين ودسائسهم ، ثم متابعتهم في دول الابتعاث بعقد لقاءات مستمرة لهم . ويجب تعريفهم بواجبهم تجاه دينهم الإسلامي .

وقد كانت المملكة العربية السعودية رائدة في هذا المجال حيث كلفت جامعة الإمام للقيام بمثل هذه اللقاءات والدورات للمبتعثين لديار الغرب .

ونأمل أن تستمر هذه الفكرة وأن تعمّ بلاد المسلمين .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الفهـــارس

فهـرس الآيات القرآنيـة

بحسب ترتيب السـور في القـرآن الكـريم

سورة آل عمران

سورة النساء

سورة المائدة

سورة الأنعام

سورة الأعراف

سورة الأنفال

سورة التوبة

سورة يونس

سورة هود

سورة يوسف

سورة الرعد

سورة إبراهيم

سورة الحجر

سورة مريم

سورة طه

سورة الأنبياء

سورة الحج

سورة القصص

سورة العنكبوت

سورة الروم

سورة الأحزاب

سورة سبأ

سورة فاطر

سورة يس

سورة الصافات

سورة ص

سورة فصلت

سورة الشورى

سورة الزخرف

سورة الجاثية

سورة محمد

سورة الذاريات

سورة الطور

سورة النجم

سورة القمر

سورة الواقعة

سورة الحديد

سورة الحشر

سورة الصف

سورة التحريم

سورة الملك

سورة الحاقة

سورة المعارج

سورة المزمل

سورة المدثر

سورة القيامة

سورة النبأ

سورة النازعات

سورة التكوير

سورة الطارق

سورة الأعلى

سورة الفجر

سورة القدر

سورة البينة

سورة التين

سورة الفيل

سورة الماعون

سورة الكافرون

سورة المسد

سورة الفلق

سورة الناس

فهـــرس الأحـاديـث والآثـار

فهـــرس الأبيـات الشـعرية في

المتن والحاشــية بحسب حـرف القافـــية

إذا أكلوا لحمي وفرت لحومهم وإن هدموا مجدي بنيت لهم مجدا	المقنع الكندي	٦٧٧
وإن ضيعوا عهدي حفظت عهودهم وإن هم هووا غيي هويت لهم رشدا	المقنع الكندي	٦٧٧
يارب إني ناشد محمـــدا وحلف أبينا وأبيه الأتلـــدا	عمرو بن سالم	٦٤٩
كنت لنا وكنا ولـــدا ثمت أسلمنا فلن ننزع يـــدا	عمرو بن سالم	٦٤٩
فانصر هداك الله نصرا أعتدا وادع عباد الله يأتوا مـددا	عمرو بن سالم	٦٤٩
فيهم رسول الله قـــد تجردا أبيض مثل الشمس ينمو صعدا	عمرو بن سالم	٦٤٩
إن سيم خسفا وجهه تربـدا في فيلق كالبحر يجري مزبدا	عمرو بن سالم	٦٤٩
إن قريشا أخلفوك الموعـــدا ونـقضوا ميثـاقك المؤكـــدا	عمرو بن سالم	٦٤٩
وزعموا أن لست تدعو أحدا وهـــم أذل وأقـــل عـــددا	عمرو بن سالم	٦٤٩
هـم بيتونـا بـالحطيم هجــدا وقتلونـا ركعـــا وسجـــــدا	عمرو بن سالم	٦٤٩
أما تـرى الحبـل بتكـــراره في الصخرة الصماء قد أثـرا	عمرو بن سالم	٦٨٠
ويوم موعدهم أن يحشروا زمرا يوم التغابن إذ لا ينفع الحذر	أمية بـــن أبي الصلت	٢٥٦

أيرجو بنو مروان سمعي وطاعتي			
	وقومــي تميم والفـــلاة ورائي	سوار بن المضرب السعدي	٦٧٣
عند ذي العرش يعرضون عليــه			
	يعلــم الجهـر والكـلام الخفيــا	أمية بن أبي الصلت	٢٥٩
يوم نأتيه وهو رب رحيـــم			
	إنـــه كان وعـــده مأتيـــا	أمية بن أبي الصلت	٢٥٩
يوم نأتيه مثل ما قال فــردا			
	لم يذر فيه راشدا وغويــا	أمية بن أبي الصلت	٢٥٩
أسعـد سعـادة أنــا أرجـــو			
	أم مهــان بما كسبت شيئــا	أمية بن أبي الصلت	٢٥٩
رب كلا حتمته واردا للنــار			
	كتابـــا حتمتــــه مقضيـــا	أمية بن أبي الصلت	٢٥٩
أليس ورائي أن أدب على العصــا			
	فتأمن أعــداء وتسأمني أهلـــي	أمية بن أبي الصلت	٦٧٣
ألا يا أسلمي ثم أسلمي ثم أسلمي			
	....	أمية بن أبي الصلت	٦٧٧

فهـرس الأعـــلام

حرف الباء

حرف الثاء

حرف الجيم

حرف الحاء

حرف الخاء

حرف الدال

حرف الذال

حرف الراء

حرف الزاي

حرف السين

حرف الشين

حرف الصاد

حرف الضاد

حرف الطاء

حرف العين

حرف الغين

حرف الفاء

حرف القاف

حرف الكاف

حرف اللام

حرف الميم

حرف النون

حرف الهاء

حرف الواو

حرف الياء

الكنـــى والألقـــاب

فهــرس المصــادر والمــراجع

كتب العقائد والمذاهب الأخرى

١ - أدلة اليقين في الرد على كتاب ميزان الحق وغيره من مطاعن المبشرين في الإسلام .
د . عبد الرحمن الجزائري - مطبعة الإرشاد - ط ١ - لسنة ١٣٥٣ هـ / ١٩٣٤ م .

٢ - الأديان في القرآن .
د . محمود بن شريف - شركة مكتبات عكاظ - السعودية - ط ٥ - لسنة ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م .

٣ - إظهار الحق .
للشيخ رحمت الله الهندي - تحقيق د . أحمد حجازي - طبعة دار التراث العربي - مصر .

٤ - إنجيل برنابا وإشارة تأليه عيسى عليه السلام من قبل موسى .
تحقيق سيف الله أحمد فاضل - طبعة دار القلم - الكويت - ط ١ - لسنة ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣ م .

٥ - الإنسان في ظل الأديان والمعتقدات والأديان القديمة .
د . عمارة نجيب - طبعة مكتبة المعارف - الرياض - لسنة ١٤٠٠ هـ / ١٩٧٩ م .

٦ - بولس وتأثيره في المسيحية .
رسالة مقدمة لقسم العقيدة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية من قبل الطالب وهيب البكري - لسنة ١٤٠٥ هـ / ١٤٠٦ هـ .

٧ - بين الإسلام والمسيحية .
لأبي عبيدة الخزرجي - تحقيق د . محمد شامية - مكتبة وهبة - مصر لسنة ١٩٧٢ م .

٨ - تبيين كذب المفترى عليه .
لابن عساكر - طبعة التوفيق - دمشق .

٩ - تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب .
للشيخ عبد الله الترجمان - تحقيق محمد بن عبد الله البريدي - رسالة علمية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .

١٠ - تعريف بمذهب الشيعة الإمامية .
د . محمد أحمد التركماني - طبعة دار عمار - عمان - سنة ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م .

١١ - حقيقة الجن والشياطين .
محمد السيد أبي - دار الحارث - السودان - لسنة ١٩٨٧ م .

١٢ - الديانات المصرية القديمة .
يارو سلاف تشربي - ترجمة أحمد قدري - سلسلة الثقافة - هيئة الآثار المصرية - مصر - لسنة ١٩٥٢ م .

١٣ - دلائل النبوة .
لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي - طبعة دار الكتب العلمية - بيروت ط ١ - لسنة ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م .

١٤ - رفع عيسى عليه السلام ونزوله آخر الزمان .
رسالة جامعية مقدمة لقسم العقيدة في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية للطالب عبد العزيز كجك - لسنة ١٤٠١ هـ / ١٤٠٢ هـ .

١٥ - الصابئون حرائيين ومندائيين .
رشدي عليان - مطبعة دار السلام - بغداد - لسنة ١٩٧٦ م .

١٦ - عالم الجن في ضوء الكتاب والسنة .
عبد الكريم عبيدات - طبعة دار ابن تيمية الرياض .

١٧ - الفرق بين الفرق .
عبد القاهر البغدادي - منشورات دار الآفاق الجديدة - بيروت - ط ١ - لسنة ١٩٧٨ م .
١٨ - الفصل في الملل والأهواء والنحل .
للإمام ابن حزم الظاهري الأندلسي - مكتبة السلام العالمية .
١٩ - الفكر الإسلامي في الرد على النصارى .
٢٠ - الكتاب المقدس
طبعة دار الكتاب المقدس في العالم العربي - لسنة ١٩٨٠ م .
٢١ - الله (في نشأة العقيدة الإلهية) .
كتاب تأليف الأستاذ عباس محمود العقاد - دار المعارف - القاهرة .
٢٢ - مختصر التحفة الاثني عشرية .
لشاه عبد العزيز علام حكيم الدهلوي - اختصار السيد محمود شكري الألوسي .
٢٣ - مريم والمسيح .
محمد متولي شعراوي .
٢٤ - المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل .
د . عبد الكريم الخطيب - دار الكتب الحديثة - ط ١ - لسنة ١٣٨٥ هـ .
٢٥ - المسيح في مصادر العقائد المسيحية .
للمهندس أحمد عبد الوهاب - نشر مكتبة وهبة - مصر - ط ١ لسنة ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م .
٢٦ - مصادر الإسلام .
كلير تسدال - طبعة الهند .
٢٧ - معركة الوجود بين القرآن والتلمود .
د . عبد الستار فتح الله السعيد - مكتبة المنار - ط ٢ - لسنة ١٤٠٢ هـ .

٢٨ - مقالة في الإسلام .
جرجيس سال - طبعة سنة ١٨٩١ م .
٢٩ - الملل والنحل .
للشهرستاني - مكتبة السلام العالمية .
٣٠ - المناظرة الكبرى بين الشيخ رحمت الله ود . قسيس فندر :
دار ابن تيمية - الرياض - ط ١ - لعام ١٤٠٥ هـ .
٣١ - الموجز في تاريخ الصابئة .
عبد الفتاح الزهيري ومزيد المنصور - أركان بغداد - لسنة ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م .
٣٢ - ميلاد عيسى عليه السلام .
مسعود الغامدي - رسالة جامعية مقدمة لقسم العقيدة بجامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية .
٣٣ - النبوة والأنبياء في ضوء القرآن .
لأبي الحسن الندوي - طبعة دار القلم - دمشق .
٣٤ - النبوة والأنبياء في اليهودية والمسيحية والإسلامية .
أحمد عبد الوهاب - مكتبة وهبة لسنة ١٤٠٠ هـ / ١٩٧٩ م .
٣٥ - نزول عيسى ابن مريم آخر الزمان .
٣٦ - اليهودية .
د . أحمد شلبي - نشر مكتبة النهضة المصرية - القاهرة - ط ٧ لسنة ١٩٨٤ م .

كتب التفسير وعلوم القرآن

٣٧ - اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم في مصر .
د . محمود الشريف - دار التراث - القاهرة - ط ١ لسنة ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م .

٣٨ - اتجاهات التفسير في العصر الحديث .
محمد الحديدي الطير - مجمع البحوث الإسلامية - الأزهر .

٣٩ - اتجاهات التفسير في العصر الراهن .
ذ . عبد المجيد عبد السلام المحتسب - ط ٣ - لسنة ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م - نشر مكتبة النهضة الإسلامية - عمان .

٤٠ - الاتجاهات المنحرفة في تفسير القرآن الكريم دوافعها ودفعها .
د . محمد حسين الذهبي - مكتبة وهبة - مصر .

٤١ - إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر .
أحمد عبد الغني الدمياطي الشهير بابن البدناء - طبعة دار الندوة الجديدة - بيروت .

٤٢ - الإتقان في علوم القرآن .
جلال الدين السيوطي - طبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده - ط ٣ - لسنة ١٣٧٠ هـ / ١٩٥١ م .

٤٣ - الأديان في القرآن .
د . محمود بن شريف - طباعة شركة مكتبات عكاظ للنشر والتوزيع السعودية ط ٥ - لسنة ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م .

٤٤ - الأساس في التفسير .
للأستاذ سعيد حوى - طباعة دار السلام - القاهرة .

٤٥ - أسباب النزول .
للإمام علي بن أحمد الواحدي - طبعة المتنبي - القاهرة .

٤٦ - الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير .
للشيخ محمد أبو شهبة - طبعة مكتبة السنة - القاهرة - ط ٤ - لسنة ١٤٠٨ هـ .
٤٧ - أسرار القرآن .
جرجيس سال - طبعة سنة ١٨٩١ م .
٤٨ - أصول التفسير وقواعده .
للشيخ خالد عبد الرحمن العك - دار النفائس - بيروت - ط ٢ - لسنة ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م.
٤٩ - إعجاز القرآن .
لأبي بكر محمد بن الطيب الباقلاني - تحقيق السيد أحمد صقر - دار المعارف مصر - لسنة ١٩٥٤ م .
٥٠ - الإعجاز اللغوي في القصة القرآنية .
محمود السيد مصطفى - ط ١ - الاسكندرية - مؤسسة شباب الجامعة - لسنة ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م .
٥١ - أمالي المرتضي (غرر الفوائد ودرر القلائد) .
للشريف المرتضي علي بن الحسين الموسوي - طبعة دار إحياء الكتب العربية - لسنة ١٣٧٣ هـ / ١٩٥٤ م .
٥٢ - الأمثال في القرآن الكريم .
لابن القيم - دار المعرفة - بيروت .
٥٣ - الأمثال القرآنية .
عبد الرحمن حبنكة - طبعة دار القلم - دمشق وبيروت .
٥٤ - أهل الكهف وظهور المعجزة القرآنية الكبرى .
محمد تيسير ظبيان - دار الاعتصام .
٥٥ - الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه .
لمكي بن أبي طالب - ط ١ - لسنة ١٣٩٦ هـ / ١٩٧٦ م .

٥٦ - إيقاظ الأعلام بوجوب اتباع رسم المصحف الإمام .
محمد حبيب الله الشنقيطي - ط ٢ - حمص - مكتبة المعرفة بيروت - لسنة ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢ م - وطبعة دار الرائد العربي - بيروت - لسنة ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م .

٥٧ - بدع التفاسير في الماضي والحاضر .
د . رمزي نعناعة - مؤسسة الأنوار - الرياض .

٥٨ - براعة الاستهلال في فواتح القصائد والسور .
د . محمد بدري عبد الجليل - المكتب الإسلامي - بيروت - ط ٢ - لسنة ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٤ م .

٥٩ - البرهان في علوم القرآن .
الإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي - دار المعرفة - بيروت لسنة ١٣٩١ هـ / ١٩٧٢ م .

٦٠ - البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن .
كمال الدين عبد الواحد بن عبد الكريم الزملكاني - تحقيق د . خديجة الحديثي و : د . أحمد مطلوب - مطبعة العاني - بغداد - ط ١ - ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ م .

٦١ - بيانات المعجزة الخالدة .
د . حسن عتر - دار النصر - سوريا - ط ١ - لسنة ١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥ م.

٦٢ - تاريخ القرآن .
تيودور نولديكة - دار النشر جورج أولمز - هلد سهايم ونيويورك - سنة ١٩٧٠ م .

٦٣ - تاريخ القرآن .
عبد الصبور شاهين - طبعة دار العلم - القاهرة - ١٣٨٦ هـ / ١٩٦٦ م.

٦٤ - تاريخ القرآن الكريم .
د . محمد سالم محسن - نشر مؤسسة شباب الجامعة - المدينة المنورة .
٦٥ - تاريخ القرآن وغرائب رسمه وحكمه .
محمد طاهر الكردي - ط ١ - لسنة ١٣٧٢ هـ / ١٩٥٣ م .
٦٦ - تأويل مشكل القرآن .
لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة - شرح السيد أحمد صقر - المكتبة العلمية - القاهرة - ط ٣ - لسنة ١٤٠١ هـ/ ١٩٨١ م .
٦٧ - التبيان في علم المعاني والبديع والبيان .
لشرف الدين حسين الطيبي - طبعة عالم الكتب - ومكتبة النهضة الحديثة .
٦٨ - التحبير في علم التفسير .
لجلال الدين السيوطي - طبعة دار العلوم - الرياض - ط ١ لسنة ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م .
٦٩ - التسهيل لعلوم التنزيل .
لابن جزي الكلبي - طبعة دار الكتب الحديثة - مصر .
٧٠ - التعبير الفني في القرآن .
د . بكري شيخ أمين - دار الشروق - بيروت - ط ٤ - لسنة ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م .
٧١ - تفسير البحر المحيط .
لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي الغرناطي - دار الفكر - بيروت - ط ٢ - لسنة ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨م .
٧٢ - تفسير البيضاوي . (المسمى أنوار التنزيل وأسرار التأويل) للإمام ناصر الدين أبو الخير عبد الله بن عمر الشيرازي البيضاوي - دار الفكر - بيروت .
٧٣ - التفسير بين الماضي والحاضر .
د . عبد الله شحاتة - دار الاعتصام - مصر .

٧٤ - تفسير الخازن (المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل).
لعلاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم الشهير بالخازن - طباعة شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر - ط ٢ - لسنة ١٣٧٥ هـ / ١٩٥٥ م .
٧٥ - تفسير « روح المعاني في التفسير » .
محمود بن عبد الله الآلوسي - نشر دار إحياء التراث العربي - بيروت الطبعة الأولى - طباعة دار الطباعة المنيرية .
٧٦ - تفسير أبي السعود (المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم) .
للإمام أبي السعود محمد بن محمد العمادي - دار إحياء التراث العربي بيروت - لبنان .
٧٧ - تفسير الطبري (المسمى جامع البيان عن تأول آي القرآن) .
لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري - تحقيق وتعليق محمود محمد شاكر - دار المعارف - مصر - لسنة ١٣٧٤ هـ - وطبعة دار المعرفة - القاهرة .
٧٨ - تفسير الفخر الرازي (المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب) لأبي محمد الرازي فخر الدين ابن العلامة ضياء الدين عمر - طبعة دار الفكر - بيروت - ط ٣ - لسنة ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م .
٧٩ - تفسير القاسمي (المسمى محاسن التأويل) .
لمحمد جمال الدين القاسمي - دار الفكر - بيروت - ط ٢ - ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م .
٨٠ - تفسير القرآن العظيم .
إسماعيل بن عمر بن كثير - طبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه - القاهرة وطبعة المكتبة التجارية الكبرى - القاهرة .
٨١ - التفسير والمفسرون .

للشيخ محمد حسين الذهبي – طبعة دار الكتب الحديثة – مصر – ط ٢ لسنة ١٣٩٦ هـ / ١٩٧٦ م .
٨٢ – توثيق نص القرآن الكريم .
موريس بوكاي – طبعة دار الكندي .
٨٣ – ثلاث رسائل في إعجاز القرآن الكريم .
الرماني – والخطابي – وعبد القاهر الجرجاني – دار المعارف – مصر .
٨٤ – الجامع لأحكام القرآن .
لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي – دار الكاتب العربي .
٨٥ – جمع القرآن .
جون بيرتون – دار نشر ومطبعة جامعة كمبردج – لندن – نيويورك . ملبورن – ط ١ – لسنة ١٩٧٧ م وطبعة سنة ١٩٧٩ م .
٨٦ – حجة القراءات .
أبو زرعة عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة – تحقيق سعد الأفغاني – مؤسسة الرسالة – ط ٢ – لسنة ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ م – الحركات الإسلامية والقوى المضادة .
٨٧ – خصائص القرآن الكريم .
د . فهد الرومي – مكتبة الحرمين – الرياض .
٨٨ – دراسات حول القرآن الكريم .
د . إسماعيل الطحان – طبعة مكتبة الفلاح .
٨٩ – الرد القرآني على كتاب هل يمكن الاعتقاد بالقرآن .
عبد الله كنون – دار الكتاب اللبناني – بيروت لسنة ١٩٨٢ م .
٩٠ – رسم المصحف .
غانم قدوري الحمد – منشورات اللجنة الوطنية – بغداد – ط ١ – لسنة ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م .
٩١ – دراسات في التفسير ورجاله .

أبو اليقظان عطية الجبوري – طبعة دار الندوة الجديدة – بيروت – ط ٢ – لسنة ١٤٠٦ / ١٩٨٦ م .
٩٢ – درة التنزيل وغرة التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز .
ابن أبي الأردستاني – دار الآفاق الجديدة – بيروت – ط ٢ – لسنة ١٩٧٧ م .
٩٣ – دلائل الإعجاز .
عبد القاهر الجرجاني – نشر مكتبة الخانجي بالقاهرة – وطبعة مطبعة المدني – القاهرة .
٩٤ – رسم المصحف العثماني وأوهام المستشرقين في قراءات القرآن الكريم دوافعها ودفعها .
د . عبد الفتاح إسماعيل شلبي – دار الشروق – جدة – ط ٢ – لسنة ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م .
٩٥ – روائع الإعجاز في القصص القرآني .
محمود السيد حسن – المكتب الجامعي الحديث – الإسكندرية .
٩٦ – سيكولوجية القصة في القرآن الكريم .
د . التهامي نقرة – رسالة جامعية مقدمة لجامعة الجزائر – طباعة الشركة التونسية للتوزيع – لسنة ١٩٧١ م .
٩٧ – شبهات مزعومة حول القرآن الكريم وردها .
محمد صادق القمحاوي – ط – لسنة ١٣٨٩ هـ / ١٩٧٨ م .
٩٨ – الشيعة وتحريف القرآن .
محمد مال الله – طبعة شركة الشرق الأوسط للطباعة – عمان .
٩٩ – الشيعة والقرآن .
إحسان إلهي ظهير – الناشر إدارة ترجمان السنة – لاهور – باكستان .
١٠٠– ظاهرة التكرار في القرآن الكريم .
د . عبد المنعم السيد حسن – طبعة دار المطبوعات الدولية – القاهرة ط ١ – لسنة ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م .

١٠١- عنوان البيان في علوم التبيان .
للشيخ محمد حسنين مخلوف - مكتبة مصطفى البابي الحلبي - ط ٢ - ١٣٨٣ هـ / ١٩٦٤ م .
١٠٢- غاية النهاية في طبقات القراء .
لشمس الدين أبي الخير محمد بن محمد الجزري - نشره ج . برجستراس دار الكتب العلمية - بيروت .
١٠٣- فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن .
لأبي يحيى زكريا الأنصاري - تحقيق الشيخ الصابوني - دار القرآن الكريم - بيروت .
١٠٤- فتح المنان في نسخ القرآن .
طبعة الخانجي - مصر - ط ١ - لسنة ١٩٧٣ م .
١٠٥- الفوائد المشوقة إلى علوم القرآن وعلم البيان .
لابن القيم الجوزية - طبعة دار نشر الكتب الإسلامية - كوجرا نوالة - باكستان .
١٠٦- في ظلال القرآن .
سيد قطب - مطبعة إحياء التراث - بيروت - ط ٧ - لسنة ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م ومطبعة دار الشروق .
١٠٧- القراءات في نظر المستشرقين والملحدين .
عبد الفتاح القاضي - مكتبة الدار - المدينة المنورة .
١٠٨- القرآن .
ريجي بلاشير - طبعة دار الكتاب اللبناني - بيروت .
١٠٩- القرآن والمبشرون .
محمد عزت دروزه - المكتب الإسلامي - دمشق - طبعة ١ - لسنة ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢ م .
١١٠- القرآن والمستشرقون .

رابح لطفي جمعة – المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية – القاهرة – لسنة ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٣ م .
١١١– قصص الأنبياء .
عبد الوهاب النجار– دار إحياء التراث العربي– بيروت– الطبعة ٣.
١١٢– القصص القرآني إيحاؤه ونفحاته .
د . فضل حسن عباس – دار الفرقان – عمان – ط ١ – لسنة ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م .
١١٣– قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية .
د . فضل حسن عباس – دار البشير – عمان .
١١٤– القواعد والإشارات في أصول القراءات .
أحمد بن عمر الحموي – طبعة دار القلم – دمشق .
١١٥– الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل .
لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي – دار المعرفة – بيروت .
١١٦– الكشف عن وجوه القراءات السبعة وعللها وحججها .
لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي – تحقيق محيي الدين رمضان – مؤسسة الرسالة – بيروت – ط ٢ – لسنة ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م .
١١٧– كشف المعاني في متشابه المثاني .
لشيخ الإسلام أبي عبد الله بدر الدين محمد بن جماعة– تحقيق عبد الوهاب المشهداني – رسالة ماجستير مقدمة لقسم القرآن وعلومه بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية سنة ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٣ م .
١١٨– اللآلي الحسان في علوم القرآن .
د . موسى شاهين لاشين – مطبعة الفجر الجديد – مصر .
١١٩– لباب النقول في أسباب النزول .
جلال الدين السيوطي – دار إحياء العلوم – بيروت .

١٢٠- مباحث في إعجاز القرآن .
د . مصطفى مسلم - دار المنارة - بيروت .
١٢١- لمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير .
محمد الصباغ - المكتب الإسلامي - دمشق .
١٢٢- مباحث في علوم القرآن .
صبحي الصالح - دار العلم للملايين - بيروت .
١٢٣- مباحث في علوم القرآن .
للشيخ مناع القطان - مؤسسة الرسالة - بيروت .
١٢٤- المبادئ العامة لتفسير القرآن الكريم .
د . محمد حسين الصغير - المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر - بيروت
ط ١ - لسنة ١٤٠٣ هـ - / ١٩٨٣ م .
١٢٥- محاضرات في علوم القرآن .
د . نور الدين عتر - طبعة جامعة دمشق - لسنة ١٤٠٤ هـ .
١٢٦- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز .
لابن عطية الأندلسي - المملكة المغربية - وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية .
١٢٧- المحكم في نقط المصاحف .
لأبي عمرو الداني- طبعة دار الفكر- ط٢- لسنة ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م.
١٢٨- محمد عبده ومنهجه في التفسير .
د . عبد الغفار عبد الرحيم - دار الأنصار - القاهرة .
١٢٩- مدخل إلى القرآن الكريم .
محمد عبد الله دراز - دار القلم - الكويت .
١٣٠- المدخل لدراسة القرآن الكريم .
محمد أبو شهبة - دار اللواء - الرياض - ط٣ - لسنة ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م .

١٣١- المدرسة العقلية في التفسير .
فهد بن عبد الرحمن الرومي - مؤسسة الرسالة - بيروت .
١٣٢- مذاهب التفسير الإسلامي .
اجنتس جولدتسيهر -دار اقرأ- بيروت -ط٢- لسنة ١٤٠٣هـ /١٩٨٣م.
١٣٣- المرشد الوجيز في علوم الكتاب العزيز .
شهاب الدين عبد الرحمن المعروف بأبي شامة - دار صادر - بيروت .
١٣٤- المصاحف .
لأبي بكر عبد الله بن أبي داود السجستاني - دار الكتب العلمية - بيروت .
١٣٥- مع المفسرين والمستشرقين في زواج النبي بزينب بنت جحش رضي الله عنها .
د . زاهر الألمعي - مطابع الفرزدق التجارية - الرياض .
١٣٦- مصادر وطرق تفسير النصوص القرآنية .
ج . فانسبرف - مطابع جامعة أكسفورد .
١٣٧- معاني القرآن .
للإمام أبي الحسن سعيد بن مسعدة المعروف بالأخفش - تحقيق د . فائز فارس - طبعة الكويت - ط ٢ - ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م .
١٣٨- معاني القرآن .
لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء - عالم الكتب - بيروت .
١٣٩- معترك الأقران في إعجاز القرآن .
لجلال الدين السيوطي - تحقيق علي البجاوي - طباعة ونشر دار الفكر العربي .
١٤٠- مفاهيم جغرافية في القصص القرآنية .
د . عبد العليم خضر - دار الشروق - جدة .
١٤١- المفردات الأجنبية في القرآن .
آرثر جيفري - المعهد الشرقي بارودا .

١٤٢- المفردات في غريب القرآن .
للراغب الأصفهاني - دار المعرفة - بيروت .
١٤٣- مقدمة أصول التفسير .
تقي الدين أحمد بن تيمية - دار القرآن الكريم - بيروت ط ٣ - لسنة ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م .
١٤٤- مقدمة القرآن .
دبليو مونتجمري واط - الكتاب الثامن من سلسلة دراسات مسيحية إسلامية مطبعة الجامعة - أدنبرة .
١٤٥- مقدمة القرآن .
ريتشارد بل - طبعة مطبعة جامعة أدنبرة - سنة ١٩٣٥ م .
١٤٦- مقدمة القرآن .
ريجي بلاشير - طبع في باريس سنة ١٩٥٨ م .
١٤٧- مقدمتان في علوم القرآن .
منها مقدمة لابن عطية - تحقيق آرثر جيفري - مكتبة الخانجي - القاهرة . سنة ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢ م .
١٤٨- مناهج في التفسير .
د . مصطفى الجويني - نشر منشأة المعارف - الإسكندرية .
١٤٩- مناهل العرفان .
للشيخ الزرقاني - طبعة دار إحياء الكتب العربية - عيسى البابي الحلبي وشركاه .
١٥٠- منجد المقرئين ومرشد الطالبين .
لابن الجزري- دار الكتب العلمية- بيروت- ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.
١٥١- منهج إبراهيم عليه السلام في الدعوة إلى الله في ضوء القرآن .
محمد الدريعي - رسالة جامعية في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية لسنة ١٤٠٢ هـ / ١٤٠٣ هـ .

١٥٢- النبوة والأنبياء في ضوء القرآن .
لأبي الحسن علي الحسين الندوي - دار القلم - دمشق - ط ٦ - لسنة ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م .
١٥٣- النبي وأزواجه في سورة الأحزاب .
عبد الحميد طهماز - دار القلم - دمشق .
١٥٤- النشر في القراءات العشر .
لأبي الخير محمد الدمشقي الشهير بابن الجزري - دار الكتب العلمية - بيروت .
١٥٥- النقط .
لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني - دار الفكر - سوريا .
١٥٦- النقول في أسباب النزول حاشية على تفسير الجلالين .
طبعة عبد الحميد حنفي - مصر .
١٥٧- نكت الانتصار لنقل القرآن .
للإمام أبي بكر الباقلاني - الناشر منشأة المعارف - الإسكندرية .
١٥٨- نواسخ القرآن .
لابن الجوزي - طبعة دار الكتب العلمية - بيروت .
١٥٩- الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم .
د . محمد حجازي - دار الكتب الحديثة - مصر طبعة سنة ١٣٩٠ هـ / ١٩٧٠ م.
١٦٠- وحي الله : حقائقه وخصائصه في الكتاب والسنة . نقض مزاعم المستشرقين .
د . حسن ضياء الدين عتر - لسنة ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م .
١٦١- الوحي المحمدي .
د . محمد حسين الذهبي - طبعة مكتبة وهبة - مصر - ط ١ - لسنة ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م .

١٦٢- الوحي والقرآن الكريم .
د . محمد حسين الذهبي - نشر مكتبة وهبة - مصر - ط ١ لسنة ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م .
١٦٣- الوصايا العشر (دراسة مقارنة) .
د . عبد الفتاح عاشور - مطبعة الحضارة العربية - مصر - ط لسنة ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م .
١٦٤- يسألونك عن ذي القرنين .
أبو الكلام أزاد - طبعة دار الشعب - القاهرة .
١٦٥- اليهود في القرآن .
عفيف طيارة - دار العلم للملايين - بيروت -دار الكتب - بيروت .

كتب السنة وعلومها

١٦٦- إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري .
أحمد بن محمد القسطلاني - دار صادر - بيروت .
١٦٧- أصول الحديث (علومه ومصطلحاته) .
د . محمد عجاج الخطيب - دار الفكر - بيروت - ط ٣ - لسنة ١٣٩١هـ / ١٩٧١ م .
١٦٨- بذل المجهود في حل أبي داود .
للشيخ خليل أحمد السهارنفوري - دار اللواء - الرياض .
١٦٩- تذكرة الموضوعات .
محمد بن طاهر الفتني - إدارة الطباعة المنيرية -وطبعة بيروت .
١٧٠- التمهيد لما في الموطأ من الأسانيد .
لابن عبد البر - طبعة المطبعة الملكية المغربية .
١٧١- تهذيب التهذيب .
لابن حجر العسقلاني - طبعة دائرة المعارف العثمانية - حيدر آباد - الدكن- الهند - لسنة ١٣٨٢ هـ / ١٩٦٢ م .
١٧٢- سنن الترمذي .
لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة - تحقيق أحمد شاكر - دار إحياء التراث العربي - بيروت .
١٧٣- سنن أبي داود .
للإمام الحافظ أبي داود سليمان السجستاني - دار الفكر - بيروت .
١٧٤- سنن ابن ماجه .
لأبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني ابن ماجه - تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي دار إحياء التراث العربي - بيروت .
١٧٥- شرح المواقف .

للإمام جلال الدين السيوطي - طبعة مكتبة النهضة العربية - بيروت - ط ١ لسنة ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م .
١٧٦- صحيح البخاري .
للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري - المكتبة الإسلامية - استانبول - تركيا - لسنة ١٩٧٩ م .
١٧٧- صحيح مسلم .
للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري - نشر وتوزيع رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد - السعودية - طبعة دار الفكر - بيروت - لسنة ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م .
١٧٨- فتح الباري شرح صحيح البخاري .
للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني - نشر وتوزيع رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد - السعودية - طبعة المطبعة السلفية .
١٧٩- الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني مع مختصر شرحه بلوغ الأماني .
عبد الرحمن الساعاتي - نشر دار الحديث - القاهرة .
١٨٠- الفتح الكبير في ضم الزيادة إلى الجامع الصغير .
جلال الدين السيوطي . نشر دار الكتاب العربي - بيروت .
١٨١- كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الحديث على ألسنة الناس .
للشيخ إسماعيل بن محمد العجلوني - طبعة دار إحياء التراث - بيروت - ط ٣ - لسنة ١٣٥٢ هـ .
١٨٢- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد .
للحافظ نور الدين علي الهيثمي - طبعة دار الكتاب - بيروت - ط ٣ - لسنة ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م .
١٨٣- المراسيل .
لأبي داود السجستاني - طبعة مؤسسة الرسالة .

١٨٤- المستدرك على الصحيحين .
لأبي عبد الله الحاكم النيسابوري - طبعة ونشر دار الكتاب العربي - بيروت .
١٨٥- مسند الإمام أحمد .
للإمام أحمد بن حنبل - دار الفكر - بيروت .
١٨٦- الموطأ .
للإمام مالك بن أنس - طبعة دار الحديث - بيروت .
١٨٧- النهاية في غريب الحديث والأثر .
للإمام مجد الدين المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير - دار إحياء التراث العربي - بيروت - نشر المكتبة الإسلامية .

كتب اللغة العربية وآدابها

١٨٨- الأضداد .
للأصمعي - دار الكتب العلمية - بيروت .

١٨٩- الأضداد .
محمد بن القاسم الأنباري - طبعة المكتبة العصرية - وطبعة دار الكتب العلمية - بيروت .

١٩٠- الأغاني .
لأبي الفرج الأصفهاني - طبعة دار الفكر .

١٩١- تاريخ الأدب العربي .
كارل بروكلمان - نقله للعربية د . عبد الحليم النجار - ط ٥ - دار المعارف - مصر .

١٩٢- تاريخ آداب العرب .
مصطفى صادق الرافعي - طبعة دار الكتاب العربي - بيروت - الطبعة الثانية - لسنة ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ م .

١٩٣- التبيان في علم المعاني والبديع والبيان .
لشرف الدين حسين الطيبي، - طبغة عالم الكتب - ومكتبة النهضة الحديثة .

١٩٤- خزانة الأدب .
عبد القادر البغدادي - طبعة دار صادر - بيروت - والمطبعة السلفية - القاهرة .

١٩٥- شرح المعلقات السبع .
للزوزني - مكتبة المعارف - بيروت .

١٩٦- الشعراء الجاهليون .
محمد عبد المنعم خفاجي - مطبعة حجازي بالقاهرة - ط ١ - لسنة ١٣٦٨ هـ / ١٩٤٩ م .
١٩٧- الشعر والشعراء أو ما يسمى طبقات الشعراء .
لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري- تحقيق د. مفيد قميحة دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان- ط ١- لسنة ١٤٠١هـ / ١٩٨١م.
١٩٨- كتاب سيبويه .
لأبي عمرو عثمان بن قنبر . طبعة عالم الكتب - بيروت .
١٩٩- لسان العرب .
لابن منظور - دار لسان العرب - بيروت .
٢٠٠- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية .
لابن تيمية - طبعة إدارات البحوث والدعوة والإرشاد - الرياض .
٢٠١- المزهر في علوم اللغة وأنواعها .
جلال الدين السيوطي- طبعة مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح- مصر.
٢٠٢- معجم الشعراء الجاهليين والمخضرمين .
د . عفيف عبد الرحمن - دار العلوم - لسنة ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م.
٢٠٣- معجم مقاييس اللغة .
أحمد بن فارس - دار إحياء الكتب العربية - القاهرة - وطبعة مصطفى البابي الحلبي - القاهرة .

كتب التاريخ والسيرة النبوية الشريفة

٢٠٤- أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار .
لأبي الوليد محمد بن عبد الله الأزرقي - طبعة مطابع دار الثقافة - مكة المكرمة - ط ٤ - لسنة ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م.

٢٠٥- الإصابة في تمييز الصحابة .
لابن حجر العسقلاني - دار الكتاب العربي - بيروت .

٢٠٧- البداية والنهاية .
للحافظ ابن كثير - مكتبة المعارف بيروت - وطبعة دار السعادة - مصر .

٢٠٨- تاريخ الطبري (تاريخ الأمم والملوك) .
ابن جرير الطبري - دار الكتب العلمية - بيروت .

٢٠٩- تحفة الطائف في فضائل الحبر بن عباس ووج والطائف . للشيخ محمد الهاشمي .

٢١٠- حياة محمد .
أميل د . منغهم - نقله للعربية محمد عادل زعيتر - دار إحياء الكتب العربية - مصر .

٢١١- حياة محمد .
محمد حسين هيكل - طبعة دار الكتب المصرية والنهضة المصرية - القاهرة .

٢١٢- حياة المسيح .
عباس محمود العقاد - دار الكتاب العربي - بيروت .

٢١٣- خاتم النبيين .
محمد أبو زهرة - طبعة دار الفكر العربي - بيروت - ط ١ - لسنة ١٩٧٣ م .

٢١٤- الدرر اختصار المغازي والسير .
للحافظ يوسف بن عبد البر النمري - دار المعارف - مصر .
٢١٥- الرسول - ﷺ - في كتابات المستشرقين .
للأستاذ نذير حمدان - لسنة ١٤٠١ هـ .
٢١٦- السيرة النبوية .
للذهبي - طبعة دار الكتب العلمية - بيروت - ط ١ - لسنة ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م .
٢١٧- سيرة ابن هشام مع حاشية الروض الأنف .
لابن هشام - طبعة دار إحياء التراث العربي - بيروت - ط ٣ - لسنة ١٣٩١ هـ / ١٩٧١ م .
٢١٨- الطبقات الكبرى .
لابن سعد - دار صادر - بيروت .
٢١٩- قصة الحضارة .
ديورانت ول - لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة .
٢٢٠- قيمة التاريخ .
جوزاف هورس - دار مكتبة الحياة - بيروت .
٢٢١- الكامل في التاريخ .
لابن الأثير - دار صادر ودار بيروت - بيروت .
٢٢٢- كتاب النبي ﷺ .
د . محمد مصطفى الأعظمي - المكتب الإسلامي - بيروت - ط ١ - لسنة ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م .
٢٢٣- محمد رسول الله .
محمد رشيد رضا - دار الكتب العلمية - بيروت - طبعة سنة ١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥ م .

٢٢٤- النبي محمد .
عبد الكريم الخطيب - دار الفكر العربي - القاهرة - دار المعرفة - بيروت .
٢٢٥- النبي وأزواجه في سورة الأحزاب .
عبد الحميد طهماز - دار القلم .

كتب أخرى

٢٢٦- أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها .
(التبشير - الاستشراق - الاستعمار) .
د . عبد الرحمن حبنكة الميداني - دار القلم - دمشق - لسنة ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م .
٢٢٧- أخطار الغزو الفكري على العالم الإسلامي .
د . صابر طعيمة .
عالم الكتب - بيروت - لسنة ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م .
٢٢٨- أساليب الغزو الفكري .
د . علي محمد جريشة - ومحمد شريف الزيبق - طبعة دار الاعتصام - المدينة المنورة .
٢٢٩- الاستشراق نشأته وتطوره وأهدافه .
إسحاق موسى الحسيني - طبعة الأمانة العامة لمجمع البحوث الإسلامية التدريبية لمبعوثي الأزهر - مطبعة الأزهر - القاهرة لسنة ١٩٦٧ م .
٢٣٠- الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري .
د . محمود حمدي زقزوق - مؤسسة الرسالة - ط ٢ - لسنة ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م .
٢٣١- الاستشراق والمستشرقون مالهم وما عليهم .
د . مصطفى السباعي - طباعة المكتب الإسلامي - ط ٢ - لسنة ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م .
٢٣٢- الإسلام في الفكر الغربي .
محمود حمدي زقزوق - دار القلم - الكويت .
٢٣٣- الإسلام في الفكر الغربي .
د . محمد شامية - مكتبة وهبة - القاهرة .

٢٣٤- الإسلام والمستشرقون .
عدد خاص صدر عن ندوة العلماء لكنهو في الهند .
٢٣٥- الإسلامية والقوى المضادة .
نجيب الكيلاني - مؤسسة الرسالة - بيروت - ط ٢ - لسنة ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م .
٢٣٦- الإسلاميات بين كتابات المستشرقين والباحثين المسلمين .
لأبي الحسن علي الحسيني الندوي - مؤسسة الرسالة - بيروت - ط ٢ - لسنة ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م .
٢٣٧- إظهار الحق .
للشيخ رحمت الله الهندي - تحقيق د . أحمد حجازي السقا - دار التراث العربي - مصر .
٢٣٨- إعلام الموقعين عن رب العالمين .
لابن القيم الجوزية - تعليق عبد الرؤوف سعد - طبعة دار الجيل - بيروت .
٢٣٩- افتراءات فيليب حتى وكارل بروكلمان على التاريخ الإسلامي .
عبد الكريم علي باز - طبعة تهامة - جدة - ط ١ - لسنة ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م . رسالة جامعية .
٢٤٠- التبشير والاستشراق .
محمد عزت الطهطاوي - طبعة الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية - القاهرة - لسنة ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ م .
٣٤١- التبشير والاستعمار في البلاد العربية - بيروت - صيدا - ط ٥ - لسنة ١٩٧٣ م.
٢٤٢- تراث الإسلام .
لجنة الجامعيين لنشر العلم - مكتبة الآداب - مصر - لسنة ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م .

٢٤٣- تصحيح المفاهيم .
أنور الجندي - دار الاعتصام - القاهرة .
٢٤٤- جمال الدين الأفغاني .
د . علي عبد الحليم محمود - الناشر دار عكاظ - السعودية .
٢٤٥- جمال الدين الأفغاني المصلح المفترى عليه .
د . محسن عبد الحميد - مؤسسة الرسالة - بيروت - ط ١ - لسنة ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م .
٢٤٦- الحجاب .
لأبي الأعلى المودودي - مؤسسة الرسالة .
٢٤٧- حضارة العرب .
د . غوستاف لوبون - ترجمة عادل زعيتر - طبعة دار إحياء التراث بيروت - لبنان - ط ٣ - لسنة ١٩٧٩ م .
٢٤٨- دائرة المعارف الإسلامية .
تأليف مجموعة من المستشرقين - أصدرها بالعربية أحمد الشنتاوي وآخرون دار المعرفة بيروت ودائرة المعارف الإسلامية الصادرة باللغة الفرنسية .
٢٤٩- الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية تيودور نولديكة تأليف رودي بارت - طباعة دار الكاتب العربي - بيروت .
٢٥٠- رؤية إسلامية للاستشراق .
د . أحمد عبد الحميد غراب - مؤسسة دار الأصالة للثقافة والنشر والإعلام - الرياض - المملكة العربية السعودية - لسنة ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م .
٢٥١- رد مفتريات على الإسلام .
عبد الجليل شلبي - دار القلم - الكويت .
٢٥٢- شمس العرب تسطع على الغرب . (أثر الحضارة العربية في أوربا)

للمستشرقة الألمانية زيغريد هونكه - ترجمة فاروق الجديدة وكمال دسوقي - ط ٨ - لسنة ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م .
٢٥٣- الصراع بين الفكرة الإسلامية والغربية في الأقطار الإسلامية .
لأبي الحسن علي الحسني الندوي - دار القلم - ط ٤ - لسنة ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م .
٢٥٤- صور استشراقية .
د . عبد الجليل عبده شلبي - منشورات المكتبة العصرية - صيدا - بيروت .
٢٥٥- الغزو الفكري .
محمد جلال كشك - الدار القومية للطباعة والنشر - القاهرة .
٢٥٦- فجر الإسلام .
أحمد أمين . الناشر دار الكتاب العربي - بيروت - ط ١٢ - لسنة ١٩٦٩ م .
٢٥٧- فقه السنة .
سيد سابق - دار الكتاب العربي - بيروت .
٢٥٨- فقه عمر بن الخطاب .
جامعة أم القرى - مكة المكرمة - كتاب رقم ٣١ - ط ١ - لسنة ١٤٠٣ هـ .
٢٥٩- الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي .
د . محمد البهي - مكتبة الفيصلية - مكة المكرمة - ط ٦ - لسنة ١٩٧٢ م .
٢٦٠- الفكر الإسلامي في الرد على النصارى إلى نهاية القرن الرابع عشر .
عبد المجيد الشرفي - كلية الآداب والعلوم الإنسانية - طبعة المؤسسة الوطنية للكتاب - الجزائر - نشر الدار التونسية - تونس - لسنة ١٩٨٦ م .

٢٦١- فلسفة الاستشراق .
د . أحمد سمايلوفتش - طبعة دار المعارف - مصر .
٢٦٢- الفهرست .
لابن النديم - نشر دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت .
٢٦٣- في الغزو الفكري (المفهوم - الوسائل - المحاولات) .
نذير حمدان .
مكتبة الصديق - الطائف - المملكة العربية السعودية .
٢٦٤- مستشرقون (سياسيون - جامعيون - مجمعيون) .
نذير حمدان - نشر مكتبة الصديق - الطائف - المملكة العربية السعودية .
٢٦٥- المستشرقون .
نجيب العقيقي - دار المعارف - القاهرة - الطبعة الرابعة .
٢٦٦- المستشرقون والإسلام .
د . إبراهيم عبد المجيد اللبان . طبعة سنة ١٣٩٠ هـ / ١٩٧٠ م .
٢٦٧- المستشرقون والمبشرون في العالم العربي والإسلامي .
إبراهيم خليل أحمد - مكتبة الوعي العربي - القاهرة - لسنة ١٩٦٤ م .
٢٦٨ المستشرقون ومشكلات الحضارة .
د . عفاف صبرة - دار النهضة العربية - القاهرة - لسنة ١٩٨٠ م .
٢٦٩- مفهوم تجديد الدين .
بسطامي محمد سعيد - دار الدعوة - الكويت .
٢٧٠- المنتقى من دراسات المستشرقين .
د . صلاح الدين المنجد - دار الكتاب الجديد - بيروت - لسنة ١٣٩٦ هـ / ١٩٧٦ م .
٢٧١- موسوعة للمستشرقين .
د . عبد الرحمن بدوي - دار العلم للملايين - بيروت .

فهرس الموضوعات

المبحث التاسع :

المبحث العاشر :

المبحث الحادي عشر :

المبحث الثاني عشر :

المبحث الثالث عشر :

المبحث الأول :

المبحث الأول :

المبحث الثاني :

المبحث الثالث :

الفصل الثالث :

المبحث الأول :

المبحث الثاني :

المبحث الثاني :